

أصول تربية
المرأة المسلمة المعاصرة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية

منشئ، حفصة أحمد
أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة/ تأليف د. حفصة أحمد منشي؛
تقديم: ماجد عرسان الكيلاني.
ط ١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٩.
٦٤٠ ص، ٢٤ سم.
تدمك ٧ ٣٢٥ ٣١٦ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المرأة المسلمة
٢ - التربية الإسلامية
أ - الكيلاني، ماجد عرسان (مقدم)
ب - العنوان
٢١٠، ٤

تاريخ الإصدار: رمضان ١٤٣٠ هـ - سبتمبر ٢٠٠٩ م

حقوق الطبع: محفوظة للناسر

رقم الإيداع: ١٧٤٤٦ / ٢٠٠٩ م

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 316 - 325 - 7

الكوود: ٢ / ٢٥٠

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناسر.



دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠) محمد فريد القاهرة ١١٥١٨

ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤

E-mail: darannshr@link.net

أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة

تأليف

د. حفصة أحمد منشي

تقديم

د. ماجد عرسان الكيلاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى المرأة التي عاشت بفطرتها،
واستقبلت لقاء ربها بيقين قل نظيره بين
نساء الوقت الحاضر.

إلى روح الخالة سيدة*
أهدي هذا الكتاب

اللهم تغمدها برحمتك واحشرها في
زمرة النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

شكر وتقدير

الحمد لله الكريم الذي من علي بنعمة العلم، ويسر لي سبله، ويسر لي من يعينني على تحصيله، ثم الشكر لمن سخرهم الله لخدمة العلم وأهله، ممن أتاحوا المجال للمرأة لتنهل من رحيق العلم الذي افترضه الله عليها، بعد أن ران الجهل عليها وعلى الأمة كلها بسببها.

- وبعد الشكر العام؛ يتنازع في نفسى تقدير وشكر خاصان لمن جعلهم الله أعوانا لي فغمروني بكل معاني العون، وعلى رأسهم ثلاثة؛ يتنازع تقديري لهم وشعوري بالجميل نحوهم، فلا أدري بأيهم أبدأ، وهم بحسب ترتيب صلتهم بالكتاب:

١- أستاذي الدكتور ماجد الكيلاني الذي نمت بمجهوده الفكري بذور أفكارى عن البحث، حتى أثمرت عن هذه الرسالة. أسأل الله أن يبارك في جهوده وأن يجزيه عني خير الجزاء، وله مني كل معاني الشكر والتقدير، وأن أحفظ له حق الأستاذ على تلميذه ما حييت.

٢- الأيدي الحانية التي ظلت تنير دربي وتعبده بكل ما أوتيت من وسع؛ زوجي الدكتور عبد الرحمن بافضل الذي جعله الله سببا في إكمالي لمشواري العلمي، وإخوتي الذين مازالت أيادهم البيضاء تغمرني بكل ألوان العون المادي والأدبي؛ الدكتور محمد والدكتور عبد الله والأساتذة حسن وجميل وممدوح وأيمن، فلهم مني كل عرفان بالجميل، وأمان صادقة بأن يوفقهم الله وذرياتهم إلى ما يحب ويرضى.

ولا أنسى أن أعترف بالفضل لأهله، فأشكر كل من أمدني بعون مادي أو أدبي ممن لا يوفيههم حق جزائهم إلا الله سبحانه وتعالى، وأخص منهم القائمين على هذا الصرح العلمي الذي نقف فيه الآن؛ جامعة أم القرى وعلى رأسهم سعادة مدير الجامعة الدكتور سهيل قاضى، وسعادة عميد كلية التربية الدكتور عبد العزيز خياط، ورئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور حامد الحربي، ومن سبقه من الرؤساء؛ وأخص منهم الدكتور محمود كسناوي، والدكتور محمد جميل خياط.

كما أتقدم بالشكر للقائمين على مركز الدراسات النسوية والأبحاث التطبيقية بجامعة صنعاء، والقائمين على مكتبة كلية الآداب بجامعة صنعاء، وجميع الإخوة والأخوات الذين لم يخلوا علي بأيادهم البيضاء، فساندوني بما في وسعهم.

وشكر وتقدير خاصان أتقدم بهما إلى الأساتذة الأفاضل الذين غمروني بإحسانهم حين تفضلوا - مشكورين - بقبول مناقشة الرسالة، وبذل الوقت والجهد من أجل إثراء الرسالة وتحسينها؛ الأستاذ الدكتور عبد اللطيف ابن دهيش أستاذ الدراسات التاريخية والحضارية وعميد معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، والأستاذ الدكتور محمود كسناوي الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة، والدكتور نايف همام الأستاذ المساعد بقسم التربية الإسلامية والمقارنة.

أسأل الله أن يبارك للجميع في جهودهم الخيرة وأن يحقق لهم الآمال.

المؤلفة

تقديم

حين اقتضت سنة الله في مخلوقاته أن يخلق من كل زوجين اثنين، إنما أراد سبحانه وتعالى أن تكون أعمال مخلوقاته الناجحة - المفلحة ثمرة تزواج " الزوجين ". وهذه سنة إلهية عامة تشمل عوالم الأفكار والأشخاص والحيوان والنبات والجماد. فلا ثمرة أو مولود في جميع هذه العوالم إلا بتزواج الفكرة مع التلقي، والأخذ مع العطاء، والذكر مع الأنثى، والموجب مع السالب، والمطر مع الأرض، والليل مع النهار.. وهكذا.

ولكن عمل هذه السنة الإلهية في عوالم الحيوان والنبات والجماد قائم على الحتمية والتسخير المطلق. أما عالم الإنسان الذي ابتلي - أي امتحن - بحرية الاختيار فلحريته خصوصية وهي أنها تقتصر على اختيار السبب وحتمية النتيجة. فالحرية للإنسان مضمونة في اختيار الجهل؛ ولكن ليس له الحرية بعد ذلك في تجنب التخلف المتولد عن هذا الاختيار. وحرية الإنسان مضمونة في تناول السم ولكن ليس له الحرية في تجنب الهلاك بعد تناوله، والحرية مضمونة للأمة أن تختار وحدة الصف أو تمزيقه؛ ولكن ليس لها الحرية بعد ذلك باختيار النصر أو الهزيمة، والعز أو الذل. ويضرب القرآن الكريم مثلاً بالقوم الذين ظلموا أنفسهم فاختاروا أن يزرعوا حرثهم في فصل أصابها فيه ريح فيها صر - أي برد وصقيع - فلم يستطيعوا تجنب هلاك تلك المزروعات . وهكذا في كل ممارسات الإنسان وإنجازاته؛ هو يملك أن يختار مبادرة الأسباب ولكن الله يلزمه بالنتائج المترتبة على اختياراته.

على أن أوضح تطبيقات " سنة الزوجية " في حياة الإنسان تتجسد في علاقة الرجل بالمرأة. فحين يعمل غرور القوة عمله في نفس الرجل ويختار أن يمارس البناء والإصلاح دون التزواج مع امرأة تماثله في المعلومات والإرادات؛ فإن نتائج عمله تبور وجهوده لا تثمر. وهذا يعني أن بناء المجتمعات وتشديد الحضارات إنما يتحقق بتكامل الزوجين الاثنين: الذكر والأنثى. فهذه سنة الله سبحانه وتعالى، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً. وهذا هو النموذج الأسري والاجتماعي الذي طرحه القرآن الكريم وأحكم الرسول ﷺ تأويله - أي تحويله - إلى تطبيقات عملية.

وانطلاقاً من علاقة " التزواج " هذه أطلق القرآن الكريم على كل من عضوي

الأسرة القرآنية اسم " الزوج " - وليس الزوج والزوجة - وهذا اسم لم يطلقه على المرأة إذا لم تقم بينها وبين الرجل علاقة تزاوجية مثمرة؛ أي علاقة تماثل وتكامل في الفكر والإرادة والإنجاب والسلوك والعمل. فهو مثلاً لم يطلقه على نساء الرسل اللاتي لم يماثلنهم عقيدة وعملاً فقال: ﴿أَمْرَاتٌ نُوحٌ﴾ ﴿وَأَمْرَاتٌ لُوطٌ﴾ ولم يقل (زوج نوح) ولا (زوج لوط) ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْرَاتٌ فِرْعَوْنُ﴾ ولم يقل (زوج فرعون) لأنها كانت مؤمنة استجابت لرسالة موسى عليه السلام، وفرعون كان عاصياً كافراً. ولذلك أيضاً خاطب آدم: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ لأن حواء كانت تماثله وتتكامل معه فكراً وسلوكاً، وخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام بأمثال: ﴿قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ﴾ و﴿بَنِي مَرْصَاتٍ أَرْوَجُكَ﴾ لأنهن ارتقن إلى مستوى المسئولية التي تتطلبها صحبة الرسول ﷺ والعيش معه، ووصف سارة بأنها امرأة إبراهيم قبل إنجابها إسحاق وتحقيق الغاية من الزواج المتضمنة في قوله تعالى: ﴿فَسَاوُكُْمُ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾.

وحين ندقق النظر في النموذج القرآني للمرأة؛ نجد أنها تتلخص في مجموعة من الحقائق المثبتة بشواهد التاريخ. فالمرأة هي حاضنة الرسل وسند الرسالات؛ كما تحدث عن أم موسى وأخته وزوجته ابنة شعيب، وامرأة فرعون، وعن مريم العذراء أم عيسى عليه السلام، وكما هو شأن هاجر زوج إبراهيم وأم إسماعيل، فلا غرابة أن رأينا القرآن الكريم يطلق اسم النساء على سورة طويلة فيه ويخصهن بسور المجادلة والممتحنة والنور والطلاق.

ولقد جسدت المرأة الصحابية في عصر الرسالة النموذج القرآني خير تجسيد، فكانت - قوية - تمام القوة في حمل الرسالة، - فاضلة - كل الفضل في علاقاتها الأسرية والاجتماعية وعفتها الأخلاقية. ولقد تعددت مظاهر - قوتها - بتعدد ميادين الحياة؛ فأول مسلم كان امرأة هي خديجة، وأول شهيد في الإسلام كان امرأة هي سمية، وأول عالم في مدرسة النبوة كان امرأة هي عائشة، وأول مدير مخبرات نظم هجرة الرسول ورتب سلامته وعدته كان امرأة هي أسماء، وأول مسلم من الفرس كان امرأة حيث روى ابن حجر في الإصابة (ج ٤، ص ٣٢٩) أن سلمان الفارسي قال: لما قدمت المدينة رأيت أصبهانية - أي من أصبهان - كانت قد أسلمت قبل فسألته عن رسول الله فهي التي دلتنى عليه، وأول مسلم من الأفارقة كان امرأة هي سمية التي جمعت بين السبق

والشهادة. وعلى أيد النساء المؤمنات أسلم كبار الصحابة كما حدث لعمر بن الخطاب الذي تلقى الدعوة بنجاح من أخته فاطمة، وكما حدث لعثمان بن عفان الذي أسلم على يد قريبته سعدة بنت كريب - كما يروي ابن حجر في كتاب الإصابة في أخبار الصحابة (ج ٤، ص ٣٢٨)، وكما حدث مع عبد الله بن عباس الذي تلقى الدعوة من أمه أم الفضل وكانا من المستضعفين في مكة، وكما حدث مع علي بن أبي طالب الذي لقي التشجيع للالتحاق برسول الله ﷺ من والدته فاطمة بنت أسد في الوقت الذي ظل والده حبيس أغلال تقاليد الشرك، مثقلاً بأصاره حتى وفاته دون إسلام.

وفي الوقت الذي كان فيه أبو جهل وعقبة بن أبى معيط وأبو سفيان يقودون مقاومة الإسلام ويضطهدون أتباعه كانت بناتهم يستأجرن الرواحل والأدلة ثم يخرجن مهاجرات إلى الحبشة والمدينة المنورة وهن لم يتجاوزن العشرين من العمر كما فعلت أم حبيبة بنت أبى سفيان، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط.

وكانت هناك المجاهدات السابقات من أمثال أم عمار، وأم سلمة، وصفية بنت عبد المطلب ومئات الصحابيات اللاتي خصص ابن سعد المجلد الثامن من كتابه طبقات الصحابة لهن ثم بخل المؤرخون الإسلاميون على تفصيل سيرهن حين جعلوا تاريخ الإسلام تاريخ ذكور. وكان هناك الملمات - المربيات - من أمثال الشفاء بنت عبد الله التي هاجرت إلى المدينة لتقف إلى جانب الرسول ﷺ وتختص بتعليم النساء الخط والكتابة والطب، ثم لتشارك بعده في السياسة والإدارة فتتولى منصب الحسبة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب وهو منصب يقابل - في زماننا - منصب عدة وزارات هي وزارة الداخلية، ووزارة الرعاية الاجتماعية، ووزارة الثقافة، وكانت هناك المستشارات الحكيمات في مواقف التأزم كما فعلت أم سلمة التي أشارت على الرسول ﷺ بعد احتجاج المسلمين على شروط صلح الحديبية أن ينحر هديه ويتحلل من إحرامه فيتبعه الجميع؛ فكان ما أشارت به وتوقعت نتيجته، وكانت هناك المناقشات في مجالس العلم واستنباط الفقه في مسجد الرسول ﷺ في أثناء حياته، وفي زمن خلفائه الراشدين؛ وكانت هناك المرافقات لجيوش الجهاد اللاتي نظمن المستشفيات العسكرية المتنقلة والفرق المساندة.

واستمرت المرأة الصحابية سباقة في حمل مسؤولياتها، جريئة في أقوالها وأفعالها والتعبير عن حاجاتها - حتى عن حاجتها إلى الزواج واختيار من ترى فيه الأهلية - لا يوقف إرادتها عن قول الحق وفعله سطوة خليفة، أو مهابة قريب، أو نفوذ مسئول إلا ما

كان من طاعتها لله وخشيته. وكانت (فاضلة) في تبعلها وإسباغ السعادة والسكن وإشاعة المودة والرحمة في أسرتهما؛ تؤدي لزوجها وبنيتها وأرحامها حق الله دون تردد أو حساب. وفي كل عصر أحكمت حرمان التجديد والإصلاح إعداد المرأة المسلمة؛ كانت تخرج نماذج تتصف بالقوة والفضل سواء.

وفي الفصول التي أوردتها في كتابي - هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس - وعرضت فيها دور المرأة المسلمة في إخراج جيل نور الدين وصلاح الدين؛ بينت كيف أن الإعداد التربوي المحكم أدى إلى بروز شخصيات نسائية تتصف (بالقوة والفضل) من أمثال السيدة خاصة العلماء بنت المبارك والسيدة شمس الضحى، وفاطمة الجوزدانية، وشهادة بنت أبي نصر، ثم كيف استمرت تلميذاتهن إلى جانب رجال جيل الجهاد؛ كما فعلت زمرد خاتون زوجة عماد الدين زنكي، والسيدة عصمت الدين خاتون زوجة نور الدين، والسيدة فاطمة بنت سعد الخير زوجة علي بن نجا وأمثالهن من جيل الجهاد. ويقيني أن جيل نور الدين وصلاح الدين ما كان بقدرته تحقيق المنجزات التي قام بها لو لم تخرج مدراس الإصلاح ذلك الجيل من النساء اللاتي ارتفعن إلى مستوى المسؤولية والوعي بالتحديات المعاصرة.

ومن هذا النموذج القرآني والتطبيقات المؤمنة في عصر النبوة والخلافة الراشدة استلهم الشاعر الإسلامي جلال الدين الرومي مواصفاته في الزوجة التي يريدها حين كتب يقول:

"إنك زوجتي! والزوجة لابد لها أن تتفق مع الزوج في الصفاء حتى تحيى الأمور وفق مصلحتهما!

فالزوجان يجب أن يكون كل منهما على مثال الآخر، ألا فلتألمي زوجين من الأحذية أو النعال؟ فلو أن واحدا من النعلين ضاق بقدمك فلا نفع لهذين النعلين عندك!

وهل بين مصراعي الباب واحد صغير وآخر كبير؟

أم رأيت ذئبة اقترنت بأسد الغاب؟

وليس يستقيم فوق ظهر الجمل زوجان من الحقائق إحداها صغير والأخرى كاملة الاتساع.

إنني أسير بقلب قوي نحو القناعة، فلماذا تذهبين أنت إلى الشناعة؟"

في ضوء ما تقدم من استعراض لنموذج المرأة القرآني وتطبيقاته الحكيمة لعلي لا أصدّم القارئ إذا قلت أن نموذج المرأة القائم في المجتمعات الحاضرة لم يعد ملائماً لا في الغرب الأوروبي والأمريكي، ولا في الشرق العربي الإسلامي وغير الإسلامي، وأن كلا النموذجين مرفوض من أهله وذويه في مجتمعات الأقطار الحديثة - أقطار تفجر المعرفة، وطور العالمية الذي تهدمت فيه الحدود بين الثقافات والقيم وتطبيقاتها في الاجتماع والسلوك.

إن النظر في تاريخ المرأة يشير إلى أن النساء ثلاثة أصناف:

الأول؛ المرأة الفاضلة - القوية. وهو نموذج المرأة الصحابية التي شاركت الصحابي مسئولياته وجهاده في جميع الميادين.

والثاني؛ المرأة الفاضلة - الضعيفة، وهو نموذج غالب النساء اللاتي تحكمهن التقاليد والأعراف العصبية في الأقطار العربية والإسلامية. وهو أيضاً نموذج المرأة عند كثير من الإسلاميين المعاصرين الذين يحاربون الوأد الجسدي للمرأة ويصرّون على بقاء الوأد الاجتماعي.

والثالث؛ المرأة القوية - غير الفاضلة، وهو النموذج الغالب على المرأة الغربية ومن اقتدى بها في الأقطار الأخرى ومنها الأقطار العربية والإسلامية. والنهضات لا تقوم، والنجاح لا يتحقق إلا برجل قوي - فاضل، وامرأة قوية - فاضلة.

إن المرأة سواء بصورتها التقليدية أو الحديثة التي أفرزتها المجتمعات الرأسمالية وحضارة " الإنتاج والاستهلاك " المعاصرة لم تعد صالحة لحمل مسئولياتها وذلك لسببين:

السبب الأول؛ أن المرأة التقليدية نموذج مغترب في ماضي البادية والريف، غائب عن حاجات الحاضر وتحدياته التربوية والثقافية والاجتماعية والتكنولوجية والصحية، والعلاقة في أسرتها - علاقة عمودية - تقوم على رجل يهيمن هيمنة مطلقة بسبب ذكوريته، وامرأة مستضعفة استضعافاً مطلقاً بسبب أنوثتها. وأساس التوجيه في هذه الأسرة أوامر غير مفهومة ولا مبررة؛ ولذلك يتحيز الأبناء والبنات فيها الفرص للانعتاق من " أغلالها " و " آصارها " الصارمة، وهذا النموذج من المرأة أسرتها في انحسار دائم

أمام وسائل الاتصال الحديثة، وبرامج التحديث، ومخططات العولمة التي تهددها بالتمزق والتحول إلى أكوام من الرقيق الأبيض، والعمالة، وعارضات الأزياء، والخدمة الرخيصة في أسواق الاستهلاك التي يقيمها وكلاء الشركات العالمية في الأقطار العربية والإسلامية.

والسبب الثاني؛ أن المرأة الحديثة سلعة تجارية في نظام الاقتصاد الرأسمالي، أو اقتصاد السحت كما يسميه القرآن الكريم – ومكانتها الاجتماعية تميل لصالح مكان العمل أكثر من البيت؛ ولذلك صار يتجاذب المرأة علاقتان: علاقة أفقية مضطربة مع زوج فقد قوامته إما بسبب قلة معرفته وإما بسبب انحسار إنفاقه ومكانته، وعلاقة عمودية مع رئيس عمل أو مجموعة من الرؤساء يتحكمون بمصير المرأة الوظيفي وراتبها المالي، وعلاقتها السنوية، وهذه علاقة لم تحرر المرأة كما يزعم سدنة الرأسمالية وكتابها، وإنما أجبرتها على تحويل طاعتها وزينتها وحسن تبعها إلى مكان العمل حيث يتمتع الرئيس بغالب – وأحيانا بجميع – ما كان يتمتع به زوج البيت، بينما لم يبق لزوج البيت إلا الكسل والضجر ورثاة الشكل والسأم والعبوس ومريول المطبخ المنفوش والشعر المنكوش، ولم يبق للبنات والبنين إلا دور الحضانة ورياض الأطفال التي تنشئهم على ثقافة القطيع، وبسبب ذلك كله يتقرر تماسك الأسرة الحديثة طبقا لمحصلة التجاذب المتضاد بين متطلبات رئيس العمل من ناحية وبين متطلبات زوج البيت من ناحية أخرى. ولقد أدرك الروائي الأمريكي – فيث بالدوين Faith Baldwin – طبيعة هذا الاضطراب الذي أصاب الأسرة الحديثة فكتب عام ١٩٢٩م روايته – زوجة المكتب The Office Wife – والتي أعيد طبعها عام ١٩٩٣م. وهو أيضا ما أدركته الباحثة الاجتماعية البروفيسورة – تری ابتر Terri Apter – حين أعطت كتابها هذا العنوان الساخر: النساء العاملات ليس لهن أزواج أو Working Women Don't have Wives.

لذلك كله تظل المرأة الموصوفة بالقوة والفضل هدفًا تربويًا عالميًا ومطلبًا إصلاحيًا في مجتمعات العالم المعاصر كلها. ولكن هذا النموذج النسائي – القرآني لن يبرز للوجود إلا بنظام تربوي محكم الأصول والتطبيقات، وهو ما وضعت لبنته الأولى باحثنا الدكتور حفصة منشي في أطروحتها عن أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، وبذلك سنت سنة حسنة أسأل الله أن يجعل لها حسناتها وحسنات من يعملن بها.

ولكن لعلني أضدم القارئ حين أقول: إن كلا الفريقين من الباحثين في قضايا المرأة: فريق الإسلاميين، وفريق الحداثيين لما يزالا بعيدين عن الوعي بحقيقة المشكلة التي

يعالجونها وكتبوا عنها مئات الكتب وآلاف المقالات؛ لأن كلا الفريقين لا يتمتع بالعقلية المبتكرة القادرة على النظر إلى المشكلة نظرة علمية - موضوعية وما زال يستورد نموذج المرأة أو يقلد فيه. الأول يستورد من الغرب الحديث نموذج المرأة التي توصف بالتححر لأنها تتمرد على الأخلاق والقيم المؤصلة، وهو في استيراده لا يستورد جميع النماذج القائمة في المجتمعات الغربية؛ وإنما يقتصر على النموذج الذي تصدره مؤسسات الثقافة والإعلام العاملة في خدمة الرأسمالية الدولية وأسواقها. والثاني يستورد من الماضي الإسلامي كله محصلة نموذج المرأة الذي أفرزته أخلاط التصورات التي اختلط فيها الفقه الصائب مع الفقه الخاطيء ومع الأعراف والتقاليد المنحدرة عبر عصور الازدهار والجمود سواء. ولا فرق بين الفريقين؛ لأن الفريق الأول يقلد الجديد المستورد، والثاني يقلد القديم الموروث ولا فرق بين التقليد القديم والتقليد الجديد، فكلا النوعين تعطيل للعقل وتكريس للجمود وإن اختلفا في الأزمنة والأمكنة.

إن أزمة المثقف والمفكر والعالم والفقيه في الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة أن الواحد منهم ما زال حبس التلقين والتقليد في كل أطروحاته الفكرية والثقافية والعلمية، وأنه ما زال عاجزا عن قراءة كتاب الآفاق والأنفس، طفلا على موائد المعرفة؛ يجلس على طاولة الدرس جاهزا لاستظهار ما يلقيه عليه المعلم إن كان تلميذا أو طالبا، وما تلقيه أجهزة الإعلام إن كان مواطنا، وما ينحدر من الماضي إن كان متدينا، وما يصدر ويستورد من الغرب والشرق إن كان مثقفا أو متعلما. فهو متسول ينتظر الأفكار والتقارير لتقدم له مطبوخة مضموجة ثم يجترها في دفتر الدرس أو الصحيفة أو الكتاب أو المحاضرة أو الحديث التلفزيوني. يلقيها المقلد القديم بمنهج - الكنتي - أي الذي يروي: كان السلف، وكان الأجداد، وكانوا.. وكانوا.. ولا شيء غير "كانوا"، ويلقيها المقلد الجديد بمنهج - العندي - أي الذي يقول لا يتوقف عن ترديد: عند أوروبا، وعند أمريكا، وعند ديوي، وعند ماركس، وعند دور كايم، عند ماركس وعند.. وعند.. ولا شيء غير هذه - العنديات - المنقولات والمترجمات.

هذه الإشكالية الفكرية جعلتني أشك في كل ما درسته على مقاعد الدرس، ودفعني للانزواء في المدينة المنورة ومكة المكرمة مدة خمسة عشر عاما أراجع ما في نفسي وأشكال تفكيري ومحتويات رأسي. وفي خضم هذه المراجعة حاولت التحرر من منهج "الكنتيين" ومنهج "العنديين" في البحث عن نموذج الإنسان القرآني وتطبيقاته التاريخية ومنه

نموذج المرأة. وفي خضم مراجعتي وتفاعلي الفكري والوجداني مع قضية المرأة كنت أدرس مجموعة من الطالبات الفضليات في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى لمرحلة الماجستير والدكتوراة أصول التربية الإسلامية، ونظريتها وأهدافها ومناهجها، وكان بين أولئك الطالبات الفضليات الطالبة - حفصة أحمد منشي - والدكتورة في الوقت الحاضر، ولكم سرني تيقظها العقلي وحماسها العلمي وتفاعلها مع طروحاتي عن نموذج الإنسان المسلم والمرأة المسلمة، وكان من ثمرة هذا التفاعل أن أشرفت على أطروحتها لنيل الدكتوراة التي اختارت موضوعها ليكون عن - أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة -. قبلت المهمة مسرورا ومضيت مع - الطالبة حفصة - وهي تكتب فصول أطروحتها فصلا فصلا، وتتصدى للبحث في هذا الموضوع المليء طريقه بأفواج المأسورين للأعراف والتقاليد الذين يخطبون ويكتبون ويحاضرون عن تحرير الإسلام للمرأة تاريخيا ويصرون على استمرار وأدها اجتماعيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وحتى إذا جاء وقت مناقشة الأطروحة أثبتت صاحبها - بجدارة - أنها باحثة اجتهدت في قراءة آيات الله في الكتاب وآياته في الآفاق والأنفس وقدمت الدليل تلو الدليل على أن نموذج المرأة المسلمة في القرآن الكريم هو مطلب عالمي للنساء في مجتمعات العالم كلها بعد أن أرهقهن نموذج الرأسمالية، ودفعن الثمن غاليا من إنسانيتهن وحرمتهن وفطرتهن وصرن سلعة من سلع اقتصاد السحت ووسائل الدعاية والتسويق وفنون اللهو، ودرأت المقولة التي تقول: إنه لا يصلح للمرأة أن تخرج من بيتها إلا مرتين: مرة إلى بيت الزوج ومرة إلى القبر. وفندت قول الذين لا حجة لهم إلا أنهم وجدوا آباءهم على نموذج من المرأة وأده الآباء اجتماعيا وأبقوا عليه جسديا.

ومرت المناقشة واجتازتها الطالبة حفصة بتفوق نال إعجاب المناقشين والحضور سواء، وقدمت نموذجا صالحا لأخواتها السائرات في الطريق نفسه. واليوم وقد يسر الله سبحانه طباعة الكتاب فإن من عظيم اعتزازي وكبير سروري أن أكتب هذه المقدمة لعمل شريف من أعمال ابنة من بنات الفكر والتربية، وداعيا كل امرأة تبحث عن إنسانيتها وتتطلع إلى التحرر الصحيح أن تلتحق بهذا الركب النسائي المؤمن.

جزى الله الدكتورة حفصة خير الجزاء وبارك لها في باكورة أعمالها، وعسى أن تكون طليعة لأخواتها اللاتي تركتهن خلفي في مكة وجدة والطائف، أذكر منهن على سبيل المثال وليس الحصر الدكتورة عائشة الجلال، والدكتورة ابتسام جفري، والدكتورة صافيناز

غنيمة، والطالبة بدرية البسام والمرشحة للدكتوراه عواطف الحسيني، وجميلة السقا وغيرهن ممن لا يتسع المقام لسرد أسمائهن، ودعائي إلى الله أن يفتح قلوب رجالهن من الآباء والإخوة والأزواج للوقوف إلى جانبهن كما وقف إلى جانب الدكتورة حفصة إختوتها وزوجها الفاضل؛ لأنهن - حسب خبرتي - خميرة صالحة للنموذج العالمي للمرأة المسلمة التي ستقود طلائع المرأة - الإنسان - في عصر العولمة التجارية، والله سبحانه يتولى جهود المؤمنات القانتات العابدات المجاهدات بالولاية والرعاية إنه نعم المولى ونعم النصير.

د. ماجد عرسان الكيلاني

أستاذ التربية الإسلامية والتربية الدولية

في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة

أم القرى سابقا وجامعة الشارقة حاليا.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل مسئولية المرأة في نطاق ما وهبها من "وسع" أو استعدادات وقدرات، وميزها عن الرجل بخصائص الأنوثة والصفات. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من المعالم البارزة في تاريخ الإسلام، ما نجده من عظمة في الدور الذي قامت به المرأة الصحابية، وشمول هذا الدور وأصالته ومعاصرته؛ فقد كان أول مسلم استجاب لدعوة الرسول ﷺ امرأة وهي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكان أول شهيد في الإسلام؛ امرأة وهي سمية بنت خياط زوجة ياسر وأم عمار رضي الله عنهما، وكان أبرز عالم نال شهادة الأستاذية من مدرسة الرسول ﷺ؛ امرأة وهي عائشة رضي الله عنها.

كما كانت المرأة شريكا عميق التأثير في مسيرة الدعوة والجهاد وبناء المجتمع. وخلال ذلك برزت شخصيات نسائية متميزة من أمثال الخنساء، وأسماء بنت أبي بكر الصديق، وصفية بنت عبد المطلب، والشفاء بنت عبد الله، وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين.

ولم تكن هذه المشاركة محصورة في نفر محدود من النساء، وإنما كانت ظاهرة عامة جسدها جيل الصحابيات في عصر النبوة والخلافة الراشدة، حيث شاركن في مسيرة الدعوة والبناء.

ثم بدأ المد الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية، فاستمرت المرأة المسلمة في أداء الدور نفسه، حيث برزت شخصيات من أمثال خولة بنت الأزور، وسكينة بنت الحسين وغيرهن.

وكانت السمة العامة التي تلخص هذه المشاركة الجهادية والعملية للنساء؛ أن المرأة المسلمة كانت توازن موازنة دقيقة رائعة بين دورها الأسري ودورها الاجتماعي؛ فمثلا كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها - وهي تقوم بدورها الأسري - تحمل العلف على رأسها من خارج المدينة لتقدمه لفرس زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، ولكنها - في دورها الاجتماعي - كانت تتصب سندا قويا، وحصنا منيعا يمد ولدها عبد الله رضي الله عنه بالشجاعة، والثبات على المبدأ؛ حيث نجدها غداة قتله، وفي آخر لقاء بينها وبينه تقول له:

" يا بني ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، إما أن تملك؛ فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبك..... يا بني، إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل "(الكاندهلوي، د.ت، ج ١، ص ٢٧٥).

هذه الظاهرة البارزة لدور المرأة المسلمة في عصر الرسالة وعصر الخلافة الراشدة؛ تدل على أنه كان هناك نظام تربوي ذو أصول تربوية شاملة، جسدت (أصالة) التعاليم الإسلامية في شخصية المرأة المسلمة، وهياتها للمشاركة الفعالة الكاملة في مواجهة التحديات، وتلبية الحاجات التي أفرزتها أحداث عصرها الذي عاشت فيه، وجعلت لها صفة مميزة بين نساء الحضارات، وهي أنها (امرأة قوية- فاضلة) ^(١).

ولا غرابة في هذه الصفة؛ لأن النظر في الأصول العقدية يبين أن الإسلام قد حرص على تعليم المرأة حرصه على تعليم الرجل، ويؤكد ذلك قوله ﷺ فيها رواه أنس بن مالك رحمته الله: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (ابن ماجه، د.ت، ج ١، المقدمة، ص ٨١)، ويؤكد ذلك طلبه عليه السلام من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجها حفصة حين قال لها: "ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة. " (أبو داود، د.ت، ج ٢، الطب/ ٣٨٨٧، ص ١١).

ونجد أن نصوص القرآن الكريم عندما تخاطب المسلمين بأمر أو تكليف؛ فإنها لا تخاطب الرجل وحده، بل تخاطب كلا من الرجل والمرأة، وهذا ما دفع بالمسلمات الأوائل رضي الله عنهن إلى الاهتمام بتعاليم الدين الجديد، وطلبهن من الرسول ﷺ أن يخصصهن بالتعليم، فجعل لهن يوماً يعظهن فيه ويسألنه عما يعن لهن من أمور (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ١، العلم/ ٣٦، ص ٣٤).

وفي عهد الخلفاء الراشدين، كانت النساء يشتركن مع الجمهور في سماع خطب الخلفاء، ويحضرن المواعظ والخطب التي كان يلقيها علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس رحمتهما الله وغيرهما، كما أقبلن على رواية الحديث خاصة، إقبالا عظيما، حتى وجدنا ابن سعد يشير في الجزء الثامن من طبقاته إلى أكثر من سبعائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ.

(١) هذا المصطلح مأخوذ عن الدكتور ماجد الكيلاني، (انظر مؤسسات التربية الإسلامية، مسودة).

أو عن الثقافات من أصحابه.

واستمر تعليم النساء بعد العهد الراشدي سنة حسنة تتوارثها الأجيال، حيث كان الأمراء يعلمون بناتهم داخل القصور، بينما كان عامة الشعب يعلمونهن في الكتاتيب. (الأهواني، د.ت، ص ١٠٤).

ثم خلف صدر الإسلام وعصور الازدهار أجيال تأثرت بثقافة عصبية الجاهلية وعاداتها وتقاليدها، ونتيجة لذلك؛ انحسر دور المرأة المسلمة في دائرة الأخلاق الفردية وشبكة العلاقات الأسرية- دون دورها الاجتماعي- الأمر الذي انعكس على مفهوم تربية المرأة وتعليمها؛ حتى اعتبر تعليم المرأة الكتابة والخط من دواعي إفسادها (القاسبي، د.ت، ص ٢٨٩).

ويرى الأهواني أن الخوف من فساد البنات هو الذي دفع بالمسلمين إلى الامتناع عن تعليم البنات في عصور الركود والتقليد (الأهواني، د.ت، ص ١٨١)، بينما يرى البعض أن السبب في ذلك يرجع إلى صعوبة الرحيل في طلب العلم على النساء وهو ما كان يقوم به طلاب العلم (شليبي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٢٩)، ولكن الحقيقة التي ينبئ عنها الواقع، هي أن تقاليد العصبية القبلية التي تجعل الفكر يدور في فلك القوة قد تدخلت مرة ثانية وجعلت تعليم المرأة يتقلص كثيرا عما كان عليه في صدر الإسلام وبسرعة، حيث إنحصر في شيء من القرآن وعلوم الدين قراءة دون كتابة، وذلك في الكتاتيب التي استمرت حتى افتتاح المدارس وما بعده في أكثر البلاد الإسلامية في القرن العشرين الميلادي.

ومما يدل على انحسار تعليم المرأة في العصور المتأخرة؛ ما ذكرته المصادر من أن تعليم المرأة كان من ضمن المحظورات في أواخر العصر العثماني، وأنه في حين كان القانون يقيّد تعليم المرأة الغربية فقد كان القانون في البلاد الإسلامية أقل تقييدا، إلا أن العرف كان أكثر تقييدا من القانون. (تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مج ٦، ج ٢، ص ٢١٣-٢١٧).

ومنذ القرن الماضي أحس نفر من المهتمين بضرورة تعليم المرأة المسلمة وتحريرها من

سجن تقاليد العصبية الذي سجن فيه، ومنهم رفاة الطهطاوي^(١) وقاسم أمين^(٢) وغيرهما.

إلا أن هذه الصيحات الإصلاحية كانت تعاني من أمرين: الأول؛ عدم وضوح الأصول التي يجب أن يقوم عليها تعليم المرأة المسلمة، والثاني؛ تأثر أصحابها بالتمدن الغربي في اتجاههم نحو المرأة، دون إدراك للبون الشاسع بين المجتمع الغربي والمجتمع الإسلامي من حيث الجذور والنشأة والقيم.

والواقع أن نموذج تعليم المرأة الغربية فيه خطر كبير؛ لأنه لا يستمد أصوله من اعتبارات إنسانية المرأة، وإنما يقوم على أصول اقتصادية - صناعية أملت ظروف الثورة الصناعية التي تبلورت منذ القرن التاسع عشر، والتي واكبتها الفلسفة التربوية التي تقول بأن التعليم يمثل استثمارا اقتصاديا. وتعمقت الحاجة لهذه الأصول في القرن العشرين الذي شهد حربين عالميتين أهلك الكثير من الرجال، وجعلت الحاجة ماسة إلى عمل النساء والأطفال، وكان مما أغرى رجال الصناعة بدعم هذا النوع من التعليم؛ رخص أجور النساء وقلة المشكلات التي تصاحب عملهن (Spring, 1986, pp.80-94).

وكان من نتائج الثورة الصناعية ظهور حركة الاستعمار التي استهدفت السيطرة على مصادر المواد الخام اللازمة للصناعة وفتح الأسواق للمنتجات الصناعية. ولتحقيق هذين الهدفين عملت الإدارات الاستعمارية في المناطق المستعمرة على السيطرة على نظم التعليم، وصبغه بصبغة تلبي احتياجات المستعمر دون اهتمام يذكر بحاجة المجتمع وأفراده (تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مج ٦، ج ٢، ص ٢٢٨-٣٦٢).

ومن ثم أصبحت أصول تعليم المرأة تعدها لتصبح أداة من أدوات الاستهلاك في

(١) عالم مصري من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث. ولد في طهطا... وأرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ في بعثة من الشباب أوفدتها إلى أوروبا لتلقى العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافيا والتاريخ. من كتبه: قلائد الفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر، تعريب القانون المدني الفرنسي، المرشد الأمين وغيرها. توفي بالقاهرة. " (الزركلي، د.ت، ج ٣، ص ٥٥).

(٢) قاسم بن محمد أمين المصري: كاتب، باحث. اشتهر بمناصره للمرأة ودفاعه عن حريتها. كردي الأصل. ولد ببلدة " طرة " بمصر. انتقل إلى الإسكندرية. فنشأ وتعلم بها ثم بالقاهرة، وأكمل دراسة الحقوق في فرنسا، وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م، فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة، فمستشارا بمحكمة الاستئناف. توفي بالقاهرة. من كتبه: كلمات قاسم بك أمين، تحرير المرأة، المرأة الجديدة. (الزركلي، د.ت، ج ٦، ص ١٩).

البلاد المستعمرة. وانسجاما مع هذا الهدف، أصبحت الموضوعات التي اشتمل عليها تعليم المرأة؛ تركز على دراسات أو تخصصات تدفع بالمرأة إلى أعمال اجتماعية معينة مثل: الاقتصاد المنزلي وتربية الأطفال، ثم قدمت موضوعات مثل الطباعة، وتنمية المهارات المكتبية، وذلك لبنات الطبقة العاملة اللاتي لم يكن يسمح لهن بمواصلة تعليمهن العالي الذي كان مقصورا على بنات الطبقتين المتوسطة والعالية (*The International Encyclopedia of Education*, 1985, Vol.9 pp. 5560-5561).

وقد ترتب على افتقار العالم الإسلامي المعاصر لنظرية تربوية واضحة تحدد الأصول التي يجب أن يقوم عليها تعليم المرأة أمران:

الأول؛ اهتمام القائمين على هذا التعليم بالشكل والكم دون الكيف والمضمون.

والثاني؛ اتخاذ نمط التعليم الغربي أنموذجا يحتذى به في تعليم المرأة. وقد تجسد هذا التقليد في إرسال الأسر العالية بناتهن إلى المدارس الأجنبية، وإرسال البعثات إلى الأقطار الأوروبية، وفي بساطة المشروعات التربوية التي نادى بها عدد من النساء اللاتي تبوأن مكانة في المجتمع مثل زينب فواز^(١) السيدة المصرية التي كتبت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مقالات كثيرة؛ انتشرت في معظم الأقطار الإسلامية، وكانت تنادي فيها بإتاحة فرص التعليم للجميع، ومثلها ملك حفنى ناصف^(٢) التي تخرجت ضمن أول دفعة لأول مدرسة ابتدائية حكومية في مصر وذلك في عام ١٣١٨هـ /

(١) كاتبة أدبية وشاعرة، ولدت في تبينين، وفي العاشرة انتقلت إلى الإسكندرية وبدأت في دراسة القراءة والكتابة على الأستاذ محمد شبلي. ثم تلقت الصرف والبيان والعروض والتاريخ على الأستاذ حسن حسني باشا الطويراني صاحب جريدة النيل، والإنشاء والنحو على يد محيي الدين النبهاني، وانصرفت بعد ذلك إلى نظم الشعر. ولها مقالات في الصحف والمجلات تدل على إمكاناتها الأدبية ولها مؤلفات أهمها: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور وهو ترجمة لشهيرات النساء في العالم. (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج٢، ص ٨٢-٩١).

(٢) كاتبة اجتماعية كبيرة ولدت بالقاهرة: فتلقت مبادئ العلوم في مدارس أوليه مختلفة ثم دخلت المدرسة السنية في عام ١٨٩٣م وحصلت على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠م ضمن أول دفعة حصلت على تلك الشهادة، ثم حصلت على شهادتها العالية من المدرسة نفسها واشتغلت بعد ذلك بالتعليم في مدارس البنات الأميرية. أسست اتحاد النساء التهذيبي، وتوفيت عام ١٩١٨م. قال عنها أحمد لطفى السيد باشا: "إنها أكتب سيدة = قرأنا كتاباتها في عصرنا الحاضر..." وقال عنها أحمد زكي باشا: "إنها أعادت لنا ذلك العصر الذهبي الذي كانت فيه ذوات العصائب ينافسن أرباب العائيم في ميدان الكتابة والخطابة". من آثارها: النسائيات، حقوق النساء، رسالتها إلى المؤتمر المصري المنعقد عام ١٩١١م (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج٥، ص ٧٤-٩٧).

١٩٠٠م (فرج ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٨١-٨٥).

وكانت ملك تدعو إلى أن تسارع المرأة إلى التربية وإلى التعليم الصحيح لا أن تتعلق بقشور المدنية الأوروبية. إلا أن ما حدث بعد ذلك هو أن الهيئات المشرفة على تعليم المرأة المصرية قد اختارت اتجاه قاسم أمين؛ حيث عملت على تأسيس تعليم المرأة المسلمة المعاصرة على أصول مستمدة من الغرب، وتبعتها في ذلك غالبية الدول الإسلامية.

ومع أن الجهود التي بذلت وتبذل تدل على كبير عناية بتعليم المرأة إلا أن الحاجة قائمة لتداعي المختصين التربويين من أجل إجراء البحوث التي تبلور أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة وذلك نظرا للتغيرات التي سوف نناقشها في أهمية المشكلة، ومن ثم كان هذا الكتاب محاولة للإسهام في تسهيل عودة المرأة المسلمة لتتبوأ مكانها الطبيعي في المجتمع الإسلامي في كل مكان، وهي قادرة على ذلك إذا ما أعدت له من خلال تربية شاملة تتناول جميع جوانب شخصيتها، وتصقل جميع مهاراتها، بحيث تستمد روحها وأصولها من الإسلام، وتستفيد في ذلك من كل مستحدثات العصر.

* * *

الفصل الأول

الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

يستهدف البحث في الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ اكتشاف التوجيهات القرآنية والنبوية التي تحدد معالم تربية المرأة المسلمة باعتبارها الشريك المكافئ للرجل في مسيرة الحياة، والعمل سويا من أجل تجسيد تعاليم الله سبحانه وتعالى في واقعها الاجتماعي، وذلك من خلال الممارسات الفردية والعلاقات الجماعية.

والمقصود بالأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة هي الأصول التربوية المستمدة من العقيدة، فكما أن هناك فلسفة وفلسفة تربية؛ هناك أيضا عقيدة وعقيدة تربوية.

وقد اعتمدت في استعراضي للأصول العقدية التصنيف الذي اعتمده الدكتور ماجد عرسان الكيلاني في كتابه فلسفة التربية الإسلامية؛ وهو تصنيف يقسم مظاهر العبودية إلى ثلاثة مظاهر هي: المظهر الديني، والمظهر الكوني، والمظهر الاجتماعي.

كذلك يقرر هذا التصنيف أن هذه المظاهر الثلاثة تمثل التجسيد العملي لمفهوم العبادة التي يجعلها القرآن الكريم غاية الخلق ومقياس إنسانية الإنسان.

وتتجسد هذه المظاهر الثلاثة تربويا من خلال تربية إنسان التربية الإسلامية لتكون علاقاته مع الخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة كما يلي:

- ١- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالخالق - علاقة عبودية .
- ٢- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالكون - علاقة تسخير .
- ٣- علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان - علاقة عدل وإحسان .
- ٤ - علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة - علاقة ابتلاء .
- ٥ - علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة - علاقة مسئولية وجزاء .

(الكيلاني، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٨٣)

وسوف أعمل على بلورة هذه العلاقات في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة العبودية).

المبحث الثاني: المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة التسخير).

المبحث الثالث: المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة (علاقة العدل والإحسان - الابتلاء - المسؤولية وجزاء).

* * *

المبحث الأول

المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

"علاقة العبودية"

يجري البحث في المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال تقسيم الموضوع إلى ثلاثة محاور هي:

- ١- المفهوم الحقيقي لعلاقة العبودية.
 - ٢- أثر الإيمان على سلوك المرأة المسلمة.
 - ٣- الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة.
- أما عن تفاصيل هذه المحاور فهي كما يلي:

أولاً: المفهوم الحقيقي لعلاقة العبودية:

يتوجه الخطاب القرآني الداعي إلى عبادة الله سبحانه وتعالى إلى المرأة كما يتوجه إلى الرجل باعتبارهما ممثلين للإنسان الخليفة في الأرض.

والنظر في توجيهات القرآن الكريمة المتعلقة بتربية الأفراد - ذكورا وإناثا - يكشف عن أن العبودية تمثل الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها، والتي أرسل الرسل بدعوة الناس إليها. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]

والعبودية هي أرقى المقامات التي يمكن أن يرتقي إليها الإنسان؛ ولذلك وصف الله بها رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء]. وقد جاء في تفسير القرطبي "أنه لو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية." (القرطبي، د.ت، ج ١٠، ص ٢٠٥).

ومن ثم ندرك أن الوضع الصحيح للإنسان يتمثل في كونه عبداً لله، حيث تمكنه

علاقة العبودية من معرفة الله، وعبادته، والسلوك على مقتضى هديه، بحيث يظل في ترق دائم في هذه الأمور.

وتشير آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العبودية إلى أن العبادة لا تقتصر على مجرد أداء الشعائر المألوفة؛ وإنما يتسع مفهومها ليشمل دقائق حياة الإنسان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام].

ونجد نصوص السنة النبوية تفصل في الإشارة إلى أنواع الممارسات اليومية التي يمكن للمرأة المسلمة أن تحقق من خلالها عبوديتها لله، لتقيس عليها جميع سلوكياتها. ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه من أن رسول الله ﷺ قال: " كل سلامي من الناس عليه صدقة: كل يوم تطلع فيه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة. وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة "، قال " والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة " (مسلم، د.ت، ج ٢، الزكاة/ ١٦، ص ٦٩٩).

فتربية المرأة على معرفة الغاية من وجودها؛ هدف أصيل من أهداف التربية الإسلامية، وهو يتحقق من خلال ممارستها اليومية سواء في تعاملها مع خالقها أو في تعاملها مع غيره بحيث تكون في عبودية في جميع نشاطاتها.

ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم تتضمن ما يشير إلى تربية المرأة على إدراك الغاية من وجودها؛ فهذه امرأة عمران تنذر مولودها ليكون عتيقا خالصا لله تعالى، حاملا لرسالته متفرغا لعبادته. (القرطبي، د.ت، ج ٤، ص ٦٦)، حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

فتربية الفتيات على هذه الحقيقة منذ الصغر يجعلهن يتطلعن إلى تحقيق أهداف أبعد من الأهداف المألوفة؛ فالزواج مثلا، لا يصبح هدفا في حد ذاته، بل وسيلة إلى تحقيق مرادات الله وأوامره، والإسهام في ثقافة شكر الله على نعمه؛ لأن الشكر هو مظهر رئيسي من مظاهر العبادة. وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] عن الشكر ما نصه:

" إن عبادة الله تعالى هي غاية الشكر له في القيام بها يجب لألوهيته، واستعانتة هي غاية الشكر له في القيام بها يجب لربوبيته. أما الأول؛ فظاهر لأنه هو الإله الحق فلا يعبد بحق سواه، وأما الثاني؛ فلأنه هو المربي للعباد الذي وهب لهم جميع ما تكمل به تربيتهم الصورية والمعنوية" (رضا، د.ت، ج ١، ص ٦٠).

ونخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان عندما يشكر ربه على النعم فإنما " يشكر لنفسه"؛ لأنه يستوجب بذلك لنفسه المزيد من النعم، فنجد في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ حين أراد استحضار عرشها من اليمن إلى القدس، وأحضر إليه قبل أن تطرف عينه، اعترف بفضل ربه عليه، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل].

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ تعريفها بربها لتطيعه عن قناعة ومعرفة، بحيث تجعل من العبودية بداية وغاية. فهي الأصل الذي تنفرع منه جميع العلوم، وهي الغاية التي لا بد من الوصول إليها في النهاية.

كذلك توجه الأصول العقدية إلى وجوب توجيه المرأة المسلمة إلى العلم باعتباره فريضة إسلامية كما جاء عن رسول الله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: " طلب العلم فريضة على كل مسلم". (ابن ماجه، د.ت، ج ١، ص ٨١).

والفريضة في الإسلام -كما يقول الأستاذ محمد قطب- هي " عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه ويتبغى بها رضاه". (قطب، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٩٢).

ومن ثم فإن تعلم كل علم من العلوم المفروضة والمباحة، يعتبر وسيلة للتقرب إلى الله مادام يحقق الأهداف التي جاء بها الإسلام.

وتعليم المرأة يؤدي إلى اتساع تصورهما للوجود، ولدورها فيه، ويخرجها من النطاق المحدود الذي تعيش فيه إلى محيط الوجود كله باعتبارها فردا من الإنسانية التي ترجع إلى أصل واحد مكرم، مميز عن غيره من المخلوقات. تعرف من أين جاءت؟ ولماذا؟ وإلى أين سينتهي بها المصير؟ فيشيع كل ذلك في نفسها الأمن والاستقرار الذي يشكل لديها دافعا وحافزا للعمل في الدنيا من أجل الجزاء الحسن في الآخرة ويحررها من العبودية لغير الله.

ثانياً: أثر الإيمان على سلوك المرأة:

إن النظر في التاريخ الإنساني يوضح لنا كيف أن إدراك المرأة لحقيقة علاقتها بالله سبحانه وتعالى، يجعلها ترتقي بنفسها وبمن حولها، حيث يهبها الإيمان قوة ذاتية تجعلها تلتزم حدود الله سبحانه وتعالى من تلقاء نفسها، فلا تعود ترغب إلا فيما يرضي الله، وتهجر كل ما لا يرضيه، رغبة في الفوز برضاه، ونيل أعلى الدرجات، وهو ما وعد الله به عباده المؤمنين العاملين في سبيله بقوله سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

وقد ورد في تفسير معنى هذه الآية أن الإيمان هو التسليم بالحقائق التي اشتمل عليها القرآن الكريم، والهجرة تعني ترك ما يتعارض مع الإيمان ومع الحقائق، والجهاد هو اسم هذا الكفاح، والثلاثة تمثل مراحل متتابعة لحياة الإنسان في سبيل ارتقائه إلى الإيمان. (خان ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٩).

ونجد القرآن الكريم يعرض لنا نماذج نسائية وصلت إلى مراتب عالية من سموها بحقيقته لنفسها من تربية إيمانية، وما قامت به من إسهام في تربية قوافل المؤمنين منذ بدء الرسالات الإلهية.

فهذه امرأة فرعون التي اختارها الله لتقوم على تربية نبيه موسى -عليه السلام- بعد أن ضاقت السبل بأمة في ظل حكم فرعون المستبد؛ نجدها بعد أن يبعث موسى تسارع إلى الإيمان برسالته، مستعلية على كل ما حولها من مغريات لما أدركته من الحق. وحين يكشف أمرها وتعذب لتترك ما هي عليه؛ نجدها تصبر وتحسب، ولا ترهبها أعظم قوة على ظهر الأرض؛ لأن إيمانها قد شكل منها إنساناً آخر، ومن ثم وجدناها تؤثر الموت في سبيل عقيدتها، واستحقت أن تكون بإيمانها مثلاً يضربه الله سبحانه وتعالى لتحذو حذوه غيرها من النساء، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١].

وتلك مريم ابنة عمران التي تقبل الله نذر أمها، فاصطفاها لعبادته، وشهد لها

بالتصديق وبالقنوت (القرطبي، د.ت، ج ١، ص ٦٦)، واختارها لتكون أما تقوم على تربية أحد رسله لهداية الإنسانية. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ﴾ [آل عمران]، وقال ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتِيْهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِيْنَ﴾ [التحریم].

ونجد الرسول ﷺ يشير إلى حفظ الله لها وابنها من الشيطان ببركة دعاء أمها حيث قالت: ﴿وَإِنِّيْ أُعِيْذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه " (مسلم، د.ت، ج ٤، الفضائل / ٤٠، ص ١٨٣٨).

وقد أشار الرسول ﷺ إلى بلوغ هاتين المرأتين مرتبة الكمال البشري بقوله: "كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون". (مسلم، د.ت، ج ٤، الفضائل / ١٢، ص ١٨٨٦-١٨٨٧).

كذلك تقدم لنا السنة النبوية أمثلة حية للدرجة الإيمانية الرفيعة التي بلغتها مسلمات صدر الإسلام، وعلى رأسهن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي تخلت عما ألفت من نعيم وترف عن قناعة ورضى، وكرست حياتها لمساندة زوجها في نشر الإسلام، واحتمال أذى المشركين، وبذلت في سبيل ذلك كل ما تستطيع من نفسها وماها.

يقول ابن كثير في تاريخه: " وآمنت خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاء به الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا مما يكرهه؛ من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته، وتخفف عنه، وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس " (ابن كثير، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ج ٣، ص ٣٥).

ومن ثم فقد استحققت رضي الله عنها على ما قامت به من تضحية وعلى ما أبدته من وفاء لرسول الله ﷺ أن تكافأ ببيت في الجنة بشرها به الرسول ﷺ، حيث قال: "أمرت أن

أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب". (ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٣٥-٣٦)، كما استحقت أن يغضب ﷺ إذا ما مس أحد ذكراها بسوء؛ فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها يوما، فحملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن! قالت: فرأيت غضبا غضبا، أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إن أذهبت غضب رسولك مني لم أعد أذكرها بسوء. فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال: "كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبتني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت منها الولد وحرمتموه مني". قالت: فغدا وراح على بها شهرا" (الذهبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١١٢).

ولكل ذلك فقد استحقت أن تكون من أفضل نساء أهل الجنة كما أخبر ﷺ حيث قال: "أفضل نساء أهل الجنة أربع؛ خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون" (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٤، ص ٢٨٥).

ونجد في السنة النبوية أيضا أخبارا عن أم شريك القرشية العامرية رضي الله عنها التي أسلمت بمكة ثم أخذت تدعو إلى الإسلام، حيث كانت "تدخل على نساء قريش سرا، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكننا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بغير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثا، لا يطعمونني ولا يسقوني. قالت: فما أتت علي ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمع. قالت: فنزلوا منزلا، وكانوا إذا نزلوا منزلا أو ثقوني في الشمس، واستظلوا هم منها، وحبسوا عني الطعام والشراب، فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا...." (الأصبهاني، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٦٦).

وهناك كثير من الأمثلة التي تدل على الإسهامات الكبيرة لمسلمة صدر الإسلام في نشر الإسلام، متحملة في سبيل ذلك صنوف الأذى والاضطهاد من قبل المشركين.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة اتخاذ تلك الأمثلة أساسا للانطلاق منها في حثها على العمل على نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين، خاصة في ظل الإمكانيات الكبيرة التي توفرت في الوقت الحاضر بفضل التقنية الحديثة.

كذلك يقدم لنا القرآن الكريم صورة حية لمشاركة المرأة للرجل في نشر الإيمان وإقامة المؤسسات التي تربي البشرية عليه.

هذه هاجر زوج إبراهيم عليه السلام التي أسكنها زوجها بأرض قفر، حيث لا ماء ولا حياة، وقد وصفها رب العالمين بذلك في قوله تعالى: ﴿يَوَادِّ عَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم، ٢٧]، فحين عرفت هاجر أن ذلك إنما تم بأمر الله سبحانه وتعالى، سلمت لأمر الله وهي تقول: "إذا لا يضيعنا" (القرطبي، د.ت، ج٩، ص٣٦٩).

ويصف الهاشمي هذا الموقف فيقول:

"لقد كان موقفا عصيبا بالغ الصعوبة؛ رجل يترك امرأته ورضيعها في أرض قفر، لا نبات فيها ولا ماء ولا إنسان، ويتقلب متوجها إلى بلاد الشام البعيدة، لم يترك لهما إلا جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء!! ولولا الإيمان العميق الذي ملأ نفس هاجر، ولولا صدق التوكل على الله الذي أترع مشاعرها وأحاسيسها لما استطاعت أن تتحمل هول الموقف، ولا نهارت من أول لحظة فيه، ولما كانت تلك المرأة الخالدة التي يذكرها حجاج بيت الله الحرام والمعمرون آناء الليل وأطراف النهار، كلما نهلوا من ماء زمزم الطهور، وكلما سعوا بين الصفا والمروة، مثل سعيها ذاك في ذلك اليوم العصيب." (الهاشمي، ١٤١٥/١٩٩٤، ص١٢).

ثم نجد هاجر فيما بعد ترضع ابنها هذا الإيمان العميق لينشأ على التسليم لحكم الله وأوامره، فيرضى بأمر الله فيه وهو فتى، حيث أمر أبوه بذبحه، فيقول: ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فلا بد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من توجيهها بحيث تتخذ من هاجر وأمثالها قدوة لها في تمام التسليم لأوامر الله وأحكامه دون انتظار لمعرفة السبب من وراء ذلك الحكم، وحتى يكون شعارها دوما: "إذا لن يضيعنا"، كما لم يضيع هاجر وابنها عليهما السلام، حيث أصبح الوادي القفر فيما بعد أفضل مكان على وجه الأرض؛ تهفو إليه القلوب من كل مكان، وكانت هاجر وابنها النواة لمجتمع إيماني، كان من نسله خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وصورة أخرى يقدمها لنا القرآن الكريم متمثلة في أم موسى التي شاركت في تربية أحد رسل الرحمة الإلهية لبني الإنسان. فقد قدمت لنا أم موسى صورة مثالية لاستسلام المؤمنة لأوامر الله، متغلبة على ما كان يجيش في صدرها من عواطف الأمومة الحانية، والتي وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ ۖ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفصل].

وهكذا فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها بما ينمي لديها قوة الإرادة التي تمكنها عند الضرورة من التغلب على الوسوس، بل وحتى على العواطف الطبيعية، لترتقى إلى المستوى الإيماني الرفيع الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة.

كذلك نجد السنة النبوية تعرض لنا كثيرا من الأمثلة التي توضح أثر الإيمان على سلوك مسلمة صدر الإسلام، والذي جعلها تندفع من أجل نصره الدين الجديد، فتبذل كل ما في وسعها غير مبالية بما تلقاه من أذى أو عنت أو مشقة.

فمثلا كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها - إبان الهجرة - تقطع المسافات الطويلة بين مكة وجبل ثور في جوف الليل، غير مبالية بوحشة الطريق ولا بوعورة المسلك، ولا بترصد الأعداء، وذلك لتوافي الرسول ﷺ وصاحبه بالزاد والأخبار. ثم نجدها بعد ذلك تثبت أمام كفار قريش حين يسألونها عن الرسول ﷺ فتأبى أن تجيب. وحين تحين ساعة رحيل الرسول ﷺ وصاحبه لا تجد أسماء ما تربط به الزاد سوى نطاقها فتشقه نصفين وقد روي عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لها: "أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين في الجنة. فقيل لها: ذات النطاقين" (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٣، ص ١٨٦ / وابن عبد البر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج ٤، ص ٢٣٣).

وكذلك أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها التي ضحت في سبيل عقيدتها بوطنها وقومها، وسافرت مهاجرة إلى المدينة المنورة وحدها بعد صلح الحديبية، وهي تقول لرسول الله ﷺ: "إني فررت إليك بديني، فامنني ولا تردني إليهم، يفتنونني عن ديني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما. فقال "إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم."، فقدم أخوها الوليد وعمارة من الغد فقالا:

أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: " قد نقض الله العهد فانصرفا " (ابن الجوزي، د.ت، ج ٢، ص ٥٧).

وفي أم كلثوم وأمثالها من المؤمنات، نزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ جُلُوسُهُنَّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠].

وهناك أيضا أم سلمة رضي الله عنها التي هاجرت إلى الحبشة ثم عانت الكثير وهي تهاجر إلى المدينة بعد أن فرق المشركون بينها وبين زوجها. وقد كان زوجها يحسن صحبتها، فلما مات؛ صبرت واسترجعت، تنفيذا لتوجيهات النبي ﷺ، وهي تظن أنه ما بين الناس من هو خير من أبي سلمة رضي الله عنه. لكن الرب الرحيم بيدها بمن هو خير من أبي سلمة، جزاء معاناتها في سبيل الله وصبرها واحتسابها. تقول أم سلمة رضي الله عنها: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم آجرني في مصيبتى، وأخلف لي خيرا منها، إلا آجره الله في مصيبتى. وأخلف له خيرا منها." قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي فقلتها. قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ " (مسلم، د.ت، ج ٢، الجنايز/ ٢، ص ٦٣٣).

وهناك أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه التي دفعتها رغبتها في نصره دين الله إلى ضرب أبي لهب بعمود، وذلك حين عمد إلى ضرب مولاهما أبا رافع لاتباعه دعوة الرسول ﷺ، فقد شجت رأسه شجرة عميقة قاتلة وهي تقول: " استضعفته أن غاب عنه سيده!! ". وقد توفي أبو لهب بعد ذلك بسبع ليال (ابن كثير، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٣، ص ٣٠٩).

وهناك كثيرات غير هؤلاء من المسلمات الأوائل اللاتي استعذبن العذاب في سبيل الله وفي سبيل إعزاز دينه؛ غير مباليات بما يلقين في سبيل ذلك، بل إنهن عمدن إلى التقدم للغزو مع رسول الله ﷺ وصحابته بعد أن بدأت المواجهة العسكرية بين المؤمنين والكافرين؛ حيث شاركن بما استطعن من أعمال من أجل مساندة المجاهدين، ولم يترددن عن الاشتراك في القتال حين الحاجة.

فهذه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها؛ تقوم يوم أحد وفي يدها رمح لتضرب به في وجوه الفارين وهي تقول: انهمتم عن رسول الله ﷺ!! " ولما رآها الرسول ﷺ أشار إلى ابنها الزبير بن العوام رضي الله عنه، ليرجعها حتى لا ترى ما حل بشقيقها حمزة رضي الله عنه الذي مثل

به الكفار؛ فقالت: ولم؟ قد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله!" (الكاندهلوي. د. ت، ج ٢، ص ٤٨٢-٤٨٣)، ثم تشهد الخندق بعد ذلك، فتعمد إلى قتل يهودي كان يطوف بحصن النساء بعمود (ابن كثير، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١١٠-١١١).

ومثلها نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها؛ التي استلت سيفها يوم أحد، واندفعت للذود عن رسول الله ﷺ الذي عبر عن بلائها في ذلك اليوم بقوله: "ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني" (ابن سعد، د. ت، ج ٨، ص ٤١٥).

وقد استحقت نسيبة رضي الله عنها لجهادها في سبيل الله؛ أن ترافق الرسول ﷺ في الجنة حيث قال عليه السلام لابنها: "... بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان"، فلما سمعت نسيبة بمقولة رسول الله ﷺ، قالت: ادع الله أن يرافقك في الجنة، فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة". فقالت: ما أبالي ما أصابني في الدنيا" (ابن سعد، د. ت، ج ٨، ص ٤١٥).

وقد حذت أم سليم رضي الله عنها حذو صفية ونسيبة وغيرهما من المجاهدات رضي الله عنهن، حيث اتخذت لنفسها خنجرًا يوم حنين؛ لتضرب به من يدنو منها من المشركين.

ولصدق إيمانها، وحسن بلائها؛ استحقت أن يبشرها الرسول ﷺ بالجنة، حيث روى عنه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "دخلت الجنة فسمعت خشفة ^(١). فقلت: من هذا؟ قلوا هذه الغميصاء بنت ملحان، أم أنس بن مالك" (مسلم، د. ت، ج ٤، الفضائل / ١٩، ص ١٩٠٨).

فهذه الأمثلة وغيرها كثير، إنما تدل على الإسهامات الكبيرة التي يمكن أن تشارك بها المرأة المسلمة المعاصرة في نصره دين الله، إذا ما أحسن إعدادها، خاصة في وقتنا الحاضر؛ الذي تتكالب فيه شياطين الإنس والجن على الإسلام والمسلمين.

كذلك تبدو آثار التربية الإيمانية التي تلقتها مسلمة صدر الإسلام في سلوك التسليم لحكم الله وأوامره، والذي تجلّى في العديد من المواقف التي أثبتتها السنة.

فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ ترضى بعد تمتع بالزواج من زيد بن ثابت مولى

(١) صوت المشي وحركته. (النووي في مسلم، د. ت، ج ٤، ص ١٩٠٨).

رسول الله ﷺ وهي تقول: "إذا لا أعصي رسول الله ﷺ"، حيث نزل في قصتها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] (ابن كثير، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ج ٣، ص ٤٩٠).

وقد كافأها الله سبحانه وتعالى على هذا التسليم لأوامره؛ بأن زوجها من رسوله ﷺ بعد طلاقها من زيد، فكانت تفاخر الأخريات بقولها: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات" (الأصبهاني، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، ج ٢، ص ٥٢-٥٣).

ومثلها الصحابية فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، التي تأيمت، ثم خطبت، فجعلت أمرها لرسول الله ﷺ؛ لينكحها من شاء. وكان قد خطبها معاوية، وأبو جهم، وأسامة بن زيد. فقال رسول الله ﷺ: "أما معاوية فرجل ترب" ^(١) لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة بن زيد"، فكانها كرهت الزواج من أسامة؛ إذ أشارت بيدها وهي تقول: أسامة أسامة! فقال لها رسول الله ﷺ: طاعة الله وطاعة رسوله خير لك. فقالت: فتزوجته فاغتبطت."

وفي رواية "... فتزوجته فشرمني الله بآبني زيد وكرمني الله بآبني زيد" (مسلم، د.ت، ج ٢، الطلاق/ ٦، ص ١١١٩-١١٢٠).

كذلك يتجلى سلوك التسليم لأوامر الله؛ في نزول مسلمة صدر الإسلام عند حكم الله تعالى في الأمر بالحجاب. فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]؛ شققن مروطهن فاختمن بها" (البخاري ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٦، التفسير/ ١٢، ص ١٣).

فينبغي إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تسلم لأوامر الله وأحكامه عن طوعية دون انتظار لمعرفة الحكمة من ورائها موقنة بأن في ذلك الخير، كل الخير لها.

ويدخل الإيمان بالقضاء والقدر ضمن التسليم لله في كل الأمور؛ إذ يتضمن التسليم بقدرة الله على الإحاطة بكل شيء (الأشقر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١٣٥). وقد أخبر ﷺ بأن الرضا بالقضاء والقدر من علامات الإيمان والطاعة والتقوى والصلاح،

(١) ذو فاقة. (الرازي، د.ت، ص ٧٦).

وذلك في قوله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له" (مسلم، د.ت، ج ٤، الزهد / ١٣، ص ٢٢٩٥).

وقد ظهر أثر التربية الإيمانية في نفس مسلمة صدر الإسلام، حيث وجدناها تتحمل وهي راضية كل ما يصيبها في سبيل دينها والتزامها بعقيدها في إيمان عميق بقضاء الله وقدره وتسليم كامل لحكم الله، يظلمه حب الله ورسوله وطاعتها.

فهذه امرأة من بني دينار؛ يصاب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد؛ فلما نعو لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين؟. قالت: أرونيه أنظر إليه. قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل " (ابن كثير، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ٤، ص ٤٩). وتلك الحنساء، يقتل أبنائها الأربعة: فتقول: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته" (ابن حجر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ٢٨٨).

وقد حذت التابعية معاذة بنت عبد الله زوجة صلة بن أشيم حذو المسلمات الأوائل في الصبر على قضاء الله وقدره، حيث استشهد زوجها وابنها في بعض الحروب، فاجتمع النساء عندها فقالت: "مرحبا بكن إن كنتن جئن للهناء. وإن كنتن جئن لغير ذلك فارجعن." وكانت تقول: "والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى الله بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة." وقد توفيت عام ٨٣ هـ (الذهبي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ج ٤، ص ٥٠٨-٥٠٩).

ومثلها أيضا التابعية حفصة بنت سيرين؛ التي اتخذت من الصبر معينا لها على مواجهة مصابها في ابنها الهذيل، وقد كان بارا بها أشد ما يكون البر^(١) وحدثت هي عن ذلك فقالت:

"... فلما مات رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أنني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل، إذ أتيت على هذه الآية: ﴿وَلَا تَشْرَوْا

(١) من بر الهذيل بأمه أنه كان يجمع الخطب في الصيف فيقشره، ويأخذ القصب فيفلقه، وكانت أمه تشعر بالبرد إذا جاء الشتاء، فكان الهذيل يضع الكانون خلفها وهي في مصلاها، ثم يقعد فيوقد بذلك الخطب المقشر، وذلك الخطب المفلق وقودا لا يؤذي دخانه، حتى تشعر أمه بالدفء، ويظل يفعل ذلك ما شاء الله براها واعترافا بفضلها" (ابن الجوزي، د.ت، ج ٤، ص ٢٥).

يَعَهْدُ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴿[النحل].

قالت: فأعدتها فأذهب الله ما كنت أجد" (ابن الجوزي، د.ت، ج ٤، ص ٢٥).

وقد وجدنا أثر التربية الإيمانية بارزا في نفوس المسلمات الأوائل، حيث كانت الواحدة منهن تتحمل الصدمات بنفس راضية مطمئنة، وتستعين بالصبر والصلاة، والذكر والشكر على قضاء الله.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تدعيم قوة إيمانها؛ بحيث تنعكس آثارها على سلوكها رضى بقضاء الله وقدره، وأمنا واطمئنانا.

كذلك تشير الأصول العقدية لتربية الفرد المسلم - ذكرا وأنثى - إلى أن إيمان الفرد المسلم يمكن أن يضعف، وأنه لذلك يحتاج إلى تجديد مستمر، ويشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم، كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم" (المتقي الهندي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٢٦).

وقد أوضح العلماء العوامل التي تؤدي إلى ضعف الإيمان ومرض القلب، فذكروا من بينها الغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والرياء، وغيرها من مؤثرات العمل (المحاميد، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٦٨).

أما كيفية تجديد الإيمان فذلك ما أوضحه ﷺ حين قال لأصحابه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "جددوا إيمانكم. قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله" (ابن حنبل، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٣٥٩).

وتركز الأصول العقدية في السنة النبوية على تربية المرأة المسلمة بما يعينها على إدراك حقيقة الذكر وأثره في حياتها العملية، حيث نجد الرسول ﷺ يحث ابنته فاطمة رضي الله عنها على الاستعانة بذكر الله على أمور الدنيا والآخرة، حينما جاءت تطلب منه خادما. حيث قال لها ولزوجها علي رضي الله عنه: "ألا أعلمكما خيرا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين، وتسمياه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين. فهو خير لكما من خادم" (مسلم، د.ت، ج ٤، الذكر/ ١٩، ص ٢٠٩١)، كما يربى نساء المسلمين جميعا على هذا السلوك حين يقول عليه السلام: "يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا

تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات، مستنطقات " (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٣١٠).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ العمل على توجيهها إلى أهمية الذكر، وكيفية القيام به، وما له من آثار على نفسيته، حيث يعمل على تجديد العزم، إلى جانب أنه يشعرها بحاجتها إلى خالقها وعلمه وقدرته وخزائنه وعفوه ورحمته، كما أنه يشعرها بخضوعها له، وكل ذلك ذو أثر كبير في تجديد الإيمان في النفوس، ودفعها إلى الالتزام بسلوك الطاعة للخالق والابتعاد عن معصيته.

والذكر من أفضل الأعمال التي يمكن أن يمارسها الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته باللسان وبالفكر والعمل. وهو يشعر الإنسان بمعية الله له ويذكره بعبوديته لله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والغفلة عن ذكر الله، تفتح المجال لذكر غيره؛ ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وذكر اللسان يمكن أن يتم كما أشرنا؛ في كل لحظة من لحظات حياة الإنسان، أما الذكر العملي، فإنه لا يقتصر على مجرد ممارسة العبادات، بل يشمل جميع سلوكيات الإنسان إذا ما قصد التوجه بها نحو خالقه. والذكر الفكري يشمل الجانبين، بحيث يتجه الإنسان بفكره نحو خالقه بما يحقق إخلاصه في عبوديته له. ومن الذكر تلاوة القرآن الكريم التي يجب أن تنشأ المرأة المسلمة المعاصرة على الحرص عليها، بحيث تقبل على تدبر معانيه، وتحاول الالتزام بها في واقع حياتها، اقتداء بنبيها الذي قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: "فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن" (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٥٤).

ونجد أن الأصول العقدية للتربية النبوية تحث على قراءة القرآن الكريم، وتدور في ذلك كثير من الأحاديث من بينها قوله ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثّل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر" (مسلم، د.ت، ج ١، المسافرين/ ٣٧، ص ٥٤٩).

ويحتاج بناء القدرة على تدبر القرآن الكريم لدى المرأة المسلمة المعاصرة إلى تعريفها

بلغة القرآن الكريم، ومفرداتها وأساليبها بما يعينها على فهمه وتدبره، وفي ذلك تحرير لفكرها لينطلق بعيدا عن الجمود، ويحاول إدراك الحكمة التي تنطوي عليها آيات الكتاب؛ مما يعينها على الإحسان في أداء العبادات المختلفة.

وتحدد الأصول العقدية المستمدة من السنة النبوية معيار قياس الإيمان في نفس الفرد المسلم، على أنه إحساس نفسي لا يشعر به غير صاحبه الذي يمكنه تحديد دوافع سلوكه وتصرفاته، وهو أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ١٦، ص ٦٦).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تنمية حب الله ورسوله، والعمل في سبيل طاعة الله سبحانه وتعالى، وترغيبها في الممارسات السلوكية التي تزيد من قوة إيمانها.

ومما يلفت النظر في الأصول العقدية المستمدة من القرآن الكريم؛ التأكيد على ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الصالح حيث لا إيمان بدون عمل صالح، ولا عملا صالحا بدون إيمان.

والعمل الصالح؛ هو الترجمة العملية، والتطبيق الأكمل للعلاقات بين الإنسان والخالق، وبين الإنسان والكون، وبين الإنسان والحياة، وبين الإنسان والآخرة، وهو ينقسم إلى قسمين: عمل هدفه جلب النفع، وعمل هدفه دفع الضرر، وقيام الفرد بال نوعين يجعله صالحا مصلحا، أما اقتصره على الأول؛ فإنه يجعله صالحا فقط، وهذا يتعارض مع أهداف التربية الإسلامية التي تسعى إلى إيجاد النموذج الذي يجمع بين الجانبين (الكيلاني، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٤٧-٤٩).

فلا بد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من التأكيد على أهمية غرس القيم والمبادئ العقدية الصحيحة، التي تساعد على وزن أعمالها بميزان الصلاح، فتقرب منه، مبتعدة عما ينافيه.

ونجد الأصول العقدية المستمدة من السنة النبوية تشير إلى أن العامل الأساسي في الحكم على صلاح الأعمال من عدمه يتمثل في النية حيث يقول ﷺ فيما رواه عمر بن

الخطاب رحمته الله: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (مسلم، د.ت، ج ٣، الإمارة/٤٥، ص ١٥١٥-١٥١٦).

والنية؛ لغة: هي "عزم القلب وتوجهه وقصده إلى الشيء." (الزبيدي، د.ت، ج ١٠، ص ٣٧٩) واصطلاحاً: هي انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرضه، من جلب نفع أو دفع ضرر حالاً أو مآلاً (عابد، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٧٧).

فلا بد أن تربي المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك هذه الحقيقة، وأنها ستجازي على أعمالها بحسب نيتها عند أدائها من التقرب إلى الله، أو الحصول على غرض من أغراض الدنيا. وقد جاء في تكملة الحديث السابق قوله رحمته الله: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه." (مسلم، د.ت، ج ٣، الإمارة/٤٥، ص ١٥١٦).

وتربيته المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك هذه المعاني، ينبغي أن تدفعها إلى استصحاب النية في كل ما تقوم به من سلوكيات لتنال عليها الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة. فارتدائها للحجاب مثلاً، يجب أن يكون عن رضا وتسليم بأنه شرع من الله العالم بما يصلح لخلقه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك]، وطلبها للعلم يجب أن يكون من أجل ابتغاء مرضاة الله، مما يستوجب منها الإخلاص في طلبه، والتحري فيما تتعلم بحيث لا ينحرف بها عن الغاية التي تطلبه من أجلها، وهكذا في كل أمورها؛ بحيث تسترشد بما جاء في القرآن الكريم من أمثلة للأعمال الصالحة؛ تفسر على منوالها والأعمال السيئة؛ فتجنبها.

ومما يلفت الانتباه أيضاً؛ أن الأصول العقدية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ كلاهما يعني عناية واضحة بإبراز السلوكيات المصاحبة للعقيدة الصحيحة والمتمثلة في الأعمال الصالحة، يقابلها كذلك عناية واضحة بإبراز السلوكيات المصاحبة للعقيدة المنحرفة.

والأمثلة التي أشرنا إليها سابقاً؛ كلها تشير إلى أثر الإيمان على سلوك الطاعة الذي تجلّى لدى أولئك المسلمات المؤمنات. ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطَتْ حِيفَظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

فأصول التربية الإسلامية توجه إلى أن المرأة الصالحة هي التي يظهر أثر صلاحها على سلوكها مع زوجها؛ طاعة له، وقياماً بحقه في ماله، وفي نفسها في غيبته (القرطبي، د.ت، ج ٥، ص ١٧).

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو أمامة رضي الله عنه: " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيراً له من زوجة صالحة؛ إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرتة وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله " (ابن ماجه، د.ت، ج ١، النكاح ٥ / ص ٥٩٦).

ويوضح القرآن الكريم خطورة عدم تربية المرأة على التعاون مع الرجل في مسيرة الإصلاح، ويقدم مثلاً لذلك سلوك امرأتى أنبياء الله نوح ولوط اللتين ضرب الله بهما مثلاً للذين كفروا. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم].

فساد العقيدة لدى هاتين المرأتين؛ قد دفعهما إلى الأعمال السيئة، حيث روي أنها كانتا تفشيان أسرار زوجيهما للمشركين (القرطبي، د.ت، ج ١٨، ص ٢٠)، ومن ثم استحققتا أن يجازيهما الله أسوأ جزاء، ولم يشفع لهما كونهما زوجات لأنبياء الله؛ أقرب خلقه إليه.

فالعقيدة الصحيحة تمثل رقيباً ذاتياً يدفع بصاحبها إلى مراقبة الله، ويحول بينه وبين السوء، ويدعوه إلى الفضيلة.

ونجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم تقدم للفضيلة معنى أوسع بكثير جداً من الحدود الرسمية التي تمثل الحد الأدنى الذي بدونه ينهار المجتمع من أساسه. فهي تشمل بناء النفس بجميع جوانبها، وبكل تصرفاتها وأحاسيسها (محمد قطب، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٤٤).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ إعدادها بما يساعدها على التمسك بالفضيلة، والمحافظة على المستوى التكريمي الذي أراده لها الخالق، فلا تهبط عنه، وبذلك

تكون ذات عقيدة حية فاعلة تدفعها إلى تغيير ما حولها، بعد أن تستقر في نفسها، وتمنحها القدرة على التمييز بين الخير والشر، والاختيار بينهما، وتوجهها نحو الخير.

هذا على المستوى الذاتي الذي يتعلق بالمرأة في نفسها.

أما على المستوى الخارجي، والذي يتعلق بالآخرين؛ فإننا نجد أيضاً، أن صحة العقيدة أو فسادها يمثل أيضاً أساس العلاقة بين أفراد المجتمع أو الأمة.

ولذلك نجد الأصول التربوية المستمدة من القرآن الكريم تحدد العلاقات الإيجابية التي يجب أن تربط بين الإنسان المسلم وبين خالقه، ثم بينه وبين غيره من المخلوقات، بثلاثة أنواع: الولاء، والعدل، والإحسان. فأعلاها الولاء وأدناها العدل.

والولاء لا يكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو علاقة حب، وثقة، ومناصرة، وإيثار، ولا تكون إلا بين أصحاب المبدأ الواحد. وإلى ذلك تشير آيات القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ونجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم؛ تحذر من الولاء لغير الله ورسوله حيث يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد ضربت مسلمة صدر الإسلام أروع الأمثلة على تقديم آيات الولاء لله ورسوله دون سواهما، فهذه أم حبيبة رضي الله عنها؛ زوج الرسول ﷺ ترباً بفراش رسول ﷺ أن يجلس عليه كافر، حتى ولو كان هذا الكافر أباهاً.

فقد جاء أبو سفيان يحدد العقد قبل الحديبية، قبل الفتح، ودخل على ابنته أم حبيبة، فثنت عنه فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني؟ قالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك. فقال: والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر" (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٤، ص ١٤٦).

وتلك السيدة عائشة رضي الله عنها، يدفعها ولاؤها لله ولرسوله ﷺ، إلى كتمان أمره عن أبيها وهو من هو في منزلته من رسول الله ﷺ. وذلك أنه ﷺ حينما كان يتهاى لفتح مكة..... أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتحفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة رضي الله عنها، فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها: يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت. فقال: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت. فقال: يريد بني الأصفر - وهم الروم؟ فصمتت. فقال: لعله يريد أهل نجد؟ فصمتت. فقال: لعله يريد قريشا؟ فصمتت... فدخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله: أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال: نعم. قال: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال: لا. قال: أتريد أهل نجد؟ قال: لا. قال: فلعلك تريد قريشا؟ قال: نعم...." (ابن كثير، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٤، ص ٢٨١).

ونفس الموقف وقفته أم جميل بنت الخطاب رضي الله عنها عندما جاءتها أم أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسألها عن رسول الله ﷺ مرسله من أبي بكر رضي الله عنه، بعد أن ضربه كفار قريش في بدء الدعوة حتى فقد وعيه. فلما أفاق، سأل عن رسول الله ﷺ، ثم طلب من أمه أن تذهب لسؤال أم جميل" فقالت لها: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحيين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً (قريباً من الموت)، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أملك تسمع. قال: فلا

شيء عليك منها. قالت: سالم صالح.. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم... " (ابن كثير، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٣، ص ٢٩-٣٠).

ويتبدى الولاء لله ورسوله أيضا؛ في موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها التي أتمها أمها لتزورها وهي مشركة، فلم تدخلها حتى استأذنت الرسول ﷺ في صلتها، فقال لها: "نعم صلي أملك" (مسلم، د.ت، ج ٢، الزكاة / ١٤، ص ٦٩٦).

وعلاقة الولاء يمكن أن تتعرض للتغير بفعل الجاهلية، حيث تترد من الدوران في فلك الرسالة - الله والرسول والمؤمنون - لتعود إلى الدوران في فلك العصبيات والمصالح. (الكيلاني، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ١٧)، ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ إعدادها بحيث لا يكون ولاؤها إلا لله ولرسوله وللمؤمنين بعيدا عن كل ما عدا ذلك من علاقات، سواء كانت عائلية أو قبلية أو حزبية، تنفيذا لأمر الله تعالى بإقامة الدين والاعتصام به وتجنب الفرقة والاختلاف، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وإقامة الدين لا تتم إلا بالقضاء على دواعي التفرق وعلى رأسها الجهل الذي يعمي الإنسان عن رؤية الحق والانقياد إليه.

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تدرك العوامل الجامعة، والقواسم المشتركة، بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتكتسب الاتجاهات السليمة التي تجنبها ما من شأنه إثارة الفرقة والاختلاف، باعتبار ذلك من أهم أسباب شيوع الولاءات الضيقة، التي تجعل الفرد المسلم - بنوعيه - بعيدا عما يجري لإخوانه في أنحاء العالم، والتي تجعل أفراد المسلمين يعاملون بعضهم البعض من منطلق طبقي، مبعثه غنى البلد أو فقره، وغير ذلك مما ينافي صحة العقيدة التي تدعو إلى التكافل والأخوة الإيمانية في ظل الولاء لله وحده سبحانه وتعالى دون سواه.

ثالثاً: الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة:

الصنمية كما يعرفها الدكتور الكيلاني تعني: "تخلي الأفراد والجماعات عن حرياتهم في التفكير والتعبير والاختيار، وعن ممتلكاتهم التي رزقهم الله إياها من أجل مخلوق آخر، ثم التوسل إليه ليرد بعضاً منها إليهم" (الكيلاني، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ص ١٥٧).

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن من أهم عوامل ظهور الدين؛ إيقاف عبودية الإنسان لأي مخلوق، وتحقيق عبوديته لله وحده.

وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨].

وذلك لأن عبودية الإنسان لغير خالقه تحط بمنزلته الكريمة، وتؤدي إلى شيوع الظلم بدل العدل، والالتفاف حول أرباب مصطنعة، بدل الرب الحقيقي.

وقد تحدث ابن تيمية عن ذلك؛ حيث أشار إلى أن كل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه، أو يرزقوه، أو أن يهدوه؛ خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميراً لهم متصرفاً بهم. فالعقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيراً لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها. وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، ولا سيما إذا درت بفقره إليها، وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن (ابن تيمية، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٨ م، ج ١٠، ص ١٨٥).

فالخضوع لغير الله يولد "علاقة الصنمية" بين الإنسان وبين ذلك الشيء أو الشخص المتعبد له، مما يؤدي بالعابد إلى الهبوط عن مرتبته الإنسانية.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ توجيهها إلى أن خضوعها لغير الله يولد "علاقة الصنمية" بينها وبين ما تخضع له من أشياء أو أشخاص؛ لأنها تندفع عند ذلك إلى بذل كل ألوان الحب والطاعة لذلك الصنم أو المعبود.

وتشير الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي معنى هذه الآية ذكر الإمام القرطبي أن الأنداد هم الرؤساء الذين يتبعهم المرءوسون ويطيعونهم في معصية الله (القرطبي، د.ت، ج ٢، ص ٢٠٣).

فلا بد أن تدرك المرأة المسلمة المعاصرة؛ أن كل من تقدم له مراسيم الولاء والطاعة من دون الله يعتبر ندا لله.

وقد أشار إلى ذلك الحديث في قوله ﷺ فيها رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم وعبد الخميصة ^(١) إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط. تعس وانتكس ^(٢) وإذا شيك فلا انتكش "(البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٣، الجهاد/ ٧٠، ص ٢٢٣).

وعلى ذلك؛ فإن المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة لزوجها في رغباته التي تخالف أوامر الله ونواهيه؛ كالتبرج، وشرب الخمر ومخالطة الرجال الأجانب ^(٣) وغيره؛ تعتبر عابدة لهذا الزوج وإن كانت تطيعه وهي كارهة لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وكذلك المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة للموضة في كل شيء دون مراعاة لمدى قربها أو بعدها عن قيم الإسلام؛ تعتبر " عابدة " للموضة وأربابها.

وكذلك أيضا المرأة التي تقدم مراسيم الولاء والطاعة للقانون أو النظام الحاكم الذي يأمر المرأة بالخروج متبرجة؛ تعتبر " عابدة " لهذا القانون أو النظام. والسبب في ذلك هو أن طاعتها لأرباب الموضة، أو للنظام، أو للقانون؛ تعني رفضها للاحتكام إلى الله في واقع حياتها، وكأنها هي وأربابها أكثر إدراكا لما يصلح الحياة من رب العالمين ^(٤).

(١) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلم، وقيل: لا تسمى خميصا إلا أن تكون سوداء معلمة.

(٢) انتكس: أي عاوده المرض كما بدأ به.

(٣) يشير واقع حال المجتمعات الإسلامية إلى حدوث مثل هذه الأمور وأمثالها. (انظر: القرضاوي، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).

(٤) غفلت المرأة المسلمة المعاصرة، في ظل القوانين الوضعية التي تحكمها، عن التكريم الإلهي الذي يرمز إليه أمرها بالالتزام بالحجاب أمام الأجانب، لذلك وجدناها تندد بمن يحاول أن يعيدها إلى أصلاتها بعيدا عن زيف الحضارة المعاصرة التي جعلتها نهبا للأعين في كل مكان. وقد تبدى ذلك في موقف العلمانيات من نساء تركيا اللاتي تظاهرن ضد خطط رئيس الوزراء نجم الدين أربكان، وبرأجه الهادفة إلى تشجيع = المجتمع

ولابد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة أيضا؛ من توجيهها إلى أن الأمر نفسه ينسحب أيضا على مظهر الطاعات حين تمارسه المرأة من أجل إرضاء شهوات النفس، أو إرضاء الآخرين؛ كأن تلبس الحجاب من أجل ستر عيوب جسدية، أو من أجل التظاهر بالتدين رغبة في الزواج لأن بعض الرجال يفضلون ذات الدين، أو من أجل التستر على بعض أعمال تأتيها مما لا يرضي الله حتى لا تكون موضع شبهة، أو من أجل مساقرة الموضة، أو لإجبار وليها لها على الحجاب... إلخ. فلأن الأعمال في الإسلام بالنيات، فإن من تلبس الحجاب الإسلامي بفضل أي من هذه التوجهات؛ فإنها سرعان ما تتخلى عنه أو تتهاون في لبسها له لأنه لا ينبع عن إرادة صادرة بسبب من عقيدتها.

وكذلك الحال مع من تلبس الحجاب بحيث يكون في لبسها له ما ينم عن حبها لإظهار زينتها أو لفت الأنظار أو فتنه الرجال. كتوشية الحجاب بألوان صارخة، أو أشياء لامعة، أو وضع الحجاب بطريقة معينة تخالف المألوف، أو المشي بحركات ملفتة للنظر، أو لبس تصميمات من الحجاب تخالف المألوف، وهكذا.

كذلك ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أن إتاحتها المجال للأوهام والأساطير والخرافات كي تسيطر على عقلها وتسيرها وفق أهواء شياطين الإنس والجن، ممن يدعون معرفة الغيب، والقدرة على الاتصال بالعوالم الأخرى، وإبراء الأمراض وغير ذلك، يدخل أيضا ضمن العبودية لغير الله، وأن المتسبب في كل ذلك هو الغفلة عن ذكر الله، والجهل بأن الغيب هو من اختصاص الله وحده دون سواه. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

ويذكر ابن تيمية أن من أعظم أسباب الوقوع في أسر العبودية لغير الله؛ إغراض القلب عن الله؛ لأن القلب إذا ما ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له، لم يكن لديه قط أحب ولا أطيب منه (ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، مج ١، ص ١٨٧).

فالواجب على التربية أن تعمل على تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من الوقوع في أسر العبودية لغير الله، وإنقاذها من التعبد للهوى والشهوات التي يمكن أن تجرفها بعيدا عن أصلاتها لتتعبد لأشياء وأشخاص، ومظاهرها؛ أبرزها ما يتعلق بالموضة التي تنسحب على

على العودة إلى أصوله الإسلامية. وقد عبرت إحداهن عن ذلك بمخاطبتها للمتظاهرات بقولها: "أتئن هنا للاحتجاج على محاولات العودة ببلادنا إلى عصور الظلام" (الحياة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ١٢٤٠٧).

الأزياء، والأكلات، والمباني، والأثاث، والمراكب، حتى أصبح الناس في عصرنا أسرى لها لا يستطيعون عنها فككا، في حين أنهم لو أنفقوا جزءا من اهتماماتهم التافهة هذه لأداء واجباتهم بما يحقق عبوديتهم لله؛ لأصبح حال المسلمين أفضل. لكننا نجد من بين مسلمات اليوم من لا تتورع عن كشف ما أمرها الله بستره، أو لبس ما لا يناسبها لا ديناً ولا شكلاً، وتضع من الأصباغ والزينة ما قد يجعلها مثار سخرية للآخرين، وكل ذلك بسبب تعبدها للموضة التي يدين لها غالبية أفراد المجتمع. ولا تدرك أن في التوجه بالعبودية لمن لا يستحقها من أشياء وأشخاص وغير ذلك؛ يدخل ضمن محادة الله ورسوله التي تستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۚ﴾ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنِي أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴿المجادلة﴾.

وحين يكون المعبود هو الله؛ يكون منهج الحياة هو المنهج الرباني المبين للحلال والحرام، أما إذا كان المعبود شيئاً آخر فإن منهج الحياة يتغير ليساير ما يمليه ذلك المعبود، سواء كان الهوى صراحة أم الهوى من وراء شعارات أخرى؛ حيث تتعدد الصور وتلتقي كلها في أنها هوى (محمد قطب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٨).

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِّمَ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

والآية تمثل وعيدا للرسول ﷺ، والوعيد لأرقى الناس مقاما عند الله - كما يقول الإمام محمد عبده- هو أشد بالنسبة لغيره ممن يتبع هواه ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم في باطلهم. فالآية تنبه إلى خطورة هذا الذنب حتى لو أتاه أكرم الناس على الله (رشيد رضا، د.ت، ج ٢، ص ١٨).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ تعريفها بحقيقة العبودية وكيفية أدائها لله بما يجعلها عابدة لله في كل سلوك وفي كل توجه، في كل لحظة من لحظات حياتها.

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما تشير إليه الممارسات التعبدية وتحديد مواقبتها، وذلك فيما يتعلق بما يهدف إليه الإسلام من تكوين الشخصية المسلمة بصورة تجعلها تتخذ من النظام والترتيب أسلوباً تمارسه في جميع سلوكياتها المتعلقة بدقائق الحياة اليومية، وهو ليس تنظيماً آلياً يسير الإنسان كآلة، بل تنظيماً يحافظ على إنسانية الإنسان،

حيث ينبهه إلى العمل على تحقيق أهداف معينة، ويضبطه بضوابط تساعد على الاستقامة نحو الهدف المنشود.

ومن ثم فإنه لا بد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من العمل على تنمية حب النظام والترتيب لديها، وكيف أنه يعينها على الإحسان في استخدام وقتها وجهدها في أدائها لمسئولياتها. ونظرة إلى العالم من حولنا تنبهنا إلى أثر التنظيم في تسير أمور الحياة بسهولة، وأثر انعدامه في تصعيب ذلك، فلولا النظام؛ ما سارت الاتصالات السلوكية واللاسلكية، ولا حركة المواصلات بما يساعد الإنسان على أداء مهامه.

كذلك لا بد من توجيه المرأة المسلمة المعاصرة؛ إلى ما يساعد على ملاحظة الآثار الباطنة للعبادات المفروضة، بحيث يرافق عمل الظاهر منها عمل الباطن، فالصلاة يرافقها الخشوع، والزكاة حسن النية، والصوم التقوى، وهكذا...، وتوجيهها أيضاً إلى ما يرافق الممارسات التعبدية من مظاهر عبادية أخرى، كالذكر وتلاوة القرآن، بحيث تؤديها على أكمل وجه. وتحذيرها من المعوقات التي قد تعوقها عن دوام الصلة بالله فتوجهها إلى ما فيه مخالفة لسنن الله وقوانينه، وأبرزها الشيطان والشهوات والدنيا والهوى، والعمل على توعيتها بآثارها السلبية في تعطيل القدرة على الفهم، والعمل على اضطراب السلوك والأخلاق، واضطراب العلاقات الإنسانية، والانتهاك بالإنسان إلى الشقاء في الدنيا والآخرة (الكيلاني، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٢٠٤).

وتحرص التربية الإسلامية في تكوينها للشخصية المسلمة على تحقيق التوازن بين الجوانب المادية والروحية وصولاً بها نحو الكمال البشري المقدر لها، والذي يحقق النمو لجميع طاقات الجسم، ويساير الفطرة؛ ولذلك نجد أنه على الرغم من أن الشعائر التعبدية تمثل حقاً لله على خلقه؛ إلا أن الله سبحانه وتعالى قد وضع لعبادته حدوداً تمنع المسلم من التضحية بحقوق غيره من أجل أداء حقوقه سبحانه؛ لذلك شرعت الرخص، مثل الإفطار للمسافر، وللحامل والمرضع في رمضان، والقصر والجمع في الصلاة للمسافر، وغيرها من الرخص.

وتوجه التربية النبوية إلى أن الإسلام دين يسر وسباحة. وقد أشار إلى ذلك الرسول ﷺ في قوله: "إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه" (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ١، الإيمان / ٢٩، ص ١٥).

فأصول التربية الإسلامية تنهى عن التشدد والمغالاة لما فيها من مجافة للفطرة، وتعذيب للنفس، حتى وإن كان ذلك في ممارسة الشعائر التعبدية؛ لذلك وجدنا الرسول ﷺ يأمر بحل الحبل الذي اتخذته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها لتمسك به إذا ما جهدت أثناء القيام. كما وجدناه حينما أخبرته السيدة عائشة رضي الله عنها عن الحولاء بنت تويت رضي الله عنها أنها لا تنام الليل بل تصليه كله قال: " لا تنام الليل!! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا " (مسلم، د.ت، ج ١، المسافرين / ٣١، ص ٥٤٢).

وقد روي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه زار أبا الدرداء رضي الله عنه، فوجده يصوم النهار ويقوم الليل، ووجد أم الدرداء متبذلة، فقال له: " إن لنفسك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا؛ فأعط كل ذي حق حقه " (الترمذي، د.ت، ج ٤، الزهد / ٦٣، ص ٥٢٦).

فالتربية الإسلامية تنهى عن التطرف والغلو في العبادة، وتحث على الوسطية التي جعلها الله سمة لأمة الإسلام الشاهدة على الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويحدث التطرف في العبادة؛ بالانحراف عن الوسطية زيادة أو نقصا، فالزيادة قد تدفع بالفرد إلى نسيان متاع الجسد. وهذا قد نهى عنه الرسول ﷺ واعتبر صاحبه خارجا عن الإسلام. فقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني " (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٦، النكاح / ١، ص ١٦).

فالمرأة التي تعتزل زوجها في أيام معينة بحجة رغبته في التفرغ لنوافل العبادات، كإحياء سنة الاعتكاف، أو الصيام نفلا، أو غير ذلك، تكون قد بالغت في العبادة إلى درجة التطرف.

أما التطرف في العبادة من حيث النقص؛ فيحدث حينما يملك حب الدنيا على المرأة

جوانب نفسها، ويدفعها إلى أن يكون همها الأول إشباع شهواتها وقضاء رغباتها من هو وزينة وطعام وشراب، وغير ذلك مما تراه مبهجاً، أو نافعاً، أو رافعاً لها في هذه الحياة، مما يجعلها في غفلة، تفقدها الإحساس الواعي بمعاني الأشياء، فلا تهتم بما يجري حولها من أحداث تتعلق بالإسلام أو بالمسلمين.

وهذا ليس معناه ألا تعمل المرأة من أجل دنياها، فهذا مطلوب بشرط انضباطه بضوابط الشرع، فهي مأمورة بأن تجعل همها محصوراً في الآخرة وهي تعمل للدنيا لأنها خير وأبقى، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِرُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ** وَحَاطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

والوسطية التي دعت إليها التربية الإسلامية، وأرادها الله لأمة الإسلام لا تعارض دعوة الإسلام إلى الزهد، كما أن الزهد لا يعارض قيام الإنسان بأداء مسئولياته في إعمار الكون؛ وذلك لأن المقصود من الزهد؛ هو الزهد الحسي المادي وليس العملي؛ بحيث يدرك الإنسان حقيقة الدنيا فيجعلها في يده لا في قلبه، فلا يحزن على ما يفوته منها، لكنه في الوقت نفسه يعمل من أجل إعمار الكون؛ لأن عمارة الكون لا تتم إلا بالعمل والجد فيه.

وقد أشار ابن تيمية إلى أن الزهد النافع المشروع الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، هو الزهد فيما يضر أو فيما لا ينفع في الآخرة، أما ما ينفع في الآخرة، أو يستعان به عليها فإن الزهد فيه هو زهد في "نوع من عبادة الله وطاعته" وهو جهل وضلال، واستشهد على ذلك بقوله ﷺ فيها رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" (مسلم د. ت، ج ٤، القدر / ٨، ص ٢٠٥٢).

وقد شرح ذلك بقوله:

"والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعة رسوله، وكل ما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع، ثم ألا نفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له، وإن أدى الفرائض وفعل مباحاً لا يعينه على الطاعة، فقد فعل ما ينفعه وما لا ينفعه ولا يضره" (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م مج ١٠، ص ٥١١).

فزهّد المسلم في الدنيا، وعمله من أجل الآخرة يؤدي إلى أن يثيبه الله فيجمع له الدنيا والآخرة. وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: "من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له." (الترمذي، د.ت، القيامة / ٣٠، ج ٤، ص ٥٥٤) وفي حديث آخر يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس" (مسلم، د.ت، ج ٢، الزكاة / ٤٠، ص ٧٢٦).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تأكيد المعاني الحقيقية للزهد والغنى في نفسها؛ بحيث تعمل من أجل الآخرة، الأمر الذي يجعلها تستمتع بثمرات ذلك في الدنيا؛ سكينه وطمأنينة في القلب، وراحة في البال، وبعدا عن الهموم والقلق والحيرة والتردد.



المبحث الثاني

المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

"علاقة التسخير"

يمثل التسخير تطبيقاً للمظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة.

وقد حدد معنى هذا المصطلح الدكتور الكيلاني بإشارته إلى أن التسخير يعني: " أن الله مكن الإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات عملية نافعة للإنسان في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يقدمه الله. إلا أن الكون لا يخدم الإنسان إلا بعد أن يتعرف الإنسان على كيفية توجيه أوامره إليه. وذلك إنها يتم من خلال اكتشاف الإنسان لقوانين التسخير" (الكيلاني، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ١١٨).

وقد زود الله الإنسان منذ خلقه بالمؤهلات التي تمكنه من اكتشاف أسرار الكون وقوانينه، وذلك لكي يتمكن من أداء مهمته في عمارة الكون، وتحقيق سيادته عليه، والتي تقوم على ركائز ثلاث^(١):

١- الفاعلية الإنسانية: ويعتبر علم الأسماء أحد مقوماتها الرئيسية، ونجد المفسرين يذكرون معان عدة لعلم الأسماء؛ أنسبها " علم حقائق الأشياء "، والمراد بذلك العلم الإجمالي وليس التفصيلي.

٢- المسخرات الكونية للإنسان من أشياء وأحياء: ويشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠].

٣- أساليب انتفاع الإنسان بالمسخرات.

وقد ذكر المفسرون أن المسخرات قد سلمت للإنسان كأمانة حيث يتصرف فيها كنائب (أميني، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٣) وذلك وفقاً لمنهج علمه بالأشياء الذي يتحصل عن طريق الحس والملاحظة والتجربة والخبرة والجهد العقلي باستخدام الوسائل

(١) انظر: (دسوقي، د. ت، ص ١٧ / العبد في البيان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٧، ص ٣٥. والأميني، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٣).

الممنوحة (السمع والبصر والفؤاد)، ومن ثم فإنه لا يمكن تحصيل هذا العلم في جيل واحد، بل هو رصيد يتنامى منذ وجود آدم وحتى قيام الساعة (دسوقي، د.ت، ص ٤١).

والمسخرات التي هيأها الله للإنسان تنقسم إلى قسمين: مسخرات يحصل عليها جميع الناس في كل زمان ومكان ودون جهد مثل الماء والهواء، ومسخرات تتطلب جهدا بشريا للانتفاع بها وفهم قوانينها. وتشير الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الكون مسخر لجميع الخلق مؤمنين وكافرين، حيث إن عطاء الله في المجال المادي واحد للجميع. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًّا وَلَهُ هُنُوًّا وَمِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. لكن الفرق بين تمكين كل من المؤمن والكافر؛ أن المؤمن ينال الرضا والقبول في الدنيا والآخرة، في حين أن الكافر يستدرج بتمكينه (العبدية في البيان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٧، ص ص ٣٥-٣٦).

كذلك تشير الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الكون يسير وفقا لأسباب ومسببات تكون قانونا عاما في غاية الدقة والإحكام والشمول لجميع الموجودات، فليس في الكون مكان للصدف.

"وما يسمى صدفة ما هو في الحقيقة إلا حدث يجهل الناس أسبابه. ولكن الجهل بالشيء لا يعني عدم وجود ذلك الشيء"، فالكل خاضع للخالق خضوعا تاما (زيدان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٣).

وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

كما أن الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وبذلك تنتفي أية فكرة للمصادفة أو العبث في خلق الكون، وتنتفي أيضا الخرافات والأساطير والأوهام التي تربط بين أحداث الكون ربطا خرافيا، وهو ما وقع فيه الفكر البشري في كثير من أطواره، وعند كثير من الأمم حتى في العصور الحديثة، حيث نجد كثيرا من علماء الطبيعة الغربيين؛ الذين يرتكزون في علمهم المادي على أساس القوانين؛ نجدهم في كثير من أمور حياتهم الأخرى يسلمون إلى الدجالين والعرافين ليتلقوا منهم

تفسيراتهم عن مستقبل الكون ومستقبل حياتهم^(١).

ولتجسيد هذه العلاقة التخيرية في حياة المرأة المسلمة المعاصرة فإنه ينبغي تنظيم أصول تربيتها على أساس فقه واسع للحياة والأحياء في الكون، ويتم ذلك من خلال الحرص على تنمية المهارات والاتجاهات التالية لديها:

- ١- حثها على التفكير في الكون.
 - ٢- صقل مؤهلات اكتشاف السنن الكونية لديها.
 - ٣- تعريفها بالأمثلة الدالة على إبداع الخالق في خلقه.
 - ٤- توجيهها إلى وجوب الإحسان في الاستمتاع بالمسخرات الكونية.
 - ٥- حثها على الالتزام بالقيم في تعاملها مع الكون.
 - ٦- تعريفها بسليبات الحضارة المعاصرة على مستوى الكون.
- و سوف نتناول فيما يلي كل محور من هذه المحاور بشيء من التفصيل.

أولاً: التفكير في الكون :

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم الإنسان بنوعيه للنظر في الكون من أجل إدراك قدرة الله وعظيم إبداعه، ومحاولة اكتشاف القوانين المسيرة له، والتي تعينه على تحقيق مهمته في عمارة الكون، ومن ثم التوصل إلى شكر الخالق؛ لأن القليل من بني الإنسان هم الذين يقومون بشكر الله على نعمه. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

كذلك تستهدف التوجيهات القرآنية النظر في الكون من أجل الذكرى وذلك لأن الناظر في الكون لا يرى فيه إلا الكمال والإتقان، ودقة الصنع التي تدل على عظم الصانع. وصدق الله العظيم القائل:

(١) هناك توجه عام في العالم الغربي نحو التنجيم ومعرفة الطالع والإيمان العميق بالظواهر النفسية غير المرئية وقراءة الفنجان وورق اللعب وغيرها بسبب الفراغ الروحي الناجم عن التوجه المادي المحموم. (انظر التنجيم: من أقدم المهن وتزدهر أسواقه في الغرب، مجلة العالم، ع ٥٥٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٥٥-٥٦).

﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [الملك] ، والقائل : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ ﴾ [النمل: ٨٨].

فضخامة الكون ودقة صنعه، لا بد وأن توصلنا في النهاية إلى إدراك قدرة الله، وعلمه:

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِغَلْمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق].

وقال سبحانه أيضا: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

لكن آيات الكون لا تنجلي إلا لمن يتعبد الله بالتفكير والبحث في قوانينه ولا يكتفي بالمشاهدة العابرة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

أما التفكير في الكون فإنه يوصل حتما إلى معرفة الله وأداء واجب العبودية تجاهه. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان].

ويستحث القرآن الكريم القلوب على ذكر آلاء الله، ليخرج الإنسان من بلادة الحس وألفة الأشياء، فيعبد الله على بصيرة، وهو يشني على أولي الألباب الذاكرين لله في كل حال.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ [آل عمران].

والذكر المقصود في الآيات ليس مجرد ترديد اللسان، بل الذكر العملي الذي يوصل الإنسان بربه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

ونجد الأصول العقيدية في السنة النبوية تتوجه إلى المرأة كما تتوجه إلى الرجل؛

فتدعوها إلى التفكير في مخلوقات الله الدالة على بديع صنعه.

فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم أشار إلى القمر فقال: " يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب " (ابن حنبل، د. ت، ج ٦، ص ٢٣٧).

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق] ما نصه:

" إن الله (سبحانه وتعالى) أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من شر غاسق، وهو الذي يظلم، يقال: قد غسق الليل يغسق غسوقا إذا أظلم، إذا وقب - يعني إذا دخل في ظلامه، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخص بعد ذلك بل عم الأمر بذلك، فكل غاسق فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب " (الطبري، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، ج ٣٠، ص ٣٥٣).

فيمكن القول: إن الحديث هنا أيضا، فيه توجيه للمرأة بالاستعاذة من شر كل مظلم إذا دخل سواء كان الليل أو القمر إذا خسف أو النجم إذا أفل. فالاستعاذة مطلوبة لما فيها من البعد عن مسالك الشيطان طلبا لرضا الرحمن.

وهذه الوصية تثير الانتباه إلى النظر والتفكير في هذه المخلوقات التي يتبدل حالها من حال إلى حال. يقول الله سبحانه وتعالى عن القمر: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ [يس] ويقول سبحانه عن النجوم: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

فالتفكير في هذه الآيات وغيرها يصل بالمرأة (والرجل) إلى إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى، وأنه وحده المستحق لكمال العبودية دون سواه فتكون دوما في ذكر متجدد لما ينكشف لها من آيات الله سبحانه وتعالى خاصة في عصرنا الحاضر الذي تتوالى فيه الكشوف بفضل ما من الله به على الإنسان من تقدم علمي جعله يدرك كثيرا من القوانين والسنن التي تحكم الكون، وجعلته في الوقت نفسه يشعر بضآلة ما يعرفه إزاء ما يجهره. والنتيجة الحتمية لهذا الشعور تتمثل في زيادة الإيمان الذي أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ونجد هذا السلوك واضحا لدى عدد من العلماء الغربيين الذين زادهم العلم إيمانا

بالله وخشية منه، ومن بينهم العالم الفلكي السير (جيمس جيتز) الأستاذ بجامعة كمبردج، الذي رآه العالم الهندي عناية الله المشرقي في أحد أيام الآحاد من عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م، وهو في طريقه إلى الكنيسة، فسأله عن السبب الذي يدفع بعالم مثله إلى الذهاب للكنيسة. وقد أجابه العالم بمحاضرة عن الأجرام السماوية، ونظامها المدهش، وكان يحكي ذلك وقد بدا عليه التأثر، وانهمرت الدموع من عينيه، وكان مما قاله: "يا عناية الله؛ عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله، يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي. وعندما أركع أمام الله، وأقول له إنك لعظيم؛ أجد أن كل جزء من كياني يؤيدني في هذا الدعاء، وأشعر بسكون وسعادة عظيمة، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة. أفهمت يا عناية الله خان لماذا أذهب إلى الكنيسة؟". فقرأ عليه عناية الله قوله تعالى: ﴿الْقُرْآنَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر].

يقول عناية الله:

"فصرخ السير جيمس قائلاً: ماذا قلت؟ إنها يخشى الله من عباده العلماء. مدهش وغريب وعجيب جداً. إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين عاماً. من أنبأ محمداً به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله.. لقد كان محمد أمياً، لا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر... مدهش وغريب وعجيب حقاً...." (آصفي، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٧٠-٧٢).

وهناك أيضاً الكاتبة والمفكرة اليابانية (سوي أوورا) التي توصلت من خلال تأملها في نفسها وفي الكون من حولها إلى إدراك وجود الله باعتباره المهيمن على الكون كله.

لقد عاشت الكاتبة في مجتمع لا يؤمن إلا بالعلم والمنطق، الأمر الذي يجعل الفرد فيه يشعر بكثير من الوحشة وعدم الاستقرار بسبب شعوره بعجز العالم عن توفير السعادة الحقيقة له. وقد نجم عن ذلك ظهور كثير من التنظيمات والجماعات الدينية التي تعبر عن التخبط الروحي الذي يعيشه إنسان الحضارة المعاصرة. فوجودها في هذا المجتمع جعلها

تفكر وتتوصل من خلال حدسها إلى الإيمان بالله، معتمدة على التأمل في الكون حيث شعرت وكأن صوتا يناديها من السماء بقوله: " إن الطبيعة هي سبيلك لمعرفة " ، وبعد بحث وتأمل توصلت إلى أن هناك (إرادة عظمى) تقف جميع المخلوقات منها في موقف العبودية. ومن بين ما تفكرت فيه: خلايا جسم الإنسان، والرعاية التي تحيط بالجنين في أثناء حملها وبعد ولادته، والنمل والنحل وهو يعمل بجهد واجتهاد، والطيور وهي تسير في جماعات، والعمليات الحيوية داخل جسم الإنسان وسلوك جماعات من الفيلة في أفريقيا والتي كانت تسير مسافات طويلة إلى مكان صخري معين، وهناك تقوم بلعق الصخور بألستتها ثم تعود أدراجها إلى موطنها، ولما بحث العلماء هذه الظاهرة، وجدوا أن الصخور تحوي معادن تحتاجها أجساد الفيلة. فاستنتجت أوورا أن كل هذه الأمور تخضع لمشيئة واحدة، وأن كل الكائنات في الكون تخضع لعلاقة العبودية حيث لا يوجد بينها ما يبدي أي اعتراض أو تذمر على ما يقوم به من دور؛ بل جميعها تحيا في سلام محققة التوازن التام.

لقد توصلت إلى كل ذلك بعلمها وعقلها. فأرادت أن تتأكد منه؛ لذلك فقد ذهبت إلى مصر باعتبارها ذات حضارة وتاريخ وفيها كثير من الآثار القديمة. فلما سمعت الأذان، ورأت المصلين يقفون مصطفين لا فرق بين كبير وصغير، ولا غني وفقير، وكلهم قد حضر عن طوعية دون إكراه، ولاحظت أثر الصلاة على نفوسهم من اطمئنان وسكينة تحفهم بعد أدائها. كل ذلك قد شرح صدرها للإسلام فذهبت إلى الأزهر لتعلن انضمامها إليه وتسمي نفسها (مريم نوسي). (العلم والمنطق.. في النور، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٧٠، ص ٤٦-٤٩).

وكذلك البروفيسور البريطاني (آرثر أليسون) الذي كان رئيسا لقسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية في جامعة لندن. فقد حضر إلى القاهرة في عام ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م؛ ليشترك في أعمال (المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي الأول) حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. وكان يحمل معه إعجابا بالعمق الإسلامية باعتبارها عقيدة منطقية يقود إليها التفكير في صنع الله ومخلوقاته في الكون.

وقد حمل أليسون معه إلى المؤتمر بحثين: الأول حول (أساليب العلاج النفساني والروحاني في ضوء القرآن الكريم)، و الآخر عن (العلاقة بين النوم والموت في ضوء

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وبعد إلقائه لبحثه، استمع أليسون للأبحاث الأخرى، وتناقش مع العلماء، حتى إذا كانت الليلة الختامية للمؤتمر أعلن إسلامه أمام مراسلي وكالات الأنباء العالمية، حيث ذكر بأنه من خلال اهتماماته بعلم النفس وما وراء النفس؛ تعرف على الأديان؛ فدرس الهندوسية^(١) والبوذية^(٢) والإسلام، وقارن بينها. فوجد الفارق الكبير الذي جعله يوقن بأن الدين الإسلامي هو الأكثر مساهمة لنظريته وسلوكه الذي نشأ عليه؛ حيث لم يكن يشرب الخمر ولا يأكل الخنزير، وكان يشعر بوحدانية الإله الخالق المسيطر على الكون.

كذلك فقد وجد أن الإسلام لا يتناقض مع العقل أو العلم. وهذا ما جعله يختاره ديناً له. وهو يركز على الحقائق العلمية في الإسلام كمدخل للدعوة الإسلامية في الغرب الذي يعتقد بأن الإنسان " عبارة عن عدة كيلوجرامات محدودة من الأنسجة بالإضافة إلى عقل.... " (الجهيني، د. ت، ص ٩٤-٩٦).

إلا أن قلة من العلماء الغربيين هم الذين توصلوا إلى الحقيقة التي توصل إليها السير جيمس جيتز، ومريم نوسي وعبد الله أليسون؛ لأننا نجد أن الكثرة منهم قد اغتروا بما وصلوا إليه من علم، وتوهموا أنهم يمكن أن يستغنوا بعلمهم وعقولهم عن الدين، وحجبهم غرورهم عن رؤية أي شيء خارج النطاق المادي المحسوس، ولما كان الدين يعتمد على قواعد غيبية خارجة عن نطاق المادة، وينطلق من منطلقات لا مادية، فقد اعتبره الإنسان الغربي ظاهرة غير علمية، ولم يوفه ما يستحقه من التفكير والاهتمام أو اعتباره أنه علم أصلاً. (الأصفي، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ص ١١-١٢).

وتوجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن التفكير في الكون ليس له حد معين، حيث نجد من بين آياته ما يحث على التفكير في بدء الخلق ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) الهندوسية أو الهندوكية: اصطلاح أوروبي يطلق على عقائد معظم شعب الهند وطقوسه. وليس لها قانون ثابت مكتوب بل بعض كتب قديمة عبارة عن شروح دينية. وآلهة الهندوسية كثيرة. (الموسوعة العربية الميسرة، د. ت، ص ١٩٠٦).

(٢) البوذية: هي الديانة التي وضعها بوذا الذي عاش حوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد. وكان بوذا ابن أحد ملوك الهند، فتخلى عن الملك والجاه وكرس حياته لهذا الدين، وانتقلت تعاليمه إلى كثير من البلدان. (دائرة معارف الناشئين، د. ت، ص ٧٧).

ومنها ما يبحث على التفكير في الماضي والحاضر؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ يُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى ۚ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم].

ومنها ما يبحث على التفكير في مخلوقات الله؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية]. وغير ذلك من الآيات.

لكن ما تجدر الإشارة إليه؛ هو أن الأصول العقيدية في القرآن الكريم توجه الإنسان إلى عدم إعمال عقله فيما وراء الكون؛ لأن ذلك خارج عن نطاق العقل، فهو ليس مجالاً له، وقد كفاه الوحي العناء حين أمده بالمعارف التي يحتاجها عن عالم الغيب.

وآيات القرآن الكريم التي تحث على التفكير وأهمية التدريب عليه؛ تشدد على أهمية التثبت قبل إصدار الأحكام، بحيث يكون صفة ملازمة للإنسان في سلوكه في حياته اليومية وفي علاقاته مع الآخرين، ولا تقتصر على مجال الدراسة والبحث (الكيلاي ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٦٧)، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فينبغي الاهتمام بالتكوين العقلي للمرأة المسلمة المعاصرة بحيث تستخدم في ذلك الأساليب والوسائل التربوية الحديثة كافة التي تساعد على تنمية القدرات العقلية لديها من خلال جميع المؤسسات التربوية المباشرة وغير المباشرة، بحيث توجه تلك القدرات توجيهها إيجابياً يحافظ عليها من التشوه الذي يمكن أن يلحقها إذا ما تركت لتنمو دون توجيه؛ وذلك لأن القدرات العقلية يمكن أن تتأثر بالوهم والخرافة والجهل بعيداً عن التفكير العلمي، وهذا يمكن أن يحدث إعاقة لعقل المرأة، تدفعها إلى الخوف من مظاهر الطبيعة؛ فتصبح آيات الله دليلاً على ضعف الإيمان بدلاً من أن تكون سبباً في تدعيم

الإيمان بالله وزيادته^(١).

فالخوف من مظاهر الطبيعة يمثل دليلاً على ضعف الإيمان الذي يجعل الإنسان يخاف من مخلوقات مثله وينسى الخالق الذي يمكن أن يحفظه من أي شرور إذا ما تقدم إليه بالطاعة التي تحقق كمال عبوديته له.

وقد أشار توينبي^(٢) إلى أن العقبة الكبرى التي وقفت في سبيل تسخير طاقات الكون؛ تمثلت في الشرك الذي ساد العقل البشري لزمن طويل حيث حول طاقات الطبيعة إلى آلهة وجعل البشر يعبدون طاقات الكون بدلاً من تسخيرها، وأن عقيدة التوحيد هي التي جعلت الإنسان ينظر إليها على أنها مخلوقات مثله، ومن ثم بدأ يفكر في تسخيرها (خان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٤).

ويشير الدكتور الكيلاني إلى أن القدرات العقلية يمكن أن تتعرض للحالات التي تتعرض لها القدرات الجسدية من صحة ومرض وموت؛ " فهي تصح بالعلم والعمل، وتمرض بالوهم والخرافة، وتموت بالجهل المطبق." وهي تحتاج إلى تزكية^(٣) مستمرة من

(١) مازالت الكثريات من المسلمات المعاصرات يؤمن بالدجل والخرافة والسحر والشعوذة، مما يدفعهن إلى الخوف مما لا وجود له لدرجة تجعلهن يفسرن كل صوت أو حركة طبيعية تفسيرات بعيدة عن الحقيقة. بل إن من النساء من تخاف من الحشرات والقوارض، فتجد الواحدة منهن تهرب منها بدلاً من التصدي لها وتطهير المكان الذي هي فيه منها. بل إن ذلك ربما ينسحب على المتعلّات أكثر من غيرهن. وقد أرسلت إحدى الفتيات إلى مجلة إسلامية تستفسر ما إذا كان الخوف المسيطر عليها وعلى أمها من الرعد والبرق والغيوم والشفق الأحمر والرياح ورائحة أم لا (الدعوة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٤٤). بل إن إحدى الأمهات في ولاية بدبد بعمان قد قامت بحبس أولادها العشرة في غرفة مظلمة اتباعاً لنصيحة إحدى الصحف بـ "عدم التحديق في الشمس طويلاً أثناء ظاهرة الكسوف" لكن وزيادة في الاحتياط، فقد قررت الأم حبس أولادها ومنعهم من الذهاب إلى المدرسة، ولم تخبر زوجها الذي فوجئ بذلك عند عودته إلى المنزل، فطلب منها إطلاقهم لكن رفضها دفعه إلى طلاقها بعد زواج طويل وصفه الجيران بأنه كان قائماً على الود والعشرة الطيبة. (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٧٦).

(٢) أرنولد جوزيف توينبي (١٨٨٩ م / ١٣٠٧ هـ) مؤرخ إنجليزي. درس بأكسفورد، ثم علم بها. كتب سلسلة من الكتب السنوية للتاريخ الدولي بعنوان: (عرض للشئون الدولية)، ولكنه وصل إلى قمة الشهرة بكتابه (دراسة في التاريخ) الذي أخرجه في عدة مجلدات، وهو بحث لنمو الحضارات وتطورها وانحلالها. (الموسوعة العربية الميسرة، د. ت، ص ٥٦٦).

(٣) انظر معنى التزكية ص ٥٥١.

أجل المحافظة عليها في حال الصحة ووقايتها من المرض. وذلك يتم من خلال ثلاثة أمور:

الأول: تزكية مسار الفكر: بحيث توجه القدرات العقلية نحو الأهداف التي خلقت من أجلها "وهي تدير شئون الإنسان، وتنظيم علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخره."

الثاني: تزكية أشكال التفكير: وذلك بتجنب أشكال التفكير الخاطئة، والتقيد بأشكال التفكير السليمة، بحيث يدرب إنسان التربية الإسلامية على النقد الذاتي، والتجديد، والتفكير العلمي، والتفكير الجماعي، والتفكير الشامل، والتفكير السنني، والانفتاح على خبرات الآخرين، وذلك بدلا من التفكير التبريري، والتقليد، والظن والهوى، والتفكير الفردي، والتفكير الجزئي، والتفكير الخوارقي، والانغلاق على الخبرات التقليدية والجمود عليها.

ثالثا: تزكية أساليب التفكير: وهذه تتم من خلال تدريب القدرات العقلية على التفكير العلمي المنظم. (الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ١٣١-١٤٠)

ثانيا: مؤهلات اكتشاف السنن الكونية:

أمد الله الإنسان بمؤهلات تمكنه من إعمال فكره والتوصل إلى اكتشاف السنن الكونية. وهذه المؤهلات تتمثل في أدوات المعرفة التي تتكون من الحواس والعقل والوحي. وسوف نتحدث عن هذه المؤهلات بشيء من التفصيل فيما يلي:

١- الحواس:

وهي بمثابة النوافذ التي يطل الإنسان من خلالها على الكون، وبدونها يتعطل النمو السليم للفرد، وإلى جانب ذلك فإنها تمثل أيضا أدوات يستعين بها العقل، وبدونه تفقد الحواس قيمتها. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وتكرر الأصول العقديّة في القرآن الكريم التوجيه إلى أهمية الاستفادة من الحواس وعدم تعطيلها، أو إهمالها أو اتباع الظنون والأوهام؛ ولذلك نجد كثيرا من آيات القرآن الكريم تنتهي بعبارات مثل: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ إلخ.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتدريبها على حسن استخدام حواسها، والحفاظ عليها مما قد يشتهتها، فتعتمد لديها إمكانية الاستفادة منها، ومن ثم تتكس لتكون ممن يقول عنهم القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

والمعوقات التي يمكن أن تقف حاجزا يمنع من حسن الاستفادة من الحواس هي عوامل كثيرة؛ منها ما هو نفسي ومنها ما هو انفعالي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو مادي. وقد بحثها كثير من العلماء المسلمين تحت موضوعات مثل: الرياء، والعجب والكبر، والحسد، والغضب، وشهوات المال، والجاه، والنساء. فهذه المشتتات يمكن أن تمنع الحواس من أداء دورها في مساعدة العقل على التدبر في السنن الكونية من أجل التوصل إلى معرفة الله (الكيلاي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص ١٤٦-١٤٧).

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة من خلال التربية إلى الأدوار المهمة التي تقوم بها الحواس في تحقيق الانتفاع بمسخرات الكون، وتوجيهها إلى كيفية شكر الواهب عليها من خلال استخدامها فيما وجدت له، وصرفها عما لا يحل لها. فأداء واجب الشكر على حاسة السمع يكون باستخدامها في سماع الطيب من القول، والابتعاد عن سماع السيئ منه، ويدخل ضمن ذلك الأغاني، والأشعار، والقصص المبتذلة التي تزين السوء. وأداء واجب الشكر على حاسة البصر يكون باستخدامها في النظر إلى ما يفيد، وبمنعه عما لا يحل النظر إليه، ويدخل ضمن ذلك النظر إلى الصور والأفلام الخليعة، وغيرها من المناظر المثيرة للشهوات، والتي قد تغري بارتكاب المآثم.

ونجد التوجيهات النبوية تبين إمكانية إساءة الإنسان لاستخدام ما وهبه الله من حواس في الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا." (مسلم، د. ت، ج ٤، القدر / ٦، ص ٢٠٤٧).

بل إن العلم الحديث يشير إلى أن هناك حدودا معينة لحواس الإنسان، إذا ما تعداها

أرهقت إرهاقا شديدا، فمثلا: تؤثر شدة الإضاءة على قوة الإبصار، وكذلك ارتفاع معدلات الضجيج يؤثر على السمع. وبالإضافة إلى ما تحدثه من خلل في عمل الحواس؛ فإن آثار ذلك تنعكس أيضا على نفسية الإنسان وأعصابه، فيصاب بالتوتر^(١).

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ من الواجب تنبيهها إلى الآثار السلبية التي يمكن أن تنجم عن إساءة استخدام الحواس في الدنيا والآخرة.

٢- العقل:

العقل هو الأداة التي يفهم بها الإنسان، ويتأمل، ويفكر، ويتعلم. وهو قوة مدركة خلقها الله في الإنسان ليكون مسئولا عن أعماله (أبو العينين، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٥٥).

والعقل يملك القدرة على الربط بين ما يرد إلى الإنسان من أحاسيس، وبين ما لديه من معلومات عن ذلك الشيء، ولكنه لا يكفي بمجرد الإدراك، وإنما يقوم بعد ذلك باستخلاص الحقائق المجردة، فينتقل بذلك من المحسوس إلى المجرد (عبد الله، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ٢٣٢).

وتشير الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن للعقل الإنساني مجالا رحبا يتفاعل فيه مع الكون ملاحظة وتجربة وتطبيقا. لكن هذا المجال محدود؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يتجاوزه إلى ما لا قدرة له على الإحاطة به، لأن في ذلك استخداما للعقل فيما لم يخلق له، وتبيدا لطاقاته فيما لا قدرة لها على الوصول إليه.

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

كذلك توجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الإنسان لا يمكنه أن يستفيد من عقله تمام الاستفادة إلا إذا أعمله تفكيرا في الكون. وإلى ذلك تشير كثير من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١١] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [١١١] ﴿آل عمران﴾.

(١) انظر: الحفار ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ص ٢٩٣-٣٠١.

فآيات الكون لا تنجلي إلا لمن يعمل عقله تفكيراً في بديع صنع الله، ليصل من وراء ذلك إلى اكتشاف قوانين التسخير، التي تمكنه من تحقيق إعمار الكون.

وقد زود الله الإنسان بهبات عقلية تمكنه من إعمال فكره ليستدل بما حوله على قدرة خالقه كإدراكه للبهيات، وعدم التناقض، ورفضه الجمع بين النقيضين في آن واحد. فهذه تمثل ضوابط للفكر، وتمثل في الوقت نفسه معايير أخلاقية في منهجية البحث في أسرار الكون (عبد المتعال في المنهجية الإسلامية...، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٢٣٩).

والإنسان يتلقى العلم والمعرفة عن طريق الحواس التي ترسل المعلومات إلى القوى العقلية لتقوم بفهمها وإدراكها، فأى تعطيل للقوى العقلية بسبب الهوى أو بسبب التقليد والجمود تنعدم معه الاستفادة من الحواس، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] (الكيلاني، ١٩٩٥ م، ص ١٤١).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتنمية القدرات العقلية لديها وصقلها بحيث تتمكن من الاستفادة منها في واقع حياتها، وذلك من خلال العمل على أقلمة الواقع وتكييفه وفقاً لتصورها العقدي، والابتعاد عن أية ممارسات تتعارض مع ما يدعوها إليه إسلامها، ويدخل ضمن ذلك الابتعاد عن التفكير الخرافي^(١) والشعوذة والدجل وكذلك الابتعاد عن الممارسات التي تتنافى مع مبدأ الإحسان في التعامل مع الكون كالإسراف وعدم النظافة وغير ذلك.

وأهم ما ينبغي التركيز عليه في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة؛ هو تنمية قدراتها العقلية لتصبح قادرة على التفكير والتدبر في الكون وصولاً إلى تقدير عظمة الخالق، واستخدام الأساليب التربوية كافة التي تسهم في تكوين الشخصية المستقلة القادرة على الإسهام في تطوير المجتمع من خلال إدراك سلبياته والعمل على إزالتها. ويحتاج الأمر من المؤسسات التربوية المختلفة إلى استخدام الأساليب الملائمة للعصر والتي تخاطب المرأة المسلمة

(١) هناك كثير من الخرافات التي مازالت بعض النساء المسلمات يؤمن بها حتى الآن خاصة في الريف، من ذلك:

- ١- أن كنس المنزل بعد سفر أحد أفراد العائلة قد يتسبب في عدم عودته.
- ٢- أن كنس المنزل ليلاً يولد الفقر، أو يتسبب في التعرض لإيذاء الجن.
- ٣- أن إخراج أي شيء من المنزل بعد الغروب معناه خروج الزوج بموت أو طلاق أو غيره، فلا يعود إلى المنزل ثانية. (القيسي، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ص ١٩٢).

المعاصرة التي تعيش في عصر الكشوف والمخترعات، بحيث تحفز قدراتها المختلفة بما يساعدها على معايشة عصرها.

٣- الوحي:

يمثل الوحي الأداة الوحيدة للمعرفة في ميدان الغيب، بينما الحواس والعقل هما أداتا المعرفة في ميدان الآفاق والأنفس. وتتكامل الأدوات الثلاث من أجل الوصول إلى الغاية الرئيسية، وهي معرفة الله.

وتشير آيات القرآن الكريم إلى هذه الأدوات ضمناً في حديثها عن أمور الغيب التي جاء بها الوحي، وتوجهها إلى النظر في الكون وما فيه من مخلوقات، وهي دعوة إلى استخدام الحواس أولاً، ثم إلى استخدام العقل الموصل إلى خالق هذه الكائنات.

قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ [الفجر].

والله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان، ووهب له العقل، يعلم قصور العقل عن إيصال الإنسان إلى الهدى؛ لذلك هداه سبحانه إلى المنهج الصحيح لحياته، وأعلمه بذلك من خلال الرسل، وجعل وظيفة العقل التلقي عن الرسل، والتدبر فيما يأتون به من آيات الوحي، ومحاولة الربط بينها وبين آيات الكون.

فينبغي على التربية أن تحمي عقل المرأة المسلمة المعاصرة من الانحراف وذلك من خلال العمل على تعزيز الارتباط بين قدراتها العقلية والوحي بحيث تتدبر في آيات الكتاب لتدرك أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، ولتدرك الخطأ الذي ارتكبه التربية الحديثة حين فصلت بين العقل والدين، فأوصلت الإنسان إلى ألوان من الشقاء والدمار لنفسه وللكون من حوله.

* * *

ثالثاً: أمثلة لإبداع الخالق في خلقه :

ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى التفكير في الكون وملاحظة إبداع الخالق في خلقه، بحيث تبدأ من نفسها فتحاول إدراك معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات].

فالإنسان يعد أعظم عجيبة من عجائب صنع الله حيث يجمع بين الكيان المادي والروحي، وكل فرد فيه متفرد في خصائصه عن غيره بحيث يشكل عالماً قائماً بذاته. بل إن مكونات الإنسان وحدها تعد أكبر دليل على عظم قدرة الله سبحانه وتعالى، وبديع صنعه، ولو لم يكن في الكون كله سوى الإنسان لكفى بذلك واعظاً له؛ فالنفس والروح والعقل، كلها مخلوقات لا قدرة للعقل على الإحاطة بها؛ لأنها ليست مادية، وهي تمثل أكبر تحد يدعو الإنسان إلى التواضع لكونه عاجزاً عن إدراك بعض مكونات نفسه. وكذلك الأمر بالنسبة للعوامل النفسية من تخيل وتذكر وانفعال، والنواحي الحيوية وغيرها، وصدق الله العظيم: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات].

ويؤكد العلم خضوع الإنسان وإذعانه لسنن الله إذعاناً تاماً، وذلك من خلال ما يكشفه كل يوم من القوانين التي تنظم شؤون حياة الإنسان الجسدية والتي تؤكد أن جميع وظائف الجسم إنما تتم وفقاً لسنن الله وقوانينه.

فهناك الغريزة الجنسية التي جعلها الله سبحانه وتعالى وسيلة لانجذاب النوعين كلا منهما نحو الآخر. فالتفكير فيها وفي وسائل الجذب التي جعلها الله بين كل زوجين من مخلوقاته، أمر لا ينتهي العجب منه.

وهناك أيضاً خلايا جسم الإنسان، التي تحوي كل منها ستة وأربعين كروموسوماً فيما عدا نوعين من الخلايا، وهي الخلايا التناسلية، أي الحيوان المنوي والبويضة، التي يحتوي كل منهما على نصف العدد، لحكمة بالغة وهدف عظيم يحققه اندماج هذه الخلايا لتكوين الجنين، ليصبح عددها كاملاً بعد الاندماج. (الأشقر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٠٠-١٠١).

وهناك أيضاً رعاية الله التي تحيط بالجنين وهو في بطن أمه من كل جانب، بحيث ينمو في مأمن من الأخطار، تحيطه ثلاثة من الأغشية، تصدق ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وتستمر رعاية الله للجنين وحمايته بعد ولادته، وذلك من خلال لبن الأم الذي يحوي مواد وقائية تشكل مناعة ضد الأمراض، إلى جانب أنه يتغير بما يتناسب واحتياجات

الطفل كما ونوعا (سيد قطب، ج ٤، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٦٤٣٨).

وهناك أيضا عضلات الرحم عند الأنثى والتي أثبت العلم أنها أقوى عضلات في جسم الإنسان أو في الحيوانات الثديية عموما، مما يساعد على دفع الجنين للخروج من بطنها (الأشقر، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ١٠٢).

وقد أثبت العلم الحديث أن لكل شيء في الوجود زوجا، مما جعل العلماء يقولون بوجود عالم آخر زوج لعالمنا هذا، وأنه يتمتع بخواص لا يتمتع بها عالمنا هذا مثل الأبدية. وفي ذلك تصديق لما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات] (خان، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م، ص ١٨).

فجميع الاكتشافات الحديثة تظهر آلاء الله في الكون، لكن الأهم من ذلك أنها تثبت عدم قدرة الإنسان على اكتشاف قوانين حياته بنفسه، وهذا ما حدا بالكاتب الأمريكي ألكساس كاريل إلى وضع كتاب بعنوان (الإنسان ذلك المجهول). بل إن العلماء قد توصلوا إلى أن ما عرف عن الكون حتى الآن؛ لا يمثل سوى جزء ضئيل جدا من الحقيقة، مما حدا بإحدى دور النشر إلى إصدار كتاب بعنوان (دائرة معارف الجهل) ^(١)، اشترك في تأليفه مائة وخمسون من كبار علماء العالم، حيث أوضحوا فيه كثيرا من الظواهر المتعلقة بالكون وبالإنسان والتي مازالت دون تفسير (خان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ١٨).

ويعلق سيد قطب على هذا الجهل بقوله: إنه يجب أن يبقى الإنسان على صلة بربه مهتديا بمنهجه فلا يغتر بفتوحات عقله في عالم المادة ويندفع في غرور بعيدا عن ربه فيضع لنفسه مناهج مستقلة. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣٣).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الاستدلال بالكشوفات الحديثة على قدرة الله وعظمته ليولد ذلك في نفسها زيادة في الإيمان بالله وتقواه وخشيته. ومن بين العلماء الغربيين الذين توصلوا إلى هذه الحقيقة؛ الدكتور (تسيل)، رئيس قسم الحيوان بجامعة سان فرانسيسكو، حيث يقول:

"أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة على وجود الله زيادة على الأدلة الفلسفية التقليدية... ولقد من الخالق على جيلنا... بكشف كثير من الأمور

(١) (Encyclopedia of Ignorance) وقد صدرت عام ١٩٧٧ م في شهر ديسمبر عن دار نشر بيرغامون البريطانية. (خان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ١٩).

حول الطبيعة. ومن الواجب على كل إنسان.... أن يستفيد من هذه الكشوفات العلمية في تدعيم إيمانه بالله " (مونسا وآخرون، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، ص ٢٦-٢٧).

رابعاً: الاستمتاع بمسخرات الكون:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجمال يمثل آية من آيات الله سبحانه وتعالى في خلقه، وأن الاستمتاع به فيه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى الذي يقول: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ويقول أيضاً: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [ق: ٦].

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة لا بد من توجيهها إلى الإحساس بجمال الصنعة والاستدلال بها على جودة الصانع، وقدرته، إدراكا لوجوده، وأداء لحقه في شكره على نعمه. وذلك لأن الاستمتاع بالمخلوقات من الناحية المادية دون الإحساس بدلالاتها بجعل الإنسان كالحیوان في عدم استفادته من القدرات التي وهب الله إياها، حيث ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وينسحب الإحساس بالجمال وأداء حقه بالشكر على جميع ما تتعامل معه المرأة من مخلوقات كالحیوانات والنباتات، والجمادات، بحيث تتخلق بأخلاق الله تعالى معها، فتنتقل في تعاملها مع جميع المخلوقات من مبدأ العدل والإحسان الذي يثمر عن الرحمة التي تملأ قلبها فتعم كل من حولها، اقتداء بالرسول ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين. وقد جاء عنه ﷺ فيها رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: " لا تنزع الرحمة إلا من شقي." (أبو داود، د.ت، ج ٤، الأدب / رقم ٤٩٤٢، ص ٢٨٦).

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية إلى أهمية تذوق معنى الرحمة في التعامل مع الكائنات المختلفة، وذلك من خلال توجيهات الرسول ﷺ لأصحابه من أجل ممارسة هذا السلوك في واقع الحياة.

فقد روى عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في

سفر فرأينا حمرة^(١) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش^(٢) فجاء النبي ﷺ فقال: "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"، ورأى قرية نمل قد أحرقتها فقال: "من حرق هذه؟ قلنا: نحن. قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" (أبو داود، د.ت، الأدب/ ٥٢٦٨، ج ٤، ص ٣٦٧-٣٦٨).

والأنعام من نعم الله التي خلقها للاستفادة منها. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ^(٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ^(٧) وَالْحَيْلُ وَالْأَغَالُ وَالْحَمِيرُ لِرَّكْبُوهَا وَزِينَةٍ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٨) ﴿[النحل]. وينبه الرسول ﷺ إلا أنه لا يجوز مقابلتها إلا بالإحسان، فلا تعذب بأي شكل من الأشكال، يقول ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنه: "لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا" (مسلم، د.ت، ج ٣، الصيد/ ١٢، ص ١٥٤٩)، ويقول أيضا: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته" (مسلم، د.ت، الصيد/ ١١، ج ٣، ص ١٥٤٨).

بل إن التربية النبوية لتتوجه إلى المرأة بصفة خاصة، فتحثها على الرفق بالحيوان. فقد حدث أن ركب السيدة عائشة رضي الله عنها بعيرا، كانت فيه صعوبة، فجعلت تردده، فقال لها رسول الله ﷺ: "عليك بالرفق". وفي حديث آخر أنه قال لها: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه" (مسلم، د.ت، البر/ ٢٣، ج ٤، ص ٢٠٠٤).

فكل هذه النصوص تدل على أهمية تربية المرأة المسلمة المعاصرة على التعامل المسئول مع المسخرات الكونية باعتبارها من نعم الله التي لا بد من الاستمتاع بها وفقا لتوجيهات الله سبحانه وتعالى.

(١) حمرة بضم الحاء المهملة بعدها ميم مشددة وقد تخفف: طائر صغير كالعصفور. (عبد الحميد في أبي داود، د.ت، ج ٤، ص ٣٦٧).

(٢) ترخي جناحيها وتدنو من الأرض. (عبد الحميد في أبي داود، د.ت، ج ٤، ص ٣٦٧).

خامسا: الالتزام بالقيم الإسلامية في أثناء التعامل مع الكون:

إن الزائر لبلاد الغرب يدهش ويعجب لأول وهلة لما يجده من بون شاسع بين الحياة هناك، وفي بلاده، ولا يجد مجالا للمقارنة بين شبكة العلاقات العامة في البيئتين، فالخدمات هناك يسيرة سريعة، وتغطي حاجات الإنسان اليومية كافة بدقائقتها، إلى جانب التعامل الأخلاقي المتميز بالصدق والجدية والإتقان والأنشطة الجادة في جميع مجالات الحياة بما يعمل على الرقي بها دوما، في حين أن كل ذلك مفقود إليه في ديار المسلمين؛ لذلك يعتمد المنبهرون في حال رجوعهم إلى الدعوة إلى التغرب، باعتباره بديلا جاهزا لحالة التخلف التي يعيشها المجتمع.

وهؤلاء لا يدركون الوجه الآخر للحقيقة؛ والمتمثل في البعد المعنوي للإنسان، وهذا لا يراه إلا المتمعن في حقائق الأمور، ممن لا يكتفي، ولا يؤخذ بظواهر الأشياء، والذي يمكنه اكتشاف حاجة الغربيين إلى العمق الروحي، ليحدث التوازن بين مطالب حياة الإنسان المختلفة. وتبدو مظاهر ذلك في النتائج الخطيرة الملاحظة عليهم من التسبب الأخلاقي وموجات التحلل بين الشباب، والانحلال في العلاقات الاجتماعية، وتفككها، وازدياد معدلات الجريمة، والزيادة في الإصابة بالأمراض النفسية والأمراض المستحدثة وغيرها.

فإذا ما بحثنا عن الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج؛ وجدناها متمثلة في القيم المادية التي وجهت التقدم العلمي في الغرب بعيدا عن القيم الروحية.

فقد حدث في القرن الثامن عشر الميلادي، أن اعتقد علماء الطبيعة بإمكانية تطبيق المنهج التجريبي في جميع المجالات، بما فيها الإنسان. لكن اعترض علماء الإنسانيات على ذلك بسبب اختلاف طبيعة الإنسان عن طبيعة غيره من عناصر الكون، أدى إلى تخلف العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية، التي تطورت في إطار النزعات الممتدة من الماضي، والمتمثلة في التنافس والفردية والاستغلال، والعنصرية والطبقية، والاحتكار، مما أدى بالدول المتقدمة إلى تسخير العلم ليكون نعمة لها، ونقمة على غيرها، فكان من جراء

ذلك، السباق العنيف بين الأمم، من أجل السيطرة على العالم. وقد كان لكل ذلك نتائج السلبية على شعوب العالم، والتي بدأت بالحربين العالميتين، وانتهت بالتردي الأخلاقي وتضاؤل الحس الإنساني. وأعراض ذلك تتمثل في الإدمان على المخدرات، والجريمة، والعنف، واليأس، وانحيار الروابط الأسرية، وأسلحة الدمار وغيرها من الآثار التي فعلت فعلها في المجتمعات الغربية، وبدأت تشيع في المجتمعات الإسلامية (الكيلاني، ١٩٩٥، ص ٣٥-٣٩، محمد عفيفي، د.ت، ص ٥-٨).

ويؤكد ذلك هوفمان^(١) بقوله:

"إن الدوافع التي مكنت اقتصاديا وعلميا للرواج المنقطع النظير للفلسفة الوضعية^(٢)، والمنهجية العلمية اللتين جعلتا من القرن التاسع عشر (القرن المهدوم الإله)، دوافع إن لم تكن إلهادية في حقيقة الأمر؛ فإنها تكاد تقتصر في معظمها أو تركز على النظرة اللا أدبية في رؤية الحياة الدنيا، والتي كان سدنتها فويرباخ بشكل فج، وماركس، وداروين، ونيتشة، وسيجموند فرويد^(٣) منذ ذلك الحين أصبح المذهب

(١) د. مراد هوفمان: ألماني مسلم، سفير، ومؤلف، يحمل شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد. من مؤلفاته؛ طريق فلسفي إلى الإسلام، دور الفلسفة الإسلامية، يوميات مسلم ألماني. اعتنق الإسلام يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠ م / ١٤٠٠ هـ، وكانت أول معرفته بالإسلام في الجزائر يوم ٢٨ مايو ١٩٦٢ م / ١٣٨٢ هـ؛ حين رأى صمود وصلابة المجاهدين الجزائريين، ولم يفهم من أين يأتيهم هذا الدعم الخفي حتى قرأ القرآن الكريم. م. (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

(٢) الوضعية: مذهب فلسفي يقيم المعرفة على نطاق الخبرة الحسية، وأما ما يجاوز الخبرة فمعرفة مستحيلة أو خالية من المعنى. رائد المذهب هيوم، وكونت من دعائه. ونشأت منه الوضعية المنطقية التي ترجع استحالة معرفة الإنسان لما يجاوز خبرته إلى منطق اللغة لا إلى أساس نفسي. (الموسوعة العربية الميسرة، د.ت، ص ١٩٥٤).

(٣) فويرباخ: (١٨٠٤ - ١٨٧٢ م) (١٢١٩ - ١٢٨٩ هـ): فيلسوف ألماني، اعتنق أولا المذهب الهيجلي ثم نبذ المثالية المطلقة واعتنق المادية الطبيعية. تأثر بكتابات ماركس وأنجلز. (الموسوعة العربية الميسرة د.ت، ص ١٣٣٩) ماركس: (١٨١٨ - ١٨٨٣ م) / (١٢٣٤ - ١٣٠١ هـ) فيلسوف الشيوعية التي اندثرت، وهو من أصل يهودي ألماني. اضطهد في ألمانيا بسبب نشاطه الثوري، فانتقل إلى باريس حيث تعاون مع فردريك أنجلز وأصدرا معا الوثيقة الشيوعية الأولى عام ١٨٤٨ م (١٢٦٥ هـ). (الموسوعة العربية الميسرة، د.ت، ص ١٦١٥)

داروين: (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م) / (١٢٢٤ - ١٣٠٠ هـ)، شارلز روبرت دارون. عالم طبيعي ومؤلف إنجليزي. أشهر مؤلفاته مؤلف عن أصل الأجناس بالاختيار الطبيعي، كان يقول بتطور الأجناس دون أسباب خلقية

العقلي، الذي لا يعترف إلا بالعقل، ولا يسمح إلا بقدر ضئيل من الحواس؛ مصدرا للمعرفة، الأيديولوجية (الدينية) المسيطرة في الغرب سيطرة فعالة. " (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٥).

ويضيف قائلا:

" لقد غدت الجماهير العريضة، نتيجة ممارستها الواقعية للذاتية ^(١) وللنسبية ^(٢)، تعيش نوعا من الإلحاد الساذج المسطح الأبعاد، متمثلا في عبادة آلهة جديدة هي: السلطة، والثراء، والجمال، والشهرة، والجنس. لقد رضي هؤلاء (الملحدون بالممارسة)، الاطمئنان والركون إلى العلوم الطبيعية عوضا عن الدين الذي أقصته أو هجرته، علما بأن العلوم الطبيعية عاجزة عن الخوض في استكناه المسائل الروحية، إذ يرى أولئك أن تلك المسائل (ونحوها من أمور الغيب) نوعا من البقايا المتحللة (نتاج انحلال) في طريقه إلى الزوال مع المسيحية اللاعقلانية، اللامنطقية " (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٥).

وعلى العكس من ذلك نجد الأصول العقيدية في القرآن الكريم لدينا؛ تؤكد على القيمة

وأن الكائنات جميعها ترجع إلى أصل واحد. وقد قبل البعض أقواله وأنكرها البعض الآخر وأبطلوها بأدلة دينية. (البستاني، د.ت، ص ٥٤٧-٥٤٨)

= نيتشه: (١٨٤٤-١٩٠٠م) / (١٢٦٠-١٣١٨هـ): فردريك فلهلم نيتشه: فيلسوف ألماني، توفي أبوه وهو صغير فربته أمه على التقوى. أصيب باضطرابات عصبية انتهت به إلى مرض عقلي خطير. في فلسفته شاعرية وغزارة إحساس تدل على حساسية نفسه. من مؤلفاته " هكذا تكلم زرادشت"، وله آثار عميقة في جوانب كثيرة من الفكر الألماني. (الموسوعة العربية الميسرة، د.ت، ص ١٨٦٤)

سيجموند فرويد: (١٨٥٦ - ١٩٣٩) (١٢٧٣-١٣٥٨هـ): طبيب نمساوي، مؤسس مدرسة التحليل النفسي. أثارت نظريته الخاصة بتطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة المبكرة، وقوله بعقدة أوديب؛ سخط أطباء الأمراض العقلية، وعددا ممن كانوا قد انضموا إلى حركته. وقد حاول تطبيق نظريته في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة وتطورها، وكان لها أثر كبير في الدراسات النفسية والاجتماعية، وفي التربية والآداب والفن. (الموسوعة العربية الميسرة، د.ت، ص ١٢٩٧)

(١) الذاتية: هي مدرسة فلسفية تنظر إلى أن الحقيقة تكمن في الذات.

(Encyclopedia Britannica , 1981 , V. 7 , P. 892)

(٢) النسبية: نظرية فيزيائية قدمها أينشتاين تنبذ فكرة أن الزمان والمكان وحدتان مطلقتان. (الموسوعة العربية الميسرة، د.ت، ص ١٨٣١)

العظيمة للفضائل الخلقية المستمدة من الدين في حياة الإنسان. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿

پ پ پ فَمَنْ يَبْعِدْ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

فتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، يحتاج منه إلى النظر في الجوانب المادية للحياة، لكن يجب ألا تكون القيم المادية هي المسيرة للراقي المادي، بل القيم المعنوية التي تساعده على الاحتفاظ بمرتبته في (أحسن تقويم).

لكن الحضارة المعاصرة قد غفلت عن هذا الأمر؛ فجعلت الإنسان تابعا للمادة، مما أهبطه من عليائه، فأصبح يسير ذليلا وراء القيم المادية التي أعلنت من شأن الآلة وحطمت الإنسان، حين قطعت الصلة التي تربطه بالكون والتي تجعلها في مقام العبودية سواء.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة تحذيرها من الانخداع بمظاهر التقدم المادي. سيما وأن الأصول العقيدية في القرآن الكريم تشير إلى أن الأفراد والأمم لا توزن بثرائها المادي: ﴿

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ﴾ [سبا: ٣٧] وإنما بصلاحها وحرصها على العدل: ﴿

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] ، ﴿

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالمكاسب الدنيوية قد تتناسب مع بذل الجهد؛ لكن عواقب الإفساد لا بد وأن تظهر في وقتها: ﴿

نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤].

والنتائج التي حدثت بسبب التقدم الغربي غير المنضبط بالقيم، تعد مؤشرا واضحا على أن غفلة الإنسان عن الإيمان، تجعله يغفل عن قيمته الحقيقية، فيهبط إلى مستوى لا يليق به.

سادسا: بعض سلبيات الحضارة المعاصرة على مستوى الكون:

من الواجب في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على توجيهها إلى سلبيات الحضارة الغربية، خاصة على مستوى البيئة؛ لتدرك مدى الإثم الذي يرتكبه العالم الغربي في حق الشعوب الأخرى، وبذلك ينتفي لديها الشعور - إن وجد - بكونه القائد، وغيره التابع.

ويعتبر التلوث البيئي واستنزاف الثروات من أبرز الآثار السلبية للتقدم المعاصر، وستحدث عنهما بشيء من التفصيل فيما يلي:

١- التلوث البيئي:

أصبحت حماية البيئة من القضايا العالمية المعاصرة التي تستحوذ على اهتمام العلماء والمسؤولين، وتعد من أجملها المؤتمرات واللقاءات للتفكير في كيفية تلافي المشكلات المتمثلة في استنزاف الموارد، والتلوث البيئي، وغيرها من المشكلات التي تكشف عن الخلل في العلاقة بين الإنسان والبيئة، والذي تسبب فيه تجاهل الإنسان للضوابط التي يجب أن تحكم سلوكه تجاه البيئة.

فالمفاهيم النفعية للتقدم الغربي قد أدت إلى تقديس الاقتصاد، وإيجاد الإنسان (ذا البعد الواحد)، ومن ثم شاع الاغتراب، وزادت حدة التوترات النفسية على المستويين الفردي والجماعي. وكان من نتائج ذلك أن وصلت الحضارة الغربية إلى الرعب النووي، والحديث عن حرب الكواكب. كما كان من نتائجها أيضا تضرر البيئة، والمناخ على المستوى العالمي (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤٠).

وتشير الإحصائيات إلى أن أكثر من ٥٠٪ من الاستثمار العالمي في العلم والتقنية؛ يتجه لإنتاج الأسلحة، وأن ثلثي المتبقي؛ يتجه لإنتاج سلع غير ضرورية. وهناك اعتقاد ثابت لدى الباحثين بأن بيئة النمط الصناعي الغربي على صلة وثيقة بأول ١٠-١٥٪ من الأمراض المؤدية إلى الوفاة. وأنها على صلة وثيقة بالاختلال البيئي، والتلوث الحراري بكل تبعاته، كما أن هناك دراسة استشرافية عالمية، أظهرت استنزاف الموارد في شراء معدات لمكافحة التلوث في الدول الصناعية باستثمارات تتعدى ٧٥٪ من الناتج عن استغلال تلك الموارد (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤٠).

وقد ظهرت مشكلة التلوث البيئي كواحدة من أهم المشكلات البيئية مع بداية هذا القرن، ولا تكاد منطقة في العالم تخلو من التلوث الخفيف، بينما تشكل المدن الصناعية الكبرى موطن التلوث الخطر؛ الذي يذهب ضحيته سنويا مئات الأشخاص الذين يعانون أمراضا تنفسية بسبب التلوث (الجدى، في الجمهورية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٥٢٧).

وتسهم المرأة المعاصرة بدورها في تلويث البيئة، وذلك من خلال المخلفات

والنفايات الصلبة والسائلة والغازية التي تنتج عن كثير من الممارسات اليومية، في الحياة المعاصرة والتي إذا ما أهمل تصريفها بطرق صحيحة؛ تتعفن، وتحلل مولدة كثيرا من المشكلات الصحية والبيئية.

من هذه المخلفات؛ الأكياس البلاستيكية التي لا تتحلل إلا بعد حوالي ٣٠ سنة من استعمالها؛ ولذلك نجدها تتراكم كنفايات تلوث مصبات الأنهار، وأماكن تجمع المياه، وتختلط بالتربة فتقلل من خصوبة الأراضي الصالحة للزراعة، كما أنها - خاصة السوداء منها - تسبب في كثير من الأمراض ذات العلاقة بالجهاز الهضمي والتنفسي (الشرق الأوسط ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٥).

وهناك أيضا مخلفات المستشفيات، والصيدليات، والمبيدات الكيميائية والحشرية، ومخلفات المصانع الكيماوية، وغيرها. وهناك غازات التبريد (الفريون) التي شاع استخدامها في أجهزة التبريد والتجميد، مثل المكيفات والثلاجات، ومعلبات الرش من مبيدات ومصففات شعر ومساحيق حلاقة (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٥ / تقرير التربة البيئية في اليمن، د.ت).

فغاز الفريون يتسرب إلى الجو فيسهم في تحلل طبقة الأوزون، مما يحدث فيها ضعفا يعرض الحياة على الأرض لأضرار جسيمة. وطبقة الأوزون هي الجزء العلوي من الغلاف الجوي (ستراتوسفير stratosphere)، وقد جعلها الله درعا واقيا يعمل على حماية الحياة فوق الأرض من التأثيرات الضارة للأشعة فوق البنفسجية، وهي عبارة عن طبقة من الغاز الشفاف السام تتواجد في الغلاف الجوي وتنتشر على ارتفاع ١٦ كيلو مترا عن سطح الأرض، وتقوم هذه الطبقة بامتصاص الأشعة فوق البنفسجية، وبذلك تنقي الأشعة القادمة إلى الأرض (القاسمي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٥١ والحفار، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٤٧٠).

وتشير الدراسات إلى أن تأثير الطائرات قد يؤدي إلى تحلل ١٠-١٥٪ من طبقة الأوزون بنهاية هذا القرن، وأن الإسراف في استخدام غازات التبريد قد يزيد هذه النسبة إلى ٢٥٪ بحلول عام ٢٠٥٠ م (النجار ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٥-١٠٦).

كذلك تؤكد الدراسات على أن مولدات الكهرباء، ومحركات السيارات، ومواقد الاحتراق في أجهزة التدفئة؛ تعتبر المسئول الأول عن تلويث الهواء بما تطرحه من ملوثات

غازية لها أضرارها على جلد الإنسان وأجهزته المختلفة وخاصة الجهازين التنفسي والدوري. كما ثبت أن الأجهزة التي تحتاج في دورانها إلى تيارات كهربائية عالية الجهد والتي تؤدي إلى صدور إشعاعات منها؛ ذات أثر سيئ على صحة الإنسان كما في التلفزيون الملون، وأجهزة الموجات القصيرة (الميكرويف) ^(١) التي تتداولها اليوم بكثرة. (الحفار، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٢٠١ / النجار، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٦٥، ص ٩٦).

كذلك وجد أن للمخلفات الصناعية والمبيدات الحشرية أثر على النظام الهرموني للإنسان؛ يؤثر على المدى البعيد على خصوبته، وقدرته على الإنجاب. وهذه المواد تؤثر على الإنسان من خلال تناوله للأغذية المستمدة من مصادر حيوانية أو نباتية تكون قد تأثرت بهذه المواد، أو نتيجة لقذف نفايات المصانع إلى مختلف البيئات المائية، وانتقالها إلى الكائنات الحية بطرق مباشرة أو غير مباشرة (النجار ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٩١).

بل إن المضادات الحيوية التي تدخل في تركيب أعلاف المواشي والدواجن بهدف تسمينها وعلاج بعض أمراضها، لها خطورة على الجهاز المناعي لدى الإنسان؛ حيث تعمل على إكساب بعض أنواع البكتيريا الضارة بصحة الإنسان مناعة يتعذر معها علاجه من بعض الأمراض. كذلك فإن بعض الهرمونات الأنثوية التي تحقن بها الدواجن من أجل تسمينها والإسراع في نموها يمكن أن تؤثر على خصوبة الرجل الجنسية فتقلل منها، وترفع مستوى الهرمونات الأنثوية لدى المرأة، وقد تؤدي إلى إحداث تورمات خبيثة في ثدي المرأة (القاسمي، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ص ٣١-٣٢).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتنبهها إلى الأخطار التي تحدق بالبشرية جمعاء، من جراء التلوث البيئي، والتي ينعكس أثرها عليها شخصيا بدرجة كبيرة. ويشير إلى ذلك ما جاء في وثائق مؤتمر بكين الرابع للمرأة عن تأثير صحة المرأة بالتلوث البيئي، ومن ذلك ما نصه:

" وكثيرا ما يكون لتدهور البيئة المستمر الذي يؤثر في حياة جميع البشر، وقع مباشر بدرجة أكبر على المرأة، فصحة المرأة ومعيشتها يهددهما التلوث، والنفايات السمية، وانحسار الغابات الواسع النطاق، والتصحر، والجفاف، ونضوب التربة، والموارد

(١) المايكرويف: إشعاع إلكتروني ذو تردد عال وموجات قصيرة.

(Encyclopedia Britannica , 1981 , V. 6 , P. 868)

الساحلية والبحرية، مع حدوث ارتفاع متزايد في المشاكل الصحية المتصلة بالبيئة، التي تصل إلى حد الموت، والتي يبلغ عن حدوثها بين النساء والبنات. وأكثر هؤلاء تأثرا هن النساء الريفيات من السكان المحليين اللاقي تتوقف حياتهن ومعيشتهم اليومية على النظم الأيكولوجية المستدامة مباشرة " (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٠، فقرة ٣٦).

ويرى بعض المثقفين الغربيين أن حل مشكلاتنا البيئية يكمن في العودة إلى الطبيعة، وهو أمر غير مجد، وقد حذر منه بعض العلماء الذين أدركوا السبيل الحقيقي لحل مشكلات الإنسان المعاصر، من بينهم (فرديناند فللمان) الذي حذر من " مغبة التغني المفرط الحالم بفلسفة جديدة تقدس الطبيعة "، وهو يرى بأن " ضالة الفلسفة التي تمخضت عنها كوارث تلوث البيئة الوخيمة العواقب، ليست فلسفة جديدة للطبيعة بقدر ما هي فلسفة جديدة للتكنولوجيا. " ويعلق على ذلك هوفمان بإشارته إلى أن الأمر يحتاج إلى " إعادة تحقيق الواقعية المفقودة للتكنولوجيا المصابة بداء التضخم، المتجاوز لكل حد، والتي أصبحت لها السيادة على كل شيء " (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٦٤).

ويضيف قائلا:

" وباختصار: إن الأمر الجوهرى المطلوب يتمثل في نوعية جديدة مختلفة من الاقتصاد " فلا بد أن يغير الإنسان نفسه؛ لأن إنقاذ الطبيعة " يتطلب تغييرا جذريا تاما للنظام الاقتصادي المستغل المنتهك لقوانين الطبيعة، وهذا يتطلب تغيير الإنسان المستهلك أولا "، وهو لا يتحقق في حياة المسلم إلا إذا فهم أنه عبد لله بحق (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٦٥).

فحل مشكلات البيئة يكمن في الإسلام الذي يضع الضوابط والقيود التي تمنع الإنسان من سوء استعمال المسخرات الكونية. مما يضع على عاتق المسلمين مهمة كبيرة في أداء مسؤولياتهم تجاه العالم من حولهم من أجل ترشيد التقدم المعاصر، والتخفيف من آثاره السلبية من خلال الالتزام بالضوابط الأخلاقية التي ألزم بها المسلم في تعامله مع غيره.

ولكي تسهم المرأة المسلمة المعاصرة في القضاء على المشكلات التي أوجدها التقدم المعاصر؛ فإنه ينبغي الاهتمام في تربيتها بتغيير ما بنفسها من ممارسات وعادات خاطئة،

وتوجيهها إلى المبادئ الخلقية التي حث الإسلام على الالتزام بها في التعامل مع غيرها من المخلوقات، حتى تحقق العدل والإحسان في أدائها لمسئوليتها تجاه البيئة باعتبارها تمثل جزءاً من رعيته، حيث إن في الإحسان إليها تحقيق لكمال عبوديتها لله. فقد جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ١٢، ص ٦٣).

فالانغماس في الترف يمكن أن ينسي المرأة الهدف الذي خلقت من أجله وهو العبودية لله، وقد يصل بها الأمر إلى درجة الطغيان، بحيث تؤثر شهواتها، ويملك حب الدنيا عليها جوانب نفسها؛ مما ينسيها التوجيهات النبوية التي تحذر من حب الدنيا والركون إليها. ومن بينها قوله ﷺ: "من كانت الآخرة همه؛ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه؛ جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله؛ ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له" (الترمذي، د.ت، ج ٤، القيامة / ٣٠، ص ٥٥٤).

والحديث يشير إلى أن حصر الهم في إشباع الكيان المادي دون تجاوزه إلى الكيان الروحي، ينحط بذات الفرد عن المنزل التي أرادها الله له ليهبط إلى منزلة أدنى. يقول ﷺ: "من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، فقد أخذ بحتفه وهو لا يشعر" (المتقي الهندي، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ١، ص ١٧٩).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على توعيتها بالأخطار التي يمكن أن تهدد صحتها وصحة أفراد عائلتها، والبيئة من حولها، وتوجيهها إلى أهمية ترشيد ممارساتها الخاطئة والاستهلاكية^(١) التي تساعد على زيادة التلوث، وتعريفها أيضاً بسبل ترشيد استخدام المنتجات التقنية الحديثة. وذلك لأن كثيراً من النفايات إنما هي أطعمة زائدة أو نتيجة لممارسات خاطئة، فلو قدرت المرأة احتياجات عائلتها تقديراً سليماً لخفف ذلك من مشكلة تراكم النفايات. كما يمكن تعليم المرأة الريفية كيفية الاستفادة منها، بتحويلها إلى أسمدة مثلاً.

فغرس المفاهيم البيئية السليمة لدى المرأة يساعدها على تجنب نفسها، وأسررتها كثيراً من الأمراض الصحية والنفسية، وقبل ذلك يجنبها العقاب من الله على عدم أدائها واجب

(١) في مدينة سياتل الأمريكية قام المسؤولون باتخاذ سياسة تهدف إلى توجيه المستهلكين إلى الإقلال من النفايات وذلك بفرض سعر أعلى على صفيحة القمامة الثانية. وقد نجحت الفكرة في تحقيق أهدافها (يونج، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ص ٢٩).

الشكر له على نعمه عليها.

ويمكن لأنواع التعليم وخاصة نحو الأمية أن تسهم في عملية الفرز لما تدفعه وسائل الاتصال من إعلانات تجارية بحيث تزود الأميات بزيادة من المعرفة والخبرة يمكنهن من استبعاد كل ما يشكل ضرراً على التطور والإنتاج والفعالية في المجتمع، وأهم ما يجب أن يوجهن إليه؛ الإقلال من النفائات، ويمكن لأجل ذلك استخدام إطار من الحوافز المشجعة حيث إن تخفيض النفائات - كما يقول يونج - يمثل الاختيار الأول والوحيد الذي يغني عن الحاجة إلى التخلص منها وعن استخراج وتصنيع المواد البكر، بل وحتى عن تخفيض الطاقة والتلوث الناتج عن إعادة التدوير (يونسج، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٤٩).

٢- استنزاف الثروات:

يؤكد علماء البيئة في الغرب على أن موارد العالم الطبيعية قد تعرضت على يد الحضارة الصناعية الحديثة إلى تبيد هائل ثمننا لتحقيق هذا النمط من التصنيع الذي ابتدعته؛ متجاهلة لحق الأجيال التالية في الثروات غير المتجددة.

وتسهم الدول النامية أيضاً في استنزاف ثروات البيئة من أجل البقاء على قيد الحياة، حيث تعتمد إلى الاعتداء على بيئتها بضرورة بسبب الجهل، مما يجعلها تستنفذ من الموارد ما يمكنه لو تم ترشيده أن يكفي حاجتها في الحاضر والمستقبل.

وذلك إنما يحدث بسبب الجهل، إذ أنها لو أدركت أهمية الموارد البيئية وكيفية الحفاظ عليها؛ لما أسهمت في تخریبها.

وكذلك الحال بالنسبة للنساء، خاصة في الأرياف؛ حيث يقمن في سبيل توفير الماء والخطب، والقيام بالأنشطة الزراعية المختلفة، بالتأثير على إمدادات المياه، والغطاء الشجري والأراضي الزراعية (وضع السكان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢).

وتبلغ قمة الاستنزاف للموارد في غير ما جعلت له في الممارسات غير الإنسانية ضد المخلوقات في الكون من أجل إشباع شهوات الإنسان بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة، ومن ذلك مسابقات مصارعة الثيران^(١)، والديكة، وقتل الطيور من أجل استخدام ريشها

(١) كانت مصارعة الثيران وإلى عهد قريب مقصورة على الرجال بموجب قانون رسمي، لكن سمح بها للنساء مؤخراً فكانت (كريستينا سانتشيت) أول امرأة يسمح لها بمصارعة الثيران على حلبة مدريد، وقد أكدت

في تزيين قبعات ومراوح النساء اليدوية.

وتشير الإحصائيات إلى أنه في ثمانينات هذا القرن الميلادي؛ هلك القسم الأكبر من طائر البلشون الأبيض بسبب الحاجة إلى ريشه في تزيين القبعات، مما دفع ببريطانيا إلى إصدار مرسوم لحمايتها عام ١٩٨١م، وهو قانون لا يسري على الطيور التي تربي في المنازل والحقول، والتي أصبحت الممول لعمليات التصنيع في هذه الأيام (الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٨).

وتظهر المفارقة والبون الشاسع بيننا وبين الغربيين إذا ما فكرنا في الغاية التي بعث من أجلها الرسول ﷺ والتي يقول الله سبحانه وتعالى عنها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء] ، وكيف أنه ﷺ وفي سبيله لبناء وتنمية الحس الحضاري لدى الإنسان المسلم؛ قد نهى عن التحريش بين البهائم (أبو داود، د.ت، ج ٢، الجهاد / رقم ٢٥٦٢، ص ٢٦)، كما أخبر عن امرأة دخلت النار بسبب هرة.

فقد روي عنه ﷺ أنه قال: " عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار؛ لا هي أطعمتها وسقته، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " (مسلم، د.ت، ج ٤، السلام / ٤٠، ص ١٧٦٠).

وقد عقد في ألمانيا اجتماع بمناسبة الاحتفال بمرور ربع قرن على إنشاء المركز الإسلامي في (آخن) بألمانيا، وذلك في ١٧ مايو ١٩٨٩ م / ١٤٠٩ هـ، وكان الموضوع الرئيسي للاجتماع يتناول البيئة وتلوثها والإسلام، وكان من بين النقاط التي نوقشت في الاجتماع:

١- أن السبب الحقيقي في تدهور البيئة يتمثل في اغترار الإنسان غير المؤمن بجبروته، واعتقاده بأنه المسيطر على البيئة، فله أن يتمتع بها كيفما شاء، في حين أن المسلم يدرك أن الملك كله لله، وأن الكون أمانة لديه ليستغل خيراته استغلالا مستولا.

٢- أن المسلم مكلف بالاعتدال في كل شيء ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف] ، فلا بد من الحفاظ على التوازن البيئي، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

٣- يسهب القرآن الكريم في التوجيه إلى تدبر عظمة الكون ليدرك الإنسان أن

أنها كانت تصارع الثور ونصب عينيها مستقبل المرأة في هذا الفن، وفشلها كان سيعني فشلا هن، وقد نجحت. (الشرق الأوسط ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ع ٦٠٧١).

الكون كله أمة واحدة ﴿يُسَبِّحُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّ عِلْمَ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور] ، والقرآن الكريم تحمل سورة أسماء كائنات حية، والإنسان يشترك مع المخلوقات الأخرى في أنه جزء من الخليقة، ويخضع لقوانين الله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام]. فليس للمسلم أن يتصرف في المخلوقات كما يشاء، وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في الرفق بالحيوانات بحيث ينتفع بها انتفاعا مشروعاً (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٦٢-١٦٤).

فمن أجل الحفاظ على الثروات ينبغي في إعداد الأفراد ذكورا وإناثا؛ الاهتمام بتنمية قدراتهم، بما يمكنهم من الاستفادة من الثروات، مع الحرص على ما يكفل إعادة توليدها في المستقبل ضمانا للأجيال المقبلة. فالتغير المطلوب هو في ذات الإنسان، بحيث يوازن في اهتمامه بين مطالبه المادية والمعنوية.

لقد أسرف الإنسان الحديث ليس في استغلال الطبيعة فحسب؛ بل في التوجه إليها بشكل يجعله يهمل شئونه النفسية، وموارده الذاتية، حيث إندفع في استكشاف الطبيعة، واستثمار مواردها، فكانت إنجازاته الرائعة فيها، لكنه ظل متخلفاً في استكشاف أسرار نفسه، وتنمية كفاءاته الخلقية. فالتغير المنشود يتجاوز مجرد الانصراف عن اغتصاب الطبيعة إلى احترامها ليغدو أكثر عمقا وشمولا- من الطبيعة إلى الإنسان، من الخارج إلى الداخل، من التنمية الاقتصادية إلى التنمية الذاتية، من الشهوة المادية إلى الشهوة الأدبية، من الإقبال على الوسيلة إلى الإقبال على الغاية. فهو تحول متزن يضع كل حاجة موضعها ويعطي كل قيمة حقها، حسب سلم صحيح للأولويات دون تطرف أو إسراف. لقد أبدع الإنسان الحديث في صنع الأشياء ، لكن الإبداع المنتظر أو المفروض لضمان بقاء البشرية وتقدمها الصحيح، هو في صنع الذات؛ إبداع يؤهل الإنسان لحسن تأدية الأمانة التي كلفه الله بها (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٨٨-٨٩).

وللمرأة دورها في ترشيد استخدام مسخرات الكون، وذلك يتم كما أشرنا سابقا من خلال ترشيد الاستهلاك، وضبطه بالقيم الخلقية التي تكفل تحقيق العدل والإحسان في تعاملها مع المسخرات.

ونجد وثيقة مؤتمر بكين تنص على أن السبب في تدهور البيئة يكمن في أنماط الإنتاج والاستهلاك غير المستدامة؛ ولذلك فقد دعت إلى تنمية بشرية مستدامة. حيث

جاء في ذلك ما نصه:

" والسبب الرئيسي في استمرار تدهور البيئة في العالم هو أنماط الإنتاج والاستهلاك غير المستدامة، ولاسيما في البلدان الصناعية، وهي مسألة تثير قلقا كبيرا وتزيد من حدة الفقر واختلال التوازن؛ ولذلك فإن التنمية الاجتماعية المنصفة التي تعترف بتمكين للناس الذين يعيشون في فقر، ولاسيما النساء، من استغلال الموارد البيئية بشكل مستدام؛ هي أساس ضروري للتنمية المستدامة. وفي وسع النساء كمواطنات أن يغيرن أنماط الاستهلاك في دورهن المتعدد كمستهلكات، وربات أسر، وعاملات... " (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٠، فقرة ٣٧).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على توعيتها بدورها في واقع المجتمع، وأنها تستأل عن دورها في تحقيق الخلافة في الكون، والاهتمام كذلك بإخراج المتخلفات من المسلمات من أوضاعهن التي تجعلهن مكتفيات بكونهن تابعات لما يقدمه لهن الغرب، دون أن يكلفن أنفسهن عناء العمل والتضحية في سبيل الارتقاء والتقدم من خلال الإسهام الكبير الذي يمكن أن يقمن به في تغيير الأنفس باعتبارهن يمثلن الأساس الأول في المؤسسة التربوية الأولى وهي الأسرة، سيما وأن القرآن الكريم يؤكد على أن العقبات التي قد تحول بين الإنسان وبين التقدم إنما هي عقبات ذاتية وليست موضوعية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إن الشعوب المتقدمة لم تصل إلى مرحلة الاستهلاك إلا بعد أن قطعت مراحل عديدة في التصنيع والإنتاج، في حين أننا نجابه - مع غيرنا من الدول النامية - خطر الإقبال على الاستهلاك قبل توفر وسائله. والتربية هي التي تنمي لدى المرأة المسلمة المعاصرة توخي الاقتصاد والاعتدال والانضباط، وغيرها من الصفات المطلوبة في إنسان العصر الحديث، بحيث تكف عن تقليدها للمرأة الغربية؛ لأنها لن تتجاوز تخلفها إذا ما تهالكت على شهواتها، واستسلمت لأنانيتها، وتخلت عن إنسانيتها لتصبح مجرد كائن استهلاكي.

ونجد من بين نساء العالم النامي من بدأن في إدراك هذا الأمر، وبوادر ذلك قد ظهرت في مؤتمر بكين من خلال التعارض الذي بدا بين نساء الشمال ونساء الجنوب، حول المفاهيم والمعاني، بل وحتى في الكلمات، بسبب اختلاف مشكلات وهموم نساء الشمال عن مشكلات وهموم نساء الجنوب، نظرا لاختلاف المستويات المعيشية وأنماط الحياة التي تجعل نساء الشمال غير قادرات على فهم مشكلات نساء الجنوب لما يغلب على حياتهن من أنماط استهلاكية (ابن

سعيد، في الشرق الأوسط ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م - ع ٦١٢٩).

وأهم ما ينبغي التركيز عليه في تربية المرأة المسلمة المعاصرة هو توجيهها إلى الإمكانات الكبيرة التي يمكن أن تسهم بها في عمارة الأرض إذا ما أحسنت القيام بمسئوليتها الأولى في تربية الإنسان المسلم الذي يقوم بعمارة الكون. بحيث تربيته على الجد والاجتهاد منذ نعومة أظفاره. وتسهم هي في ذلك بدورها فيما يقع ضمن دائرة اهتماماتها وأبرزها النظافة التي يحبها الله، والتي أصبحت في الوقت الحاضر تمثل مظهرا حضاريا تفخر به الدول المتقدمة.

يقول الرسول الكريم ﷺ فيما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: " إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفئنتكم ولا تشبهوا باليهود... " (الترمذي، د. ت، ج ٤، الأدب / ٤١، ص ١٠٤).

والمؤسسات التربوية هي التي تعمل على توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الكيفية التي تمكنها من تحويل التوجيهات الإسلامية إلى إنجازات حضارية عملية يبرز أثرها في واقع الحياة.

* * *

المبحث الثالث

المظهر الاجتماعي للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة علاقة العدل والإحسان - علاقة الابتلاء - علاقة المسؤولية والجزاء

يركز القرآن الكريم تركيزاً شاملاً ومعجزاً على تربية الإنسان المسلم وإعدادة لحمل الرسالة الإسلامية، والوصول بالأمة إلى أرقى ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية في جميع المجالات.

وبما أن الإنسان هو صانع الحضارة؛ لذلك فقد اهتم القرآن الكريم بتكوين الشخصية المسلمة التي ستحمل الحق للآخرين وتكون قدوة لهم فيه؛ ولذلك وجدنا الأصول العقدية في القرآن الكريم تهتم كثيراً بتكوين الإنسان المسلم خلقاً وعلماً وسلوكاً، فجاءت الآيات توضح له كيف يقيم حياته على هذه الأرض في إطار من الإنسانية العامة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويتجسد المظهر الاجتماعي للأصول العقدية من خلال العلاقات الثلاث التالية:

١- علاقة الإنسان بالإنسان - علاقة عدل وإحسان.

٢- علاقة الإنسان بالحياة - علاقة ابتلاء.

٣- علاقة الإنسان بالآخرة - علاقة مسؤولية وجزاء.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بإعدادها بما يكفل لها النجاح في تحقيق هذه العلاقات في واقع حياتها وصولاً إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

وسوف نتحدث فيما يلي عن تفاصيل هذه العلاقات الثلاث:

أولاً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان: علاقة عدل وإحسان:

١- العدل:

يمثل العدل أدنى مرتبة في العلاقات الاجتماعية الإيجابية، وقد جاء الأمر به في قوله

تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والعدل لغة: معناه الإنصاف وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه (المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٩٤).

واصطلاحاً: يعرفه ابن تيمية فيقول:

"العدل هو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب، كما أن الظلم فساد، ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالماً لنفسه... وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم. كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدل عليه؛ فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]" (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، مج ١، ص ١٩٨).

وتوجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن العدل مطلوب في كل الأحوال، فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه بصرف النظر عن مكانته الاجتماعية أو جنسه أو لونه. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

كذلك توجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن العدل مطلوب حتى مع الأعداء ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ونجد الأصول العقديّة في القرآن الكريم تحدد ميزان العدل؛ وهو إعطاء كل ذي حق حقه بكل صورة من الصور. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

يقول ابن كثير:

"وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده كالصلاة والزكاة والصيام، والكفارات والنذور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك، مما يأتئون به من غير اطلاع بينة على ذلك،...." (ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٥١٦).

ونجد هذا الميزان العادل قد طبق في عهد الرسول ﷺ في كثير من المواقف، أشهرها غضبه ﷺ من أسامة بن زيد، حين جاء يشفع في المخزومية التي سرت، حيث قام بخطب قائلاً فيما روته عائشة رضي الله عنها: "أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (مسلم، د.ت، ج ٣، الحدود / ٢، ص ١٣٥١).

وإشاعة روح العدل في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، تقتضي الاهتمام عند إعدادها بغرس العقيدة الصحيحة في نفسها، والتي تجعلها تقبل على تطبيق العدل عن طواعية ليصبح غاية لها، وكذلك تعريفها بثمرات تطبيق العدل والتي تبدو فيها يشعر به الإنسان من اطمئنان نفسي، وثقة، ورغبة في العمل والجد والاجتهاد، وتعرفها كذلك بنتائج التخلي عن تطبيق العدل على الفرد والمجتمع، والتي تبدو فيها قد يقع فيه الإنسان من انفعالات سلبية أو انجراف وراء الغرائز الفطرية التي قد تدفعه إلى الظلم. هذا على المستوى الفردي.

أما على المستوى الجماعي فإن التخلي عن تطبيق العدل يمكن أن يؤدي إلى إيجاد الطبقة وعدم المساواة وغيرها من ألوان الظلم الاجتماعي.

ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه إلى أن خروج الإنسان عن العدل إلى الظلم يعود عليه بالوبال، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].

والظلم لغة: مجاوزة الحد (ابن فارس، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، ج ٣، ص ٤٦٨).

واصطلاحاً: وضع الشيء في غير موضعه. (الزبيدي، د.ت، ج ٨، ص ٣٨٣).

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يصنف الظلم إلى نوعين:

أحدهما: منع ما يجب للآخرين من حقوق وهو التفريط.

والثاني: فعل ما يضر بهم وهو العدوان. (ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨، مج ١٠، ص ٣٧٣).

فينبغي من خلال التربية ؛ الاهتمام بإشاعة روح العدل في المجتمع الإسلامي، وترغيب النشء فيه ذكورا وإناثا، وتحذيرهم من عواقب الظلم في الدنيا والآخرة، وتحذيرهم كذلك من مسببات الظلم المتمثلة في الشيطان والنفس الأمارة بالسوء

والهوى^(١)، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه: " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " (مسلم، د.ت، ج ٤، البر/ ١٥، ص ١٩٩٦).

وفي حديث آخر رواه أبو هريرة رضي الله عنه نجله رضي الله عنه يسأل أصحابه: " أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: " إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا حسناته. فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحه عليه، ثم طرح في النار " (مسلم، د.ت، ج ٤، البر/ ١٥، ص ١٩٩٧).

وفيما يتعلق بالمرأة المسلمة المعاصرة فإنه ينبغي الاهتمام في تربيتها بتوجيهها إلى أهمية إقامة العدل في نفسها وفيمن حولها، فقد جاء في جزاء المقسطين قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: " إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة، بما أقسطوا في الدنيا " (ابن حنبل، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ج ٢، ص ١٥٩).

كما ينبغي تنبيهها إلى مخاطر الخروج عن العدل إلى الظلم، حيث إن ذلك يمثل هبوطا للإنسان عن المستوى التكريمي الذي أراده له الخالق، إلى جانب ما فيه من حرمان للنفس من الشعور بسعادة الدنيا واستحقاق غضب الله وعقوبته في الآخرة، والتعرض لمقت المظلومين وسعيهم إلى الانتقام، وفي ذلك تدعيم للظلم في المجتمع.

كذلك ينبغي الاهتمام بتصحيح أوضاع المرأة المسلمة المعاصرة بحيث تبدأ بتطهير نفسها من آثار الظلم التي أسهمت في تشيئها؛ لأنها بدون ذلك سوف تظل عاجزة عن إقامة العدل في نفسها ولغيرها، لأن تفكيرها ومشاعرها قد نشأت في بيئة الظلم، التي تجعل مثالها هو الإنسان الظالم. فالتربية حين تعرفها ببشاعة الظلم وتوجهها إلى النور منه، وتدريبها على الممارسات التي تساعد على التخلص من آثاره النفسية والعقلية،

(١) انظر: الحارثي، (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٢٩-١٣٢).

لنتمكن من الإسهام في تحرير غيرها من المظلومين، وتقبل على الأعمال والأنشطة التي تساعدنا على تذوق جمال العدل والحرية، فإنها بذلك تجعل منها إنسانا جديدا، متحررا من نزعات الظلم والتقليد والعصية (الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ١٧٢-١٧٣).

٢- الإحسان :

الإحسان لغة: ضد الإساءة (الزبيدي، د.ت، ج ٩، ص ١٧٦).

واصطلاحا: " تخلص القلب من النظر إلى غير الله تعالى رغبة أو رهبة، وتخلص الأعمال الصالحة من الشرك فيها، مع إتقان العمل بالإتيان به على الوجه المحبوب لله، الموافق لما شرعه الله تعالى وبين رسوله ﷺ " (الجزائري، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٥).

وقد جاء تعريف الإحسان في قوله ﷺ: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ١، ص ٣٧).

فالحديث يشير إلى أن الإحسان هو شعور في القلب، يستحضر معه الإنسان رقابة الله سبحانه وتعالى، بحيث يؤدي مسئولياته على أحسن وجه. يقول الرسول ﷺ: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " (الهيثمي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩، ج ٢، ص ٢٤٥).

وتوجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الإحسان زيادة على العدل حيث يقوم الفرد فيه بواجبات أكثر مما ينال من حقوق. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

ونجد أن مسلمة صدر الإسلام قد أدركت هذا المعنى للإحسان فسارعت إلى تطبيقه في واقع حياتها، ولا أدل على ذلك من موقف صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين رضي الله عنها من جارتها التي ذهبت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت له: " إن صفية تحب السبت وتصل اليهود " فبعث أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إليها؛ فسألها في ذلك، فقالت: لا، أما السبت فإنني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة. وأما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبي فأنت حرة "

(الذهبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٢٣٢-٢٣٣).

والإحسان نوعان: عام وخاص.

فالخاص: هو ما تعلق بالعبادات من أقوال وأعمال.

والعام: هو ما تعلق بإسداء المعروف والخير للناس أجمعين (الجزائري، ١٤٠٥

هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٣٠).

ويصعب حصر الميادين التي تتجلى فيها علاقة الإحسان؛ لأنه مطلوب في كل الأوقات، وفي جميع العلاقات؛ على مستوى الأفراد والجماعات، إذ أنه يمثل المقياس لنجاح الإنسان في مواجهة ما يعترضه من ابتلاءات (الكيلاني، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨، ص ١٤٣).

وتوجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الإحسان يمكن أن يكون بالقول والعمل.

فالإحسان بالقول يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ

يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء]، وهو مطلوب مع جميع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وبالنسبة للمؤمنين يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا ۝

[النساء: ٨٦].

فالبداء في التحية يكون بالإحسان، وعند العجز فلا أقل من العدل.

وفي ذلك تقول حنان لحام:

"رد التحية على درجتين: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾ ويبدأ من درجة الإحسان لأن

نمو الحياة لا يتم إلا به... فإن عجزتم عن الإحسان فلا أقل من العدل وهو الرد بالمثل، ولا يشترط في الإحسان أن يكون في عدد الألفاظ، وإنما في الحفاوة والبشاشة والاهتمام" (لحام، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٧٣).

ونجد بين التوجيهات النبوية ما يتوجه إلى جماعة المؤمنين من خلال المرأة لترشدتهم إلى أهمية الإحسان في القول، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت: وعليكم" وفي رواية أخرى أنه قال لها: "فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش" (مسلم، د.ت، ج ٤، السلام / ٤، ص ١٧٠٦-١٧٠٧).

أما الإحسان بالعمل، فهو مطلوب في الحياة العادية، وفي أوقات الأزمات، مثل ما يقع بين الناس من خصومات، أو مشاحنات أو قضايا كالطلاق والجرائم وغيرها.

ففي الطلاق يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيْعُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وفي القصاص يقول: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]؛ فلصاحب الحق أن يقتص لنفسه ويرد الأذى بمثله، لكن طمعه في أكثر من مجرد المثل هو الذي يدفعه إلى الإحسان بالعفو في انتظار الجزاء من الله.

ونجد السنة النبوية تجربنا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رضي الله عنه، الذي بلغ مستوى رفيعا في الإحسان إلى من أساء إليه، وهو مسطح ابن خالته الذي تحدث بالسوء عن ابنته عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، وكان أبو بكر ينفق عليه، فامتنع بعد مقولته. فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]؛ عفا عنه وعاد إلى الإنفاق عليه، وهو يقول: "والله إني لأحب أن يغفر الله لي... لا أنزعها منه أبدا" (مسلم، د.ت، ج ٤، التوبة / ١٠، ص ٢١٣٦).

وتوجه الأصول العقدية في السنة النبوية إلى أن الإحسان يمكن أن يكون في كل شيء. ويشير إلى ذلك قول رسول الله ﷺ فيما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته" (مسلم، د.ت، ج ٣، الصيد / ١١، ص ١٥٤٨).

٣- كيف تحقق المرأة المسلمة علاقة العدل والإحسان في واقع حياتها :

يشير الدكتور الكيلاني إلى تضافر كل من العدل والإحسان في تحقيق شعار فلسفة التربية الإسلامية: " بقاء النوع و رقيه " .

فالعدل ثمرته بقاء النوع البشري.

والإحسان ثمرته رقي النوع البشري. (الكيلاني ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٤٤).

وإلى مثل هذه الثمرات كانت التوجيهات القرآنية. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]؛ فالعدل يحل المشكلات ويطفئ الفتن المهلكة للنوع البشري، أما الإحسان فإنه يوثق الروابط ويوفر التعاون المرقى للنوع البشري. وفي غياب هاتين العلاقتين تتدهور العلاقات وتشتعل الفتن والنزاعات التي تهبط بالنوع البشري (الكيلاني، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٤٤).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية العدل والإحسان، وكيفية تطبيقها في واقع حياتها، وذلك من خلال تعريفها بالله، بحيث تتمكن معرفتها به من نفسها بما يجعلها تستشعر معيته لها في كل وقت، مما يدفعها إلى التحقق من تلك المعرفة بمعاني التقوى والخوف والخشية والخشوع وغيرها من المعاني التي تشكل لديها دافعا ذاتيا يدفعها إلى الالتزام بالعدل والإحسان فيها عليها من مسؤوليات. ويتضمن ذلك الاهتمام بتهديب استجاباتها الانفعالية بما يرضي الله سبحانه وتعالى الذي يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، فلا استجابات الانفعالية للمرأة المسلمة المعاصرة ينبغي أن تتوجه نحو الله بحيث لا تخاف إلا منه، ولا تحشى أحدا غيره، وتصاب على ما يصيبها من ابتلاءات، وتعتمد إلى الحلم عند الغضب وهكذا.

ويمكن ترغيب المرأة المسلمة المعاصرة في الالتزام بالعدل والإحسان، من خلال تعريفها بالنتائج المترتبة على ذلك من شعور بالأمن والاستقرار النفسي، والحصول على رضى الله وعونه، والتغلب على أهواء النفس، والسلامة من الأمراض النفسية.

هذا على المستوى الشخصي.

أما على المستوى الاجتماعي فإن العدل والإحسان يسهمان في استقرار المجتمع ووقايته من مظاهر الفوضى.

ويحتاج إدراك المرأة المسلمة المعاصرة لهذه العلاقات وتجسيدها في واقع حياتها إلى تلقى تربوي طويل، يصاحبه صد للاتجاهات المخربة التي تحقر من هذه العلاقات وتشكك بفائدتها، إلى جانب التسلح بالاستعاذة من الشيطان المتربص دوماً ببني الإنسان. (الكيلاني، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٤٤-١٤٥). قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

ومن أجل ترسيخ هذه العلاقة في واقع حياة المرأة المسلمة المعاصرة؛ فإنه ينبغي العمل على إشاعتها في جميع البرامج التربوية المقدمة لها، وعبر مختلف الأنظمة التربوية الرسمية وغير الرسمية.

ويحتاج تثبيت مفهوم العدل والإحسان في النفوس إلى تربية الناس على تقوى الله لأنها الكفيلة بتعويدهم على الإحسان في أداء التكاليف المفروضة عليهم. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

وفي تفسيرها لمعنى هذه الآية تقول الأستاذة حنان لحام:

"الإحسان أعلى من التقوى.... لأن التقوى هي الالتزام بالفرائض... بينما الإحسان هو الزيادة. فكأن الآية تلوح للمؤمنين كي يرتقوا إلى الدرجة الأعلى حيث تبدأ من الإحسان... ثم تعطف على المتقين فلا تقطع أملهم. فإن من بلغ التقوى يمكن أن يرتقي إلى الإحسان" (لحام، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ص ٢١٨-٢١٩).

ونجد الواقع يشير إلى أن الكثير من الناس يدركون معاني الإحسان؛ لكن القليل منهم هم الذين يطبقونه في واقع حياتهم، وذلك لأن كلا منهم ينتظر الإحسان من الآخرين حتى يبادلهم معاملة بالمثل، في حين أن الأجر على الإحسان ينتظر من الله وليس من البشر، وإلى هذا المعنى يشير قول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «يُحَسِّنُهُ» "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه" (مسلم، د. ت، ج ٤، البر، ١٩، ص ٢٠١).

فالأمر يحتاج إلى تكوين نفسية العطاء لدى المرأة المسلمة؛ بحيث توقن بأن "اليد العليا خير من اليد السفلى" (مسلم، د. ت، ج ٢، الزكاة / ٣٢، ص ٧١٧)، وأن الله قد رزق الإنسان كثيراً من النعم المادية والمعنوية التي لا يتحقق كمال شكره عليها إلا بالإحسان في استخدامها، وكذلك من خلال الإنفاق. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة].

والرزق لا ينحصر في المال فقط، بل يعم كل أنواع الرزق، ويأتي حسن الخلق على رأس القائمة، ثم بعد ذلك تأتي الصحة، والمال، والعلم والمركز الاجتماعي، والوقت، وغير ذلك. وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ: "إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق" (المتقي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٣١).

وهناك كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تخص على حسن الخلق منها:

قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف] وقوله ﷺ فيما رواه جابر رضي الله عنه: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا" (الترمذي، د. ت، ج ٤، البر / ٧١، ص ٣٢٥)، وقوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، الموطئون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون" (المتقي الهندي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ١، ص ١٣١)، وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "ليس الشديد بالصرعة؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (ابن حنبل، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٢٣٦).

فالكلمة الطيبة، وحسن الخلق، والعفو وكظم الغيظ والحلم وغيرها من الشيم كلها تفيد في علاج النفوس المريضة.

كذلك ينبغي على التربية أن تنمي لدى المرأة المسلمة المعاصرة قيم التعاون والعمل الجماعي. والمبادرة، والمرونة في التفكير، والقدرة على اتخاذ القرار، والثقة بالنفس، والشجاعة، والجرأة في الحق، وحب العمل وغيرها من الصفات التي تمكنها من تحقيق الإحسان في تعاملها مع الآخرين.

ثانياً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة: علاقة ابتلاء:

تشير آيات خلق الإنسان إلى أن موطن الإنسان الأول هو الجنة، وأنه أهبط إلى الأرض لأداء واجب الخلافة، ثم هو عائد إلى موطنه الأصلي إذا عرف الطريق الصحيح للرجوع واتبعه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦].

فحياة الإنسان في الأرض ابتلائية مؤقتة، بينما حياته في الآخرة أبدية.

ولو كانت الحياة تنتهي بالعدم لكانت هولاء لا يطاق حيث تظل تشد بصر الإنسان

إلى نهايته المرعبة فتقعد به عن الانطلاق في عمارتها. لكن الإسلام يبشر الإنسان بالخلود في الآخرة، مما يفتح أمامه أبواب الأمل ويدفعه إلى الانطلاق بفاعلية في تحقيق دوره في الخلافة (النجار في المسلم المعاصر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٧٣-٧٤، ص ١٣٠).

ومن أجل ضمان قيام المرأة المسلمة المعاصرة بأداء دورها المطلوب في عمارة الكون، فإن المسؤولية تقع على عاتق المؤسسات التربوية في إعدادها للنجاح فيما تتعرض له من سنن الابتلاء في هذه الحياة الدنيا، بحيث تمدها بالتأهيل اللازم لكي تتحمل مسؤوليتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين، لتنال عليها أفضل الجزاء في الآخرة. ويمكن لذلك أن يتحقق من خلال الاهتمام بتعريف المرأة المسلمة المعاصرة بما يلي:

١- فهم المعنى الحقيقي لعلاقة الابتلاء.

٢- إدراك الحكمة من الابتلاء.

٣- التعرف على أشكال الابتلاء.

٤- التعرف على وسائل النجاح في الابتلاء.

وتفصيل ذلك كالآتي:

١- معنى الابتلاء:

جاء في اللسان أن الابتلاء هو الاختبار والامتحان (ابن منظور، د.ت، ج ١، ص ٣٥٥).

كما ذكر الراغب الأصفهاني أن الابتلاء يتضمن أمرين اثنين:

الأول: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودته ورداءته.

وابتلاء الله سبحانه وتعالى للإنسان هو من الباب الثاني، لأنه علام الغيوب، ولا يصح في حقه القول بأنه يبتلي الإنسان ليقف على ما يجهل من أمره وإنما هو لإظهار جودة الإنسان ورداءته. (الأصفهاني، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ٦١). وهذا ما يؤكد قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فالأصول العقدية في القرآن الكريم تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى الإنسان وامتحنه ليكشف ما يختاره من أعمال إرادية في رحلة الحياة الدنيا.

أما مواد الابتلاء فهي كل ما على الأرض مما هو مزين للناس. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف].

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الخلق يتفاوتون ويتفاضلون على درجات في امتلاكهم لعطاء الله سبحانه وتعالى. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام].

ويعلق الميداني على هذه الآية بقوله:

" دل هذا النص على بعض مواد الامتحان في ظروف الحياة الدنيا، وهو تفاوت درجات عطاء الله لعباده، وهذا يشمل كل ما أتى الله عباده من أشياء مادية، وأشياء معنوية. ومما هو مشاهد في الناس أنهم يتفاضلون في الصفات الفكرية، وفي الصفات النفسية، وفي الصفات الجسدية وفي مقادير الأرزاق، وفي المنازل الاجتماعية، إلى غير ذلك من أمور يتفاضلون فيها. وكل إنسان ممتحن من خلال عطاءات الله له، وبمقدار عطاءات الله له، وممتحن فيما هو مسئول عنه تجاه عطاءات الله لغيره، كعدم الحسد." (الميداني، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥، ص ٨٨).

٢- الحكمة من الابتلاء:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن هناك أهدافا معينة تتحقق من خلال تعرض الإنسان للابتلاءات. ومن بين تلك الأهداف:

أ - تمحيص المؤمنين لبيان من يصبر في المحن ومن يشكر في المنح: وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

فالله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، لكنه يبتلي عباده ليظهر ما يعلمه فيهم ليعلموه هم، ومن ثم يجازيهم عليه.

يقول سيد قطب رحمه الله: "والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر. فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله سبحانه وتعالى من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!" (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٢٧٢٠).

ب - تذكير الإنسان بخالفه حتى لا تجرفه الأهواء والشهوات بعيدا عن أصالته، فيسترجع إذا ما لمستة الابتلاءات. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ج - إعداد الإنسان لتحمل المسؤولية في الحياة، حيث إن الابتلاءات تشد من عزم الإنسان وتعزز صموده في وجه مصاعب الحياة التي تحتاج إلى الصبر والمجاهدة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [محمد].

د - تمييز الخبيث من الطيب وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاءات بأنواعها؛ تمثل تكاليف العقيدة التي لا يستطيع تحملها إلا الأمناء القادرين وعلى رأسهم الأنبياء. حيث روى مصعب بن سعد رضي الله عنه عن أبيه عن النبي ﷺ أنه عندما سئل "أي الناس أشد بلاء، قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ فيبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلى على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة" (الترمذي، د.ت، ج ٤، الزهد / ٥٦، ص ٥٢٠).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى إدراك الحكمة من الابتلاءات، وتنمية قدرتها لمواجهة، ومحاولة الارتقاء بنفسها للوصول إلى المستوى الإيماني المطلوب في الفرد المسلم.

٣- أشكال الابتلاء:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ركب لدى الإنسان - بنوعيه - القابلية للاتجاه نحو الخير أو الشر. ويشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد] وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٩) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَرَهَا﴾ (١٠) [الشمس].

وتؤكد ذلك السنة النبوية، حيث جاء عن النبي ﷺ في الحديث القدسي: "... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " (مسلم د.ت، ج ٤، البر / ١٥، ص ١٩٩٥).
فالإنسان حر في اختيار أي السبيلين، ولديه الخوافز التي تمكنه من ذلك، والقدرات لتناول ما يختاره منها.

ويشير الدكتور الكيلاني إلى أن الابتلاء يمثل " تربية بالخبرة؛ هدفها فهم الخير، وتذوق جماله، وفهم الشر والنفور من قبحه، ومن خلال هذا الفهم وهذا التذوق، تتحقق الغاية الأولى، وهي إدراك عظمة النعم الإلهية على الإنسان، ثم يكون من ثمرات هذا الابتلاء، الترقى العقلي والنفسي والاجتماعي. " (الكيلاني، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ١٧٢).

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم؛ أن إدراك الإنسان للخير والشر محدود بحدود قدراته؛ لأن ما يظنه خيراً قد يكون عكس ذلك. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فالآية تشير إلى أن إدراك الخير مرتبط بإدراك أمور أكبر من قدرة الإنسان. ومن ثم فلا بد له من التسليم في أموره كلها لخالقه؛ فهو الأعلم بما فيه الخير له. وقصة موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح في سورة الكهف تعد خير مثال على ذلك.

ونجد عبر التاريخ أن الجاهليات المختلفة البعيدة عن الحق تنظر إلى المرأة على أنها مصدر الشرور والفتن، فلا تدرك أن المرأة لا تتصرف إلا بحسب ما ربيت عليه من مثل أعلى؛ ولا أدل على ذلك من المثل الأعلى للإيمان الذي وصلت إليه كل من امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ومسلمات صدر الإسلام.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن للإنسان في حياته جانبين:

أ- جانب جبري: وهذا الجانب يتصل بما يصيبه في هذه الدنيا من أحداث وابتلاءات. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ب- جانب اختياري: وهذا يتصل بسلوكه تجاه الابتلاءات. فهو يملك الاختيار بين طريقين لا ثالث لهما. ويشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البدر: ١٠].

فالإنسان حر في الاختيار بين بدائل قائمة. وهذه الحرية محكومة بعوامل ذاتية وخارجية ليست من صنع الإنسان؛ لأنه إنما يختار وفقاً لما منحه من أدوات. فحرية الإنسان في الاختيار تمثل (القوة التي يختار بها)، والعوامل المحيطة والمصاحبة تمثل (القدر الإلهي الخارج عن نطاق فعل الإنسان). فحرية الإنسان الخليفة محكومة بقدر المستخلف (عمارة، ١٤٠١/١٩٩١م، ص ٩١ - ٩٢).

ومن ثم وجب الاهتمام بتعليم المرأة المسلمة المعاصرة وصقل قدراتها بما يمكنها من التمييز بين الخير والشر؛ لأن جهلها مدعاة لانحرافها عن الصواب وإسلام قيادها للأهواء والشهوات توجهها كيفما شئت. وهذا ينبهنا إلى حكمة الإسلام في جعل تعليم المرأة وتأديبها طريقاً لوليها إلى الجنة فقد جاء فيها رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: "من عال^(١) جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه" (مسلم د.ت، ج ٤، البر / ٤٦، ص ٢٠٢٨).

وكون الخالق قد ترك حرية الاختيار للمرأة في أمر عقيدتها فإن ذلك يضع على عاتق المؤسسات التربوية توجيه الأولياء إلى أهمية مراعاة حرية المرأة في الاختيار فيما هو أقل من ذلك؛ كاختيار زوجها، أو تخصصها الدراسي، أو العمل الذي تود الالتحاق به، وكذلك حرية التصديق بما لها على النحو الذي تراه مناسباً، مادامت مؤهلة لذلك، وما دام اختيارها ضمن الإطار المشروع.

وفيما يلي تفصيل الحديث عن كل شكل من أشكال الابتلاء:

(١) قام عليها بالمؤنة والتربية ونحوهما ومنه قوله: "ابدأ بمن تعول" (النووي، في مسلم، د.ت، ج ٤، ص ٢٠٢٨).

أ- الابتلاء بالخير:

الخير هو ما يرغب فيه الكل معنويا كالعقل والعدل والفضل والشجاعة والخلق، وماديا كالصحة والسرور والتمكين والمال والبنون (الزبيدي، د.ت، ج ٣، ص ١٩٤).

وابتلاء الله للإنسان بالخير هو ما بين فضل الله ورحمته وفتنة الإنسان واختباره. والفضل والرحمة هما من جهة ما يشعر به الإنسان من لذة ومتعة نفسية، والفتنة والاختبار هما من جهة كيفية استغلال الإنسان للخير واستثماره في وجوه البر أو منع ذلك (الرحالي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م، ص ٩٥).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الخير إذا لم يسلك به الإنسان مسلك الحق؛ انقلب شرا. وتؤكد ذلك التوجيهات النبوية، ومن بينها قوله ﷺ فيها رواه عمرو بن عوف رضي الله عنه: " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم " (مسلم، د.ت، ج ٤، الزهد، ص ٢٢٧٤).

وكثيرا ما يذكر الإنسان في القرآن الكريم، ومعه إشارة إلى ميله نحو الشر ومن ذلك قوله تعالى عن الأمانة: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب-٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات، ٦]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر، ٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج، ١٩].

فكل هذه الآيات تدل على أن نفس الإنسان قد تطبعت بالطابع المادي الذي خلقت منه، إلا إذا تركت وحافظت على نقاء فطرتها، وابتعدت عن تزيين الشيطان الشر لها. فهو قد تمكن منها في الوطن الأول، وسيتمكن منها في الوطن الثاني؛ ما لم تصدق في إيمانها بالله. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢﴾ [العصر، ٢].

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم أيضا إلى أن الاتجاه نحو الخير ممكن، وذلك من خلال جهاد النفس، والالتزام بما جاء به الرسل عن الله. ويشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية إحسان ظنها بالله؛

بحيث تتوقع منه الخير دائماً مهما واجهت من صنوف الابتلاءات، فتظل موصولة بخالقها لتحافظ على أمنها النفسي.

أما كيف يمكن تنمية الخير وتثبيته في النفس الإنسانية، فذلك إنما يتم من خلال عاملين اثنين أشار إليهما عابد الهاشمي وهما:

١- الدافع العقدي .

٢- الممارسة السلوكية.

فبدون العقيدة لا يكون هناك دافع للخير، وهو لا ينمو إلا من خلال التربية الإسلامية القائمة على مناهج شاملة متكاملة من خلال جميع المؤسسات التربوية، وبتسخير جميع الوسائل التربوية، وذلك لأن الدافع بدون استشارة يذوي ويخمد، فكيف إذا عملت الوسائل على الانحراف به (عابد الهاشمي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٧).

أشكال الابتلاء بالخير:

١- الابتلاء بالرخاء:

وهذا تبدو مظاهره في كثرة الأموال والممتلكات وفخامتها وغير ذلك.

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية توجه إلى أن المال يمثل فتنه للأمة المسلمة لا بد أن تحذر منها، حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه كعب بن عياض رحمته الله: "إن لكل أمة فتنه، وفتنة أمتي المال" (الترمذي، د.ت، ج ٤، الزهد/ ٢٦، ص ٤٩٢).

فالمال يمثل فتنه سواء في حالة وجوده أو فقده، فوجوده يعني الغنى، وفقده يعني الفقر. (الأصفهاني، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ٣٨٢).

وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الإنسان بفطرته ميال إلى حب المال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات].

كما تؤكد التربية النبوية على أن الإنسان لو ترك دون ضوابط لما توقف في تحصيل شهواته عند حد. حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رحمته الله: "لو كان لابن آدم واديان من مال، لا ابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" (مسلم، د.ت، ج ٢، الزكاة/ ٣٩، ص ٧٢٥).

ولأن التربية الإسلامية تحرص على تحقيق التوازن بين الناس، فقد وجدنا الأصول العقدية في القرآن الكريم توجه الفرد المسلم إلى أنواع من التكاليف التي تحقق التنظيم المالي في المجتمع، والتي جاءت في صورة أوامر ونواه، منها الأمر بالأمانة والصدق والوفاء، والنهي عن الربا والغش والرشوة وغير ذلك.

والمبتلي بالمال يتأرجح بين مرتبتين اثنتين: إما أن يؤدي حق المال فيشكر المعطي، وينفق مما أعطاه، أو يغفل عن أداء حق المال فينسى شكر المعطي، ويمنع المال عمن يستحقه. فهو إما شاكر أو جاحد. وعند جحوده يستحق العقاب في الدنيا والآخرة، كما حدث مع أصحاب الجنة الذين أحرق الله جنتهم في الدنيا وقال في نهاية ذكر قصتهم: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

" أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفرًا.... وعذاب الآخرة أشق.... " (ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، مج ٤، ص ٤٠٨).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية إدراك حكمة الله في المال، وذلك من خلال تعريفها بحكمة الله في جعل الحياة الدنيا دار ابتلاء مبني على الاختلاف والتفاضل بين الناس من أجل تسيير شئون حياتهم. ويشير إلى هذا الاختلاف قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

كذلك تشير آيات القرآن الكريم إلى أن هذا الاختلاف هو من أجل إظهار من يصبر ويشكر، أو يجزع فيكفر، حيث إن الناس في ذلك مبتلون كل بالآخر. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام].

ومن ذلك ندرك أن الأغنياء مبتلون بالفقراء، هل يؤديون حق الله تجاههم أو يمنعونه، والفقراء مبتلون بالأغنياء هل يصبرون على فقرهم ويغبطونهم أم يحسدونهم.

وقد يعصي الإنسان ربه فلا يؤدي حق المعطي؛ فهو في ذلك بين حالتين: إما أن

يمحق الله سبحانه وتعالى رزقه عاجلاً فيعاقبه في الدنيا كما فعل بأصحاب الجنة، أو يستدرجه بإمداده بمزيد من النعم؛ ليأخذه في النهاية أخذ عزيز مقتدر. وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَوَّجُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام] (ابن حنبل، د.ت، ج ٤، ص ١٤٥).

أما العبد الصالح فإن الله سبحانه وتعالى يمدّه بمزيد من النعم في الدنيا ليتمكن من الاستمرار في العمل الصالح.

ومن ثم فإنه لا بد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أن اختلاف الناس في أمر المال ليس فيه تكريم أو تحقير، وإنما هو للابتلاء. وأن المال نعمة لا بد أن تشعر المرأة بحاجة المحرومين منها سواء في محيطها القريب أو البعيد، الذي يشمل المجتمعات الإسلامية كلها. فالواقع ينبئ عن أن الدول الإسلامية هي الأشد فقراً والأوفر حظاً من الكوارث الطبيعية والإنسانية، وأنها الأكثر حاجة إلى العون والمساعدة. مما يستوجب الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية تحملها لمسئوليتها الاجتماعية تجاه إخوتها المسلمين في أنحاء العالم، وتوجيهها كذلك إلى عدم الاغترار بالنعم ونسيان واجب الشكر للخالق، بالاستقامة على الطاعة الذي يستوجب المزيد من النعم. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن].

ويشير سيد قطب إلى أن هذه الآية تتضمن ثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى: هناك ارتباط بين الاستقامة على الطريق الموصل إلى الله وبين إغداق الرخاء وأسبابه. أما من لا يستقيم ثم ينال الرخاء؛ فإنه يصاب بآفات أخرى تسلب منه معنى الرخاء وتحيل حياته إلى جحيم.

الحقيقة الثانية: الرخاء ابتلاء من الله، والصبر عليه يوجب القيام بواجب الشكر، والإحسان فيه أشق من الصبر على الشدة، والإنسان في حاجة إلى يقظة دائمة تعصمه من الفتنة.

الحقيقة الثالثة: أن الإعراض عن ذكر الله الذي قد يؤدي إليه الافتتان بالرخاء؛ يؤدي إلى عذاب الله (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج ٦، ص ٣٧٣٤-٣٧٣٥).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتحذيرها من الاغترار بنعمة المال

الذي قد يدفع بها إلى الانغماس في الترف ومضاعفاته المتمثلة في الإسراف في الاستهلاك. ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تقرر بين الترف والكفر بسبب دلالة على الرغبة في الدنيا والإعراض عن الآخرة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِهِمْ فِي الْخَيْرَاتِ لَا يَلْقَاءُ لَهُمْ قَوْلًا وَلَا تَرْفَعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [المؤمنون: ٣٣] (الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ١٨٠).

كذلك ينبغي تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من المضاعفات النفسية للإسراف، والمتمثلة في كثير من الأمراض التي يمكن أن تصاب بها الشخصية المترفة، كالشح، وانعدام القدرة على التفريق بين الحلال والحرام، وحصول الملل والسأم، وكذلك المضاعفات الاجتماعية، والمتمثلة في الطبقية وثقافة الاستهلاك، وأمراض الحسد، وكذلك المضاعفات الصحية التي يؤدي إليها الإسراف في إشباع الشهوات بدون ضوابط (الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ١٨١).

أيضا ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى البركات التي يمكن أن تحصل لمن يحسن الانتفاع بالنعم التي يهبه الله إياها. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وفي ذلك يقول سيد قطب:

" إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في الطيبات... بركات تنمي الحياة وترفعها في آن. وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي في الانحلال. لكن من يغفل عن حكمة الابتلاء يأتيهم بأس الله في أية لحظة من ليل أو نهار " (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج ٤، ص ١٣٣٩ - ١٣٤٠).

٢- الابتلاء بالأولاد:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الأولاد يمثلون أعظم ألوان الابتلاء بالنسبة للإنسان، ﴿وَأَوَلَدَكُمْ فَتَنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وذلك بسبب ما جبل عليه الإنسان من ميل فطري نحو الأولاد، بحيث يؤثرهم على نفسه، ويبدل قصارى جهده من أجل إسعادهم، مما قد يلهيه عن إدراك الغاية الكبرى من وجوده؛ ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم تحذر من الانشغال بالأولاد عن ذكر الله حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ [المنافقون].

وفي تربية المرأة المسلمة المعاصرة ينبغي توجيهها إلى حقيقة الابتلاء بالأولاد، وأنها في ذلك بين أمرين: إما أن تؤدي حق المنعم عليها بهم، فتحسن رعايتهم وتربيتهم وتلقى جزاء ذلك برا في الدنيا وثوابا في الآخرة، وإما أن تسيء إليهم؛ بأن تهمل رعايتهم، أو تتخذ منهم سبيلا للتفاخر متناسية لتوجيهات القرآن الكريم في التحذير من الأولاد، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

والإحسان في تربية الأولاد يقتضي من التربية أن تعمل على تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالأسس الصحيحة لتربية الأولاد روحيا وبدنيا وعقليا واجتماعيا ونفسيا، لتسهم في وقايتهم من النار، استجابة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحریم: ٦].

كذلك ينبغي غرس أهمية الإحسان إلى الأولاد من البنات بصفة خاصة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، وذلك تطبيقا للتوجيهات النبوية التي تؤكد أن الابتلاء بهن هو ابتلاء بالخير وليس شرا كما يعتقد البعض، حيث إن الإحسان إليهن سبيل إلى دخول الجنة، كما جاء في الحديث الذي رواه عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: "من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار" (مسلم، د.ت، البر/ ٤٦، ج ٤، ص ٢٧٠).

٣- الابتلاء بالمكانة الاجتماعية:

من الأمور التي فطرت عليها النفس البشرية؛ التأثير بالقيم الاجتماعية، كالمال والجاه والحسب والنسب؛ حيث يصبح الإنسان أسيرا لها فيتصرف بمقتضاها.

لكن الأصول العقدية في القرآن الكريم تتصدى لهذه القيم، فتضعها في موضعها الحقيقي، وترد القيم الحقيقية إلى اعتبارات معنوية ذاتية كامنة في نفس الفرد أو واضحة في عمله. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد أدركت مسلمة صدر الإسلام حقيقة الميزان الذي توزن به النفوس، ولذلك وجدناها تسارع إلى تطبيق ذلك في واقع حياتها. ويبدو هذا واضحا في قصة زواج زينب

بنت جحش عليها السلام من زيد بن ثابت رضي الله عنه، حيث تمنعت زينب رضي الله عنها في البداية فقالت: "لست بناكحته"، ثم عادت فانصاعت لأمر الله ورسوله وهي تقول: "..... لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم" (ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٤٩٠).

وهذا ما ينبغي الاهتمام به في إعداد المرأة المسلمة العاصرة؛ بحيث يعمل المربون على إضعاف أثر القيم المادية على نفسها والإعلاء من القيم الإيمانية، وحثها على التمسك بها لتجد الأمن والطمأنينة والثقة وعدم الحيرة وغيرها من الصفات الإيجابية التي تشيع في نفسها وترشد سلوكها.

٤- الابتلاء العلم:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أهمية الارتقاء بالتكوين العقلي للمرأة وذلك من خلال العلم. فنجد قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه]؛ دعوة إلى الاستزادة من هذه النعمة التي لا يتحقق شكر المنعم عليها إلا من خلال استثمار تطبيقاتها في واقع الحياة، وإفادة الآخرين بنقل المعارف إليهم.

وقد أدركت مسلمات صدر الإسلام معنى هذا التوجيه، فاندفعن ينهلن من مناهل العلم حتى وجدنا من بينهن من امتلكن مهارات عالية خاصة في الرواية والتلاوة إلى جانب العلوم الأخرى^(١).

وفي العصر الحاضر نجد أن سبل العلم ميسرة جدا لمن أرادت أن تنهل منه، وهذا يستلزم توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية شكر المنعم الذي تفضل فيسر سبل تحصيل العلم. وتوجيهها أيضا إلى أهمية الاستزادة من العلوم من خلال الدروس وسؤال أهل العلم وسماع المواعظ وقراءة الكتب، ثم العمل على إفادة الآخرين من كل ذلك.

٥- الابتلاء بالصحة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أهمية المحافظة على نعمة الصحة وذلك من خلال حث المسلمين على الاعتدال في الطعام والشراب، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

(١) انظر: ٦٥-٦٩.

ونجد الأصول العقدية في السنة النبوية تشير إلى أن القليل جدا من الناس هم الذين يدركون معنى تمتعهم بنعمة الصحة. وإلى ذلك يشير حديث الرسول ﷺ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ" (الترمذي، د.ت، ج ٤، الزهد / ١، ص ٤٧٧).

ولذلك نجد التربية النبوية توجه إلى أهمية شكر المنعم على نعمة الصحة. حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو ذر رضي الله عنه: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحه صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى" (مسلم، د.ت، ج ١، المسافرين / ١٣، ص ٤٩٩).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية شكر الخالق على نعمة الصحة من خلال المحافظة عليها، واتخاذ الأساليب الوقائية كافة من الأمراض.

كذلك ينبغي التوجه إلى ربات البيوت بخاصة؛ وحثهن على الجد في العمل وعدم الركون إلى الراحة والكسل، والالتكال على الخدمات في إدارة شئون المنزل، بل يستعملن في أمور محدودة لا تلغي دور ربة المنزل الرئيسي؛ بل تيسر لها أداء مهامها المنزلية^(١).

كما ينبغي الاهتمام بالتربية الجسمية للمرأة المسلمة المعاصرة، وذلك من خلال توجيهها إلى العادات الصحيحة في الأكل والشرب والنوم والرياضة؛ لتكون مؤمنة قوية بالمعنى المادي والمعنوي للقوة، سيما وأن وظيفتها الأساسية تتطلب منها الصحة الكاملة لتقوم بها على أكمل وجه.

(١) يظهر الفرق في مستوى الوعي بين النساء في الدول الغربية وكثير من نساءنا المترفات من الاستطلاع الذي نشرته مجلة الإكسبريس الفرنسية عن سبب ركود سوق استخدام الخدمات في المنازل منذ عشر سنوات حيث جاء فيه "أن ٥٪ فقط من البيوت الفرنسية تستخدم خادمتين في المنازل، ويعود السبب في الإحجام عن استخدامهن لا لأسباب اقتصادية، وإنما لأسباب ثقافية واجتماعية، حيث لا تزال النساء في الأوساط الشعبية مرتبطات بفكرة كونهن ربات بيوت." (ركود استخدام الخدمات في فرنسا في الثورة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٣٥٨).

ب- الابتلاء بالبشر:

يمثل الابتلاء بالبشر حرمانا للإنسان من صنوف الخير، حيث يصيبه ما هو ضده من أشكال الشر المادي كال فقر والعقم والمرض، والمعنوي كالجهل والجبن والخوف.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الإنسان حينما يتناول الشر فهو إنما يسيء استخدام ما وهبه الله من قدرات، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

والمصيبة هي ما يصيب الإنسان مما يكرهه في النفس أو المال أو الأهل. (ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ج ٤، ص ١١٧-١١٨)

فالنفس يمكن أن تتعرض لأنواع الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية، مما يحتاج إلى الصبر ومحاولة علاجها بأسبابها. والمال يمكن أن يتعرض للتلف لأسباب كثيرة. والأهل معرضون للموت حتماً.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاء في النفس والمال والأهل منه ما يكون بفعل الله ومنه ما يكون بسبب العباد:

فقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٠] يشير إلى ما يكون بفعل الله. وقوله تعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّكُمْ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، يشير إلى أن أعظم الابتلاء هو ما يصيب المؤمنين من أذى أعداء الدين.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أن الناس يختلفون في موقفهم تجاه ما يصيبهم من مصائب وذلك باختلاف درجة تمسكهم بالهدى أو الضلال. فال مؤمن ينظر إلى المصائب من زاويتين:

أن المصائب تعني تجاوزه للحد في بعض الأمور؛ فهي رحمة من ربه ليرجع، وتكفير لذنوبه. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَا رَبُّنَا كُنْ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٧١].

١. وقوله ﷺ: " لا يصيب المؤمن من مصيبة حتى الشوكة إلا قص بها من خطاياها، أو كفر بها من خطاياها " (مسلم، د.ت، ج ٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٢).

٢. أن المصائب تدخل ضمن نطاق القدرة الإلهية؛ فهي مقدرة عليه قبل خلقه، ومن ثم فهو يعتبرها بمثابة اختبار وامتحان له من خالقه، فيقابلها بما يليق بها من صبر؛ لأن " ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه " كما جاء في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الرسول ﷺ (الترمذي، د.ت، ج ٤، القدر / ١٠، ص ٣٩٣).

أما بالنسبة للكافر فإن تعرضه للمصائب قليل؛ وذلك لدخوله ضمن دائرة من تعجل لهم حسناتهم. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وحين يتجاوز الكافر الحد في العناد والاستكبار؛ فإن البلاء يصيبه انتقاما لتجاوزه الحد. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ (٥١) [الأنفال] (١)، إضافة إلى فقدان الكافر للأمن النفسي والاطمئنان، مما يدفعه إلى الجزع عند أدنى مصيبة. وما مظاهر الانحلال والتفسخ والأمراض المستحدثة في الوقت الحاضر إلا أثر من آثار تجاوز الحد لدى غير المسلمين.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الإحسان في التعامل مع المصائب، بحيث تسترجع وتذكر خالقها المنعم فتلجأ إليه في طلب العون، وبذلك تصبح المصيبة سببا في نيلها السعادة في الآخرة، سيما وأن الأصول العقدية في القرآن الكريم - كما سبق وأشرنا - تشير إلى أن الرخاء يمكن أن ينسي العبد شكر المنعم، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَسَفَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٣٧) [الشورى].

كذلك نجد الأصول العقدية في السنة النبوية توجه إلى أن الله سبحانه وتعالى يعطي بعض عباده بقدر حتى لا يفسدهم الطغيان. وإلى ذلك يشير قوله تعالى في الحديث

(١) وقد أشار ابن كثير إلى أن ذلك كان في يوم بدر خاصة، ولكنه عام في حق كل كافر، (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٣٢٠).

القدسي: "إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو أصحته لأفسده ذلك. إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير." (المتقي الهندي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٢٢) ويؤكد قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه قتادة بن النعمان رحمته الله: "إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيم الماء" (الترمذي، د.ت، ج ٤، الطب / ١، ص ٣٣٤).

كذلك ينبغي الاهتمام بتنمية الإحساس بالمسئولية لدى المرأة المسلمة المعاصرة تجاه ما يصيبها من مصائب، بحيث تنظر إلى ما يصيبها من ابتلاءات من زاويتين: الرضا بالقضاء والقدر، والبحث عن مسئوليتها عما أصابها لتجنب ذلك في المستقبل. وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" (مسلم، د.ت، ج ٤، القدر / ٨، ص ٢٠٥٢).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الابتلاء بالمصائب هو المحك الذي يميز بين الصابر والجازع، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ [آل عمران].

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها بحيث تسلم لقضاء الله وقدره، فلا تستخفها المصائب وتنزل بها عن المستوى اللائق بها، بل تطمئن وتسكن وتبتعد عن الجزع. وقد جاء في الحديث الذي رواه صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" (مسلم، د.ت، ج ٤، الزهد / ١٣، ص ٢٢٩٥).

وفيما يلي تفصيل الحديث عن بعض أشكال الابتلاء بالشر التي يمكن أن تتعرض لها المرأة المسلمة المعاصرة ودور التربية في إعدادها لمواجهةها.

من أشكال الابتلاء بالشر:

١- الابتلاء بالشیطان:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان يمثل أعظم ابتلاء يواجهه

الإنسان، وقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم ذكر الشيطان وأعوانه على أنهم يمثلون قوى خفية تتحرك في المجال الإنساني، وتراه دون أن يراها، وذلك في معرض التحذير من كيد الشيطان، والتخويف من إغرائه بسبب العداوة التي بدأها بعد طرده من الجنة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وتؤكد الأصول العقديّة في القرآن الكريم أن الشيطان لا يمكنه إغواء الإنسان إلا بسبب نقطة الضعف الأصلية فيه والمتمثلة في الشهوات التي قد تستعبده إذا ما ترك قيادته للشيطان يغريه بقضائها، ومن ثم يهبط عن المستوى التكريمي الذي جعله الله عليه إلى الأرض وينسى مهمته في ربط الأرض بالسما.

وتشير آيات خلق الإنسان ^(١) إلى أن إبليس قد تمكن من إغواء آدم حتى نسي عهد الله إليه، فكان ذلك سببا في هبوطه إلى الأرض. وهذا ينبهنا إلى حقيقة مفادها أن السيطرة في الكون تكون لقوى الشر عند غفلة الإنسان عن حقيقة وجوده.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتحذيرها من كيد الشيطان، وربطها دوماً بخالقها، وتعريفها بمداخل الشيطان إلى نفس الإنسان وهي الغرائز - الشهوات - الحسية والمعنوية، والتي تمثل نقاط ضعف ينبغي تحصين المرأة تجاهها من خلال الاهتمام بتزكية نفسها والبيئة من حولها.

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن المعركة الخالدة بين الشيطان والإنسان تركز أساسا على استدراج الشيطان للإنسان بعيدا عن منهج الله، وذلك من خلال تزيين الأشياء والأشخاص (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٢١٤٥)، ومن ثم يقع الإنسان في أسر العبودية لغير الله؛ حيث يقدم فروض الطاعة والولاء للأشياء والأشخاص. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَأْخُذْ بِكُمُ الْبَيْتِ بِأَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٠) وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾ [يس].

وتوجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الشيطان لا يكل، ولا يمل الحرب مع الإنسان، ودليل ذلك أنه طلب من الله إنظاره إلى يوم البعث، حيث جاء في القرآن

(١) البقرة، الآيات: ٣٠ - ٣٦.

الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ [ص].

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لطلب إبليس؛ لأن مشيئته سبحانه قد اقتضت ترك حرية الاختيار للإنسان، وتمييزه بالعقل الذي يساعده على الاختيار والتذكر بما جاء به الرسل من عند الله من دعوة إلى الهداية والبعد عن الغواية (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٣، ص ١٢٦٧).

فلا بد من تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى مداخل الشيطان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧].

فالشيطان قد تواعد بأن يأتي الإنسان من كل سبيل يمكنه الوصول به إليه. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك عباده المخلصين فريسة لكيد الشيطان وأعوانه، بل أوضح وسائل الغواية التي يمكن أن يستخدمها الشيطان، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مِنْ أَسْتَفْتٍ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدِّهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١٦) [الإسراء]. وقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [النور: ٢١].

فالشيطان يحاول الاستيلاء على القلوب والمشاعر بشتى الوسائل، وأشدّها إغراء؛ الوعد بالعتق والمغفرة، حيث يزين للإنسان الخطأ، ويمنيه بسعة الرحمة الإلهية، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١٣٠) [النساء] (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج ٤، ص ٢٢٣٩).

و الإيمان بوجود الشيطان، ليس معناه عدم القدرة على الانفلات من تأثيره، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أمد الإنسان بما يعينه على الارتقاء؛ من فطرة وعقل ووعي. ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية استغلال كل ذلك من أجل سد منافذ الشيطان التي تتقدم بتقدم العلم والحضارة، ولكن وكما تقول حنان لحام: "... أساليب الوقاية منه أيضا تتقدم بتقدم العلم والحضارة، إذ يمكن تسخير الكشوف والاختراعات لرفع مستوى الناس في الفهم والاستقامة. وفي ذلك تعقيم للجو العام من الجراثيم الفكرية التي يعتمد

عليها الشيطان " (لحام، من هدي سورة آل عمران، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩، ص ٣٢٥).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الشيطان لا يتمكن من الإنسان إلا إذا أتاح له الإنسان الفرصة؛ بما يرتكبه من أخطاء حين لا يعمل عقله، ويغفل عن أهدافه. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

فالشيطان يعتمد إلى أخطاء الإنسان مهما كانت بسيطة؛ فيتخذ منها منفذا يجر منه الإنسان بعيدا عن خالقه.

لكن على الرغم من كل ذلك فإن الأصول العقدية في القرآن الكريم تؤكد على أن الشيطان ضعيف أمام عدة الإنسان من ذكر الله؛ ولذلك جاءت التوجيهات في القرآن الكريم بالاستعاذة من شره: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس] ، فالشيطان يخنس بذكر الله، لكنه ينتهز فرصة أخرى للانقضاض على الإنسان.

ويشير قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس] إلى أن هناك صنفا من الناس يجاري الشيطان في كيدته للإنسان^(١).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ العمل على تنمية الشعور بالقوة الناجمة عن إيمانها بالله المالك والمسيطر على كل شيء. وكيف أن اعتصامها به في جميع الأمور وفي كل الأحوال هو الذي يعصمها من شر شياطين الإنس والجن ووسوساتهم؛ لأن حكم الله العادل قد جعل سلطان الشيطان محدودا بأعوانه، فلا يصل إلى المخلصين من المؤمنين: وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

(١) أرسل أحد الأزواج مشكلته إلى صحيفة يومية تتمثل في أنه رجل ميسور الحال لكن التزاماته المالية الكثيرة قد جعلته يعيش عيشة متواضعة، وأن زوجته كانت راضية بعيشتها معه لمدة ست سنوات، جاهدة على إحسان أدائها لواجباتها تجاه أسرتها، إلى أن زارتهم أختها وزوجها، حيث أخذ زوج أختها ينتقد أثاث البيت ورضى الزوجة به؛ مما أحال حياة الأسرة إلى جحيم حيث أخذت الزوجة تطالب زوجها بأثاث فخم، وتعدى الأمر إلى انتقادها لزوجها، وأنه غير قادر على إسعادها. (عكاظ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٦٦٣) فزوج الأخت هذا يعد مثالا لشياطين الإنس الذين يجتهدون في الكيد لغيرهم، وإفساد حياتهم.

٢- الابتلاء بالكوارث:

وهي نوعان: كوارث طبيعية، وكوارث يصنعها الإنسان:

أ- الكوارث الطبيعية:

وذلك مثل الفيضانات والزلازل والبراكين والجفاف وغيره. فالواقع يشير إلى أن كثيرا من الدول الإسلامية تلحقها مختلف أنواع الكوارث وأن وقع هذه الكوارث على النساء أكبر من غيرهن؛ مما يستدعي الاهتمام في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بتقوية عزيمتها على تحمل الشدائد بصبر ورضا بقضاء الله وقدره.

وقد ذكر العلماء أن هناك فرقا بين الرضى والصبر، فالصبر يتضمن حبس النفس عن السخط - مع وجود الألم - وتمني زوال الابتلاء، كما يتضمن عدم اللجوء إلى ما يشير إلى الجزع. أما الرضا بالقضاء فيتضمن انشراح الصدر بما يساعد على التخفيف من الإحساس بالألم بسبب اليقين والمعرفة التي تصل عند البعض إلى درجة تجعلهم يفقدون الإحساس بالألم بالكلية. (أحمد فريد، د.ت، ص ٢٤٢).

يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط. " (الترمذي، د.ت، ج ٤، الزهد / ٥٦، ص ٥١٩). ويقول أيضا: "إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط" (المتقي الهندي، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ١، ص ٢٥٧).

والأمر يحتاج إلى تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالابتلاءات التي يمكن أن تصيبها بحسب البيئة المحيطة بها، وبالإجراءات الواجب اتخاذها عند حدوثها وقبله، بما يكفل التقليل من آثارها إلى أدنى حد ممكن، إذا لم تكن إزالتها بالإمكان.

فمثلا في البلاد التي يضربها الجفاف يمكن تقديم المعرفة التكنولوجية اللازمة لتحسين الإنتاج ومواجهة ندرة المياه، وتوجيههن إلى زراعات لا تحتاج إلى مياه كثيرة، وهكذا^(١).

(١) خلال كوارث الجفاف الكبرى التي ضربت مناطق الساحل الإفريقي في السبعينيات، وعندما هجر الرجال القرى، تمكنت المرأة الأفريقية من إيجاد البدائل لتوفير الغذاء من خلال العودة إلى زراعات كانت منسية لفترة طويلة. (المستقلة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ج ٦٩)

ب- الكوارث التي يصنعها الإنسان: وأهمها الحروب:

على الرغم من أن المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ينص على أن " انتهاكات النزاع المسلح تشكل انتهاكات للمبادئ الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان وللقانون الإنساني والدولي..." (وثائق بكين، الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٧، الهدف الإستراتيجي دال: ٣)، إلا أنه وفي ظل الهجمات الشرسة التي يشنها أعداء المسلمين عليهم؛ نجد أن مآسي الحروب تقع على المسلمات بصورة لا إنسانية على اختلاف أعمارهن، حيث يعانون من القتل والتعذيب والتشريد والاغتصاب، إلى جانب فقدان المنازل والممتلكات وذلك في مختلف البلاد التي يتعرض فيها المسلمون للانتهاكات من قبل الآخرين.

ونجد مثلاً أن جريمة " الاغتصاب قد مورست في البوسنة والهرسك حتى على الأطفال، وأن الحرب قد حصدت أكثر من مائتي ألف قتيل معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، كما تم اغتصاب أكثر من ستين ألف امرأة وتشريد أكثر من مليون مسلم، إلى جانب مئات الآلاف من الجرحى والمعوقين (أهداف الصرب.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٠٠).

فهذه الحرب التي كان الغرض الأساسي منها منع المسلمين من إقامة دولة إسلامية في أوروبا^(٢)؛ قد أصاب المسلمين من جرائمها كثير من الابتلاءات إلى جانب ما سبق ذكره. وقد عانت فيها المرأة كما عانى الرجل، حيث تعرضت للإرهاب والتهجير من المساكن وإرغامها على تسليم أطفالها لمنظمات مشبوهة بحجة إنقاذهم (أهداف الصرب.. الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، الشرق الأوسط، ع ٦١٠٠).

وقد أصدرت المنظمة الدولية ضد العنف؛ بياناً رسمياً، أكدت فيه اكتشاف عمليات

(٢) جاء في رسالة بريطانية من رئيس الوزراء جون ميجور إلى وزير خارجيته دوجلاس هيرد ما نصه: " نحن لن نقبل بوجود دولة إسلامية في أوروبا، وسوف نستمر في هذه الخدعة المسماة " فانس -أوين" إلى أن يتم التدمير الكامل للبوسنة والهرسك في أوروبا. " (لاري في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٦٠٨٤)، وفانس - أوين هي مبادرة " تنص على تقسيم البوسنة إلى عشرة أقاليم ترتبط بسرايفو بعلاقات = واهنة " وقد جاء اسمها تبعاً لمن أنيطت بهم مهمة العمل على تنفيذها وهم (سايروس فانس)، وهو وزير خارجية أمريكي سابق، و(ديفيد أوين)، وهو ممثل المجموعة الأوروبية. وقد استبدل فانس " لتواطئه مع الصرب واتهامه الصريح باغتصاب المسلمات "(البيان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ع ٧٠، ص ٥٨، ص ٦٤).

منظمة لبيع أطفال من يوغوسلافيا السابقة، حيث كانوا يرسلون إلى رومانيا ومنها إلى الولايات المتحدة والمكسيك وإيطاليا^(١). (مأساة الأطفال في البوسنة والهرسك، في المجتمع، ع ١١٢٢، ص ٣٢).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوعيتها بحقيقة الصراع بين الحق والباطل، وكيف أنه ماضٍ إلى يوم القيامة، وإمدادها بالعدة اللازمة لمواجهة ماديا ومعنويا، وتنشئتها على القوة والشجاعة والجرأة في الحق والصبر والجلد، بحيث تكون لها أسوة في مسلمات صدر الإسلام اللاتي تحملن الكثير في سبيل دينهن، حيث كانت من بينهن من هاجرت المهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وتحملت صنوف العذاب، لكنها ظلت صامدة حتى جاء نصر الله وعز الإسلام والمسلمون.

كذلك ينبغي العمل على تنمية الإحساس لدى المرأة المسلمة المعاصرة بمعاونة إختوتها من المسلمين في أنحاء العالم كافة، بحيث لا تكتفي بمجرد التألم السلبي، بل تندفع إلى العمل الإيجابي الذي يمكن أن يسهم في تغيير الأحداث أو التخفيف من حدتها^(٢).

٣- العيش في مجتمع غير مسلم:

تواجه المرأة المسلمة المعاصرة في المجتمعات غير الإسلامية مشكلة إمكانية المحافظة

(١) ثبت وجود تجارة منظمة لاختطاف الأطفال الذين يفقدون ذويهم في المارك كما في حالة البوسنة والهرسك، حيث يتم بيعهم لعصابات ألبانيا الدولية توطئة لشحنهم سرا إلى موانئ عدد من الدول الأوروبية لإعادة بيعهم في سوق مزدهرة منذ عام ١٩٩١م / ١٤١١ هـ تعرف باسم (سوق العبيد الصغار) حيث يتم استخدامهم في أغراض الدعارة بالدرجة الأولى وكذلك التسول والتبني. (سوق "العبيد في إيطاليا" في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٢٩).

(٢) من المأسى التي يحف بها عالمنا الإسلامي اليوم أن غير المسلمين يسارعون إلى نجدة المسلمين فيقدمون لهم ألوان الدعم المشبوه وغير المشبوه. من ذلك أن طببة نفسية تدعى (بيفرلي بریتون) قد جاءت من نيويورك وعلى نفقتها الخاصة وذلك من أجل المشاركة في مؤتمر (المرأة المهاجرة) الذي عقد في دبي، وكانت هذه الطيبة قد تعرضت سابقا لمحاولة اعتداء وسطو على منزلها، لكنها استطاعت المقاومة والإفلات، = فعاثت في رعب مدة ثلاث سنوات ريثما تم القبض على الجاني، وقد دفعته تجربتها الشخصية إلى السفر مع مفوضية الأمم المتحدة لتشارك في حالات العلاج النفسي للمغتصبات، ودفعته أيضا إلى الوقوف بشدة وراء مشروع قانون قدم للكونجرس الأمريكي لاعتبار الاغتصاب جريمة حرب. تقول الطيبة: "وقد استطعنا رصد ١١ مليون دولار للقضاء على الآثار النفسية والجسدية، ووضعنا برنامجا لحماية الشهود، وأوجدنا لجانا تقدم الدعم المادي والمعنوي على مدار اليوم، وتعمل في نفس الوقت على تبصير النساء بحقوقهن كلاجئات." (مؤتمر المرأة المهاجرة في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ع ٨١٧، ص ٣٨)

على قيم وأخلاق أبنائها في ظل مجتمع متحرر من كل ذلك. ومن أخطر المشكلات التي أصبحت تواجه الآباء المسلمين اليوم، الانفصام بين الجيل القديم والجيل الحديث؛ فالمدارس مختلطة، والمناهج فيها كثير من التحرر، واللباس الإسلامي كان - في الماضي - يسبب حرجا شديدا للفتاة المسلمة؛ بسبب سخرية الطلاب والطالبات، لكنه اليوم قد أصبح سببا في منعها من الدراسة في العديد من الدول الغربية، إلى جانب الخوف من فقدان الهوية وغيره. فالمسلمون كلهم - وليس المرأة فقط - يواجهون تهديدات مباشرة لعقيدتهم، مما يستدعي الاهتمام في تربية النشء؛ بالسبل الكفيلة بجذبهم إلى الالتزام بالمبادئ والقيم الإسلامية.

٤- الفقر:

يقول الرسول ﷺ: " تعوذوا بالله من الفقر والقلّة والذلة. " (ابن ماجه، د.ت، ج ٢، الاستعاذه، ص ٢٦٢)، مما يشير إلى عظم الابتلاء بالفقر. لكننا ومع الأسف نجد أن غالبية الدول الإسلامية فقيرة، ونجد أن المسلمات يعانين من ويلات الفقر حتى في ظل الدول الغنية، حيث تشير المصادر إلى أن ٩٠٪ من المسلمات المهاجرات في أوروبا يعملن في مجال الخدمات، وأن ٧٣٪ من هؤلاء يعملن في مجال الخدمات المنزلية لدى سكان البلاد الأصليين. (السباعي في قضايا دولية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٣٠٠، ص ٣٢).

ونجد عمالة الصغيرات تمثل إحدى المشكلات الرئيسية التي يتسبب فيها الفقر؛ حيث يعتمد الأهالي إلى تشغيل فتياتهن من أجل المساعدة في كفاية حاجات الأسرة، وكذلك من أجل الإسهام في تغطية مصاريف زواجهن، خاصة في ظل عدم إدراك الأهالي للجدوى العائدة عليهم من تعليم الفتيات (أبو الذهب في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٧٨).

ومن بين الأعمال التي تقوم بها الفقيرات:

أ - صناعة السجاد: خاصة في المغرب حيث يبدأ تشغيل الفتيات في هذه الصناعة من عمر خمس سنوات ولمدة ١٢ ساعة يوميا، وفي ظل ظروف سيئة، على الرغم من وجود قوانين تحظر عمل الأطفال قبل سن الثانية عشرة (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٧٨).

فلا بد من توعية أفراد المجتمع المسلم؛ بخطورة عمالة الصغيرات من حيث ظروف

العمل السيئة التي تحرمهن من المزايا التي يتمتع بها العاملون، إضافة إلى أن كثيرا من الأعمال تتم في ظروف خطيرة تهدد حياتهن وأخلاقهن.

ب - التسول: فكثيرا ما نشاهد أطفالا من الجنسين يتنقلون في زحمة الناس وشدة الحر بين السيارات، يسألون حاجتهم معرضين حياتهم للخطر، ونجد من بين هؤلاء الأطفال من يعول أسرته بما فيهم الآباء الذين يجلسون في بيوتهم ويرسلون أبناءهم لجلب الرزق. وهناك من الأسر من تفقد عائلها فنجد الابن أو الابنة تمثل المعيل الوحيد للأسرة. وعلى الرغم من أن بعض الدول تقدم إعانات لأمثال هؤلاء؛ إلا أنها في ظل الضغوط الاقتصادية المتزايدة في أنحاء العالم كافة لا تكاد تجدي شيئا. ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع رجالا ونساء إلى أهمية الرفق بإخوتهم من الفقراء، ومد يد العون لهم، وكفایتهم عن سؤال الآخرين من خلال مشاريع إنتاجية تسهم في تشغيل الأيدي العاطلة وكفایتها مؤنة العيش.

كذلك ينبغي توعية أفراد المسلمين بخطأ الاعتماد على التسول، وكيف أن من يسأل الناس يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم كما أخبر الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه: " ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم. " (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢، الزكاة / ٥٣، ص ١٣٠)

ج - الخدمة في المنازل: حيث يقوم الأهالي بإرسال فتياتهم إلى الخدمة في المنازل وهن في سن صغيرة لا تتحمل الإرهاق الذي يسببه العمل المنزلي، ولا تتحمل نفوسهن البريئة الإهانات التي قد يتلقينها من مخدماتهن مما يدفعهن إلى التشرد أو الانتحار^(١).

وتشير دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر على ١٠٥٥ فتاة من الساقطات؛ أن ٧٨٪ منهن تبلغ أعمارهن ما بين ١٥-٢٦ عاما، وأن ٧٥٪ منهن ينتمين إلى الطبقات الفقيرة. مما يشير إلى عظم المصيبة التي تحل بالمجتمع الإسلامي جراء

(١) انتحرت طفلة عمرها ثماني سنوات تعمل خادمة، وأمها كذلك تعمل خادمة من أجل مساعدة الأب على أمور الحياة. أما السبب فهو معاناتها من الضرب والإهانة على يد مخدمتها التي عندما هربت منها؛ أعادها إليها والدها، ولا استمرار نفس المعاملة لم تجد الطفلة منقذا لها سوى إشعال النار في جسدها. (انتحار "كريمة" يفتح الملف الأسود في المسلمون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٢٥)

الفقر إذا ما صاحبه سوء التربية والتوجيه (جلاء في المسلمون ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٦٥).

٥- المرض:

تشير الدراسات إلى أن إهمال صحة المرأة وتغذيتها شديد في بعض الدول خاصة الآسيوية، إلى الدرجة التي جعلت المرض يتغلب على " ميل المرأة البيولوجي للعيش عمراً أطول من الرجل " (تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤).

وتشير التقارير إلى أن النساء في الدول النامية وكذلك النساء المحرومات اقتصادياً في بعض الدول الصناعية يعانين أعلى معدلات العالم لمضاعفات الحمل والأمراض المنقولة جنسياً، والسرطانات التوالدية. ففي بنغلادش تمثل الأسباب التوالدية العوامل الرئيسية في وفاة أكثر من نصف وفيات النساء في سن الإنجاب (جاكسون، د.ت، ص ١٣٦).

ويعتبر سوء التغذية أيضاً من أبرز جوانب معاناة المرأة في الدول الفقيرة، والذي يتسبب فيه - وإلى درجة كبيرة - التفرقة في المخصصات الغذائية بين الذكور والإناث ويحدث ذلك في معظم مناطق جنوب آسيا وغيرها من الدول. لكن في هذه الدول بالذات ينظر إلى الفتاة على أنها استثمار تحفه المخاطر بسبب تكاليف زواجها الضخمة. والتقليد المتبع في هذه الدول؛ هو أن يأكل النساء بقايا أطعمة الرجال، إضافة إلى أن النساء يطعمن أنفسهن أقل ما يمكن في مواجهة كميات الغذاء المحدودة. وقد وجد أن ما يقارب ٥٠٪ من الأمهات المرضعات يستهلكن أقل من ٧٠٪ من السعرات الحرارية التي تحتاجها أجسامهن. ويزداد الأمر سوءاً مع التقدم في العمر بسبب نقص المخزون من الحديد من خلال الحيض والإنجاب؛ مما يمكن أن يتسبب للمرأة في حدوث إعاقات دائمة مثل نقص الوزن وقصور النمو البدني والعقلي إلى جانب القابلية الكبيرة للإصابة بالأمراض وغيرها. (جاكسون، د.ت، ص ١٤٠)

فالأمر يستدعي الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع بأهمية الرعاية الصحية للجميع بصفة عامة، مع إلقاء مزيد من العناية على أهمية صحة المرأة والتركيز في ذلك على:

- ١- المآسي الناجمة عن الأمراض الخطيرة، والوراثية، والمعدية للوقاية منها.
- ٢- التأكيد على خطأ الاستسلام للقدر وأهمية الأخذ بالأسباب في دفع الأمراض.

ونجد السنة النبوية توجه المؤمنين من خلال المرأة إلى أهمية اللجوء إلى الله عند الابتلاء بالمرض؛ بالدعاء والصبر على الابتلاء، لما في ذلك من تكفير للذنوب والخطايا. فقد دخل الرسول الله ﷺ على أم السائب (أو أم المسيب) فوجدها ترتعد من الحمى فسألها: "مالك ترفزين؟ قالت: من الحمى لا بارك الله فيها. فقال ﷺ: لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير"^(١) خبث الحديد. " (مسلم، د.ت، ج ٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٣).

كما ورد في السنة أيضا " أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك! فقالت: أصبر، قالت فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. " (مسلم، د.ت، ج ٤، البر / ١٤، ص ١٩٩٤).

٤- وسائل النجاح في الابتلاء:

ينبغي على التربية أن تعمل على توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى حسن الاستعداد لمواجهة الابتلاءات، حتى لا يصيبها الفزع ويقعدها العجز عن التصرف إزاءها. ويحتاج ذلك إلى تعريف المرأة بالوسائل التي تساعد على النجاح في الابتلاء. والتي من بينها:

أ - الحفاظ على الفطرة.

ب - الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة.

ج - الاسترشاد بالوحي.

د - الالتزام بالصبر.

وتفصيل ذلك كالتالي:

أ - الحفاظ على الفطرة:

تمثل الفطرة " سلامة القلب وقبول إرادته للحق الذي هو الإسلام. " (ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ٢٤٧).

وتوجه الأصول العقديّة في السنة النبوية إلى أن الإنسان لو ترك من غير مؤثرات

(١) منفخ الحداد. (الرازي، د.ت، ص ٥٨٥)

خارجية لما اتجه إلى غير الإسلام؛ لأن الفطرة تساعده على اكتشاف الحق والتوجه إليه. وإلى ذلك يشير قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة. "مسلم، د.ت، ج ٤، القدر/٦، ص ٢٠٤٧-٢٠٤٨).

ويذكر جعفر شيخ إدريس أن فطرة الإنسان على الخير معناها شيئين اثنين:

الأول: أن الله قد صاغ الإنسان وكونه بحيث لا يصلح له إلا الخير.

الثاني: أنه تعالى تفضل فجعل المعرفة بهذه الحقيقة أمراً مستقراً في نفس الإنسان لا يحتاج إلى تعلمه من الخارج، وإن كان العلم الخارجي يزيده قوة. (إدريس في المسلم المعاصر، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ع ١٣، ص ٧٨).

فالإنسان إذا ما استخدم ما وهبه الله من قدرات وحواس بصورة صحيحة؛ فإنه لا محالة يصل إلى التعرف عليه؛ ولذلك فإن من يتصرف بنفسه بما لا يوافق فطرتها يعتبر صارفاً لعبوديته عن الله إلى غيره.

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن من مميزات الفطرة أنها أصيلة في النفس الإنسانية؛ ولذلك يحدث لدى البعض أن تتوارى لديهم لبعض الوقت بسبب الغفلة أو الإعراض عن هدي الله، لكنها سرعان ما تعود في وقت الشدة. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

فالفطرة تدعو الإنسان إلى التوجه نحو خالقه، لكن المؤثرات المحيطة قد تنحرف به عن الطريق السوي؛ ولذلك يحتاج الإنسان إلى أن يتعهد بالتربية من أجل الحفاظ عليه من شر شياطين الإنس والجن، الذين أشار إليهم الحديث القدسي في قوله تعالى: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم»^(١) عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» (مسلم، د.ت، ج ٤، الجنة/ ١٦، ص ٢١٩٧).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الحرص على تنمية فطرة الخير لديها بحيث توجه إرادتها نحو خالقها الذي منحها حرية الاختيار بين صنوف ما تتعرض له من

(١) طافت بهم. (الرازي، د.ت، ص ١١٨)

ابتلاءات. والحرص أيضا على تنمية ما يعبر عنه بـ "الضمير" لديها، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم بـ (النفس اللوامة). وذلك حتى يتكون لديها وازع ذاتي باطني يدفعها إلى الإخلاص في عبوديتها لله. وبذلك يتحقق في نفسها ما عبر عنه مدني " بالتعايش الباطني بين العقيدة والفطرة "، بحيث تصبح لديها وحدة بين التعاليم المتلقاة، والسلوك في واقع الحياة بعيدا عن الازدواجية والتناقض. ولابد من الاستمرار في تهذيب المرأة من أجل الوصول بها إلى مرتبة النفس المطمئنة التي تتطابق مقاصدها وغاياتها مع مقاصد الشرع وغاياته. (مدني، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٦٦-١٦٧).

كذلك لابد من العمل على هدم الأفكار والمشاعر والتصورات الجاهلية التي تراكت على فطرة المرأة المسلمة المعاصرة فجعلتها تعمى عن رؤية الحقيقة، وتنجرف وراء أوهام الحرية والمساواة، وذلك من أجل إعادة تنميتها بصورة سليمة.

ب- الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة:

وأدوات المعرفة هي العقل والسمع والبصر:

١- العقل:

جاء في مقاييس اللغة أن العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل. (ابن فارس، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، ج ٤، ص ٦٩).

ومهمة العقل الأولى هي إرشاد الإنسان إلى ما يوافق فطرته. وتفكر الإنسان بعقله معتمدا على ما يظهر له من صدق المعجزات هو الذي يساعده على النجاح فيها يتعرض له من ابتلاءات. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم].

فالعقل هو أداة الإنسان للوصول إلى معرفة الخالق، ولذلك يخبر القرآن الكريم عن ندم الذين لا يستخدمون عقولهم يوم لا ينفع الندم: ﴿وَقَالُوا لَوْكُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [١٠] فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ [١١] [الملك].

لكن؛ لأن العقل يحتاج إلى ما يعينه على حسن الإدراك؛ فقد أمد الله الإنسان بأدوات

المعرفة وهما السمع والبصر.

٢- السمع والبصر:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أمد الإنسان بهاتين الأداتين حتى يتمكن من إدراك آياته في الكتاب وفي الآفاق والأنفس، فبدونهما يفوت الإنسان كثير من آيات عظمة الله سبحانه وتعالى.

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَلْبَتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام].

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الاستخدام الصحيح لأداتي السمع والبصر، وأن ذلك هو الذي يحفظها من الغفلة عن آيات الله، ويوصلها إلى معرفة قدرته المطلقة، وعلمه المطلق، فتعبده حق العبودية، وتحفظ نفسها من الانجراف وراء الهوى والشهوات.

وعلى الرغم من أن هاتين الأداتين تساعدان الإنسان على الاهتداء إلى ما يوافق الفطرة، إلا أنها لا تمكنان الإنسان من معرفة دقائق الشرع ومن ثم احتاج الإنسان إلى وسيلة أخرى ترشد إدراك العقل والحواس وهي الوحي.

ج- الاسترشاد بالوحي:

كلمة وحي تطلق على كل ما يلقيه المرء لغيره ليعلمه، ثم غلب استعمالها على ما يلقي إلى الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى (الزبيدي، د.ت، ج ١، ص ٣٨٤ / ابن منظور، د.ت، ج ٣، ص ٨٩٢).

وقد عرفه محمد رشيد رضا بأنه " ما أنزل الله على أنبيائه وعرفهم من أنباء الغيب والشرائع والحكم " (رضا، د.ت، ص ٤٤).

فالوحي هو الذي يرشد الإنسان إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، ويضع الحوافز التي تضبط سلوك الإنسان وتدفعه إلى سلوك سبيل الخير والنفور من سلوك سبيل الشر، وذلك بما يستخدمه من وسائل الترغيب والترهيب، وما يكشفه للإنسان عن

أعدائه من شياطين الجن وأعوانهم من داخل النفس وخارجها.

فالشیطان غیب لا یراه الإنسان، ویشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ دُرُوكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، كما أن له قدرة على التأثير على الإنسان - كما أشرنا من قبل - ولولا الوحي ما تمكن الإنسان من تبين مسالكه.

أما أعوان الشيطان فإنهم كما أشرنا ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: أعوان من داخل النفس: حيث نجد التوجيهات التربوية في القرآن الكريم توضح ميل النفس نحو الشهوات ما لم تنبه إلى نتائج ذلك الميل بدون ضوابط. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

القسم الثاني: وهؤلاء يتمثلون في أعداء الإنسان من الكفار والمنافقين. ونجد الأصول العقدية في القرآن الكريم تكشف كثيرا من شئون المنافقين، وأهل الكتاب؛ توجيهها للمؤمنين من أجل أخذ الحيلة والحذر.

كذلك فإن الوحي هو الذي يوضح للإنسان نتيجة سلوكه لأي من السيلين؛ الخير أو الشر. فهو يعرف الإنسان بنتائج اختياره في الدنيا وما ينتظره من جزاء في الآخرة مما لا سبيل للعقل إلى الوصول إليه.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ توجيهها إلى أهمية التدبر فيما جاء به الوحي، والاسترشاد به في الاختيار بين صنوف ما تتعرض له من ابتلاءات، بحيث تجعل من الوحي حجة لها لا عليها. وبذلك تكون ممن يدخل في رحمة الله، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

ولا تكون ممن ظلم نفسه وصرف عن آيات الكتاب ممن قال عنهم القرآن الكريم:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

د- الالتزام بالصبر:

الصبر لغة: "الحبس والكف".

واصطلاحاً: "حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى".

(ابن القيم، د.ت، ص ١٥٥، ص ١٦١)

والصبر هو الفضيلة الوحيدة التي تكرر ذكرها سبعين مرة في القرآن الكريم، وهو ملكة اكتسابية تتحصل بتعويد النفس عليها وتنشأ عن الإيمان، (رضا، د.ت، ج ٢، ص ٣٥)، حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾** [البقرة]، وذلك إنما يدل على عظم الجهد المطلوب بذله من قبل الإنسان من أجل الاستقامة على طريق الحق.

فينبغي الاهتمام بتعويد المرأة المسلمة المعاصرة منذ الصغر على اكتساب هذه الملكة، وذلك من خلال تعريضها لألوان مختلفة من الخبرات والتجارب التي تحتاج في أدائها إلى صبر ومصابرة.

وقد أورد ابن القيم في مدارج السالكين أنواع الصبر فذكر من بينها:

١- الصبر لله: وذلك بتحمل الأذى في سبيله من أجل نيل الأجر والثواب.

٢- الصبر بالله: وذلك بالاستعانة بالله في مواجهة الابتلاءات.

٣- الصبر على طاعة الله: وذلك بتحمل أعباء العبادة من خلال إطاعة الأوامر واجتناب النواهي.

٤- الصبر عن معصية الله: وذلك بكف النفس عن إرضاء شهواتها بغير ما أحله الله.

٥- الصبر على أقدار الله: وذلك بالصبر على الابتلاءات التي تصيب الإنسان.

(ابن القيم، د.ت، ص ١٥٥ - ١٧٠)

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه هو تربية المرأة المسلمة المعاصرة على الصبر على مشقة

التكاليف، والصبر عن اتباع الشهوات، والصبر على ما يصيبها من ابتلاءات.

يقول ابن تيمية:

"فالدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر. بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر. قال معاذ: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد...." (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، ج ١٠، ص ٣٩).

وتربية المرأة المسلمة المعاصرة على الصبر؛ تعينها على تحمل ما تلاقيه من عنت في حياتها العامة والخاصة؛ خاصة في عصرنا الحاضر الذي سادت فيه القيم المادية، وتفككت فيه الأواصر بين الناس حتى أصبح الأخ لا يراعي حق أخيه.

فهي في علاقتها مع والديها تحتاج إلى الصبر على أداء حقيقتها خاصة عند الكبر. وفي علاقتها مع زوجها تحتاج إلى الصبر على أداء حقوقه، وعلى ما قد يصيبها منه في حالة الجهل. وفي علاقتها مع أولادها تحتاج إلى الصبر في تربيتهن، وفي علاقتها مع الآخرين تحتاج إلى الصبر تجاه ما قد تلاقيه معهم من صعوبة في التكيف، وهكذا.

فتوعية المرأة بحقيقة علاقة الابتلاء، وتربيتها على الصبر؛ تحفظ لها صحتها النفسية، وذلك لأن أحداث الحياة اليومية - كما يشير د. عبد الستار إبراهيم - وتبدلاتها يمكن أن تشكل ضغوطاً على الفرد يستجيب لها الجسم سواء كانت سلبية أو إيجابية، وأن الأحداث السلبية يمكن أن تسبب ضغوطاً تفضي إلى أمراض عضوية، وتزداد خطورتها مع البدايات الأولى لوقوعها^(١). فمثلاً قد يؤدي اليأس على فقد عزيز إلى إضعاف جهاز المناعة للجسم والإصابة بالأورام السرطانية، كما أن الضغوط المرتبطة بالغضب والخوف والفرع ترتبط بأمراض الربو، وهكذا. وفي مقابل ذلك فإن الانفعالات الإيجابية - أي التفاؤل - تقلل من نسبة الإصابة بالأمراض، فملتفائلون هم أقل الناس عرضة للأمراض وأسرع في الشفاء من غيرهم (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٥٥ م، ع ٤٨٠، ص ٣٢-٣٣).

(١) في دراسة أجريت على عينة من المتزوجين تبين أن نسبة الوفيات بين الأرامل تزيد ٤٠٪ عن المتزوجين في الستة شهور الأولى لموت الزوجة. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٤٨٠، ص ٣٣).

ثالثاً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة: علاقة مسئولية وجزاء:

أشرنا سابقاً إلى أن حياة الإنسان في الأرض؛ ابتلائية مؤقتة، بينما حياته في الآخرة أبدية، وتشير آيات القرآن الكريم إلى أن الإنسان سوف يسأل في الآخرة عما ابتلى به في الحياة الدنيا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

وتعمل علاقة المسئولية على الربط بين الابتلاء والجزاء بحيث تجعل من الدنيا والآخرة طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتعريفها بحقيقة هذه العلاقة، وكيف تحققها في واقع حياتها بما يرضي الله سبحانه وتعالى. ويمكن لذلك أن يتحقق من خلال تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالآتي:

١. فهم المعنى الحقيقي لعلاقة المسئولية والجزاء.
 ٢. إدراك مسئوليتها تجاه نفسها وتجاه الآخرين.
 ٣. التعرف على صور الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية في الدنيا والآخرة.
- وتفصيل ذلك كالتالي:

١- معنى المسئولية:

لغة: ما يكون به الإنسان مسئولاً ومطالباً عن أمور أو أفعال أتاها. (معلوف، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م، ص ٤١)

اصطلاحاً: ترتب الجزاء من الله تعالى على ما يأتي به المكلف من أعمال أو أقوال أو نيات - باختياره، سواء أُلزم بها شرعاً، أو التزم بها بمقتضى الشرع (عابد، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ص ٧١).

وتوجه الأصول العقديّة في القرآن الكريم إلى أن الإنسان مسئول عن الأمانة التي كلفه الله بها حين أهبط إلى الأرض: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب].

وهذه المسؤولية قد جاء الرسل بتوضيح لتفصيلاتها، وللجزاء المترتب عليها. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب-٣٩]. والأمانة بلفظها العام تشمل جميع الوظائف التي تحقق كمال العبودية لله، فهناك أمانة الإنسان مع نفسه، ومع أسرته، ومع أقاربه، ومع مجتمعه، ومع الإنسانية جمعاء، ومع الكون من حوله، فهي مسؤولية شاملة وعامة أشار إليها الرسول ﷺ بقوله: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٢، الاستقراض، ص ٨٨).

وأشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَوَرِّدْكَ لِنَسَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥) [التوبة]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٦١) [فصلت].

وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: "لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم" (الترمذي، د. ت، ج ٤، القيامة/ ١، ص ٥٢٩).

فالسؤال يتناول جميع ما وهبه الله للإنسان من نعم مادية ومعنوية، من حيث أدائه واجب الشكر عليها تجاه خالقه أم لا.

فينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية إدراكها للمسؤولية؛ باعتبارها عاملاً مهماً من عوامل استقرار المجتمع، بما توفره من ضبط للغرائز البشرية. فشعور الإنسان بأنه سوف يحاسب ويجازى؛ يشكل لديه عاملاً قوياً يدفعه إلى محاسبة نفسه استعداداً لذلك اليوم، إلى جانب أنه يهبه اطمئناناً نفسياً وثقة بمستقبله في الآخرة إذا ما أحسن.

وللمسؤولية أركان ثلاثة: السائل وهو الله، والمسئول وهو الإنسان والمسئول عنه وهو ما جاء به الرسل. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦) [الأعراف].

٢- مسؤولية المرأة المسلمة المعاصرة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أن مسؤولية الإنسان هي ذات شقين: مسؤوليته تجاه نفسه، ومسؤوليته تجاه الآخرين^(١).

ومسؤولية الإنسان تجاه نفسه تتمثل في تربيتها على تحقيق العبودية لله، وذلك من خلال تزكيتها وتطهيرها من المعوقات كافة؛ من أمراض اجتماعية ونفسية، كالظلم، والحسد، والعجب والغرور والكبر، وغيرها؛ لأن هذه التزكية هي التي تدفعها إلى الالتزام والتحقق بثمرات الشعور بوحداية الله، والتعبد له؛ من صبر وشكر وتوكل وإخلاص وصدق وغير ذلك (حوى، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ٣٥).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة العمل على تنمية إحساسها بالمسؤولية أمام الله؛ حتى تبقى دوماً في حالة الوسطية التي تمنعها من الطغيان وتجاوز الحد في حالة القوة والغنى، وتقيها من الهوان في حالة الضعف والفقر. (الكيلاني، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ص ٤٠).

ويحتاج الأمر إلى تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الأمراض الداخلية التي يمكن أن تشكل أكبر وأخطر المعوقات؛ ولذلك فإنه لا بد من تعويدها على النقد الذاتي الذي يمنعها من إلقاء المسؤولية على الآخرين فيما قد يصيبها من ابتلاءات الضراء؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران: ١٦٥].

والمرأة المسلمة المعاصرة قد لحقها كثير من الإصابات. وتغيير وضعها الحالي؛ يحتاج إلى نقد ذاتي من قبل المرأة نفسها لكي تدرك نواحي القصور لديها؛ ثم تعمل على تغييرها، بحيث تنعكس آثار ذلك التغيير على سلوكها في واقع الحياة.

والله سبحانه تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، مما يشير إلى أن جميع مسؤوليات المرأة تقع ضمن نطاق استعداداتها وقدراتها، وفي التزامها بالإحسان في أداؤها؛ إقرار لخالقها بالسيادة المطلقة، وأداء لحقه في شكره على نعمه، ومن ثم فلا عذر لمقصرة أبداً.

(١) انظر بالتفصيل مسؤولية المرأة تجاه الآخرين في المبحث التاسع.

والوسع يتسع مع بذل الجهد، فمن يصلح أمر نفسه يمكنه أن يتوسع فيعمل على إصلاح من حوله من الأقارب والجيران. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الحاثية: ١٣]؛ يشير إلى أن بوسع الإنسان أن يسخر كل ما في الكون لخدمة مصالحه إذا ما جد واجتهد (لحام، من هدي سورة البقرة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٥٨٠).

وتؤكد الأصول العقدية في القرآن الكريم على فردية التبعة، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر]. وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهذا يحتم أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما يعينها على استخدام ما وهبها الله من قدرات وإمكانات بما يحقق الغاية التي وجدت من أجلها. فمثلاً؛ تستخدم سمعها ضمن حدود العبودية فلا تتجاوز به إلى سماع الغيبة، والنميمة، والفحشاء، وكذلك بصرها لا تتجاوز به إلى ما لا يحل النظر إليه، ولا تتكلم إلا بخير، ولا تتجاوز أوامر الله ونواهيه، ولا تهمل قدراتها على التعلم، لكن لا تتجاوز بها إلى تعلم ما لا يجوز لها شرعاً؛ كالسحر والشعوذة وغيرها.

٣- الجزء الإلهي على تحمل المسؤولية:

تنص الأصول العقدية في القرآن الكريم صراحة على وحدة القاعدة في معاملة شقي الإنسانية. فالمرأة قادرة على الإسهام بدورها في إصلاح الإنسانية، ومن ثم تجازى على ذلك مثلها في ذلك مثل الرجل. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

فالنوعان متساويان في قاعدتي العمل والجزاء، وبدون الإيمان لا يتم أي بناء صالح، والعقيدة هي الأساس في توجيه الأعمال نحو الخير، وجزاء ذلك الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة.

وقد أشارت بعض التفاسير إلى أن لفظ "من" يفيد العموم، وهو يشمل النوعين،

لكن النص قد فصل بعد ذلك حتى يزيل أي وهم بتخصيص الذكور دون الإناث. والمقصود بالعمل هنا أي عمل سواء كان كبيرا أم صغيرا. (الرازي، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م، ج ٢، ص ١١٢).

والآية تشير إلى جزاء الإيثار والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، وهنا تبرز أهمية ترغيب المرأة المسلمة المعاصرة في العمل الصالح، وتوجيهها إلى سبل أدائه، بما يحقق لها ثمراته في الدنيا لتبشر بفوزها في الآخرة، بحيث تجعل رضا الله غايتها في كل ما تقوم به من أعمال. وبدون ذلك فإنها قد تتسبب لنفسها في حياة "الضنك" والشقاء التي يحياها الغافلون عن حقيقة عبوديتهم لله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه]، فهو دوما في قلق وحيرة وشك بلا اطمئنان ولا استقرار، ويحشر يوم القيامة أعمى؛ لأنه لم يبصر آيات الله وتوجيهاته.

وتشير السنة النبوية إلى أن مسلمة صدر الإسلام قد كانت حريصة إلى درجة كبيرة على تعرف مسئوليتها والجزاء المترتب عليها، ويدل على ذلك ما حدث من أسماء بنت يزيد رضي الله عنها التي ذهبت إلى الرسول ﷺ وقالت: "إنني رسول من ورثي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي. إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فأمنّا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم. وإن الرجال فضلوا بالجمعات، وشهود الجنائز، والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد؛ حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟".

فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه، فقال: هل رأيتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟ فقالوا: بلى والله يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها لموافقته يعدل ما ذكرت، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر، استبشارا بما قال لها رسول الله ﷺ. " (ابن عبد البر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ٢٣٧-٢٣٨).

وتوجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء الإلهي يتخذ صورتين اثنتين: إما مكافأة، أو عقاب؛ فالمكافأة للمحسن، والعقاب للمسيء، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

كذلك توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء الإلهي يتحرك بين

العدل والفضل: فالعقوبة عدل لمن أساء، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]

ويتفضل الله سبحانه وتعالى بالمشوبة لمن أحسن، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].
أيضا توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن الجزاء نوعان: جزاء معجل في الدنيا، وجزاء مؤجل في الآخرة.

أ- الجزاء المعجل في الدنيا:

وهذا يكون إما بالمكافأة، أو بالعقاب.

والمكافأة في الدنيا تتخذ صورتها لا يمكن حصرها ومنها:

١- الهداية والمعية: ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

٢- التوفيق إلى العلم النافع والعمل الصالح: ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص].

٣- الأثر الحسن بعد وفاة الإنسان: فقد أشار سبحانه وتعالى إلى جزائه لإبراهيم على حسن تسليمه لأوامر ربه بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [٧٨] سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ [الصافات].

٤- الحياة الطيبة في الدنيا: ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٧].

والحياة الطيبة تشمل كثيرا من الرغائب المادية والمعنوية؛ كالصحة والسعادة والطمأنينة والنصر والبركة والمال والعقار وغيره.

ب- العقاب المعجل في الدنيا :

وهو الجزاء الذي قرره الإسلام لمن ارتكب مخالفة تستوجبه. وذلك من أجل الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره من خلال نشر الفضيلة ومنع الرذيلة.

وكل عقوبة قررها الإسلام تتناسب مع الذنب المقترف، كما أن الحدود تتفاوت من حيث قوة الحق بجوار حق الله تعالى " فبعضها حق لله تعالى خالص، وبعضها للعبد فيها حق بجوار حق الله، و الأساس في هذا هو ملاحظة الجانب الشخصي في الجريمة بجوار الجانب الاجتماعي، وقوة أثر الجريمة في المجتمع وضعفه. " (أبو زهرة، الجريمة... د.ت، ص ٦٧).

فالتلاعب بالدين تبعاً لأهواء النفس بالردة عنه جزاءه القتل، والزنا له عقوبتان: الرجم للمحصن ومائة جلدة وتغريب عام لغير المحصن. وهنا ليس المعتبر هو مقدار الاعتداء على المزني بها، بل ما يترتب على شيوع هذه الجريمة من نتائج خطيرة على المجتمع، كاستعاضة الناس عن الزواج بالعلاقات غير المشروعة، وما ينتج عن ذلك من انحلال أخلاقي، وتفكك أسري وأطفال غير شرعيين، واختلاط في الأنساب، إلى جانب تبديد الأموال على البغايا، وانتشار للأمراض، وكل ذلك من دواعي تحطيم المجتمع من النواحي الدينية والاقتصادية والأخلاقية.

كذلك الأمر في عقوبة السرقة حيث ينظر فيها إلى النتائج المترتبة على السرقة من حيث إنعدام الأمن، وليس إلى قيمة المسروق.

ونجد القرآن الكريم يقدم الذكر في السرقة على الأنثى، في حين يقدم الأنثى على الذكر في الزنا: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] ، وقال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور].

فكان ذلك لقوة شهوة المال لدى الذكر، وسهولة مطاوعة الأنثى في حالة الزنا؛ فجاء التعبير مناسباً للظرف. (عابد، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ص ٢٨٢).

وهناك عقوبات غير مقدرة تركت لولي الأمر، وهي ما يعرف بالتعزير.

والتعزير هو العقوبة المشروعة على جنائية لا حد فيها، وهي متروكة لولي الأمر في تقدير مقدارها. (أبو زهرة، الجريمة... د.ت، ص ١٢٣ - ١٢٤).

ج - الجزء المؤجل في الآخرة:

توجه الأصول العقدية في القرآن الكريم إلى أن هذا النوع من الجزاء يكون بعد انتهاء حياة الإنسان؛ حيث يحاسب ثم يجازى على ما قدمه من عمل في الدنيا؛ يسجل عليه بواسطة الملائكة:

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۖ كَرَامًا كُنِينَ ۖ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كُنِينَ ۖ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۖ ﴿١٢﴾﴾ [الأنطار].

وهذا الجزاء يتحرك أيضا بين العدل والفضل الإلهيين ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام].

فأدنى جزاء الحسنة عشر أمثالها ويضاعفها الله إلى ما يشاء، وأعلى جزاء السيئة مثلها وأدناه لا حد له فهو يدخل تحت فضل الله غير المحدود، وأوسط مراتبه التفضل بالعفو الكامل، ثم تأتي مراتب التفضل والإحسان ما لم يصاحب الذنب إشراك بالله ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وتبرز قمة العدل الإلهي في الجزاء الأخروي في المقام الرفيع الذي يناله المؤمنون ذكورا وإنثا والمصير الأليم الذي يناله الأشقياء ذكورا وإنثا، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ يَوْمَ جَنَّتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقَسِيْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۖ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد].

وهناك آية تدل على كمال العدل الإلهي في جزاء المؤمنين والمؤمنات ذكورا وإنثا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِظِينَ وَالْخَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

فهذه الآية تشير إلى عشر مراتب تتعاون في تكوين الشخصية المسلمة، لا بد من أخذها بعين الاعتبار عند إعدادها للمرأة، وهي تؤكد على المساواة بين النوعين وصولا

إلى الجزاء العادل يوم القيامة.

فالإسلام رضوخ لأوامر الله عن طواعية، والإيمان تصديق قلبي يدفع صاحبه إلى العمل الصالح وعبادة الله عن رضا قلبي تام دون إكراه وهو القنوت، وبعد الإيمان والعمل الصالح يندفع المسلم لإصلاح غيره فيصدق حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهنا تعرض له صنوف الابتلاءات بسبب ما يتحملة من تكاليف العقيدة، حيث يكون قدوة في نفسه، كذلك ما يتحملة من أذى الآخرين ممن يدعوهم فيحتاج مع ذلك كله إلى الصبر، ثم يأتي الخشوع ليمنعه من الإعجاب بنفسه، وتأتي الصدقة لتطهر نفسه من الشح وتشيع روح التكافل في المجتمع إضافة إلى شكر المنعم، ويأتي الصوم من أجل الاستعلاء على الشهوات وتقوية الإرادة، ويأتي حفظ الفرج لينظم العلاقات ويرقيها، ويأتي الذكر ليصل بين نشاط الإنسان كله في جميع لحظات حياته.

وبذلك تتكامل الشخصية المسلمة وترتفع منزلتها عند الله. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ج ٥، ص ٢٨٦٣ - الرازي، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م، ج ٢٥، ص ٢١٠ - ٢١١ - الخازن، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م، ج ٣، ص ٤٦٧).

فينبغي إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تدرك آثار تحقيق كمال عبوديتها لله لتنتقل في جميع نشاطاتها من عقيدتها، وتوضح لها كذلك الآثار المترتبة على الانحراف عن منهج الله. فالطريق إلى نعيم الدنيا والآخرة هو طريق واحد، ولكن هذه الحقيقة تغيب عن أذهان كثير من الناس خاصة في وقتنا الحاضر الذي شاعت فيه القيم المادية التي أعمت بصائر الناس عن إدراك النعيم الآجل.

والاستقامة على طريق عبادة الله؛ عبادة ينال الإنسان عليها الثواب في الدنيا والآخرة، ويدخل ضمن ذلك العمل من أجل الارتقاء بالحياة، فهو عبادة أيضا، والقعود عن ذلك عصيان وإهمال لمسئولية الإنسان في عمارة الكون.

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى عدم الانخداع بمظاهر الرخاء المادي التي قد تبدو لدى من خدعوا بزخرف الحياة الدنيا. فليست كل نعمة مثوبة، كما أنه ليست كل مصيبة عقوبة، فالنعم قد تكون مثوبة على أعمال صالحة تدفع المرء إلى الاستزادة، وقد تكون على سبيل الابتلاء والامتحان لشكر الله وطاعته: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، وقد تكون أيضا على سبيل الإهمال والاستدراج كما في حال

الكافرين والعصاة الذين تهباً لهم الفرص لئلا يكون لهم عذر، فإن لم يمتدوا يؤخذوا بانحرافهم تدريجياً، وهذا ملاحظ الآن في العالم الغربي الذي بدأت آثار انحرافه عن منهج الله تبدو فيها أخذ يشيع فيه من أمراض عصبية ونفسية واجتماعية بدافع الخوف من المستقبل المجهول الذي لا يدركون كنهه.

كذلك الحال بالنسبة للمصائب فهي قد تكون عقوبة على ذنوب ارتكبتها الإنسان، وقد تكون على سبيل الوعظ والتربية والتأديب: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى] ، هذا إلى جانب المصائب التي يتلى بها أهل الطاعة من أجل امتحان صبرهم لرفع درجاتهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة].

كذلك لابد من تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بأهمية الإيمان باليوم الآخر الذي يربط جزاء الأعمال بسعادة البقاء والارتقاء. يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". (مسلم، د. ت، ج ٤، الجنة، ص ٢١٧٤).

وتربية المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك حقيقة الابتلاء في الدنيا والمسئولية والجزاء في الآخرة ينبغي أن تكون حافزا لها للعمل من أجلهما معا؛ لأن في ذلك تحقيق لإنسانيتها التي لا تتحقق إلا بالعمل من أجل الدارين، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [الفصص: ٧٧].

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ العمل على تشكيل الأهداف التربوية والمهارات السلوكية التي تقدم إليها؛ انطلاقاً من كون السعادة والخير في الإسلام يشكّلان فصلين متكاملين؛ أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة؛ بحيث تضبط سلوكها وفقاً لما ينتظرها من جزاء، وتضبط شهواتها ودوافعها، وتوجهها نحو غاياتها البعيدة، وتعمل من أجل المستقبل الخالد الذي ينتظرها إذا ما أحسنت في أداء مسئولياتها في هذه الحياة؛ فتحيا من أجل غايات تليق بها وبالتكريم الذي جعلها الله عليه، وتؤدي دورها باعتبارها فرداً من أفراد الأمة الإسلامية التي أراد الله لها أن تكون شاهدة على الناس.

ونجد آيات القرآن الكريم تحث على العمل للآخرة حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَنَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، وتحذر من الاغترار بفوائد الدنيا العاجلة: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا" (الترمذي، ج ٤، القيامة / ٢٥، ص ٥٥٠).

* * *

الفصل الثاني

الأصول التاريخية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

يحتاج البحث في أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة إلى بلورة الأصول التاريخية لهذه التربية، وللقيام بهذه المهمة سوف نتناول في هذا الفصل الأمور التالية:

أولاً : تربية المرأة في صدر الإسلام.

ثانياً: تربية المرأة في عصور الازدهار.

ثالثاً: تربية المرأة في عصور الركود والتقليد.

رابعاً: محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث.

خامساً: واقع تربية المرأة المسلمة المعاصرة في الوقت الحاضر.

وأما تفاصيل ذلك فهي كالتالي:

المبحث الرابع

تربية المرأة في صدر الإسلام

تعتبر مرحلة صدر الإسلام مرحلة متميزة في تاريخ المرأة بصفة عامة؛ والمرأة المسلمة بصفة خاصة؛ وذلك لأن الإسلام قد استخرج الأمة الإسلامية من أحشاء العصر الجاهلي فصبغها بصبغة الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، ثم باعد بينها وبين ماضيها الجاهلي وأخرجها من عبادة الأشياء إلى عبادة رب الأشياء، ووحد بين أفرادها، وأعطاهم - رجالا ونساء - مجموعة من القيم الجديدة التي أنشئوا بها واقعا جديدا هو الأمة المسلمة التي صار فيها الرجال غير ما كانوا والنساء غير ما كن، وهو ما تجلى في شخصية الصحابة من الرجال والنساء.

وقد اعتبر الإسلام المرأة خليفة في الأرض؛ مثلها في ذلك مثل الرجل؛ ومن ثم تمتعت بجميع الحقوق الدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والعلمية التي تمكنها من الإسهام في تنمية المجتمع وإثراء الثقافة الإنسانية وصولا إلى عمارة الكون؛ متوجهة في كل ذلك بتعاليم الإسلام وقيمه.

وكان للتربية الإسلامية التي تلققتها مسلمة صدر الإسلام على يد المربي الأول، رسول الله ﷺ؛ الأثر الكبير على شخصيتها، ومن ثم وجدناها ليست مجرد مستقبل فقط لما يلقي عليها؛ بل وفاعل أيضا في الواقع الاجتماعي الجديد.

وقد قام الرسول ﷺ بتربية صحابته - من الرجال والنساء - معتمدا على القرآن الكريم الذي كان خلقه ومرجعه، وما آتاه الله من حكمة وتشريع. فقد سأل حكيم بن أفلح عائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قال: بلى! قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن " (ابن حنبل، د. ت، ج ٦، ص ٥٤).

ولأن إرادة الله سبحانه وتعالى قد شاءت أن يكون رسول الله ﷺ إنسانا تتمثل فيه الرسالة الخاتمة بكل خصائصها، ويكون بحياته ترجمة لطبيعتها واتجاهها؛ لذلك فقد

وجدنا حياته الخاصة والعامة كتابا مفتوحا لأمته وللبشرية جمعاء، تقرأ فيه صوراً حية لتطبيقات منهج الرسالة الإلهية في واقع الحياة المعاش.

ومن ثم وجدنا القرآن الكريم والسنة النبوية يعرضان كثيراً من أحداث حياته؛ حتى ما يكون منها مطوياً في العادة بالنسبة للشخص العادي؛ بل وحتى مواضع الضعف البشري التي لا حيلة فيها لأحد، وكل ذلك بهدف تربية أفراد أمته للإقتداء بسيرته ﷺ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

[الأحزاب: ٢١].

ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ قد اختار أن يعيش في هذه الدنيا عيشة الكفاف لإيثاره الآخرة على الدنيا. لكن نساءه لما رأين السعة والرخاء قد حللن عليه؛ طلبن منه الزيادة في النفقة. وقد أحزنه هذا الطلب حتى أنه احتجب عن أصحابه، وذلك لأن نفسه كانت متجردة لما هو أهم (*).

عند ذلك نزلت الآيات الكريمة؛ تحدد القيم الأساسية التي ينبغي أن تترجم واقعا حيا في بيت النبي ﷺ، حيث جاء في القرآن الكريم ما نصه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن

* عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر، فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له. فوجد النبي ﷺ حوله نساؤه، واجها ساكتا. قال فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي، فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عنقها. فضحك رسول الله ﷺ وقال: هن حولي كما ترى، يسألنني النفقة. فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها. فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها. كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده. فقلن: والله! لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعترهن شهراً أو تسعاً وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ حتى بلغ ﴿لِّلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]. قال فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أوبوك! قالت: وما هو؟ يا رسول الله! فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أوبوي؟ بل أخنار الله ورسوله والدار الآخرة. وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت. قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً. ولكن بعثني معلماً ميسراً. (مسلم، د، ج ٢، الطلاق / ٤، ص ١١٠٥).

معتاً: أي مشدداً على الناس وملزماً إياهم ما يصعب عليهم.

متعتاً: طالبا زلتهم. (النووي في مسلم، د، ج ٢، ص ١١٠٥).

كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَأَمَّا كُنْتُمْ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴿

[الأحزاب].

وكذلك نجد سورة التحريم تعرض لنا صفحة من حياته ﷺ تمثل صورة للانفعالات بين بعض نسائه، وبينهن وبينه، ثم تعقب بتوجيهات عامة للأمة في ضوء ما وقع في بيت النبي ﷺ.

أيضا نجد في سورة الأحزاب أن إرادة الله سبحانه وتعالى قد شاءت أن يتتدب رسوله ﷺ من أجل تزكية البيئة من بعض عاداتها الموروثة في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله، والأمر هنا يتعلق بإبطال عادة التبني من الناحية العملية، فقد كانت العرب تحرم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب، وما كان من أحد غير الرسول ﷺ بقادر على احتمال العبء الكبير المتمثل في مواجهة المجتمع بخارقة غير مألوقة لديهم.

وهناك أيضا قصة الإفك التي تشير إلى الابتلاء الذي هو ضريبة أداء الواجب في سبيل الله. وقد جاءت الآيات توضح كيفية معالجة أمثال هذه الابتلاءات إذا ما تعرض لها المجتمع المسلم بصفة عامة.

إن هذه الأحداث -وغيرها كثير- لتعبر عن الجهد العظيم الذي بذل في تربية مسلمي صدر الإسلام. فكأن الله سبحانه وتعالى أراد استصفاء تلك النفوس وتجريدها لدينه، فكان يأخذ أصحابها بالأحداث وبالتعقيب عليها ليريبيهم تدريجيا.

وقد أعد الله رسوله ﷺ من أجل أداء مهمته في تبليغ الرسالة التي أرسله بها إلى الناس كافة رحمة بهم؛ يبشرهم بالثواب على الإحسان، وينذرهم العقاب على الإساءة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤].

ومن ثم فقد اشتمل إعداداه على تلقينه أساليب الدعوة وتكاليفها وكيفية مواجهة المدعوين، وكيفية معاملة من يتبعه منهم.... إلخ.

ونجد في القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تشير إلى جوانب إعدادهِ ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [الأعراف].

ومن جوانب إعداد الرسول ﷺ أيضا؛ التوجيهات التي اشتمل عليها القرآن الكريم في نصحه بالتغاضي عن بعض النفوس واستخدام اللين وعدم الشدة في المحاسبة على الأخطاء، وذلك في بداية قيام المجتمع، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثم نجد الموقف يتبدل بعد أن قويت الأمة، حيث نزلت الآيات تعاتبه على تساهله مع المنافقين. قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ [التوبة].

وقد استمرت تربيته ﷺ لمسلمي صدر الإسلام منذ بعثته في مكة المكرمة وحتى وفاته في المدينة. واحتاج الأمر منه إلى جهود ضخمة، وعلاج بطيء لصغار الأمور وكبارها، فكانت حركة بناء هائلة للنفوس؛ اشتدت أحيانا حتى بلغت درجة الحدود، وورقت أحيانا حتى بلغت درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة. فكان ﷺ يعطي المثل في الصبر على تربية مسلمي صدر الإسلام - رجالا ونساء - وكان يشعرهم أنه معهم في كل شئونها صغيرها وكبيرها، حيث كان يعالجها بأسلوب تربوي حكيم؛ جعلهم يحبونه ويفدونهم بأنفسهم وآبائهم.

روى الصحابي معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، فقال: "بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم. فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم. فقلت واثكل أمياه. ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمتونني. لکني سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه - والله ما كهرني (انتهرني) ولا ضربني ولا شتمني... وإنما قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن." (مسلم، د.ت، ج ١ المساجد/ ٧، ص ص ٣٨١ - ٣٨٢).

وإلى جانب اللين والرحمة، فقد كان من صفاته ﷺ التواضع. فنجد أنه حينما يهابه أحدهم ويرتعد خوفا أمامه يهدئ من روعه.

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل. فكلمه فجعل ترتعد فرائضه. فقال له: هون عليك. فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد^(١) " (ابن ماجه. د.ت، ج ٢، ص ١١٠١).

وقد امتدح القرآن الكريم رحمته، حيث جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكان ﷺ يستخدم الدعابة أحيانا في تعليمه لأصحابه؛ ليترد بها السأم، ويخفف من جدية الحياة. ويشير إلى ذلك بقوله: " إني لأمزح ولا أقول إلا حقا " (المتقي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، ج ١، ص ٣٢٢).

وبصفة عامة؛ فقد كان ﷺ بقوله وعمله يمثل الرسالة الإسلامية التربوية في كونها إلهية واقعية إنسانية.

وسوف نستعرض فيما يلي أبرز المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام.

المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام:

تتوزع المبادئ التي قامت على أساسها تربية مسلمة صدر الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث نجد بعضها صريحا كفرضية التعلم، وبعضها يمكن استنباطه من أساليب الرسول ﷺ في التعامل مع المرأة.

وفما يلي؛ استعراض لأهم المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام:

١- التعلم فريضة:

تؤكد الأصول التربوية في السنة النبوية على فرضية العلم وترغب فيه، حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (ابن ماجه، د.ت، ج ١، المقدمة، ص ٨١)، ويقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة " (ابن ماجه، د.ت، ج ١، المقدمة، ص ٨٢).

وينبثق وجوب تعليم المرأة المسلمة من مبدأ حفظ كرامتها ومساواتها بالرجل من حيث الأصل والمسئولية. فهي مسئولة عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما فرض

(١) من اللحم " ما قطع طولا وملح وجفف في الهواء " (المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٢٤).

عليها من عبادات ومعاملات؛ فكان من واجبه أن تتعلم ما لا يتحقق لها الالتزام بالدين إلا بتعلمه.

وقد عملت التربية النبوية على صياغة مشاعر مسلمة صدر الإسلام وفقا لأهداف العقيدة، حتى يتضح موقفها من الحياة والكون والنفس والمجتمع، بحيث ينعكس أثر ذلك في استجاباتها وانفعالاتها وتصوراتها تجاه هذه الأمور من خلال ممارستها في واقع الحياة.

ومن ثم فقد كان التعليم المنهجي الموحد؛ ضرورة لازمة لمسلمات صدر الإسلام، ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يأمر الرجال بعدم منع النساء من ارتياد المساجد باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه سالم عن أبيه عليه السلام: " إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها " مسلم، د.ت، ج ١، الصلاة / ٣٠، ص ٣٢٦-٣٢٧).

بل قد وجدناه ﷺ يأمر بخروج النساء جميعا إلى المساجد، حتى الحيض منهن، وذلك كي يشهدن الخير واجتماع المسلمين في العيدين.

فقد روت أم عطية رضي الله عنها فقالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في العيد والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين. قلت يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لتلبسها أختها من جلبابها " (مسلم، د.ت، ج ٢، العيدين / ١، ص ٦٠٦).

ونهاية الحديث فيها توجيه للمرأة المسلمة بأن تبذل ما وفي وسعها من أجل شهود العيدين.

فالرسول الكريم ﷺ قد كان حريصا على أن تشارك مسلمة صدر الإسلام في التعرف على أحداث الأمة وقضاياها التي تطرح من خلال منبر المسجد. وقد أكد ذلك بفعله ﷺ حين كان يخصص جزءا من خطبته ويتجه إلى مكان تجمع النساء ليعظهن ويذكرهن.

من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: " خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: يا أيها الناس تصدقوا، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن وبم ذلك يا رسول الله ؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء... ثم انصرف " (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢، الزكاة / ٤٤، ص ١٢٦).

وقد أدركت مسلمة صدر الإسلام أهمية العلم في توسيع مداركها؛ لذلك وجدناها تطالب الرسول ﷺ بالمزيد من فرص التعلم إلى جانب ما تتلقاه مع عامة الناس.

روى أبو سعيد رضي الله عنه قال: قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً - لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال هن: " ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار فقالت امرأة واثنين، فقال واثنين. " (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ١، العلم / ٣٦، ص ٣٤).

كما أدركت مسلمة صدر الإسلام أيضاً أهمية ارتياد المسجد في صقل شخصيتها والارتقاء بفكرها، ومن ثم وجدناها تحرص على غشيان المسجد في شتى المناسبات. فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها تحدث عن شهودها لصلاة الكسوف فتقول:

" كسفت الشمس في عهد النبي ﷺ ففرع، فأخطأ بدرع، حتى أدرك بردائه بعد ذلك. قالت: فقضيت حاجتي ثم جئت ودخلت المسجد. فرأيت رسول الله ﷺ قائماً. فقمتم معه فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس. ثم ألثفت إلى المرأة الضعيفة، فأقول هذه أضعف مني فأقوم. فركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه فأطال القيام. حتى لو أن رجلاً جاء خيل إليه أنه لم يركع... " (مسلم، د.ت، ج ٢، الكسوف / ٣، ص ٦٢٦).

فكان ارتياد أسماء رضي الله عنها للمسجد وشهودها لصلاة الكسوف سبباً في أن نتعلم جميعاً كيفية صلاة الكسوف.

وتلك أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها تقول: ما أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾

﴿١﴾ [ق] إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس. " (مسلم، د.ت، ج ٢، الجمعة / ١٣، ص ٥٩٥).

فلزوم أم هشام لصلاة الجمعة مع رسول الله ﷺ قد كان سببا في حفظها لهذه السورة الكريمة.

من ذلك ندرك أهمية المسجد في تربية المرأة المسلمة وأهمية ارتيادها له بشرط الالتزام بالآداب التي أمر بها الإسلام والتي أشار إليها الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث، من بينها ما روته زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: "إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا" (مسلم، د.ت، ج ٢، الصلاة / ٣٠، ص ٣٢٨).

٢- التعليم فريضة على كل قادر عليه :

مثل الرسول ﷺ القدوة للمسلمين كافة في تحقيق فرضية التعليم بنفسه استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية توجه المسلمين كافة إلى التعليم وتنهي عن كتمان العلم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يتم إلا بالعلم.

أما النهي عن كتمان العلم فقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وفي معرض حديثه عن معنى هذه الآية؛ أشار الشيخ محمد رشيد رضا إلى أن الحكم عام: " فكل من يكتُم آيات الله وهداياته؛ فهو مستحق لهذه اللعنة " (رضا د.ت، ج ٢، ص ١٥٢).

كذلك توجه السنة النبوية إلى التعليم في قوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: " بلغوا عني ولو آية. " (الترمذي، د.ت، ج ٥، العلم / ١٣، ص ٣٩)، وقوله أيضا فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " نضر الله امرءا سمع منا حديثا حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه " (الترمذي، د.ت، ج ٥،

كما حذرت السنة النبوية أيضا من كتمان العلم وذلك في قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " من سئل عن علم ثم كتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار " (الترمذي، د.ت، ج ٥، العلم / ٣، ص ٢٩).

كذلك نجد السنة النبوية توجه المرأة خاصة إلى التعليم وذلك من خلال طلبه ﷺ من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجها حفصة رضي الله عنها رقية النملة وذلك في قوله ﷺ: " علمي هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة " (أبو داود، د.ت، ج ٢، الطب / رقم ٣٨٨٧، ص ١١).

وقد كان الرسول ﷺ مربيا ومعلما للرسالة التي أنزل بها بأقواله، وأفعاله وتقريراته. وكان القرآن ينزل عليه في كل الأوقات، ومن بينها الأوقات التي يكون فيها مع أهله. فكانت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن يشهدن ويسمعن ويتعلمن ما لا يتيسر للرجال، وكن يروين ذلك استجابة لأمر الله لن: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب-٣٤].

وبذلك كانت بيوت النبي ﷺ مدارس للتعليم، حيث كانت أمهات المؤمنين يقتدين، ويؤددين العبادات، ويتخلقن بالآداب والمعاملات التي شاهدن رسول ﷺ يتخلق بها، فكن في كل ذلك الأسوة لغيرهن من النساء والرجال، حتى أننا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كثيرا ما كانوا يختلفون في أمر ما، فيأتون إلى زوجات النبي ﷺ ليرجعوا بالجواب.

فكانت نساء النبي ﷺ شواهد اختارهن الله سبحانه وتعالى لمعايشة نبيه ؛ فنقلن بشهادتهن دقائق البيت النبوي وأسراره، وهن يؤددين مهمتهن في تربية أجيال المؤمنين والمؤمنات.

ولذلك وجدنا بيوت النبي ﷺ منارات يهتدي بها الناس، من خلال ما يتلقونه من علم على أيدي زوجاته رضوان الله عليهن، حتى بلغ ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، فلم يزد عليها من الصحابة إلا أبو هريرة رضي الله عنه (أبو سنة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٤٣).

روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط

فسألنا عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علما" (ابن الجوزي، د.ت، ج ٢، ص ٣٢).

كما روي عن عاصم بن حميد رضي الله عنه أنه قال: (سألت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك. كان إذا قام كبر عشرا، وحمد الله عشرا، وسبح عشرا، وهلل عشرا، واستغفر عشرا، وقال: " اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني وعافني، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة " (أبو داود، د.ت، ج ١، الصلاة / رقم ٧٦٦، ص ٢٠٣-٢٠٤).

وحدث أن سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن، فعندما بلغها ذلك قالت: "... يا عجباً لابن عمرو هذا!! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن! أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن؟! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات " (مسلم، د.ت، ج ١، الحيض / ١٢، ص ٢٦٠).

وهكذا ردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نظر عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وفي موقف آخر نجد السيدتين عائشة وأُم سلمة رضي الله عنهما يردان نظر أبي هريرة والفضل ابن عباس رضي الله عنهما في أن من أدركه الفجر جنباً فلا يصم. فكلتاها قالت لما سئلت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً عن غير حلم ثم يصوم^(١). " (مسلم، د.ت، ج ٢، الصيام / ١٣، ص ٧٧٩-٧٨٠).

ولم يقتصر علم السيدة عائشة رضي الله عنها على الحديث فقط؛ بل شمل جوانب أخرى من فروع المعرفة، أشار إليها عروة بن الزبير حيث قال: " ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة " (الأصبهاني، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، ج ٢، ص ٥٠).

(١) روى أبو بكر بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: " سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأُم سلمة رضي الله عنهما، فسألها عبد الرحمن عن ذلك. قال: فكلتاها قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً عن غير حلم ثم يصوم. قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان. عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول. قال فجئنا أبا هريرة. وأبو بكر حاضر ذلك كله. قال: فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتا ذلك؟ قال نعم. قال: هما أعلم. " (مسلم، د.ت، ج ٢، الصيام / ١٣، ص ٧٨٠).

وقد ذكر الشعبي أن عائشة رضي الله عنها قالت: " رويت للبيد نحواً من ألف بيت. "، وكان يتعجب من فقهها وعلمها ويقول: " ما ظنكم بأدب النبوة " (الذهبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٩٧).

كذلك روى الشعبي قال: " قيل لعائشة يا أم المؤمنين رضي الله عنها: هذا القرآن تلقيته عن رسول الله ﷺ، وكذلك الحلال والحرام. وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره. فما بال الطب. قالت كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ، فلا يزال الرجل يشكو علة فيسأله عن دوائها فيخبره بذلك فحفظت ما كان يصفه لهم وفهمته " (الذهبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٩٧).

ولم يقتصر القيام بالتعليم على أمهات المؤمنين فقط بل شمل غيرهن من الصحابيات. فهذه أسماء رضي الله عنها تروي من الأحاديث ما عدده (٤٢) اثنان وأربعون حديثاً (أبو سنة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٦٥). وتلك أم الحسن البصري رضي الله عنه تجلس لتقص على النساء بعضاً من أمور الدين (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٤٧٦).

وهناك أم شريك رضي الله عنها التي أسلمت بمكة، ثم أخذت تدعو إلى الإسلام سرا في بداية الدعوة الإسلامية، وغيرهن من الأمثلة التي استوعبت مسئوليتها في إيصال الحق إلى الآخرين. ﷺ.

٣- تكريم المرأة واحترامها:

المرأة أحد شقي الإنسان الذي أراد الله له أن يكون أفضل مخلوقاته، حيث خلقه بيده وسخر له الكون، وفضله على غيره من المخلوقات، وميزه بالقدرة على التعلم، وبالقدرة على التمييز بين الخير والشر، وأنزل له الشريعة لإصلاح أحواله ووعدته بالخلود في الآخرة إذا ما أحسن؛ ولهذا وجدنا التربية الإسلامية تستخدم أفضل الأساليب الالائقة بكرامة المرأة، وتدفعها إلى أعمال عقلها، وتنمية قدرتها على التفكير، وتنمية الإحساس لديها بمراقبة الله، حتى تعبه عن وعي وبصيرة.

وتبرز مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة؛ في تحقيقها للمساواة بينها وبين الرجل، والتي عبر عنها الرسول ﷺ بقوله لأسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها: " انصري يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء؛ أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته

واتباعها موافقته؛ يعدل كل ما ذكرت^(١) " (ابن عبد البر، ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٢٣٧-٢٣٨).

فمفهوم المساواة في التربية الإسلامية؛ يختلف عن مفهومها لدى الآخرين. فالمساواة لا تعني ذات الحقوق، أو ذات الأعمال وإنما تعني أن لكل من الجنسين مجاله الخاص الذي يبدع فيه، والتساوي إنما هو في الأجر، والمنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

ويعلق النحلاوي على نص هذا الحديث بقوله:

" وفي هذا تمام شعور المرأة بكرامتها، ذلك أن الله جعل لها فيما تقدر عليه بحكم طبيعتها الأنثوية من الثواب مثل ما خص به الرجال مما يقدرون عليه برجولتهم كالجهاد " (النحلاوي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٧٣).

ومن مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة أيضا: إتاحة الفرصة لها في الاختيار بدءا من عقيدتها وانتهاء بأدق شئون حياتها. ونجد الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة المطهرة تؤكد هذا الحق للمرأة.

ففي مجال العقيدة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وفي مجال الزواج يقول الرسول ﷺ فيها رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن " (مسلم، د.ت، ج ٢، النكاح/ ٩، ص ١٠٣٦).

وقد استمتعت مسلمة صدر الإسلام بهذا الحق في واقع حياتها، فوجدناها في المجال العقدي؛ تهاجر فرارا بدينها تاركة أهلها ووطنها، كما فعلت كل من أم سلمة، وأم حبيبة، وأم كلثوم بنت عقبة وغيرهن رضي الله عنهن أجمعين.

وفي المجال الاجتماعي وجدنا مسلمة صدر الإسلام تتمسك بحقها في اختيار شريك حياتها، وفي البقاء في عصمته أو مفارقتها.

فهذه فتاة تذهب إلى رسول الله ﷺ لتشتكي تزويجها رغما عنها فتقول:

(١) انظر الحديث ص ١٣٤.

" يا رسول الله؛ إن أبي ونعم الأب هو، زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: إني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء " (الدارقطني، د. ت، ج ٣، النكاح، ص ٢٣٢).

وتلك بريرة الجارية التي زوجت رغما عنها من عبد اسمه مغيث، فلما أعتقت طلبت الطلاق من زوجها الذي كان يطوف خلفها ويبكي من فرط محبته لها، فيقول لها الرسول ﷺ: " لو راجعته، فإنه أبو ولدك. قالت: يا رسول الله: تأمرني؟ قال: "إنما أشفع". قالت: لا حاجة لي فيه " (ابن ماجه، د. ت، ج ١، الطلاق/ ٢٩، ص ٦٧).

وفي المجال السياسي نجد لها على وعي بحقوقها في إجارة المستجير، فتطبق ذلك الحق وتمسك به. فقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن زينب بنت رسول الله ﷺ استجار بها زوجها العاص فأجارتها؛ وذلك أنه كان في تجارة لقريش إلى الشام، فلما قفل راجعا، لقته سرية من المسلمين فأخذوا ما معه وهرب هو إلى زينب فاستجار بها فأجارتها. " فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس، صرخت من صفة النساء: أيها الناس إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع. فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال: " أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟ " قالوا: نعم. قال: " أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعت وإنه يحجر على المسلمين أداناهم " (ابن كثير، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٣، ص ٣٣٢).

ولذلك وجدنا أم هانئ ؓ تحجر وتمسك بحقوقها في الإجارة. ففي يوم الفتح؛ فر رجلان من أحماء أم هانئ بنت أبي طالب ؓ إليها... تقول أم هانئ: " فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال: والله لأقتلها، فأغلقت عليها باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة يغتسل.... فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلي فقال: " مرحبا وأهلا بأم هانئ. ما جاء بك؟ " فأخبرته خبر الرجلين، وخبر علي فقال: " قد أجزنا من أجزت، وأمنا من أمنت فلا يقتلها " (ابن كثير، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٤، ص ٢٩٨).

(١) عن ابن عباس ؓ قال: كان زوج بريرة عبدا يقال له مغيث كأي انظر إليه يطوف حولها ويبكي، ودموعه تسيل على خده. فقال النبي ﷺ للعباس: " يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة مغيثا؟ فقال لها النبي ﷺ: " لو راجعته، فإنه أبو ولدك. قالت: يا رسول الله: تأمرني؟ قال: "إنما أشفع". قالت لا حاجة لي فيه " (ابن ماجه، د. ت، ج ١، الطلاق/ ٢٩، ص ٦٧).

ومن مظاهر تكريم التربية الإسلامية للمرأة أيضاً؛ أنها منحتها الأهلية الاقتصادية الكاملة فأصبحت تملك وترث وتورث، وفي سبيل ذلك أبطلت كثيراً من العادات الجاهلية التي كانت تحرمها من حقوقها.

وإجمالاً فإنه يمكن القول: إن تربية المرأة المسلمة على مبدأ الكرامة يحريها من قيود كثيرة منها:

- تحريرها من الظلم الذي حاق بها عبر التاريخ.
- تحريرها من الزعامات الزائفة؛ من الأصنام والأوثان والسحرة والمشعوذين.
- تحريرها من استعباد الشهوات التي قد تربطها بالدنيا.
- تحرير عقلها من الخرافات فلا تقبل دون برهان.
- تحرير نفسها من القلق والخوف، لأنها تستند إلى أعظم قدرة فلا مجال للخوف من المخلوقات الأخرى.

٤- مراعاة الخصائص المشتركة والفروق بين الذكور والإناث؛

راعت التربية الإسلامية حقيقة العبودية التي يقف فيها الرجال والنساء سواء أمام الله سبحانه وتعالى، ومن ثم وجدناها تربي كلا منهما التربية التي تعينه على تحقيق كمال هذه العبودية.

لهذا وجدنا الخطاب في القرآن الكريم والسنة النبوية يتوجه إلى الرجال والنساء على حد سواء فيما يشتركون فيه من تكليفات اقتضتها الخصائص المشتركة بينهما، وتتوجه إلى كل منهما على حدة فيما يتفرد فيه من خصائص عن الآخر.

من ذلك مثلاً الأمر بالعلم بالعلم الذي توجه الخطاب به في أول آية قرآنية إلى النوعين، باعتبار العلم الناتج عن القراءة هو السبيل إلى معرفة الله، ومعرفة كيفية أداء حق العبودية تجاهه. وكذلك الأمر بممارسة الشعائر والممارسات التعبدية من فرض ونفل؛ فقد توجه الخطاب به إلى النوعين حاثاً إياهما على المسارعة في الخيرات لنيل الجزاء العظيم الذي عبر عنه الحديث في قوله ﷺ عن ربه:

" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " (مسلم، د.ت، ج ٤، الجنة، ص ٢١٧٤).

لكن هناك من التوجيهات ما راعى المصلحة العامة التي اقتضتها فطرة الله سبحانه وتعالى لكل من النوعين بما يميزه عن الآخر. فقد وجه الرجال إلى أهمية الالتزام بأداء صلاة الجمعة والجماعة، وإلى القيام بمسئولية القوامه وما تستلزمه من رعاية وإنفاق، و إلى الجهاد في سبيل الله، في حين لم يفرض على المرأة شيء من ذلك، بل جعل إحسانها في أداء ما أنيط بها من مسئولية العناية والرعاية بالزوج والأولاد؛ مساويا لكل ما يقوم به الرجال من أعمال بما في ذلك الجهاد في سبيل الله.

وبالنظر في هذا التقسيم في الوظائف بينهما؛ نجد أنه يأتي منسجما مع ما منحه كل من النوعين من مؤهلات وقدرات، وخاضعا لأحقية الأصلح في المجال الذي ثبت فيه جدارة به.

وقد وجدنا الرسول ﷺ يراعي وجود الاختلاف بين الرجل والمرأة إلى جانب ما بينهما من مشترك في الخصائص؛ ففي مجال العلم، نجده يحث الرجال على عدم منع النساء من ارتياد المساجد، وفي الوقت نفسه يراعي ما تتميز به المرأة من خلق الحياء الذي قد يمنعها من التصريح بما يعن في نفسها من أسئلة تتعلق بحياتها الخاصة، ومن ثم وجدناه يلبي رغبة النساء في أن يخصهن بيوم يعلمهن فيه مما علمه الله.

٥- التربية الذاتية:

بمعنى ترك المتعلم يعتمد على نفسه في تحصيل المعرفة. وفي ذلك تأكيد لحرية الإرادية. ونجد التربية الإسلامية تحرص على تربية الأفراد على هذا المبدأ؛ من خلال إلزامهم بالواجب الذي تحتمله النفس في العادة في العبادات والمعاملات، ثم تترك ما بعده لمشيئة الفرد واستطاعته.

ففي مجال العبادات نجد هناك ما هو فرض، وما هو سنة. وفي مجال المعاملات نجد هناك الأمر بالعدل، لكننا أيضا نجد الأمر بالإحسان. وقد عزز الرسول ﷺ هذا المبدأ في تربيته لمسلمة صدر الإسلام من خلال إتاحتها الفرصة لها للسؤال والمناقشة بحرية. وأدركت مسلمة صدر الإسلام أهمية السؤال في تعزيز معرفتها؛ فأقبلت تسأل عن كل ما تشعر بالحاجة إلى معرفته.

فهذه عائشة رضي الله عنه تسأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]: " فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فيقول: على الصراط "(مسلم، د.ت، ج ٤، المناققين / ٢، ص ٢١٥٠).

وعندما رآته ﷺ في آخر أمره يكثر من قول: " سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه "، قالت: فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول: " سبحان الله وبحمده، أستغفره وأتوب إليه؟ " فقال: " خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي. فإذا رأيتهما أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتهما. إذا جاء نصر الله والفتح. فتح مكة. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسمح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا "(مسلم، د.ت، ج ١، الصلاة / ٤٢، ص ٣٥١).

وتسأله عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (المؤمنون) : يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف ؟ قال: " لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل " (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ١٥٩).

وتسأله أم سلمة ؓ: " أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار؟ فقال ﷺ: "إذا كان الدرع سابغا يغطي ظهور قدميها " (البيهقي، د.ت، ج ٢، ص ٢٣٣).

وتسأله أسماء ؓ عن غسل المحيض فيقول: " تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها^(١) فتطهر فتحسن الطهور. ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا، حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء. ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها فقالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ قال: "سبحان الله تطهرين بها." فقالت عائشة: (كأنها تحفي ذلك) تتبعين أثر الدم. وسألته عن غسل الجنابة فقال: " تأخذ ماء فتطهر، فتحسن الطهور. أو تبلغ الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها^(٢). ثم تفيض عليها الماء. "فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(مسلم، د.ت، ج ١، الحيض / ١٣، ص ٢٦١).

وتسأله أسماء بنت عميس ؓ: يا رسول الله: إن قالت إحدانا لشيء تشتهي لا

(١) السدر: شجر النبق، والمراد ورقه. (النووي في مسلم، د.ت، ج ١، ص ٢٦١).

(٢) شئون الرأس: أصول شعر الرأس. (النووي في مسلم، د.ت، ج ١، ص ٢٦١).

أشتهيه يعد ذلك كذبا ؟ فقال: فإن الكذب يكتب كذبا، حتى الكذبية تكتب كذبية^(١)"
(ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٤٣٨).

٦- الاستمرار في طلب العلم:

توجه الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أهمية الاستزادة من العلم والاستمرار في طلبه، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١﴾
[طه].

والاستمرار في طلب العلم يفيد في تعزيز المعرفة، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ فيها رواه أبو موسى رضي الله عنه: " تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده! هو أشد تغلثا من الإبل في عقلها" (مسلم، د.ت، ج ١، المسافرين/ ٣٣، ص ٥٤٥).

ومما يؤكد اهتمام المربي الأول ﷺ بتوجيه متعلميه إلى الاستمرار في طلب العلم؛ طلبه من الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجها حفصة رضي الله عنها رقية النملة^(١) كما علمتها الكتابة.

٧- الرفق بالمتعلمين:

توجه الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة إلى أهمية الرفق في كل شيء، وخاصة من قبل المربي مع من يربيهم. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَلَقْنَا قُلُوبَنَا بِمَنَافِقِهِمْ وَلَكِنَّا فَتْنُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) عن أسماء بنت عميس قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ، ومعني نسوة. قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحا من لبن. قالت: فشرب منه، ثم ناوله عائشة، فاستحيت الجارية. فقلنا: لا ترددي يد رسول الله ﷺ، خذي منه، فأخذته على حياء فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك. فقلنا: لا نشتهي. فقال: لا تجمعن جوعا وكذبا. قالت: فقلت: إن قالت إحدانا لشيء تشتهي، لا أشتهيه يعد ذلك كذبا؟ قال: إن الكذب يكتب كذبا، حتى الكذبية تكتب كذبية. " (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٤٣٨).

(١) رقية النملة: " قيل: إن هذا من لغز الكلام ومزاحه، كقوله للعجوز: " لا تدخل العجز الجنة "، وذلك أن رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع، ورقية النملة التي كانت تعرف بينهن أن يقال: العروس تحتفل وتختضب وتكتحل، وكل شيء تفتعل غير ألا تعصي الرجل. فأراد ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة رضي الله عنها لأنه ألقى إليها سرا فأفشته. (ابن الأثير، د.ت، ج ٥، ص ١٣٠).

فالله سبحانه وتعالى يشيد بالرحمة التي كانت تملأ قلبه ﷺ، والتي جعلت الناس يقبلون عليه.

ونجد التوجيهات النبوية تؤكد على أهمية الرفق، حيث يقول ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (مسلم، د.ت، ج ٤، البر / ٢٣، ص ٢٠٠٤).

وقد كان الرفق من أخلاقه ﷺ حتى وجدنا خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا" (مسلم، د.ت، ج ٤، الفضائل / ١٣، ص ١٨٠٤).

ونجده ﷺ يطبق خلق الرحمة والرفق مع مسلمات صدر الإسلام، فلا يشق عليهن ولا يكلفهن فوق ما يحتملن. فقد روت أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها فقالت: "بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن. قلت: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا" (الترمذي، د.ت، ج ٤، السير ٣٦ / ص ١٢٩).

فمسلمات صدر الإسلام قد كن على استعداد للمبايعة على كل شيء دون شرط؛ لكن المربي الرحيم يدرك حدود وسعهن وقدرتهن فيشترط هذا الشرط: "فيما استطعتن وأطقتن".

وقد عبرت مسلمة صدر الإسلام عن هذه الرحمة وهذا الرفق من رسول الله ﷺ تجاهها حين قالت لعمر: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله. وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ مرة وبعض النسوة بين يديه، فابتدرن الحجاب. فلما دخل عمر وجد رسول الله ﷺ يضحك: فقال: "أضحك الله سنك يا رسول الله! قال: عجبت من هؤلاء كن عندي فلما سمعن صوتك؛ ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهين. ثم قال: أي عدوات أنفسهن؛ أتهنني ولا تهين رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ" (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٤، بدء الخلق / ١٢، ص ٩٦).

٨- الصحبة في طلب العلم:

صحبة المتعلم لمن يعلمه مبدأ مهما في التربية؛ لما يوفره من إمكانية الاقتداء بالمربي، والتعرف على سلوكه في جميع أحواله. وهذا ما توفر لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، اللاتي كن بفضل صحبتهن للرسول ﷺ منارات في العلوم التي توفرت لهن في ذلك العصر.

وقد طبق الرسول ﷺ هذا المبدأ في تربيته لمسلمة صدر الإسلام من غير أمهات المؤمنين؛ حيث كان يحرص على أن يخصصن بمجالس علمية خاصة بهن.

٩ - التربية بالممارسة والعمل:

حيث إن التطبيق العملي؛ يجعل المعرفة أوقع في النفس وأكثر ثباتاً في الذاكرة؛ فقد وجدنا مربي مسلمة صدر الإسلام ﷺ يحرص على التطبيق العملي لما يعلمها إياه؛ ليكون أوقع وأكثر ثباتاً في نفسها.

من ذلك أنه عندما بايع النساء؛ سألهن المصافحة فقال: "إنما قولي لمائة امرأة؛ كقولي لامرأة واحدة" (الترمذي، د.ت، ج ٤، السير / ٣٧، ص ١٢٩).

ولم يكتفِ ﷺ بإخبارهن بذلك؛ بل طبقه عملياً، وروى عنه ذلك حيث قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط. غير أنه بايعهن بالكلام" (مسلم، د.ت، ج ٣، الإمارة / ٢١، ص ١٤٨٩).

وكان ﷺ يأمر مسلمة صدر الإسلام بأمر، ويبادر هو فيطبقه ليعطي لها ولغيرها القدوة من نفسه. فنجده ﷺ يأمرها بالصدقة بقوله: "تصدقن." (مسلم، د.ت، ج ٢، العيدين، ص ٦٠٣)، ثم نجد السيدة عائشة رضي الله عنها تصفه بأنه عليه السلام: "كان أجود بالخير من الريح المرسلة" (مسلم، د.ت، ج ٤، الفضائل / ١٢، ص ١٨٠٣).

ونجده ﷺ يحب إلى المرأة قيام الليل بقوله ﷺ: "رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء." ثم يعطي هو القدوة من نفسه حين يقوم الليل حتى تنفطر قدماه، فتسأله عائشة رضي الله عنها عن ذلك وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقول: "أفلا أكون عبداً شكوراً" (مسلم، د.ت، ج ٤، المنافقين / ١٨، ص ٢١٧١).

١٠ - التربية المتكاملة:

ركزت التربية الإسلامية تركيزاً شاملاً ومعجزاً على تربية مسلمة صدر الإسلام، وإعدادها لحمل الرسالة الإسلامية في نفسها، ثم إلى غيرها بحسب الاستطاعة.

لذلك فقد اهتمت التربية الإسلامية بتكوين شخصية مسلمة صدر الإسلام؛ التي ستحمل الحق إلى الآخرين، وتكون قدوة لهم فيه. ومن ثم وجدنا آيات القرآن الكريم

وأحاديث الرسول ﷺ تهدف إلى تكوين المرأة المسلمة خلقاً وعلماً وسلوكاً، وتوضح لها كيف تقيم حياتها على هذه الأرض في إطار من الإنسانية العامة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات].

وباستعراض منهج التربية الإلهي - القرآن الكريم والسنة النبوية - فإنه يمكن القول بأن تربية مسلمة صدر الإسلام قد اشتملت على جانبين: نظري وعملي. وكلا الجانبين قد عملا جنباً إلى جنب، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التالية:

- ١ - إمدادها بما تحتاج إليه من معلومات عن حقائق النشأة والحياة والمصير.
- ٢ - توجيهها إلى إدراك سنن الله سبحانه وتعالى في الآفاق والأنفس.
- ٣ - تربية إرادتها بما يعينها على الارتقاء بنفسها ويحميها من الآفات النفسية.
- ٤ - إصلاح جوانب الخلل الاجتماعي في البيئة المنحرفة عن هداية الله^(١).

* * *

(١) انظر في هذا الموضوع: منهج التربية الإسلامية للدكتور الكيلاني.

المبحث الخامس

تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار

عصور الازدهار هي الفترة التي كان يسود الفكر الإسلامي فيها الاجتهاد، حيث كان هناك انفتاح على ما لدى الآخرين وعلى ما يجد من قضايا ومشكلات ليس لها حلول مباشرة في الكتاب والسنة كما كان الحال في عهد الرسول ﷺ. ومن ثم فقد كان لابد من إعمال العقل من أجل تلبية الحاجات ومواجهة التحديات (الكيلاني، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ٧٣).

وقد وجهت الأصول السياسية والاجتماعية تربية المرأة فيما بعد صدر الإسلام، حيث لم تخضع تربيتها لنظام ثابت، وإنما تنوعت وخضعت لظروف مختلفة. فقد كان للحالة السياسية والاجتماعية أثر كبير على تربية المرأة خاصة بعد أن عمد الأمراء إلى اتخاذ أعوان من العجم إلى جانب أعوانهم من العرب؛ مما أدى إلى حدوث نزاع بين الفريقين. (بيلو، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ١٧-١٨). وقد انهزم العرب في مجال السياسة والإدارة، ولكنهم انتصروا في مجال اللغة والدين، حيث سادت لغة العرب وتراجع غيرها.

لكن انتصار الموالي في مجال الإدارة والسياسة؛ قد كان له أثره البعيد في المجتمع؛ حيث شاع فيه غير قليل من الشر بسبب استقدام الخدم والجواري، إلى جانب عادات وتقاليدهم الفرس، مما أدى إلى شيوع الترف واللهو والمجون والزندقة بين المترفين ومن حولهم من الأتباع من فرس وغيرهم (بيلو، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣٨٤).

وقد تأثر بعض العامة من الناس بما كان عليه عليه القوم، أما الأغلبية؛ فقد ظلت بعيدة عن اللهو والمجون، ممثلة مصداق الحديث الشريف "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون، ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها"^(١) (بيلو، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣٨٤).

وسوف نفصل الحديث عن تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار وذلك من خلال

(١) الترمذي، د.ت، ج ٣، ص ٣٣٩.

الحديث عما يلي:

- ١- تطور الحركة العلمية في عصور الازدهار.
- ٢- تعليم المرأة المسلمة في عصور الازدهار.
- ٣- المبادئ التي وجهت تعليم مسلمة عصور الازدهار.

أولاً: تطور الحركة العلمية في عصور الازدهار:

كان تعليم الدين الإسلامي في عهد الرسول ﷺ شاملاً للجميع صبياناً ورجالاً ونساءً، حيث نجد ابن حزم يذكر أنه لما توفي ﷺ؛ كانت جميع قرى شبه الجزيرة العربية ومدنها قد دخلها الإسلام، وقرئ فيها القرآن في الصلوات، وتعلمه الصبيان والنساء أيضاً (الأهواني، د.ت، ص ٧٤).

واستمر الحال على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين، الذين ما أن انتهى عهدهم؛ حتى ظهرت الفتن السياسية التي أثرت على جميع المجالات.

ونجد ابن تيمية قد تحدث عن ذلك حينما أشار إلى أن عامة البدع في العلوم والعبادات إنما وقعت في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين، فبذهاب دولتهم ظهر النقص في الأمراء، فكان لا بد من ظهوره في أهل العلم والدين أيضاً، ومن ثم فقد وجدنا أنه في آخر خلافة علي عليه السلام؛ ظهرت بدعتا الخوارج والرافضة لتعلقها بالإمامة والخلافة. ثم ظهرت بعد ذلك الفرق الأخرى مع انقراض جمهور تابعي التابعين. وآخر الدولة الأموية وبداية العباسية؛ أصبح في الولاة كثير من الأعاجم، وظهر الرأي والكلام والتصوف، وظهر الكذب في الرواية، وكثرت الآراء في الفقه، والتشيع... و"كان في خيار الناس من العلم والصدق والسنة والفقه والعبادة أمر عظيم" (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ١٠، ص ٣٥٤-٣٦٠).

وعلى الرغم من تردي الأحوال السياسية؛ إلا أن الخلفاء والوزراء والأعيان قد شجعوا البارزين في مختلف العلوم، مما أسهم في الارتقاء بالنواحي العملية، حيث تغلغت الثقافة والمعرفة في جميع أوساط المجتمع، وكانت حركة الترجمة من أهم أسباب ازدهار الحركة الثقافية (الجهيمان، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ١٣-١٥).

وقد لاقت علوم العربية اهتماماً كبيراً، سيما بعد شيوع اللحن، كما ازدهرت العلوم الدينية وعلم الكلام والاعتزال، ونشأت بعض العلوم في ظلال الحديث الشريف مثل علم الجرح والتعديل، وكثرت المصنفات في الفقه والحديث والتفسير، ونشأت المذاهب

الأربعة (الجهيمان، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ١٥).

ويذكر الدكتور الكيلاني؛ أن مفهوم التعليم قد ارتبط في عصور الازدهار بطبيعة العصر وظروف المجتمع؛ ولذلك جاءت ميادين المنهاج والأساليب ومراحل التربية بما يناسب تطور المجتمع في كل مرحلة ويلبي احتياجاته (الكيلاني، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٦٩، ص ٨٨).

ثانياً: تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار:

كانت أبواب التعليم والثقافة مفتوحة أمام المرأة المسلمة في عصور الازدهار، ويشهد على ذلك ما تحفل به كتب التراجم من أعداد كبيرة من النساء اللاتي برزن في مختلف أنواع العلوم التي وجدت آنذاك. إلا أنه وبصفة عامة؛ فقد كان تعليم النساء أقل انتشاراً من تعليم الرجال، ويعلل د. أحمد شلبي ذلك بحاجة طلاب العلم من الرجال إلى الرحيل في طلبه؛ الأمر الذي كان متعذراً على النساء (شلبي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٢٩-٣٣٠).

ولعل هذا أحد الأسباب التي قللت من انتشار تعليم النساء في عصور الازدهار، إذ أن النظر في أحوال المجتمع الإسلامي بعد عصر صدر الإسلام يرشدنا إلى وجود أسباب أخرى من بينها:

أ- التردّي الأخلاقي الذي وصل إليه المجتمع الإسلامي في عصور الازدهار:

فقد تردى بعض أفراد المجتمع الإسلامي من الناحية الخلقية، وتساعد هذا التردّي الأخلاقي تدريجياً بعد وفاة الرسول ﷺ. ولا أدل على ذلك من قول السيدة عائشة رضي الله عنها في ارتياد النساء للمساجد: "لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت بني إسرائيل" (مسلم، د.ت، الصلاة / ٣١، ص ٣٢٩).

وكما أشرنا سابقاً فقد انتشر في المجتمع الإسلامي - خاصة بين عليّة القوم شيء من اللهو والعبث والمجون، الذي اقترن بما يخل بالدين والآداب والأعراف والتقاليد من أعمال. ويدل على ذلك الغزل المكشوف الذي كان يتداوله المجان، والمتعلق بالأمة؛ الجارية المتبذلة، المدرّبة على فنون الأدب والشعر والغناء، والإغراء. حيث كانت هذه المرأة هي الأصل الذي يقاس عليه لديهم، وكانت المرأة الحرة لا وجود لها في نظر هؤلاء الشعراء، وإن وجدت فهي فاجر بغي. فالنساء العفيفات قد كن متهمات عند المجان من الشعراء (بيلو ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٥٥ - ٢٥٨).

كما يدل على ذلك ما ذكره أبو الفرج في الأغاني من أن "مطيع بن إياس مر بيحيى بن زياد، وحماة الراوية وهما يتحادثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قذف المحصنات! قال: أو في الأرض محصنة تقذفانها؟

فهم - كما يقول صالح بيلو - قد اهتموا جميع النساء في عفتهم، ونظروا إليهن نظرتهم إلى الإمام والجواري، وإن أظهرن عفة فإنها إلى حين ثم تنهاوى (بيلو، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٥٨).

فهذه الأجواء وإن انتشرت بين الخواص من الناس؛ إلا أنها قد أثرت على العوام منهم الذين ربما دفعهم حرصهم على نسائهم إلى منعهم من الاختلاط بالجواري اللاتي مثلن أكثر النساء اللاتي تلقين العلم في الكتاتيب.

ب- انتشار الجواري:

لما بدأت الفتوحات الإسلامية، أدخلت الجواري إلى المجتمع الإسلامي من مختلف البلاد، فكان عددهن من الكثرة بحيث كان بإمكان أي فرد عادي أن يمتلك منهن، خاصة مع كثرة الأسواق التجارية التي كانت تعج بهن وبالنخاسين^(١)، حيث كانت المتاجرة بهن صناعة رابحة تدر كسبا باهظا لأصحابها؛ ومنهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وإبراهيم المهدي (العمروسي، د.ت، ص ٤٤).

وقد تفنن الناس في ابتداع الوسائل التي تزيد من الربح في تجارة الرقيق؛ ومنها تعليم الغناء للجواري. فكان المغنون هم تجار الجواري والمعلمين لهن. وهكذا؛ ارتفع المستوى العقلي للجواري، وأصبحن طبقة ممتازة، ينظر إليها بإعجاب واحترام، خاصة وقد وجد من بينهن من تعلمت الأدب والشعر. فكن مغنيات مثقفات تتطلع إليهن النفوس (العمروسي، د.ت، ص ٤٦-٤٧).

وقد بدأت تجارة الرقيق منذ العصر الأموي، وكان المتوقع أن ينغمس الأمويون في الترف بعد أن انحسرت رهبة الدين في قلوبهم، والتي تمثلت أعظم ما تمثلت في قتل آل بيت النبي وغزو المدينة وهدم الكعبة. إلا أن ذلك لم يحدث بسبب تحذير معاوية لهم باعتبارهم السادة الذين ينبغي أن يحافظوا على وقارهم أمام العامة (عبد الله عفيفي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٥١-٥٧).

(١) نخاس: بائع الرقيق. (الزبيدي، د.ت، ج ٤، ص ٣٥٥).

ثم ازدادت تجارة الرقيق في العصر العباسي، وكانت الجواري ينتمين إلى أجناس مختلفة، ولكثرتهم؛ فقد كان هن أثر بعيد في قصور الخلافة إلى درجة أن خلفاء بني العباس الستة والثلاثين، كانوا إلا ثلاثة منهم من ولد الجواري (عبد الله عفيفي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج٣، ص ٤٩).

وقد كان تأثير الجواري سيئاً في نشر الخلاعة والمجون، ونجد الجاحظ يعلل ذلك بسبب نشأتهم منذ الولادة وحتى الوفاة في جو يصد عن ذكر الله، حيث يقول ما نصه:

" وكيف تسلم القينة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة، وإنما تكتسب الأهواء وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ، وهي تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من هو الحديث، وصنوف اللعب والأخانيث، وبين الخلعاء والمجان، ومن لا يسمع منه كلمة جد ولا يرجع منه إلى ثقة ولا دين ولا صيانة مروءة " (الجاحظ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٨٣).

كذلك نشرت الجواري أنواعاً من الطرافة قلدهن فيها الناس مثل: حب الأزهار، وتعشقها، وكتابة الأشعار الرقيقة على الملابس. وإلى جانب ذلك فقد كن أنشط من الحرائر في الإنشاد الأدبي، وفي الإيحاء إلى الشعراء؛ بسبب طبيعة النظام الاجتماعي، حيث كان الناس يغارون على الحرائر أكثر من الجواري، ويتشددون في حجاب الحرة. هذا إلى جانب أن علم الجارية كان يقوم أكثر من بدنها. ومن ثم وجد من بين الجواري الأدبيات والمثقفات إلى درجة عالية من الثقافة (أحمد أمين، د.ت، ج١، ص ٩٥-٩٩).

وقد ذكر ابن عبد ربه بعض الأقوال التي تشير إلى المكانة الرفيعة التي وضعت فيها الجواري مقارنة بالحرائر لدى البعض من الناس في ذلك الوقت ومنها:

- "... وعجبا لمن عرف الإماء كيف يقدم على الحرائر."

- الأمة تشتري بالعين وترد بالعيب، والحرة غل في عنق من صارت إليه. (ابن عبد ربه، د.ت، ص ٩٦ - ٩٧).

ويؤكد ذلك الجاحظ في حديثه عن وضع المرأة المطلقة في عصره، حيث يشير إلى أن الناس في عصر الصحابة رضوان الله عليهم؛ كانوا لا يرون باسا في أن تنتقل المرأة إلى عدة أزواج بعد طلاقها، في حين أصبحوا في عصره يكرهون الزواج من المطلقة، ويلزمون من يخطبها العار، ويلحقون به اللوم، ويعيرونه بزواجه منها، في حين يتحفظون بالإماء وقد

تداولها الآلاف (الجاحظ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٧٣-٧٤).

ج - التقليل من شأن المرأة:

بديء في التقليل من شأن المرأة مع بداية العصر العباسي، حيث أسهم الخلفاء العباسيون بدور كبير في الخط من شأن المرأة؛ وذلك بما استحدثوه من بدع، كان من أبرزها أن يحلف الرجل بطلاق زوجته على أن يبقى على بيعتهم^(١). وكان المقسمون هم ذوي الرأي والجاه من الساسة والقادة، الذين كان من بينهم من هو منصرف بقلبه عنهم إلى سواهم. فوقعوا في حيرة من أمرهم؛ هل تطلق نساؤهم أم لا؟ وهنا جهر صوت مالك ابن أنس: "بأن طلاق المكره باطل ويمينه لاغية"؛ فراع أبو جعفر المنصور موقفه وأمر بضربه بالسياط فضرب^(٢). (الذهبي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ٨، ص ٨٠).

ونجد الجاحظ يؤكد ما سار عليه بعض الناس في عصره من ازدراء النساء واحتقارهن، وبخس حقوقهن إلى درجة جعلوا معها حب الرجل لأمه وزوجته وولده "دليلاً على الضعف وباباً من الخور" (الجاحظ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٩٩-١٠٠).

ونلاحظ هنا البون الشاسع بين ما كان عليه الناس من تبجيل الأم في عهد معاوية الذي كان يفخر بأنه ابن هند، وبين ما صار عليه بعضهم بعد فترة ليست ببعيدة العهد عنه (عفيفي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج ١، ص ١٦٤).

على الرغم من أن الجاحظ قد نادى في بعض الأحيان بإنصاف النساء ورد حقوقهن المسلوبة، حيث يقول في ذلك ما نصه:

"ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر، فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة، وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات، وكذلك الأخوة والأخوات، والبنون والبنات، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم" (الجاحظ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ص ١٠١).

إلا أننا نجده في أحيان أخرى يجارى المجتمع في التقليل من شأن المرأة من حيث أراد إنصافها، بإشارته إلى أن حق الأب "أعظم"؛ في حين أن الرسول ﷺ حين سأل رجل:

(١) حدث هذا في عهد أبي جعفر المنصور ١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥م.

(٢) ذكر ابن خلكان أن الذي ضربه هو ابن عم أبي جعفر المنصور. (ابن خلكان، ج ٤، ص ١٣٧)

"من أحق الناس بحسن صحابتي؟"، جعل حق الأم مقدما على حق الأب ثلاث مرات (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ١، الأدب / ٢، ص ٦٩).

وعلى الرغم من الظروف السابقة المشار إليها، والتي أسهمت في التقليل من فرص النساء في نيل العلم، إلا أننا نجد في ثنايا الكتب أسماء لكثيرات من النساء ممن نبغن في مختلف أنواع العلوم . أما السبب في نبوغهن فيرجع إلى ما توافر لهن من بيئات علمية خاصة؛ كأن يكون الأب أو أحد الأقارب من العلماء، أو أن تنتمي المرأة إلى عليّة القوم ممن كانوا يهتمون بتعليم نسائهم فيحضرون إليهن من يعلمهن في دورهن أو قصورهن.

ثالثا: المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الازدهار:

من أبرز المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الازدهار ما يلي:

(١) عدم تحديد سن لبدء التعليم:

فقد كان الأمر متروكا للآباء في اختيار الوقت المناسب لإرسال أبنائهم وبناتهم إلى الكتاتيب، لكن يبدو أن البعض كان يرسلهم قبل السابعة، حيث نجد العبدري في كتابه "مدخل الشرع الشريف" ينتقد الآباء الذين يرسلون أبنائهم إلى الكتاب قبل سن السابعة؛ لما في ذلك من إرهاق جسمي وعقلي لهم. وقد ذكر أنهم إنما يفعلون ذلك للتخلص من متاعبهم في البيت (الأبراشي، د.ت، ص ١٨٧).

(٢) إلزامية التعليم:

أجمع العلماء في عصور الازدهار على وجوب نشر التعليم بين جميع الأفراد، (الأهواني، د.ت، ص ١٠١)، ومن أشار إلى ذلك القابسي في القرن الرابع الهجري، الذي علل ذلك بأن المؤمنين والمؤمنات مكلفون جميعا بنص القرآن، ولا تيسر معرفة الدين إلا بنوع من التعليم (الأهواني، د.ت، ص ١٠١، ص ١٠٤).

وقد أسفر الإبان بهذا المبدأ عن إيجاد العديد من المؤسسات التربوية التي أسهمت في تربية مسلمة عصور الازدهار.

فهناك الكتاتيب التي ظلت منذ إنشائها؛ نظاما حرا يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم، في حين كانت في بعض البيئات تعان من ذوي اليسار أو

من الأوقاف التي يحبسها أغنياء المسلمين^(١) (الأهواني، د.ت، ص ١١).

وإلى جانب الكتاتيب؛ كان هناك المسجد الذي ظل منذ عهد الرسول ﷺ دارا للعبادة، ومركزا تربويا وثقافيا تعقد فيه حلقات العلماء لدراسة القرآن الكريم، والعلوم المساعدة له من فقه ولغة؛ إلى جانب كونه مكانا للفتوى ومركزا لتصريف شئون الدولة. وقد أسهم المسجد كثيرا في الارتقاء بفكر المرأة المسلمة، وتوعيتها بأمور دينها، ولم يجروا أحد على منعها منه التزاما بتوجيهات المربي الأول؛ رسول الله ﷺ الذي نهى عن منع النساء من ارتياد المساجد.

ويلاحظ أن هذا النهي من قبل الرسول ﷺ لم يبلغ بعد حادثة الاعتداء التي وقعت على إحدى المسلمات وهي في طريقها إلى المسجد في عهد الرسول ﷺ.

فقد روى وائل الكندي: "أن امرأة خرجت على عهد رسول الله ﷺ تريد الصلاة، فتلقاها رجل فتجللها^(٢) ففضى حاجته منها فصاحت فانطلق. ومر عليها رجل فقالت: إن ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا، ومرت بعصابة من المهاجرين، فقالت: إن ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا. فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنت أنه وقع عليها وأتوها فقالت: نعم هو هذا، فأتوا به رسول الله ﷺ فلما أمر به ليرجم قام صاحبها الذي وقع عليها فقال: يا رسول الله أنا صاحبها. فقال لها: "أذهبي فقد غفر الله لك، وقال للرجل قولا حسنا، وقال للرجل الذي وقع عليها ارجمها". وقال: "لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم" (الترمذي، د.ت، ج ٤، الحدود/ ٢٢، ص ٤٥-٤٦).

فرغم هذه الحادثة؛ إلا أن أمر الرسول ﷺ بالسباح للنساء في ارتياد المساجد، والنهي عن منعهن قد ظل قائما، ومن ثم وجدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم ينه زوجته عاتكة عن ارتياد المسجد طاعة لأمر الرسول ﷺ^(٣).

(١) هناك من المصادر ما يشير إلى أن الكتاتيب قد وجدت قبل الإسلام، وكان مقرها منزل صاحب الكتاب وبعد أن جاء الإسلام وانتشرت المساجد؛ لم يعد المنزل هو المكان الوحيد للكتاب بل أضيفت إليه المساجد والأربطة والتكايا (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٤٥).

(٢) تجللها: علاها. (المنجد، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ص ٩٥).

(٣) جاء في الإصابة أن عاتكة بنت زيد رضي الله عنها كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكانت تكثر الاختلاف إلى المسجد النبوي. وكان عمر يكره ذلك. فقيل لها في ذلك، فقالت: ما كنت بتاركته إلا أن يمنعني. فكانه كره أن يمنعه. (ابن حجر، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٤، ص ٣٥٧).

ووجدنا كذلك عبد الله بن عمر ينهر ابنا له لقوله: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا.

فقد روى مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: " لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل "، فقال ابن لعبد الله بن عمر: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا^(١). قال: فزبره^(٢) ابن عمر، وقال: أقول: قال رسول الله ﷺ وتقول: لا ندعهن (مسلم، د.ت، ج ١، الصلاة/ ٣٠، ص ٣٢٧).

وقد سار المجتمع الإسلامي على ذلك، حيث كان عدد النساء يزداد في ارتياد المساجد، حتى أنهن كن يملأن رحبة المسجد في العصر العباسي، فيضطر الرجال للصلاة خلفهن (محمد الهاشمي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٤).

وهناك أيضا بيوت العلماء التي أسهمت في تخريج عدد كبير من العالمات من النساء. فقد جاء في سيرة عيسى بن مسكين المتوفى سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م، أنه كان يجلس إلى الطلبة حتى العصر، ثم يدعو ابنته وبنات أخيه؛ فيعلمهن القرآن والعلم (شلبي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٣٣).

كما ذكر أن ابن المطرف كانت له جارية أخذت عنه النحو واللغة، ثم فاقته في ذلك خاصة في العروض وسميت بالعروضية. وكانت تحفظ عن ظهر قلب الكامل للمبرد، والأمالي للقلالي وتشرحهما. وقد درس على يدها هذين الكتابين إلى جانب علم العروض كثير من العلماء (بغداد، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٢٢).

وكذلك اعتنى أسد بن الفرات بتثقيف ابنته أسماء، حيث كان يسمح لها بالمشاركة بالسؤال والمناظرة في مجالسه العلمية، وقد توفيت حوالي عام ٢٥٠ هـ (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٤٥).

أيضا هناك المدارس التي بديء في إنشائها منذ منتصف القرن الخامس الهجري، (عسيري، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٢٤٠)، حيث يشير ابن جماعة إلى أن من بين مسلمات عصور الازدهار من التحقن بالمدارس الداخلية، فيقول في ذلك ما نصه:

(١) فسادا وريبة. (النووي في مسلم، د.ت، ج ١، ص ٣٢٧).

(٢) نهره. (النووي، في مسلم، د.ت، ج ١، ص ٣٢٧).

"والأولى ألا يسكن المدرسة وسيم الوجه أو صبي ليس له فيها ولي فطن، وألا يسكنها نساء في أمكنه تمر الرجال على أبوابها، أو لها كوى تشرف على ساحة المدرسة" (ابن جماعة، د.ت، ص ٢٢٩).

ونلاحظ في عبارة ابن جماعة التركيز الشديد على أهمية الفصل بين الذكور والإناث من أجل الحفاظ على الأخلاق العامة.

كذلك وجدت البيمارستانات، وهي دور علاج المرضى، والتي مثلت أماكن لدراسة الطب والتدريب العملي عليه. وقد كانت منظمة بشكل جيد حيث كان فيها أقسام للرجال، وأخرى للنساء، وكانت مجهزة بالآلات والعدد والمشرفين والخدم. وكان لكل بيمارستان رئيس أطباء يلقي دروسه على طلبة الطب ويأذن لمن أتم دراسته منهم بمنحه إجازة. ولم يكن يسمح له بممارسة الطب قبل امتحان معين (مرسي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٢٠-٢٢١).

وهناك الأربطة التي أقامتها الصوفية، وجعلت فيها دروسا في الحديث والقراءات لجميع المذاهب، وكان يشترط على من يسكن الأربطة حضور هذه الدروس (زينب فريد، د.ت، ص ٣٧-٤٠).

ونجد أن كثيرات من النساء قد اعتنقن هذا المذهب منذ نشأته، وأشهرهن رابعة العدوية^(١) المتوفاة سنة ١٣٥هـ (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٤٣٠).

ومن بين الأربطة التي كانت ببغداد:

- رباط شهدة بنت الأبري العاملة التي توفيت عام ٥٧٤هـ / ١١٧٨م.

- رباط زمرد خاتون زوجة المستضيء بالله، المتوفاة عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م، وقد شيدته عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م.

- رباط أرجوان الرومية، والدة المقتدي بالله والمتوفاة عام ٥١٢هـ / ١١١٢م. (عسيري، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٣٢-٢٣٣).

(١) قال ابن الجوزي: كانت رابعة فطنة، ومن كلامها الدال على قوة فهمها قولها: أستغفر الله من قلة صدقي من قولي استغفر الله". (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٤٣١).

وأخيرا هناك الدور والقصور التي كان التعليم فيها يتم على أيدي معلمين خصوصيين ولم يكن متاحا سوى لبنات عليّة القوم اللاتي كن يلقين عناية خاصة من ذويهن، حيث يحضرون هن المعلمين، إلى جانب أن حياة الاختلاط التي شاعت تدريجيا بين عليّة القوم؛ قد مكنت لعدد غير قليل من النساء من النبوغ، نتيجة للفرص التي أتيحت هن في الاختلاف إلى مجالس الأدب والأندية العلمية التي كانت تعقد في قصور الخلفاء، والتي كان يسمح هن بالمشاركة فيها (زينب فريد، د. ت، ص ٤٧-٤٩).

ومن أبرز المتعلّمات في القصور من نساء عصور الازدهار، زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد، التي عني أبوها بتربيتها، فعلمها القراءة والكتابة، وشجعها على حفظ الأخبار والأشعار، حتى أنها كانت تزين حيطان حجرتها بستائر موشاة بأبيات من الشعر الجميل. وكان بين جواربها مائة جارية يعرفن القراءة والكتابة، وقول الشعر، ويحفظن القرآن الكريم. وقد كان الرشيد يستشيرها في أموره لما كان من رجاحة عقلها. ولها أثر كبير في إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد والمشارب. توفيت عام ٢١٦هـ ببغداد (ابن خلكان، د. ت، ج ٢، ص ٣١٤ / كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٢٩).

وهناك أيضا هند بنت المهلب بن أبي صفرة؛ زوج الحجاج بن يوسف الثقفي؛ فأبوها أمير وزوجها أمير أيضا. وقد أتاح لها ذلك أن تأخذ بنصيب وافر من العلم والرواية عن أكابر العلماء، وكانت على دراية بعلم الفقه (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ٢٥٤).

قال أبو أيوب السجستاني: ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب. ومن أقوالها:

- النساء ما زين بشيء كأدب بارع تحته لب ظاهر.

- إذا رأيتم النعم مستدرة؛ فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال.

ودخل عليها زياد بن عبد الله القرشي، فوجدها تغزل، فقال لها: " أتغزلين وأنت امرأة أمير؟ فقالت: سمعت أبي يقول: " قال رسول الله ﷺ: أطولكن طاقة أعظمكن أجرا. وهو يطرد الشيطان؛ ويذهب بحديث النفس " (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٢٥٤ - ٢٥٥).

(٣) تركيز الاهتمام على الجانب الأخلاقي:

أدى الحرص على الجانب الأخلاقي للنساء إلى استحداث أمور في التربية لم تكن موجودة في عهد الرسول ﷺ مثل تحريم الكتابة والشعر على المرأة، وكذلك الحرص على تعليمها سوراً معينة من القرآن الكريم. ويدل على ذلك قول الجاحظ: "لا تعلموا بناتكم الكتابة ولا ترووهن الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور" (الجاحظ عن الأهواني، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٩ م، ص ١٠٥).

كذلك نجد القاسبي يقول: "يقبل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهن منه، وما خيف عليهن منه؛ فصرفه عنهن أفضل لهن وأوجب على متولي أمرهن" (القاسبي، د.ت، ص ٢٨٩).

(٤) الفصل بين الذكور والإناث:

أدت شدة الاهتمام بالناحية الأخلاقية إلى الفصل بين الذكور والإناث في المؤسسات التربوية، ونجد ابن سحنون في القرن الرابع الهجري يشير إلى ذلك بقوله: "وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم" (ابن سحنون، د.ت، ص ٣٦١).

فكان البعض من معلمي الكتاتيب لم يكن يراعي تطبيق هذا المبدأ، وربما كان ذلك من الأسباب التي حدت من انتشار تعليم النساء في عصور الازدهار.

(٥) التدرج في التعليم:

وقد أشار إلى ذلك كل من القاسبي وابن سحنون، فالقاسبي يرى التدرج بالمتعلم من مقام الإسلام وتربيته حتى يصل إلى مقام الإحسان مروراً بالإيمان. (القاسبي، د.ت، ص ٣٦٥-٣٧١)، في حين يرى ابن سحنون التدرج في تعليم سور القرآن الكريم (ابن سحنون، د.ت، ص ٣٥٩).

(٦) التعلم الذاتي:

جرت عادة المعلمين أن يتركوا لتلاميذهم الفرصة للاعتماد على النفس في القراءة والفهم والبحث، ومن ثم فقد كان كل منهم يسير في دروسه بحسب مستواه من الفهم، وبحسب نوع العلم الذي يميل إليه (الأبراشي، د.ت، ص ٣٣).

(٧) شمول المنهاج لجميع الحقول المعرفية المتاحة:

وجزت الأصول العقدية والاجتماعية اختيار منهاج تعليم مسلمة عصور الازدهار؛ لذلك نجد أنه تبعاً للغاية الدينية من التعليم؛ فقد شكل القرآن الكريم الأساس في المنهاج، ثم درست علوم النحو والعربية بعد أن شاع اللحن في المجتمع زمن معاوية بسبب انتشار الموالي في المجتمع (الكيلاني، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٧٠).

وقد تضمن المنهاج أيضاً علم الحساب لغرض ديني، وهو معرفة المواريث وقسمة الوصايا، حتى إذا تطور المجتمع، أضيف إلى أسباب تعلمه غرض اجتماعي؛ وهو ضبط الحضارة والعمران (الأهواني، د.ت، ص ١٠٨، ١٧١).

ونجد البعض قد عمد بفعل التوجهات الاجتماعية إلى منع المرأة من تعلم الكتابة والشعر. وإلى ذلك يشير القابسي بقوله:

"وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها. فأما الترسل؛ فهو مخوف عليها، وإنما تعلم ما يرجى لها صلاحه ويؤمن عليها من فتنه، وسلامتها من تعلم الخط أنجي لها" (القابسي، د.ت، ص ٢٨٩).

ويعلق القرشي على هذا الرأي للقابسي، وعلى ما ذكرناه سابقاً من رأي الجاحظ بقوله:

"وهذا الرأي يفقد الأصالة العلمية، ولا يلتقي مع روح الإسلام وهديه، فإن الإسلام وجه جميع أجهزته وطاقاته لإقصاء الجهل، ومحو الأمية وجعل العلم حقاً ذاتياً لكل إنسان ذكر أو أنثى، وألزم الدولة بتهيئة الفرص المتكافئة لتحقيق العلم لكل إنسان بغض النظر عن أصله وقوميته ومكانته الاجتماعية، وأن كل إنسان له الحق في المشاركة الواسعة في جميع ألوان النشاطات العلمية والفكرية" (القرشي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٩٣).

ثم اشتمل المنهاج على دراسة الحديث الشريف في زمن عمر بن عبد العزيز وذلك بسبب الحاجة إلى التشريع. حيث نجد أن عمر بن عبد العزيز؛ قد أرسل إلى كبار علماء الحديث يأمرهم بنشره وتعليمه (الكيلاني، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٧م، ص ٧٠)، وكانت عمرة بنت عبد الرحمن ممن أمر عمر بجمع رواياتها (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٤٨٠).

وفيا بعد؛ ظهرت علوم أخرى كالطب والبلاغة، والنقد، والشعر، والغناء، وذلك بحسب تطور المجتمع.

وقد أقبلت مسلمة عصور الازدهار على هذه العلوم تنهل منها بحسب الفرص التي أتاحت أمامها؛ فكان من بين النابغات في هذه الفترة:

- عائشة بنت طلحة رحمها الله: التي نشأت في أحضان بيت النبوة برعاية أم المؤمنين عائشة رحمها الله، فكانت على درجة عالية من العلم بالحديث وأخبار العرب وأشعارها وأيامها، إلى جانب علمها بالفلك (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٥٤).

- عمرة بنت عبد الرحمن رحمها الله: تلميذة عائشة رحمها الله التي كانت على علم كبير بالفقه. وقد تلقى العلم على يدها الزهري ويحيى بن معين وغيرهم. (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٤٨٠)

قال ابن حبان، كانت من أعلم الناس بحديث عائشة رحمها الله (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٣، ص ٣٥٦).

وقد روي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم: " أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية، أو حديث عمرة فاكتبه. فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله " (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٤٨٠).

- نفيسة بنت حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب- ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م، ونشأت بالمدينة وحفظت القرآن الكريم وتفسيره. ويروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ١٨٧).

- أخت الحفيد بن زهر: وقد كانت عالمة بصناعة الطب والمداواة، وكانت تدخل على نساء المنصور أبي يوسف، ولها خبرة جيدة بمداواة النساء " (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٢٧٨).

ونجد جوستاف لوبون في "حضارة العرب" يشيد بالمستوى العلمي الذي وصلت إليه مسلمة عصور الازدهار حيث يقول:

" ومن الأدلة على أهمية النساء أيام نضارة العرب؛ كثرة من اشتهر منهن بمعارفهن العلمية والأدبية. فقد ذاع صيت عدد غير قليل منهن في العصر العباسي في الشرق، والعصر الأموي في إسبانية " (لوبون، د.ت، ص ٤٠٣-٤٠٤).

المبحث السادس

تربية المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد

ابتدأت فترة الركود والتقليد بعد فترة الازدهار والانتشار، فعاش الفكر الإسلامي فترة انعزال وجمود وركود؛ حيث أصبحت التربية الروحية مجرد بحوث جدلية، وشاعت الخلافات المذهبية، وانحصرت العلوم في اللغة العربية والعبادات المذهبية بعيدا عن العلوم الكونية. (عبد الحميد الهاشمي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٩). واستمر الركود والتقليد حتى مطلع العصر الحديث؛ حيث بدأت محاولات إعادة صياغة الفكر الإسلامي من جديد.

وقد وجهت الأصول الاجتماعية تربية المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد، وذلك ما سوف نوضحه من خلال البحث فيما يلي: -

١- الحالة الفكرية للمجتمع الإسلامي في عصور الركود والتقليد.

٢- تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد.

٣- المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد.

أولاً: الحالة الفكرية للمجتمع الإسلامي في عصور الركود والتقليد:

طالب العلماء في بداية القرن الرابع الهجري بوقف باب الاجتهاد، الأمر الذي أثر سلباً على نمو العلوم في مختلف المجالات، وذلك بسبب ما ساد العلماء وطلاب العلم في تلك الفترة من مظاهر التقليد والحزبية المذهبية (الندوي، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ٢٨١)، وما طرأ على الفكر الإسلامي من أفكار ومعتقدات ضالة، وضيق في مفهوم المنهاج. وتفصيل ذلك كالتالي:

١- شيوع ظاهرة التقليد:

بدأت هذه الظاهرة في البروز منذ نهاية عصور الازدهار. ونجد الغزالي يشير إلى ذلك بتوجيهه النقد إلى المقلدين؛ الذين كانوا يقلدون أصحاب المذاهب في الظاهر فقط، في حين أنهم يخالفونهم في أعمالهم وسيرهم. (أبو حامد الغزالي، د.ت، ج ١، ص ٢٥) وقد اعتبر الغزالي ذلك دليلاً على قلة البصيرة (الكيلاني، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٧٢).

ثم نأتي إلى عصور الركود والتقليد؛ حيث نجد من بين العلماء من نادى بالتقليد، والتزام التراث السلفي، ومن بينهم الزرنوجي الذي كان من أقواله: "عليكم بالعتيق وإياكم والمحدثات" (الزرنوجي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م، ص ٧١). ونتبين مدى مجانبته للصواب حين نعرف أنه كان ينادي بالتزام طريقة السلف وأسلوبهم في كل شيء، حتى في الخبر الذي كانوا يكتبون به، حيث نهى عن استخدام الخبر الأهر لأنه من صنيع الفلاسفة (الزرنوجي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م، ص ٨٥).

وبالمقابل نجد من علماء هذا العصر من أدرك خطأ التقليد وحذر منه وبين أخطاره، ومنهم الإمام الماوردي (الماوردي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م، ص ٥٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (الكيلاني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١٤٥، ص ٢٠١).

ومما أدى إلى تكريس التقليد؛ إلغاء حرية التعليم، حيث أصبحت الدولة تشرف عليه، وترعى مؤسساته، وتعين المعلمين، وتقرر المناهج. فأصبح المعلمون مجرد موظفين، الأمر الذي جلب إلى مهنة التعليم البعض من طالبي الدنيا (الكيلاني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١٧٩-١٨١).

وقد بلغ التقليد في هذا العصر درجة عظيمة؛ حيث وجد هناك من رأى بأن التدريس في المسجد أفضل من المدرسة لأن السلف لم يعهدوا المدارس، كما وجد أيضا من دعا إلى الانكباب على تراث السلف دون زيادة أو تطوير؛ لأن علومهم تلبى حاجات كل تطور، بل زادوا؛ فرموا كل داع إلى التجديد بالجهل والانحراف (الكيلاني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص ٢١٤-٢١٥).

٢- انتشار الحزبية المذهبية:

وجه التعصب المذهبي مؤسسات التعليم التي انتشرت، فكان لكل مذهب مدارس به إلى جانب الأربطة والزوايا التابعة له، وكان كل مذهب يحدد للمنهاج التربوي تصورا جزئيا لا يخرج عن حدود الإطار العام للمذهب (الكيلاني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١٧٨-١٧٩).

ونجد من علماء هذا العصر من ندد بالحزب، وأبرزهم ابن تيمية الذي كان من ضمن أقواله: "وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء. وليس لأحد منهم أن يأخذ العهد على أحد بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه" (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، ج ٢٨، ص ١٥-١٦).

٣- تسرب الأفكار والمعتقدات الضالة:

وقد حدث ذلك عن طريق الترجمة، ومن بين من انتقد ذلك ابن تيمية، الذي أوضح بأسلوب علمي؛ أن مهمة التربية إنما تتمثل في تصحيح الأخطاء التي لحقت بالمجتمع جميعها، للعودة إلى ما كان عليه السلف من أصول صحيحة (الكيلاني، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٧١).

٤- ضيق مفهوم المنهاج:

إلى جانب مناداة العلماء بالتزام التراث؛ أصبح هناك تركيز على علوم الدين واللغة العربية، وأصبحت العلوم الطبيعية والاجتماعية ينظر إليها بعين الارتياب، مما حصر المعرفة في مجرد ترديد معارف السلف، أو شرحها، أو تلخيصها. وأصبح الاقتداء هو أبرز العلوم العقلية (الكيلاني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٨٤-١٨٦، ص ٢١١-٢١٢).

ومما ظهر في هذا العصر؛ نظم مؤلفات السلف في قصائد شعرية، كما ظهرت الحواشي التي تكتب على الشروح، فأصبح المنهاج يقوم على تدريس الشروح والتلخيصات والمنظومات الشعرية والحواشي. واستمر هذا الضيق؛ حتى آل المنهاج إلى شرح كتب الأقدمين وهو الحواشي، وشروح توضح الغامض، وهي التقرير. وأصبح التعليم يدور حول المتن والشرح والحاشية والتقرير (الكيلاني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٣٤-٢٣٩).

فهذه المظاهر التي تميز بها الفكر الإسلامي في عصور الركود والتقليد بصفة عامة؛ قد أثرت على تعليم المرأة في هذا العصر بصورة أكبر بكثير؛ حيث حصرت في مجرد قراءة القرآن، وبعض أمور الدين، وشيئا من الحساب في الغالب كما سنرى لاحقا.

ثانيا: تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد:

نتيجة للغلو في تطبيق قاعدة سد الذريعة؛ وضعت قيود كثيفة على حياة المرأة المسلمة بعد عصر الرسالة الذي نعمت فيه المرأة بكامل الحقوق التي منحها إياها الخالق. وقد بلغ الغلو درجة من التطرف جعلت من المسلمين من يأنف من التصريح باسم زوجته أو أخته، ويغار من ذكره ولو لحاجة عارضة (أبو شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٣، ص ١٨٤-١٨٨، ص ٢٠٧).

وقد بدأت مؤشرات انحراف المسلمين عن تعاليم دينهم في معاملتهم للمرأة بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة، وأول ما تمثل في المنادة بمنعها من المسجد الذي نهى الرسول ﷺ عن منعها منه.

وقد استدل القائلون بالمنع من ضمن ما استدلوا به قول عائشة ؓ الذي روته عمرة بنت عبد الرحمن، حيث قالت: " لو أن رسول الله ﷺ رأي ما أحدث^(١) النساء لمنعهن المسجد كما منعت بني إسرائيل. " (مسلم، د.ت، ج ١، الصلاة / ٣١، ص ٣٢٩).

فالقائلون بالمنع - كما يقول أبو شقة - قد نسوا بأن الشريعة لا ينسخها كلام أحد من الناس مهما ارتفعت منزلته. (أبو شقة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٣٥)، إلى جانب أن عددا من العلماء قد جاء بكلام جيد في تأويل قول عائشة ؓ ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر:

"و.. تمسك بعضهم بقول عائشة في منع النساء مطلقا، وفيه نظر، إذ لا يترتب على ذلك تغيير الحكم، لأنها علقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت: " لو رأي لمنع. " فيقال عليه: لم ير ولم يمنع. فاستمر الحكم حتى أن عائشة لم تصرح بالمنع وإن كان كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع. وأيضا فقد علم الله سبحانه ما سيحدثن فما أوحى إلى نبيه بمنعهن ولو كان ما أحدثن يستلزم منعهن من المساجد لكان منعهن من غيرها كالأسواق أولى. وأيضا فالأحداث إنما وقع من بعض النساء، لا من جميعهن فإن تعين المنع فليكن لمن أحدثت. والأولى أن ينظر إلى ما يخشى منه الفساد فيجتنب لإشارته ﷺ إلى ذلك بمنع التطيب والزينة^(٢).. " (ابن حجر ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٦٢٤).

وعلى الرغم من أن البعض هو الذي أخذ بهذا التشدد في تعامله مع المرأة خاصة في القرون الأولى، وهو معلوم من الحرية التي كانت تنعم بها المرأة في ظل خير القرون، إلا أنه ومع توالي القرون قد ازداد البعد عن هدي الله في شأن المرأة، حيث دخلت على المسلمين تصورات باطلة منافية لما شرعه الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بالمرأة.

من ذلك ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة مما يشير إلى الغلو الشديد في معاملة المرأة بما

(١) يعني من الزينة والطيب وحسن الثياب. (النووي، في مسلم، د.ت، ج ١، ص ٣٢٩).

(٢) للمزيد انظر (أبو شقة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٣٥، وما بعدها).

ينافي شرع الله ومما جاء فيه^(١):

١- من كره أن تؤم المرأة النساء (ابن أبي شيبة، ج ١، ص ٥٣٧).

٢- من كره خروج النساء إلى العيدين (ابن أبي شيبة، ج ٢، ص ٨٨).

٣- من كره خروج النساء إلى المسجد (ابن أبي شيبة، ج ٢، ص ٢٧٦).

كذلك شاعت بين المسلمين روايات وأحاديث إما موضوعة أو قريبة من الوضع، انتهت بالمرأة إلى الجهل التام، حيث أصبح تعليمها معصية، وإطلاعها على شئون المسلمين أمر لا يخطر على بال.

لقد تجرأ واضعو الأحاديث على وضع أحاديث تخص أمور العقيدة، ومن ثم فما من شك في أنهم كانوا أكثر جرأة في وضعهم الأحاديث عن المرأة؛ مما كان له أسوأ الأثر في تشويه صورة المرأة في أذهان كثير من المسلمين؛ لأنها تحذر من شر المرأة، وتؤكد أنها أصل البلاء وسبب الشقاء للرجل، ومنها ما يؤكد أهمية سوء الظن بها، ومخالفتها، ومنها ما يأمر بإذلالها واحتقارها حتى لا تقاوم الرجل، ومنها ما يحط من قدر الجميلات أو السوداوات، ومنها ما يحط من قدر المنجبات، ومنها ما يذم غير المتزوجات... إلخ.

ومن بين هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة^(٢):

١- شاوروهن وخالفوهن: مع أن الرسول ﷺ قد أخذ بمشورة أم سلمة يوم الحديبية. قال الألباني: "لا أصل له" (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ١، ص ٤٢٩).

٢- الطيرة في الدار والمرأة والفرس: وهذا حديث ضعيف حيث قال فيه الألباني: "هذا مختصر من الحديث الصحيح: "إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس. والحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء لأن معناه لو كان الشؤم ثابت في شيء ما لكان ثابتاً في هذه الثلاثة" (الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ١، ص ٤٢٩).

ويؤيد ذلك قول الرسول ﷺ: " لا طيرة ولا هامة ولا صفر." (ابن ماجه، د.ت،

(١) انظر في ذلك أبو شقة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٣٥ وما بعدها.

(٢) هذه الأحاديث والتعليق عليها مأخوذة عن (القيسي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٥٩ - ١٦٩).

ج ٢، الطب / ٤٣، ص ١١٧١) حيث ينهى عن التشاؤم والتطير ويذكر بعض ما كانوا يتطيرون به في ذلك العهد.

٣- الحديد في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد.

٤- تخيروا لنطفكم واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشوه (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ٣، ص ٢٧).

٥- دفن البنات من المكرمات: قال الألباني: "ضعيف" (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ٣، ص ١٥٥).

٦- طاعة المرأة ندامة: "موضوع" (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ٤، ص ٨).

٧- هلك الرجال حين أطاعت النساء: "ضعيف" (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ٦، ص ٤٣).

٨- لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور: "موضوع". (ابن الجوزي، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، ج ٢، ص ٦٩٩).

وهكذا دفعت عامه النساء دفعا للبقاء في الجهل محرومات من نور العلم، بل إن الفتيات كن إذا ما تجرأن على الخروج لطلب العلم بفضل تشجيع الأهالي والمقررين؛ يقابلن بملاحظات قاسية من قبل الآخرين، خاصة النساء اللاتي كن يقابلنهن في طريق الذهاب أو العودة من وإلى المؤسسات التعليمية العالية التي وجدت آنذاك. بل إن من بين المتعلّمات من كانت تتلقى تهديدات بهدف منعها عن إكمال مشوارها التعليمي، وقد حدث هذا مع عنبرة الخالدي المولودة في عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م بلبنان، والتي بعد إنهاء دراستها في الكتاب، انضمت إلى مدرسة تنتمي لجمعية ثمرة الإحسان، وكانت في العاشرة من عمرها حين بدأت تتسرب إلى سمعها كلمات تهديد وملاحظات قاسية، من نساء يصادفنّها في الشارع، فيعبرن عن عدم رضاهن بخروجها لنيل العلم خارج المنزل (نصر الله، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٢٤٩-٢٥٠).

وحدث ذلك أيضا بصورة أخرى مع الأميرة العمانية سالمة بنت سعيد بن سلطان^(١)، وذلك أن تعلم الكتابة كان ممنوعا على البنات في جميع البلاد الإسلامية بصفة عامة، وقد شعرت الأميرة برغبة ذاتية في تعلمها، فعمدت إلى ذلك سرا عن ذويها، فلما انكشف أمرها لاقت الكثير من اللوم والتقريع والسخرية والاستهزاء ممن حولها. وتصف هي ذلك فتقول:

"بدأت أتعلم الكتابة بنفسي وبطريق بدائي جدا، وكان علي أن أعمل هذا بالسر والكنهان فما يجوز لامرأة أن تتعلم الكتابة أو تعلن معرفتها بها، وكانت دروسي الأولى أن أحاول محاكاة حروف القرآن على عظم بعير، وهو يقوم في زنجبار مقام السبورة. وقد شجعني نجاحي على الاستمرار في المحاولة والتوفيق فيها. ولكن بعد مرحلة معينة كان لابد من وجود معلم يعلمني أصول الخط، وقد عهدت إلى أحد عبيدنا المتعلمين شرف تعليمي أصول الخط. ولكن أمري سرعان ما انكشف للجميع، فثارت علي زواجر اللوم والتقريع وحملات السخرية والاستخفاف، ولكني لم أحفل بها ولم تغل عزيمتي شيئا، فمضيت في دروسي حتى أتقنتها. ولست الآن بأسفة على تلك الساعات الطوال التي قضيتها في هذا الدرس، فالكتابة الآن هي وسيلتي الوحيدة للاتصال بالقلائل من أصدقائي الأوفياء المخلصين في وطني البعيد" (سلطان، د.ت، ص ١٠٤).

وعلى النقيض من موقف المحيطين بالأميرة سالمة؛ نجد موقف المحيطين بالأميرة عائشة؛ ابنة السلطان عبد الحميد الثاني، وعلى رأسهم والدها ووالدتها. فقد بذل الجميع كل ما في وسعهم من أجل جذبها للعلم، ووفروا لها الجو الملائم لذلك.

فبعد أن وصلت الأميرة عائشة إلى مرحلة التحصيل، عرضت أمها الأمر على والدها الذي رتب أمر تعليمها هي وإحدى أخواتها معا، وقامت الأم بإعداد حقيبتها المدرسية،

(١) سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان أميرة شرقية ابنة سلطان عربي؛ خرجت على دين قومها وتقاليدهم، وتزوجت شابا ألمانيا، وهجرت وطنها من أجله. عاشت في ألمانيا، واستبدلت اسمها باسم أعجمي هو البرنسيس إميلي روث، ثم عادت إلى ديارها بعد عشرين عاما، لكن أغلقت الأبواب أمامها. ولدت بين عامي ١٨٤٤م، ١٨٤٥م / ١٢٦٠، ١٢٦١ هـ وخرجت من عمان في عام ١٨٦٦م / ١٢٨٢ هـ، وتوفيت عام ١٩٢٢م / ١٣٤١ هـ وهي في حوالي الثمانين، وزارت بلادها عام ١٨٨٥م / ١٣٠٣ هـ. (سلطان، د.ت، ص ٩، ص ٤٨).

ولا أرى من سبب لهذه المأساة سوى الجهل الذي أعمى هذه الأميرة عن رؤية الحق الذي تنعم به، لتركه إلى الباطل؛ حيث ارتدت عن الإسلام من أجل تحقيق شهوة النفس.

واتخذت جميع الاستعدادات لذلك، مما أدخل على قلب الابنة الفرح والسعادة بما هي مقبلة عليه، ونجدها تعبر عن تلك الفرحة التي غمرتها بقولها:

" وكانت فرحتنا بلا حدود، أعدت لي والدتي حقيبة المدرسة، وكانت من القطيفة البنفسجية الرائعة المطرزة بخيوط الفضة، وضعت فيها كتاب الأبجدية المذهب والأهله^(١) الذهبية ذات الأطراف الماسية. ولأنني كنت أحب اللون البنفسجي كثيرا؛ فقد أعدوا لي حقيقتي منه. واختاروا يوم الخميس الأول من شهر المولد النبوي (ربيع الأول) وسلمونا إلى المربية في هذا اليوم حتى نبدأ باسم الله، ومضيينا إلى حجرة الدرس وجميع العاملين في السراي يقفون عند باب الحريم لتوديعنا وهم يقولون: " يفتح الله عليك، كما كان الأغوات عند السلامك والعمال الآخرون في السراي يرددون نفس الدعاء".

ويبدو إدراك الأم لأهمية تعلم ابنتها؛ من هذه الاستعدادات التي اتخذتها، وكذلك من نصحتها لابنتها بطاعة المعلم الذي يفوق فضله فضل الأبوين (أوغلي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٠٠-٢٠١).

كما يبدو اهتمام الوالد أيضا من الترتيبات التي أعدها لتعليم ابنته، وكذلك من التشجيع الذي لم يكن يبخل به على ابنته. فبعد أول درس لها؛ تذكر الأميرة عائشة أنها قد ذهبت لتقبل والدها الذي شجعها وأختها بقوله: " اليوم بدأن الدروس، هل صحيح؟ إن شاء الله تدرسن جيدا، وعلي المقابل " (أوغلي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٠٠-٢٠١).

ثم نجدها بعد أن تعلمت الكتابة؛ يطلب منها معلمها كتابة دعاء لوالدها لتعرضه عليه، ثم يضع الورقة المكتوبة في مطروف كبير لتقدمه لوالدها عقب تهنئته في ذكرى جلوسه على العرش. وتصف عائشة الموقف بقولها:

" والتزمت هذا الأمر، فدخلت والورقة بيدي، ثم قبلت يده وقدمتها إليه، فتناولها الوالد، وضحك، ثم فتحها وقرأ ما فيها،... وبعدها جذبني إليه وقبلني من الوجنتين، ومسح على رأسي ثم قال: " أحسنت يا ملاكي! كتبها بأجل ما يكون، أشكرك، إنك

(١) تطلق كلمة (هلال) على الأعواد الرفيعة التي تصنع من العظام والعاج والفضة وغيرها لاستخدامها في الإشارة إلى حروف الهجاء للأطفال المبتدئين في تعلم القراءة والكتابة. (أوغلي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٠٠).

تتقدمين، ما شاء الله"، ويومها فرحت كثيرا، وأعرب معلمي عن فخره بي. وبعدها أنعم عليه السلطان، وأرسل من ينقلون إليه شكره على حسن اجتهاده مع الأميرات، وجعلت أُمِّي هذا الخط في إطار لازلت أحتفظ به حتى الآن تذكارا" (أوغلي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٥٥ - ١٥٦).

وقد كان التعليم المتخصص للنساء في عصور الركود والتقليد غير متيسر إلا للقلة ممن يتتمين إلى علية القوم، أو ممن أتاح لهن القدر الانتفاء إلى بيئة علمية أو تهتم بالتعليم، في حين كانت غالبية النساء يتلقين تعليما بسيطا في الكتاتيب.

لقد كان الآباء من المتعلمين يهتمون كثيرا بتعليم بناتهم؛ خاصة إذا ما وجدوا لديهن استعدادا لذلك، فيحضرون لهن المدرسين إلى المنزل.

ف نجد في بداية هذه العصور؛ شهدة الدينورية، التي اعتنى أبوها المحدث أبو نصر أحمد بن الفرج الدينوري بتعليمها (يوسف، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣، ص ٥٩)، وفي نهايته نجد في السودان مريم بنت الحاج عطوة، التي اعتنى والدها الفقيه عطوة المغربي بتعليمها؛ حيث علمها الفقه، وكذلك أم كلثوم بنت القرشي؛ والدها العالم القرشي ود الزين الذي بلغ درجة عالية من العلم (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

كذلك نجد زينب فواز المولودة بين عامي ١٢٦٢ - ١٢٧٧هـ / ١٨٤٥ - ١٨٦٠م؛ قد شجعها صديق العائلة حسن حسني الطويراني (صاحب مجلة النيل) على قراءة الأدب والشعر وتعلم التاريخ. وهدى شعراوي؛ كانت أمها على قدر من الوعي جعلها تدرك أهمية تعليم ابنتها؛ فأحضرت لها مدرسين في المنزل لتعليمها العربية والتركية والفرنسية والموسيقى. وعنبرة سلام الخالدي، كان أبوها زعيم قومه، وكانت أمها متعلمة، وهو أمر نادر في زمانها. فشجعها والدها على التعلم في المدرسة الأولية عند الشيخة، ثم في مدرسة جمعية ثمرة الإحسان، وكذلك شجعها على التعلم أحمد مختار بيهم؛ الذي كان يقدم جوائز تشجيعية للطالبات المتفوقات. وفيما بعد أحضر والدها لها كبار الأساتذة للإشراف على تعليمها في المنزل، منهم الشيخ عبد الله البستاني الذي علمها قواعد اللغة العربية وآدابها، وذلك فيما بعد عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م. وكان هذا المعلم في حدود السبعين من عمره، وقد رضي أن يقوم بالمهمة أداء لحق الصداقة بينه وبين والد عنبرة. كذلك أحضر الوالد عنبرة معلمة لتدريسها اللغة الفرنسية، وقسيسا يدعى الأب يوسف الزهار ليدرسها

العلوم، ومعلمات ليدرسنها الموسيقى (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٤٩ - ١٥٠، ص ٢٠٥-٢٥١).

أما سنية حبوب المولودة عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م؛ فقد كانت أمها تجهل القراءة والكتابة، لكنها سعت إلى تعويض ما لديها من نقص في أبنائها، لذلك نجدها وزوجها قد شجعا ابنتهما على طلب العلم، حيث ألحقها أبوها وهي لم تكمل عامها الثالث بعد؛ بمدرسة الشيخ عمر في بيروت (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٦٢).

وإلى جانب تشجيع الآباء والمقربين؛ تأثر تعليم البنات في هذه الفترة أيضا بالمستوى المعيشي للأسرة. فنجد أن من بين المبرزات في العلوم من ينتمين إلى الطبقات العليا في المجتمع. فعنبرة الخالدي؛ أبوها زعيم قومه؛ ولذلك أتيحت لها فرصة الدراسة بالخارج. وكان لذلك أثره في إثراء ثقافتها (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٥١).

وعائشة أوغلي؛ ابنة السلطان عبد الحميد الثاني، رتب والدها أمر تعليمها على أيدي معلمين خصوصيين؛ وهما كاتب السر حسيب أفندي؛ للقرآن واللغة العربية واللغة الفارسية، وكاتب الشفرة الخصوصي كامل أفندي؛ للغة التركية والقراءة والقواعد العثمانية والحساب والتاريخ والجغرافيا (أوغلي، ١٤١١هـ / ١٩٩١، ص ٢٠٠).

ومع نهاية عصور الركود والتقليد، وبعد أن دخل الاستعمار في البلاد الإسلامية؛ أقيمت هناك المدارس المختلطة للأطفال من الذكور والإناث، والتي أسهمت بدورها في تعليم المرأة المسلمة.

ففي السودان بدأ المنصرون نشاطهم منذ عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م، وأقاموا مدارس مختلطة للأطفال تعلم القراءة والكتابة والحساب وصناعة الخشب والبناء والرسم والغناء والموسيقى. وقد تعلمت المرأة في السودان، وتدرجت في تعلم اللغات الأجنبية أيضا، ونجد المنصرين هناك قد ابتكروا طريقة الطواف على البيوت، بعد أن كانت جهودهم محصورة في مراكزهم وفي الكنائس، حيث عرفوا أن التقاليد لا تسمح بخروج المرأة في وضوح النهار في بعض الأماكن؛ لذلك قامت المنصرات بتعليم النساء في بيوتهن فن الطبخ والخياطة والتطريز، إلى جانب مبادئ الكتابة والقراءة والحساب. وقد تقبلت كثير من الأسر هذا النمط من التعليم. كذلك أسهمت المنصرات في تعليم كثير من الإماء بعد تحريرهن؛ فن التوليد والتمريض شفويا (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٥).

وندرك من ذلك كيف أن حرمان المرأة من حقوقها المشروعة؛ يفتح المجال للآخرين لتحقيق أغراضهم في المجتمعات الإسلامية تحت غطاء الحقوق المشروعة.

ويلاحظ مما سبق أن دور الأم في تعليم البنت كان ضئيلا أو منعدما في الغالب، وذلك بسبب قلة الأمهات المتعلّمات تعليما عاليا، ومحدودية علم الغالبية منهن، لذلك لم نجد سوى القليل من الأمهات اللاتي شجعن بناتهن على طلب العلم.

ومما يؤسف له أن محدودية علم الأم قد كانت تقف حائلا أمام رغبة ابنتها في طلب العلم في بعض الأحيان، كما حدث مع عائشة التيمورية التي كانت أمها تصر على تعليمها شئون المنزل وفن الحياكة، في حين كانت هي تنفر من ذلك رغبة في تعلم الأدب والفكر، فكانت دائما ما تنسل من مجالس النساء؛ حيث التطريز وشئون المنزل، إلى مجالس أبيها العامرة بأهل الفكر والأدب. وقد وجدت التشجيع من والدها الذي وقف مع ابنته؛ حين لم تكتف أمها بالكلام بل هددت وتوعدت، فحسم الموقف بقوله: " احذري من أن تكسري قلب هذه الصغيرة، وأن تلمي طهره، وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها إلى المحابر والأوراق، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها وتعالى نتقاسم بنيتنا: فخذني (عفت) وأعطني (عصمت)، وإذا كانت لي من عصمت كاتبة وشاعرة فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي... " وعصمت هو الاسم الذي اختارته عائشة فوقعت به ديوانها باللغة التركية (زيادة، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ٦١) / (نصر الله، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ١، ص ١٤١-١٤٢).

ثالثا: مبادئ وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد:

من المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد:

١- التعلم الذاتي:

وذلك أن الرغبة في مواصلة التعليم؛ لم تكن تفرض من قبل القائمين عليه؛ بل كانت تعتمد على المتعلّمات أنفسهن ومدى حرصهن على مواصلة التعليم.

وقد رأينا كيف أن سالمة بنت سعيد؛ الأميرة العمانية، قد بذلت مجهودا كبيرا لتعلم الكتابة بنفسها وبطريقة بدائية جدا. وهناك أيضا عائشة التيمورية التي ولدت عام ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م؛ نجدها في فترة من فترات حياتها تشعر برغبة في تقوية لغتها العربية، ومن ثم تحضر من يعينها على ذلك، وفيها بعد نجدها بعد وفاة ابنتها " توحيدة"؛ تقبل على تعلم الحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم (نصر الله ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م،

ج ١، ص ١٤٣-١٤٦).

٢- الجمع بين الذكور والإناث في مراحل التعليم الأولى:

فقد كان المجتمع بصفة عامة يتقبل تعليم الذكور مع البنات في مرحلة الدراسة الأولية بالكتاب؛ ولذلك وجدنا العديد من الكتاتيب تضم خليطاً من الذكور والإناث، كما في كتاب الشيخ عمر بيروت في أوائل القرن العشرين (نصر الله ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٦٢)، وكما هو الحال في كثير من الخلاوي (الكتاتيب) التي وجدت في أنحاء متفرقة من السودان (الطيب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٢٥٠)، وكذلك في مدغشقر؛ حيث كان الأولاد من الذكور والإناث يرسلون إلى الكتاب في السادسة من العمر ليدرسوا معاً، ولا يفصل بينهم إلا في سن البلوغ (ستودارد، ١٣٩٣/ ١٩٧٣م ص ١٥٣)، وكذلك في زنجبار؛ كان يسمح لبعض المعلمين بتعليم البنات الصغيرات فقط، خاصة في العوائل الميسورة (سلطان، د.ت، ص ١٢٥-١٢٧).

لكن المجتمع لم يكن يتقبل هذا الخلط أبداً بالنسبة للفتيات البالغات، بل كان يقابله بالاعتراض الذي قد يصل إلى درجة التهديد للفتاة التي تتعلم مع الذكور خاصة، بعد أن وجدت المدارس والجامعات المختلطة في ظل الاستعمار.

ولذلك وجدت سنية حبوب رسائل التهديد تصلها من قبل المعارضين على انضمامها إلى جامعة البنين لتلقي بعض صفوف العلوم والرياضيات التي لم تكن متوفرة في كلية البنات التي كانت تدرس بها، على الرغم من التزامها بالحجاب؛ الأمر الذي جعل بعض أساتذتها يرافقونها عند خروجها من الجامعة حتى تصل إلى الكلية (نصر الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ج ١، ص ٢٦٣).

٣- إعداد الفتاة لتكون ربة بيت:

فبعد أن تنتهي الفتاة من مرحلة الدراسة الأولية في الكتاب؛ غالباً ما كان يفرض عليها البقاء في المنزل لتواصل تعلم ما تحتاجه في المستقبل باعتبارها ستصبح زوجة وأماً. ففي تونس كانت جميع الفتيات يتدربن على أعمال الإبرة؛ من خياطة وتطريز. وكان ذلك يتم بهدف إعداد الفتاة لكي تهيم بنفسها جهاز منزلها وثياب عرسها. وتتعلم الفتاة ذلك إما في المنزل على يد والدتها أو على أيدي معلمات ماهرات، مقابل عوائد تؤخذ من ذوي الفتاة في مواسم معينة (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١١٨).

وقد كان ذلك منتشرًا في كثير من البلاد الإسلامية، ويشير إلى ذلك في مصر؛ ما كان يحدث من أم عائشة التيمورية من إصرار على تعليم ابنتها شئون المنزل وفن الخياطة، لأنها تعتبر " أن المنسج هو أداة النساء وأستاذ المعارف لبنات حواء "، ولما رأت نفور ابنتها من ذلك ظنت أن في طبعها شذوذًا، فكانت " تسأل الله عليها صبرا، ولها معونة " (نصر الله، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ١، ص ١٤١).

ونجد أن فن التطريز والخياطة قد أصبح جزءًا من المنهج في المدارس التركية في ظل الحكم العثماني (عمارة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٧٥).

٤ - الإيمان بالخرافات والدجل والشعوذة:

فقد شاعت الخرافات في هذا العصر كما أشرنا سابقًا، وانتشرت بين العامة الذين أخذوا يعالجون الأمور بغير أسبابها. وأكثر من تأثر بذلك هو المرأة، وهو أمر ظاهر في سلوكياتها المختلفة في واقع حياتها.

فنجدها مثلاً بدلاً من معالجة الحسد بالرقية التي علمنا إياها رسول الله ﷺ؛ تعتمد إلى الحجب والتمايم، وبدلاً من الاهتمام بالصحة وقواعدها؛ تلجأ إلى الدجل الشعوذة. وقد سيطرت الخرافات على عقول النساء في هذا العصر بدرجة " تصعب مقاومتها " على حد تعبير سائلة بنت سعيد (ابن سلطان، د.ت، ص ٢٤٤).

من ذلك أن النساء في زنجبار؛ كن يعمدن إلى ربط حجاب إلى ذراع الطفل الأيسر في حالة الحسد. وكان هذا الحجاب يحوي بصلة أو ثومة أو عظمًا أو صدفة، وهذا بالنسبة لعامة الناس. أما الطبقة العليا من المجتمع فقد كان أفرادها يستعوضون عن الحجاب بآيات قرآنية منقوشة على قطع من الذهب أو الفضة تدلى من العنق بسلسلة. وكان الصرع عندهم؛ يعالج بعزل المريض في غرفة مغلقة مليئة بأنواع البخور من أجل طرد الأرواح الشريرة (ابن سلطان، د.ت، ص ٩٨، ص ١١٩).

وقد كان الاعتقاد بقدرسية بعض الأماكن وقدرتها على تحقيق الأمنيات، وعلاج المرضى منتشرًا في أرجاء العالم الإسلامي؛ ولذلك كانت النساء يعمدن إلى التقرب إلى هذه الأماكن بألوان النذور من أجل الشفاء أو محو الذنوب (فيصل، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١١٧) (ابن سلطان، د.ت، ص ١٧٣).

وكانت تربية البنات على الاعتقاد بالخرافات تبدأ منذ الصغر؛ وذلك من خلال سرد

قصص العفاريت والجان على الأطفال من أجل تسليتهم أو تخويفهم.

وقد عبرت هدى شعراوي عن ذلك في مذكراتها بقولها: "بدأت حياتي تحت رعاية خدم جهلاء، يخفون عن الأطفال أمثالي ما كان يجب أن يعرفوه من الحقائق، أو يحيطونها بنسيج من الخرافات له خطره وتأثيره على عقول الصغار" (نصر الله، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٧٣).

ونفس الأمر كان شائعا في زنجبار؛ حيث كان أطفال علية القوم يتلقون على أيدي المربيات قصص العفاريت والجان من أجل تسليتهم أو تخويفهم (سلطان، د.ت، ص ١٢٢).

وإذا كان هذا حال علية القوم، فلا شك أن الأمر كان أسوأ بكثير بالنسبة للعامة^(١).

٥- تعدد المؤسسات التربوية التي يمكن أن تلتحق بها مسلمة عصور الركود والتقليد:

على الرغم من الركود والتقليد اللذين رانا على العالم الإسلامي في هذه الفترة من التاريخ، إلا أنه قد وجدت في هذا العصر العديد من المؤسسات التعليمية التي أسهمت في إخراج مسلمة عصور الركود والتقليد، والتي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي كافة. وكان التحاق مسلمة هذه الفترة التاريخية بها؛ يعتمد على مدى إدراك ذويها لأهمية تعليمها.

وأولها الكتابات التي كانت منتشرة في جميع البيئات تقريبا، والتي ظلت تؤدي دورها في إمداد الفتاة المسلمة بالتعليم الديني المطلوب "من قبل المجتمع".

فمثلا في مكة المكرمة ومع نهاية هذا العصر وجدت هناك الكثير من الكتابات التي كانت تقوم عليها معلمات من النساء؛ حيث تعتمد سيدة أو مجموعة من السيدات إلى التعليم في منازلهن. ومن ذلك كتاب آسية في المروة (الشامخ، ص ٢٩) وكتاب سلمى

(١) تذكر سائلة سعيد أنهم كانوا يعتمدون على العرافات لاستطلاع عودة الغائبين ومعرفة المستقبل، حيث أدى بهم الجهل إلى عدم ربط الأسباب بمسبباتها، فأصبحوا يشعرون بالضعف أمام ظواهر الطبيعة، فيخافون منها ومن أحداث الحياة، مما دفعهم إلى تصديق التفسيرات الغامضة، والتشبث بالأساطير الواهية، بحيث أنه كلما ازداد التفسير إبهاما وغموضا؛ ازداد تصديقهم له. وكانت النساء العرافات أستاذات هذا الميدان؛ حيث كان هن القول الفصل في أمور المرض والزواج والولادة وغيرها من أمور الحاضر والمستقبل. فكان السحر والشعوذة تجارة رابحة لمن يقوم بها. (سلطان، د.ت، ص ١٥١-١٥٣)

كفيل الدين الرازي في المسئلة^(١).

وفي السودان كانت هناك الكثير من الكتاتيب التي يسمونها (الخلاوي)، ومفردتها خلوة. وكانت هذه الخلاوي تقوم بتعليم الصغار من الذكور والإناث، أحيانا منفصلين، وأحيانا مختلطين بحسب الإمكانيات المتاحة (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٠).

وفي بيروت كان هناك كتاب الشيخ عمر مع بداية القرن العشرين، وكان يجمع فيه بين تعليم الذكور والإناث (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٦٢).

وإلى جانب الكتاتيب؛ ظلت دور العلماء في هذا العصر، كما في العصر السابق؛ منبعاً ثرا لبنات العلماء أو قريباتهم من النساء، وخاصة العلماء الذين كانوا مدرّكين لأهمية العلم في الارتقاء بوضع المرأة المسلمة، وهم قليل.

ومن هؤلاء العلماء: أبو نصر أحمد بن الفرج الدينوري، المحدث الذي عني كثيراً بتعليم ابنته شهدة المولودة عام ٤٨٠هـ، حتى وصلت إلى مرحلة متقدمة من العلم جعلت الكثير من طلاب العلم وعلمائه فيما بعد يشهدون لها. وكان والدها يشجعها على السماع من المشايخ (يوسف، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٥٩).

وكذلك عبد الغني بن علي العبدري؛ الذي اعتنى كثيراً بتربية ابنته سيدة وتعليمها بهدف تأهيلها "لحرفة" تعليم النساء. فتعلّمت القرآن وبعض العلوم من بينها الخط الذي أجادته. ثم علّمت في دور الأشراف والأغنياء وتوفيت سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م. وعبد الرحيم بن الحسن العراقي الذي اهتم بتعليم ابنته زينب المولودة عام ٧٩١هـ / ١٢٨٨م، حتى أصبحت محدثة. وعبد الله بن الحسن الأصفهاني الذي حمل ابنته زينب معه إلى أصبهان، وأتاح لها الفرصة للسماع من عدد من العلماء. وعلي بن محمد الطوخي، الذي أولى ابنته زينب المولودة عام ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م عنايته ورعايته حتى أصبحت محدثة، حافظة للقرآن الكريم، ولعدد من كتب الفقه، كما أنه اهتم بتعليمها الكتابة أيضاً. ومحمد الشريف بن شمس الدين محمد الرويدشتي الأصفهاني، الذي عني كثيراً بتعليم ابنته حميدة المتوفاة عام ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م، حتى أصبحت على قدر عال من الفصاحة والعلم بتحقيق الحديث. وكان يدعوها علامته. ومحمد نجيب الذي اهتم كثيراً

(١) كل ما يخص كتاب سلمى كفيل الدين في هذا البحث من معلومات تحصلت عليه من خلال مقابلة مع عزيزة خياط؛ إحدى تلميذات المعلمة سلمى.

بتربية ابنته أمينة المولودة عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، حتى أصبحت تقول الشعر. وسعيد شرتوني الذي اهتم بتعليم ابنته أنيسة فأرسلها إلى المدارس حتى إذا لاحظ عليها ميلها إلى الكتابة؛ "خرجها في الإنشاء والأصول العربية" حتى تمكنت من الأدب وأقبلت على الكتابة في المجلات^(١). وكذلك الفقيه عطوة المغربي، الذي علم ابنته مريم القرآن الكريم والفقه، حتى صارت من أفقه الناس في بيئتها بالسودان (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٣).

وهناك أيضا قائد الجهاد الصوكوتي بالسودان؛ عثمان دان فوديو الذي أصر على أن تعطى بناته ونساؤه نفس الفرصة المتاحة للرجال للتعلم في الدراسات الدينية، وقد كان من آثار ذلك أن أصبحت ابنته نانا أسماء من أبرز علماء عصرها، وكانت مؤلفة وشاعرة ومعلمة ومستشارة. وكان دان فوديو^(٢) يصر على أن تحضر النساء وعظه ودروسه، بحيث يجلسن في مكان منفصل عن الرجال. وحين انتقده البعض على ذلك رد عليهم بقوله: "السماح للنساء بحضور الدروس خير من تركهن فريسة للجهل." إلا أن هذا التقليد سرعان ما اضمحل بعد فترة، ولم يبق له سوى أثر بسيط لدى بعض الأسر التي كانت تحرص على تعليم نساها القرآن الكريم ضمن نطاق الأسرة والأقارب (ليمو في ندوة التعليم الإسلامي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٣٥).

وهناك اللغوي الشيخ ناصيف اليازجي الذي اهتم كثيرا بتعليم ابنته وردة، المولودة عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م. وإسماعيل باشا تيمور الذي أحضر المعلمين لتعليم ابنته عائشة، المولودة عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٢٨، ص ١٤٠).

وهناك أيضا أمونة بنت عبود في السودان، والتي اهتمت بالتعليم؛ فبدأت بأفراد أسرتها، ثم أبناء قريتها والقرى الأخرى المجاورة. وكان الأهالي إذا ما سمعوا بها سارعوا إلى إحضار أبنائهم وبناتهم إلى منزلها (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٣).

كذلك فقد ظلت دور الحكام وعلية القوم؛ تمثل في هذا العصر إحدى المؤسسات

(١) انظر في ذلك: (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٢).

(٢) في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي؛ ظهر دان فوديو الذي وحد شعب الفولاني القادم من الغرب، وفرض سيطرته على الهوسا، واتخذ الإسلام قاعدة له، وتلقب باسم أمير المسلمين، وعمل على نشر الإسلام. وقد توسعت إمارته حتى شملت أواسط نيجيريا وشالها. (ياغي وشاكر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٥٧).

التربوية التي كان يتم فيها تعليم بناتهم على أيدي مدرسين خصوصيين.

ونجد الأميرة سالمة سعيد تحكي عن تعليم البنات والبنين في قصر والدها، بأنه كان تعليمًا إلزاميًا، يقوم به معلمون من الذكور والإناث، وأن القادرين من العامة في زنجبار كانوا (يستأجرون) معلمين خصوصيين لتعليم صغارهم من الذكور والإناث (ابن سلطان، د.ت، ص ١٢٥-١٢٩).

كذلك أسهمت دور الحكام في تعليم غير بناتها من النساء المقربات إلى الأسرة الحاكمة، أو ممن هن على اتصال بها لسبب أو لآخر، حيث نجد أن أسرة زينب فواز كانت مقربة من الأسرة الأسعدية الحاكمة في لبنان، الأمر الذي أتاح لزينب الفرصة في الاتصال بالسيدة فاطمة بنت أسعد الخليل زوجة علي الأسعد، والتي أحاطتها برعايتها وشجعتهَا على طلب العلم وأسهمت في تعليمها القراءة والكتابة (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ١٥٢-١٥٣).

أيضا أسهمت المدارس في إخراج مسلمة هذا العصر، والتي انتشرت في أقطار العالم الإسلامي كافة، خاصة مع نهايته، حيث أتيحت الفرصة لعامة النساء في ارتيادها بعد أن كن شبه محرومات منها، حيث كانت الغالبية تتلقى تعليمها في الكتاب فقط.

فمع نهاية عصور الجمود والتقليد؛ عمدت الحكومة التركية إلى افتتاح كثير من المدارس الخاصة بتعليم البنات، كذلك قام المنصرون والمستعمرون بافتتاح كثير من المدارس التي لم يقبل عليها في بداية الأمر سوى البعض من الأهالي في حين صد عنها الغالبية.

ونجد أنه مع نهاية العهد العثماني؛ كانت عليّة القوم من النساء تتلقى تعليمها في المدارس التركية التي كانت تقدم أنواع العلوم المختلفة للبنات (خليل خليل، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩، ص ٧).

ومن بين النساء اللاتي تلقين تعليمهن في المدارس في هذا العصر عنبرة الخالدي، التي تعلمت في مدرسة (مار يوسف) منذ عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م وحتى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م. وكذلك سلوى نصار المولودة عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م، التي تلقت علومها الابتدائية في مدرسة الضيعة عند المعلمة (ملكة) ثم انتقلت إلى مدرسة (عين القيسيس) لصاحبها المعلم فارس بدر (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٥٠، ص ٢٦٨).

وتشير سالمة بنت سعيد إلى أنه وجدت في زنجبار في هذا العصر مدارس عامة لأبناء الفقراء (سلطان، د. ت، ص ١٢٩).

كذلك فقد أسهمت الأربطة في إعداد مسلمة عصور الركود والتقليد، حيث كان لكل رباط في هذا العصر شيخ للرجال (أو شيوخ للنساء)، يقوم بوعظ وتعليم المقيمين فيه.

ومن الأربطة النسائية التي وجدت في هذا العصر، رباط بنت السقلاطوني، الذي تولت مشيخته زين العرب بنت عبد الرحمن بن عمر بن الحسين المحدثه التي توفيت عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤ م وهذه قد سمعت من ابن القرطبي، وأجاز لها السخاوي، وتقلدت مشيخة الحرمين في أواخر أيامها (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٤٤).

٦- ضيق المنهاج ومحدوديته:

استهدفت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد بصفة عامة هدفين اثنين:

الأول: تعليم المرأة مبادئ الدين (وفي بعض الأحيان القراءة والحساب).

الثاني: إعدادها للحياة المنزلية.

ولذلك وجدنا منهاج تعليم مسلمة عصور الركود والتقليد ضيقا جدا حيث مثل تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين المحور الرئيسي. ويساند ذلك تعليم الهجاء من أجل تجويد قراءة القرآن الكريم. وكانت بعض الكتايب تقدم دروسا في الحساب والتقويم والعقائد، كما في زنجبار، وهو أمر نادر (ستودارد، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ١٥٣).

ونجد أن تعليم الحساب في زنجبار مثلا؛ كان يتضمن عد الأرقام من الواحد إلى المائة وكتابتها وحفظها دون كتابة حتى الألف (سلطان، د. ت، ص ١٢٧).

وبصفة عامة فقد كان منهاج كتايب البنات مشابها لمنهج كتايب البنين، وهو في الغالب " مواد لتعليم القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم وحفظه وتجويده والحساب ومبادئ العلوم الدينية والسيرة النبوية والأخلاق " (ابن دهيش، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٣٢).

وكان معلمو الكتايب ومعلماتها يبدأون بتعليم الحروف الهجائية ثم الحروف المحركة بالحركات، ثم الحروف الهجائية فيما كان يعرف بالقاعدة البغدادية، ثم تعلم الكتابة

وتركيب الكلمات، وفي الوقت نفسه يتم تعليم بعض السور القرآنية القصيرة بدءاً بالفاتحة ثم جزء عم، ثم جزء تبارك، وهكذا (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٤٧).

وسوف نورد فيما يلي صورة لمحتوى منهاج تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد، وذلك من خلال عرض مختصر لمحتوى منهاج كتاب "الفقيهة سلمى".

فقد كانت المعلمة سلمى كفيل الدين الرازي تعلم الدارسات في كتابها، مبتدئة بالحروف الهجائية؛ فتبدأ بـ "أليف لا شيون عليها"، و "الباء واحدة من تحتها وهكذا".

ثم : أنكم، بينكم، تنكم... وهكذا.

ثم : أنسب أ، بنسب ب... وهكذا.

بعد ذلك تبدأ في تعليمهن القرآن الكريم، مبتدئة بسورة الفاتحة، ويسمونها الحمد. وكانوا يطلقون على كلمة سورة لفظ لوح؛ فهذه لوحها الحمد، وتلك لوحها إنا أعطيناك، وأخرى لوحها ألم نشرح وهكذا.

وكان كتاب سلمى كفيل الدين يعلم القراءة فقط، حيث لم تكن الفقيهة تعلم الدارسات الكتابة. وكانت إلى جانب القرآن الكريم تقوم بتحفيظ الدارسات بعض مبادئ التوحيد والفقه، وذلك على النحو التالي:

أول كلمة طيب: أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

كلمة شهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

كلمة تمجيد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كلمة توحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

إيمان مجمل: آمنت بالله كما هو بأسمائه وصفاته وقبلت جميع أحكامه وأركانه.

إيمان مفصل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى والبعث بعد الموت.

ثم تقوم بتعليمهم كيفية الصلاة حيث يبدأ قبل الصلاة بقول: "إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين. نويت أن أصلي لله تعالى ركعتين صلاة الفجر سنة رسول الله ﷺ متوجهة إلى الكعبة الشريفة... الله أكبر".

وفي الفريضة: " نويت أن أصلي لله تعالى ركعتين صلاة الصبح فرض هذا الوقت..... الله أكبر".

ثم تعلمهن دعاء الاستفتاح:

"سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك".

وكان لهذا المحتوى نغمات خاصة يردد بها وكأنه نشيد، وكانت الفقيهة " المعلمة" حريصة على مراجعة حفظ الدارسات له حتى لا ينسيه.

كذلك كانت المعلمة سلمى تقوم بتحفيظ الطالبات " المولد"، وهو عبارة عن عدد من القصائد في مدح الرسول ﷺ ، وكان لكل قصيدة منها لحن معين.

وفيما يلي الأبيات الأولى لكل قصيدة من قصائد المولد:

القصيدة الأولى:

الصلاة على النبي	والسلام على الرسول
الشفيع الأبطحي	ومحمد عربي
خير من وطئ الثرى	المشفع في الورى
من به حلت عرى	كل عبد مذنب

القصيدة الثانية:

صلاة من المولى	على من حوى الفضل
على من عليه الله	رب السماء صلى
بشهر ربيع قد	بدا نوره الأعلى
فيا حبذا نور	بذاك الحمى يجلى

القصيدة الثالثة:

صلي على المدني	محمد رفيع الشأن
ما غرد على الفنن	قمري على الأغصان
تنقلت في أرباب سؤدد	كذا الشمس في أبراجها تنقل

القصيدة الرابعة:

الله ولي الله ولي نعم الولي	صلوا على هذا النبي محمد
ولد الحبيب وخده متورد	والنور من وجناته متوقد

القصيدة الخامسة:

ألف صلوا على النبي	بركاته يحسن الممراد
أحمد الهادي الذي	عم جوده على الأنعام
حصل القصد والمراد	وصفا الوقت والوداد
إنه حجي وعمرتي	رؤيتي روضة المقام

القصيدة السادسة:

صلى الله على محمد	صلى الله عليه وسلم
يا نبي سلام عليك	يا رسول سلام عليك
يا حبيب سلام عليك	صلوات الله عليك

القصيدة السابعة:

مولاي صلي وسلم دائما دهرنا	على الحبيب علا فوق العلى وسرا
----------------------------	-------------------------------

القصيدة الثامنة:

مولانا يا مولانا	يا سامع دعانا
بحرمة محمد	لا تقطع رجانا

وبعد الانتهاء من المولد يقلن:

" صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين".

وقد أتيح لبعض النساء في هذا العصر تعلم الخط وتجويده، ومن بينهن مريم بنت الحاج عطوة المغربي التي كانت تنسخ المصاحف وبعض كتب الأدعية والصلوات. (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٣).

كذلك احتوى منهاج تعليم مسلمة عصور الركود والتقليد على أشغال الإبرة من خياطة وتطريز والذي - كما أشرنا سابقا - كان يتم على أيدي الأمهات أو معلمات ماهرات.

وإلى جانب الهدفين السابقين، فقد كانت هناك أهداف أخرى لتعليم مسلمة عصور الركود والتقليد - وهذا بالنسبة للقلة من علية القوم أو الخواص - والتي كانت تتنوع بحسب تنوع المتعلقات، والبيئات المحيطة بهن، وكذلك بحسب الرغبة الذاتية للمتعلمة. وقد رأينا كيف اهتم كثير من العلماء بتعليم بناتهم وقربياتهم حتى وصلت بعضهن إلى مراتب عليا في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم المتاحة.

وإلى جانب من أشرنا إليهن فيما سبق؛ نجد هناك من النساء من تعلمن الطب أيضا، إلا أن عددهن كان محدودا جدا. من بينهن جليلة تمرهان وهي قابلة حبشية الأصل مصرية النشأة. وقد خلفت والدتها في مدرسة القوايل التي نفرت النساء المصريات من الالتحاق بها. وتفوقت جليلة في دراستها حتى صارت تعلم في المدرسة نفسها، وألفت كتاب "محكم الدلالة في أعمال القبالة" الذي طبع عام ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م. وقد توفيت عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م (كحالة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ص ٣٠٧-٣٠٨).

وهناك أيضا: صوفيا سيف علي، وهي طبيبة تركية أتاحت لها الفرصة للدراسة بألمانيا، وتخرجت قبل عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م من إحدى الجامعات هناك، وفتحت عيادة خاصة بتطبيب النساء. وهي تعتبر أول طبيبة تخرجت من كليات الطب الحديث بتركيا. وقد ألفت كتابا في الصحة جاء فيه: " أن صحة المرأة التركية أحسن بكثير من صحة أختها المرأة الغربية، ونسبت ذلك إلى ما تقوم به المرأة التركية كل يوم من الوضوء والاستحمام (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٣١٣).

كذلك زينب بنت محمد بن الحسن التي تعلمت النحو والأصول والمنطق وعلم النجوم والرمل والسيما^(١). وقد توفيت عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٠٦).

وحافظة بنت محمد سعيد، التي تعلمت الخط حتى أجادت النسخي والثلي، ولها من الآثار بعض اللوحات من آي القرآن الكريم بخط يدها، وقد توفيت عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م. وخديجة بنت أحمد الحميدي الفاسية، التي حفظت القرآن الكريم وقرأته برواياته وتوفيت بفاس سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م. وسارة الحلبيّة، التي تعلمت الأدب والطب وعددا من الصناعات حتى مهت فيها. وكانت تكتب الخط وتحل الذهب بمعرفة وخبرة فتكتب به. وقد عاشت في نهاية القرن السابع الهجري^(٢) (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٢٣١، ص ص ٣١٩ - ٣٢٠، ص ٣٢٢).

ونجد أنه مع نهاية هذا العصر، كانت نساء عليّة القوم يتلقين تعليمهن في المدارس التركية- كما أشرنا سابقا- حيث كن يدرسن فيها تاريخ العثمانيين، والأدب التركي، والقراءة والكتابة والموسيقى، إلى جانب الخياطة والتطريز (خليل خليل، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧، عمارة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧٥).

وقد تنوعت أهداف تعليم المرأة في البيئات الخاصة وفقا لرغبة المتعلمات أو ذويهن، وإن كان وجود الرغبة لدى المتعلمات يشكل الموجه الأول لما يتعلمنه.

فإسماعيل تيمور باشا؛ حينما لمس لدى ابنته عائشة ميلا إلى تعلم القراءة والكتابة؛ عمد إلى إحضار من يعلمها ذلك، إلى جانب القرآن والفقه والخط، في حين قام هو بتعليمها اللغتين التركية والفارسية (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ص ١٤٠ - ١٤٢).

وكذلك ناصيف اليازجي الذي حينما وجد لدى ابنته وردة ميلا نحو العلم والأدب؛ عمد إلى تعليمها العربية، وأحضر من يعلمها الفرنسية، وكان يعتمد مراسلتها شعرا لترد عليه بالشعر الذي بدأت تقرضه وهي في الثالثة عشرة من عمرها، وذلك من أجل صقل

(١) السيمياء: لفظ عبري يطلق على غير الحقيقي من السحر، و حاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس " (المعجم الوسيط، د. ت، ج ١، ص ٤٧١).

(٢) انظر: (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ج ٢، ج ٣).

موهبتها الشعرية (نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج١، ص ص ١٢٨-١٢٩).

ومثلها في ذلك سلام الخالدي الذي أحضر من يعلم ابنته عنبرة قواعد اللغة العربية وآدابها. وكذلك مبادئ العلوم.

٧-الاعتماد على التلقين:

كان التلقين يمثل الأسلوب الأساسي وشبه الوحيد في تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد، وخاصة في الكتابات التي كان المعلمون فيها، وخاصة النساء، يعتمدن إلى تلحين الدروس التي كانوا يقدمونها أيا كانت نوعية تلك الدروس. وقد كانت بعض المعلمات يعتمدن هذا الأسلوب الذي يعتمد أساسا على الذاكرة دون أن تكلف نفسها عناء شرح ما تقدمه من معلومات للمتعلّقات. ونذكر هذا مما كان يحدث في كتاب سلمى كفيل الدين، التي كانت تعلم تلميذاتها بعض الأدعية التي كن يرتلنها بعد انتهائهن من قراءة بعض سور القرآن الكريم، مثل:

قول: " لا إله إلا الله والله أكبر " في نهاية سورة الكوثر.

وقول: "يا رب أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار"، وذلك في نهاية سورة القارعة.

وقول: " يا حافظ يا حفيظ حفظنا القرآن المجيد " وذلك في نهاية سورة البروج.

والأمر المؤسف أن الفقيهة لم تكن توضح لتلميذاتها بأن هذه الأدعية خارجة عن نص السورة، مما جعل بعض الدارسات يعتقدن ذلك حتى أنهن كن يقرأن بها في الصلاة^(١).

وشبيه بما كان يحدث في كتاب سلمى كفيل الدين نجده في خلوة الشبيخة خديجة بنت الفكي على، إحدى زوجات المهدي بالسودان، والتي كانت تقوم بتعليم البنات، ويساعدها في ذلك أحد المقرئين، " وكان التعليم أساسا يعتمد على الذاكرة، بواسطة تلحين الدرس سواء كان قرآنا أو حديثا أو درسا في النحو، وكذلك راتب المهدي (مجموعة أدعية) (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٧).

(١) إحدى الدارسات أخبرت الباحثة بأنها قد عانت كثيرا في سبيل التخلص من قول هذه الأدعية في الصلاة، بعد أن علمت بعدم تعلقها بالسور القرآنية، وأنها قد نجحت في ذلك ولكن بعد عناء شديد.

إن الناظر في مؤسسات تربية مسلمة عصور الركود والتقليد؛ يجد في غالبيتها غير قليل من التنظيم للبرامج المقدمة، وكذلك لاستخدام أساليب الثواب والعقاب، وإن كان غالبيته يمثل استمرارا للتنظيم الشكلي الذي وجد منذ عصور الازدهار.

ففي الكتاتيب التي مثلت المؤسسة الأولى والأكثر انتشارا لتعليم مسلمة عصور الركود والتقليد؛ كانت الدراسة إما على فترة واحدة صباحية، أو على فترتين صباحية ومساءلية. وقد كانت تبدأ منذ الصباح الباكر وحتى أذان العصر أو المغرب، تتخللها فترة لتناول طعام الغداء ونيل قسط من الراحة. وكانت هناك عطلة أسبوعية من بعد ظهر يوم الخميس وحتى صباح السبت، وهناك إجازات في العيدين والمناسبات الدينية والرسمية وفي أيام هطول الأمطار. إضافة إلى أن هناك إجازة تمنح للطالب المتخرج في حفظ القرآن الكريم أو جزء منه. وكانت مدة الدراسة لا تقل عن سنتين ولا تزيد عن ست سنوات (ابن دهميش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٥٦).

ويعطينا تنظيم الدراسة في كتاب سلمى كفيل الدين الراري والخوجة^(١) فاطمة الطيب الهزاري، صورة لتنظيم الدراسة في المدارس الأولية لتعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد.

كانت الدراسة في كتاب الفقيهة سلمى على فترتين صباحية ومساءلية؛ حيث كانت الدارسات يذهبن إلى بيوتهن لتناول طعام الغداء ثم يعدن إلى الكتاب، وذلك طوال أيام الأسبوع ماعدا الجمعة الذي كان يوم عطلة. كما أن الدراسة في يوم الخميس كانت صباحية فقط. وفي هذا اليوم؛ تقوم الدارسات بقراءة جزء عم بكامله، وسورة يس، وسورة الملك، والمولد.

وكان ذلك يستغرق منهن وقتا طويلا، فلا يعدن إلى بيوتهن إلا في وقت متأخر من الظهيرة.

أما في كتاب الخوجة فاطمة فقد كان هناك جمع بين تدريس العلوم الدينية والمعرفية، وكانت مدة الدراسة أربع سنوات تنتهي بحصول الدارسة على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية. وكانت الخوجة تتقاضى رials شهريا رسما للدراسة التي كانت تتم في فصل

(١) فقيهة وخوجة: لفظتان كانتا تطلقان على معلمات الكتاتيب.

شبيه بالفصول الدراسية في المدارس؛ حيث كانت هناك مقاعد تجلس عليها التلميذات اللاتي كن يشترين الكتب الدراسية التي يدرسن فيها، ويستخدمن الدفاتر والأقلام (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ص ١٩١).

ولم تخل المدارس أيضا من التنظيم، فقد كان لكل مدرسة نظامها الخاص بها، لكن وبصفة عامة لم يكن هناك نظام تام في جميع المدارس وقد عبرت عن ذلك سنية حبوب بقولها:

" لم نعرف النظام المدرسي إلا في مدرسة "الست أليس" التي جعلت الطالبات يجلسن فوق المقاعد، وأمامهن طاولات للكتابة "... الست أليس علمتنا النظام والإنشاد وأدخلت نهضة جديدة إلى عالم التربية حينذاك. وفي مدرستها ختمت القرآن " (نصر الله، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٢٦٢).

وفيا يتعلق بأساليب الثواب التي استخدمت في هذه الفترة فقد وجدت الإجازة مع بداية عصور الركود والتقليد، والتي كانت تعطى للمتعلمة، دليلا على وصولها إلى مرتبة تؤهلها لتعليم غيرها.

ومن بين المتعلقات اللاتي حصلن على إجازات رقية بنت يحيى البصرية المحدثه التي ولدت عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م، وتوفيت عام ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م، وقد أجازها الذهبي والمزي وابن سيد الناس، وزينب بنت الكمال وغيرهم (كحالة، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج ١، ص ٤٥٩).

وهناك أيضا آسية بنت جبار الله الشيباني الطبري المولودة بمكة سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م، وقد أجاز لها السخاوي، والعراقي وغيرهما (حائري، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ج ١، ص ١٩٣).

ونجد أن تفوق من أتيحت لهن الفرصة من مسلمات عصور الركود والتقليد لم يتوقف عند مجرد نيل الإجازة بل وإعطائها أيضا.

فرقية البصرية، قد نالت إجازة من زينب بنت الكمال (كحالة، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج ١، ص ٤٥٩)، وآسية الطبري قد أجازت محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي (كحالة، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج ١، ص ٦)، بل نجد من بين العلماء من حاز على شهادات من كثير من العالمات من النساء، من بينهم أبو الفتح العثاني الذي تحصل على إجازات من زينب الدمشقية المولودة سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م (كحالة، ١٣٩٧ هـ /

١٩٧٧م، ج١، ص ١٠٠)، وست القضاة بنت عبد الوهاب بن عمر بين كثير المتوفاة سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م، ورقية البصرية^(١).

هذا فيما يتعلق بمرحلة الدراسة العالية.

أما في مرحلة الدراسة الأولية، فقد اختلفت أساليب الثواب باختلاف البلدان والعادات والتقاليد. فنجد في السودان وفي خلوة الشیخة خدیجة بنت الفکی علی؛ كانت هناك " الشرافة" التي تمثل شهادة إكمال كل درس، وهي حفلة تشريف تقدم فيها العصيدة بملاح الروب " اللبن الحامض"، وبعد أن تأكل الشیخة والمقرئين، يأكل الصبية، ثم يقومون بمسح أيديهم على رأس الدارسة التي أقيم الحفل على شرفها (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٧).

وصورة أخرى نجدها في الكتابات في مكة المكرمة حيث كانت الاحتفالات تتمثل في نوعين: الإصرافة والإقلابة.

فالإصرافة: حفل بسيط، حيث يأتي أهل التلميذة إلى الكتاب للاستماع إلى السورة التي بلغتها ابنتهم، وبعد ذلك تقدم بعض الهدايا للفقیهة، وتوزع الحلوى على التلاميذ، ثم يعلن ذلك اليوم إجازة، ابتهاجا بالمستوى الذي وصلت إليه، ويزين لوح التلميذة في ذلك اليوم بالأحمر والأخضر.

ويصف الأستاذ محمد علي مغربي هذا الاحتفال للبنات فيقول: " فإذا وصلت البنت (في جدة) إلى سورة الضحی؛ عملت لها (الصرافة) وهي عبارة عن حفلة تخرج فيها الفقیهة، ومعها البنات، تتقدمهن البنت المتخرجة - إن صح هذا التعبير - وهي تحمل اللوح وقد كتب عليه سورة الضحی، فيسرن إلى بيت أهل الطفلة الذين يستعدون لهذه المناسبة باستدعاء أهل والصديقات والجارات، فإذا وصل الموكب أجلست الفقیهة البنت أمام الحاضرات وأمرتها بقراءة السورة، فتقرؤها في اللوح، فترفع الزغاريد وتوزع الحلوى على الحاضرات ويوزع النبات (سكر معقود) على البنات، ثم تبقى الفقیهة لتناول الطعام لدى أهل البنت المتخرجة، ولا تخرج إلا وقد أتحفت بمبلغ محترم من النقود من

(١) انظر: كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج١.

والدة البنت والنقود^(١) من أهلها، وربما أعطيت بدلة كاملة لاجتهادها في تعليم البنت وإيصالها إلى هذا الحد العظيم من العلم " (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٥٥).

أما الإقلاية: فهي تعني قلب الكتاب رأساً على عقب، إذا ما أتمت إحدى الدارسات جزءاً معيناً من القرآن الكريم، حيث يقيم أهلها حفلاً كبيراً، وتسير الدارسات في موكب شعبي يطفن بالتلميذة شوارع البلدة وينشدن الأناشيد. وكن يتتظمن صفوفاً صفوفاً في مربعات أو مسدسات، ويجلن ما اتسع لهن الوقت في الطرقات من الكتاب إلى الكتاب، فيدرن في الشوارع قبل الذهاب إلى بيت التلميذة الفائزة. وكن يلبسن ملابس معينة "برقع ملاية" تشبه ثوب العروس في المدينة المنورة قديماً. وكان ثوب الفائزة يزين بحبات من القصب، ويتم تناول طعام الغداء في بيت الفائزة. (الشامخ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، ص ٣٩)

ويذكر محمد علي مغربي أن حفل الإقلاية أو القلاية كان يعني أنه لا مكان للبنت في بيت الفقيهة بعده، حيث يجب أن تتعلم بعد ذلك علوماً أخرى (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٥٥).

ويذكر ابن دهيش أن مظاهر التعبير عن هذه الاحتفالات كانت تختلف من أسرة لأخرى ومن مدينة لأخرى وذلك بحسب ظروف الأسرة من غنى أو فقر (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٥٣)

أما فيما يتعلق بأساليب العقاب في مؤسسات تربية مسلمة عصور الركود والتقليد، فقد كان غالباً ما يتم باستخدام العصا (نصر الله، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٢٦٢)، إلا أن بعض المعلمات كن يجمعن بين العصا والفلكة^(٢)، فنجد أن المعلمة سلمى كانت

(١) النقود: ما يرمى من نقود على لوح الطالبة في أثناء الاحتفال بالطالبة من الحاضرات للحفل كشجيع للطالبة (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٥٥).

(٢) الفلكة أو الفلكة: بفتح الفاء وتسكين اللام وفتح الكاف ثم التاء المربوطة، وهي الأداة التي يستخدمها مدرس الكتاب لعقاب الطلاب عندما يرتكبون أي ذنب ولو بسيط جداً، أو عندما لا يقومون بعمل الواجب المطلوب منهم. وهي تصنع في الغالب من شجر العرعر على شكل المغزل وفي أطرافها ثقوب. وفي كل ثقب حلقة معدنية قوية مربوطة بحبل سميك موصل على الحلقة الأخرى توضع فيها أقدام الطالب المذنب أو الذي لم يحفظ دروسه، ثم ترفع من قبل طالبين، وتدار الخشبة حتى تشد على قدمي الطالب، ثم يقوم المدرس بجلد الطالب على موطن قدميه عدداً من الضربات بعض الخيزران اللين، وبهذه الطريقة يكون عقاب الطالب المهمل لواجباته (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٤٩).

أحيانا تحضر قطعة قماش، فتربط بها رجل التلميذة المقصرة في وسطها، ثم تجعل تلميذتين غيرهما تمسكان بطرفي قطعة القماش ثم تبدأ هي بضرب الفتاة المقصرة.

وأسلوب آخر استخدمته المعلمة سلمى، تمثل في تكليف التلميذات القيام ببعض أعمال منزلها من كنس وغسل ملابس وأعمال المطبخ.

٩- إسهام المؤدبين في تعليم النساء التعليم المتخصص:

شاعت في هذا العصر ظاهرة المؤدبين الذين كان أهالي المتعلقات بحضروهم إلى منازلهم من أجل تعليم البنات التعليم المتخصص في بعض الحقول المعرفية، خاصة قبل إنشاء المدارس، حيث كان التعليم الذي تقدمه الكتاتيب محدودا جدا كما رأينا.

وقد كان هؤلاء المؤدبون من المعلمين والمعلقات.

فمن بين المعلمين المؤدبين: كان هناك خليل رجائي، أستاذ القراءة والكتابة، ومؤنس أفندي، أستاذ القرآن والفقه والخط، واللذين أسهما في تعليم عائشة تيمور. وهناك أيضا الشيخ عبدالله البستاني، أستاذ قواعد اللغة العربية وآدابها، والأب يوسف الزهار أستاذ مادة العلوم واللذين أسهما في تعليم عنبرة الخالدي (نصر الله، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ص ١٤٠-١٤٢).

وإلى جانب هؤلاء المعلمين وغيرهم؛ وجدت في هذا العصر بعض المعلقات من الإناث ممن أتاحت لهن الفرصة للتعلم في دراسة بعض التخصصات، الأمر الذي شجعهن على تعليم البنات إما في منازلهن أو العمل مدرسات خصوصيات لدى العائلات. بل إن من بينهن من تلقى العلم على يدها كثير من الذكور. ومن بين هؤلاء شهدة الدينورية التي كان من بين تلاميذها ابن الجوزي وعلي بن وهبة الله والشافعي وعبد الرحمن بن عبد الوهاب الحنبلي وغيرهم، وأسماء بنت إبراهيم التي كانت تلقن النسوة القرآن الكريم وتعلمهن العلم وقد توفيت عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م، وزينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية وهي محدثة ولدت عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٨ م وقد سمع عليها محمد الوافي جزءا من مسلم، وسمع عنها ابن بطوطة في جامع بني أمية بدمشق وتوفيت عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م، وألف بنت عبدالله بن علي الكتاني التي قرأ عليها السخاوي ثلاثيات مسند أحمد وتوفيت عام ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م، وأسماء بنت موسى الضجاعي، يمانية من زبيد، كانت تقرأ التفسير وكتب الحديث وتسمع النساء

وتعظهن وتؤدبن، وقد توفيت عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م^(١).

وكذلك فاطمة الأزهرية وستية الطبلاوية اللتان تلقى على أيديهما عائشة تيمور علوم النحو والعروض حتى برعت فيهما (كحالة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ج ٣، ص ١٦٢).

وقد أشارت الأميرة سالمة إلى أن قصر والدها قد اشتمل على معلمات من النساء إلى جانب المعلمين من الرجال (سلطان، د.ت، ص ص ١٢٥-١٢٧).

أما الأميرة عائشة بنت السلطان عبد الحميد الثاني، فقد كانت إحدى مربياتها تساعدها على حفظ دروسها، كما أنها درست الموسيقى على يد معلمة اسمها دريكتا (أوغلي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٠٢).

١٠- إسهام المرأة المسلمة في إنشاء وإدارة المؤسسات التعليمية والإنفاق عليها:

أسهمت كثيرات من مسلمات عصر الركود والتقليد في إنشاء المؤسسات التعليمية من مدارس وكتاتيب وأربطة مما يشير إلى ما كان يعتزل في نفوسهن من ميل شديد إلى العلم. وهناك الكثير من الأمثلة الدالة على ذلك؛ منها أن ست الشام بنت أيوب بن شادي أخت صلاح الدين الأيوبي التي توفيت عام ٦١٦هـ / ١٢١٩م، قد قامت بإنشاء مدرستين عظيمتين هما المدرسة الشامية البرانية والمدرسة الشامية الجوانية بدمشق.

وكذلك قامت بابا خاتون بنت أسد الدين شيركوه، ابنة عم صلاح الدين، بالوصاية بأملأها لتكون بعد وفاتها مدرسة ومدفنا وموضع للسكنى، فكانت ثمرة ذلك المدرسة العادلية الصغرى بدمشق. وقد أوصت أيضا أن يكون للمدرسة مدرس ومعيد وإمام ومؤذن وبواب وقيم وعشرون فقيها. وجعلت أوقافها وقفا على هذه المؤسسات وذلك في أوائل رمضان عام ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٥٥، محمد يوسف، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ص ١٧-١٩).

وهناك أيضا خديجة بنت الملك شرف الدين عيسى ابن الملك العادل التي توفيت عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م، نجدها قد أنشأت المدرسة المرشدية بدمشق عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م. (محمد يوسف، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٣)، وعائشة زوجة شجاع الدين الدماغ التي أنشأت المدرسة الدماغية بدمشق داخل باب الفرج وذلك في عام ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م. (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٣، ص ١٣٦)، وعصمة الدين مؤنسة خاتون

(١) انظر: كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٢.

ابنة الملك العادل أبو بكر أيوب التي ولدت عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م، وتوفيت عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وقد كانت محدثة كثيرة الصدقة تركت مالا جزيلا وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقراء، وقراء، ويشتري لها وقف يغل عليها. وقد نفذت وصيتها وجعل فيها درس للشافعية وآخر للحنفية. (محمد هاشم الندوي في ابن جماعة، د.ت، ص ١٩٥)، وقد توفيت عام ٧٢٦ أو ٧٢٩هـ / ١٣٢٥ أو ١٣٢٨م (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٤)، وبركة بنت عبدالله أم السلطان الأشرف التي أنشأت سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م مدرسة بالقاهرة وخصصت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وجعلت على بابها حوض ماء للسبيل. وقد رتبت فيها دروسا للمذاهب الأربعة وحضورا في كل يوم للصوفية ومكتبا للأيتام، وأغل خاتون بنت محمد القازانية البغدادية التي أوقفت المدرسة الخاتونية بباب الحديد جوار الحرم بالقدس، ثم أكملت عمارتها ووقفت عليها أصفهان شاه بنت الأمير قازان سنة ٧٨٢هـ / ١٤٧٧م، والأميرة أمينة أم المحسنين، حرم الخديوي توفيق التي أنشأت مدرسة للبنات دعتها باسمه، ثم ضمت إلى وزارة المعارف المصرية، وقد توفيت عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م^(١). ووصلت النساء التي أنشأت المدرسة الصولتية بمكة المكرمة والتي اكتمل بناؤها عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م^(٢).

وقد أشرنا فيما سبق إلى الكتابات باعتبارها من المؤسسات التعليمية التي أسهمت مسلمة عصور الركود والتقليد في إنشائها خاصة مع نهاية هذا العصر^(٣)، ومن أمثلتها أيضا الخلاوي - الكتابات - الكثيرة التي أسهمت المرأة السودانية في إنشائها، وأجرت كسبها إنفاقا على الطلبة والطالبات.

ومن هؤلاء "أمونة بنت عبود التي أسست مكتبتين أحدهما للغلمان والثاني للبنات، ورغم أن زوجها - الذي كان قائدا عسكريا - كان راغبا في مساعدتها على النفقات إلا

(١) انظر: كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ٢.

(٢) وصلت النساء: سيدة هندية من مقاطعة كلكتا بالهند. جاءت إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م، وأبدت رغبتها في بناء رباط بمكة المكرمة، وكان زوج ابنتها على صلة بالشيخ رحمة الله مؤسس المدرسة الصولتية، فأوضح له أن بمكة المكرمة العديد من الأربطة وأن ما ينقصها هو مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين، وقد لاقى الفكرة قبولا لدى صولت النساء التي قدمت الأموال اللازمة للمشروع واشترى الشيخ -رحمة الله- أرضا بحارة الباب بمكة المكرمة، وبنى عليها أول بناء للمدرسة التي سميت بالصولتية نسبة إلى المتبرعة المحسنة. (بغدادى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٤١).

(٣) انظر: ص ٢٣٥ حيث الحديث عن كتابات البنات في المملكة العربية السعودية في هذا العصر.

أنها قد رفضت أن يشوب إنفاقها على المدارس شائبة، فكانت تنفق على المتعلمين العائد من أرضها الواسعة على النيل التي كانت تزرع بالقطن. وبعد الحصاد كانت نساء الحي والطالبات يقمن بغزله، ثم استقدمت نساجين لينسجوه، وكانت توزع ذلك النسيج كساء للطلبة والطالبات. وما زاد تتصدق به على الحجيج المارين بها من غرب أفريقيا. وكان اهتمامها بالحجيج كبيرا، وهم الذين نشروا أخبارها في كثير من بلاد أفريقيا. وبعد أن رأى الأهالي نجاحها؛ تنازل كثير منهم عن أراضيهم لله، فصارت أراضيها الزراعية واسعة، استغلتها كلها في الإنفاق على التعليم. وقد كرمها أهل قريتها بعد فترة حيث أصبح كل ما في القرية يحمل اسمها "أمونة"، وقد عاشت في الربع الأول من القرن التاسع عشر (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٠-٢٥٢).

وهناك مريم بنت الحاج عطوة التي كانت تدرس القرآن الكريم والفقه لكافة الناس، وتخصص جزءا من وقتها للوعظ (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٣)، وفاطمة بنت جابر التي كانت تدرس القرآن الكريم في خلوتها بقرية (ترانج) مع أخويها إبراهيم وعبد الرحمن اللذين أسسا أول الخلاوي لتعليم القرآن الكريم بمنطقة "كريمة" بالسودان (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٣)، وأم كلثوم بنت القرشي، ووالدها الشيخ العالم القرشي ود الزين، الذي بلغ درجة عالية من العلم، فقد التزمت أم كلثوم منذ شبابها بتدريس البنات والبنين، ثم بعد أن انتشرت الخلاوي للبنين اقتصرت على تدريس البنات، وتوسعت في بناء الخلاوي الدراسية والسكنية بعد أن توافدت عليها البنات، وقد كانت تركز على المهارات من طالباتها فتحرص على تعليمهن وتحفيظهن، ولا تدعهن يخرجن إلا في حالات الزواج. (الطيب، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٢٥٤-٢٥٥)، وكذلك الشيخة خديجة الأزهرى، التي كانت من بين من أسهمن إسهاما فعالا في نشر التعليم الأهلي إلى جانب غيرها، وكانت إلى جانب إدارتها لخلوتها؛ تطوف على النساء في المنازل لتعليمهن، وكذلك الشيخة الفقيهة رقية بنت عبد القادر، وهي من أهالي جزيرة توقي، كانت تطوف على المنازل.

وقد عملت هؤلاء المعلمات على تقليد المبشرات في طوافهن على المنازل، فكانت حلقة الشيخة منهن "بحق مدرسة متحركة أفادت كثيرا في توعية النساء ونشر المعرفة بينهن" (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٨).

وفي لبنان كانت هناك المعلمة ملكة صاحبة الكتاب الذي درست فيه سلوى نصر،
(نصر الله، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٨٥)، وفي تونس كانت هناك بعض المعلمات
الماهرات في فنون الإبرة من خياطة وتطريز، واللاقي جعلن من بيوتهن "مدارس"
ترتادها الفتيات الصغيرات ليتعلمن فيها مقابل عوائد بسيطة يدفعها الأهل (الحداد،
١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ١١٨).

* * *

المبحث السابع

محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث

تمثل مرحلة صدر الإسلام وعصور الازدهار مرحلة متميزة في تاريخ المرأة المسلمة، حيث توفرت لها الفرصة للمشاركة مع الرجل في بناء الحضارة الإسلامية الرائعة، وقد وجدناها في قلب الأحداث منذ بدء الرسالة، حيث تعلمت، وعملت وسمعت وحدثت، وأثمر كل ذلك عن بناء الجيل الذي مثل أفراد خير أمة أخرجت للناس.

لكن تلك المرحلة قد كانت مرحلة قصيرة سرعان ما أخذت تضمحل رويدا رويدا، خاصة بعد أن بدأت الحضارة الإسلامية في الانحسار في ظل عصور الركود والتقليد، وقد ألقى كل ذلك بظلاله على المرأة التي عزلت عن الحياة، وهمش دورها، وضرب عليها بسور عظيم من العادات والتقاليد باسم الدين، حيث حرمت -تقريبا- من التعليم، ومن الخروج للعبادة في المساجد ومن الإسهام في الأنشطة الاجتماعية المناسبة.

ونجد أن البعض قد تجاوز الحد في نظريته القاصرة للمرأة حيث رسخ في ذهنه أن التعليم والفقهاء لا يجتمعان، وأن عقل المرأة ناقص^(١) ومستعدة بطبيعتها للغش والحيلة بحيث لو تعلمت لم يزدتها التعليم إلا براعة في ذلك (الدهان في مؤثر المرأة والتنمية في الثمانينات، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٩٤).

ومع مطلع العصر الحديث؛ وقعت كثير من الدول الإسلامية في قبضة الاستعمار، وقد جاء في كتاب "تاريخ البشرية" أن الدول المستعمرة للبلاد الإسلامية؛ لم تكن تعتبر تعليم الشعب من الأمور المهمة بالنسبة إليها، وأن الجهود التعليمية التي وجدت خلال الاستعمار كانت اختيارية وتعتبر استمرارا لما كان سائدا من قبل. أما الإدارات الاستعمارية فقد أنشأت بعض المؤسسات التعليمية في المناطق التي تسودها الأمية في الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، وكانت تقدم من خلالها تعليما غربي الطراز لإعداد صفوة غربية عن المجتمع تحتاجها في إدارة مستعمراتها. كذلك فقد كان النفوذ الثقافي الفرنسي واضحا في دوائر التعليم العالي في إيران وسوريا، كما كانت ثقافة صفوة المتعلمين في مصر وتركيا فرنسية أو بريطانية أو ألمانية (تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مج ٦، ج ٢، ص ٣٥٦، ص ٣٦٢).

(١) انظر المعنى الحقيقي لنقصان عقل المرأة الوارد في الحديث في المبحث الثالث عشر.

فهذا الكلام وإن كان صحيحا جزئيا، إلا أنه لا يمثل إلا جزءا من الحقيقة التي تتمثل في أن الاستعمار كان يهدف إلى إبعاد النشء المسلم عن ينابيعه الصافية. ويتضح هذا مما أوردته مجلة المجلات العربية، في عددها الأول للسنة السابعة عام ١٩٠٧م / ١٣٢٥هـ، ص ٣٦، حيث جاء فيها فيما يتعلق بالمدارس الأجنبية ما نصه:

" فهم يعلمون الفتاة قبل كل شيء أن تحتقر مبادئ قومها وترفض معتقداتهم فتتخرج من المدرسة، وهي إلى الدين المسيحي أقرب منها إلى الإسلام، وإلى الأخلاق والعادات الإنجليزية أو الفرنسية.. أقرب منها إلى الأخلاق والعادات العربية الإسلامية، فإذا رأت أمها تلبس (الحبرة والبرقع) هزأت بها وضحكت منها؛ لأنها لم تلبس قبة ولم تخرج بلا نقاب..... " (مجلة المجلات العربية في "أبو عمشة"، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٦٨).

لقد كانت هذه المدارس من الأدوات التي استخدمت في هدم أخلاق النشء من البنين والبنات، الأمر الذي دفع ببعض الغيورين إلى أخذ زمام المبادرة في التربية.... وذلك بتأسيس المدارس الأهلية وتأليف الكتب المناسبة. ومن دعا إلى ذلك؛ عبد الله النديم الذي قال: "أفلا يحسن في أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم، تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوروبية، تداركوهم قبل أن تفقدوهم، عرفوهم أنكم آبائهم قبل أن ينكروكم، لقنوههم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم، حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم، ردوهم إلى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدماءكم إلى من ربوهم " (عبد الله النديم في "أبو عمشة"، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٦٧-٦٨).

ومما يؤكد الأغراض الخبيثة للاستعمار في فتحه لهذه المدارس؛ أن هذا الموقف من النديم لم يعجب (اللورد كرومر) " فسعى لدى الخديوي عباس الثاني لينفيه من مصر " (أنور الجندي في "أبو عمشة" ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٦٨).

في هذه الفترة من التاريخ، بدأ بعض الغيورين الذين أدركوا الهوة السحيقة التي تردى إليها المجتمع الإسلامي في المناذاة بإصلاح وضع المرأة المسلمة باعتبارها تشكل النواة الأساسية في الأسرة، التي تمثل المؤسسة الأولى في المجتمع. ولم تقتصر هذه الفئة على الرجال فقط، بل شملت النساء أيضا. فكان من بين الرجال الرواد في المطالبة بإصلاح

وضع المرأة المسلمة: رفاة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق، وعلي مبارك، ومحمد عبده، وقاسم أمين، والطاهر الحداد.

وكان من بين أبرز الرائدات من النساء: عائشة التيمورية وزينب فواز وأنيسة الشرتوني وملك حفني ناصف.

وسوف نتناول فيما يلي جهود كل من هؤلاء الرواد والرائدات؛ موضحين الأصول التي انطلقوا منها في مطالبتهم بإصلاح وضع المرأة المسلمة التربوي.

أولاً: الرواد من الرجال:

١ - رفاة الطهطاوي^(١): (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣ م)

انطلق رفاة الطهطاوي من الأصول الاجتماعية والاقتصادية؛ فرأى أن المرأة تمثل طاقة فكرية مجمدة، وقوة عمل معطلة، ومن ثم فإنه ينبغي تزكية فكرها بالتعليم، وتحريك قوتها بالانخراط في الأعمال المنمية للثروة. فدعوته كما يقرر فرج بن رمضان؛ تندرج ضمن الدعوة إلى تحرير وسائل الإنتاج المادية والمعنوية (ابن رمضان، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٥).

وقد رأى الطهطاوي في العادات والتقاليد الآبائية دافعا كبيرا إلى معارضة تعليم البنات؛ لذلك نادى بتغيير تلك العادات والتقاليد حتى تتغير نظرة المجتمع إلى تعليم البنات حيث يقول:

"وليس التشديد في حرمان البنات من الكتابة إلا التغالي في الغيرة عليهن من إبراز محمود صفاتهن أيا ما كانت في ميدان الرجال تبعا للعوائد المحلية المشوبة بحمية جاهلية... ولو جرب خلاف هذه العادة لصحت التجربة..." (عمارة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ٣٤٥ - ٣٤٦).

ومطالبته بتعليم المرأة لم تقتصر على مجرد التعليم الأولي بل تعدته إلى جميع المعارف والآداب بصفة عامة لتمكين من التخلص من أغلال الجهل، والارتقاء في مرتبة الذوق الأدبي بما يمكنها عند الضرورة من تعاطي ما يتناسب مع طاقاتها وقدراتها من أعمال.

ونجد أن دعوة الطهطاوي إلى تعليم وعمل المرأة لم تقتصر على مجرد الرغبة في تحرير

(١) انظر التعريف به ص ٢٠.

وسائل الإنتاج، بل تعدته إلى الرغبة في تحرير المرأة من أغلال الجهل والخرافة والفراغ حيث يقول في ذلك:

"يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقاتها، فكل ما يطيقه النساء من العلم يبشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء، فإن المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها، وفيما يأكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون، وفيما عندها، وهكذا؟! "

وقد تأثر رفاة الطهطاوي كثيرا بما شاهده في فرنسا من وضع المرأة، مما يخالف تماما ما هو عليه في بلده؛ لذلك فقد تزامنت دعوته المتعلقة بالمرأة مع عودته من هناك. ويشير الأستاذ محمد حسين إلى ذلك بقوله أن فيما كتبه الطهطاوي في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من تهوين للاختلاط بين الجنسين مما يكاد يكون دفاعا عنه، ما يدل على تأثره بما شاهده في المجتمع الأوروبي، ويتضح ذلك أكثر مما أورده عن كراهيته لتعدد الزوجات. (محمد حسين، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٢٠١-٢٠٢)

ونجده يفرق بين الخلوة والاختلاط لأسباب مشروعة، حيث يقف مع تحريم الخلوة التي هي مظنة الشبهة أو الداعية إلى الزلل والانحراف، وفي الوقت نفسه لا يرى بأسا في خلوة رجل أو عدة رجال بنسوة ثقات، لا رجل أو عدة رجال بامرأة واحدة " (عمارة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٣٥١).

وهو يؤكد على أهمية التربية في تزكية نفسية البنات بما يمنعهن من السقوط حيث يقول في كتابه "المرشد الأمين"، ١٨٣٢م / ما نصه:

"إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة" (وادي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٨-٢٩).

٢ - أحمد فارس الشدياق^(١): (١٢١٩/١٣٠٤ هـ - ١٨٠٤/١٨٨٧ م):

انطلق من الأصول الاجتماعية؛ حيث رأى سوء وضع المرأة في المجتمع، من حيث كونها كائناً مسلوب الإرادة منذ الميلاد وحتى الوفاة، تنال أسوأ تربية، حيث لا تدري من الدنيا شيئاً سوى بيتها، ولا تعاشر أحداً غير أهل بيتها والخدم، وتخشى الأم على ابنتها من معرفة أي شيء خشية وقوع المحذور؛ لذلك فقد نادى بتحرير المرأة وتثقيفها وإعطائها مكانتها اللائقة بها في المجتمع، وجاءت آراؤه في كتابه "الساق على الساق" (عائدة، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، ص ٩٦-٩٧).

وقد أكد الشدياق على أهمية شغل البنت بالعلوم والفنون النافعة العقلية واليدوية، لأن تحررها الحقيقي لا يتحقق إلا إذا تحررت من الجهل الذي يكبلها؛ لذا فقد نادى بفتح مكاتب لتعليم البنات مثل تعليم الصبيان، وإتاحة الفرصة لها للعمل وتولي المناصب مثل الرجال (عائدة، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، ص ٩٩-١٠٠).

لقد تأثر الشدياق بالطهطاوي بدون شك، وقد أشار هو إلى ذلك بقوله: "ولهذا أستأذنه في ذكر ما أضرب عنه بالكلية أو أشار إليه إشارة فقط... لكنه كان أكثر منه وضوحاً حيث أشار إلى كثير من المتاعب التي تواجهها النساء الغربيات، وانتقد بعض العادات الغربية كاصطحاب النساء للكلاب وغيرها (أبو عمشة، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ص ٤١).

فالشدياق لم ينبهر ببريق الحياة الغربية إلى الحد الذي يعميه عن رؤية حقيقتها، بل وجدناه يدرك الظلم الواقع على المرأة الأوروبية ما جعله يدافع عن جهل امرأة الشرق الذي يعد العيب الوحيد فيها، في حين أن امرأة الغرب تزيد عليه مكرًا وخبثاً. ومن ثم فقد دعا إلى تعليم النساء القراءة والكتابة واشترط استعمال ذلك بشروطه المتمثلة في الاطلاع على الكتب التي تهذب الأخلاق، وتبعد المرأة عن استخدام الحيل والمكائد.

وفي ذلك يقول الشدياق ما نصه:

(١) أحمد فارس يوسف بن منصور الشدياق. عالم باللغة والأدب. ولد في قرية عشقوت ببلبنان وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارساً. رحل إلى مصر فتلقى الأدب عن علمائها وتنقل في أوروبا، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي وتسمى أحمد فارس، وتوفي بالآستانة. ونقل جثمانه إلى لبنان. من آثاره: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، وكشف المخبا عن فنون أوروبا، والجاسوس في القاموس. (الزركلي، د.ت، ج ١، ص ١٨٤).

"والأولى عندي أن تشغل البنت بأحد الفنون أو العلوم النافعة، سواء كان ذلك عقليا أو يدويا. فإن النساء إذا علمن من أنفسهن أنهن أكفاء للرجال في الدراية والمعارف تترسن دونهم بمعارفهن، وتحصن بها عند تطاول الرجال عليهن، بل الرجال أنفسهم يشعرون بفضلهن... .." (أبو عمشة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٤٦).

٣- علي مبارك^(١): (١٢٣٩-١٣١١هـ / ١٨٢٤-١٨٩٣م)

جاء بعد رفاة الطهطاوي، فكتب سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م كتابا أسماه "طريق الهجاء والتمرين على اللغة العربية" حيث إنطلق فيه من الأصول الاجتماعية، مناديا بتعليم الفتيات، الذي هو من جملة الإحسان إليهن بحيث يدربن على أصول تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتطريز وتدبير المنزل، وأن ذلك مما يزيدهن كمالا. يقول في ذلك ما نصه:

وإن من جملة الإحسان إليهن "أن يجعل لهن حظ في التربية العمومية، ومشاركة فيما يليق بهن من المزايا العلمية فضلا عما يجب تمرينهن عليه من أصول حسن تربية الأطفال وأشغال الخياطة والتطريز وحسن تدبير المنازل والمحال، فإن ذلك يزيدهن جمالا وعفة وكمالا، وهو وصف مدح لهن، كما هو حقهن في ضمان النوع البشري... .." (أبو عمشة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٥٤).

ويبدو تأثر علي مبارك بأوروبا متمثلا في اتخاذه للنظم الفرنسية في التعليم نموذجا، احتذى به بعد أن عين وكيلا للمعارف بمصر عام ١٣٨٨هـ / ١٨٦٨م. وقد كان له دور كبير في إنشاء مدارس خاصة بالبنات بمساعدة زوجة الخديوي إسماعيل، منها المدرسة السيوفية، والمدرسة القرية (أبو عمشة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٥٤).

٤- محمد عبده^(١): (١٢٦٦-١٣٢٣هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥م)

(١) علي بن مبارك بن سليمان الروحي: "وزير مصري، من المؤرخين العصامين النوابع. ولد في قرية برنبال... بمصر وتلقن العربية وحذق بعض الفنون، وسافر سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م مع بعثة مصرية إلى باريس، فتعلم الاستحكام والمفرقات الحربية، ثم عاد إلى مصر، فتقلب في الوظائف العسكرية، ثم عين ناظرا للأوقاف المصرية، وأضيفت إليه المعارف، فأنشأ مدارس كثيرة. ومن آثاره دار الكتب المصرية في القاهرة. توفي بالقاهرة. ومن مؤلفاته: قصة علم الدين في ثلاثة مجلدات وهي عبارة عن مباحث دينية واجتماعية، حقائق الأخبار في أوصاف البحار (مدرسي)، خواص الأعداد (مدرسي). (الزركلي، د. ت، ج ٥، ص ١٣٨-١٣٩).

انطلق محمد عبده من الأصول العقدية والاجتماعية فأقحم دعاة المحافظة وأنصار الوضع القائم بإشارته إلى أن واقع المرأة المسلمة ليس من الإسلام في شيء، حيث تدنى المسلمون بالمرأة عن المنزلة العالية التي أكرمها بها الإسلام، وحرموها حقوقها، وأن إحياء الإسلام في المجتمع يستوجب من ضمن ما يستوجبه إصلاح وضع المرأة (ابن رمضان، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٨).

وقد استهدف بأفكاره الإصلاحية التصدي لتياري الجمود والتغريب وذلك من خلال إزالة الركام عن حقيقة الإسلام التي حجبت عن الأذهان، واعتبر ذلك شرطا أساسيا لإصلاح المجتمع الذي لا يتم إلا من خلال التربية التي اعتبرها بمثابة "العصا السحرية" التي يمكن بواسطتها تغيير حال المجتمع، فبدونها يفقد الإنسان القدرة على التحلي بصفات الكمال الإنساني، حيث إن الجاهل يمكن أن يظلم في حين يعتقد أنه يمارس العدل. ومن ثم فقد طالب محمد عبده الأغنياء بالتعاون من أجل توفير المؤسسات التربوية التي تعمل على تربية أفراد المجتمع، وإمدادهم بتعليم أصيل يربطهم بجذورهم ويستجيب لظروف العصر الذين يعيشون فيه (عمارة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٥٠، ص ٢١٣-٢٢٦).

وقد اهتم محمد عبده كثيرا بالمرأة، ونادى بتعليمها حتى تتفقه في دينها، وتستيقظ من سبات الجهل الذي تغرق فيه والذي جعل منها عنصرا من أهم العناصر التي أدت بالمجتمع الإسلامي إلى التخلف والجمود؛ لذلك وجدناه ينتقد نساء عصره اللاتي: "... ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن أو دنياهن بستار"، بحيث "لا يخطر بالبال أن يعلمن عقيدة أو يؤدين فريضة سوى الصوم"، وانتقد كذلك تعلل خصوم تعليم المرأة الذين يزعمون بأن جهل المرأة هو سبب تحليها بالعفة والحياء؛ موضحا "أن ما يحافظن عليه من العفة فإنها هو بحكم العادة وحارس الحياء، أو قليل جدا من موروث

(١) محمد عبده بن حسين خير الله: من آل التركمان، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه: "تلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة" ولد في قرية من قرى مصر. توفي بالإسكندرية بعد ١٣١٧ هـ / ١٨٨٩ م ودفن بالقاهرة. من كتبه: تفسير القرآن الكريم (لم يتم)، رسالة الواردات في الفلسفة والتصوف، الإسلام والرد على منتقديه. (الزركلي، د.ت، ج ٤، ص ١٣١).

الاعتقاد بالحلل والحرام " في حين أن الجهل قد أسهم في "حشو أذهانهم بالخرافات" (عمارة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٤٣-٢٤٤)، أما العلم؛ فهو السبيل إلى تنمية عقل المرأة المسلمة وتأهيلها للإسهام في إصلاح المجتمع، في حين أن تركها للجهل كي يفترسها وتستهويا " الغباوة"؛ يعد من الجرم العظيم الذي يمثل أحد أخطر أسباب ضعف المسلمين (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٩- وادي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٨).

٥ - قاسم أمين^(١): (١٢٧٩-١٣٢٦هـ / ١٨٦٣-١٩٠٨م)

انطلق قاسم أمين من الأصول العقدية في تطابق مع المبادئ الأساسية للإسلام في معالجته لقضية المرأة حيث حاول التوفيق بين حدود الوضع القائم، ومقتضيات الحضارة الوافدة من خلال الرجوع للإسلام في أصوله النقية، وذلك في أول كتاب له وهو بعنوان " المصريون"، الذي قام فيه بالرد على دوق داركور الفرنسي الذي شن حملة عنيفة على مصر والمصريين والإسلام والمسلمين سنة ١٨٩٤م / ١٣٠٠هـ (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٥-٢٦).

وقد تبني أمين في هذا الكتاب أشد الاتجاهات محافظة على الوضع القائم فيما يتعلق بالمرأة منتقدا وضع المرأة الغربية، انتقادا لاذعا إلى حد الاستهجان والازدراء، ومدافعا عن وضع المرأة المسلمة، وانفصالها عن الرجل الذي لا يشكل - في رأيه - أي مانع لها من الإسهام فيما يفيد المجتمع (عمارة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٥٥).

لكن تغير اتجاه قاسم أمين تماما بعد ذلك؛ حيث عمد في كتابه تحرير المرأة إلى القول بعدم أهمية أثر الدين في حركة المجتمع، وقد انطلق في كتابه هذا من أصول علمانية غربية، حيث أظهر فيه تمجيده للقيم الاقتصادية الرأسمالية، وانطوت آراؤه على دعوة إلى تحرير المرأة أظهر مما فعله صراحة، ونجده قد ركز على الأصول الاقتصادية والاجتماعية بصورة كاد أن ينكر معها أثر العوامل الحيوية، والفروق الفطرية بين النوعين.

يقول قاسم أمين: "... ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد، لكانت المرأة المسلمة اليوم في مقدمة نساء الأرض (قاسم أمين، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٥).

(١) انظر التعريف به ص ٢٠.

فهو يرى بأن المرأة المسلمة لا تصلح لأن تكون أنموذجا يحتذى به. وقد رتب نساء الغرب بحسب الأولوية في الرقي كالتالي: المرأة الأمريكية ثم الإنجليزية ثم الألمانية ثم الفرنسية ثم النمساوية ثم الإيطالية ثم الروسية (قاسم أمين، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ١٥).

ونجده في هذا الكتاب يبين عن ميوله المتغربة حيث يرى في الحجاب عائقا يحول بين المرأة المسلمة والتقدم، كما يرى في الاختلاط سبيلا لتعزيز التعلم، حيث إن عدم الاختلاط يتسبب في نسيان المرأة لما تعلمته بعد زمن وجيز (قاسم أمين، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ٦٨-٧٧). وفي كتابه الثالث؛ المرأة الجديدة"، أعلن قاسم أمين صراحة عن خروجه على محور الفكر الإصلاحى، وأشهر تبنيه للتمدن الغربى، حيث طالب بأن تربي المرأة على الشعور بالذات بعيدا عن الرجل (قاسم أمين، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ٢٨-٣١).

كذلك أكد قاسم أمين قي كتابه هذا على عدم صلاحية التمدن الإسلامى ليكون أنموذجا يحتذى به، بل أرجع الفضل إلى الأمم الأوروبية التي ورثت علوم اليونان والرومان، وأحلت سلطة العلم محل سلطة رجال الدين بعد جهاد طويل، ومن ثم فإنه ينبغي تربية النشء الجديد على معرفة شئون المدينة الغربية والوقوف على أسرارها ومجاراة أصحابها (عمارة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م ص ٨٤-٩٦).

ويتضح من أفكاره أنه ينفي أي تمييز، أو أية خصوصية حضارية للأمة المسلمة حيث نجده يطالب بتبنيها لقيم الآخرين واتجاهاتهم.

وقد ركز أمين كثيرا على الأم على اعتبار أن مدار التربية يقوم عليها منذ الولادة وحتى المراهقة، إلى جانب أثرها الكبير الذي تتركه على من حولها من الرجال (عمارة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م، ص ٤٧٣، ص ٤٧٧).

وفي تصوره لأصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ نبه أمين إلى وجوب الاهتمام بالنواحي الجنسية والخلقية والعقلية للمرأة بحيث تشتمل تربيتها على ما يلي:

أ- من الناحية الجسمية: تعليمها أصول الصحة، وتعويدها الرياضة منذ الصغر، مما يساعدها على تحمل مشاق الحمل والولادة، والعناية بوقاية نفسها وأولادها من الأمراض.

ب- من الناحية الخلقية: تعريفها بالآداب التي تساعدها على نشر الأخلاق بين

أولادها.

ج - من الناحية العقلية: تعريفها بالعلوم والفنون التي تمكنها من التعرف على ما في الكون من موجودات.

يقول قاسم أمين ما نصه:

"ومهما عظم اشتغال المرأة؛ فإنها تجد من الوقت ما تثقف فيه عقلها وتهذب نفسها. ولو خصص نساؤنا للمطالعة عشر الوقت الذي يقضيه اليوم في البطالة ولغو الكلام والخصام لارتقت بفضلهن الأمة المصرية ارتقاء ماهرا" (قاسم أمين، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٢٦-٦٦).

وهو يرى بأن التربية العقلية لا تتم من خلال القراءة والكتابة واللغات الأجنبية بل بتعلم أصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية؛ لكي تعرف القوانين الصحية التي ترجع إليها حركات الكائنات وأحوال الإنسان، وإلى تعلم مبادئ قانون الصحة ووظائف الأعضاء لتتمكن من تربية أولادها. والمهم هو تشويق المرأة للبحث عن الحقيقة، وليس حشو ذهنها بالمواد، كما ينبغي أن تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت، وتنمية ميلها إلى الفنون الجميلة ثم التصوير والرسم والموسيقى. فهذه هي التربية التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة لتكون إنسانا يكسب عيشه بنفسه، وزوجة قادرة على توفير أسباب الراحة، وأما صالحة (عمارة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٤٨٨-٤٩١). ويتحدث ابن رمضان عن هذا التحول في أفكار قاسم أمين الذي بدا وكأنه من النقيض إلى النقيض، فيرجع ذلك إلى أمرين:

الأول: طبيعة المرحلة التاريخية وانعكاساتها على الحياة الفكرية.

الثاني: انتماء قاسم أمين الطبقي وموقعه الأيديولوجي.

فالتحولات تعبر عن محاولة للحاق بالواقع، ومواكبة ما يطرأ من تغيرات، فعندما هاجم داركور مصر والمصريين؛ رد عليه من موقع الوطني الذي أسىء إلى وطنه، ثم بضغط الحاجة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة البورجوازية الناشئة، نادى بتحرير المرأة الذي أثار عليه حملات عاتيات، أدت بضغطها إلى إذاعة ما ضمنه في الكتاب الثاني "... تحرير المرأة" في كتابه الثالث "المرأة الجديدة". فهو يمثل مسيرة البورجوازية وانتقالها

من المعسكر الوطني إلى الارتقاء في أحضان التبعية الغربية عملاً وفكراً (ابن رمضان، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٣٣-٣٦).

ويؤكد خليل خليل ما ذهب إليه ابن رمضان حيث يشير إلى أن قاسم أمين قد رأى الرجل في الطبقة العليا من المجتمع قد تعلم واستنار عقله، في حين بقيت نساؤه جاهلات، مما يدفع به إلى ازدراء زوجته، حيث لا أثر لها في حياته، فتضيق لذلك وتشعر بظلمه، سيما وأن الرجال قد سلبوا ثقتهم من النساء واعتقدوا أنهم أعوان لإبليس، وكانوا يتساءلون ما إذا كان تعليمها القراءة والكتابة مما يجوز شرعاً أم لا، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك حيث كانوا من باب التحقير؛ يعيرون فلاناً بأنه تربية امرأة (خليل خليل، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١١١-١١٢).

فقاسم أمين قد أخطأ من حيث أراد تصويب وضع المرأة في المجتمع من حوله، لأنه حاد عن أصلاته، وانبهر بالتمدن الغربي؛ ولذلك وجدناه بعد أن رأى الآثار السلبية الكثيرة التي نتجت عن دعوته؛ قد عاد عنها في أواخر أيامه^(١). ولكن رغم ذلك فإنه لا بد من الإشادة بما قدمه من آراء فيما يتعلق بالمنهج الواجب أن تشتمل عليه تربية المرأة المسلمة من أجل إعدادها لمستقبلها، والذي اشتمل على كثير من المعارف التي كانت تفتقر إليها تربية المرأة المسلمة في عصره.

٦ - الطاهر الحداد^(٢): (١٣١٧-١٣٥٤ هـ / ١٩٠١-١٩٣٥ م)

جاءت أفكار الحداد تتويجاً لأفكار من سبقه من الرواد منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وقد أورد خلاصتها في كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي كتبه في أواخر حياته، والذي - كما يقول ابن رمضان - انطوى على رؤية متسقة متكاملة العناصر متعمقة في القضية"، حيث التقت فيه جميع الأبعاد التاريخية من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (ابن رمضان، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٤١-٤٦).

(١) انظر المبحث العاشر.

(٢) الطاهر بن علي بن بلقاسم الحداد: كاتب وأديب وشاعر وصحفي، نصير المرأة، ينحدر من أسرة عمالية فقيرة. حفظ القرآن بأحد الكتاتيب ثم التحق بجامعة الزيتونة. حاز الجزء الأول من شهادة الحقوق في حين منع من اجتياز الامتحان الخاص بالجزء الثاني والنهائي بسبب الضجة التي أثارها كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، والتي وصلت إلى محاولة القتل "كفراً لا حداً" واستمرت تلك الحملة لعدة سنوات (محفوظ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ١٠٩-١١١).

وقد نادى الحداد بتربية متكاملة للمرأة؛ لذلك وجدناه في كتابه قد انطلق من الأصول العقدية، فأقبل يتدبر واقع المسلمين المتسم بالجمود الذي كاد يقضي عليهم بالموت؛ فطالب بتنقية الإسلام من الأوهام المهلكة، والقضاء على العقلية الخرافية، وترسيخ مبادئ التربية العقلانية، وتنقية القيم مما لحق بها من ألوان الزيف والنفاق، وتصفية العادات الاجتماعية السيئة، كذلك انطلق من الأصول الاجتماعية مستهدفا قمة الهرم المعرفي المتمثل في العلماء؛ معتبرا أن دورهم في الإصلاح هو الأهم، كما أنه اعتبر المرأة أحد أهداف المشروع وأداة في الوقت نفسه حيث اهتم بإبراز نظرة الإسلام الحقيقية تجاه المرأة، وفي الوقت نفسه وجه المرأة إلى أهمية الانصراف إلى تربية أبنائها على أساس من الفهم الصحيح للإسلام، بعيدا عن الانجراف وراء التبعية للآخرين (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ٦، ص ١٠٦ - ١٣٣).

وقد اعتبر المرأة ضحية للمجتمع التونسي، وفي الوقت نفسه أحد أسباب مرضه، ومن ثم فقد ندد بالمتعلمات المتحذلقات اللاتي لا يزدن عن الجاهلات بأكثر من الغرور والاستكثار من الزينة التي يقلدن فيها الغربيات. وهو يرى بأن المرأة إذا ما تغيرت أصبحت أداة فعالة للتغيير، ويقصد بذلك تغيير النفوس، حيث إن تربية المرأة تنعكس على من حولها، وأولهم أطفالها (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٩٦).

وانطلق الحداد أيضا من الأصول الاقتصادية في حديثه عن أهمية تطوير الصناعات النسائية وتعميمها، وكيف أن جهل المرأة بأبسط أصول الحساب يجعلها عرضة للغش من التجار عند الشراء، وكذلك فإن تعليمها ينعكس أثره على حياة عائلتها وعلى تربيتها لأبنائها بحيث تصبح "في منزلها كالرجل في محل عمله، تقوم بما فيه من تكاليف، وتهيئ له أسباب الراحة والطمأنينة" (الحداد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ١٣٨، ص ١٥٩).

ويشير الحداد إلى أن وضع المرأة؛ إنما يمثل عنصر استنزاف وعامل تبديد للثروة، ويعمل على إبعادها عن النشاط الاجتماعي المنتج، إلى جانب معطيات أخرى نفسية وفكرية، وأن ذلك لا يقتصر على نساء الطبقات المتوسطة والكادحة، بل يشمل جميع الأوساط. ففي الأسر الموسرة؛ نجد المرأة تتفنن في تبديد الثروة، بسبب الفراغ الذي يدفعها إلى إفراغ طاقتها في الاستهلاك الذي يخدم المؤسسات الاقتصادية الغربية، إضافة إلى تبديد مال الزوج حتى لا يجد ما يعدد به عليها غيرها، هذا من جانب، ومن جانب

آخر فهناك عادات الزواج وما فيها من مجارة للآخرين؛ مما يعود على غير الأسر الموسرة بالديون (الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ١٤٠ - ١٤٤).

كذلك تحدث الحداد عن المهن التي تشغل بها النساء في البدو والحضر، وكيف أنها ظلت جامدة دون تطوير، كما ورثت عن السلف، ودعا إلى تعصيرها وتعميمها (الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦، ص ١١٨ - ١٢٠).

فهو قد استهدف تعصير عمل النساء، وتطوير أساليبه من أجل تنمية الثروة الوطنية وضمان قدر من المناعة الاقتصادية للوطن.

وقد وضع الحداد منهاجا متكاملا لتربية المرأة المسلمة، رأي فيه سبيلا يساعدها على القيام بوظيفتها، وحدد أهداف كل حقل معرفي في المنهاج وذلك على النحو التالي:

أ- تعليم المرأة أصول دينها وتاريخه ولغة قومها وتاريخ بلادها لتسهم في تزويد أبنائها بالفضائل.

ب- تعليمها العلوم الرياضية والطبيعية لتعرف الأشياء على حقيقتها، وتزديري الماديات، وتزول من ذهنها الخرافات وينعكس أثر ذلك على أبنائها.

ج- تعليمها الرياضة البدنية درسا وعملا لما فيها من قوة ونشاط يعينان على النشاط المعنوي ويساعدان المرأة على تحمل مصاعب الحمل والولادة والاهتمام بصحة أولادها.

د- تعليمها مبادئ الصحة لتحتاط في تغذية أولادها ولا تنخدع بإرشاد الجاهلات.

هـ- تعليمها فن التربية بما يمكنها من الإحسان في تربية أولادها.

و- تعليمها الروايات القصصية والتمثيلية ذات المغازي الأخلاقية والاجتماعية ففي ذلك إكمال لثقافتها بحيث تأخذ العبرة والعظة من حياة الآخرين.

ز- تعليمها تدبير المنزل وبعض الصناعات كالحياطة والتطريز لتسهم في وضع ميزانية الصرف، وتوفير بعض الأموال، إذ لا يكفي في ذلك الإعداد المنزلي الموروث.

ح- تعليمه بعض الحرف والصناعات لتعين زوجها عند الحاجة.

ط- تعليمه الفنون الجميلة من شعر وموسيقى وتصوير للقضاء على الأدب السافل المنتشر.

وقد أكد الحداد على أهمية البدء بالتربية منذ النشأة، وأكد على أهمية القدوة الحسنة وتوجيه المرأة بما ينمي لديها الشعور الكامل بواجباتها في الحياة (الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ٢٠٦-٢٠٩، ص ٢١١-٢١٢).

ثانياً: الرائدات من النساء:

بدأت جهود بعض السيدات منذ حكم محمد علي في مصر حيث شاركت المرأة في النهضة التعليمية متعلمة في المدارس الأجنبية التي افتتحت عام ١٨٣٦م / ١٢٥٢م، ثم معلمة، حيث قامت بعض السوريات المتخربات من هذه المدارس بالتدريس.

وسوف نورد فيما يلي عرضاً لأفكار أبرز الرائدات اللاتي حاولن نقل جهودهن إلى مجال الإصلاح الاجتماعي للمرأة، وذلك في نهاية عصور الركود والتقليد وبداية العصر الحديث.

١ - عائشة تيمور^(١):

تعد عائشة تيمور أول من نادى بضرورة العناية بتربية المرأة وتهذيبها، وذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ولها مقال بعنوان: "لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات"، انطلقت فيه من الأصول الاجتماعية، حين رأت سوء تربية النساء لأبنائهن بسبب الجهل الذي يرسفن فيه، وقد ركزت في توجيهها على الرجل باعتباره الولي المسئول عن تربية المرأة، كما أشارت إلى اهتمام المجتمع بالزينة الوهمية للمرأة والحرص عليها، والمتمثلة في الحلي والمجوهرات، في غفلة عن الزينة الحقيقية؛ والتي تتمثل في العلم والمعرفة اللذين يزينان العقل، ويساعدان المرأة على الإحسان في إدارة شؤونها.

تقول عائشة ما نصه:

"... فكان التأمل في هيولي هذا الكون موجبا على الهيئة الرجولية العناية بتأديب البنات وتهذيب العائلات؛ لأن ثمرة السؤدد راجعة إليها. فلربما أنه عقد أمر على الرجل

(١) عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور: ولدت بالقاهرة سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، فأخذت النحو والعروض على فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية، فبرعت فيها، وأخذت الصرف واللغة الفارسية على خليل رجائي والقرآن الكريم والخط والفقه على إبراهيم مؤنس، ولها ثلاثة دواوين: بالعربية والتركية والفارسية، من إنتاجها: الأحوال في الأقوال والأفعال وهي قصة مكتوبة على تسع مقامات. (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ٣٢٨).

فلمته الزوجة بأطراف بنائها الرقيقة وأحمدت (جذوة) ولوعه بتدابيرها الدقيقة وهو مع ذلك يجتهد في أن يكتسب فضلها بين أفراد الهيئة ويحذر من إعلانه خشية أن يقال هي معلومية فيكدر عيشه الصافي بخلاف الدولة الغربية فالأسف ثم الأسف على هيئة لم تمض فحوصها في هذا النسق البديع ولم تجهد نفسها في البحث على هذا الشرف الرفيع والعجب ثم العجب على مدينة تشغف بتزيين فتياتها بحلي مستعار وتستعين على إظهار جمالهن بزخرف المعادن والأحجار وتتخيل أنها زادت بسطة في الحسن والدلال والحال أنها ألقت تلك الأحداث في أحود الوبال لأنه لم يعد عليهن من تلك المستعارات إلا العجب والغرور المؤدي بهن إلى ساحة المباهاة والفجور وذلك لكف بصيرتهن عن الإدراك وعدم عملهن (علمهن) بنتائج الأحوال وعواقب الأمور..... فلو عني رجالنا معاشر الشرقيين بتربية بناتهم وأجمعوا على تلقين العلوم لهن بمقدار شفقتهم لنالت أرفع مجد وأهنأ جد ولعوضت تلك الفتيات عن ذلك القلق براحة العرفان وأوسعت بسواعد معلوميتهن مضيق السلوك إلى ساحة الإذعان وقامت بواجبات التدبير وهمت بوقاية أساس حليتها من التدمير لأن تحرب الدور بعد انقطاع أهلها طبعي والطبيعي ليس بضار "(كحالة، د.ت، ج ٣، ص ١٧٠-١٧٣).

ونجدها في بعض كتاباتها تؤكد على أهمية التربية والتهذيب للمرأة وأثر ذلك في إصلاح ما ساد المجتمع من فساد خلقي. وهي في تأكيدها هذا لم توافق قاسم أمين في دعوته إلى السفور؛ بل ظلت متمسكة برأيها في ضرورة المحافظة على الحجاب. وقد قالت في ذلك قصيدة شعرية جاء فيها:

يبد العفاف أصون عز حجابي
وبعصمتي أسمو على أتراي
ما ساءني خدري وعقد عصابتي
وطراز ثوبي واعتزاز رحابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا
سدل الخمار بلمتي ونقابتي

(زيادة، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ١٨١-١٨٢)

٢- زينب فواز^(١): (١٢٧٧-١٣٣٣هـ / ١٨٦٠م-١٩١٤م)

كانت زينب ومن أوائل المطالبات بتغيير وضع المرأة المسلمة بعد أن تأملت لما هي عليه من ظلم اجتماعي. وقد ألّفت كتاباً أسمته "الرسائل الزينية" انطلقت فيه من الأصول الاجتماعية مطالبة بنهوض كل من المرأة والمجتمع، وذلك عن طريق العلم والمعرفة. وقد تطرفت زينب في مطالباتها إلى الحد الذي جعلها تنادي بإتاحة الفرص للمرأة لممارسة ما يتعاطاه الرجال من أعمال، واتخذت من المرأة الغربية مثالا لها في ذلك (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٨٤).

تقول زينب في مقالة لها بعنوان "الإنصاف":

"وما من أمة فشا فيها داء الكسل وسرت إليها علة الخمول إلا دمرتها وهدمت أركان عزمها ودكت حصون تمدنها ومما يؤيد لنا ذلك، هو ما ظهر لنا من تقدم الغرب على الشرق في هذا العصر حين ما عولج أهله وشفى جسمهم من داء الكسل والخمول فازدهى عصرهم على جميع العصور وفاق كافة الدهور إلى حد أنه صار النساء فيه يبارين الرجال ويشاركنهم في الأعمال، وحيث قد أجمع السواد الأعظم منهم على أن الرجل والمرأة متساويان بالمنزلة العقلية وعضوان في جسم الهيئة الاجتماعية لا غنية لأحدهما عن الآخر فما المانع إذا من اشتراك المرأة في أعمال الرجال، وتعاطيها الأشغال في الدوائر السياسية وغيرها متى كانت جديرة تؤدي ما ندبت إليه...." (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٨٦).

ونجد أنه رغم دعوتها إلى المساواة في الأعمال بين الرجال والنساء، إلا أنها لم تكن تقصد من وراء ذلك مخالفة مبادئ دينها، حيث نجد أنها تؤكد على أهمية الشريعة "كمُرشد يدعو كل واحد إلى الوقوف عند حده".

ويؤكد ذلك أنها لم تكن ممن طالبين بإلغاء الحجاب، وإنما كانت تنتقد بشدة التشدد الذي كان يمارسه الرجل على المرأة بحيث يمنعها من التعليم، ومن الخروج من المنزل، ومن حضور المحافل النسائية العامة (أبو عمشة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ١١١).

(١) انظر التعريف بها ص ٢١.

٣- أنيسة بنت سعيد شرتوني^(١): (١٣٠١-١٣٢٤هـ / ١٨٨٣-١٩٠٦م)

كاتبة وأديبة، لها مقالات كثيرة منشورة في الصحف من بينها مقال بعنوان: "فصل الخطاب في الرجل والمرأة"، انطلقت فيه من الأصول العقدية - بعد أن لمست تطلع بعض نساء عصرها إلى تعاطي ما يتعاطاه الرجال من أعمال - لتؤكد على حكمة الخالق في طبع كل من الذكر والأنثى بما يلائم وظيفته التي وجد من أجلها. وقد تعجبت أنيسة من المطالبات بامتهان أعمال الرجل، حيث يغفلن عن عظمة العمل الذي خلقت من أجله المرأة والمتمثل في وقاية النوع البشري من "الفناء والاضمحلال". كما لفتت الأنظار إلى بعض المهن التي تتناسب وتكوين كل من الرجل والمرأة والتي يمكن للمرأة أن تشارك فيها مثلها في ذلك مثل الرجل كالكتابة، ونظم الشعر وغيرها. (كحالة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج١، ص ٩٩-١٠٣).

تقول أنيسة ما نصه:

"من المعلوم لكل أحد أن الرجل والمرأة مصدر الكائنات البشرية والعلة في بقائها. فإذا انقرض أحدهما، انقرض النوع البشري برمته حتى لا يبقى في الغبراء ديار ولا نافخ نار... وقد صاغ الخالق الحكيم كلا منهما صيغة مناسبة لما أراد به، كما صاغ كل واحد من المشاعر الخمس صيغة لا يتصل المقصود من تلك الحاسة إلا بها.... وإذا نظرت المرأة إلى الغرض العظيم الشأن الذي كونت تكويننا كاملا للقيام به رأيت أنها منبت الورى كلهم أجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وجاهل وعالم وسوقة وملك... وعلمت علم اليقين أنه لم يأت العالم رجل إلا خاضعا لسلطانها متقادا لحكمها لا إذا برأفتها مستخرجا رزقه من ثديها لا ملجأ له سواها وإنما هي أول أستاذ له وأول حاكم عليه فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن أول عهده بالدنيا تحت يد المرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة أذنه أو تضرب خده بكفها فإذا التفتت أختي المرأة إلى ما ذكرت رأيت أنها في مقام عال في الاجتماع الإنساني، بل رأيت أنها أحد ركني الكون العظيمين وإذا نظرت إلى ذلك حق لي

(١) كاتبة أديبة ولدت في بيروت سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م.. فكانت تختلف في البداية إلى مدرسة الراهبات الناصريات ثم انتقلت إلى مدرسة عين طورة، ثم مدرسة التقدم في بيروت حيث درست فيها لمدة ثلاث سنوات: أصول العربية وقواعد اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب ومبادئ الطبيعيات وفنون الأعمال اليدوية كالزركشة والتطريز، وشجعها والدها على الكتابة فنشرت العديد من مقالاتها في الصحف. (كحالة، د. ت، ج١، ص ٩٩-١٠٠).

القول أن من العجب العجاب ما يقرأ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن أعمال الرجال كالقضاء مثلاً مع أن الطبيعة تشهد بغير لسان أن الصيغة التي صيغت عليها المرأة لم تعد لها مثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعاً.

وعظمة العمل الذي أعدت له المرأة ينحط عنده كل عمل ألا وهي خلقت لوقاية النوع البشري من الفناء والاضمحلال وهي التي برئت لأن تهدي إلى الدنيا الذرية البشرية الكافلة لبقاء العمران. (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ١٠٠-١٠٢)

وتؤكد أنيسة على أهمية الالتزام بالأصالة في التعامل مع الأفكار المستحدثة، وذلك من خلال وزنها بدقة قبل اتباعها بحيث، يتمسك الفرد بالتقديم إذا ما علم أنه الصواب، وهي تؤكد على أن فكرة المساواة التي طرحتها المرأة الغربية هي من باب "مخالفة الطبيعة ولا يعرف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح" (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥).

٤ - ملك حفني ناصف^(١): (١٣٠٤ - ١٣٣٧هـ / ١٨٨٦ - ١٩١٨م)

تعد ملك حفني ناصف أهم المصلحات وأبعدهن أثراً منذ بداية القرن العشرين؛ حيث تزعمت الحركة النسائية بعد قاسم أمين الذي كان يهدف إلى تغيير أحوال المرأة المسلمة بالكلية، بينما هدفت ملك إلى إصلاح أحوال المرأة من خلال استرداد ما خسرت من حقوق في عصور الجُمود والتخلف.

فهي كما يقول فرج، لم تهدف إلى "إنصاف المرأة على حساب الرجل، وإنما أرادت إنصافها من أجله ومن أجلها، ومن أجل الأمة كلها." (فرج، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٨٣-٨٤).

وتعد ناصف أول مصرية تمثل النساء في مؤتمر حكومي عام، وذلك سنة ١٩١١م / ١٣٢٩هـ، حيث قدمت مشروعاً إصلاحياً للمرأة أجملت فيه أهدافها ومنها:

- ١- تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن الكريم والسنة الصحيحة.
- ٢- تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الأولي إجبارياً لكل الطبقات.

(١) انظر التعريف بها ص ٢١.

٣- تعليم التدبير المنزلي علما وعملا، وقانون الصحة وتربية الأطفال والإسعافات الطبية والوقائية.

٤- تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب والتخصص فيه وكذلك فن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في هذه المجالات.

٥- إطلاق الحرية في تعليم العلوم العالية لمن تريد.

٦- تعويد البنات منذ الصغر على الصدق في القول والجد في العمل والصبر، وغير ذلك من الفضائل.

(فرج، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٨٦)

وهكذا فقد جاء برنامجها متكاملا حيث انطلق من الأصول العقدية والاجتماعية والاقتصادية، واهتم بجميع الجوانب الخاصة بتربية المرأة.

وقد أكدت ناصف على أهمية الأصالة في تربية المرأة المسلمة حيث أشارت إلى أن إصلاح المرأة لا يتم من خلال تجريب أساليب الأوروبيين، بل من خلال نقد العادات والتقاليد، وتربية المرأة وتعليمها.

ومن ضمن كتاباتها مقالة لها عن المرأة المصرية والمرأة الغربية؛ انتقدت فيها التقاليد البالية التي توقع الظلم على الأنثى منذ الولادة، وذلك من خلال التشاؤم بولادتها، ثم إهمال تربيتها، وممارسة التفرقة بينها وبين الذكر طوال سنوات الطفولة والمراهقة.

وقد ركزت في مقالها على المناذاة بأهمية تعليم البنت تعلما أصيلا بعيدا عن التقليد الأعمى للغرب الذي بدا لدى بعض العائلات اللاتي بدأن في إرسال بناتهن إلى المدارس ليتعلمن ما لا يفيدهن في مستقبل حياتهن. كما أكدت على أهمية التربية الخلقية بحيث تبعد البنت عن غير اللائق من القصص والأشعار. وأكدت أيضا على أهمية التربية العقلية التي تطلق عقل المرأة منذ الصغر بعيدا عن الجهل والخرافات، لتعيش عصرها بتقدمه، وعابت على من يرى في تجهيل المرأة وسيلة لإبعادها عن مفاصل الاختلاط، حيث إن التربية الصحيحة هي الوسيلة المثلى لذلك.

وتقول ناصف في ذلك ما نصه:

"بعض أصداد تعليم الفتاة يرون أن تظل الفتاة جاهلة خير لها من أن تتعلم لأن التعليم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لا تبرره العادة ولا يسمح به أولياؤها وهي نظرية فاسدة؛ لأن التربية الحققة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة أهلها وآداب نفسها ما يخيفها من سوء الأحداث وتعلم أن سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من أقل الأشياء وإذا انكسر فلا يجبر. أما الفاسدة فتميل إذا وجدت مسربا سواء كانت عالمة أو جاهلة وغاية الأمر أن الجاهلة أسرع شططا وأدنى إلى أن تشهر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيئ إلا بعد وقوعها في سوء مغبته. (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ٧٩-٨٧)

وقد أنكرت ناصف على المستبدين في استعباد المرأة من خلال آرائهم وأفكارهم التي تتراوح ما بين النقيضين المتمثلين في الغلو في كل من الحجاب والسفور، وأكدت على أهمية أخذ الأفكار بوعي وتمحيص من قبل المرأة. (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ٩٣)

كذلك فقد أكدت ناصف في كتاباتها على أهمية الالتزام بالأصالة في الاقتباس من الحضارة الحديثة حيث تقول في ذلك ما نصه:

"وإذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا أن لا نقبس من المدينة الأوروبية إلا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائما لعاداتنا وطبيعة بلادنا. نقبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل. نقبس منها أساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة وإنما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال أن نندمج في الغرب فنقضي على ما بقي لنا من القوة الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهائلة." (كحالة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٥، ص ٩٥)

إنه ما من شك في أن جهود الرواد التي أشرنا إليها آنفا؛ قد جاءت استجابة للظروف التي عمت المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت. وما يجمع بينهم أنهم انطلقوا من المطالبة بالتغيير والإصلاح لحال المسلمين الذين تخلفوا في مختلف المجالات المادية والخلقية والفكرية، وكانوا يرون أن تغيير وضع المرأة يمثل جانبا مهما في تغيير وضع المسلمين.

لكنهم قد بالغوا في تضخيم المرأة باعتبارها أداة، وبالغوا في الدور الذي يمكن أن تؤديه، ولعل السبب في ذلك على ما يبدو؛ هو نوع من رد الفعل لليأس من الإصلاح من خلال الآخرين. (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧٤-٧٥)

ونجد خطاب المفكرين قد ظل محكوما بنظرة معيارية نفعية استهدفت أمرين لا ثالث لهما: الأول تعليم المرأة، والثاني عملها. " فالمرأة أداة إنتاج معطلة ينبغي تحريكها وتحريرها، وإنما يكون ذلك بالتعليم أولا حتى تقوم بإنتاج العنصر البشري الصالح، فتفي بحاجة المجتمع إلى نموذج من الإنسان جديد جسما ونفسا وعقلا، ويكون التحرير بالعمل ثانيا، وبه تساهم (تسهّم) المرأة في تدعيم القاعدة المادية للكيان الوطني. " (ابن رمضان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩، ص ٧٦)

ورغم أن هناك من تجاوز هذه النظرة؛ إلا أن ذلك لم يكن على قدر من القوة التي تغلب على هذا الاتجاه الغالب أو تخفف من أثره، إلى جانب أن خطاب الرواد قد توجه أساسا نحو المرأة الأم، ولم يهتم بالفتاة قبل الزواج إلا من حيث إعدادها لتكون زوجة وأما.

وكما رأينا فقد فتن كثير من الرواد والرائدات بالتقدم الغربي الذي شاهدوه حينما ذهبوا إلى الغرب أو جاء إليهم (عن طريق الاستعمار)، ومن ثم اندفعوا يطالبون بالاقتداء به في كل خطواته، غير واعي بخطورة النتائج المترتبة على الأخذ بأفكارهم، وقبل ذلك غفلوا عن الحضارة العظيمة التي ينتمون إليها والتي تمتلك جميع مقومات التقدم والرفي التي تحتاج إلى أن تبعث من رقادها الذي طال خلال عصور الركود والتقليد.

ويلاحظ أن قضية المرأة قد عالجها الرجال أولا، وأنه على الرغم من ظهور فئة من النساء أسهمت في ذلك، إلا أنه لم تظهر من بينهن رائدة فرضت حضورها على مستوى الفكر فطرحت قضية المرأة من وجهة نظر المرأة نفسها، ونجد أنه حتى ملك حفني ناصف التي قدمت تصورا لبرنامج جيد لإعداد المرأة؛ إلا أن أفكارها قد تغوضي عنها بذهابها. وظلت قضية المرأة مثارة من قبل الرجال.

وأرى أن السبب الأساسي في ذلك ربما يرجع إلى قلة المتعلّمات من النساء، وتدني المستوى التعليمي للمتعلّمات منهن، إلى جانب قلة أو انعدام - الفرص التي تسمح للنساء بالتعبير عن آرائهن وتصوراتهن.

ثالثاً: ما بعد الرواد:

بنهاية عهد الاستعمار وحصول الاستقلال السياسى؛ تحقق الحلم وأصبح تعليم المرأة المسلمة واقعا مفروضا على المجتمع، وكذلك انخرطها في العلم، ولكن بدرجات متفاوتة من بلد لآخر، وسوف نورد فيما يلي ملخصا لبدايات التعليم في عدد من الدول الإسلامية، ونفصل الحديث بعض الشيء عن تعليم البنات في المملكة العربية السعودية باعتباره تجربة متميزة:

١ - بداية تعليم المرأة في مصر:

لما تولى محمد على الحكم؛ أراد إنشاء دولة متقدمة تقوم على العلوم الحديثة، فكان من ضمن ما فعله أن أقام مدرسة للبنات؛ يتعلمن فيها بعض علوم الصحة، وقد أحضر للتدريس فيها مولدات وطبيبات. فكانت الفتيات يتعلمن فيها الفرنسية وبعض الفنون اليدوية والموسيقى وذلك عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م (يوسف أسعد، د.ت، ص ٨٦-٩٠)، ثم أنشئت عدة مدارس للجاليات الأجنبية، لكن ثاني مدرسة تابعة للحكومة هي مدرسة البنات بالسيوفية والتي أنشئت عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م، ثم المدرسة القريبة عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، وكانت الأقلية المتعلمة هي التي تدفع بيناتها للالتحاق بتلك المدارس. (زيادة، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ص ١٤٠-١٤١)

وقد طالبت الفتيات المصريات بدخول الجامعة، الأمر الذي اضطر أحمد لطفى السيد، أول مدير لجامعة القاهرة (فؤاد سابقا) إلى اللجوء إلى الحيلة حتى يمكن الفتيات من الالتحاق بالجامعة تجنباً للقوى المعارضة. فعمد إلى عدم ذكر الجنس عند تقديم الطلب، وبذلك دخلت الفتاة لأول مرة إلى الجامعة المصرية عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م في كلية الطب وفي نفس العام افتتحت كلية البنات لتعليم الاقتصاد المنزلي بحى الزمالك. أما الأزهر فلم يفتح أبوابه لتعليم البنات إلا في بداية الستينيات. (خليل خليل، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ص ١٠٥-١٠٦)، (فرج، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ص ١١٢-١١٣)

٢ - بداية تعليم المرأة في لبنان:

أسست أول مدرسة للبنات عام (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) من قبل رجل يدعى إيلي سميث وزوجته، وكانت هذه أول مدرسة في بلاد الشام يقام لها بناء خاص. ثم بعد ذلك تم افتتاح عدد كبير من المدارس حتى وصل عددها عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م إلى ٣٣ مدرسة تضم نحو ١٠٠٠ تلميذة ٢٠٪ منهم من الإناث. (خليل خليل، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٩م، ص ١٣٣)، وكذلك قامت منظمة راهبات المحبة وغيرها من المنظمات الدينية؛ بتأسيس مدارس للبنات وصغار البنين في بيروت وبعليبك ودمشق كما قامت الجمعيات الخيرية الإسلامية بمثل ذلك بدءاً من عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م. (خليل خليل، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٣٣)

٣ - بداية تعليم المرأة في السودان:

قامت أول مدرسة نظامية للبنات في رفاعة عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م بجهود الشيخ با بكر بدري. وهي الأساس الذي قام عليه تعليم البنات في السودان. وفي عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م أنشأت الحكومة خمس مدارس، كما أنشأت كلية للمعلمات بأم درمان لتدريب معلمات المدارس الأولية، وذلك في عام ١٣٥٠هـ / ١٩٢١م. وفي عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م تأسست مدرسة الأحفاد الأهلية الوسطى للبنات. أما الثانوية فقد بدأت عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م بمدرسة الأحفاد بالثانوية. وفي عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م أنشئت أول كلية للبنات من أجل تقديم تعليم فوق الثانوي، وهي كلية الأحفاد الجامعية للبنات. بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٢-١٩)

ويعتبر السودان سباقاً لغيره من الدول العربية في إنشاء جمعية علمية للدراسات النسائية، وذلك في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، بهدف تنشيط دراسات المرأة وتوجيهها. وقد أسس هذه الجمعية مجموعة من المدرسات. وأنشئ كذلك "اتحاد المرأة في السودان" وهو لجنة من الرجال والنساء المتخصصين في شؤون المرأة والشؤون الاجتماعية بصفة عامة؛ للقيام بالدراسات الدقيقة عن قضية المرأة. وهناك مركز الدراسات الإنشائية التابع لجامعة الخرطوم، وهو مؤسسة أكاديمية تعنى بدراسات المرأة. (سمارة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٢)

٤ - بداية تعليم المرأة في إيران:

أنشئت أول مدرسة في طهران للبنات عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، وذلك من قبل إحدى الجمعيات التنصيرية الأمريكية (*The American Presbyterian Missionary Society*) ولذا فإنه لم تلتحق بها في البداية سوى الفتيات من الأرمن والمسيحيات. أما المسلمات فلم يطرقنها إلا في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م. أما أول مدرسة أنشأتها الحكومية الإيرانية للبنات، فقد افتتحت عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م. ولم يتح للنساء الالتحاق

بالجامعة إلا في عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م. (Beck and Keddie, 1978, p 191, p 306).

٥ - بداية تعليم المرأة تونس:

ذكر الحداد في كتابه أن الحكومة التونسية قد أنشأت معاهد لتعليم البنات أشبه ما تكون بمعامل صناعية؛ من أجل تخريجهن في النسيج والإبرة كالزراي والطرز، على مثال العمل في ديار المعلمات قبل الاستعمار. وقد أضيف إلى ذلك دروس في الفرنسية قراءة وكتابة، إلى جانب التاريخ الفرنسي، ومبادئ الحساب والجغرافيا، وهذا هو التعليم الفرنسي. أما التعليم العربي فقد كان يتم على يد مؤدب أو مؤدبة؛ وذلك لحفظ سور من القرآن الكريم مع التمرين على القراءة والكتابة. وهناك مدرسة نهج الباشا بالعاصمة التي تهيب للشهادة الابتدائية. (الحداد ١٣٤٤هـ / ١٩٢٩م، ص ١٩٤)

٦ - بداية تعليم المرأة في الجزائر:

امتنع غالبية الناس في الجزائر عن إرسال بناتهم إلى المدارس في عهد الاستعمار؛ لأنها كانت تمنع تدريس العربية، إلى جانب عدم وجود مدارس في الريف، وجعل الأولوية للأولاد. وكل ذلك قد أسهم في تأخر التحاق البنات بالمدارس الحديثة. وفي عام ١٣٩١هـ - ١٣٩٢هـ / ١٩٧١م - ١٩٧٢م، بذلت بعض الجهود لنشر تعليم البنات؛ أثمرت عن التحاق ما نسبته ٣٢٪ من طلاب المرحلة الابتدائية. وقد عملت الحكومة على تحديد سن ١٤ للتعليم الإلزامي الذي لم يتحقق كما هو الحال في غير الجزائر من الدول. وكان الغرض من التعليم الإلزامي؛ تحديث العقليات التي تمكن من تحرير المرأة، لكنه لم يتحقق لأن الجزائر كانت ضد التحديث على النمط الغربي، على العكس من تونس ومصر. (Beck and Keddie, 1978, pp. 160- 161, p169).

٧ - بداية تعليم المرأة في فلسطين:

نتيجة لموجة التعليم التي شهدتها الدول المجاورة في أواخر القرن الماضي، فقد انتشرت المدارس في فلسطين خاصة التنصيرية منها. وقد كانت الدولة العثمانية تقف ضد هذه المدارس - التنصيرية - في بداية الأمر، لكن ضعفها في سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى وخلاها قد قلل من تأثيرها المباشر على مناطق نفوذها المختلفة ومنها فلسطين، حيث أقرت بريطانيا نظام التعليم الإلزامي، وأقبل الأهل على تعليم أبنائهم وبناتهم في هذه المدارس رغم رفضهم للفكر الغربي الجديد الذي حملته. وقد صاحب كل ذلك موجة

محلية وطنية؛ حيث إنشأت السيدة نبیة ناصر عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م مدرسة بیرزیت التي أصبحت فیا بعد كلية بیرزیت، ثم جامعة بیرزیت فی عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م. ولم تحرم فناة القرية من التعليم؛ حيث إنه فی عام ١٣٦٤هـ / ١٣٦٥هـ، ١٩٤٤م - ١٩٤٥م؛ كانت نسبة الفتيات فی المدارس ٤٢٪، ٨٪ منهم یدرسن فی القرى. (سماة ١٤١٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٩٨ - ١٩٩)

٨ - تعليم المرأة فی المملكة العربية السعودية:

یعد تعليم البنات فی المملكة العربية السعودية تجربة فريدة ومتميزة عن غيرها من التجارب المماثلة فی الدول الإسلامية. وهذا التفرد والتمیز یتعلق بظروف نشأة هذا التعليم، ومعدل تطوره واكتماله والذي استغرق أقل من عشرين عاما.

ونجد أن عصور الركود والتقليد قد ألقت بظلالها على جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فیا عدا الأجزاء التي تركزت حول مكة المكرمة والمدينة المنورة، باعتبارهما محط أنظار الناس من حجاج وزوار.

وقد أقام بعض الأعیان والتجار عددا من الكتاتیب التي كسرت الجمود السائد، وأدت الدور المرجو، إلا أن المراجع قد أغفلت حق هذه المؤسسات؛ حيث لا نجد عنها سوى القليل جدا من المعلومات.

ونجد أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية، والذي صدر فی عام ١٣٠١ هـ، قد أشار إلى أنه فی عام ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ - ١٨٨٤م كان بمكة ثلاثة وثلاثون كتابا، بها ١١٥٠ طالبا وطالبة، وهي موزعة فی أنحاء مكة المكرمة، ثم أخذ العدد یتزايد؛ حيث أشار التقرير الصادر فی عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ - ١٨٩٢م إلى أنها قد بلغت ٤٣ كتابا. (ابن دھیش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م، ص ١٧ - ١٨).

ومن أشهر الكتاتیب التي وجدت:

١ - كتاب الأستاذة الهزازیة: وكان مقره منزل آل الكندواني بالصفاء. وقد تأسس فی أواخر الأربعینات الهجرية، ثم أقفل بعد بضع سنوات. (ابن دھیش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م، ص ٣٣).

٢ - المدرسة الفخرية بالمدينة المنورة: ومعلمتها فخرية هانم. وقد تطورت هذه

المدرسة عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م عن الشكل التقليدي للكتاب حيث أدخلت فيها السبورة بدل الألواح الخشبية، والكتب المدرسية، وعدلت مناهجها لتلائم مرحلة التطور التي كانت تمر بها البلاد آنذاك؛ حيث تحولت بعض الكتابات إلى ما يشبه المدارس التحضيرية الحديثة^(١). (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٤١-٤٢).

ويذكر ابن دهيش أن موافقة الحكومة شرطاً لم تكن لافتتاح الكتابات؛ حيث كان بإمكان أي شخص مؤهل أن يفتح كتاباً. (ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٥٠). ثم تطور التعليم على شكل مدارس أهلية، وحظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة بحظ وافر منها بسبب انطلاق التعليم فيها على يد علماء قدموا من أقطار إسلامية أخرى لأداء الحج. (الزبد، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ١٦). وبذلك يكون التعليم الأهلي قد اضطلع بمهمة تعليم الفتاة قبل تأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات بحوالي عشرين عاماً. ومن أشهر المدارس التي وجدت آنذاك:

١ - المدرسة الخيرية العارفية للبنات بمكة المكرمة: وقد تأسست عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٨ م. وكانت تقوم بالتدريس فيها زوجة محمد عارف مؤسس المدارس العارفية. (آل الشيخ، د. ت، ص ١٥٨).

٢ - مدرسة خوجة هاشم بالطائف: وقد تأسست عام ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٠ م، وكانت تديرها السيدة أطفاف عمر هاشم، وكانت أقرب إلى مدارس محو الأمية؛ لافتقارها إلى المنهج الدراسي الواضح. وكان التركيز فيها على تدريس القرآن الكريم. (آل الشيخ، د. ت، ص ١٥٨).

٣ - دار الحنان بجدة: وقد أسسها جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز على نفقته الخاصة وجعلها تحت رعاية حرمه، وكانت مخصصة للفتيات والمحتاجات من الفتيات، ثم افتتح بها قسم خارجي. وقد ضمت مراحل: الروضة، والتمهيدي، والابتدائي، والمتوسط، والثانوي. وبعد فترة من افتتاحها؛ أدخلت المدرسة ضمن مناهجها بعض البرامج والدراسات في الآلة الكاتبة ومسك الدفاتر والملفات، وذلك من أجل تخريج فتيات يقمن بمؤهلات للوظائف الكتابية بمدارس البنات. (فصول، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ٦، ص ١٦).

(١) للمزيد في الموضوع انظر ابن دهيش، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٣٢-٤٢).

٤ - مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة: وقد أنشئت عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م. وهي امتدادا لنشاط مؤسس دار العلوم الدينية للبنين التي أنشئت عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٣ م. وقد أسسها مجموعة من الأندونيسيين و الملاويين ؛ من أبرزهم فضيلة السيد محسن بن علي بن عبد الرحمن الساوي^(١) الذي كان له ولأولاده وعائلته دور كبير في تعليم البنين والبنات. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ١١).

وكانت أول مديرة للمدرسة زوجة الشيخ حسين عبد الغني فلمبان^(٢). وقد ضمت المدرسة منذ إنشائها جميع صفوف المرحلة الابتدائية وفقا لمنهج وزارة المعارف، إلى جانب منهاج للثقافة المنزلية يضم دروسا في الخياطة والتطريز ورعاية الطفل. ثم سارت المدرسة على مناهج الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد افتتاحها، كما افتتحت عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م فرعاً لإعداد المعلمات. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ١١ - ١٢).

٥ - مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي بمكة المكرمة: وقد أسسها الشيخ حسين عبد الغني فلمبان عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م، وتولت إدارتها زوجته بعد أن استقالت من إدارة مدرسة البنات الأهلية. ثم غير اسمها عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ليصبح مدرسة الفتاة الأهلية. وقد سارت هذه المدرسة على مناهج البنين مع تعديل طفيف حيث استبدلت الرياضة البدنية بالتربية المنزلية، ثم سارت على مناهج الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد إنشائها. وقد اقتصرت المدرسة على المرحلة الابتدائية حتى عام ١٣٨٦ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م، حيث افتتح بها فرع للمرحلة الإعدادية. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ١٣).

(١) ولد الساوي بمدينة فلمبان في سومطرة في عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٤ م، وقدم إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م، والتحق بالمدرسة الصولتية، وتخرج منها ثم درس بها. وفي عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٣ م أسس دار العلوم الدينية. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ١١)

(٢) حسين عبد الغني فلمبان: من مواليد سومطرة عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م. هاجر إلى مكة المكرمة عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وحصل على إجازة التدريس في الحرم المكي الشريف عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٧ م. وقد عين مدرسا بمدرسة دار العلوم الدينية عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٥ م، وبقي بها حتى عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م حيث افتتح مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي.. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ١٣).

٦ - المدرسة النصفية بجدة: وأنشئت عام ١٣٧٥ هـ بمساعدة الشيخ محمد نصيف؛ الذي شجع الفكرة ودعمها، وتبرع بتوفير المكان. وقد بدأت المدرسة بالصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية تحت إشراف السيدة صديقة شرف الدين؛ التي كانت تقوم هي ووالدتها وشقيقتها ومعلمة بالتدريس فيها إلى جانب إدارته دون مقابل. (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ص ١٩٦).

وكان لكل مدرسة منهجها الخاص بها، وبعضها كان يتبع مناهج البنين، إلا أن المناهج قد أخذت في التنظيم والتوحيد بعد قيام الرئاسة العامة لتعليم البنات. (فصول في تاريخ المملكة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ٣٠)، كما أن عددها قد تقلص بعد انتشار المدارس الحكومية وما صاحبها من حسن أداء. (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٢٠٤).

وقد تأخر الجهاز التعليمي للبنات في المملكة العربية السعودية ثلاثين عاما بعد تأسيسها (فصول، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ٢) وذلك بسبب ما كان يسود البلاد آنذاك من أعراف اجتماعية تعارض تعليم البنات الحكومي عموما، والنسوي خصوصا. فهذه الأعراف - خاصة في نجد - كانت تعتبر التعليم مفسدا للمرأة، مبعدا لها عن وظيفتها الأساسية؛ ولذلك فقد عمدت الحكومة إلى التريث في الأمر من أجل تهيئة الرأي العام؛ حيث بدأت الصحف في مناقشة الموضوع، وتوضيح مدى أهميته ومشروعيته، الأمر الذي كان له دور كبير في إقناع المعارضين، وطمأنة المتخوفين. (آل الشيخ، د. ت، ص ١٦٠).

وقد أوضح آل الشيخ - الذي كان أحد المسؤولين عن تعليم البنات في ذلك الوقت - كيف أن معارضي تعليم البنات قد خلطوا بين مبدأ تعليم المرأة وما يجب أو لا يجب أن تتعلمه وبين أسلوب تعليمها من حيث الاختلاط بالرجال من عدمه، وأنهم لم يتنبهوا إلى الخطر العظيم الذي يمثله الجهل على الأسرة، ولا إلى الفوائد الجليلة التي تعود عليها من وراء تعلم أهم فرد فيها وهو المرأة. وجرت في تلك الفترة محاولات كثيرة لإقناع هؤلاء من خلال الحوار، إلا أن أكبر إجراء سد الباب أمامهم تمثل في إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات تحت إشراف مجموعة من العلماء؛ لتكون الجهاز المسئول عن تعليم البنات. (آل الشيخ، د. ت، ص ١٤١ - ١٤٢).

وقد كانت هذه المعارضة طبيعية في مجتمع مازال يعيش في أجواء الركود، ويتمسك بالعادات والتقاليد التي منها ما هو عديم الصلة بالإسلام، إلى درجة أن سكان إحدى

المدن الصغيرة قد تكتلوا لمنع افتتاح مدرسة ببلدتهم، واستنجدوا بالأمير فيصل بن عبد العزيز - ولي العهد ورئيس الوزراء آنذاك؛ إلا أنه أصر على إبقائها حين لم ينجح في إقناعهم. (عسه، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، ص ٥٦٨ - ٥٦٩).

إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات:

صدر القرار بإيجاد تعليم البنات في شهر ربيع الثاني عام ١٣٧٩ هـ / أكتوبر ١٩٥٩ م، وذلك بمرسوم ملكي جاء فيه:

" الحمد لله وحده وبعد: فقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من قرآن وعقائد وفقه وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية: كإدارة المنزل، وتربية الأولاد، وتأديبهم ما لا يخشى منه في العاجل أو الآجل أي تأثير على معتقداتنا وتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على أفكار النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم. وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين والشفقة على نشء المسلمين لتنظيم هذه المدارس ووضع برامجها ومراقبة حسن سيرها فيما أنشئت له وتكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ حمد بن إبراهيم آل الشيخ على أن تختار المدرسات من أهل المملكة وغيرهن من اللواتي تتحقق فيهن حسن العقيدة وصدق الإيمان، ويضم في هذه المدارس ما سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة وتكون جميعها مرتبطة في التوجيه والتنظيم إلى هذه اللجنة تحت إشراف سماحته مع العلم أن التشكيل يتطلب الوقت الكافي لتهيئة وسائل التأسيس ونأمل أن يكون ذلك في وقت قريب، والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله". (مصلح، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٦٨).

وقد مثل هذا القرار نقطة تحول أتاحت الفرصة للمرأة في نيل حقها الذي حرمت منه، ثم أنشئت الرئاسة العامة لتعليم البنات بعد صدور هذا القرار. (فصول، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م، ص ٦).

وبعد إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات؛ أصبح تعليم البنات في المملكة العربية السعودية يشمل المراحل الثلاث: الابتدائية والمتوسطة والثانوية والتي تسير وفقاً للسلم التعليمي لمدارس البنين، عدا المنهج الخاص بالتدبير والفنون المنزلية.

وقد سار تعليم البنات في المملكة العربية السعودية متوجهاً بالسياسة العامة للدولة، ومتوافقاً مع القيم والعادات والتقاليد ضمن إطار الإسلام.

وفي عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م صدرت وثيقة تترجم السياسة التعليمية للدولة، والتي تستهدف الإنسان بشكل كامل ومتوازن. واشتملت السياسة على جزء خاص بتعليم البنات؛ جاء فيه ما نصه:

" ١٤٢: يستهدف تعليم الفتاة تربيتها تربية إسلامية صحيحة لتقوم بمهمتها في الحياة لتكون ربة بيت ناجحة وزوجة مثالية وأما صالحة، لإعدادها للقيام بما يناسب فطرتها كالتدريس والتمريض والتطبيب.

١٤٣: تهتم الدولة بتعليم البنات وتوفير الإمكانات اللازمة ما أمكن لاستيعاب جميع من يصل منهن إلى سن التعليم، وإتاحة الفرصة لهن في أنواع التعليم الملائمة لطبيعة المرأة والوفاء بحاجة البلاد.

١٤٤: يمنع الاختلاط بين البنين والبنات في جميع مراحل التعليم إلا في دور الحضانة ورياض الأطفال.

١٤٥: يتم هذا النوع من التعليم في جو من الحشمة والوقار والعفة، ويكون في كلفيته وأنواعه متفقاً مع أحكام الإسلام".

وقد اهتمت الدولة بتعليم البنات والتزمت بتوفير الضمانات الكفيلة كافة بإنجاحه واعتبرته حقاً لكل فتاة وصلت إلى سن التعليم ابتداءً من رياض الأطفال وانتهاءً بالتعليم العالي. (أبو حسين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٣٠١)، حيث نجد أن جامعات المملكة تضم أقساماً خاصة بالطالبات تسمح للملتحقات بالانتظام أو الانتساب بها بحسب ظروفهن، كما أنشأت كليات البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات لتسهم بدورها في إعداد الكفاءات اللازمة لخدمة العلم وأهله.

وكانت أول كلية للبنات قد أنشئت عام ١٣٩٠ - ١٣٩١ هـ / ١٩٧٠ - ١٩٧١ م، وذلك بعد عشر سنوات فقط على افتتاح أول مدرسة حكومية للبنات. " (مصلح، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٥٢٧)

وقد تفرد تعليم البنات في المملكة العربية السعودية بالسرعة التي استكمل بها
مراحله وأنواعه بدءاً من رياض الأطفال وانتهاءً بالتعليم العالي، إلى جانب العناية بمحو
الأمية، وتعليم المعوقات، والتعليم المهني.

* * *

المبحث الثامن

واقع تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر

لم يؤت الإسلام في تاريخه الحديث من ثغرة أشد خطراً من وضع المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي. فقد منح الإسلام المرأة حقوقاً ومكانة تتوافق مع فطرتها، ومن ذلك حقها في التعليم، الذي اعتبره الإسلام فريضة عليها كما هو على الرجل، واعتمد حسن توظيفه وسيلة من أجل إعمار الكون وتحقيق الخلافة.

لكن عصور الركود والتخلف والتقليد؛ قد ألفت بظلالها على فهم المسلمين للخطاب الإسلامي وإدراكهم لأبعاده. ومن ثم فإنه بدلاً من إعطاء المرأة حقها في التعليم الذي حث عليه الإسلام؛ فقد آلت المجتمعات الإسلامية إلى حرمان المرأة منه، حيث حددت حاجتها للعلم بالقرآن الكريم وبعض مبادئ الدين. ومن ثم ظلت المرأة المسلمة ولقرون عدة؛ تعيش في ظلام الجهل، شاءت إرادة الله بعدها أن تمتد إليها الأيدي الغريبة والقريبة لتنتشلها من غياهبه مدفوعة بدوافع مختلفة.

والأيدي الغريبة تتمثل في الجهود التي قامت بها الدول المستعمرة، أما الأيدي القريبة فتتمثل في الحكومات الإسلامية التي استشعرت أهمية تعليم المرأة؛ فأفسحت لها المجال في المؤسسات التعليمية الخاصة بها أو المختلطة.

ويلاحظ أن الاستعمار لم يكن يشجع تعليم البنات في الدول الإسلامية المستعمرة، بل كان يقاومه مقاومة شديدة، ويعمل باستمرار على تخلف المرأة الذي يبقى على تخلف المجتمع كله.

وقد حدث هذا في السودان وفي غيرها من الدول الإسلامية، فقد جاء في التقرير السنوي لوزير المالية أثناء الحكم البريطاني للسودان؛ أن السبب في عدم تعليم البنات يعود إلى عدم توفر الأماكن الملائمة لإقامة المدارس. (سجارة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٢٣-٢٢٤).

وما شجعه الاستعمار؛ هو المدارس التنصيرية التي وقفت الدولة الإسلامية ضدها - أيام قوتها - في المناطق الواقعة تحت نفوذها، وذلك لما تحملها هذه المدارس من فكر غربي. (سجارة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٩٨).

ونجد الحداد يشير إلى أن هذه المدارس قد مثلت أكبر عقبة في طريق المرأة المسلمة؛ لأنها كانت تهيء الملتحقات بها لمواصلة تعليمهن في المدارس الفرنسية، وكانت تجعلهن يتعلقن بالجديد المستحدث وينبذن القديم دون أن تؤهلن بما يمكنهن من هضم الجديد ومعرفة أوجه صلاحه وفساده. فهذه المدارس لم تكن إلا صورة من صور التطور الشكلي الذي يوفر مطالب الجسد دون الروح والعقل. (الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ١٩٤ - ١٩٧).

وقد وجدنا الأهالي في كثير من البيئات يمتنعون عن إرسال بناتهم إلى أمثال هذه المدارس كما في الجزائر والسودان؛ حيث ظل الوضع التعليمي للمرأة فيها دون المستوى المطلوب حتى عام ١٩٧٠م. (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٣٥).

وعلى الرغم من اختلاف بدايات التعليم للإناث من بلد لآخر، إلا أن تعليم البنات في جميع الدول الإسلامية قد أخذ ينمو باضطراد منذ الخمسينيات الميلادية. (تقرير العائلة العربية...، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٠)، لكن وبصفة عامة؛ فإن الواقع التعليمي للمرأة المسلمة في العصر الحديث، يعكس أمرين اثنين: انعدام الأصالة، واقتصاره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية، وسنناقش هذين الأمرين فيما يلي.

أولاً: انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث:

انطلق تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث من منطلق غير إسلامي بعد مجيء الاستعمار، وقد كان لأراء كثير من الرواد دور في ذلك، حيث نادوا باحتذاء النهج الغربي في تعليم المرأة، فكانت النتائج متمثلة في الواقع المتردي الذي يعيشه المجتمع المسلم اليوم برجاله ونسائه.

ومن أبرز المؤشرات الدالة على فقدان الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر ما يلي:

١ - افتقاد المناهج التي تقدم للرؤية الإسلامية، حيث نجدها نسخاً غير مطورة للمناهج الغربية بمفاهيمها وقيمها؛ بمعنى أن الطابع الإسلامي لا يصبغ جميع المواد والعلوم التي تقدمها المناهج الدراسية؛ فالمقررات الإسلامية تخصص في تدريس المواد المتعلقة بعلوم الشريعة والفقه ولا تمتد لتصبغ العلوم الطبيعية والاجتماعية، وهذا ما جعل نفراً من الباحثين يشعرون بأهمية أسلمة التربية ومن بينهم العلواني الذي يقول ما نصه:

"إن المواد والمناهج التي تدرس في جامعات العالم الإسلامي هي نسخ غير مطورة عن المواد والمفاهيم الغربية، وهي تفتقد الرؤية الصحيحة للعالم الإسلامي الذي لا ينفع له كل مستورد، ومن ثم فهي أداة تعليم قاصر أو ضار، يبعد الطلبة عن جذورهم وحضارتهم ويفقد هويتهم، ويسهم في تكريس التخلف. والكارثة الكبرى تتمثل في افتقاد غالبية الأساتذة للمنظور الإسلامي إن لم يكونوا أعداء له".

ويضيف قائلاً:

".... ولا توجد حتى الآن مؤسسة أكاديمية في العالم الإسلامي يدرس فيها الفكر الإسلامي والرؤية الإسلامية بشكل متكامل كما تدرس الأفكار والرؤية الغربية لطلبة الدراسات الثانوية في الغرب؛ أي بترابط وشمولية وجدية والتزام من قبل الجميع^(١). (العلواني، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ٨٤-٨٥)

٢- اعتبار مادة "الدين" من المواد الهامشية في بعض البيئات الإسلامية^(٢).

٣- الاختلاط بين الذكور والإناث في المؤسسات التعليمية في غالبية الدول الإسلامية.

وقد أشار الأستاذ محمد قطب إلى أن هذا الأمر قد تطور من جعل بعض المعلمين من الرجال في البداية حتى وصل إلى أن أصبحت المدارس مختلطة تضم الذكور والإناث معا (محمد قطب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م، ص ٥٠).

إن انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة المعاصرة قد أفقد المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي القدرة على إخراج المرأة المسلمة التي تترجم المبادئ التي تؤمن بها إلى سلوك تطبيقي في واقع الحياة. وهي - المؤسسات - بما تقدمه من تعليم موحد للذكور والإناث مما لا يتلاءم مع مسئولية المرأة ورسالتها ولا يتناسب مع تكوينها النفسي

(١) أشار الصواف إلى أنه في ثانوية "الأعظمية" للبنات في العراق، كانت هناك كثير من المخالفات للشرعية الإسلامية من سفور وتبرج، وأن المناهج كانت تخلو من أي أثر أو توجيه إسلامي، مما جعل المتعلقات يجهلن أبسط الأحكام الشرعية. وقد تأكد له ذلك من خلال استجابتهم السريعة لما كان يلقيه عليهن من محاضرات. (الصواف، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٢٢-١٢٣).

(٢) لم تكن مادة "الدين" من المواد الرئيسية في مصر في السابق حيث إن الطالب كان يمكنه أن ينتقل إلى صف أعلى مع رسوبه فيها حتى عين د. حلمي مراد وزيرا للتعليم، فأصدر قرارا يقضي بجعلها مادة نجاح ورسوب. "حسين في الشعب، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١١٣٦).

والاجتماعي والحيوي، قد أبعدتها عن إدراك الهدف الحقيقي لوجودها، فلم يعد أمامها هدف محدد تسعى إليه، مما أسهم كثيرا في تخلفها، ومن ثم تخلف باقي أفراد المجتمع المسلم باعتبارها المربية الأولى^(١).

ويورد (ستودارد) وصفا لحال المرأة المسلمة التي تخرجت من التعليم المتغرب فيقول ما نصه:

"إن انتشار التعليم الغربي في الأفطار الشرقية خلال بضعة العقود الأخيرة ليدعو للاعتبار لأنه قد نقض ما هو معهود في الشرق منذ القديم من نظم التهذيب والتعليم، فقد كانت أصول فن التعليم جارية على سنن التقليد في جميع الشرق من مراكش حتى الصين لا تخرج عن حد تحفيظ الكتب الدينية والأسفار المقدسة تحفيظا مقرونا بتعليم فروض الدين وممارسة شعائره..."

ثم يشير إلى أن تعليم الإناث قد انتشر انتشارا كبيرا ولكن على نحو أضيق من تعليم الذكور، حتى ظهر في الحواضر الأكثر تمدنا مثل القسطنطينية (اسطنبول) والقاهرة ومدن الهند: "طراز جديد من النساء العصريات، المهذبات، الراقيات، ولاسيما من معلمات المدارس اللاتي نزلن منزلة رفيعة في المجتمع الذي أخذن يعملن فيه"^(٢) (ستودارد، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م، ص ٢٣٤، ص ٢٣٨)

ثانيا: اقتصره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية:

على الرغم من حرص الإسلام في إعداد المرأة المسلمة على تهذيبها وتعليمها

(١) في دراسة أجريت ببلبنان وجد أن ثقافة البنات المنقطعات عن التحصيل هي في مستوى الحس الشعبي المشترك، حيث لم يؤهلن تعليمهن للتحرر من التقاليد والأساطير، إلى جانب أن استهلاكهن الثقافي محصور بصفة عامة في الاستماع للإذاعة، ثم مشاهدة التلفاز، وبدرجة أقل قراءة الصحف السياسية، مع ارتفاع في قراءة المجالات الغرامية والجنسية وشبه انعدام في مطالعة الكتب حتى ولو كانت روايات بوليسية. (خليل، ١٠٤٩هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٣٤-١٣٥).

(٢) من الأمور المؤسفة أن هذا الرقي - البعيد عن الأصالة - قد أفرز أنطا من النساء تفرغت فلم تكتف بتجاوز حدها في الغفلة عن الالتزام والتمسك بالفطرة بل راحت تجاهر بالعداء لدينها وتقاليد قومها. وكل ذلك بسبب غياب التعليم الديني عن الواقع التعليمي للمرأة المسلمة المعاصرة والذي أدى في مصر وغيرها إلى ظهور تنظيم "عبدة الشيطان" من الجنسين (المسلمون، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م، ع ٦٢٧)، وأدى في تركيا إلى قيام بعض النساء بمظاهرات ضد خطط الحكومة الهادفة إلى تشجيع المجتمع التركي على العودة إلى بعض العادات والتقاليد الإسلامية. (الحياة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م، ع ١٢٤٠٧).

وتوفير الضمانات كافة التي تساعد على التفرغ لمسئوليتها الأولى في إعداد الإنسان المؤهل لعمارة الكون، إلا أنه مع ذلك لم يمنعها من العمل؛ بل أباحه لها بشرط أن لا يزاحم واجباتها الأساسية.

لكن الملاحظ على التعليم الحديث للمرأة المسلمة المعاصرة أنه يجعل الهدف الأول من تعليمها؛ إعدادها لسوق العمل، متوجها في ذلك بالنظرة الغربية الموجهة لنظم التعليم في الدول الغربية (الرميحي في ندوة المرأة ودورها...، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٣٥)

ونجد أن خروج المرأة الغربية للعمل قد يكون فيه تحرير لها من أعباء المنزل، لكنه قد تسبب لها في كثير من المعاناة النفسية الناجمة عن عدم الإحساس بالاطمئنان والاستقرار الذي يمنحها إياه قيامها بمسئولياتها الأساسية داخل المنزل.

ويلخص بارسونز (Parsons) هذه المعاناة للمرأة الأمريكية بقوله:

"إن المرأة الأمريكية حين وجدت نفسها تعيش في خضم المجتمع الاستهلاكي المتفوق في الميكنة والتقنية، شعرت بالتححرر من أعباء الأشغال المنزلية التي كانت تتحملها جدتها من قبل، وإن كان ذلك أدى إلى شعورها بالفراغ القاتل، ومن ثم الجري وراء الأشياء التافهة، ومن ثم بدأت تعاني القلق والتوتر والأرق وعدم الشعور بالاطمئنان النفسى، ومن ثم أصبحت تتردد على عيادات التحليل النفساني." تلك التي صادفت بصناعتها روجا كبيرا... " (تعقيب حكمت أبو زيد على نشابه في ندوة المرأة ودورها...، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٥٦)

وعلى نفس المنوال نجد المرأة المسلمة المعاصرة التي أعدها العلم لسوق العمل في كثير من البيئات الإسلامية، دون مراعاة للضوابط الشرعية التي حددها الإسلام؛ فلأن خروجها لم يكن وليد تطور اجتماعي استوجبته تغيرات المجتمع، بل وليد تقليدها للآخرين؛ لذلك فقد وجدنا سوق العمل لا يوفر لها التنظيمات التي تراعى مسئوليتها الأساسية، ولا الإمكانيات التي تتيح لها الاستفادة من طاقاتها في الارتقاء بوضع المجتمع، ولا القوانين واللوائح التي تيسر لها الجمع بين مسئولياتها المختلفة في ظل الضوابط الشرعية.

وقد تحملت المرأة المسلمة المعاصرة كل ذلك، فكانت النتيجة أن عليها أن تدفع الثمن في الحالتين؛ فإن عملت كانت النتيجة إرهاقا نفسيا ينعكس أثره على أسرته، وإن لم تعمل كانت النتيجة انعزالا عن واقع الحياة الاجتماعية.

وهناك كثير من الدراسات التي تؤكد على الآثار السلبية الناجمة عن خروج المرأة المسلمة المعاصرة إلى العمل دون ضوابط ومن بين هذه الآثار^(١):

١. أن الأم العاملة أصبحت أقل البشر فراغا حيث إن ساعات اليوم لا تكاد تكفي واجبات عملها ومنزلها.

٢. معاناة المرأة من الازدواجية بسبب توزيعها بين أعمالها داخل المنزل وخارجها وشعورها بعدم القدرة على التوفيق بينهما.

يقول غارودي:

"إن النساء اللواتي يعملن في أكثر من ميدان يعانين من التمزق الشديد حيث يواجهن صعوبات جمة من جراء قيامهن بواجبات الأمومة، وبالعمل خارج المنزل إلى جانب أعمال المنزل في وقت واحد، رغم أن وسائل الدعاية تحاول إقناعهن بأن الأدوات المنزلية الحديثة تحررهن من بعض أعمالهن. وهن يخدعن بخصوص نوعية الخدمات، ومدة الاستعمال، والأسعار." (غارودي وآخرون، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١١٣ - ١١٤).

وتشير نتائج بعض الدراسات إلى أن من بين الأزواج من يهتمون زوجاتهم بالعنف والعصبية الزائدة الناجمة عن التعب والإرهاق النفسي نتيجة الجمع بين المسؤوليات، وعدم القدرة على تلبية المطالب المادية والعاطفية للزوج. وإذا ما تمكنت المرأة من تحقيق شيء من التوازن؛ كان ذلك على حساب جهازها العصبي والنفسي، حيث تتعامل مع ما يفوق قدرتها وطاقتها البشرية، فتنعكس انفعالاتها على من حولها ويتعكر صفو الأسرة. (آدم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٦٠).

كما تشير الدراسات أيضا إلى ارتفاع حالات القلق والاكتئاب نتيجة لعمل المرأة؛ مما يضطرها إلى اللجوء إلى العيادات النفسية هي وأبنائها. (تقرير العائلة العربية وآثار التحولات، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٥)

٣. فتور المشاعر بين الزوجين: وذلك بسبب شعور المرأة بالندية والمساواة التي تجعلها تشعر بالاستغناء عن زوجها، إلى جانب أن الرجل لم يعد يشعر بالسعادة التي كان

(١) انظر في ذلك: آدم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٦٠، وعبد المعطي في مؤتمر المرأة والتنمية...، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٧٣٤، وتقرير العائلة العربية...، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٥، ويوسف أسعد، د.ت، ص ٥٠.

منبعها العطاء. فحدث هناك فقدان جزئي للقوامة المادية التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، إلى جانب أن دخل المرأة قد أصبح يتسبب في كثير من النزاعات بين الزوجين في ظل طغيان النزعة المادية على أفراد المجتمع في الوقت الحاضر.

٤. شعور المرأة بالاستقلال الاقتصادي وبأهميتها في المجتمع قد يكسبها اتجاهات سلبية تؤثر على أدائها لمسؤولياتها الأساسية، حيث قد يؤدي إلى مبالغة في تقدير الذات، يستتبعها قلة اهتمام بالآخرين من حولها ممن كلفها الله بواجبات تجاههم؛ مثل الزوج والأبناء والأقارب.

٥. عمل المرأة بين الرجال قد يكسبها بعض خصائصهم، فتبدو مسترجلة في سلوكها، وينعكس أثر ذلك على علاقتها بزوجها.

٦. حرمان الأطفال من الرعاية النفسية والعاطفية التي تعتبر الأم المصدر الرئيسي لها. يقول سيد قطب:

"وأعجب العجب أن انحراف التصورات الجاهلية ينتهي بناس من المعاصرين إلى أن يعتبروا نظام العمل للمرأة تقدما وتحررا وانطلاقا من الرجعية! وهو هو هذا النظام الملعون، الذي يضحي بالصحة النفسية لأغلى ذخيرة على وجه الأرض... الأطفال... رصيد المستقبل البشري... وفي مقابل ماذا؟ في مقابل زيادة في دخل الأسرة، أو في مقابل إعالة الأم، التي بلغ من جحود الجاهلية الغربية والشرقية المعاصرة، وفساد نظمها الاجتماعية والاقتصادية أن تنكل عن إعالة المرأة التي لاتنفق جهدها في العمل، بدل أن تنفقه في رعاية أعز رصيد إنساني وأغلى ذخيرة على وجه الأرض." (سيد قطب ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج ١، ص ٢٣٥)

وإلى جانب هذه الآثار؛ نجد المرأة المسلمة المعاصرة قد أصبحت مقلدة لنظيرتها الغربية في كل شيء، ومن ثم كان جريها وراء "الموضة" والاستهلاك، تاركة وراءها تراثا عميقا دون أن تفرق بين طيبه وخبيثه، أو بين ما يناسب حياتها الجديدة وما يعارضها، ومن ثم وجدناها تجري لاهثة وراء التقليدات الجديدة التي يعبر عنها بو علي ياسين بقوله: ".... نوع من الهيستريا أصاب فئة من النساء في تقليد الغرب الاستهلاكي (لا

الإنتاجي)، في تقليد نساء السينما والدعاية والمجلات (لا النساء العاملات العاديات)، تسبب أشد الضرر للمجتمع العربي الذي يضطر في إنتاجه وتجارته الخارجية وفي ثقافته أن يراعي رغبات نسائه." (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٤٢-١٤٣)

وقد دفعت المرأة المسلمة المعاصرة ضريبة فادحة ثمنًا لتطورها الحديث؛ وهي انحرافها عن طريقها الطبيعي ومهمتها الأساسية، تاركة إياها للخدمات أو الجددات، ولم تدرك أن الهدف الأساسي من إخراجها؛ ليس سداً للفراغ يشكو منه المجتمع، بل لتصبح هي أما مثقفة، ومواطنة صالحة، تحسن أداء مهمتها التي وجدت من أجلها، ولا تحصر جهودها في العمالة الرسمية.

وتؤكد حكمت أبو زيد على تحديد مهمة المرأة في عملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية، وأن الأمة تحتاج من أجل النهوض من تخلفها إلى "جيل صحيح الجسم معافي الذهن، متوقد الذكاء، متوازن الانفعالات".

وهي تنطلق من حقيقة التكامل بين النوعين في جميع الأدوار والمواقف، لكنها تقدم المرأة على الرجل في التصدي لمهمتين اثنتين وهما: عملية الاستمرار البيولوجي (الحيوي)، وعملية الاستمرار الاجتماعي.

فعملية الاستمرار البيولوجي توفر للأمة العدد اللازم من الأفراد للبناء وللذود عن الحرمات، وعملية الاستمرار الاجتماعي توفر الأفراد الذين يتميزون بالطموح والثقة بالنفس والقدرة على فعل المستحيل. (أبو زيد في تعقيبها على نشابة في ندوة المرأة ودورها... ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٤٥١).

وبمعنى آخر فإن المرأة تقدم على الرجل، ولها مسؤولية كبيرة فيما يتعلق ببقاء النوع ورفقه.

ومما يزيد من إغفال المرأة المسلمة لحقيقة دورها؛ أن القائمين على التربية الحديثة يركزون على خدمة القطاع الاقتصادي الحديث، ويجعلون له الأولوية على القطاع التقليدي، كما أن التربية الحديثة تجعل الأولوية للآلة على الإنسان، يضاف إلى ذلك أن التربية الحديثة - في العالم الثالث - قد أصبحت في الوقت الحاضر غير قادرة على مواكبة التطورات السريعة في الاقتصاد الحديث بعد ظهور عدد من المؤشرات السلبية؛ مثل بطالة المثقفين الظاهرة والمقنعة في الوقت الذي تفتقر فيه بعض النشاطات الاقتصادية

والاجتماعية إلى مهارات وتخصصات يقصر النظام التعليمي عن الوفاء بها، وبدا واضحا أن هذا التعليم بشكله الحالي " يقصر عن تخريج الإنسان الذي يقدر على مواكبة التطورات السريعة الحادثة والمرتبقة. " (غنام في التربية الجديدة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٧).

وقد أشار المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، إلى الآثار السلبية للتعليم الحديث - المقلد للغرب - في بعض المجتمعات الإسلامية التي طبقتها؛ حيث جاء ضمن توصياته ما يلي:

" وبالنسبة لتعليم البنات فإن المؤتمر يرى أن البلاد التي أقامت نظماً مختلطة للتعليم وعلمت المرأة على مناهج موضوعية في الأصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المرأة ووظيفتها الإنسانية والاجتماعية، قد بدأت نتائج تلك النظم تظهر في مجتمعاتها من فساد الناشئة وجنوحها إلى الإجرام والشذوذ مما يأباه الإسلام وتنفّر منه الفطرة السوية؛ لذلك يوصي بأن يكون تعليم البنات مستقلاً عن تعليم البنين ".

وانطلق المؤتمر من ذلك ليوصي بأهمية وضع نظام تعليمي خاص مبني على أسس علمية تراعي فطرة المرأة ووظيفتها، حيث جاء فيه ما نصه:

" يوصي المؤتمر بوضع نظام خاص مبني على أسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة في كل مراحل التعليم ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة وما يحتاج إليه المجتمع من خدمات نسوية ويحقق ما يهدف إليه الإسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمرأة والمحافظة على الأسرة والأخلاق الفاضلة ويعمل على مراعاة التخصصات الوظيفية الفطرية، في الوقت ذاته الذي يسعى فيه إلى نشر التعليم بين النساء على أوسع نطاق لأن طلب العلم فريضة على المسلمين كافة رجالاً ونساء". (توصيات المؤتمرات...، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٢-٢٣).

ونجد أن أخطر ملامح التقدم في عصرنا الحاضر؛ يتمثل في القدرة العلمية والتقنية التي تخطت مجال الطبيعة إلى الإنسان؛ فأصبحت تؤثر في ذاته جسداً وعقلاً ونفساً، وذلك من خلال الوسائل الحيوية والكيماوية والنفسية والاجتماعية. وهو امتداد طبيعي، بعد فترة طويلة من إهمال الإنسان لنفسه، حيث كرس وقته لاستكشاف الطبيعة واستغلالها، فكان تقدمه الرائع في المجال الطبيعي، مقارنة بتخلفه الهائل في استكشاف أسرار نفسه، وتنمية كفاءاته الخلقية، (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٧)، وهذا مجال

كبير من مجالات التغيير الذي نريده لتعليم المرأة المسلمة المعاصرة؛ بحيث تبدع ما يساعدها على الإحسان في أداء الأمانة التي كلفت بها والتي يعبر عنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، وذلك من خلال تنمية ذاتها بالعلم معرفة وخلقاً؛ بحيث يكون أداة تمكنها من الإسهام في تلمس مواطن الخلل في المجتمع، وتمدها بالوسائل التي تؤهلها للإسهام في تشخيصها وعلاجها.

وليس من الضروري ولا من المفيد أن نقلد غيرنا؛ لأن الزمن قصير والواجب عسير، فالأمر يقتضي منا تجنب أخطاء غيرنا، فمثلاً: من الخطأ على نساتنا اتباع الدول المتقدمة في أنماطها الاستهلاكية التي لم تصل إليها إلا بعد مراحل عديدة من الإنتاج والتصنيع، والأولى بنا توخي الاقتصاد والاعتدال والانضباط وغيرها من الصفات التي أصبح المهتمون ينادون بتربية إنسان الدول المتقدمة عليها. (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٩١).

ولابد أن يتطور إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يتماشى مع العصر؛ بحيث يعمل على تحقيق الأهداف التالية:

١- توفير التعليم المناسب الذي يحقق إلى جانب أهداف التربية الإسلامية العامة أمرين أساسيين:

أ- تمكينها من أداء مسئوليتها الأولى بإحسان.

ب- تمكينها من إتقان مهنة مناسبة تمارسها عند الحاجة.

٢- توجيه المرأة إلى أهمية استغلال وقتها كاملاً بحيث تكون عنصراً فعالاً مفيداً لنفسها ولغيرها بعيداً عن البطالة، وشغل أوقات الفراغ فيما لا يفيد من تسليات.

يقول الرسول ﷺ: " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم. " (الترمذي، د.ت، ج ٤، القيامة / ١، ص ٥٢٩)

ثالثاً: آثار التعليم الحديث على سلوك المرأة المسلمة المعاصرة:

إن الناظر في واقع حال المرأة المسلمة المعاصرة - خريجة التعليم الحديث المقلد للغرب

- يجد أن التعليم الحديث قد ترك بصماته عليها فلم يخرجها الإخراج اللائق بأمة الرسالة المحمدية الشاهدة على الناس؛ وإنما جعل منها إنسانا متغربا مشوها، بعيدا عن الصورة المثلى التي ينبغي أن تكون عليها. ومن أبرز آثار هذا التعليم على المرأة ما يلي:

١ - التبعية والتقليد:

إن تربية التبعية التي تلقته المرأة المسلمة المعاصرة قد ركزت على إيجاد الإنسان المتخلف غير المتمى لديها، وقضت على أية مبادرة استقلالية تربطها بشخصيتها الإسلامية؛ فالمناهج تحشو فكرها بالعلوم المادية التي تصور لها المدنية الحديثة بصورة المنقذ للبشرية، مما يزيد من إيمانها بالعلم، ويضعف إيمانها بالإسلام، وهي - المناهج - تدور في الإطار الأكاديمي الغربي منهجا ومرجعا ومصدرا وكتابا. (العلواني، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ٨٠).

ومما يزيد الأمر سوءا ما أشرنا إليه من افتقاد غالبية المعلمات - والعلمين - في هذه المؤسسات للمنظور الإسلامي إن لم يكونوا أعداء له، إلى جانب أن العلم الذي تدرسه مؤسساتنا - حتى الجامعية منها - لا يفتقد للرؤية الإسلامية فقط بل هو علم فاسد، انتهت مدة صلاحيته وتجاوزه الزمن.

لقد عجز التعليم الحديث عن أن ينمي لدى المرأة القدرة على إدراك الخصوصية التي تميز إسلامها، ولا الإحساس بخطأ الانكباب على الآخرين؛ ومن ثم وجدناها تندفع في تقليد المرأة الغربية ظاهرا وباطنا؛ في زياها وأفكارها، فراحت تطالب مثلها بالمساواة رغبة منها في إثبات جدارتها وقدرتها على أداء ما يؤديه الرجل من أعمال، وزادت فهجرت دينها، وقيمها وجاوزت الحد حيث راحت تهتدي بالصيحات الغربية؛ فتطالب بحقوق مصطنعة بدعوى أنها حرمت منها في ظل الإسلام^(١).

وقد تنبه بعض المفكرين المسلمين منذ البداية إلى إمكانية وصول المرأة المسلمة إلى الحال الذي نراها عليه اليوم، ومنهم الطاهر الحداد الذي نبه إلى أهمية وضع أصول كاملة للنهوض بالمرأة من التخلف الذي ترسب فيه، حيث إن ذلك هو السبيل إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي، وإلا انجرفت المرأة وراء تيار التطور الحديث على غير هدى، فجاء في مقولته ما نصه:

(١) انظر المبحث التاسع: حركة تحرير المرأة المسلمة.

"إن المرأة ذاهبة في تيار التطور الحديث بقوة لا تملك هي ولا نحن لها ردا. وهي تجري في ذلك على غير هدى أو كتاب منير، وذلك ما يزيد روح الفوضى رسوخا كل يوم. فلا بد من التعاون بوضع أصول كاملة للنهوض بالمرأة الذي هو نهوض للجميع، وبذلك نكون قد طهرنا الماء الصالح للحياة قبل أن يتحول إلى عفونة تهدمها وتبيدها." (الحداد ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ص ٩).

وهناك من المفكرين من توجه إلى المرأة في محاولة لترشيد سيرها، وفي مقدمتهم مصطفى صادق الرافعي الذي قال:

"إنه يجب على المرأة أن تحتفظ بثلاث خصال؛ الحياء الصادق، والعفة الصحيحة، والخضوع الجميل الذي هو مظهر الحب لمن يجب له الحب؛" فيجب عليها ألا تشغل نفسها بالتبرج والإسراف في اللهو والاختلاط. وعليها أن تترك تقليد المرأة الغربية لأن ذلك يجعلها غير صالحة لبناء المجتمع بل لهدمه. (فرج، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٢٣).

٢- الازدواجية المتنافرة بين الاعتقاد والسلوك:

وتبدو آثار هذه الازدواجية واضحة في حياة المرأة المسلمة المعاصرة خاصة في مظهرها الخارجي؛ حيث نجد أن كثيرا من المسلمات أصبحن لا يتميزن في هيئتهن الخارجية عن غيرهن على اختلاف انتماءاتهن العقائدية، فنجد الواحدة منهن تخرج من بيتها وهي تمسك بآخر خطوط الموضة التي تبرز جمالها الموهوب لها من الله، فلا تشكر خالقها عليه باتباع أوامره التي تحضها على ستر جمالها عن الأعين الفضولية، وإنما يغريها الشيطان ببذله لكل عين، فنجدها غير مدركة لحقيقة كونها مسلمة، تؤمن بالله ورسوله وكتابه، رغم ولادتها عن والدين مسلمين وفي بيئة مسلمة. وفرق كبير بين أن يولد الإنسان عن والدين مسلمين في بيئة مسلمة، وبين التفكير في حقيقة الإيمان بالله، وما يترتب على ذلك من التزام يجعله واقعا حيا في سلوك الإنسان.

وأهم أسباب هذه الازدواجية في واقع حياة المرأة تتمثل في الازدواجية في القيم التي تتلقاها المرأة، حيث إنها تتلقى في المدرسة من القيم ما يخالف القدوة التي تقدمها وسائل

التربية الأخرى، مما يغرس في نفسها أن ما تتلقاه من قيم في المدرسة؛ لا محل لها في الواقع، ومن ثم تندفع في الاقتداء بنماذج القدوة التي تقدمها وسائل التربية الأخرى، لتعيش في جو موبوء، مليء بالغيبة والنميمة والكذب والنفاق والرياء والمباهاة، وغير ذلك من ألوان السلوك التي تهبط بها عن المستوى التكريمي اللائق بها.

وقد أسهم الغرب بدوره في ذلك من خلال تصديره لمفاهيمه وقيمه المتحللة إلينا عن قصد وسابق تصميم. ويشير إلى ذلك سرور المنصرين لما يرونه من فساد أخلاق أبناء المسلمين. وفي ذلك يقول أحدهم: "... ويلوح لي أن هوليوود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية." (مجدوب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣، ص ٧٧).

أما السبب في ذلك فيرجع إلى اعتقاد الغربيين بأن القيم الإسلامية قيم بالية، لم تعد تتماشى مع العصر. وذلك ما يوضحه هوفمان بقوله:

"ومن البديهي بعد ذلك أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة، والذي يفرض نفسه بديلاً قادمًا من بيئة مخالفة؛ في مواجهة حقيقية تصدم الفلسفة العصرية الغربية، وجهلها بالقيم، وإباحيتها المطلقة لكل شيء، حسب التعبير الأمريكي "لا شيء ممنوع". هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد، الذي يراه البعض عنيفاً بالياً لا شيء سوى قيام صرحه واستمراره، غير مرتبط بعنصر الزمان، بمعنى صلاحيته لكل العصور." (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٠٦).

فالغرب يعمل جاهداً منذ زمن على فرض قيمه التي أثبتت فشلها في بيئتها، حيث أصبح الإنسان الغربي المعاصر يعيش مأزقاً حرجاً؛ تبدو مؤشرات في انتشار الأمراض الاجتماعية والأخلاقية. وقد أدرك عدد من علماء الغرب أن المخرج من هذا المأزق يتمثل في نظام جديد من القيم، ويضعون لهذا النظام مواصفات نجدها تنطبق على نظام القيم في الإسلام. ومن ذلك مثلاً قول ديفيد بوهم:

"... فنحن نحتاج إلى نظام قيم لا تتحكم به الرغبات والأهواء القاصرة، وينسجم مع قوانين الكون والحياة. وتحقيق ذلك يحتاج إلى مناهج معرفة قادرة على تقديم نظام

القيم المنشودة وتجسيد هذا النظام في مناهج تربوية شاملة صائبة. فالمعرفة والقيم عنصران متكاملان في عملية واحدة غير قابلة للتجزئة، وحينما يحاول أحد أن ينجز ما يعتبره معرفة متحررة من القيم فإن هذا يعني أنه يقبل القيم الجارية في المجتمع الذي يعيش فيه، أو يقبل القيم المتضمنة في خيالاته الذاتية دون تمحيص. " (بوهم عن الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ١٢٤)

والمجتمع الإسلامي يملك النظام القيمي الذي يكفل له التسامي والارتقاء في الدنيا والآخرة، لكنه تخلف لعدم تنزيله لقيم الإسلام على الواقع المعاش، بسبب الأثرة والأنانية التي غلفت حياة المسلمين.

وقد انسحب أثر ذلك على جميع المجالات؛ فأصبحت الازدواجية هي السمة الغالبة على سلوك المسلمين الذين لم تعد العقيدة توجه سلوكهم في واقع الحياة؛ إلا من رحم الله.

٣- فقدان التوازن في نمو القدرات والاستعدادات:

وذلك بسبب تماثل مناهج البنين مع البنات تماثلاً يلغي أية فروق بينهما في كثير من البيئات الإسلامية؛ فكان من نتائج ذلك أن وجدنا من بين المتعلّقات من قصر التعليم عن تحقيق النمو السليم لشخصياتهن، فبقيت "الجوانب الأنثوية لديهن في حالة قوة، ولم تتحول إلى حالة الفعل؛ لأنه لم تنتهياً لها أسباب النمو الكافية، وأحياناً قد يحدث لها نمو غير مرغوب فيه." (يوسف أسعد، د.ت، ص ١٣٥ - ١٣٦)

ومن أسباب فقدان التوازن أيضاً؛ التركيز على جزء من الناحية العقلية لدى المرأة والمتعلق بالذاكرة؛ وكأنها الوسيلة الوحيدة لبناء العقل - وتبدو آثار ذلك واضحة في تخصيص المعلمات - والمعلمين - كل بموضوع محدد؛ بحيث تصبح المعلمة غير قادرة على تكييف المواد وفقاً لحاجة التلميذات ومشكلاتهن.

٤- السطحية في التفكير:

أدى اهتمام التعليم الحالي بالدرجات والحصول على الشهادة، وإهماله لكثير من القدرات؛ إلى عدم اهتمام المتعلّقات بالحصول على معرفة حقيقية؛ لأن مجرد استظهار

المعلومات ثم تسطيرها في أوراق الامتحان يكفي للنجاح؛ ثم تنسى تلك المعلومات.

فكان من نتائج ذلك أن تغلبت على شخصية المرأة المسلمة المعاصرة؛ السطحية في التفكير، والتي انتقلت من مجال الدراسة إلى واقع حياتها؛ فشملت أهدافها وفهمها للحياة وسلوكها وعبادتها أيضا، وهذا من الأسباب التي جعلتها تتصف بالازدواجية التي أشرنا إليها سابقا.

والسطحية في التفكير تؤثر على العبادات فينتفي أثرها الحقيقي على السلوك، وتؤثر على القيم فتفقدها حقيقتها، وتؤثر على الشخصية أيضا؛ فتجعلها سريعة التقبل للأفكار الأخرى دون تمحيص ما إذا كانت صائبة أو مغلوطة أو منحرفة؛ ولذلك وجدنا المرأة تنخدع بسهولة بفعل الإعلانات والدعايات الكاذبة.

* * *

الفصل الثالث

الأصول الاجتماعية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة

المبحث التاسع

التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة

إلى جانب تفرد المرأة في المعادلة الاجتماعية بكونها حاملة لبذور المستقبل، فإنه ينبغي في تربيتها الاهتمام بإمدادها بالثقافة اللازمة التي تنمي قدراتها العقلية لتكون مؤهلة لأداء رسالتها على أكمل وجه.

وسوف نتناول فيما يلي ماهية الثقافة الواجب تقديمها للمرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً : مفهوم الثقافة.

ثانياً: العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة.

ثالثاً: وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة.

رابعاً: موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة.

خامساً: موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة الضوء عليها.

أولاً : مفهوم الثقافة :

شاع استخدام لفظ ثقافة في عصرنا الحاضر، وهو لفظ ما يزال يكتنفه الغموض حيث لم يوضع له حتى الآن تعريف واضح محدد.

فإذا ما نظرنا إلى المعاجم اللغوية؛ وجدنا أن كلمة ثقافة هي من ثقف أي هذب وحذق، وعلى ذلك فإن الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها، وإنسان ثقف؛ أي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (ابن منظور، د. ت، ج ١، ص ٣٦٤).

ويفرق الأستاذ عمر الأشقر بين اللفظ المفرد لكلمة "ثقافة" واللفظ المركب "ثقافة الأمة" حيث يرى بأن كلمة "ثقافة" تعني "الأخذ من كل علم بطرف وليس التعمق في دراسة أي علم من العلوم." (الأشقر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١٧).

أما ثقافة الأمة فهي " تراثها الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة. وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخل مترابط يشكل إطارا ومحيطا يحكم الأفراد والأسر والمجتمع في كل أمة ". (الأشقر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١٧-١٨).

ويلاحظ أن هناك علاقة بين معنى كلمة " ثقافة " عند الأشقر، ومعناها المستمد من المعاجم اللغوية.

أما العلواني؛ فيعرف الثقافة على أنها " مجموعة المعارف التي تشكل الشخصية ". (العلواني، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٤٩).

ويعرفها بنسعيد على أنها " مجموع أنماط السلوك المحدد للروابط بين الناس، وهي توفر لهم تصوراتهم عن العالم من حولهم، والحكم عليه، وهي تشمل المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والتقاليد. " (بنسعيد في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٨٩١).

وفي تعريفه للنموذج الثقافي؛ يعرف محمد عمارة مصطلح " الثقافي " على أنه " جماع ما يعمر النفس الإنسانية ويصونها ويهذبها من سائر ألوان الإبداع والعطاء؛ إبداع الإنسان وعطاء المحيط. ويتنقل من ذلك إلى تعريف الثقافة على أنها عمران النفس الإنسانية، إذ فيها تتجلى الخصوصيات بين الأمم والحضارات لاستقصاء النفس. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ع ١٢٢٢٤).

ويستعرض نصر عارف في أثناء حديثه عن " الحضارة والثقافة والمدنية " معاني كلمة " ثقافة " لدى الآخرين، ثم ينتهي إلى القول بأن الثقافة في أصلها العربي تعني مجموعة من الدلالات يحملها فيما يلي:

١- " تنقية الفطرة البشرية وتشذيبها وتقويم اعوجاجها ثم دفعها لتوليد المعاني الجوانية الكامنة فيها وإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاجها الإنسان ".

٢- البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل وغيرها من القيم التي تصلح الوجود الإنساني، وهذا مفهوم يفتح الباب أمام العقل لكل المعارف النافعة.

٣- أنه يركز في المعرفة على ما يحتاجه الإنسان وفقا للبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه،

فالإنسان المثقف؛ يكون مرتبطا بمجتمعه وقضاياه بغض النظر عن كم المعارف لديه، ودوره هو دور المصلح.

ويرى عارف بأن أخذ الثقافة بمعنى المعارف والعادات والقيم.... إلخ قد يؤدي إلى ظهور أنماط من المثقفين يكون الواحد منهم إما تابعا لنمط حضاري آخر يخرب مجتمعه من أجل تطبيق ما يؤمن به ويعتقد أنه الحقيقة المطلقة دون فهم لظروف مجتمعه وما يصلحه، أو مثقفا ليس إلا وعاء لأكداس من المعارف والمعلومات المتضاربة.

٤- أنها عملية متجددة باستمرار؛ بمعنى ".... تكرار التهذيب ومراجعة الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها".

٥- أنه مفهوم لا يحمل في ذاته أحكاما قيمية، فالثقافة تتبع قيم مجتمعاتها وظروفها.

٦- أنه مفهوم عام للإنسان والجماعة والمجتمع، يشتمل على جميع أنواع الممارسات الإنسانية بمختلف درجاتها، ويعطي دلالاته على أي مستوى تحليلي يستخدم فيه، طالما تحقق مطلق التهذيب والتقويم. (عارف، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٣٠-٣٣).

ونأتي أخيرا إلى تعريف عمر عبيد حسنة والذي يرى بأن الثقافة هي الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان، وحسن تأهيله وتربيته، واكتسابه مجموعة معارف تسهم في تشكيل شخصيته، وتكوين نظراته السوية إلى الكون والحياة، وتحديد هدفه وتكوين نسيجه العام، أي أن موضوعها الإنسان نفسه (عالم الأفكار) والإبداع في مجال المعنويات. (حسنة في النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٧).

ونحن في هذا البحث سوف نأخذ بهذا التعريف لحسنه، مع وضع تعريف نصر عارف بعين الاعتبار، فنحدد معنى الثقافة المطلوبة للمرأة المسلمة المعاصرة في أنها تعني:

" مجموعة المعارف التي تسهم في تشكيل شخصية المرأة المسلمة المعاصرة، وتحديد أهدافها وتكوين نظرتها السوية للكون والحياة بما يعينها على معايشة العصر الذي تعيش فيه ضمن الإطار الذي ارتضاه لها الإسلام".

ثانيا: العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة:

يرى عفيفي، بأن الثقافة تكتسب من خلال التعلم والتدريب والممارسة في دوائر الحياة الاجتماعية منذ الولادة؛ بمعنى أنها تكتسب من خلال التربية، وفي الوقت نفسه

فإنها تمثل مصدرا أساسيا للتربية، حيث تستمد منها تصوراتها ومقاييسها. (محمد عفيفي، د.ت، ص ٣٧، ص ٦٧).

ويؤكد مرسى على أهمية نقل الثقافة إلى الناشئة من خلال التربية ضمانا لتحقيق نضجهم الكامل، وهو هنا يؤكد على التربية المقصودة، ويحذر من ترك الأمر للتلقائية؛ لأن ذلك لا يضمن اكتساب النشء للثقافة المرجوة، خاصة في ظل المتغيرات الكثيرة في الوقت الحاضر الذي أصبح فيه العلم وتطبيقاته يمثلان أداة كبيرة من أدوات التغيير. (مرسى، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٢٩-١٣٠).

مما سبق ندرك أن التربية السليمة للمرأة المسلمة المعاصرة لا تتم بعزلها عن الثقافات الأخرى؛ لأن ذلك أصبح أمرا غير ممكن بعد أن أصبحت ثقافات الأمم الأخرى تأتي إلينا في عقر دورنا بفضل ثورة الاتصالات الحالية، وإنما يحتاج الأمر أولا إلى تعميق قيم الأصالة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، ثم إفساح المجال أمامها للتفاعل مع الثقافات الأخرى على بصيرة. فالتربية لا بد أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية استثمار الجيد من ثقافات الآخرين، وترك الغث منه، وأن تعينها على امتلاك القدرة على مواجهة التحديات من خلال تهيئة الوسائل والظروف المناسبة لبناء شخصيتها بحيث تكون واعية وقادرة على تجاوز الواقع والإسهام في تغييره.

ويحدد طایل عددا من القيم العليا التي يرى بأنها لا بد وأن تمثل العمود الفقري للثقافة وهي:

١- الإيمان.

٢- العلم: والأصل فيه أن يكون نافعا ما لم يحرم حلالا ولم يحل حراما.

٣- العمل: وهو وسيلة إعمار الأرض، ويشكل مع العلم والإيمان ثلاثة ينبغي أن تكون مرتبطة مع بعضها، وهو وسيلة لطلب الرزق وشكر الله وامتنال أوامره، فهو عبادة، "..... ونظام التعليم يجب أن يقوم - إلى جانب تلقين المعلومات، وغرس القيم - بتنمية المهارات واكتشاف المواهب والقدرات، وترقيتها، فلا يخرج فرد من أية مرحلة من مراحل التعليم إلا وهو مؤهل لعمل ما يتناسب وإمكاناته الذهنية والجسمانية".

وبالنسبة للمرأة فإن إعدادها للعمل يكون بإعدادها لأداء مسئوليتها الأولى أولا، ثم تنمية مهاراتها بحيث تتمكن من العمل المناسب الذي لا يتعارض مع مسئوليتها الأولى،

ويقينها ذل الحاجة عند الضرورة.

٤- تكريم الإنسان: وتكريم المرأة لا يسمح بالارتداد عن الدين، ولا بالزواج من غير المسلم، ولا بالإجهاض أو الشذوذ الجنسي، ولا بالسفور والابتذال فهذه قيم غربية مستوردة من خلال الإعلام والتعليم.

٥- وحدة الأمة الإسلامية.

٦- العدل: ومعياره تطبيق شرع الله ومنهاجه في كل شئون الحياة، ومع الجميع.

٧- الشورى.

(طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠٩-١١٤).

فهذه هي القيم الأساسية التي يحددها طایل والتي يرى بأنه ينبغي صيانتها، وذلك في رأيه إنما يتم من خلال ثلاثة أمور:

١- التكافل الاجتماعي: بشقيه المادي والمعنوي. فالمادي يتمثل في الزكاة والصدقة والنفقة. والمعنوي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- الدعوة الإسلامية: بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك من خلال بث القيم الإسلامية وليس إعادة تصدير القيم الغربية إلى الغربيين وغيرهم، فوسائط الثقافة لا بد وأن تهتم بعلوم الشرع، وتعرف متغيرات العصر ومزاج الشعوب.

٣- الجهاد في سبيل الله: وهو أمر مفروض على الأمة الإسلامية لامناص لها منه، "..... فالجرب الثقافية العالمية التي تدور رحاها الآن لن تهدأ حتى يحكم الله بين المتحاربين فيها، فيكون النصر للحق. وهي حرب - كما نشاهد - تنتهك فيها الأعراض والحرمان، وتسلب الثروة، وتتخطف الذرية، وتقاتل فيها حاملات الطائرات العملاقة أفراد الناس..... إلخ" (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٤-١١٥).

ثالثاً: وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة:

تعددت اليوم الوسائط الثقافية بفضل الله ثم بفضل التقدم التقني والاجتماعي المعاصرين، وغدا لها من العمق والنفوذ وسرعة الانتشار ما يجعلها أقوى أثراً من التربية التقليدية.

وقد ذكر الرحال أن من أبرز وسائط الثقافة في العصر الحالي: مناهج التربية والتعليم

منذ مرحلة ما قبل الابتدائي وانتهاء بالتعليم العالي، والصحافة بكل لغاتها وتوجهاتها السياسية والثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية سواء المحلية أو المستوردة، والرأسي بكل قنواته، والإذاعة بمختلف موجاتها، والأشرطة (كاسيت وفيديو)، والسينما والمسرح، والمتاحف، والمعارض للفن والثقافة والمنتجات وغيرها، والكتب بجميع توجهاتها، والأحزاب المعلنة وغير المعلنة، والجمعيات رجالية ونسائية، دينية وعلمانية، والمكتبات ودور النشر والطباعة، والأندية المختلفة، والحدائق العامة.

فكل من هذه النوافذ يمكن توظيفها من أجل الإصلاح أو الإفساد، أو المزج بينهما. (الرحال، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٠١-٢٠٣).

فهذه الوسائط هي لتثقيف كل من الرجل والمرأة على حد سواء؛ لذلك فإننا نؤكد هنا على أهمية أن تعمل هذه الوسائط ضمن الإطار الأخلاقي للسلوك الإنساني الذي يترجم عن قيمة الإنسان باعتباره موجوداً متميزاً عن غيره من الموجودات في هذا الكون.

وهذا الكلام ينطبق على وسائط الثقافة بمختلف توجهاتها، لكن فيما يتعلق بتربية المرأة المسلمة المعاصرة، فإن الأمر يحتاج من وسائط الثقافة إلى التركيز على خصوصية المجتمع المسلم عند تناولها للقضايا المتعلقة بالمرأة من حيث الطرح والمعالجة؛ بحيث تعمل على إبراز دورها الحقيقي في المجتمع، وتوضح تناقضات المنطلقات في المجتمع الإسلامي في نظرتها إلى المرأة، وتوضح كذلك تداخلات العرف والشرع في تحديد هوية وحقوق ومسؤوليات كل من الرجل والمرأة، وكيف أن ذلك قد أوجد حالة من اللبس الدائم بين الحديث عن المثاليات المرغوب فيها، وتجاهل الأوضاع الحقيقية التي تعيشها المرأة المسلمة المعاصرة في مجتمع له جذوره التاريخية والاجتماعية. فمثلاً رأينا كيف أن تعليم المرأة قد واجه تخوفاً وتردداً في بعض المجتمعات الإسلامية، وكذلك الأمر بالنسبة لعمل المرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية، حيث إن نظرة العامة تحذر منه وتؤكد أنه غير ضروري، وأن في خروجها تفكيك للأسرة، في حين أن الأمر يتعلق بالظروف المحيطة بكل حالة.

وأهم ما ينبغي على وسائط الثقافة أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إليه، يتمثل في الفروض الواجبة عليها في هذا العصر المليء بالتحديات.

ونجد حوي يشير إلى أن هناك نوعين من الفروض الواجبة على كل مسلم وهما:

١- فرض الوقت: وهو ما يجب على المسلم بسبب ظرف طارئ افتراض الإسلام التعامل معه بنوع ما. مثلاً إنسان يغرق؛ ففرض الوقت إنقاذه. (حوى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٥٠-٥١).

ونجد هناك كثيراً من فرائض الوقت في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأسرة، والجوار، لابد أن توجه وسائط الثقافة المرأة المسلمة المعاصرة إليها لكي تنبها إليها وإلى أهمية أدائها، بحيث تنمي لديها الاتجاه نحو محاسبة النفس على التقصير فيها محاسبتها على التقصير في الفرائض الثابتة، والبداية الصحيحة تكون بتعليمها ما هي فروض الوقت في العصر الحاضر وكيفية أدائها.

٢- فرض العصر: من المعلوم أن فروض الكفاية هي عين في حق من تعين لها، فلا يستطيعها غيره. ونحن في عصر العلم والتقنية والمخترعات، فالشاركة في هذه المجالات أصبحت في العصر الحاضر فرضاً على المسلمين، في حين لم تكن كذلك في العصور السابقة، فهي مثال لفرض العصر. (حوى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٥١).

فينبغي على التربية أن توجه وسائط الثقافة لكي تعمل على تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بأوجه الصراع بين الحق والباطل، وكيفية مواجهته، والإسهام في الدفاع عن الحق. وكل ما تحتاجه المرأة المسلمة المعاصرة من معلومات ومهارات واتجاهات في هذا الجانب فإنها تدخل ضمن فرض العصر.

وفيما يلي سوف نتحدث عن أبرز الوسائط التي ذكرناها سابقاً وكيف تسهم في تربية المرأة المسلمة المعاصرة، ودور التربية في ترشيد عملها.

١ - الكتب العامة:

يشير حسنة إلى الكم الهائل من الكتب التراثية والمعاصرة التي تملأ السوق والتي تجمع بين الغث والسمين. الأمر الذي يجعل من الصعب على النشء ذكورا وإناثاً أن يختار من بينها إلا إذا قامت التربية بمسئوليتها في توجيهه إلى الجيد منها وذلك من خلال عرض دوري انتقائي لمجموعة من الكتب التراثية والمعاصرة التي تسهم في تكوين ثقافة المسلم بحيث تكون ثقافة عصرية.

ويضيف حسنة بأن من الواجب على التربية أن تحرص أيضاً على انتقاء ما يترجم من كتب ومقالات، خاصة في ظل ما يحدث حالياً من ترجمات تعالج مشكلات المجتمعات

الأخرى التي يختلف واقعها عن واقع مجتمعاتنا. (حسنة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٤٨).

٢- الكتب الدراسية:

يلاحظ على غالبية المناهج الدراسية في المجتمع الإسلامي أنها مشتركة بين الذكور والإناث، فهي تتغاضى عن الفروق بينهما، وبذلك تربي المرأة بعيدا عن كيانها الأنثوي، إلى جانب أنها - وهذا هو الأهم - لا تعمل على تقديم فهم شامل للإسلام ولا للمنهج السليم لفهم الأحداث من خلاله. (الطايح في قضايا دولية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ٢١٤، ص ٣٠).

وهذا الأمر ينطبق حتى على مناهج المؤسسات الجامعية التي أسهمت في زيادة عدد المتعلقات فعلا، لكن ذلك لم يصاحبه تغيير في وعي المرأة بسبب ما أشرنا إليه سابقا من افتقارها للرؤية الإسلامية. بل إنه كثيرا ما تبطل بعض النظريات في مواطنها في حين نطل نحن غافلين عن ذلك، وندرسها لأبنائنا، خاصة في مجال علم النفس الذي يغفل فيه عن كثير من النظريات التي وضعها علماءنا الأوائل وانتفع بها علماء الغرب، وتركت عليهم طابعها المميز، لكن مؤلفي الكتب لدينا ليس لديهم علم بذلك؛ لأنهم استراحوا إلى الترجمة باعتبار الغرب هو مصدر العلم الصحيح. (مجذوب، د.ت، ص ٢١٦).

والواجب عند إعداد المناهج الدراسية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ أن يتم أولا تحديد المعلومات الأساسية والمهارات والاتجاهات الواجب تقديمها للمرأة منذ بداية السلم التعليمي وحتى نهايته، ثم تختار أفضل الأساليب لتدريبها بما يمكنها من الحصول على المعرفة ذاتيا وبمجهوداتها الخاصة مع مراعاة أهمية التطبيق العملي للمعرفة المتحصلة، وبذلك تسهم المؤسسات التربوية إلى حد بعيد في إعداد المرأة المسلمة للعصر الذي تعيش فيه.

٣- الأسرة:

مازالت الأسرة المسلمة تمثل أداة مهمة في نقل الثقافة للنشء؛ خاصة فيما يتعلق بالقيم والأعراف والتقاليد. لكن مما يؤسف له أن هذا النقل يتم أحيانا دون مراعاة لمدى قرب الأعراف والتقاليد أو بعدها عن الإسلام.

ويؤيد ذلك عرابي حيث يشير إلى أن كثيرا من الأسر في مجتمعاتنا مازالت تعتبر الفتاة قاصرا مهما بلغت من العمر، وتربيتها على الخضوع التام للأعراف والتقاليد، ولا تشجعها

على المبادرة والإبداع؛ مما يحبط لديها أية رغبة في المبادرة. (عراي في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ع ١٣٦، ص ٦٣-٦٤).

وتؤيده أيضا أميمة الدهان التي ترى بأن من بين المسلمين من لا يعترف بالتغيير باعتباره قانونا كونيا شاملا، خاصة فيما يتعلق بالمرأة؛ حيث يجمد على عوائده وأعرافه وتقاليده المتعلقة بها. (الدهان في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢، ص ٤٩٢).

فينبغي على المؤسسات التربوية أن توجه أفراد المجتمع الإسلامي إلى أهمية قيام الأسرة بوظيفتها في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يعينها على إخراج نفسها من وضع العيشة والتقليد والتخلف، لتمكن من الإسهام في تغيير حال الأمة الإسلامية نحو الأفضل، مع التأكيد على أهمية توفير الرعاية الصحية للمرأة منذ الصغر بما يحقق أمنها النفسي، ويساعدها على إدراك مسئوليتها في تحقيق الخلافة وصولا إلى رضى الله سبحانه وتعالى.

٤- السينما والمسرح:

يلاحظ على السينما والمسرح تركيزهما على موضوعات معينة، تستخدم فيها المرأة من أجل الإغراء، وخاصة موضوعي الحب والجنس. فهما يهبطان بالمرأة عن المستوى التكريمي اللائق بها. والأمر يستدعي من التربية توجيه هاتين الأداتين إلى الموضوعات الأخرى المهمة في واقع الحياة إلى جانب ترشيد تناولهما للقضايا المثارة حاليا.

وأهم ما ينبغي على التربية أن تستفيد فيه من هاتين الأداتين؛ هو القدرة الكبيرة التي يمكن أن يسهما بها في العودة بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى شخصيتها الإسلامية المفقودة في صفائها، وإزالة ما علق بها من تشوهات، وبعث الروح فيها من أجل مقاومة التحديات، ومعايشة العصر الذي تعيش فيه.

٥- الصحافة:

في حديثه عن العقل المسلم المعاصر، يشير حسنة إلى أن العقل المسلم المعاصر ما يزال بعيدا عن تقدير قيمة التخصص، متوهما أن الإنسان قادر على ممارسة كل شيء. وأن هذا القول ينسحب فيما ينسحب فيه على مجال الصحافة التي نجدها مفتقدة لأهل الاختصاص، حيث يلاحظ أن خطابها ما يزال داخليا في معظمه، ولم يستطع الوصول بعد

إلى مرحلة الخطاب العام والعالمي. (حسنة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٤٢-٤٣).

وفيمما يتعلق بالمرأة بخاصة؛ نجد عواطف عبد الرحمن تشير إلى أن الصحافة لم تستطع الوصول إليها من أجل تصحيح المفاهيم والتقاليد الخاطئة التي تسير عليها بالأسلوب السليم. (عواطف عبد الرحمن في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٢، ص ٤١).

ومن ثم فإنه ينبغي على القائمين على شئون التربية أن يعملوا على توجيه الصحافة إلى أهمية تجاوز الموضوعات التقليدية خاصة ما يتعلق منها بالطبخ والتربية الأسرية الضيقة؛ إلى مجالات أرحب، تتعلق بتحريك الفكر والاهتمام بالقضايا العالمية، وتوعية كل من الرجل والمرأة بأهمية استيعاب كلمة "شقائق" التي تجعل من مبادئ الإسلام منطلقا للتعامل بينهما، بحيث ينظر للمرأة باعتبارها كائنا إنسانيا ذا عقل وروح وقلب وقدرة على الارتقاء بالجنس البشري، وليس استمرار نوعه فقط.

كذلك ينبغي أن توجيه الصحافة إلى أهمية الإسهام في تصويب ما يشوب وضع المرأة المسلمة المعاصرة وممارساتها من أخطاء، وتوضيح المكانة المتميزة والخصوصية التي تتعلق بوضع المرأة في المجتمع المسلم للرأي العالمي، وكيف أن اختلاف العقائد سبب في اختلاف أساليب الحياة، وذلك لأن الملاحظ على الصحافة الغربية - كما أشارت الكاتبة فوزية الزواوي والتي تعمل في معهد العالم العربي بباريس - أنها "تصور المرأة العربية على أنها مازالت في حالة عبودية، مسجونة بين أربعة جدران، لا تعمل ولا تحتك بالناس". (الزواوي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٢، ص ٤٨)

أيضا ينبغي على المؤسسات التربوية أن تسهم في إعانة الصحف والمجلات الإسلامية على التغلب على التحديات الكبيرة التي تواجهها، والتي تتمثل في الكم الهائل من الصحف والمجلات التي تحاول سلب فكرة المرأة المسلمة المعاصرة ودفعها باتجاه الغرب. وحيث إن هذه الصحف والمجلات تتفوق في طباعتها وإخراجها على الصحافة الإسلامية؛ فإن الأمر يتطلب من الأخيرة أن تبذل أقصى الجهود من أجل كسب إقبال وقناعة المرأة المسلمة المعاصرة بحيث تنبها إلى حقيقة كونها صاحبة رسالة، تتطلب منها ألا تحصر نفسها ضمن الأسرة والأولاد؛ رغم أهمية ذلك، بل تسهم في ارتقاء الأمة من خلال الأنشطة المختلفة التي لا تتعارض مع مسئوليتها الأولى.

وهنا نؤكد على أهمية الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتأمين قدرتها على تحقيق التوازن بين واجباتها المختلفة بحيث تقدم الأهم فالمهم.

٦- الأقمار الصناعية (الرائي بكل قنواته).

أصبح الإعلام المرئي يمثل أهم وسيط للثقافة في عالم اليوم بعد الثورة التقنية في مجال الأقمار الصناعية، بل ويذكر د. مصطفى حجازي إلى أن هناك إعداد لظهور التلفاز المبرمج والمرتبط بالأقمار الصناعية، وإنتاج مادة إعلامية مرتبطة بالكمبيوتر الذي يحتوي عليه التلفاز، وكل ذلك سوف يقدم مادة مرئية لا حد لها، مما سيجعل للإعلام المرئي دورا كبير في التربية لا يجب إغفال أهميته. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨١٢، ص ١٠).

ويشير حسنة إلى أن الإعلام اليوم قد أصبح علما له "مقوماته، ومعاهده، وشروطه، وتقنياته، ومتخصصوه، وفنا له مستلزماته، وأدواته"، كما أصبح ثمرة تشارك في إنضاجها جميع الحقول المعرفية، وتوظف لها أرقى الخبرات وترصد لها أكبر الميزانيات، وتغيرت وظيفته من مجرد التسلية والترويح؛ إلى توظيف ذلك في صناعة الأحداث وتشكيل العقول. (حسنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١ م، ص ٣٧).

ويكفي في الدلالة على القوة التي أصبح الإعلام يشكلها في التأثير على مراكز صنع القرار؛ ما أشارت إليه مادلين أولبرايت - وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة - عندما كانت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، والذي كرره الأمين العام السابق للمؤسسة بطرس غالي، بأن "مجلس الأمن يتكون من ستة عشر عضوا، خمسة عشر عضوا من الدول الدائمة أو المنتخبة من الجمعية العامة، وأن العضو السادس عشر هو محطة ال CNN الإخبارية الدولية. " (الرميحي في العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م، ع ٤٦٠، ص ٢٥).

وهناك ما يشير إلى أن تطور وسائل الاتصال سيتضاعف خلال السنوات السبع القادمة حوالي ٤٥ مرة، وهو أمر له نتائجه على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث سيعمل على تغيير كثير من الثوابت في عالم اليوم. (الرميحي في العربي، ١٤٧٩هـ/ ١٩٩٧ م، ع ٤٦٠، ص ٢٢).

وقد أصبح العالم اليوم يشهد حربا إعلامية بين دول تمتلك كافة الإمكانيات، ودول

لا تمتلك شيئاً، الأمر الذي يضع على عاتق التربية مهمة إدراك حقيقة ما تتميز به البرامج " الأخرى " من جذب وتشويق، والعمل على مواجهتها بشكل فاعل يسهم في ترسيخ قيمنا الإسلامية والمحافظة على هوية الأفراد في المجتمع المسلم وخاصة المرأة التي يتوجه إليها الإعلام بكل السبل الممكنة من أجل إلهائها عن حقيقة رسالتها في الحياة. وهذا ما تشير إليه نهى سمارة عند حديثها عن أجهزة الإعلام التي " تتوخى أكثر الطرق فاعلية في غسل دماغ الإنسان واستلابه وتغريبه، وبالتالي إلهائه عن موقعه ودوره في الحياة. والأجهزة الإعلامية المسموعة والمرئية كالتلفزيون والإذاعة هما الأكثر خطراً لأنها يخاطبان النساء الأميات أو شبه الأميات فيؤثران على صورتهم ورؤيتهن لذواتهن "، في حين تستمع النساء إلى كل ذلك وهن مغمضات الأعين. (سمارة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٩).

ومما يؤسف له؛ أن القائمين على الإعلام في العالم الإسلامي لم يعدوا للأمر عدته، وإنما اكتفوا بعد فتح القنوات الفضائية باستيراد ما يملأ ساعات البث الطويل، التي نجد أن ٨٠٪ منها مستورد، في حين أن ٢٠٪ منها فقط هو من النوع المحلي الذي يحاكي المستورد في معظمه. ومن ثم أصبح شأننا في الإعلام استهلاكي قد ينتهي بنا إلى " لون من الارتهان الثقافي والحضاري؛ لأن الإعلام إنما يسهم بتشكيل الإنسان، وتحضيره لقبول المعلومة التي يريد دون أن يدع له الفرصة لفحصها واختبارها، لقبولها أو ردها. " (حسنة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٨).

وقد أخذ القلق العالمي يزداد من جراء تدهور الأخلاق الذي يسهم فيه البث العالمي إلى حد كبير بما يقدمه من مشاهد عنيفة، ومواد غير أخلاقية تتعارض مع ديانات وقيم وأعراف كثير من بلدان العالم. وهذا ما دعاه ممثلي (٢١) دولة آسيوية إلى الاجتماع في طوكيو وفي مقدمتهم إلى جانب اليابان؛ الصين وكوريا الجنوبية وأستراليا وإندونيسيا، واتفقوا على مجموعة من القواعد العامة التي تستهدف محاربة برامج البث التلفزيوني العالمي المشار إليها، وقد أجمعوا على ضرورة احترام قنوات البث الفضائي لقيم وسياسات وثقافات الشعوب التي تستقبلها. (صلاح الدين في المدينة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٧٠٦).

ويعلق الكاتب على هذا الخبر بإبداء أسفه لما يقوم به بعض "الإمعات " من أبناء المسلمين الذين يصرون على المضي والتجربة من جديد، والخوض فيما خاض فيه الآخرون

من عرض لأمر لا أخلاقية، دفعت بالغيورين إلى الغضب، حتى دعا الكثيرون منهم إلى منع صحون الالتقاط (الديشات) أو إلغائها (صلاح الدين في المدينة، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ١١٧٠٦)، وهو أمر - كما يقول بنسعيد - إن كان ممكنا اليوم؛ فإنه لن يكون كذلك في الغد القريب، بل وحتى التشويش لن يكون مجديا في المستقبل القريب، ومن ثم فإن الانغلاق أمر غير واقعي. (بنسعيد في الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٨٩١)

والحل الأمثل هو ما أشار إليه د. حجازي؛ والذي يتمثل في التزود بالتقنية، وتوفير الكفاءات البشرية المدربة، والتثقيف العام لأفراد المجتمع، إلى جانب المطالبة بحقوقنا كأوطان؛ في مراعاة الإعلام العالمي لحقوق المجتمعات المختلفة. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨١٢، ص ١٠).

وكما نلاحظ فإن للمؤسسات التربوية دورها الكبير في تحقيق ما دعا إليه د. حجازي من أمور، باعتبارها المعنية بإعداد كل من الفرد والمجتمع من أجل امتلاك التقنية المتقدمة، وهي التي توفر الكفاءات البشرية المدربة، إلى جانب إسهامها الكبير في التثقيف العام لأفراد المجتمع بأهمية المحافظة على التميز الذي خصهم الله سبحانه وتعالى به حين اختار لهم الإسلام ديناً يشكل الإطار العام لدقائق حياتهم اليومية.

ولابد من توجيه القائمين على القنوات الفضائية إلى أهمية مواجهة البث الفضائي (الآخر) بخطط حضارية تتمتع بدرجة عالية من الوعي، بحيث تبتعد عما تقدمه حالياً من تفاهة وضحالة سواء في الجانب الفني أو الثقافي، وتستعيز عن ذلك بالفن الراقي والمناقشات الموضوعية حول مختلف المجالات التي تهتم العالم الإسلامي بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة، بحيث تعمل على الارتقاء بوضعها نحو الأفضل، وتستخدم في ذلك أحدث الأساليب التي تجذب المشاهدات، وتمدهن بالمعلومات التي تمكنهن من الإحسان في اختيار ما يشاهدنه.

إن مهمة وسائل الإعلام لا تقتصر على مجرد بيان واقع الحال الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية؛ بل ينبغي أن تكون له مهمة تربوية بنائية بحيث يحاول الارتقاء بالمجتمع إلى الآفاق المطلوبة، لأنه يمثل تعليماً مستمراً وتربية مستمرة، ووسائله هي أدوات التنمية الحقيقية للأمة. (حسنة، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م، ص ٥٠).

ولذلك وجدنا المتخصصين الإعلاميين يضعون ثلاثة مستويات لابد للبرامج الإعلامية من مراعاتها حتى يتحقق دورها المنشود في التربية وهي:

١- الانطلاق من العقيدة والانضباط بالقيم الإسلامية والثقافة الإسلامية، مع العناية بالمضمون الاجتماعي والاقتصادي في التوجيه الديني، وتوصيله بأساليب جذابة مشوقة.

٢- تأتي بعد ذلك التربية الوطنية لتكمل التربية الإسلامية؛ وذلك من خلال تنمية الحس التاريخي وتطوير التفاعل بين بلدان العالم الإسلامي.

٣- ثم تأتي بعد ذلك التربية العالمية لتكمل المستويين السابقين على أساس أن البشر في المجتمع الإسلامي هم جزء من الإنسانية جمعاء التي تتقاسم وحدة المصير على الأرض. وهذا يتطلب الانفتاح على العالم والتواصل والمشاركة. (زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ع، ٨١٢، ص ١١).

فالتزام الإعلام بتحقيق هذه المستويات الثلاث؛ سوف يسهم في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة للحاضر والمستقبل، في ظل من الأصالة الإسلامية، والمعاصرة للواقع المعاش.

لكن في ظل الإعلام الحالي فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة لكي تكون إعلاما متحركا وفقا لأمر الله سبحانه وتعالى للفرد المسلم بقوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وبدلا من تركيز اهتماماتها على الأكل والشرب ونحوه؛ لابد أن توجه التربية المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية شكر الله بأداء حق السمع والبصر باعتبارهما أجهزة بث واستقبال للخير وهبها الله إياها، وسيحاسبها على كيفية استخدامها.

كذلك ينبغي على التربية أن تعمل على توعيتها بدورها الإعلامي من أجل الوقوف في وجه التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون من قبل وسائل الإعلام الحديثة والمسيطرين عليها.

وفما يلي سوف نشير إلى أهم الموضوعات المتعلقة بالمرأة والتي تركز عليها وسائط الثقافة؛ خاصة الإعلامية منها، ثم نتبع ذلك بالحديث عن أبرز الموضوعات التي ينبغي توجيه اهتمام المرأة المسلمة المعاصرة إليها حتى تتمكن من معاشة عصرها عن وعي وحسن إدراك.

رابعاً : موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة :

من أبرز الموضوعات التي تركز على تناولها وسائط الثقافة في الوقت الحاضر ما يلي:

١ - تعميم الثقافة الرأسالية:

على العكس من العقيدة الإسلامية التي تعمل على إنشاء مجتمع إنساني عالمي مفتوح، يمكن لأي فرد أن ينضم إليه، بدون إكراه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، نجد الدول الغربية؛ مدفوعة بالقيم الرأسالية؛ تحاول فرض هيمنتها وسيطرتها على الدول الأخرى.

ومحاولة فرض الهيمنة الغربية، تمثل نوعاً من العصبية التي تطورت أشكالها عبر التاريخ من أسرية إلى قبلية إلى إقليمية إلى عرقية، وهذه يمثلها اليوم " الرجل الأبيض الذي يجبر الأعراق الأخرى للتنازل عن حرياتهم وممتلكاتهم ثم تتوسل إلى عواصم الغرب لتستعيد جزءاً مما تنازلت عنه تحت اسم (المعونات والمساعدات)." (الكيلاي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م، ص ١٦٣-١٦٤).

ونجد أن من أخطر نواتج الاستلاب الثقافي؛ الاعتقاد بعالمية الثقافة من قبل الناشئة ذكورا وإناثا، وهي فكرة تترسخ في أذهانهم نتيجة لغلبة الثقافة المهيمنة والترويج لها إعلامياً وتعليمياً.

ومما يسر لحدوث ذلك؛ توقف العقل المسلم عن الإبداع مكتفياً بالاندفاع في تقليد الآخرين سواء كانوا آباء أم محدثين.

فمقلدي الآباء يحاولون محاكاة التاريخ الثقافي لكنهم عاجزون عن الإبداع والإفادة من ذلك للحاضر والمستقبل، بينما مقلدي المحدثين يميلون إلى استهلاك الجاهز الذي لا يدلهم ولا لأسلافهم فيه، مما يكرس التخلف ويجعلهم يؤمنون بعالمية الثقافة.

وهذه الفكرة إنما روج لها أصحاب الثقافة المهيمنة بغية صهر الثقافات الإنسانية في بوتقة الثقافة الغربية، وهو ما حاولوه قديماً من خلال الاستعمار، وحديثاً من خلال وسائل الاتصال. (الأشقر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٦٠).

والملاحظ في الوقت الحالي أن الثقافة الرأسالية هي المسيطرة على غيرها، ونجدها تعمل جاهدة من أجل تشييء الإنسان، بحيث يصبح ذا بعد واحد، يتمثل في الجانب

المادي فقط. وقد باتت مهمة العلوم في الغرب، تذويب حرية الإنسان وفاعليته ليصبح ممثلاً طائعاً، وذلك عبر وسائل الإعلام التي تواكب التطور الاقتصادي فتحول كل شيء إلى سلعة. فمثلاً نجد التلفاز ينطلق من مبدأ التسلية ليخاطب الجانب غير الناضج لدى البالغين، وهو ما نلاحظه من الانخفاض التدريجي للمستوى الثقافي لبرأجه، مما سبب لدى الجمهور طفولة يسرت التلاعب بهم من خلال الدعايات التي لا تهدف إلا إلى تسخيف وعي الإنسان وإغراقه في الملهيّات التي تحول حياته إلى لا معنى. (أبو شعيرة في قضايا دولية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٥).

ويؤكد ذلك بيجوفيتش الذي يسم الثقافة الجماهيرية^(١) بالصينانية التي تجعل الإنسان المعاصر يتصرف بطريقة طفولية تتفق مع المستوى العقلي للمراهقة الذي يتسم بـ "تسليات مبتذلة، غياب روح الفكاهة الأصيلة، الحاجة إلى أحداث مثيرة ومشاعر قوية، الميل إلى الشعارات الرنانة والاستعراضات الجماهيرية والتعبير عن الحب والكراهية بأسلوب مبالغ فيه، اللوم والمدح المبالغ فيهما، وغير ذلك من العواطف الجماهيرية القاسية". (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠٩).

وفيما يتعلق بمجال المرأة بصفة خاصة؛ نجد وسائط الثقافة - وخاصة وسائل الإعلام - تنقل مظاهر المساواة في العالم، "وإن كانت ذات صبغة بورجوازية في أحيان كثيرة"، وتنقل كذلك ممارسات الجنس غير الشرعي، والحب قبل الزواج.... إلخ، وغير ذلك من الأمور التي تتصل بعالم آخر لا تعيشه المرأة المسلمة المعاصرة، ومن ثم يتولد عن هذا التناقض بين المشاهد والمعاش؛ أن تثور المرأة وتشعر بالغبن فتندفع لتطالب هي الأخرى بالمساواة. (بوعلي ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٧٢).

ومن الوسائل التي ابتكرها الغرب من أجل فرض نظمه وقيمه وثقافته على المستوى العالمي؛ المؤتمرات الدولية والتي تتمثل حصيلتها في تثبيت السيطرة الغربية عالمياً في جميع المجالات، وذلك من خلال ما ينبثق عنها من اتفاقيات ووثائق ملزمة.

(١) يفرق بيجوفيتش بين الثقافة الجماهيرية والثقافة الشعبية، فهو يرى بأن الثقافة الشعبية "أصيلة، حية ومباشرة وبريئة من البهجة ومن الأعمال الأدبية والفنية الهابطة، وهي تقوم على الإجماع والمشاركة من قبل الجميع. بينما تقوم الثقافة الجماهيرية على التلاعب، فبرامج التلفاز مثلاً، وكذلك برامج وسائل الإعلام الأخرى الجماهيرية كلها، إنما هي في الحقيقة وسائل للتلاعب بالجماهير، حيث نجد معدي البرامج فئة قليلة من الناس، بينما هناك ملايين المشاهدين السلبيين. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠٦-١٠٧).

(شبيب في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤٧).

وقد عقدت في السنوات الأخيرة سلسلة من هذه المؤتمرات التي تستهدف الأسرة بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة، والتي استهدف الغرب من خلالها فرض مفاهيمه وقيمه على العالم " خاصة حضارات الجنوب والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص. " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٦٧).

ومما دعا د. عمارة وغيره إلى تأكيد استهداف القيم الإسلامية بهذه المؤتمرات؛ ما حدث في مؤتمر بكين وغيره من تركيز للعداء ضد الإسلام.

يقول د. عمارة:

" على الرغم من أن العالم مليء بفلسفات وتيارات فكرية لا تتفق مع مؤتمر بكين، إلا أن العداء من قبل المشاركات كان مركزاً ضد الإسلام؛ لأنه يمثل النموذج المعادي بعمق لكل هذه التيارات المعادية للقيم الإنسانية... " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٦٧).

ويقول السيد ولد أباه:

إن " مؤتمر بكين إن هو إلا حلقة في سلسلة من المؤتمرات ^(١) التي تحاول الدول الغربية من خلالها أن تمد النموذج الغربي إلى الفضاءات الحضارية التي كانت مغلقة عنه وممتنعة عليه. " (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٣٠).

ومما يؤسف له أن الأفكار المزخرفة والشعارات المقنعة التي تعول عليها هذه المؤتمرات؛ قد وجدت طريقها إلى فكر عدد غير قليل من مسلمات الوقت الحاضر، حتى وجدنا من بينهن من تتبع الغرب وتبنى أفكاره لتتآكل حقوقها التي كفلها لها الإسلام وحرمتها منها المجتمع الجاهلي المعاصر، لكنها ضلت الطريق بسبب وعيها الزائف بحقيقة وضعها ومكانتها في الإسلام.

ولهذا وجدنا كثيرات من المسلمات يجاربن الغربيات في الحملات الظالمة ضد الإسلام وضد الشريعة الإسلامية على اعتبار أنها قد ظلمت المرأة وأعطتها مكانة أقل من الرجل.

(١) من المؤتمرات المقصودة بالحديث: مؤتمر السكان بالقاهرة، ومؤتمر كوبنهاجن للتنمية الاجتماعية، ومؤتمر فينا لحقوق الإنسان، (مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٦٧)، (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٣٠).

تقول أماني أبو الفضل، وهي إحدى المشاركات في مؤتمر بكين من جمهورية مصر العربية:

" مؤتمر بكين حضره حوالي ٤٠ ألف امرأة من جميع أنحاء العالم بينهن أكثر من ٧٠٠٠ مسلمة من العالم العربي، نصفهن جاء بهدف مهاجمة الشريعة الإسلامية والتشهير بها وطلب الحماية من غير المسلمين. " (مؤتمر المسكن.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٦٧).

ومن هنا تبرز أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة المختلفة؛ بالبدل عن هذه الأفكار والشعارات الزائفة، وذلك بتوضيح مكانة المرأة في الإسلام الذي جاء من أجل تحريرها تحريرا حقيقيا حين جعل منها إنسانا سويا مكرما له مهمة محددة تتمثل في تحقيق الاستخلاف في الأرض.

إن هذه المؤتمرات وغيرها من وسائل مهاجمة الإسلام لتدعونا - كما يقرر د. عمارة - إلى رفض الانعزال " فالمسلمون يقرب عددهم من ربع تعداد البشرية، والإسلام يمثل نصف المتدينين بالديانات السماوية، والإسلام يقدم البديل لتحرير المرأة تحريرا حقيقيا يجعل منها إنسانا سويا يقوم بالاستخلاف. فالرفض نصف الفضيلة، لكن الفضيلة كاملة تتمثل في البديل الحقيقي.. "

ونحن لا ننكر أن لدينا مشكلة للمرأة، حيث توجد لدينا تقاليد تمثل قيودا على المرأة ليست من الإسلام في شيء، والفارق بيننا وبين الغربيين " أننا نريد تحرير المرأة وفقا للنموذج الإسلامي ليس تعصبا للإسلام، وإنما لأن هذا النموذج هو الذي يمثل التحرير الحقيقي ويقدم نموذجا لسعادة المرأة والرجل في ذات الوقت. " (عمارة في مؤتمر المسكن في المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٦٧).

ونحن حين نقف هذا الموقف من أمثال هذه المؤتمرات، لا بد وأن نشعر بالعزة والمنعة التي نستمدتها من قيمنا الموجهة لنا في اتخاذ هذا الموقف، الذي هو ذات الموقف الذي وقفه المحافظون من أصحاب الديانات الأخرى. ففينا يتعلق بمؤتمر بكين خاصة، وقف رجال الدين المسيحي من الأرثوذكس والبروتستانت إلى جانب المسلمين وغيرهم من الجماعات المحافظة في العالم التي عارضت قرارات المؤتمر بشأن القضايا التي تعمل على تدمير الأسرة وقواعد الأخلاق من خلال محاولة إضفاء الشرعية على كل ما هو حرام وشاذ، كإعطاء المرأة مطلق الحرية في ممارسة الجنس، وفي تحديد النسل، وفي الإجهاض، وغيرها

من الأمور التي تأبأها الفطرة السليمة. (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٣٠).

ويعلق السيد ولد أباه على موقف رجال الدين والمحافظين بقوله:

"..... ويوضح لنا موقف الدول الغربية وغيرها من الدول المحافظة، كيف أن الخير والشر في صراع دائم، كما يشير ذلك إلى حاجة العالم المعاصر إلى المؤمنين لكي يتصدوا بالخير لتيار الشر الجارف الذي يوشك أن يعصف بالعالم المعاصر. (ولد أباه في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٣٠).

٢- الفن والفنانون:

موضوع الفن أو مجال الفن هو أحد ميادين الانهزام أمام الحضارة الغربية، وذلك لأنه بات يصوغ أفكار الناس وأذواقهم، وميولهم واتجاهاتهم العقلية والنفسية والخلقية والاجتماعية والسياسية. (القرضاوي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٥).

ونجد وسائط الثقافة وخاصة الإعلامية تعتمد إلى عرض قضايا المرأة بصورة تخالف ما هي عليه في الإسلام؛ فتعدد الزوجات مستحيل، والزواج الثاني فاشل دائما، وزوجة الأب ظلمة على الدوام، وكذلك زوج الأم.

كما نجد الحديث عن المرأة لا يعبر عن واقع الحياة، بل غالبا ما ينطلق من واقع الآمال والأحلام، ومن ثم تحرم المرأة المسلمة المعاصرة من أن تعي دورها الطبيعي، وبدلا من ذلك ترتبط حياتها بشخصيات نساء السينما والمسرح والتلفاز وغيرهن سواء عن قصد أو غير قصد، ومن ثم تعتمد إلى تقليدهن في كل شيء.

وهكذا تصبح المرأة - إلا من رحم الله - تابعة لمن يحملن أسماء إسلامية، وهن لا يعرفن معنى الإسلام، ممن نجدهن حتى في المسلسلات الإسلامية؛ يقدمن صورة مشوهة لا تمثل المرأة المسلمة لا من قريب ولا من بعيد. فالمرأة الساقطة؛ أصبحت هي المثال الذي تحذو حذوه المرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - في الهيئة، وتصنيف الشعر والأزياء.... إلخ.

ويلاحظ أن الفن الهابط كان ولا يزال عبر التاريخ الإنساني، يمثل أحد أهم الأساليب التي تستخدمها المجتمعات الجاهلية من أجل تحطيم الحصون الأخلاقية

وإفساد الضوابط الفطرية للنفس الإنسانية؛ وذلك بما تزينه للناس من شهوات، بأساليب تدفعهم إلى الانجراف وراءها، وفي ذلك يقول سيد قطب:

"..... كل هذا من سمات الجاهلية الهابطة التي جاء الإسلام ليظهر المشاعر البشرية والمجتمعات البشرية منها. وهي هي بعينها سمة كل جاهلية.. والذي يراجع أشعار امرئ القيس في جاهلية العرب يجد لها نظائر في أشعار الجاهلية الإغريقية والجاهلية الرومانية... كما يجد لها نظائر في الآداب والفنون المعاصرة في جاهلية العرب والجاهليات الأخرى المعاصرة أيضا، كما أن الذي يراجع تقاليد المجتمع، وتبذل المرأة، ومجون العشاق، وفوضى الاختلاط في جميع الجاهليات قديمها وحديثها يجد بينها كلها شبا ورابطة، ويجدها تنبع من تصورات واحدة وتتخذ لها شعارات متقاربة.

ومع أن هذا الانطلاق البهيمي ينتهي بتدمير الحضارة، وتدمير الأمة، إلا أن الجاهليين لا يتعظون بما حدث لمن سبقهم من أمم سرت مسراهم منجرفين وراء حرية وهمية هي في حقيقتها عبودية للميل الحيواني وانتكاس إلى مرتبة البهائم، بل أضل، لأن الحيوان محكوم بقانون الفطرة الذي فطر عليه، في حين أن الإنسان، قد وهب العقل ليرتقي بنفسه التي كرمها خالقها.

وبذلك ندرك عظمة الإسلام في حرصه على حماية الإنسان من تدمير نفسه من خلال ما فرضه من عقوبات على الفاحشة، كما ندرك عظم الجرم الذي تقوم به الأجهزة التي تعمل على تزيين الفاحشة وإشاعتها تحت مسميات الفن والحرية والتقدم.... ("سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج ١، ص ٦٠١-٦٠٣).

ومن ثم فإنه ينبغي على وسائط الثقافة أن تهتم بإبراز الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة، وأن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بدورها في تحسين وضعها وتحسين وعيها بذاتها؛ وذلك لأن مما يؤسف له أن من يعملن في الفن من النساء توجد من بينهن كثيرات ممن نلن قسطا لا بأس به من التعليم، الأمر الذي يؤكد أن المرأة المسلمة المعاصرة تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية تجاه التشويه الذي لحق بصورتها.

٣ - المرأة جسد:

أصبحت المرأة في الوقت الحاضر سلعة تباع وتشتري، وذلك ملحوظ من خلال إقحام صورتها في كل شيء. ونجد وسائط الثقافة قد أسهمت في الاتجار بها وذلك من

خلال صورها العارية أو شبه العارية في الأفلام والمسلسلات والمجلات والإعلانات وغيرها.

ففي مجال التمثيل مثلاً، نجد أنه لا يكتفي فقط بالنظر إلى المرأة باعتبارها جسداً يعمل على جذب الجمهور، بل إن اختيار الممثلات وأجورهن يتناسب مع درجة إثارتهن، وما يمكن أن يظهره في هذا الصدد من فنون، بل وحتى المذيعات نجدهن يقدمن كشكل جميل، في حين أن المضمون هو بيد المعد أو المخرج. (عبد المعطي في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ / ١٩٨١، ج ٢، ص ٧٤١).

وتؤكد البحوث أن المرأة، ونتيجة للنشاط الاستهلاكي لوسائل الإعلام، قد أخذت تستقر في وجدانها أنها مجرد جسد جميل لا بد من إظهار مفاته، وهذا ما جعلها تشعر بالاغتراب عن أدوارها الإنسانية، فبقيت قاعة بدورها كدمية جميلة^(١). (سجارة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ١٣٤-١٣٥).

وقد أدى حرص بعض وسائط الثقافة - وخاصة الإعلامية منها - على تقديم كل ما يؤجج الغريزة بين الجنسين، إلى معاناة الشباب من الضغوط النفسية في ظل الصعوبات التي تكتنف الزواج، ومن ثم فلا مجال للتنفيس إلا من خلال تقليد ما يشاهدونه، مما أدى إلى تشكيل العلاقات بين الجنسين على غير الوجه الشرعي، وهكذا استحالت بيوت كثيرة إلى جحيم، وأصبحت الخيانة بين الزوجين من الأمور الشائعة. (الرحال، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢١٦).

فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة بما يبعدها عن جعل الجنس الشغل الشاغل لها؛ لأن للفرد المسلم تبعات أخرى، إضافة إلى أنه لا يجوز للمرأة - أيا كانت ديانتها - أن تعرض نفسها لتكون ملهاة لذوي الشهوة؛ لأنها عند ذاك سوف تكون كما يقول الأستاذ محمد قطب "كالخارس الذي يدعو الناس لسرقة ما يجرس من مال"، حيث إن عرضها أمانة لديها "محمد قطب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ١، ص ١١٥).

(١) يعتبر بيجوفيتش الفن الإباحي والكتابات الداعرة جرائم مقننة لأن القائمين بها لا يفكرون فيما يرضي الله حينها يعدونها، خاصة وأنه قد وجد أن فيلماً داعراً أرخص في إنتاجه من الفيلم العادي بعشر مرات، في حين أن أرباحه تزيد عن أرباح الفيلم العادي بعشر مرات. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٠٢).

خامسا: موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائل تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة الضوء عليها :

من الأمور المؤسفة في عصرنا الحالي؛ أن عامة المسلمين قد ألقوا النظر إلى المرأة على أنها قاصر، ولها مهمة محددة، ومن ثم فإنها لا تحتاج إلى أن تخاطب فكريا أو ثقافيا، لأنها في الغالب غير مدركة لحقيقة الأمور.

وقد أدى ذلك إلى تفشي الأمية وشيوع الدجل والخرافة، خاصة في الأوساط الجاهلة. وهؤلاء قد غفلوا عن أن الخطاب القرآني موجه إلى الناس جميعا بما فيهم العامي والأمي، حيث إن التكليف لم يحدد بمواصفات ثقافية، أو مستوى تعليمي، بل هو عام وشامل لكل مكلف، وهو الإنسان البالغ، العاقل، إلى جانب أنه ميسر للذكر لأي إنسان أيا كانت درجة ثقافته. (العلواني، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ٧٤-٧٥).

ونجد أن غيبة التوجه الإسلامي لوسائل الثقافة في المجتمع الإسلامي؛ قد أسفر عن تمكن الثقافات الأخرى من اختراق المرأة المسلمة المعاصرة، وإفقادها لذاتيتها دون أن تشعر، الأمر الذي جعلها تنجرف وراء الأفكار والشعارات البراقة المخادعة كما أسلفنا. ويلاحظ أن وسائل الثقافة في المجتمع الإسلامي بصفة عامة تفتقر إلى الدراسات والمعلومات الجادة فيما يتعلق بالمرأة حيث اقتصر اهتمامها على توجيه المرأة إلى واجباتها الأسرية الضيقة فقط.

وقد أشارت أمة العليم السوسوة وكيل وزارة الإعلام بجمهورية اليمن، إلى ذلك في أثناء حديثها عن وسائل الإعلام التي نجدها تقصر اهتمامها بقضايا المرأة على الواجبات الأسرية ولا تتعداها إلى العلاقات الأسرية التي أصبحت ضعيفة في الوقت الحاضر، الأمر الذي يناقض وظيفتها في التنوير والإرشاد، إلى جانب أنها تعزل المرأة عن قضايا المجتمع حين تركز الاهتمام على الأمور الشخصية للمرأة. (لقاء مع أمة العليم السوسوة في المرأة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦).

ومن أجل العودة بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى ذاتيتها المفقودة، وأصالتها، فإنه ينبغي على وسائل الثقافة المختلفة أن تقوم بدورها التربوي على أكمل وجه سواء من حيث الأساليب أو الوسائل أو الموضوعات التي ينبغي عليها أن تراعيها في توجيهها للمجتمع المسلم بصفة عامة، وللمرأة المسلمة المعاصرة بصفة خاصة.

وفما يلي عرض لبعض الموضوعات والاتجاهات التي ترى الباحثة أنه ينبغي على وسائط الثقافة أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها، وتوجهها إليها؛ حتى تتمكن من فهم الواقع الذي تعيش فيه وتعايشه بما يحقق مرضاة الله أولاً، ثم الإسهام في تغيير المجتمع الإسلامي نحو الأفضل.

١- تصحيح الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة المتعلقة بالمرأة:

إن النظرة الفاحصة إلى حقيقة الظلم الذي حاق بالمرأة المسلمة عبر التاريخ؛ تشير إلى أنه يكمن في الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي توجه عقول أفراد المجتمع توجهها معيناً نحو المرأة؛ فيه تهوين من شأنها، وتقليل من أهميتها ودورها في الارتقاء بالمجتمع.

ومن بين هذه الأفكار والتقاليد:

أ) النظر إلى المرأة من خلال الجنس وإنجاب الأطفال:

فالملاحظ في المجتمع الإسلامي بصفة عامة تركيز الاهتمام على دور المرأة في حفظ النوع البشري دون الارتقاء به، وهذا ما جعل الاهتمام بها ينصب على مظهرها الخارجي وقدرتها على الإنجاب بالدرجة الأولى.

ويشير عبيد إلى أن اعتبار المرأة مجرد أداة للمتعة والإنجاب قد دفع بالمرأة إلى تركيز الاهتمام على مظهرها الخارجي؛ ولذلك بالغت في الاهتمام بجسدها على حساب روحها، وانعكس أثر ذلك على سلوكها إزاء ما يواجهها من ابتلاءات، ومن ذلك العقم الذي نجده في غالب الأحيان "... يجعل حزنها عميقاً.. حيث يصبح مركزها مزعزعا وعرضة للطلاق لأن التبعة غالبا تقع عليها.. " (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ع ١٣٦، ص ٦٢).

ونجد هذه الأفكار تدعم في ذهن المرأة من خلال وسائط الثقافة المختلفة، ومن ذلك الأمثال الشعبية التي تجرى على الألسنة وتستقر في الأذهان بسرعة، ومنها قولهم (الي ما لوش ولد عديم الظهر والسند) (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م، ع ١٣٦، ص ٦٠).

وكذلك من خلال الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي رويت على أنها من قول الرسول ﷺ، ومن ذلك:

- (الخصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد) قال الحافظ العراقي: ولم أجده مرفوعا.

- (لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: إنه ضعيف.

- (تخيروا لنطفكم وانتخبوا المناكح وعليكم بذات الأوراك فإنهن أنجب) أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. (القيسي، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ١٦٥).

ب- الزواج المبكر:

فالملاحظ أن المرأة في بعض البيئات الإسلامية - خاصة في الريف - مازال تزويجها يتم مبكرا جدا، بل أحيانا ما يتم قبل البلوغ.

ويشير عبيد إلى أن بعض البيئات تعتمد إلى تزويج الابن مبكرا من أجل إحضار (خادمة) لأهله، أو (عاملة) زراعية، حيث ينظر للمرأة أنها مكسب، وأن ما يدفعه من أجلها (حلال). (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ع ١٣٦، ص ٦١).

وللتربية دور مهم في ترشيد الاتجاه نحو الزواج المبكر باعتباره توجيهها نبويا كريما حث عليه الرسول ﷺ لما يوفره للمجتمع من استقرار، لكن لا بد من الاهتمام بإعداد الفتاة لمسئوليات الزواج حتى تحسن في أدائها على أكمل وجه.

ج- تأكيد تفوق الرجل:

فهناك كثير من الأفكار التي تنظر إلى المرأة على اعتبار أنها أقل منزلة من الرجل، وأنها كائن ناقص عاجز، وشيطان رجيم، وعورة ينبغي سترها.... إلخ (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ع ١٣٦، ص ٦٢)، وأنها أصل البلايا وسبب شقاء الرجل، ونجد هذه الأفكار تروج من خلال الأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها:

- "الشباب شعبة من الجنون والنساء حباله الشيطان" قال الألباني: إنه ضعيف.

- "طاعة المرأة ندامة" قال الألباني: إنه ضعيف.

- "كن من خيار النساء على حذر" ليس بحديث.

- " أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك، وما ملكت عينيك ". قال الألباني: إنه ضعيف.

- " للمرأة ستران القبر والزوج: قيل: وأيهما أفضل؟ قال: القبر ". رواه الطبراني في المعجم الكبير والصغير وهو موضوع.

- " موت البنات من المكرمات " ليس بحديث.

(القيسي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٦٠-١٦٤).

د- تحديد دور المرأة باعتبارها ربة بيت وزوجة فقط:

فهذه الفكرة مازالت سائدة في كثير من البيئات الإسلامية التي نجدها تغرس في ذهن البنت منذ الصغر قيمة الزواج باعتباره (المستقبل) الذي ينتظرها، والذي يجب أن تعد له مبكراً. ويشير عبيد إلى بعض أساليب غرس هذه الفكرة في الأذهان ومنها الدعاء للبنت بالستر " الله يوعدك بابن الحلال " وكيف أنه إذا ما تأخر زواج البنت فإنها تصبح " بائرة ". (عبيد في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ع ١٣٦، ص ٦٢).

ونجد أن العنوسة صفة تطلق على البنت في بعض البيئات - خاصة الريفية - إذا ما جاوزت العشرين دون زواج، الأمر الذي ينعكس أثره سلباً على نفسية البنت فتتميل إلى الانزواء والانطواء والحزن.

كما نجد أن سيطرة هذه الفكرة - الزواج - على أذهان الأهل؛ تجعلهم يغفلون أهمية التعليم في إحسان إعداد المرأة لدورها الذي ينشدها له، إذ يعتقدون بأن الزوج لا يحتاج إلا إلى امرأة مطيعة، وجسد جميل، ومن ثم يتم التركيز على إعدادها لتكون مؤهلة للقيام بذلك.

هـ - عدم الاعتراف بدور المرأة الإنتاجي:

فالكثيرون - حتى من المثقفين - ينظرون إلى المرأة على اعتبار أنها تمثل نصف المجتمع، لكنه نصف معطل، حيث لا يعتبرون لإسهاماتها داخل المنزل أي أثر على الاقتصاد في المجتمع.

٢- التعريف بحقيقة الدعايات بمختلف أنواعها:

أصبحت الدعاية في العصر الحاضر فنا له مخصوه، وله وسائله التي يمكن لمن يحسن استخدامها أن يصل إلى القلوب والعقول بأيسر الطرق.

وللتربية دورها الكبير في توجيه وسائط الثقافة إلى أهمية تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بهذا الفن واستخداماته وحقيقة الأفكار التي تروج من خلاله. ونجد الدعايات تستخدم حالياً للأغراض التجارية وغيرها، ومن بين هذه الأغراض:

أ) الترويج للبضائع:

فالدعايات تستخدم من أجل ترويج البضائع بغرض الاستهلاك، وهذا الأمر يستهدف به جميع أفراد المجتمع، لكن ما ينبغي أن تنبه إليه المرأة المسلمة المعاصرة؛ هو الصورة غير اللاتقة التي لا تتناسب مع أهمية المرأة ودورها في المجتمع، والتي تحرص الدعايات عمداً على إظهار المرأة بها بغية ترويج البضائع من خلال مخاطبة الجانب غير الناضج لدى المتلقين.

كذلك ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ تحذيرها من خطورة الانغماس في الدنيا والسقوط تحت سيطرة الإغراءات المادية ونسيان الآخرة، وأهمية العمل في الدنيا بغرض الوصول إلى أعلى الدرجات في الآخرة.

ولابد من توجيه وسائط الثقافة إلى أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة بأساليب الترويج التي منها ما هو غير أخلاقي، حيث لوحظ أن من بين أصحاب الشركات المنتجة من يعتمد إلى ترويج بضائعه من خلال تحذير المتلقين من منتجات أخرى، وذلك عن طريق بث إشاعات وحكايات لا أساس لها من الصحة، كأن يقال مثلاً: إن نوعاً من أنواع الكريم يخدش الجلد ويشوهه..... أو يتسبب في حدوث أمراض معينة على المدى الطويل... وهكذا.

وهذا الأسلوب يستخدم كثيراً في العصر الحاضر وهو إنما يشير إلى "تجارة الخوف" التي أصبحت تستخدمها عشرات القطاعات بدءاً بالأغذية والمشروبات ومواد التجميل، وانتهاء بالأدوية وغيرها من المنتجات التي تمس حياة غالبية البشر. وذلك إنما ينبهنا إلى مقدرا التشويه الذي لحق بإنسانية الإنسان في ظل الحضارة المادية المعاصرة التي أبت بعض النفوس المريضة التي تحيا في ظلالها إلا أن تعيش على حساب تسويق الذعر بين أبرياء يقعون ضحايا، يتلاعب بعواطفهم بسبب قلة معرفتهم. (اللاذقاني في الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٦٢٠٠).

ب- ترويج أفكار مضللة عن الشعوب الأخرى:

لا يقتصر استخدام الدعايات في الوقت الحالي على مجال التجارة فقط، بل ينسحب استخدامها حتى على مجال العلاقات بين الشعوب أيضا؛ حيث نجد أنه في الوقت الذي يتواصل فيه إعجاب الغالبية لدينا بالغرب، يتواصل فيه أيضا احتقار غالبية الغربيين لكل ما يمت للإسلام والمسلمين بصلة.

ففي السينما مثلا، تقترن الكوفية والعقال غالبا بمناظر مشينة. (كلمة عربي أو مسلم.. في "المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٨).

وقد غفل المسلمون عن خطورة الدعاية السوداء المضادة على مصالحهم وسمعتهم، والتي تمثلت في الحملات الثقافية ضد العرب والمسلمين، وترتب على ذلك أن أدت هذه الحملات غرضها في تشبع الغربيين بها، مما أسفر عن الانتهاك السافر لحقوق المسلمين والنيل من سمعتهم واعتراض مصالحهم.

ولا أدل على ذلك من الاستطلاع الذي أجري في أسبانيا عن مكانة الأجناس البشرية في نظر الرأي العام الأسباني، حيث جاء الجنس العربي في ذيل التصنيف (الركابي في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٦)، ولذا وجدنا وسائل الإعلام وغيرها تسارع إلى قذف العرب والمسلمين بأبشع التهم ودون تمحيص عندما حدث التفجير في (أوكلاهوما) (الركابي في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٦)، ووجدنا أيضا الفرنسيين يلاحقون المهاجرين العرب عقب التفجيرات التي حدثت في فرنسا، حيث عمدوا إلى توقيف العرب اعتمادا على ملامح الوجه فيمن يشبه في أنهم عرب مهجرين. (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٩).

وفي بريطانيا نجد هناك بيانات تنشر عبر أجهزة الفاكس تتضمن إشارات من شأنها زرع عقدة الخوف لدى المواطن البريطاني تجاه الإسلام، وتحمل انتقادات حادة للحكومة في تركها المسلمين وعدم إنذارهم بمغادرة البلاد طوعا، ومنها ما يعتبر المسلمين سببا للحرب في (يوغوسلافيا) السابقة، وتحذر من أنهم سيكونون سببا للعنف في بريطانيا. (المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٢٦).

ومما يؤسف له أن تشترك في شن هذه الحملات الظالمة بعض وسائط الثقافة في الدول الإسلامية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ومن ذلك ما تقوم به بعض قنوات التلفاز في

تركيا، حيث تعتمد إلى تقليد منطلقات الإعلام الغربي بغرض تحقيق الربح المادي، فتنتشر إعلانات فيها تعتيم على الحقائق، وتزييف للوقائع؛ بغرض تشويه صورة الإسلام من أجل كسب جمهور المراهقين، وتسيء بذلك إلى المصلحة العامة من أجل كسب مؤقت. (إلياس في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٩٣).

وهنا يكمن الدور التربوي لوسائل الثقافة بحيث تعمل على تنمية الوعي لدى جميع أفراد المجتمع الإسلامي - بما فيهم المرأة - بخطورة الإعلام المضاد على كيان الأمة، وأهمية الحذر حتى لا يكونوا ضحايا للدعايات الكاذبة التي تسعى إلى إلصاق ما هم برآء منه من التهم بهم.

ج- الترويج للأشخاص:

وهذا الأسلوب تستخدمه وسائل الثقافة في المجتمعات المختلفة بغرض تحقيق أهداف معينة من وراء إبراز أشخاص ذوي انتماءات حزبية أو مذهبية معينة، وإغفال غيرهم.

ومن بين أبرز الأشخاص الذين برزت أسماؤهم، والذين عمل الغرب على الترويج لهم في الآونة الأخيرة من المسلمين؛ تسليمة نسرین و سلمان رشدي، اللذين عمدا إلى الهجوم على الدين الإسلامي من خلال كتاباتهما.

فتسليمة نسرین هي طبيبة بنغلادشية كتبت رواية أسمتها (العار)، أشارت فيها إلى ظلم المسلمين لغير المسلمين في بلادها، وإلى ظلم المسلمين للمرأة المسلمة، فخرجت المظاهرات تطالب برأسها بعد صدور فتوى باستحلال دمها (عبد المجيد في العربي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٤٤٣، ص ٩٢)، وهربت الكاتبة إلى فرنسا، وتصدرت قضيتها أمهات القضايا التي يعيشها العالم، حيث خصصت كبريات الصحف والمجلات في جل الدول الأوروبية أغلفتها لها، وراحت شبكات التلفاز العالمية تتسابق لإجراء مقابلات معها، ثم ترجمت روايتها الوحيدة (العار) إلى عدة لغات. وعلى الرغم من سطحياتها وعدم جودتها فنيا باعتراف جل النقاد والقراء، إلا أن الحفاوة بصاحبيتها قد تضاعفت من قبل الزعماء، كما سارعت اللجان المختصة إلى منحها جوائز عالمية مثل جائزة برلمان الاتحاد الأوروبي، وجائزة سخاروف وغيرها، وأصبحت نسرین عضوة بارزة في البرلمان العالمي للكتاب إلى جانب كبار الكتاب والمفكرين.

أما سلمان رشدي فقد كتب قبل ذلك رواية بعنوان " الآيات الشيطانية " استهزأ فيها من الرسول ﷺ، وقد أهدرت الحكومة الإيرانية دمه، وأثار الأمر ضجة كبرى في الدول الغربية التي حفته بالدعايات الضخمة وبالدعم غير المحدود، ودافعت عنه ضد الحملات التي واجهته في الدول الإسلامية. (يحيى، د.ت، ص ٥).

ونجد الأمر نفسه يحدث في بعض بيئاتنا الإسلامية حيث تعمل وسائط الثقافة على الاحتفاء بالكتاب والشعراء والأدباء من أصحاب اتجاهات معينة كما أشرنا، وتغفل غيرهم، حتى أصبحت شهرة الأديب - كما يقول خلدون الشمعة - يصنعها الإعلام وليس عدد القراء. وقد ضرب مثالا لذلك بأدونيس والبياتي اللذين لا تدل شهرتهما على حجم استثنائي؛ بقدر ما تؤكد أن " النجومية ظاهرة يصنعها الإعلام دون أن تكون لها علاقة بتوزيع الكتاب أو رواجه الحقيقي. " (الشمعة في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٩٣).

ويدخل ضمن ذلك أيضا التجاهل الذي يلقاه الأدباء والمفكرون الإسلاميون بصفة عامة من غالبية وسائط الثقافة في غالبية الدول الإسلامية، في حين يحتفي بهم من قبل ذوي الاهتمام في الدول الغربية، وقد أشار إلى ذلك (سوسكا)، الباحث في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة بون، في حديثه عن الاهتمام الذي يحظى به الأدب الإسلامي، والكتاب والروائيين وأدباء الثقافة الإسلامية، من قبل العديد من الباحثين والروائيين والدارسين في أوروبا، وكيف أنهم يحظون بشهرة واسعة، ولؤلؤاتهم انتشار واسع هناك. (عبد الرحمن في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٣).

فينبغي على وسائط الثقافة أن تهتم بتوعية أفراد المجتمع الإسلامي - والمرأة بخاصة - بحقيقة الدعايات التي تصاحب المشاهير من الأدباء والمفكرين وغيرهم، والدوافع التي تقف وراء الاهتمام بهم، بما يمكنها من التمييز بين الأصالة والضحالة في الفكر والأدب.

فالاهتمام بسلمان رشدي وتسليمة نسرين مثلاً؛ إنما مرده الصورة الخاطئة التي يحملها غالبية الغربيين عن الإسلام والمسلمين، وقد أكد ذلك كثير من المفكرين والأدباء والساسة الغربيين، ومن بينهم سوسكا الذي قال: " وجدت في مصر؛ ما يؤكد أن صورة المسلمين التي يبثها الإعلام الأوروبي خاطئة تماما، وللوحدة الأوروبية عامل مساعد في تشجيع العنصرية، التي هي ليست في ألمانيا كما في غيرها. (عبد الرحمن في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٣).

هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨٣).

وفي لقاء أجري مع وزير الثقافة الفرنسي (جاك توبو)؛ سئل عما إذا كانت الطريقة التي تعامل بها نسرين كبطلة ضد التخلف الإسلامي هي الطريقة الصحيحة في مثل هذه الأمور؛ فأجاب بأن الموضوع لم يكن يستحق كل ما حدث من عدااء واضح للإسلام والمسلمين، خاصة وأن كل مثقف حقيقي يعرف سماحة الإسلام. (عبد المجيد في العربي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٤٤٣، ص ٩٢).

وهذا ما أكدته الكاتبة الألمانية (شيميل)؛ التي نالت جائزة الكتاب الألماني على كتاب لها عن الحضارة الإسلامية حيث قالت في حفل تسلمها الجائزة ما نصه: "إن امرأة تركية فقدت خمسة من أولادها في حريق عنصري متعمد في مدينة ألمانية عام ١٩٩٣ م، ولكن هذه المرأة لا تشعر بكرامية للألمان، وهذا يجسد تسامح الإسلام الذي عرفته لعشرات السنين." (المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

وفيما يتعلق بقضية نسرين، فقد حدث أن قامت مجلة (فولوس) في ميونيخ، بإجراء حوار بينها وبين جمهور عريض من المثقفين والكتاب والصحافيين، حول قضيتها، وحول الأصولية، وحول الأدب بصفة عامة، وبنهايتها؛ اكتشف أغلبهم سطحية ثقافتها، وجهلها التام بالإسلام الذي تدعي معرفته، ثم بدأت وسائل الإعلام الألمانية تتحفظ في الحديث عنها. ولما قام المعهد الأكاديمي ببرلين بدعوتها لمدة عام كامل؛ ثار غضب العديد من المثقفين الألمان، وقام أحد الصحفيين^(١) بكتابة مقال قدم فيه "جملة من الحجج والبراهين التي تثبت إثباتا قاطعا، أن تسليمة نسرين لم تكن في أي يوم من الأيام كاتبة ذات شأن، ولا مثقفة بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولا مناضلة صادقة وكل ما في الأمر أنها لجأت إلى الحيل والأكاذيب للحصول على المال والشهرة في بلاد الغرب".

وقد حمل الكاتب على وسائل الإعلام الغربية، وخاصة الألمانية، واعتبرها مسئولة بالدرجة الأولى عن "هذه الفضيحة المخجلة"، حسب تعبيره، وأورد ما يشير إلى أن وضع المرأة في بنغلادش مغاير تماما للصورة التي قدمتها نسرين، سواء من خلال كتاباتها،

(١) هو الكاتب الألماني المعروف بوركارد مولر أولريخ، وقد تصدر مقاله الملحق الأسبوعي لجريدة (السوديشة زاتونج) في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٥ م. (المصباحي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٦٦).

أو أقوالها. وفي خاتمة مقاله؛ طالب المعهد الأكاديمي بمراجعة قراره بخصوص دعوتها، وطالب المؤسسات الثقافية بمقاطعة نسرين " التي تسببت في واحدة من أكثر الفضائح الأدبية التي عرفها العالم في أواخر هذا القرن! " (المصباحي في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٦٦).

وتقول آخر أخبار الكاتبة: إن مبيعات روايتها قد وصلت إلى حوالي نصف مليون نسخة في فرنسا وحدها. ويعبر إبراهيم عبد المجيد عن دهشته حيث أصبحت الكاتبة " سجيناً للإعلام الغربي أكثر مما هي سجيناً للفتوى... بقتلها " حيث صرحت مؤخراً عن رغبتها في " تغيير بعض آيات القرآن الكريم " ويعلق على ذلك بقوله:

" وهكذا انزلت السيدة تسليمة نسرين تحت ضغط الإعلام، فبعد أن كانت كاتبة تنادي بالمساواة بين الناس في كل الأديان، وفي الدين الواحد، صارت تناطح الدين نفسه، وهذه هي المأساة.. " (عبد المجيد في العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٣٣، ص ٩٢).

لهذا فإنه ينبغي على التربية أن تستخدم وسائط الثقافة من أجل توضيح أساليب الغرب في استخدام أمثال هؤلاء الكتاب، وإثارة أمثال هذه القضايا من أجل التصدي للإسلام وللصحوة الإسلامية في ديار المسلمين، وهذا ما يشير إليه محمد يحيى في حديثه عن سلمان رشدي وروايته التي تتصف بتفاوت كبير بين ظاهرها وباطنها، فهي ظاهرة بالدعاية الضخمة التي وقفت ورائها، وبالضجة التي أثارت حول كاتبها، والدفاع عنه من قبل الحكومات الغربية، والهجوم الذي شن عليه من الجانب الإسلامي، في حين هي مخفية من حيث كونها نصاً أدبياً ثقافياً.

والكتاب إنما يعبر عن ظاهرة موجودة في الغرب، وفي بعض الدول الإسلامية؛ وتتمثل في تسخير اللغة الأدبية من أجل التصدي للإسلام، والصحوة الإيمانية. والاهتمام بهذه الرواية هو نفسه السبب في الاهتمام بنجيب محفوظ، وروايته أولاد حارتنا وغيرها من الأفلام والمسلسلات والمسرحيات، التي تعالج ما يسميه الغربيون والعلمانيون بمشكلة التطرف الديني والذي يقصد به الدين الإسلامي وحده. (محمد يحيى، د.ت، ص ٥).

ويؤكد هذا الموقف المعادي للإسلام من قبل الغربيين؛ الهجوم العنيف الذي شنته

بعض الصحف الفرنسية على الطاهر بن جلون، حينما أراد الاحتجاج على التكريم المبالغ فيه الذي حظيت به نسرين، والذي لا يتناسب مع حجمها ككاتبة، وقد بالغت الصحف في الهجوم عليه إلى درجة اتهامه بالانحياز للأصوليين. (المصباحي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٦٦).

كذلك ينبغي استخدام وسائط الثقافة المختلفة من أجل توضيح التناقض والازدواجية التي يتعامل بها الغرب مع قضايا المسلمين ومصالحهم. فهم يستمتون في الدفاع عن نسرين ورشدي وأمثالهما، في الوقت الذي يصمتون - أو يعينون - تجاه ما يلحق المسلمين في أنحاء العالم؛ من ظلم على أيدي أعدائهم.

ويشير إلى هذه الازدواجية المثقف الأسباني خوان غويتسولوا بقوله: " لقد لاحظت - كما لاحظ غيري - تعبئة كبيرة من أجل دعم سلمان رشدي... ولكنني..... لم أقرأ أية مقالة مكتوبة من طرف نفس هؤلاء الكتاب الذين دافعوا عن سلمان رشدي فيما يتعلق بمسلمي البوسنة، وهذا أمر جعلني أحس بصدمة. " (لقاء مع غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٨٤).

وهو يرى بأن السبب الأساسي في هذه التناقض العجيب إنما يرجع إلى السلطة التي يتمتع بها أهم وسيط من وسائط الثقافة في هذا العصر، وهو الإعلام، حيث نجده يقول ما نصه: " في العالم الذي نعيش، نلاحظ أن دور الفعاليات الثقافية والفكرية يتراجع لأن هناك سلطة جديدة ضاغطة، ويتعلق الأمر بسلطة الإعلام وخاصة الإعلام المرئي والمسموع..... " (لقاء مع غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٨٤).

د- الترويج المغرض لبعض المصطلحات:

عمد الغربيون في سعيهم من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي، والإساءة لسماعته واعتداله إلى إقامة جدار فاصل بين أفراد شعوبهم الغارقة في المادية، وبين تذوق عظمة الإسلام. فكان من بين الأساليب التي استخدموها لذلك؛ الترويج لبعض المصطلحات بغرض إحداث التأثير النفسي السلبي تجاه الإسلام والمسلمين لدى المتلقين الغربيين. ومن بين هذه المصطلحات التطرف Extremism ، والأصولية Fundamentalism ، والإرهاب Terrorism.

فهذه الكلمات وغيرها مما يروج له من مصطلحات لها معانيها، وملابساتها التاريخية

والاجتماعية والثقافية لدى الغربيين وسوف نمثل لذلك بمصطلحي الأصولية والإرهاب.

١- الأصولية:

هذا المصطلح يحمل لدى الغربيين معنى " التجمد العقلي ورفض التجديد، وهو مصطلح (نصراني أوروبي) له ملابساته الاجتماعية والثقافية والتاريخية ". (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٦)

وكما هو واضح؛ فإن هذا المصطلح لا علاقة له أبدا بالمسلمين. وبالنظر في تاريخنا ندرك ذلك يقينا حيث لم نعرف لهذا المصطلح أصلا لدينا، لكن الغربيين بسبب تحاملهم على الإسلام والمسلمين، يرون في كل صورة من صور الاعتزاز بالإسلام والامتثال لأحكامه ضربا من الأصولية التي لا بد من محاربتها والقضاء عليها. وقد أشار إلى ذلك أنور إبراهيم نائب رئيس الوزراء ووزير المالية في ماليزيا بقوله:

"... كانت لي مناقشات مع بعض قادة الناتو^(١) كجزء من عملي. والمحزن في هذا الأمر أنه لم تكن هناك أية محاولة لفهم، أو إدراك مشكلات العالم الإسلامي إلا من خلال نظرتهم إلى الإسلام وتحاملهم عليه، فكل ما هو إسلامي بالنسبة لهم يعتبر أصوليا، والحالة الإسلامية بالنسبة للسياسي الغربي هي التطرف بعينه ". (حوار مع أنور إبراهيم في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٧٦).

ولهذا وجدنا كثيرا من الساسة والمنظرين الغربيين، يحذرون من الأصولية الإسلامية ويدعون إلى مواجهتها.

يقول ويلي كلاس أمين عام حلف الأطلسي: " إن الأصولية الإسلامية لا يمكن

(١) نسبة إلى حلف الناتو أو حلف شمال الأطلسي، وهو معاهدة تتوفر بمقتضاها قيادة عسكرية موحدة للدفاع المشترك عن ١٦ دولة غربية، وتم تأسيسه عام ١٩٥٠ م / ١٣٧٠ هـ بوساطة الدول المتحالفة بموجب معاهدة شمال الأطلسي التي نهضت بأعباء دفاعها المشترك عن ١٦ دولة غربية ضد أي هجوم محتمل من الاتحاد السوفيتي السابقة، وتقع رئاسة المجلس في بروكسل ببلجيكا. (الموسوعة العربية العالمية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م، ج ٩، ص ٤٧٨).

وصفها إلا أنها أخطر من الشيوعية ". (سلطان في مجلة البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٨ ، ص ٧٣).

ويقول نيوت جنجرتش، زعيم الكونجرس الأمريكي: "إن على أمريكا رسم سياسة واستراتيجية شاملة لمواجهة الخطر الإسلامي. " (سلطان في مجلة البيان، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ع ٨٨ ، ص ٧٣).

ونجد زيجينو برجنسكي، مستشار الأمن القومي السابق للرئيس الأمريكي؛ يعترف بأن " الغرب يخشى بالفعل التوجهات النظرية والأصولية للعالم الإسلامي، ويسعى إلى تشويه سمعته إلى أقصى حد.. " (المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٩).

وقد تعدى الأمر مجرد القول إلى الفعل، حيث وجدنا قادة الصرب يقولون على رءوس الأشهاد: " إننا نمثل سدا لأوروبا المسيحية أمام المد الإسلامي الذي تمثله جمهورية البوسنة والهرسك " ووجدنا كذلك فرانسوا ميتران يسر في أذن بيجوفيتش عبارته الشهيرة " لا تظن بأننا سنسمح بإقامة جمهورية (أصولية)!! في قلب القارة الأوروبية..!! " (الدعوة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ع ٤٧، ص ٩).

وقد بذل الغرب كل جهده من أجل تحقيق ذلك كما شاهدنا وسمعنا.

وكما أشرنا قبلا فإن الغرب لا يخلو من المثقفين والمفكرين العقلاء ممن يزنون الأمور بموازينها، ويدركونها على حقيقتها، ومن بينهم غويتسولوا الذي يفرق بين الرؤية الأصولية للدين، وبين تطبيق هذه الفكرة بواسطة العنف حيث يقول في ذلك ما نصه:

" الأصولية في نظري ظاهرة عالمية فهناك أصولية هندية (تهدم المساجد وتهاجم الديانات الأخرى)، كما هنالك أصولية يهودية يمثلها المتطرفون والمستوطنون اليهود في الأراضي المحتلة، كما هنالك أيضا أصولية إسلامية .

ولكن ما يجب في نظري هو أن نضع تمييزا وتفريقا بين رؤية أصولية للدين وبين تطبيق هذه الفكرة بواسطة العنف. يجب وضع هذه الحدود بصفة واضحة، ففي أوروبا لا

تراعى هذه الحدود بصفة واضحة. إذن فكل واحد يمكن أن تكون له رؤية خاصة للدين وللثقافة وللحضارة، لكن لا يمكنه فرضها على الآخرين بالقوة والعنف، وبذلك يجب نبذ التيارات المتطرفة".

وهناك أخيرا مسيحية أرثوذكسية توجد بالأساس لدى بعض الصربيين، وهي رهيبة، كما ظهرت في حملات التطهير العرقي التي مورست ضد المسلمين إبان الحرب الأخيرة.

فالحديث كثيرا عن الأصولية الإسلامية رغم أن هناك أصوليات كثيرة، فأعتقد أنه يجب الحديث عنها كلها." (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٤).

ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن تستخدم وسائط الثقافة في تعريف أفراد المجتمع الإسلامي والمرأة بخاصة؛ بالمفهوم الحقيقي للأصولية، وكيف يمارسه الغربيون واليهود ضد المسلمين، وأثر تلك الممارسات على المجتمعات الإسلامية، وخاصة المرأة التي عانت كثيرا من الاضطهاد والتعذيب على أيدي المتطرفين من اليهود وغيرهم.

٢- الإرهاب:

هذه الكلمة صدرها الغرب إلينا كما فعل مع غيرها. وقد كانت تطلق في السبعينيات من هذا القرن على المنظمات التي تمارس العنف ضد الأفراد والمنشآت والطائرات.. إلخ، للمطالبة بمطالب سياسية معينة، كمنظمة (إيتا) التي تعمل على انفصال إقليم الباسك^(١) عن أسبانيا، كما أنها استخدمت أيضا، وبصفة خاصة للدلالة على أعمال النضال للفصائل الفلسطينية. (طایل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٩٦).

(١) إقليم الباسك: يقع على الحدود بين فرنسا وأسبانيا، وكان سكانه ينقسمون إلى مجموعات محلية أو يحكمهم الفرنسيون أو الأسبان. وقد طالبوا بحكومة منفصلة منذ أواخر الستينيات، وتسبب ذلك في انتشار العنف، ومنحتهم الحكومة الأسبانية حكما ذاتيا عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م (الموسوعة العربية العالمية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م، ج ٤، ص ٦٤).

لكن وفي أواخر الثمانينيات؛ استخدمت هذه الكلمة في وصف الإسلام بصفة عامة، وذلك من خلال إساءة فهم المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، حيث عمد الغرب إلى فصل الكلمة عن سياقها، وسخر كل إمكاناته من أجل محاربة "الإرهاب" الذي يقوم به المسلمون من قبل المجتمع الدولي كافة. وفي ذلك يقول طایل:

"إن هدف التحالف الغربي الصهيوني من استخدام كلمة (إرهاب) في غير موضعها الصحيح، وتسخير وسائل الإعلام العالمية للترويج لفكرة (التعاون) الدولي من أجل محاربة الإرهاب، هو بمثابة حرب نفسية، وإلقاء لطعم سام، يكون من نتائجه أن ينفر المسلمون من واحدة من أعظم آي القرآن الكريم وأجمعها، كما أن استخدام هذه الكلمة هو بمثابة التكنية عن إعلان الحرب على الإسلام والمسلمين، دون استخدام ألفاظ مستفزة، فهو ردع للأمة الإسلامية عن طريق (الشك والغموض). (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٦).

ولم يكتف الغرب بالأسلوب الثقافي والنفسي للردع، وإنما عمد أيضا إلى استخدام أسلوب الاستعداد المباشر والمعلن، ومن الأمثلة على ذلك:

- تصريح رئيس إسرائيل السابق (حاييم هرتسوغ) في مطلع عام ١٩٩٣م / ١٤١٤ هـ، حين قابل رئيس وزراء بريطانيا السابق (جون ميجور) حيث قال ما نصه: "إن التشدد الإسلامي قد أصبح يهدد بزعة السلام العالمي".

- الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في إطار ما سمي بـ (غزة / أريحا أولا) على محاربة ما سمي بـ (الإرهاب الإسلامي).

(طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٧-٩٨).

ومما يؤسف له أن كثيرا من القادة والمفكرين والإعلاميين قد انسقوا وراء هذه الدعوات فوجدناهم يؤيدون ويساندون الغربيين في محاربتهم لـ (الإرهاب الإسلامي)،

ويطلبون الدعم من أجل ذلك، غير مدركين لخطورة ذلك على واقع المجتمع الإسلامي والمتمثل في "تحويل طاقة التدافع الكامنة في النفس البشرية - كما خلقها الله تعالى ومنحها هذه الخاصية - إلى داخل المجتمع، بدلا من أن توجه إلى دفع العدو الخارجي.. فتسود الفوضى..." (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٩).

فالواجب يحتم توضيح أثر هذه الدعوات على المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وعلى المرأة المسلمة بصفة خاصة والتي أصبحت في العصر الحاضر، وفي كثير من بقاع العالم تواجه من العنت والاضطهاد الشيء الكثير بسبب هذه الدعوات وأمثالها. وأبرز ما تواجهه يتمثل في المناذاة بتركها للحجاب واعتباره رمزا من رموز الإرهاب.

ففي فرنسا انفجر الغضب على الإسلام والمسلمين بسبب الحجاب، الذي رأت فيه فرنسا رمز تحد للحضارة الفرنسية. وهذا ما دعا (فيليب جونزاليس) رئيس وزراء أسبانيا إلى التعبير عن دهشته عبر التلفاز، حيث صرح: "بأنه مندهش لما يجري في فرنسا حول مشكلة ارتداء الحجاب الإسلامي، إذ كيف تستطيع ثلاث فتيات يرتدين هذا الحجاب، أن يعرضن للخطر الهوية الفرنسية." (محمد الغزالي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ١١٩ - ١٢٠).

وفي إقليم كيبيك الكندي، حيث يكثّر العرب والمسلمون؛ عمدت وسائل الإعلام العالمية والكندية إلى الربط بين الحجاب وأعمال العنف، مما دعا منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان في كيبيك في دراسة لها بعنوان (التعددية الدينية في كيبيك تحد اجتماعي)، إلى الدفاع عن حق الطالبات في ارتداء الحجاب في المدارس، ولم تر فيه أي سبب للدعاء على مرتدّيته بأنها (إرهابية)^(١). (المسلمون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٢٦)

بل نجد الأمريكي المسلم لويس فراخان^(٢) بعد أن زار عددا من الدول الإسلامية، يعرب عن رأيه في الإرهاب، ويرد التهمة إلى مروجيها بقوله:

(١) يحدّد بالذكر الإشارة إلى أن غالبية سكان هذا الإقليم ينحدرون من أصل فرنسي. (المسلمون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٢٦).

(٢) زعيم جماعة أمة الإسلام بأمريكا.

"إنني عائد الآن إلى أمريكا وأعود وأنا على وعي وإدراك تامين بأنه ما من بلد آخر جلب على مختلف الأنظمة السياسية في العالم عنصر الاضطراب وعدم الاستقرار مثلاً. فعلت أمريكا ووكالاتها الاستخبارية.

فمسألة تعيين الإرهاب هذه تعتمد على من الذي يتهم من وما الموضوع.. إن أمريكا هي الآن بمثابة القوى العظمى فهي تبعا لذلك تدعي لنفسها الحق في تصنيف الدول الصغيرة بمثل ذلك التصنيف... فسمها بالإرهاب. ولكن أمريكا هذه لو دمغها الآخرون بالإرهاب الآن أو في أي وقت كان، فهل تقبل أن تخضع لقوة القانون؟

لقد دمغت أمريكا الدول الأخرى بالإرهاب كالسودان وليبيا، وسوريا، وهي ليست إرهابية إلا إذا صنف دفاعها المشروع لتحرير شعوبها وتحقيق سيادتها بأنه إرهاب. "(لويس فراخان.. في مجلة الشاهد، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠، ص ٢٠-٢١).

٣- الغزو الثقافي:

في حديثه عن الوضع المستقبلي للتردي الذي نعيشه اليوم، يقول ضياء الدين سردار: "إننا أصبحنا الآن وإلى حد كبير، تبعا لمستقبل حضارة أخرى أجنبية. إن عملية استعمار المستقبل قد بدأت. فدارسو المستقبل الغربيون لا يتعبون أبدا من تكرار أننا نسير نحو حضارة واحدة ذات مواصفات وخواص غريبة. وفي هذه الحضارة العالمية، ستكشف المجتمعات غير الغربية شكلا من التبعية العضوية، والاسترقاق الثقافي لم يشهد لهما التاريخ مثيلاً). (الجابري، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢١).

ونحن اليوم نعيش في عصر تحاول فيه الدول الأخرى فرض (هيمنتها الثقافية) من أجل إحداث هذا (الاسترقاق الثقافي) للشعوب الأخرى، مستخدمة في ذلك كل ما لديها من إمكانات ووسائل وأجهزة ومعلومات.

"وهذا ما أوضحته (الإستراتيجية الأمريكية بعيدة المدى) التي أطلق عليها (البديل الديموقراطي)... وهذا ما لخصه الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون).. في تصريحه يوم تنصيبه رئيسا في ٢٠ يناير ١٩٩٣م، حيث قال ما نصه: "إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلى

صورتنا " To transfer the world into our image " (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، من ص ٨-٩).

ويشير طایل إلى أن القيم الأمريكية المقصودة هي " القيم الليبرالية (اليهودية / النصرانية) التي صيغت ونمت في أوروبا إبان ما يسمونه (عصر النهضة)، وانتقلت إلى أمريكا مع المهاجرين، فازدادت إغراقاً في المادية والتحلل الخلقي والعدوانية " (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩).

ويعمد المروجون للثقافة الرأسمالية الغربية إلى القول بأن تعميمهم لها؛ إنما هو من باب التفاعل الثقافي، فقد جاء في الإعلان النهائي للمؤتمر العالمي الذي نظمته اليونسكو عام ١٩٨٢م / ١٤٠٢هـ ما نصه: "..... جميع الثقافات جزء لا يتجزأ من التراث المشترك للإنسانية، وإن كل الثقافات متساوية في إطار الكرامة..." (الأشقر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٣).

وهؤلاء حين يروجون لذلك لا يفرقون بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي:

التفاعل الثقافي: يكون بين جانبيين ندين، بحيث يعطي كل منهما ويأخذ بوعي، واختيار، وفقاً لمعايير مدروسة ويحتفظ في الوقت نفسه بهويته وقيمه. وهذا أمر مطلوب ومشروع لدينا.

أما الغزو الثقافي: فيكون من قبل طرف قوي لآخر ضعيف، حيث يأخذ الأخير ولا يعطي، وذلك من أجل ضمان أخذه لما لا يحتاج إليه أو ما لا ينفعه.

(القرضاوي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٤٤).

ونجد أن التقنية الحديثة، وبفضل انتشار المعلومات ووسائل نشرها، تعمل على اختراق الحدود القومية، مهددة بذلك الاستقلال الثقافي للأمم لتصبح الحدود وهمية.

وهي تحاول أن تعمم نموذجها الغربي للإنسان الذي يصفه أبو شعيرة بأنه "....إنسان غير قادر على التحرر وتغيير قدره، إرادته وهويته مجرد كومة من اللحظات التلفزيونية المتتابعة المفرطة في السرعة والتكثيف. وذاكرته معطوبة بالكامل ليس فيها سعة للتفكير والتأمل والفهم والتركيز وحتى للخيال، فكل شيء من هذا القبيل يقدم له على شكل وجبة جاهزة وممتعة.." (أبو شعيرة في قضايا دولية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٥).

فمستخدمو هذه الوسائل إنما يحاولون اختزال الإنسان إلى مجرد غرائز وشهوات، من أجل ضمان (استرقاقه) وعدم تحرره، وذلك يمثل " طغيانا " من نوع جديد حيث يعمل على إذلال الناس ودفعهم إلى الانحطاط دون ألم. وتنسحب هذه السلطة على المجتمعات النامية - بما في ذلك المجتمعات الإسلامية - مشكلة غزوا ثقافيا يجعلها تدفع ضريبة مزدوجة، ويحدث ذلك من خلال تقديم وسائط الثقافة للمتلقى نموذجين متلازمين:

الأول: يمثل نمط الحياة الغربية - اللجنة الموعودة - ومن خلاله يوعد إنسان العالم النامي بالرفاهية التي حققها لإنسان العالم الرأسمالي.

الثاني: يمثل العالم النامي باضطرابات وكوارثه الطبيعية وحروبه، مما يعصف بثقافة إنسان العالم النامي الذاتية، ويعمل على تدمير ذاتيته الشخصية، ويجعله متطلعا إلى بدائل وهمية عن واقعه البائس، فيندفع وراء تقليد ما يشاهده. (أبو شعيرة في قضايا دولية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٥).

" وقد أثبت علم نفس الجماهير كما أكدت الخبرة على أنه " من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع. وتنظر سيكولوجية وسائل الإعلام الجماهيرية إلى التلفاز على الأخص باعتباره وسيلة، ليس لإخضاع الجانب الواعي في الإنسان فحسب، بل الجوانب الغريزية والعاطفية بحيث تخلق فيه الشعور بأن الآراء المفروضة عليه هي آراؤه الخاصة "، وبذلك تسهم وسائل الإعلام في تضليل الجماهير. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠٨).

ونجد أن هذه التبعية وهذا الاسترقاق لا يحدثان إلا في ظل غياب الوعي بالأهداف والغايات التي خلق من أجلها الإنسان، مما يحدث لديه قابلية للغزو والاستعمار الثقافي والاعتقاد بكمال الآخر الذي يقتدي به، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته حيث يقول في عنوان الفصل الثالث والعشرين: " في أن المغلوب مولع أبدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ". وهو يرى بأن السبب في ذلك يرجع إلى أن " النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيم أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب " (ابن خلدون، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٥٩).

وسوف نتحدث فيما يلي عن مؤتمرات المرأة وحقوق الإنسان على اعتبار أنهما من أبرز

الموضوعات التي تمس المرأة، والتي يحاول الغرب فرض سيطرته الثقافية على المجتمعات الأخرى من خلالها.

أ- مؤتمرات المرأة:

احتكرت الأمم المتحدة قضايا المرأة من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات التي تعقد هنا وهناك، بهدف الامتداد بالنموذج الغربي بكل أشكاله ومفاهيمه ليعم جميع دول العالم^(١). وقد عقد في السنوات الأخيرة عدد من المؤتمرات التي شكلت صورة من تلك المحاولات، حيث ركزت على الإباحية والشذوذ والفوضى الجنسية. وهذا ما حدا بإحدى مندوبات الهند في مؤتمر بكين الرابع للمرأة إلى القول بحدة: " هذا مؤتمر عجيب.. لا نسمع فيه إلا الحديث عن حرية الإجهاض، وتنظيم النسل، والصحة الجنسية، بينما أطفالنا جائعون ولا يشربون مياها نظيفة، ولا يذهبون إلى مدارس، ويفتقدون الرعاية الصحية، ولا يتحدث أحد عن ذلك.. إنه مؤتمر تنظيم النسل فقط . (المجتمع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص ٣٤).

لقد أدرك الوضع العلماني المسيطر في الغرب، أنه لكي يضمن استمراريته في السيطرة فلا بد له من إلغاء الدين الباعث على الثورة والرفض، وإحلال مفاهيمه العلمانية، لضمان ولاء الأجيال الجديدة له، لمشاركتها إياه نفس الأفكار. وفي هذا السياق تأتي حركة (الفمنزم)^(٢) النسوة العلمانية (كدين جديد) لا يطالب بمجرد الحقوق للمرأة، بل بتغيير جذري وشامل يقلب المفاهيم، خاصة الدينية التي ظلت البشرية تنظر إلى المرأة من خلالها. فهي تصور التاريخ البشري على أساس أن الرجال قد قاموا منذ وقت مبكر بقلب الأوضاع التي كانت تسيطر فيها النساء، وتنادى بإعادة الأمور إلى نصابها، وعودة النساء

(١) رعت الأمم المتحدة سلسلة من الملتقيات بدءاً من عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، أعقبه عقد المرأة ثم عام الطفل ثم عام الأسرة، وقد سارت متوازية مع مؤتمرات السكان، وكان آخرها مؤتمر بكين الرابع للمرأة في سبتمبر ١٩٩٥ م. وكل هذه المؤتمرات تمثل حلقات متتابعة من أجل تدشين الاتجاه النسوي (Feminism) الذي بدأ منذ ما يزيد عن ربع قرن، وهو يختلف عن الحركة النسائية التي بدأت في مطلع القرن العشرين للمطالبة بحقوق للمرأة نسيت أو سلبت، لكنها مشروعة سواء في الشرق أو في الغرب، لكنها تطورت فيما بعد للمطالبة بحقوق مزعومة، ومهدت بذلك لظهور الفمنزم " الحركة النسوية العلمانية " التي تمثل عقيدة شمولية تطرح لكي تفرض وتسود العالم كله، وتحل محل العقائد والأديان والمذاهب (وضعية كانت أم غير وضعية). " (يحيى، في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٢-٩٥).

(٢) الفمنزم: Feminism هي " نظرية المساواة بين الجنسين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. (يحيى، في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠٣).

إلى مكانهن الطبيعي. (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٦-٩٧).

والنوع المحايد^(١) هو الغاية الكبرى من وراء الشعارات التي ترفعها الحركة النسائية العلمانية بدعوى تمكين المرأة، وإكسابها النفوذ الاقتصادي، وإلغاء التقاليد المعوقة لتقدمها، ونشر التعليم الجنسي. وهي قد اتخذت طابع العالمية بسبب الفراغ العقدي الذي يشعر به المجتمع، إضافة إلى أنها تضمن للمجتمع الغربي "إسقاط ذاته، وبسطها على المجتمعات التابعة (الإسلامية، والنامية)" (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٩).

ويلاحظ وجود مدافعين وأنصار كثر لهذه الحركة في عالمنا الإسلامي ويتمثلون في "النخب العلمانية"^(٢) ذات الهيمنة على مجريات شئون مجتمعاتنا، وهي وإن كانت محدودة العدد إلا أن سيطرتها على مفاتيح مؤسسات الإعلام، والتعليم والثقافة - بل والسياسة - تعطي لها نفوذا يفوق حجمها بكثير" (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٩).

وأدعى ما في الموضوع، أن الأمر لا يتوقف عند مجرد عقد المؤتمرات، وإصدار القرارات بحيث يلتزم بها من أراد، بل إن هذه القرارات والتوصيات تفرض فرضاً على الدول، حيث تتحول إلى سياسات تلتزم بها الأجهزة الحكومية، وغير الحكومية، في جميع دول العالم. وتقوم الأمم المتحدة بالتأكد من تنفيذها، ويساندها في ذلك الإعلام الدولي، وشبكة المعونات الأجنبية التي تمثل أداة التدخل والتأثير في الدول الإسلامية في العصر الحديث، إلى جانب المنظمات غير الحكومية التي تمارس نفوذاً قوياً على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل، والتي أصبحت تمثل "الذراع الأساسي للحكومة

(١) يقصد بالنوع المحايد: "أن يكون المخلوق البشري مادة خاماً، تخلو من الملامح والقسمات التي درجت البشرية على التمييز من خلالها بين النساء والرجال كنوعين مختلفين لجنس واحد، لكل منهما أوضاع وأدوار محددة يقوم بها داخل الأسرة." (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٧).

(٢) صرح عضو مجلس الشيوخ الأمريكي البارز السناتور (هيلمز) في ٢٧ يوليو ١٩٩٥م / ١٤١٥هـ "أن المؤتمر تديره وتحدد أفكاره جماعة محدودة من النساء اليساريات (وهذا اللفظ من الاصطلاح الأمريكي يتضمن معاني العلمانية الملحدة) اللواتي يعملن لهدم قيم الأسرة وسائر التعاليم الأخلاقية" (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٩).

العالمية في فرض وإعمال كل السياسات الموضوعية في مؤتمرات المرأة والسكان، وهذه المنظمات تضم نخبا نسوية علمانية منعزلة عن مجتمعاتها الإسلامية، لكنها تستمد قوتها بفضل الدعم المادي والمعنوي الذي تتلقاه من شبكاتها الخارجية، وهي أكثر ارتباطا بالوضع العلماني الغربي منها بمجتمعاتها المحلية حيث تعمل فروعها لها، وتمارس نفوذا لا يتناسب والحجم الحقيقي لأفرادها، أو وزنهم الفكري. " (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠١-١٠٢).

وهكذا يجد العالم الإسلامي نفسه مع حركة فكرية، تسعى إلى نشر أفكارها بأسلوب التآمر الخفي وليس بوسائل الحجة والإقناع، فتعتمد إلى إجبار المجتمعات الإسلامية على تنفيذ سياسات لا تتناسب وتصوراتها الإسلامية، وكما يقول يحيى؛ فإن اللجوء إلى هذا الأسلوب المشبوه في الفرض، يدل على ثقة مروجي هذه الأفكار من أنهم لو طرحوها على حقيقتها فلن تجد صدى لنداءاتها؛ لذلك يعمدون إلى أسلوب الفرض. (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ١٠٣) فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة من خلال وسائط الثقافة؛ بحقيقة هذه المؤتمرات، وحقيقة الاضطراب الثقافي والعقدي والحضاري الذي يعاني منه إنسان الثقافة الرأسمالية، والذي يدفعه إلى محاولة فرض شذوذه واضطرابه على غيره من أفراد الأمم الأخرى، وأن تعمل كذلك على تعريفها بالدور الذي يمكن أن تقوم به من أجل تصحيح هذا الاضطراب الذي أفرز ظلما كبيرا على الإنسان بصفة عامة، وعلى المرأة بصفة خاصة، التي وقع عليها القسط الأكبر من الظلم في غالبية المجتمعات البشرية.

كذلك ينبغي توجيه المهتمين بقضايا المرأة في العالم الإسلامي؛ إلى أن بإمكانهم تناول نفس القضايا والموضوعات التي تثيرها هذه المؤتمرات، من أجل تأكيد تميز الطرح الإسلامي عن غيره، بدلا من الهجوم عليها. وذلك لأن الإسلام ينظم أمور المرأة بطريقة أكثر إنسانية عن غيره من الأديان والفلسفات، ونظرته إلى المرأة جديرة بالطرح أمام المحافل الدولية، وفي الوقت نفسه ينبغي العمل على تحسين وضع المرأة في العالم الإسلامي التي أسيء إليها بمقتضى الأعراف والتقاليد المخالفة لما جاء به الإسلام.

ب- المناداة بحقوق الإنسان:

حقوق الإنسان من الشعارات التي يرفعها الغربيون دوما ويعتبرون المناداة بها أحد

أهدافهم التي يرون فيها سبيلا يساعدهم - كما يقول طایل - " على تهيئة عقول وضمان
الأمم الأخرى لقبول فكرة سمو وتفوق أهل الشمال على أهل الجنوب، وتبعية هؤلاء
لأولئك. " (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٢).

وقضية حقوق الإنسان، ليست في الأساس قضية غربية، وإنما هي قضية مبنية أساسا
على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهذا الإعلان عبارة عن وثيقة وفاقية صدرت عام
١٩٤٨م / ١٣٦٨ هـ، وهي تحمل مزيجا من أفكار وقيم النظامين الليبرالي والاشتراكي إلى
جانب بعض القيم الدينية العامة. ثم تأسست على هذا الإعلان مئات الإعلانات
والمواثيق الدولية، وكلها بلا استثناء كانت لصالح العالم الثالث. (حوار مع المنصف
اللواتي في الحياة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٢٢٥٠).

وقد أخذ الغرب يعمل منذ فترة طويلة من أجل تحقيق هذا الهدف، ومن الإشارات
الدالة على ذلك؛ التقرير الذي قدمه الدكتور (إرنست ليفر - Ernest Lever) مساعد
وزير الخارجية الأمريكي إلى مجلس الشيوخ الأمريكي في عام ١٩٧٨م / ١٣٩٨ هـ، الذي
صادق عليه المجلس ونشرته مجلة (بوليسي ريفيو Policy Review) في شتاء نفس العام.

وقد دعا ليفر إلى أن تصبح فكرة (حقوق الإنسان) أحد مكونات السياسة الخارجية
الأمريكية، بهدف التدخل في شئون الدول الأخرى من خلال ممارسة الضغوط، والإكراه
المعنوي العميق، لإجبارها على تغيير سياساتها الداخلية ومؤسساتها، وعلاقاتها السياسية
مع الدول الأخرى. وكان مما قاله في التقرير:

"... ولن يحدث هذا إلا إذا شاركتنا المجتمعات الأخرى نفس قيمنا.. وعلى
الولايات المتحدة أن تنصب نفسها حكما على المجتمعات الأخرى وحكوماتها، وأن
تحدث في سياساتها الخارجية اضطرابات عند اللزوم.. وأحذر من أن تؤخذ فكرة
(السيادة) وما ينبع عنها من صلاحيات واختصاصات داخلية مأخذ الجد.. فقد أصبحت
فكرة السيادة هذه بمثابة العقبة النهائية أمام استخدام فكرة حقوق الإنسان في مجالي
السياسة الخارجية والسياسة الدولية. " (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٧٢).

والواقع المعاصر يشير إلى تحقق أهداف الغربيين في المجتمعات الإسلامية، لما أصبح
عليه المسلمون اليوم - إلا من رحم الله - من انهماك نفسي؛ جعلهم ينطلقون في تبعية
عمياء للغرب، وفي ذلك يقول طایل:

وعلاقة تبعية أمة لأخرى، هي حالة من حالات الانهزام النفسي التي وضع لها العلامة ابن خلدون وصفا وتبريرا ونتيجة، " وشعور أمة بتفوق أمة عليها.. يجعل الخوف والانهزام يسكنان نفوس أفراد التابعين، ويمنعهم من القدرة على الابتكار، ولا يترك لهم سوى خيار (تعميق التبعية)، ونبذ ثقافتهم الأصلية، والجري لاهتين لالتقاط سقط متاع ثقافة الأمة التي يظنون أنها متفوقة عليهم. " (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٢).

ونجد هذا قد تحقق في جري كثير من المسلمين وراء دعاوى المؤتمرات التي عقدت بهذا الخصوص، سيما مؤتمرات المرأة التي أشرنا إليها آنفا، والتي أسفرت عن جري كثير من المسلمات المعاصرات وراء التفسيرات المحلية لمفهوم حقوق الإنسان لدى الدول الأخرى، دون أن يتفهمن أن ذلك إنما يتماشى مع رغبات تلك الدول ومصالحها.

ومن الإشارات الدالة على ذلك؛ أن مؤتمر بكين قد اهتم كثيرا بأمور الصحة المتعلقة بالنسل والأمراض الجنسية والمعدية والإجهاض التي يبلغ عدد المصابين بها ٤ ملايين حالة، في حين أهمل الأمراض الاستوائية التي يتراوح عدد المصابين بها ما بين ٦٥٠ و ٨٥٠ مليون حالة خلال عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، وذلك بحسب إصدارات منظمة الصحة العالمية. (رسالة الفاتيكان إلى أمين عام مؤتمر بكين، في قضايا دولية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٣٠٠، ص ٣٥).

فهذه المؤتمرات تهمل تماما حقوق الإنسان في الدول الأخرى ولا تهتم إلا (بإنسانها) الذي ترعاه وتبذل جهدها من أجل توفير كل أسباب الراحة له.

ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك ما ذكرته خديجة الترابي في حديثها عن الجهاد في كشمير؛ حيث إنها تشارك في المؤتمرات النسائية العالمية والعربية من أجل التعريف بالقضية الكشميرية. وقد وجدت أن هذه المؤتمرات لا تعرف الكثير عن قضية كشمير "... وللأسف هذه المؤتمرات تناقض نفسها، حيث إنها تعمل باسم حقوق المرأة، مع أن المشاركات فيها لا يعرفن أن سبب معاناة المرأة المسلمة في كشمير هو السياسات القمعية التي تتعرض لها من قبل الاحتلال الهندوسي" (لقاء مع خديجة الترابي في عكاظ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٩٨٥).

ومن الشعارات التي يرفعها الغرب في مناداتهم بحقوق الإنسان (الدعوة إلى المحافظة على البيئة)؛ وهو شعار مقبول و محبذ من المجتمع، إلا أن الغربيين - وكما يقرر

طايل - يستهدفون من ورائه السيطرة على الأرض، وما فوقها وما تحتها، بدعوى امتلاكهم تكنولوجيا المعلومات، ووسائل التنبؤ والتحكم، فهم بذلك الأقدر على الحفاظ على البيئة التي تفسدها تصرفات الأمم المختلفة، وهم الأقدر على التصرف في الثروة الطبيعية والنباتات والمياه في الوقت الذي يصدرن فيه إلى الأمم الأخرى المبيدات والكيماويات التي تمثل حربا حقيقية ضد الأحياء... (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٨٧-٨٨).

وأخطر دعاوى الحفاظ على البيئة تتمثل في التحكم في المواليد. (Birth Control)، والذي يترجم بالخطأ على أنه تنظيم للأسرة، حيث يصحب من باب التضليل ببعض الدعاوى الخاصة برعاية الأمومة والطفولة.

يقول طايل:

"لقد صارت فكرة (التحكم في المواليد)، أحد مكونات الصراع الثقافي العالمي، فانخفاض نسبة المواليد لدى اليهود وفي أوروبا وأمريكا والجمهوريات السلافية بالاتحاد السوفيتي (سابقا) سوف تجعل هذه البلدان مجتمعات (مسته) في مطلع القرن القادم.. أي أن المعولين فيها أكثر في نسبتهم من القادرين على العمل، في حين أن بلدان الأمة الإسلامية - بنسبة مواليدها العالية - ستكون بمطلع القرن الميلادي القادم بلدانا (شابة) لديها قوة عمل تستطيع تشغيلها، وتصدير بعضها إلى أوروبا وأمريكا، فتتزايد نسبة المسلمين هناك ويتواجدون في كل القطاعات الاقتصادية." (طايل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٨٧ - ٨٩).

فينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة إلى أهمية تحقيق التوجيه النبوي الكريم: "تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة" (ابن حنبل، د.ت، ج ٣، ص ١٥٨)، وكيف أن التبعية العمياء لتوجيهات الغرب في الحث على تحديد النسل؛ تحالف التوجيهات النبوية، إلى جانب أنها تخدم مصالح الغربيين.

ويحتاج الغربيون في دعوتهم إلى تحديد النسل بنظرية مالتس^(١) في السكان، وهي نظرية خطأها الكثيرون.

فينبغي توضيح خطأ هذه النظرية، والتي هي كما يقول عنها طایل: (محض هراء؛ لأن الإنسان لم يستغل حتى الآن سوى القليل جدا من موارد الأرض، كما أن الله - سبحانه وتعالى - لم يخلق الخلق عبثا). (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٠).

وهو سبحانه قد تكفل برزق مخلوقاته ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود].

كذلك ينبغي على التربية أن تؤكد على الإنسان، باعتباره محور الإنتاج ومحور عملية التنمية، فهو الخليفة الذي أوكل الله إليه مهمة اعمار الكون، وهي مهمة لا تتحقق على أكمل وجه إلا بالعدد الكبير من البشر، وهذا ما توصل إليه بعض المفكرين الغربيين ومنهم (كارل هاوس هوفر) الذي يعتبر أن من عوامل قوة الأمة واستمرارها أن يكون لديها "معدل عال من المواليد." (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩٠).

أيضا ينبغي تنبيه المرأة بخاصة والمجتمع الإسلامي عامة - عبر وسائط الثقافة المختلفة - إلى الأساليب التي يتبعها الغربيون من أجل تحقيق سياسة التحكم في المواليد في مجتمعاتنا، حيث يعمدون إلى استغلال تقدمهم العلمي والتكنولوجي من أجل إمداد الدول الأخرى - بما فيهم نحن - بالأدوية والأمصال وغيرها، من أجل خفض معدلات المواليد.

تقول خديجة سيف الدين الترابي مسئولة القسم النسائي ببيئة الإغاثة لمسلمي كشمير في لاهور بباكستان: إن المرأة في كشمير "تعرض للعديد من المحاولات الرامية إلى قطع

(١) يعتبر توماس مالتس الذي عاش في القرن الثامن عشر، أول من اهتم بدراسة الأزمة السكانية، حيث خلص من دراساته في الموضوع إلى أن الموارد الغذائية تتزايد وفقا لمتوالية حسابية: (١، ٢، ٣، ٤،)، في حين يتزايد السكـان وفقـا لمتوالـية هندسـية: =

= (١، ٢، ٤، ٨،)، ومن ثم فإنه سيأتي وقت يزيد فيه حجم السكان أضعافا مضاعفة عن الموارد الغذائية. الأمر الذي ينجم عنه مجاعات وأمراض وأوبئة، وقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات كثيرة، أجمعت على أن مالتس قد نسي مقدرة الإنسان على التطوير التقني الذي يمكنه استخدامه في زيادة الإنتاج الغذائي، وإحداث توازن بين النمو السكاني والغذائي. (القاسمي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ١٧).

صلتها بالإسلام من خلال غزوها ثقافيا بالكتب الإباحية والدعاوى الفاسدة للاختلاط، وتعرضها لعمليات الاغتصاب الفردي والجماعي فضلا عن حملات تنظيم الأسرة التي تهدف إلى تقليص عدد سكان وادي كشمير المسلمين. وبالفعل نجحت هذه الحملات في خفض نسبة السكان من ٨٥٪ إلى ٦٥٪. ومع ذلك، فهناك حرص من قبل المرأة الكشميرية المسلمة، على مقاومة هذا الغزو وعدم الاستسلام لأية محاولة لقطع صلتها بدينها وثقافتها." (لقاء مع خديجة الترابي في عكاظ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٩٨٥).

وأهم ما ينبغي أن تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إليه هو سياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها الدول الغربية فيما يتعلق بحقوق الإنسان، بحيث تستخدم هذا شعار كجزء من مصالحها وأسلحتها.

فهي قد استعملته ضد الشيوعية لتدميرها، ونجدها في الوقت الحالي تستخدمه بصورة "انتقائية وفقا لمصالحها" فتطبقه في الدول الإسلامية بطريقة، وفي الدول الأخرى الموالية لها - كإسرائيل - بطريقة أخرى. (لقاء مع المنصف اللواتي في الحياة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٢٢٥٠).

٤ - النظام العالمي الجديد:

وهذه فكرة ثقافية بالدرجة الأولى، ومفادها "انتهاء الانقسام في داخل الحضارة الغربية، التي يصفونها بأنها (يهودية / نصرانية) وذلك بعد أن اندحرت الماركسية، وأصبح على المعسكر (الليبرالي الغربي) بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، أن يعيد تشكيل العالم على مقتضى قيمه". (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٧٠).

وكما هو واضح فإن هذا النظام ليس له من العالمية سوى اسمه، إذ الهدف منه هو التدخل في سيادات الدول وثقافتها بالقوة. ونجد أن أول وأبرز إصاباته في عالم المسلمين هو التمكين لسيطرة اليهود، وتهوين القيم الإسلامية ومحاصرة مؤسسات العمل الإسلامي. (حسنة في مقدمة السائح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢١).

وأخطر مراحل هذا النظام تتمثل في "التطبيع الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي مع اليهود، فهذه المرحلة يمكن اعتبارها الصورة الأحدث للغزو الفكري المكشوف ... " حيث يقتضي اقتلاع الثوابت الدينية والوطنية، ومحو الذاكرة العربية المسلمة وإلغاء مخزونها الثقافي والفكري، وإيقاف الموارد الثقافية والتواصل والنقل

المعرفي بين الأجيال تحت عنوان التجفيف وإعادة التثقيف، والمقصود بذلك تجفيف منابع الدين؛ بحذف الآيات والأحاديث النبوية التي تتناول اليهود وأخلاقهم، ومسح الشخصيات التاريخية للأمة. (حسنة في مقدمة السائح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢١).

فينبغي توجيه وسائط الثقافة المختلفة من أجل توعية أفراد المجتمع الإسلامي، وخاصة المرأة بحقيقة النظام العالمي الجديد والعمل على تحصينهم ضد تيارات الغزو المختلفة بما يحفظ للأمة الإسلامية كيائها من الذوبان في الثقافات الأخرى.

كذلك ينبغي توجيه وسائط الثقافة؛ بحيث توضح لأفراد الأمة الإسلامية حقيقة التدافع في الاجتماع البشري، والذي هو سنة من سنن الخالق سبحانه وتعالى في هذا الكون، فهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتِ صُلُوبُهُمْ وَأَسْفَلَتْ وَصُولُهُمْ وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

ومن ثم ندرك أن الغزو الثقافي ليس شرا كله، بل هو من المنبهات الثقافية والتحديات الحضارية الضرورية لإعادة شحذ الفاعلية، واستعادة الذات، وإنهاء حالة الاسترخاء والكسل، واكتشاف الأسباب التي أدت إلى ما نزل بالمسلمين من عقوبات. فكما أننا بحاجة إلى معرفة الخير لفعله؛ كذلك نحن بحاجة إلى معرفة الشر من أجل الابتعاد عنه، فلا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية. (حسنة في مقدمة السائح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٣-٢٤).

ومن المهم جدا معالجة موضوع الغزو الثقافي؛ باتزان وتعقل، دون إفراط ولا تفريط، بحيث نستفيد من التوجيهات القرآنية؛ التي توصينا بأن نكون في غاية الحذر، خاصة إذا ما كنا مستهدفين، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغَفَّلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاجِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

فالأمر يقتضي منا أخذ الأهبة، والاستعداد، وفي الوقت نفسه المهادنة، ولكن ليس إلى درجة الغفلة التي تجعلنا قابلين لأن يغزونا الآخرون كما هو حالنا الآن.

٥- تفاعل الحضارات:

في السنوات الأخيرة ظهرت نظرة سياسية معاصرة لدور الثقافة تدور حول " شكل عالم الغد بعد انتهاء الحرب الباردة ودخول العالم في وفاق ظاهري "(مصطفى الفقي في

المستقلة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٣)، حيث وجد البعض في صراع الحضارات بديلا للصراعات التي بدأت تختفي. حيث عمد بعض المفكرين الغربيين إلى التعبير عن مخاوفهم مما أسموه بالحضارات الشرقية والإسلام.

وقد تزامن نشوء هذه الفكرة مع اندلاع حرب الخليج، حيث أعلن (صمويل هنتنغتون) عن رؤيته في مقالة له بعنوان: "صدام الحضارات" التي وجه فيها أنظار الغرب إلى أهمية أخذ الأهبة والاستعداد لصراع الحضارات الذي ستكون نتيجته الحتمية الحرب. ثم سار على دربه، (فوكوياما) في كتابه نهاية التاريخ، (غليون في ندوة مجلة الدبلوماسية عن حوار الحضارات والثقافات، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٤، ص ٨-٩).

ويشير فهمي جدعان إلى أن هؤلاء المفكرين لا يهدفون إلا إلى تصعيد الرعب والخلاف والصدام مع الآخرين من أجل ضمان السيطرة والهيمنة، وحماية المصالح، متشبثين بمنطق (الصراع، والبقاء للأقوى)، ومن أجل إلحاق الهزيمة والفشل بكل المشاريع الحضارية والثقافية الأخرى. (جدعان في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٨).

وقد قوبلت هذه الأفكار بالنقد الشديد، حتى من قبل المفكرين الغربيين، ومن بينهم غويتسولوا، الذي حينما سئل عن الأطروحة التي قدمها ودافع عنها هنتنغتون بأن الإسلام هو العدو الحالي والقادم للغرب أجاب:

"إنها سذاجة وفكرة سيئة، فالغربي يبدو دائما في حاجة إلى عدو، تاريخيا ولأسباب جغرافية، كان هناك صدام ومواجهات في أسبانيا أولا، ثم في البلقان مع الإمبراطورية العثمانية. مواجهات ربحها الغرب آنذاك، ثم وفي العقود الأخيرة كانت الشيوعية هي العدو، ولكن تطورات السنوات الأخيرة وزوال الشيوعية قوض ذلك، ومنذ ذلك الوقت بدأ البحث عن عدو جديد. وفي هذا الإطار تندرج الأطروحة الساذجة لهنتنغتون".

ثم يضيف قائلا بأن العلاقة بين الغرب والإسلام يجب أن يكون قوامها "... الاحترام والاستفادة المتبادلان، لا مركبات أو مشاعر الإحساس بالنقص." (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٤).

وتقول ديان سنغرمان، الأستاذة بقسم العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية بواشنطن:

"إن كتاب هنتغتون مشهور في أمريكا وقد أثار اهتمام الناس؛ لأنه يقدم وجهة نظر جديدة، لكن الحذر منه واجب، ومن فرانسيس فوكوياما وأمثاله. هؤلاء جميعا نحن لا نرغب أن تكون لنا بهم صلة، ونحن حين نجلس نتحدث عنهم فليس ذلك من باب الاحتفاء بهم" (ندوة مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ١٦).

ويؤكد الكثيرون على أن هنتغتون لا يتحدث عن صراع بين الحضارات، وإنما بين الأديان، وكل ما في الأمر - كما يقول الإيراني (بيروز مجتهد زاده): "هو أنه استعمل مصطلحا مختلفا، فهو يستعمل مفهوم الحضارة كما يتفق مع تصوره هو. وهو بمعنى ما قد اصطنع وضعاً للناس ما لبثوا أن أخذوا معه يرددون ما يقول: تنافس الحضارات، صراع الحضارات... إلخ" (ندوة مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ١٤).

ويتضح عدم وضوح الفكرة لدى هنتغتون؛ إذا ما علمنا أنه لا يتحدث عن الإسلام فقط، بل عن الإسلام المتحالف مع الكونفوشية فهو - كما يقول د. (أنتوني سوليفان): ".... يرى تحالفاً ما قائماً بين الإسلام والكونفوشية، ولو أن أحداً فكر بهذا الأمر على هذا النحو فإنه سينظر إلى المسألة وفق صيغة الغرب ضد الآخرين." (ندوة مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ١٦).

ووسائط الثقافة في البيئات الإسلامية حينما تتناول هذه الفكرة وأمثالها مما يشيع في العالم، فإنها تنبه الأذهان لما يجد في العالم من أفكار واتجاهات، لكنها في الوقت نفسه يجب ألا تكتفي بذلك؛ بل توجه وسائط الثقافة لديها من أجل مواجهة هذه الأفكار بالحجج والبراهين التي تدحضها. فصحيح أن هناك توترات في العالم، لكنها ليست بسبب الأديان وإنما بسبب سوء الفهم بين الشعوب والذي يمكن إزالته من خلال التواصل والحوار.

يقول سكوت هيبارد، مسئول برامج الأديان والأخلاق وحقوق الإنسان في معهد الولايات المتحدة الأمريكية للسلام:

"إنني أعتقد أن هذه التوترات التي تقوم بين الأمم، إنما تنشأ وتتجذر في أرضية من

الجهل الغالب؛ لأنها في الأصل ولحد بعيد نتائج للإعلام والرأي العام"، وذلك من أجل خدمة أغراض سياسية. (ندوة مجلة الدبلوماسية عن حوار الثقافات والحضارات، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ١٣).

٦- الأمن الثقافي:

ترتبط الثقافة بالأمن الداخلي للأمة، من حيث إنها تؤدي إلى الوحدة والتماسك بين أفراد المجتمع؛ ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ١٢].

أما من الناحية الخارجية، وكما أشرنا سابقا - فإن اختلاف الثقافات؛ هو من سنن الله التي تحقق التدافع. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨].

ونجد الغربيين لا ينكرون تمايز الثقافات عن بعضها البعض، بتمايز حضارات الأمم المنتمية إليها.. فلكل من الصينيين، والهنود، والمسلمين حضارة تتميز عن غيرها. فالغربيون لا ينكرون تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها إلا فيما يتعلق بالحضارة الغربية. فهنا تبرز دعوى عالمية الحضارة وعالمية الثقافة.

أما السبب في ذلك فهو - كما يقول د. عمارة - أن أيًا من تلك الحضارات لا تمتلك إمكانات المنافسة والتأثير خارج حدودها، فالفكر الغربي حريص على فرض ثقافته وحضارته على العالم الإسلامي؛ لأن الثقافة الإسلامية هي الوحيدة التي تمثل تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات الغرب. (عمارة في المسلم المعاصر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م، ع ٧٣ و ٧٤، ص ٧-٨).

ولهذا وجدنا الغربيين في السنوات الأخيرة؛ يروجون لفكرة "تصادم الحضارات"، إذ يعتبرون أن مركز التهديد للحضارة الغربية قد انتقل من الشيوعية إلى مواطن أخرى جنوبية.

فإذا ما أدركنا رغبة الآخرين في تصفيتنا؛ فإن الأمر يقتضي من التربية أن تعمل على توجيه أفراد المسلمين - ذكورا وإناثا - من أجل العمل على الحفاظ على الذاتية والهوية الإسلامية من أجل سلامة وأمن ثقافتنا الإسلامية.

ومن أجل الانطلاق نحو هويتنا الأصلية، والانعقاد من الأطر الثقافية التي سجننا فيها الغرب، فإنه يواجهنا في طريقنا اتجاهين:
الأول: رفض ما جاء به الغرب بالكلية.

الثاني: الذوبان تحت شعار العالمية والأخوة الإنسانية.

والأول يمثل رجعية يجب أن نتخلى عنها؛ لأنها السبب في تخلفنا وجودنا، عندما رفضنا أن نساير سنة الله في التغير والتطور. (عبد العظيم، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ١٤٩-١٥٣)، وذلك لأن الثقافة المتوارثة غير كافية، فلا بد من فقه للدعوة، ولأنظمة الإسلام، ومعرفة للعصر، وللمواقع المتقدمة للعمل الإسلامي المعاصر. (حوي، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٣٨). أما الثاني، فهو كلمة حق يراد بها باطل كما عرفنا مسبقاً، ومن ثم فإنه لا بد لنا من خيار ثالث، والمتمثل في الإسلام على أصالته والذي قال عنه ﷺ: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ). (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ٦٥، ص ١٣٠).

فلأمر يقتضي العمل على تحرير أفراد المجتمع الإسلامي من السلبية والانزيمية، والإحساس بالضعف، والعجز، والكسل، وتبرير التخلف، والعمل من أجل الانطلاق على هدي من الإسلام، والعودة من جديد خير أمة أخرجت للناس.

كذلك ينبغي العمل على توعية أفراد المجتمع الإسلامي ذكورا وإناثاً؛ بحقيقة الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر والذي يصفه عمارة بأنه: "واقع الاحتكاك والتدافع الثقافي والحضاري مع النموذج الغربي تحديداً، ودون أي (آخر) سواه"، وأن ذلك يقتضي منا "تحديد المعالم المميزة للنموذج الثقافي الإسلامي عن النموذج الغربي؛ من دون أن يعني ذلك إنكار ميادين المشترك الإنساني العام في العديد من العلوم والمعارف التي لا تدخل حقائقها وقوانينها وثمرات معارفها وتجاربها في (المميز للذات الثقافية) وإنما تدخل في (الجامع) الذي تتفاعل فيه وتتشارك (الذوات الثقافية) للإنسانية جمعاء. (عمارة في الحياة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ع ١٢٢٢٤).

فمن خلال التربية يمكن تحديد النموذج الثقافي، وتوضيح معالمه، وتقديمه من خلال كافة المؤسسات التربوية المباشرة وغير المباشرة، ثم تترك الحرية للمرأة المسلمة في الترجيح والاختيار من بين ما يعرض عليها على أساس من النموذج (المعيار) الذي قدمته لها التربية، وأنشأتها عليه منذ البداية.

يقول عمارة:

"إن (النموذج الثقافي) يكاد أن يكون، بعد اختياره والانتفاء إليه والولاء له، المعيار الذي يحدد ويرجح (النماذج) التي يختارها الإنسان في العديد من المجالات والكثير من الميادين، فالثقافة التي صنعت هوية الإنسان هي الموجه لاختياراته لنماذج الأسوة ومناهج القدوة والمثل والمعلم التي تجعله يوالي هذا ويعادي ذاك، وينشط لهذا المقصد ويعدل عن سواه، ويضحي في هذا السبيل ولا يلتفت إلى ما عداه. و(النموذج الثقافي) هو المحدد (لنموذج المستقبل) الذي يسعى الإنسان إلى صنعه وتحقيقه في الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

وينبغي أن يكون أساس النموذج الثقافي الذي تعرضه التربية هو العقيدة والقيم المنبثقة عنها؛ بحيث تعمل في إطارها جميع وسائط الثقافة ولا تخرج عنها من أجل الحفاظ على أمن الأمة وكيانها.

أما الاحتجاج بمسيرة العصر، والتفاعل مع الحضارات فإنها هي " فرية تحيل الأمة إلى (قرد) يقلد الآخرين، و (ببغاء) يردد ما يقولون دون أن يعلم له معنى. وإن الاحتجاج بمصلحة الوطن وهم. فما قيمة الوطن وأنت ضائع فيه، مستعبد على أرضه، تعيش لتأكل، وتتمتع كما تتمتع الأنعام. " (طایل، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠٨).

كذلك ينبغي على التربية أن تستفيد من الثورة الإعلامية التي أتاحتها التقنية الحديثة من أجل الحفاظ على الأمن الثقافي للمرأة المسلمة المعاصرة - وغيرها من أفراد الأسرة - التي تعيش في ديار المهجر، والتي تواجه إمكانية فقدان الهوية بسبب العيش في مجتمع غير مسلم، فالاستخدام الأمثل لوسائط الثقافة يمكن أن يفيد كثيرا في إعادتها من شبك الاغتراب والاستلاب.

والإسلام قد صاغ النموذج والمثال ووضع المعيار الذي يوضح السبيل لأسلمة الثقافة التي تصوغ نفس الإنسان المسلم، وقد رأينا كيف أنه قد ضبط الأعراف وجعلها أحد مصادر التشريع رغم أنه لم يصنعها، وكذلك الحكمة التي هي " الصواب البشري " المتوصل إليه من خلال العقل البشري؛ فقد جعلها الإسلام " مناطا للتكليف الشرعي، واعتبرها كالكتاب. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿البقرة: ١٥١﴾.

ومن ثم فإن علاقة الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى ينبغي أن تكون كما أشرنا سابقاً؛ علاقة عدل متوازن دون إفراط ولا تفريط بحيث تقوم على الاختيار الحر والتكافؤ، وبذلك تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات، ويتميز إنسان الثقافة الإسلامية عن إنسان الثقافات الأخرى.

وعند ذلك يحدث ما يعبر عنه عمارة؛ بنهوض النموذج الثقافي بدور المعيار حيث يقول:

" فعندما تكون العلاقة صحية وقائمة على الاختيار الحر وعلى التكافؤ بين الحضارات، ينهض النموذج الثقافي بدور المعيار الذي يحدد نطاق "التفاعل والاستلهام" وحدود (التمايز والخصوصية)، فتكون العلاقة الصحية والطبيعية بين (الذات) وبين (الأخر)، في الميدان الثقافي. " (عمارة في الحياة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٢٢٢٤).

٧- أزمة إنسان الحضارة الغربية:

أشار الباحث السنغافوري كيشور محبوباني، الذي عمل لفترة ممثلاً لسنغافورة لدى الأمم المتحدة؛ إلى أن غرور الغرب ونظرته الاستعلائية للدول الأخرى، قد جعله يغمض عينيه عن حقائق واقعة بداخله، و تتمثل في المشاكل الاجتماعية والسياسية، وحقائق أخرى واقعة بخارجه، وتتمثل في القيم الحضارية التي يمكن له اقتباسها من الحضارات الأخرى الموجودة في عالم اليوم. وإن هذا الموقف هو السبب في معاداة الحضارات الأخرى للحضارة الغربية.

ويضيف الباحث، بأن مما يزيد الأمر تعقيداً؛ سياسة الكيل بمكيالين - التي أشرنا إليها سابقاً، وعدم التزام الغرب بما يدعو إليه من قيم.

وهو يرى بأن فشل الغرب في تطوير إستراتيجية ناجحة للتعامل مع الحضارتين الإسلامية والصينية؛ يعد مؤشراً على عدم أهليته لقيادة العالم حضارياً في المستقبل، لما تبدى لديه من عوامل ضعف فادحة، أهمها الانحطاط الأخلاقي، والخواء الروحي، وتفكك المؤسسات الاجتماعية، حيث إنه ومنذ عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م؛ زادت نسبة الأطفال غير الشرعيين ٤١٩٪، وزادت حالات الطلاق ٣٠٠٪، في حين لم تتعد الزيادة

في عدد السكان ٤١٪^(١). (مختار محمد في قضايا دولية، ١٩٩٤م / ١٤، ع ٢١٤٧، ص ٢٧).

ويرى محبوباني بأن الخلخل الخطير في العقلية الغربية، إنما يكمن في تجاهل هذه المشكلات، ومحاولة تصدير الحضارة الغربية إلى الدول الأخرى، على أساس أنها حضارة كونية، في حين أن الواقع يؤكد أنه إلى جانب ما فيها من محاسن الحرية والديمقراطية، فإنها محملة بقيم ومبادئ ستؤدي بالغرب إلى الانهيار. وهذه حقيقة لا يراها إلا من ينظر إلى الحضارة الغربية من خارجها. (محمد في قضايا دولية، ١٩٩٤م، ع ٢١٤٧، ص ٢٧).

وهذه الأزمة التي يعيش فيها إنسان الحضارة الغربية، هي ليست وليدة اليوم، حيث إن التقارير تشير منذ زمن إلى معاناته. ومن ذلك ما جاء في تقرير للأمم المتحدة بعنوان "الوضع في العالم عام ١٩٧٠م" حيث جاء فيه ما نصه:

"إن بعض الدول الأكثر تقدماً لديها مشكلات خطيرة في مجال الجنوح.. فبرغم تقدمها المادي، لم تكن الحياة الإنسانية أقل مما هي عليه اليوم. وأن مختلف الأشكال من الجرائم الشخصية العامة - من سرقة وغش وفساد وجرائم منظمة -، تمثل ثمناً باهظاً يدفعه الإنسان من أجل وسائل الحياة العصرية والتقدم. " (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٨).

ويشير علماء النفس إلى ما يهز ثقتنا في التقدم الذي حققته الدول الغربية وذلك حين يتحدثون عن ظاهرة ملموسة في الدول الغربية، وتتمثل في خلوها من المشكلات الاجتماعية التقليدية، في حين تزداد فيها حالات الانتحار والأمراض النفسية، والتي تتناسب طردياً مع مستوى الحضارة. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٢).

ونجد أن هذه النتائج هي مصداق لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام].

(١) لعل من أسباب قلة عدد السكان الغربيين، ميلهم إلى تجنب الحياة العائلية الصحيحة المتمثلة في الزواج الشرعي والأسرة، حيث يشير تقرير صادر من مكتب الإحصائيات والاستطلاعات السكانية في بريطانيا إلى أن الصورة الرسمية للحياة العائلية تبدو وكأنها تتجه نحو اجتناب الزواج، حيث إن سن الزواج يتأخر باستمرار، وأن سبعة من كل عشرة يفضلون العيش معاً لمدة سنتين على الأقل قبل عقد القران. (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٤٣).

فالله سبحانه وتعالى قد فتح على أصحاب الحضارة الغربية أبواب كل شيء لكن بغير بركة ولا طمأنينة. وهذا ما تبدو آثاره على إنسان الحضارة الغربية اليوم، وهو مقدمة لنهايتها، وهذا ما يراه ليس المنتقدون لها من الخارج فقط، كما عبر محبوباني فيها سبق، وإنما حتى العقلاء والناهين من المفكرين الغربيين.

يقول جيان ديميكليس في حديث للنيوزويك الأمريكية عندما كان رئيسا للمجلس الوزاري الأوروبي: "ينبغي أن تحل أوروبا مشاكلها ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولا من جانب آخرين في مختلف أنحاء العالم، وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي؛ فإن العالم سيصبح مكانا في منتهى الخطورة." (عمارة في المسلم المعاصر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م، ع ٧٣-٧٤، ص ٧).

والمصير الذي تشير إليه الحضارة المعاصرة؛ هو ذات المصير الذي لقيته الحضارات السابقة التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم في مجال السيادة في الكون، يرافقه انحدار في الجانب الأخلاقي، تسبب في أن أجرى الله عليهم سنة الإفناء، ولم يغنهم التقدم المادي عن الارتكاس إلى أسفل سافلين.

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن العلم الخاص بالسيادة إنما هو قاصر على ظاهر الحياة الدنيا، فإذا ما استغنى به الإنسان عن الوحي المنزل لتحقيق العبودية، ومن ثم الخلافة، فإن ذلك سيؤدي إلى اندثار العلم والمدنية والعمران.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ [الروم].

فينبغي من خلال التربية تنبيه المرأة بصفة خاصة، والمجتمع الإسلامي بصفة عامة؛ إلى مهاوي الردى التي ينساق إليها إنسان الحضارة الغربية، بسبب الحرية غير المنضبطة التي أتاحت له في ظل التقدم الهائل الذي وصل إليه، الأمر الذي أدى به إلى السقوط في شرك الشيطان ومن ثم وجدناه عاجزا عن السير في الأرض بالخير رغم عبوره أجواء الفضاء. وهكذا انتشرت في الغرب عصابات القتل والخطف والتخريب وزادت الجرائم الأخلاقية وتردى المجتمع في مهاوي الفساد.

وقد كان لوسائل الثقافة الغربية، دور كبير في حدوث هذه النتائج، ويشير إلى ذلك بوب دول مرشح الحزب الجمهوري ضد كلينتون الذي "اتهم (هوليود) عاصمة السينما الأمريكية بأنها تفسد المجتمع بأخلاقها المتجهة للعنف والجنس"، وقد استغلت العديد من الجمعيات الاجتماعية والشبابية هذا الهجوم الرسمي لتنظيم حملات دعائية للتشجيع على العفاف وتأكيد قيم الأسرة ورعاية الأطفال ومساعدة الشباب في التخلص من الإدمان بالتوعية داخل المؤسسات التعليمية^(١). (المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ع ٥٨٢)

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بالتأكيد على الآثار السلبية للحضارة الغربية على المرأة الغربية، حتى لا تتخدع بمظاهر التقدم المادي الذي تعيش فيه المرأة في ظل الحضارة الغربية.

وهذه الآثار تشهد بها النساء الغربيات أنفسهن خاصة من من الله عليهن بنعمة الهداية فانضممن إلى الإسلام.

فهذه مريم جميلة تشير إلى أن الحضارة الحديثة قد استحدثت من الوسائل الكثير مما يواصل استعباد المرأة بشكل غير مباشر يجعلها تتوهم بأن حريتها وكرامتها تقاس بمدى ما تصل إليه من فرص للقيام بالأعمال والوظائف التي يقوم بها الرجل، وكذلك بمدى ما تصل إليه من إظهار لأنوثتها وجعلها للرجل. فكان في ذلك استعباد لها، بعيدا عن الحرية

(١) علق مايكل واينز، أحد أبرز أعضاء الحزب الجمهوري على الإحصائيات الأخيرة حول ارتفاع نسبة الجرائم بين المراهقين بأمريكا، بأن هذا التدهور الاجتماعي والأخلاقي قد نتج عن إهمال الأزواج لأسرهم، وزيادة نسبة الاعتماد على النساء، وزيادة أعداد الأطفال غير الشرعيين. (المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ع ٥٨٢).

التي من الله عليها بها في ظل الإسلام. (جميلة، د.ت، ص ١٧).

وتقول النمساوية أم أنفال - والتي تعمل معلمة في إحدى ثانويات فيينا -:

إن ما تعيشه المرأة الغربية اليوم من هموم ومشكلات، لم يأت من فراغ، بل هو نتيجة حتمية لأسباب بدأت مع حركة التحرير، حيث إن قاداتها صوروا للمرأة أن الدين هو السبب في تقييد حريتها، ولا بد من الثورة عليه. وبذلك تحررت من العبودية لله، لتقع في عبودية الرجل، وتحلت عن علاقاتها الطبيعية معه، واكتفت به كعشيق سرعان ما يخدعها"^(١) (حوار مع أم أنفال في المجتمع، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ع ١٠٨٤، ص ٥٦).

٨- الاتجاه نحو المستقبل:

إن التغير والتطور سنة من سنن الله سبحانه وتعالى والتي تزايدت معدلات سرعتها في العصر الحالي، وتعدت الأشياء المادية إلى الإنسان وعلاقاته بالكون وبالناس وبالأفكار والمعتقدات. فأصبح الإنسان ينام؛ ليصحو على غير العالم الذي نام عنه، وهو في الوقت نفسه مطالب بأن يتكيف مع هذا التغير.

وحين تجاوزت سرعة التغير معدل قدرة الإنسان على التكيف؛ أصيب الأخير بنوع من الدوار أو الاختلال في التوازن، وهو ما أسماه توفلر بـ " صدمة المستقبل " والتي يعرفها على أنها " ظاهرة زمنية من نتائج المعدل المطرد السرعة للتغير في المجتمع. وهي تنشأ من عملية التركيب لثقافة جديدة فوق أخرى قديمة. إنها صدمة للفرد في نفس مجتمعه، وليس في مجتمع أجنبي. ومن ثم فإن آثارها أخطر وأسوأ. " (توفلر، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، ص ١١).

والاهتمام بالمستقبل أمر مغروس في الطبيعة الإنسانية، وقد لازم الإنسان منذ وجوده على ظهر الأرض، بل إنه يعتبر أحد مميزات الإنسان. فالحاضر ليس سوى نتيجة لأحداث الماضي. والنظر في تاريخ الأمم يشير إلى أن غلبة التعلق بالماضي؛ إنها تحدث في المجتمعات

(١) في بريطانيا هذا العام؛ سجلت أرقام قياسية في حالات الطلاق مقارنة بالأعوام السابقة، ووجد أن متوسط مدة الزواج أقل من عشر سنوات. وفي فرنسا أجرى المعهد القومي الفرنسي للإحصائيات دراسة كشفت عن اتجاه المجتمع إلى إقامة العلاقات الجنسية دون زواج. والأمر الذي جعل علماء الاجتماع يشعرون بالقلق؛ هو أن الناس باتوا لا يخافون الزواج، ولكنهم يهربون من العيش سوياً (البريطانيون يفضلون الطلاق.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ع ٦١١٣).

الراكدة، التي لم تتقدم أو التي همدت بعد تحرك، في حين أن العكس هو الذي ينطبق على الأمم التي تتطلع دوما نحو الأفضل حيث نجدها تبعد وتتطور. (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٧-١٨).

والمتدبر لآيات القرآن الكريم؛ يجد أنه ومنذ العهد المكي قد وجه المسلمين - ذكورا وإناثا - إلى الغد المأمول، وإلى التغيرات التي سوف تحدث على المستويين المحلي والعالمي. ففيا يتعلق بالمسلمين أنفسهم؛ نجد القرآن الكريم يشير إلى أن الدائرة سوف تدور على أعدائهم، الأمر الذي يقتضي منهم التهيؤ وأخذ العدة لمواجهةهم. قال تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُ الدُّبُرَ﴾ ﴿١٥﴾ [القمر].

أما على المستوى العالمي؛ فقد جاءت الآيات الكريمة تخبر بهزيمة الروم التي سوف يعقبها بعد فترة انتصارهم على أعدائهم. قال تعالى: ﴿الْمَ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ﴿٢﴾ [الروم].

وقد كان التطلع نحو المستقبل هو التوجه الأساسي للمسلمين، الأمر الذي ساعدهم على النهوض وإنجاز أفضل حضارة في التاريخ، كانوا في ظلها أفراد خير أمة أخرجت للناس، لكنهم بعد ذلك ركنوا لما أنجزه الأسلاف فتخلفوا، وتسلم الراية غيرهم.

وهم حين ركنوا إلى الماضي؛ لم يدركوا أن الماضي يدعم التماسك الثقافي، لكن الاقتصار عليه والاستغراق فيه ظاهرة مرضية تحبس الإنسان عن النهوض، واستشراف المستقبل. (حسنة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٣٥).

ونجد الناس في المجتمعات الأخرى - المتقدمة - يحرصون على التخطيط للمستقبل القريب الفاني، فنحن أولى بأن نخطط لمستقبلنا الخالد، أي لما بعد هذه الحياة. وذلك لن يتحقق إلا من خلال إحسان التخطيط والتنفيذ لشئون هذه الحياة بما يحقق العلاقة التي يرتضيها الله سبحانه وتعالى بين الإنسان وبين الكون بكل ما فيه.

ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية العمل على تأهيل المرأة المسلمة المعاصرة؛ بما يكفل لها حسن التكيف مع العصر الذي تعيش فيه، وتنمي لديها في الوقت نفسه الصفات اللازمة للعقلية المستقبلية، والتي يعرفها زريق بأنها، العقلية المتوجهة للمستقبل، الواعية بمشكلاته والعاملة على الإعداد لمواجهة. (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٩٧) سيما

وأن الحاضر يشير إلى أن صورة المرأة في القرن المقبل سوف تكون معقدة، وذات مستويات تقنية تحمل أبعاداً ومفاهيم وقيماً خاصة، مما يستدعي محاولة استشراف تلك الصورة، وتحديد أبعادها من أجل تحديد الأولويات تجاهها.

ويحدد زريق ثلاث صفات يرى بأنها تمثل أهم الصفات اللازمة للعقلية المستقبلية وهي:

١- الموضوعية والواقعية. ٢- الانتهاج العلمي. ٣- الالتزام الخلقي.

(زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٩٧-٢٠٠).

ومن ثم فإنه ينبغي من خلال التربية العمل على تنمية هذه الصفات لدى المرأة وذلك على النحو التالي:

أ- الموضوعية والواقعية:

وذلك من خلال تأهيل المرأة بما يمكنها من النظر للأحداث والأمر من حولها كما هي في واقعها، لا كما يصورها لها الآخرون. والموضوعية تتمثل في وزن الواقع بميزان الإسلام، وهو الميزان العدل الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لأمة الوسط، وهو أمر يحتاج إلى جهاد كبير للنفس بسبب ما تحويه نفس الإنسان من أهواء وشهوات وأمانى نتيجة لما يرثه أو يستمدّه من بيئته.

وامتلاك المرأة المسلمة المعاصرة لهاتين الصفتين سوف يمكنها مما يلي:

١- إدراك العلاقة بين الحاضر ومشكلاته وتحدياته، وبين الماضي باعتباره سبباً لهذا الحاضر.

٢- توقع المشكلات المستقبلية، وعدم الانخداع بالأوهام والخيالات، ومكافحة التضليل في المجالات كافة، ومن ذلك وسائل الدعاية والإغراء التي قد تدفع بها إلى رؤية الأمور والأشياء على غير حقيقتها.

ب- الانتهاج العلمي:

وهذا يتحقق من خلال تعويد المرأة المسلمة المعاصرة على دراسة الواقع بالأسلوب العلمي النقدي الاختياري المنظم، وهو الأسلوب العلمي الإسلامي الذي توصل إليه الغرب مؤخراً.

ج- الالتزام الخلقي:

بحيث توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية في جميع الأحوال.

وتكوين مثل هذه العقلية لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج إلى تخطيط رائد، ذي رؤية نافذة للمستقبل، بحيث تستفيد من الماضي في بناء المستقبل، ولا تقف عنده، بل تسعى إلى تحقيق الأهداف بترتيب أولوي، واستغلال للموارد المتوفرة ضمن الحدود المشروعة، مع مراعاة ما قد يستجد من ظروف، والتسلح بأحدث وسائل العلم من أجل ضمان العبور إلى المستقبل بأكثر الطرق أمناً، وأكثرها فعالية. (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٠١).

ولوسائل الثقافة دورها في تعزيز دور التربية، وذلك من خلال الإسهام في إجراء البحوث والدراسات التي تتناول مستقبل المرأة ومن ذلك:

- نظرة المجتمع إلى وضع المرأة المسلمة في المستقبل.

- التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة المعاصرة والتي يمكن أن تواجهها في المستقبل.

- وضع الخطط التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على إزالة ما قد تعاني منه من مشكلات في المستقبل.

- تناول القضايا العلمية التي تؤثر على حياة المرأة في مختلف المجالات مثل، التقنية العالمية وأثرها على حياة كل من الفرد والمجتمع.

ونجد أن مثل هذه البحوث والدراسات، هي أمر مفروغ منه في الدول الغربية، التي تعيش تخلفاً من نوع آخر، رغم تقدمها العلمي وهو ما أشرنا إليه سابقاً. وسبب هذا التخلف هو عدم الالتزام الخلقي الذي أدى بالمجتمع إلى كوارث اجتماعية مؤذنة بانهياره، مما دعا العقلاء فيه إلى محاولة استقرار المستقبل من خلال الواقع، من أجل تحقيق مجتمع أكثر أمناً واستقراراً.

ومن بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، الدراسة التي قامت بها كيتون، وهي دراسة مسحية لعينة من النساء في كل من أمريكا واليابان، وجنوب أفريقيا، وإنجلترا، ممن

تتراوح أعمارهن ما بين ٢٥ و ٤٤ سنة ولديهن على الأقل بعض التعليم الجامعي.

وقد تناولت الباحثة في هذه الدراسة بعض الموضوعات ذات الأهمية لدى المرأة المعاصرة بهدف توضيح: كيف تصبح امرأة اليوم امرأة الغد. وتعترف الباحثة أن العينات في بحثها لا يمكن اعتبارها ممثلة لنساء العالم؛ لكن دراستها يمكن أن تسهم فيما يلي:

- تقديم صورة تنبئية عن نظرة المرأة المعاصرة للمستقبل.

- إشعار المرأة بأهمية مواجهة التحديات المستقبلية.

- الإسهام بفعالية في تشكيل وضع المجتمع في القرن الحادي والعشرين، من أجل أن يصبح عالما من الأمان والنجاح للجميع. (Keton , 1986 , p. xx).

٩- المساعدات الدولية:

أدى تفتيت المسلمين إلى دويلات إلى تشتت مقوماتهم الروحية وطاقاتهم البشرية في وقت نجد فيه دول العالم تسعى إلى التكتلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وكانت النتيجة افتقار غالبية دول العالم الإسلامي على الرغم من ثرواتها الطبيعية والبشرية الهائلة، واستتبع ذلك إهمال عمليات التنمية البشرية والمادية ومن ضمنها التعليم، الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمية وإهمال الرعاية الصحية وتفشي الأمراض وإهمال التنمية الزراعية والصناعية والاقتصادية. (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٤).

ويزداد الحال سوءا من خلال المؤثرات الثقافية التي تمارس ضغوطا هائلة على تفكير الأمة الإسلامية من خلال المشاريع التي تقام في الدول الإسلامية بغرض تطويرها وتنميتها والتي لا تخلو من أغراض خلفية، أقلها شيوعا النمط الغربي.

فمثلا تقام في كثير من الدول الإسلامية جمعيات نسائية من أجل النهوض بوضع المرأة - خاصة الريفية - اجتماعيا واقتصاديا وذلك بالتعاون مع البعثات الأجنبية التي تدعمها. فإذا ما نظرنا إلى نشاطات هذه الجمعيات، وجدناه ينحصر في كل ما يدعم النمط الاستهلاكي ويسهم في إشاعة القيم الغربية؛ مثل إحياء الحفلات الساهرة وصنع ملابس السيدات الأرستقراطيات والمتاجرة بالسلع التي تنتجها العاملات... وأشبه ذلك. (خليل خليل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٢٨).

وقد كان هناك دفاع شديد عن فكرة الجرامن بنك (Gramnn Bank)، وهي فكرة

تقوم على " إقراض النساء دون واسطة الحكومات بشروط أهمها عدم الزواج قبل سن الثلاثين، وتحديد النسل بعد الزواج، واستقلال المرأة الاقتصادي عن أسرتها". وقد بدئ في تطبيق هذه الفكرة فعلا في بنغلاديش حيث نفذها محمد يونس. (المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

ولا يخفى ما في هذه الفكرة من قضاء على فكرة الزواج المبكر والإنجاب والروابط الأسرية، ونجد أن المنظمات الدولية تقف وراء دعم هذه الأفكار، حيث أذاعت قناة. (New File) التلفازية يوم الإثنين ٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ - ٣١/ ١٠/ ١٩٩٤م، أن منظمة الأغذية العالمية قد قامت بمنح د. محمد يونس الجائزة السنوية الثامنة " جائزة نوبل للطعام"، وذلك عن مشروعه هذا الذي - بحسب ما أذاعت القناة- دعم قيام النساء بمشروعات إنتاجية مثل شراء البذور والأبقار، والتي مكنت العديد منهن من تحسين أوضاعهن وتسديد ديونهن. (World Net United States Washington، الإثنين ٢٧/ ٥/ ١٤١٥هـ - ٣١/ ١٠/ ١٩٩٤م).

ونجد الدول الغربية تغفل دورها في تخلف الدول النامية حينما تفكر في تطوير هذه البلدان، وتذهب في حديثها عن تنمية المجتمعات النامية بالتركيز على المرأة، وأهمية القضاء على فقرها باعتبار أن عبء الفقر يقع عليها أكبر من غيرها.

بل إنها ومن أجل تأكيد التبعية لها تعتمد إلى ربط مساعداتها للدول النامية بشروط، تنطلق من التصورات الغربية للحريات والحقوق والديمقراطية، والقيم ودور المرأة وتربية الأطفال والناشئة والعلاقة بين الجنسين وقضايا التعليم والإعلام وغير ذلك مما يستند استنادا مباشرا إلى القيم والنظم الغربية... " (شبيب، في قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤٧).

وحيث إن المنظمات غير الحكومية^(١) في البلدان الإسلامية تتلقى معونات ومساعدات من الدول المتقدمة، من أجل النهوض بالأوضاع الاجتماعية بصفة عامة، ووضع المرأة بصفة خاصة، فإنه ينبغي العمل من خلال وسائط الثقافة المختلفة، على

(١) تمثل المنظمات غير الحكومية ذراعا أساسيا للحكومة العالمية في فرض وإعمال سياساتها في الدول النامية. وهي تمارس نفوذا قويا على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل. (يحيى في البيان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٩٣، ص ١٠١-١٠٢).

توعية المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة المساعدات والدعم الذي تتلقاه المؤسسات التي تعنى بأمورها، لتكون على بصيرة من أمرها، فلا تنجرف في العمل ضد مجتمعها حين تظن أنها تعمل من أجله.

لقد كانت جميع الدول الفقيرة، وحتى عهد قريب مستعمرة من الدول الغنية التي عملت على استنزاف مواردها، مما أثر على ثرواتها، وعلى توازنات البيئة فيها، ولم يذهب الاستعمار إلا بعد أن خلف وراءه مواريث تزيد من ثقل التبعة، وأهمها الحدود، التي سببت الصراعات بين الدول، فاستنزفت ما بقي لديها من موارد وبشر، ومن ثم لجأت إلى الديون عن جهل، وعدم شعور بالمسؤولية بالنتائج المترتبة عليها. الأمر الذي أوصل بعض الدول، إلى أنه قد بات عليها أن تدفع سنويا ما يزيد على كامل إنتاجها القومي الإجمالي^(١). (ما لذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢١).

أما الاستدانة، فإنها تتم من صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، اللذين تم تأسيسهما في الأصل من أجل إعمار أوروبا بعد الدمار الذي لحقها من جراء الحرب العالمية الثانية، وقد نجحا في تلك المهمة، لكنهما لم ينجحا في غير أوروبا، بل وصلت سياستها إلى نتائج عكسية، وكان من أهم الأسباب لتلك النتائج:

أ - محاولة تعميم السياسات التي طبقت في أوروبا على حالات مختلفة.

ب- ازدياد خبرة وحنكة القائمين على هاتين المؤسستين في تحقيق نجاحات لم تكن من أهدافها ذات يوم، ومن ذلك أن صندوق النقد قد بدأ يحقق أرباحا بمليارات الدولارات منذ عام ١٩٨٥م / ١٤٠٥هـ على حساب الدول الفقيرة.

ج- ازدياد الشروط التي تفرضها إلى درجة التدخل في كل صغيرة وكبيرة من سياسات الدول المدينة المحتاجة.

د- في حالة أوروبا كانت هناك رغبة كبيرة بالمساعدة في حين أنه في حالة العالم الثالث فقد اختفت تلك الرغبة، حيث يبدو أن الرغبة في إبقاء الفجوة قد حلت محلها.

(١) وصل حجم المساعدات التي منحتها الدول الغنية عام ١٩٩٢م إلى ٦٠ مليار دولار، في حين أن الدول الفقيرة دفعت لأقساط وخدمة ديونها ما وصل إلى ١٦٠ مليار دولار. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٢).

هـ- ضيق أفق حكومات الدول المدينة وعدم شعورها بالمسؤولية وعدم تفكيرها بالمستقبل. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٠-١).

ونجد أن معظم المساعدات تذهب إلى دول لا يمكن اعتبارها فقيرة بحال، بل بسبب موالاتها للدول المدينة سياسيا، وأبرز مثال على ذلك أن ٣٠٪ من المساعدات الخارجية الأمريكية تذهب إلى إسرائيل؛ التي يضاهي دخل الفرد فيها دخل الفرد في الدول الغنية. ثم تأتي بعد ذلك الأغراض التجارية. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٣).

وقد أخذت المساعدات في السنوات الأخيرة، شكل المساعدات الطارئة أكثر من المساعدات بعيدة المدى. وأحيانا ما تصل متأخرة لتأخذ شكل الإغاثة رغم تكاليفها المالية المرتفعة، والتي كان يمكنها تلافي الكوارث أو التقليل من أثرها. لكن يزول العجب إذا ما عرفنا أن معظم المساعدات التي تصل بعد الكوارث غالبا ما تكون من أجل الدعاية السياسية والانتخابية تحت ضغط الرأي العام في الدول المانحة. وفي حالات أخرى تكون لأغراض تجارية لا تخدم الفقراء. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٣).

ويتضح حجم التخريب الذي تمارسه هاتان المؤسستان؛ من الإعلان البديل الذي أصدرته المنظمات الإنسانية غير الحكومية على هامش مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية في كوبنهاجن في مارس عام ١٩٩٥م / ١٤١٥ هـ، الذي سجل على سياسات الدول الغنية والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي عدم مراعاتها لأحوال الطبقات الفقيرة، عند فرض السياسات التي تقلص الدعم الحكومي عن السلع الرئيسية، والخدمات الأساسية؛ كالصحة والتعليم، لتجعلها خارج متناول تلك الشرائح. (ما الذي يدور.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٣).

وقد تولى بعض المحللين الغربيين المنصفين والموضوعيين بيان خطورة هاتين المؤسستين، ومن بينهم المحللة الاقتصادية (شيريل بيير) التي أوضحت بشرح واضح " كيف ينصب شرك الديون عن طريق أغنى الدول " التي تمتلك معلومات سرية عن اقتصاد الدول الأخرى لا سبيل لأحد غيرها إلى معرفتها، وهي تقول عن صندوق النقد

الدولي ما نصه:

" إن صندوق النقد الدولي هو أكبر قوة عليا حكومية في العالم اليوم، إنه لا يملك سلطة إلا أن يحكم بها حلفاء الأمم المتحدة بسبب التحكم في موارد الثروة والشئون الداخلية للدول المقترضة"، وهي قد وجهت نصيحتها إلى الحكومات الوطنية بأن " تتعلم كيف تدير اقتصادها دون اللجوء إلى صندوق النقد ومطالبه المهلكة " (دور صندوق النقد في المجتمع، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٢١٦، ص ٢٢، ص ٢٥).

وفي المؤتمر العالمي حول أفريقيا " الذي عقد في نوفمبر ١٩٩٤م / ١٤١٥ هـ، والذي نظمته مؤسسة (بادا) ^(١) برعاية وزارة الخارجية الهولندية بمدينة لندن؛ وجهت بعض الأطراف الحاضرة، ومن ضمنها أطراف أوروبية وكندية، تهما صريحة للمؤسسات المالية الدولية وعلى رأسها البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي اللذين وصفا بأنها يمثلان " أدوات بائسة لتحرير سياسات الاستغلال الأمريكية والتطبيق القسري لمقتضيات النظام الدولي الجديد ".

وقد تناول المؤتمر موضوع (شبكة أزمة الديون)، حيث أشار إلى أن الدول الأفريقية قد وقعت ضحية للنظام الاقتصادي العالمي المختل، الأمر الذي جعل ديونها تصل إلى ما يقارب ثلاثمائة وخمسين مليار دولار، تقف حجر عثرة أمام أية محاولة للنمو من قبل هذه الدول بسبب الفوائد التي تمتص عوائد اقتصادها. وقد صرح البعض بأن " المبالغ التي يقدمها الأغنياء للفقراء باليمن تعود إليهم بالشمال"، وأن العملية ليست في جوهرها سوى احتيال مقنع يهدف إلى عرقله الدول الأفريقية عن النهوض الذاتي. (المستقلة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٣٦).

فينبغي من خلال التربية الاهتمام بتوضيح حقيقة المساعدات التي تشدق الدول الغنية بمنحها للدول المحتاجة لأفراد المجتمع الإسلامي والقائمين على مؤسساته إذ على الرغم من أن هناك مساعدات لا يختلف اثنان على إنسانيتها، إلا أن غالبية المساعدات تتم تبعاً لأغراض تقف خلفها، وذلك إنما يعتمد على طبيعة الدولة الممنوحة.

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه؛ هو أن هذه القروض والمساعدات إنما تغرق المجتمع

(١) (بادا) مؤسسة تعني بالمحافظة على تنمية حقيقية في القرن الأفريقي. (المستقلة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٣٦).

الإسلامي في أحوال الربا، وأنه السبب الذي جعل المسلمين يخرجون عن أوامر ربهم وأحكام دينهم، فاستحقوا بسبب ذلك ما هم فيه من تخلف ومعاناة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد توعد المتعاملين بالربا بالحرب من الله ورسوله . قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة].

كذلك ينبغي تنبيه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إلى الأغراض المشبوهة التي تقف وراء هذه المساعدات، والتي تستخدم ستارا لأعمال المخابرات والتجسس. (النجار، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ص ٨١).

وعند توضيح حقيقة الدور الذي قام - ويقوم - به الاستعمار ماضيا وحاضرا فإنه يجب التأكيد على العناصر التي هي خارج نطاق قدرة الغرب في فرض ما يريد، وأهمية استثمارها استثمارا مفيدا، وهي:

أ - التحول الجاري في الدول الإسلامية تجاه الإسلام.

ب- التحول الجاري في الدول الغربية تجاه الانفتاح على الإسلام.

(شبيب في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤٧).

١٠ - صورة الإسلام ووضع المسلمين في الغرب:

في ظل الهجمات الشرسة التي تشن على المسلمين في أنحاء العالم، فإنه ينبغي استخدام وسائل الثقافة المختلفة من أجل تعريف المسلمين - ذكورا وإناثا - بالأسباب التي تقف أساسا وراء هذه الحملات، وبأوضاع المسلمين في ظل الدول الغربية.

وأول ما ينبغي التنبيه إليه مدلول كلمة مسلم لدى الغربيين، والذي يتراوح بين السلبية والإيجابية، وقد أشار إلى ذلك د. محمود زقزوق أستاذ الدراسات الشرقية، وعميد كلية أصول الدين بالأزهر، وذلك على النحو التالي:

أ- المدلول السلبي لكلمة مسلم: ومما يتضمنه هذا المدلول:

١ - الجمود والتقليدية في تناول قضايا الحياة.

٢ - الشعب المنسوب إلى محمد، الذي استولى على الجزيرة وحرم أهل الأديان حقهم.

٣- العنف السياسي والرغبة في التوسع.

٤- الجماعات المستسلمة، الخمول التي لا تحب العمل، بدليل التخلف الاقتصادي واعتماد بعض الدول على المعونات الخارجية.

ب- المدلول الإيجابي للكلمة: وما يتضمنه هذا المدلول:

١- المسلم صاحب دين، محترم، يحب التعايش والحوار.

٢- المسلمون أقوياء متحمسون لدينهم، ولديهم الرغبة في التقدم والتحضر.

٣- المسلمون ساهموا في بناء الحضارة الإنسانية بقسط وافر، وتعرضوا لمضايقات واعتداءات الغرب.

(كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٨).

ويلاحظ أن هذه الصورة الإيجابية غير معلنة إلا على ألسنة بعض الدارسين الذين يتسمون بالموضوعية، ولكنها لا تترجم إلى تيار شعبي، وإنما تسود المدلولات السلبية التي تجعل الغربيين يسيئون الظن بالمسلمين ويميلون إلى إلقاء التهم عليهم.

ومما ساعد على ذلك صورة المسلمين التي يعمد الغربيون على فرضها على ناشئتهم من خلال الكتب الدراسية.

وقد أشار إلى بعض الأمثلة المطروحة في الكتب الدراسية في أمريكا د. محمد عبد العليم مرسى فكان مما أشار إليه قضيتي القرصنة في شمال أفريقيا، والصراع العربي الإسرائيلي، وذلك على النحو التالي:

أ- القرصنة في شمال أفريقيا:

في القرن التاسع عشر كانت هناك دول قوية في شمال أفريقيا، وكانت تفرض مقداراً من الجزية (ضريبة) على السفن الأوروبية والأمريكية العابرة، إلى أن جاء الرئيس الأمريكي (جفرسون)، وقرر عدم الدفع، حيث أرسل أسطولاً بحرياً، استطاع انتزاع موافقة الحكام على ألا تدفع السفن الأمريكية تلك الجزية. وانتهت القضية في الواقع، لكنها لم تنته من كتب تدريس التاريخ الأمريكي حيث أصبح كل كتاب فيها يعرض القضية، ويضيف عليها ما يؤكد ما كانت عليه دول شمال أفريقيا من قرصنة، استطاعت البطولة الأمريكية الوقوف في وجهها. (مرسي في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م،

ب- قضية الصراع العربي - الإسرائيلي:

فهذه القضية تقدم في الكتب الدراسية الأمريكية من وجهة النظر الإسرائيلية التي تعتبر أن اليهود هم أصحاب الحق. والأخطر من ذلك التعميم الذي ينسحب على الإسلام والمسلمين عند الحديث عن القوميين في كتب المواد الاجتماعية والتاريخ المعاصر خاصة. فعلى الرغم من أن روسيا أيدت قيام إسرائيل، إلا أن بعض قادة الدول الإسلامية قد انخدعوا بفكرة مساعدة الروس لهم ضد إسرائيل، في حين كانت القضية بالنسبة لهم أهدافاً ومصالح. لكن الكتاب يركزون على تأييد روسيا للعرب مع علمهم بكرهية المجتمع الأمريكي للشيعية وللشيوعيين، مما يقر في نفوس الأجيال الجديدة كراهية العرب.

والتلاميذ يتلقون هذه المعلومات وفي يقينهم أن العرب يمثلون الإسلام، ومن ثم يعتقدون بموالاة المسلمين للشيعية، مما يبرر الحرب الإعلامية الأمريكية ضدهم. وتبرز خطورة الأمر في أن هؤلاء الطلاب يمثلون مواطني المستقبل من ناخبين وسياسيين. (مرسي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٤٦).

والأمر نفسه نجده في المقررات الدراسية في فرنسا حيث ذكرت د. مارلين نصر في مؤلفها: (صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية)^(١) أن صورة العرب في كتب القراءة للمرحلة الابتدائية قد بدت "سلبية وخاملة ومتخلفة، يتميز ذووها بالعداء تجاه الآخر على مختلف المستويات" وهم يمثلون بدو الصحراء في حين أن الفرنسيين يوصفون "بالتفوق والذكاء والرفعة".

فهاتان الصورتان المتناقضتان تسهمان في إفشاء الشعور بالدونية بين التلاميذ ذوي الأصول العربية في حين تشيع الإحساس بالتفوق لدى أقرانهم من الفرنسيين. (نور الدين في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ٤، ص ٤٤).

أما كتب القراءة للمرحلة الثانوية فهي تشير إلى العربي على أنه "قاتل بشجاعة في العصور الوسطى بالرغم من هزيمته المحققة، وناضل ضد تحالف الطبيعة وسوء الحظ في

(١) الكتاب نشره مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

المخيمات " وإلى جانب هذا تصف العرب بعدد من الصفات السلبية منها:

- الغزو والعدوانية والتطفل.

- الكسل والبطء والتراخي.

- الفشل والهزيمة والخضوع في كل مواجهة سيما مع الفرنسيين.

(نور الدين في مجلة الدبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٤).

وبصفة عامة فإن صورة العرب في الكتب المدرسية الفرنسية هي صورة ماضوية، أما الحاضر، فلا يذكر منه سوى ما يتعلق ببعض المشكلات المثارة مثل مشكلة الهجرة والعنصرية، وارتفاع أسعار البترول وعلاقة العرب بذلك، هذا مع الإغفال التام لدور الحضارة الإسلامية التي يوصف أبنائها بكل السمات السلبية. " كالسرقة والنهب والغزو والتهديد والتبعية للآخر. " (نور الدين في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٥).

وتسهم وسائل الإعلام بدور كبير في تشويه صورة العرب والإسلام وتكوين القناعة لدى الفرنسيين بأن الأجنبي المسلم أو العربي " مجرم، وعنيف، ومشاغب، بل وإرهابي.... " وهم يركزون على شخصية المهاجر بصفة عامة والعربي المسلم بصفة خاصة في حالة وقوع أية جريمة، وقد اعترفت مجلة " الإكسبرس " في عددها رقم ٢٨ الصادر في يناير ١٩٨٣م بأن " الفرنسيين يميلون إلى الشك في الأجانب بسهولة واتهامهم دون قرائن، كما أنهم لا يغفرون ما يعتبرونه حدثا طارئا وغير ذي بال إذا ما كان مقترفه عربيا. " (نور الدين في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٤).

وبعد معرفة الأسس والتوجهات التي ينشأ على أساسها أفراد المجتمع الغربي؛ يصبح من غير المستغرب أن يتعرض المسلمون للحملات الشرسة في كل مكان، مما يؤكد أهمية توعية أفراد المسلمين - ذكورا وإناثا - بحقيقة الصراع بين الحق والباطل من خلال المؤسسات التربوية كافة.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة].

وفي تفسيره لهذه الآية يشير سيد قطب إلى أن هذا الموقف يمثل الموقف الدائم

للمشركين وأهل الكتاب مع المسلمين. فالمشركون في أيام الرسول ﷺ ثم بعده، والتتار في بغداد، والشيوخ في العصر الحديث، والوثنيون في الهند، وغيرهم، كلهم عمل جهده من أجل التنكيل بالمسلمين حينما أتيت لهم الفرصة ^(١). (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مج ٣، ص ١٦٠٧).

وقد لمسنا آثار هذا الظلم الذي وقع على المسلمين في البوسنة وفي الشيشان، وكذلك الحركات المتطرفة التي برزت في عدة دول أوروبية خاصة في فرنسا وألمانيا وروسيا وصربيا والتي - إضافة إلى اضطهادها لمن يعيش في ظلها من المسلمين - قد عمدت إلى المناداة بإعادة الغرباء إلى أوطانهم، ادعاء بأنهم يمثلون الخطر القادم المترص بهم.

وفي ذلك يقول رمضان محمد:

"... وبذلك يطرح الغرب صيغة للصراع الثقافي يرى فيها الإسلام يمثل خطرا على البنية الغربية الفكرية، ومصدر الخطر إنما هو الثقافة الإسلامية، والمقصود بذلك صيغة الحياة اليومية للمسلم والتي تحرره من العبودية للأشياء، وتحرر ذاته من ضغوط الحياة المعاصرة لينطلق بعقله في ارتياد آفاق جديدة على المستوى النفسي والروحي والكياني." (رمضان محمد في الشرق الأوسط ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٣٦).

وعلى التربية أن تبرز للمسلمين في كل مكان حقيقة الانتهاكات التي يتعرض لها المسلمون على أيدي أعدائهم، والتي تزايدت كثيرا في الآونة الأخيرة فكان من ذلك:

أ- محاولة إحراق المركز الإسلامي في مقاطعة "باسيك".

ب- حريق مسجد مدينة "سبرينغ فيلد" في ولاية أليوني من قبل مجهولين ألقوا بالكازولين بالداخل والخارج ^(٢). (كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م "ع ٥٥٨).

ج- بعد حادث أوكلاهوما؛ قامت إحدى شركات المشروبات في أمريكا بفصل ٢١ موظفا من العرب من قسم المبيعات. وكانت الشركة قد قامت بتكريم هؤلاء الموظفين قبل ذلك لدورهم في إنجاح الشركة وزيادة عدد المبيعات.

(١) انظر (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مج ٣، ص ١٦٠٩ - ١٦١٠).

(٢) هذا المسجد حاولت المسلمة . ياسمين ماركينسون ، وهي من المسلمين السود أن تصلي فيه، فرشقتها ثلاث فتيات بالحجارة لرفضها الاستجابة لطلبهن بخلع الحجاب. (كلمة عربي أو مسلم.. في المسلمون ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٥٨).

وقد ظل المفصلون طوال مدة عملهم يعانون من التمييز الممارس ضدهم حيث لم يكن يسمح لهم بالاحتفال بأعيادهم الدينية أسوة بغيرهم من الموظفين اليهود والمسيحيين. بل وكثيرا ما كانوا يسمعون كلمات تسيء إليهم وكل ذلك قد بدأ في أعقاب حادث التفجير الذي وقع في مجمع مركز التجارة العالمي في نيويورك. (كلمة عربي أو مسلم في المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٨).

د- بعد أكثر من ثلاث سنوات على مأساة البوسنة؛ اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكي أول موقف دولي منها، في رفع الحظر عن تسليح الجمهورية. وقد تسبب تأخر هذا القرار في ترجيح كفة الصرب العسكرية. (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٨٦).
وقد علق محمد شاكر بيه وزير الخارجية البوسني على موقف الدول الغربية من مأساة البوسنة^(١) بقوله:

" إن أكبر دروس الحرب في البوسنة، هو أننا نعامل كمواطنين من الدرجة الثانية في لعبة الأمم... وهذا المعيار المزدوج في التعامل هو درس حاسم على المسلمين ألا ينسوه. " (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٨٦).

هـ- طالت الحملة ضد الإسلام والمسلمين حتى الغربيين من الموضوعين، الذين أشادوا بسماحة الإسلام، أو ممن أنعم الله عليهم بنعمة الهداية فدخلوا الإسلام. ومن هؤلاء (روبرت كرين) سفير أمريكا السابق في الإمارات، الذي مورست عليه بعض الضغوط في عمله بعد إسلامه؛ حيث جرد من منصبه واعتبره غير جاد " فيما يهم الولايات المتحدة. " (جردوني من منصبي.. في الشعب، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠١٦).

وهناك الكاتبة الألمانية آن ماري شيميل، التي تبلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاما،

(١) يقول الباحث الأسباني غويتسولوا:

"إن ما حدث في البوسنة هو أن دولة شرعية معترف بها من قبل الأمم المتحدة؛ اعتدى عليها من قبل المتطرفين الصرب المدعومين من قوى خارجية، والذين يمتلكون عتادا، في حين لم يمتلك البوسنيون أسلحة. وعوضا عن أن تقوم المجموعة الدولية بتقديم المساندة والمساعدة، فإنها تركتهم يواجهون مصيرهم لوحدهم. وما حدث يمثل عودة للبربرية... لقد كان الذين دعموا الصرب يعتقدون بأن الصرب قادرين على كسب المعركة بسرعة لكن صمود البوسنيين جعل المجموعة الدولية على يقين بأهمية إنهاء المجزرة بأي شكل. " (لقاء مع خوان غويتسولوا في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٤).

والتي تعتبر أحد رواد أدباء العالم في الحضارة الإسلامية. فهذه الكاتبة قد تم اختيارها للجائزة أفضل كتاب في ألمانيا باعتبارها رمزا للتسامح الذي نجح في بناء الجسور بين الإسلام والغرب، إلا أن ذلك قد أثار موجة من الاستياء والغضب بين الكتاب في ألمانيا إلى الحد الذي دفع بنحو ١٥٥ أدبيا وناشرا ومفكرا، من بينهم البنغلاديشية تسليمة نسرين؛ إلى توقيع رسالة مفتوحة إلى الرئيس الألماني يطالبونه فيها بحجب الجائزة عن الكاتبة. (حملة غربية.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

وقد أقام أصحاب دور النشر ومحلات الكتب دعوى مشابهة؛ حيث رفضوا عرض الكتاب بها وبيعه. (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٣).
أما الأسباب التي تدعو أمثال هؤلاء الكتاب، وغيرهم من غير المهتمين بالنقد الأدبي إلى الوقوف هذا الموقف فهي كما أوضحها طاهري:

أ- السبب الأول: أن الكاتبة لم تفكر بكشف الحركات الأصولية في الحاضر، ولم تطلع العالم على السبب الذي أدى إلى " تحول حضارة كانت رائعة في يوم من الأيام إلى ما هي عليه اليوم من فقر فكري وعنف سياسي " كما يدعون.

وهم حين يقولون ذلك لا يدركون أن شيميل لا تهتم بالسياسة الإسلامية المعاصرة وإنما تكتب في التاريخ.

ب- السبب الثاني: وهو (جريمته) الحقيقية؛ رفضها الانضمام إلى الحملة المساندة لسلمان رشدي، حيث إنها بدلا عن ذلك تكيل المديح للأنظمة القمعية في العالم الإسلامي. (طاهري في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٣).

ويجدر بالذكر أن نشير هنا إلى أن الرئيس الألماني وهو يمنح الكاتبة الجائزة؛ قد امتدح دورها في مد الجسور بين الحضارات المختلفة، وكان مما قاله: " لن نستطيع العيش معا إذا لم نتبادل أطراف الحديث، وعرفنا بعضنا البعض. لقد مهدت شيميل لذلك في علاقاتنا بالإسلام وعلمتنا كيف نمد الجسور مع حضارات أخرى " (حملة غربية.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٥٩).

فعلى المؤسسات التربوية أن توضح للمسلمين ذكورا وإناثا؛ أن هذه الانتهاكات والحمولات الشرسة التي ت طال المسلمين والمتعاطفين معهم، إنما تجد مساندة من قبل بعض التيارات السياسية والعقائدية من داخل المجتمع الإسلامي ومن خارجه.

وأبرز التيارات الداخلية تتمثل في الحركات المتطرفة التي عمت أرجاء العالم الإسلامي والتي تعمل تحت ستار الإسلام وباسمه، والإسلام منها براء. فرغم أن هذه التيارات لا تمثل الصحوة الإسلامية، إلا أنها ترفع شعارها، مما أعطى إسرائيل وغيرها من الأعداء مجالا لاستعداد المسلمين، والخوف من صحتهم. (الجسر في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٣٧).

أما أبرز التيارات الخارجية فتتمثل في المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، وهذا ما أكده المحامي الأمريكي (مايكل وارن) في لقاء مع مجلة المجتمع، حيث ذكر بأن لديه قناة راسخة بتدبير بعض القضايا والأحداث داخل المخابرات المركزية CIA، والمباحث الفيدرالية FBI، بمشاركة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (الموساد) ومن بين الأدلة على ذلك: " الهالة الإعلامية الضخمة التي صاحبت حادث تفجير مركز التجارة، والتي استهدفت تأليب الرأي العام الأمريكي على المتهمين المحتملين، ثم إصاق التهم بالإسلام والمسلمين.. وهو يرى بأن كل الدلائل "... تؤكد أن هذه المؤامرة مدبرة من قبل أطراف صهيونية في نيويورك وتل أبيب. وأنها تهدف بالدرجة الأولى؛ تشويه صورة الإسلام الناصعة حتى تظهر الصهيونية أكثر قبولا في عيون الناس. " (لقاء مع مايكل وارن في المجتمع، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ع ١٠٧٨، ص ١٧-١٨).

* * *

المبحث العاشر

التربية الاقتصادية للمرأة المسلمة المعاصرة

يحرص الإسلام على أن تكون شخصية المسلم متزنة تتميز بالحكمة التي تمكنها من وضعها في جميع المجالات، والجانب الاقتصادي يمثل أحد المجالات التي ينبغي على التربية أن تهتم به؛ بحيث تمد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات والمهارات والاتجاهات اللازمة التي تمكنها من الإسهام في عملية التنمية وإزالة ما بالأمّة الإسلامية من تخلف.

وسوف نتناول فيما يلي دور التربية في ذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة للإسهام في التنمية.

ثانياً: المرأة والاستهلاك.

ثالثاً: دور التربية في تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على التخطيط والإدارة داخل المنزل.

رابعاً: اتجاهات ومهارات اقتصادية ينبغي على التربية أن تعمل على تنميتها لدى المرأة المسلمة المعاصرة.

أولاً: دور التربية في إعداد المرأة للإسهام في التنمية:

ظلت المرأة تؤدي دورها في جميع مجالات الحياة الاجتماعية منذ بداية الوجود البشري، وتشارك في تقدم المجتمعات وازدهارها بما تقوم به من أعمال إلى جانب مهامها الأساسية المتمثلة في الأمومة والزوجية.

لكن عدم احتساب هذه المهام ضمن الدخل القومي قد جعل علماء الاقتصاد والتنمية الاقتصادية في الغرب يعتبرون المرأة عضواً عاطلاً في المجتمع، ويعتبرون أن عدم مشاركتها في التنمية يمثل إهداراً للطاقة البشرية.

وما من شك في أن هذه النظرة تخالف وجهة نظر الإسلام، الذي يعتبر عمل المرأة داخل المنزل موازياً لعمل الرجل خارجه، فقد رأينا أن رسول الله ﷺ قد أجاب وافدة النساء بما يفيد ذلك حيث قال: "إن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل كل ما ذكرت"^(١).

(١) انظر نص الحديث ص ١٣٤.

ومن ذلك ندرك الخطأ الكبير الذي يقع فيه من يعرف العمل على أنه " نشاط يؤدي إلى أجر مالي "، فهو على حد رأي زهور الأزرق تعريف ناقص يغفل جهد المرأة المخلص في تربية أبنائها ورعاية شئون أسرتها، وهي أعمال لا تتقاضى عليها المرأة أي أجر، في حين أن استئجار من يقوم بها نيابة عنها يكلف الكثير إلى جانب السليبات العائدة على تكوين الإنسان حين تستند تربيته إلى غير أمه.

وتضيف الأزرق بأنه إذا ما استخدمنا ما يسمى بالميزانية الزمنية في تقدير أعمال المرأة داخل البيت، لوجدنا أنها تبذل وقتها وجهدها بدون حساب، وبدون مقابل مادي، في حين أنها تصنف ضمن غير العاملين. وهذا الإغفال هو الذي أدى إلى المناداة بمشاركة المرأة في التنمية وخروجها إلى العمل، وكأنها لم تسهم فيه منذ أن خلق الله الإنسان، في حين هي تمثل في الحقيقة أحد أسس التنمية الثلاث: المادة، والتقنية والإنسان. فقد جعلها الله وسيلة لإيجاد الإنسان، ومربية له، وساهرة على رعايته، ومن ثم وجب تصحيح النظر إلى مهمتها^(١) (الأزرق في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٧٦٥).

وما قالت الأزرق هو عين ما ينادي به علماء الاقتصاد في الوقت الحالي، حيث يرون بأن النمو الاقتصادي هو هدف وسيط أو شرط لازم للتنمية الاقتصادية؛ لكن الهدف النهائي لها هو التنمية البشرية (عمار في العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٤٤٩، ص ٦٨).

ومن هنا جاءت دعوة علماء الاقتصاد إلى الاهتمام بالتعليم باعتباره أهم العناصر الفعالة في إعداد القوى البشرية الملائمة لمطالب التنمية (شكاره، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٢٧٤).

وحيث إن المقصود بالتنمية هو " رفع محصلة المعارف العلمية والتقنية، وبالتالي دفع القدرات الإنتاجية لمجتمع ما لتصبح مسايرة للعصر وغير متخلفة عنه، ومتوازنة،

(١) أقيم في مدينة بوينس أيرس بالأرجنتين، المؤتمر العالمي الأول لربات البيوت من أجل مناقشة " الطلبات المتغيرة للنساء في المنزل ". وقالت (ليتا دي لازاري) رئيسة رابطة ربات البيوت والتي قامت بتأسيس الاتحاد الدولي لربات البيوت: " إن أعضاء الحركات النسائية، والشابات جنسيا كلهن يشغلن المسرح، ومن ثم فلماذا لا نفعل نحن ذلك أيضا " وقالت أيضا: " إن هذا الاجتماع يمثل بدء حملة للاعتراف بمهمة ربة البيت. " وإن " أفضل وزير اقتصاد في العالم هو ربة المنزل ". وقد حضر المؤتمر ربات بيوت من ١٤ دولة من بينها روسيا وألمانيا والأرجواي. (ربات البيوت يعقدن.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٤).

ومتجاوبة مع متطلباته وطموحاته الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية " (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٣)؛ فإن الأمر يقتضي من التربية أن تعمل على تنمية قدرات المرأة المسلمة المعاصرة ومهاراتها الحركية والعقلية والنفسية بشكل متكامل، بحيث يتضمن ذلك تدريبها على استخدام التقنية الحديثة بكفاءة تمكنها من الإحسان في أداء مهمتها الأولى المتمثلة في إعداد العناصر البشرية اللازمة لعمارة الكون (التنمية)، وتفيدها أيضا في حالة الاضطرار إلى ممارسة أي نوع من المهن.

وبذلك يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة أن تسهم في تقوية الأمة الإسلامية، ودفعها نحو التقدم بعيدا عن التخلف الذي ترسف فيه، سيما وأن قوة الأمم، كما يوضح عفيفي - قد أصبحت اليوم لا تقاس بعدد الأفراد بل بنوعياتهم وقدرتهم على تحويل كل ما حولهم إلى قوة؛ وذلك بما يتوافر لديهم من قيم خلقية ومهارات اجتماعية وطاقات فكرية، بحيث يكون لديهم من البصيرة والإيجابية في تناول الأمور ما يمكنهم من مواجهة التحديات المختلفة والارتقاء إلى مستوى العصر الذي يعيشون فيه فيفهمونه، ويعملون على مزيد من الانطلاق لأنفسهم ولمجتمعهم (عفيفي، د. ت، ص ٤).

وبذلك تبعد التنمية الاقتصادية عن أن تكون على حساب التنمية الاجتماعية، كما هو الحال في الدول الغربية التي تحققت لديها التنمية الاقتصادية على حساب إنسانية الإنسان.

لقد بالغت الحضارة الغربية في قيمة وجدوى مؤشرات النمو الكمي في الجانب المادي، وما يتضمنه ذلك من تقدم تقني بغض النظر عن محتوى هذا النمو ونتائجه، وتم تصدير هذا التحيز إلى دول العالم الثالث - ومن بينها الدول الإسلامية - داخل نظريات التنمية. وجاء رد الفعل مع شيوع مفهوم التنمية المركبة، وابتداع مؤشرات جديدة وعديدة من أجل قياس النجاح في التنمية، بدلا من الاعتماد على مؤشر واحد، وهو معدل النمو في النتائج الكمية. (وثيقة الاستراتيجية العربية...، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤٣، ص ٤٨).

وقد أثبتت التجارب التاريخية أن التنمية المركبة الناجحة قد اعتمدت دوما على الإرادة المستقلة بحيث تمحور التنمية حول نفسها، وهو ما يجب أن تسعى إليه الدول الإسلامية بحيث لا تقتصر على مجرد الرفض السلبي للتبعية؛ بل تعمل على بناء نموذج

نظري يحدد مضمون التنمية المستقلة التي تسعى إليها (وثيقة الاستراتيجية العربية...، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م، ص ٤٣).

فالدول الإسلامية باعتبارها - من الدول النامية - بحاجة إلى التنمية التي تشمل على نمو وعلى تغيير قوى يدفعها للخروج من حالة الركود والتخلف الذي ترسّف فيه.

ومفهوم التنمية المركبة يخالف مفهوم الحضارة الغربية ويطرح قضية التنمية في حجمها الحقيقي الذي ابتعدت عنه الدول الإسلامية لفترة طويلة نتيجة للانبهار بالحضارة الغربية وما يصدر عنها من أفكار وقيم، وارتبط بذلك ابتلاع مقولة تخلف العالم الثالث ليمتد من القدرات الاقتصادية بحيث يشمل اعترافها بتخلفها في المجالات كافة، الأمر الذي أدى إلى إهدار الثروة الحضارية الهائلة من القيم والسلوك التي تملكها، وأدى إلى الاغتراب عن الأهل وعن الذات بحجة القضاء على التخلف وإحداث التنمية، والإصابة بعقدة نقص رهيبة إزاء التقنية الوافدة، فكان أن انقطعت الصلة بين الإنسان وبين المفهوم الحقيقي للتنمية، والذي ينص على أن:

"الإنسان هو الذي يبدع التنمية التي تساعد في حياته والتي تتفق مع أهدافه وبيئته، ولا يعني ذلك حصراً أن ينتج المجتمع كل ما يحتاجه؛ فقد يستورد بعض احتياجاته التي لا يرى مصلحة في إنتاجها بنفسه، ولكن القضية الجوهرية هي أن يعرف أسرار العملية في كل الأحوال؛ سواء عند إنتاج التقنية بنفسه أو عند استيرادها، وحينئذ يكون في موقع التحكم عندما يقرر ويختار" (وثيقة الاستراتيجية العربية...، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م، ص ٤٧).

وهذا الانقطاع في الصلة قد أدى بالإنسان المسلم إلى:

١- الشعور بالاغتراب.

٢- الشعور بالإحباط واليأس والدونية أمام التقنية وأصحابها.

فكان من الطبيعي أن يتوارى مفهوم الفعل الاجتماعي المنشئ للتنمية وأدواتها؛ الأمر الذي جعل الأدوات تصبح هي المنشئة للتنمية، بحيث يحور كل شيء في البناء والسلوك ليتلاءم معها، (وثيقة الاستراتيجية العربية...، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م، ص ٤٧).

وهكذا تخبط المسلمون في سياسات اقتصادية منقولة عن الغرب، ومن ثم لم تحدث

لديهم تنمية حقيقية؛ لأن التنمية المنقولة قد اقتصر على مجرد نقل نتائج التقنية الغربية دون إدراك لأسرارها؛ مما ضمن للغربيين أن تكون الدول الإسلامية أسواقاً لمنتجاتها، ولأفكارها أيضاً.

فقد جاء في الإستراتيجية العربية للتنمية الشاملة ما ينص على: " أن تقليد الغرب في أنماط التحديث يصل في الحد الأدنى إلى جعل النمو الاقتصادي هدفاً للتنمية في حد ذاته، وتطبيقه عملياً يصل في حده الأقصى ليس إلى تقديس هذا المفهوم الغربي عن النمو فحسب، بل إلى تقديس ما أنتجه والأخذ بإفرازاته من أنماط استهلاكية وحياتية مشوهة.." (وثيقة الاستراتيجية العربية...، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م، ص ٤٩).

إن ما جاء في هذه الإستراتيجية ليؤكد على أهمية التوجه المستقل المرتبط بمفهوم التنمية المحورة حول ذاتها، والمواجهة للقوى المحلية والخارجية التي تسعى إلى عكس هذا الاتجاه. وهو اتجاه يرتبط بالضرورة بإرادة الفعل الاجتماعي وكفاءته، بحيث تستمد التنمية مشروعيتها من عقيدة الأمة ونظرتها للنفس وللآخرين وللكون، وتلتزم بالقيم الإسلامية، وبمعايير السلوك، وأنماط الحياة الملائمة للمجتمع المسلم.

فكل ذلك يحدد نمط التنمية الاقتصادية المطلوبة والتي يمكن أن تشارك فيها المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تعدها التربية بما يؤهلها للاندماج في عملية الأخذ والعطاء، ولا تكون مشاركتها مجرد مظهر لتحديث المجتمع أو محاكاة أنماط التطور في المجتمعات الصناعية، بل يستفاد من طاقاتها الكامنة من أجل إثراء حياتها وحياة من حولها، بحيث لا يقتصر الأمر على مجرد المطالبة بحقوقها المشروعة التي حرمت منها، بل يمتد ليشمل التزامها بأداء مسؤوليتها نحو مجتمعها في مختلف أدوارها على أحسن وجه.

وقد أظهرت التجربة في كثير من البلدان أن الاستثمار في تعليم المرأة، يؤدي ثماراً مهمة في النمو الاقتصادي، وفي تحسين الصحة، ونوعية حياة كل من الرجل والمرأة على حد سواء ^(١)، وأن السياسات العامة، والمبادرات الخاصة التي تراعي مهارات المرأة

(١) يرى خالد القشطيني بأن سر الازدهار الاقتصادي لدول الشرق الأقصى يعود إلى قوة الروابط العائلية لشعوبها والذي انعكس أثره على معاملها وشركاتها الكبرى التي تعمل ضمن ما يشبه التعامل العائلي، وأن ذلك يمثل أيضاً سر تخلفنا، لما يشوب حياتنا العائلية من خصومات وغيره وأنانية تدفع بالأخ إلى الفتك بأخيه، والابن إلى قتل والده، والزوج إلى طلاق زوجته. فالمرأة هناك هي أساس الحياة العائلية، واللينة الأولى في المجتمع من حيث النفوذ والدور في تقويم العائلة، وهي كذلك في المجتمعات اليهودية. =

وإمكاناتها؛ بتوفير الموارد والفرص التي تحتاجها لإخراج نفسها من الفقر، يمكن أن تساعد في توفير أساس لتحقيق نمو اقتصادي فيه إنصاف.

(الأعمال التحضيرية للمؤتمر العالمي الرابع للمرأة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٠، ص ١٢).

ومع تصاعد أهمية الكفاءة الإنسانية في العصر الحديث، فإنه يصبح من واجب التربية أن تعمل على الحد من النزعات الاستهلاكية التي تشيع بين النساء؛ وذلك من خلال أخذ الخطط التنموية العامة بعين الاعتبار عند تخطيط النظم التعليمية والمناهج الدراسية والبرامج التربوية بصفة عامة، بحيث تعمل على تنمية قدرات المرأة ومهاراتها بما يمكنها من الإسهام في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ضمن الإطار العام لمبادئ التربية الإسلامية.

ونؤكد هنا على أهمية مراعاة مبادئ التربية الإسلامية من أجل تفادي الإفراط في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة للعمل خارج المنزل بعيدا عن مهمتها الأساسية، وكذلك تفادي إخضاعها للأعراف والتقاليد التي قد تجعلها تحجم عن - أو تحول بينها وبين - المبادرة دون داع بحيث يكون هناك توازن في تناول الأمور يكفل إحسان المرأة في أداء ما عليها من مسؤوليات قبل التفكير في أداء أية أنشطة إضافية.

ولابد للتربية من أن تولي المرأة الريفية عناية خاصة؛ حيث إنها في الوقت الحالي تبذل جهودا كبيرة في مجال الإنتاج الزراعي إلى جانب قيامها بالأعمال المنزلية وشغل أوقات فراغها ببعض الأشغال اليدوية (بدري، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٤٩).

ولكن مع كل ذلك يبقى نشاطها الاقتصادي ضعيفا لا يحقق الإنتاج الذي يمكن أن توفره إذا ما وجدت التعليم والتأهيل اللازمين للانطلاق بطاقتها وتحريرها من كل القيود التي تكبلها في ظل الأعراف والتقاليد التي ليست من الإسلام في شيء.

إن التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تتضمن ما يحقق الأهداف العامة للتربية الإسلامية هي السبيل الأمثل للنهوض بالواقع الإسلامي والقضاء على أمراضه وتخلفه. لكن ذلك لا يمكن أن يحدث بدون إحياء الروح الإسلامية واليقظة الدينية لدى المرأة

= فالصناعة في دول الشرق الأقصى " لا تعمل بقوة الفحم أو النفط، ولا الكهرباء أو الذرة. إنها تعمل بقوة العائلة " (القشطيني في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٢٢٩).

المسلمة المعاصرة بما يستثير طاقاتها ويولد لديها الحماس الذي يدفعها للعمل من أجل إحداث التغيير المطلوب بعد أن تدرك أن إثارة الدنيا إنما هو من صفات الأمة الميتة التي يتوقف اهتمام إنسانها على الدنيا وشهواتها دون تفكير في أمور الحياة والنشأة والمصير، وبعد أن تعي تحذير الرسول ﷺ لأمته من فتنة المال التي قد تصل بصاحبها لأن يكون عبداً للأشياء، كما جاء في الحديث: "تعس عبد الدينار، تعكس عبد القטיפعة، تعس عبد الخميصة..."^(١).

فالقטיפعة هنا رمز للأثاث والخميصة هي اللباس، ومسلمة اليوم - إلا من رحم الله وهن قليل - هي أكثر من ينطبق عليها هذا الوصف.

وأهم ما يجب على التربية أن تؤهل المرأة المسلمة المعاصرة له؛ هو كيفية التخطيط والتنفيذ لمسئولياتها الأساسية داخل المنزل عن علم ودراية، وكيفية التوفيق بينها وبين لمسئولياتها خارج المنزل إذا ما أتاحت لها الفرصة بذلك.

ثانياً: المرأة والاستهلاك:

مع تطور وسائل الإنتاج في بداية القرن الحالي، فتحت أسواق جديدة لمنتجات العالم الصناعي في دول العالم الثالث، الأمر الذي أوقع الأخيرة في قبضة التبعية، ومن ثم تخلفت - وفي زمرتها غالبية المسلمين - تخلفا رهيبا.

ويقرر مالك بن نبي أن الفكر الإسلامي قد عجز منذ قرون عن إدراك حقيقة الظواهر؛ حيث لم يكن يرى منها سوى قشرتها، فأصبح عاجزا عن فهم القرآن واكتفى باستظهاره، حتى إذا ما انهالت منتجات الحضارة الأوربية؛ اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالا دون نقد للقيم المصاحبة لها، واكتفى بالحصول عليها، دون معرفة لكيفية إبداعها. فكانت المرحلة الأولى من مراحل التجديد في العالم الإسلامي تتمثل في التطور الكمي، و(الغرام) بكل ما هو جديد، والذي انتشر في جميع طبقات المجتمع (ابن نبي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٥٩).

وفي غمرة الانبهار بالتقدم الغربي، لم يتنبه المسلمون إلى أنه كان الأجدر بهم أن يقتبسوا من الآخرين ما يساعدهم على تحقيق غاياتهم ويتفق مع إمكانياتهم؛ متبعين في ذلك خطى

(١) انظر نص الحديث ص ٤٨.

المجتمع الإسلامي الأول الذي انفتح على مجتمعات متقدمة، فأخذ من عاداتها وتقاليدها بعد اختبار واختيار بين بدائل مختلفة. لكنهم ومع الأسف وقعوا في مصيدة الغرب الاستهلاكي الذي يعمل على الترويج لبضائعه، والتعميم لقيمه بكل سبيل.

وقد وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأن وجودنا في موقع الاستهلاك، هو من نعم الله علينا حيث جعل الأعداء في خدمتنا، غير مدركين أن هذا الاعتقاد هو من معطيات التخلف والانحطاط، والتدين المغشوش المغاير للمسيرة الحضارية الإسلامية، وإنجازاتها في مختلف الميادين (حسنة في مقدمة النجار، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م).

ونجد أن عبارة عدم التغرب قد أصبحت لدى بعض المسلمين في عصرنا الحاضر مساوية لعدم التحضر، والمقصود بالتغرب هو استهلاك المنتجات الغربية الفارغة من أزياء وعطور وأثاث وديكور (عبد العظيم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣، ص ١٤٦).

وقد انسحب ذلك أكثر ما انسحب على المرأة المسلمة المعاصرة التي أصبحت أكثر (تحضرا) منها بالأمس وذلك بالماكينات والأثاث والسيارة بل وحتى اللغة، حيث أصبحت منبهة بكل ما هو غربي وفاقة للإبداع وأسيرة للدعايات. وبذلك أسهمت إلى حد كبير في توفير سوق هائلة لتصريف المنتجات الغربية.

فالمرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - لم تكتف باقتباس أفكار ومفاهيم المرأة الغربية الخاصة بالتحضر والمساواة.. إلخ؛ بل اقتبست أيضا مظهرها الخارجي، حيث إنطلقت وراء الموضة والاستهلاك دون وعي أو تفكير.

وفي ذلك يقول بو علي ياسين:

"... هكذا وجهت فئة من النساء العربيات أنظارها نحو الغرب الرأسمالي..... انفتحت مثل وطنها المتخلف التابع، وانطلقت تلهث وراء الموضة والاستهلاك. وفي هذا اللهاث رمت ورائها تراثها الأنثوي العربي، حتى الثياب العربية الجميلة؛ ارتبطت في ذهنها بالتخلف والعبودية والجهل. هكذا أصبحت مستوردة مثل اقتصاد بلادها، مقلدة غير مبدعة، جسمها في الوطن وروحها في الغرب. وفي هذه الغربة الروحية فقدت الأمان الأنثوي الذي كان لأمها وجدتها. أصبحت المسكينة تتنشق الأخبار البعيدة عن آخر التطورات في عالم الزينة والموضة والديكور والإتيكيت. تخاف أن يحدث شيء لم تسمع به، فتصبح متخلفة عن الركب السريع" (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٤٢).

وهكذا انساقت المرأة المسلمة المعاصرة في تبعية عمياء لكل ما هو مستورد، وكبلت نفسها بقيود ترتبط بالمستوى الغريزي الأول، وأصبحت غير قادرة على التفلت منها، خوفاً من أن تتهم بالتخلف والرجعية.

١ - من هي المرأة الاستهلاكية؟

إن النظرة الفاحصة إلى مجتمعاتنا توضح لنا أن أكثر النساء إتباعاً للأنماط الاستهلاكية هن المترفات، وهؤلاء وإن كان عددهن قليلاً إلا أنهن الأكثر تأثيراً على غيرهن، ويساعدن في ذلك وسائط الثقافة المتغربة التي تدفع بالكثيرات من ذوات الدخول المتوسطة والمتدنية إلى تقليدهن.

فهذه الفئة من النساء نجدها تشغل أوقاتها بأعباء المنزل، وترتيب الولائم والدعوات من أجل المجاملات، ومظهرها خير دال عليها. فهي من خلال الملابس والساعة والحذاء تبلغ من حولها عن مكانتها الاجتماعية دون حاجة إلى الكلام^(١). وعلى الرغم من أن من بينهن من لا تعمل خارج المنزل إلا أنهن حريصات على الخدم، أما تنشئتهن لبناتهن فتمتهد غايتها الزواج، وإذا ما شاركن في الأنشطة الاجتماعية كالجمعيات مثلاً؛ فإنهن ينطلقن في ذلك من خلال تصورهن لها كعروض للأزياء، واستعراض للأثريات... وهكذا. (عبد المعطي، في مؤتمر المرأة والتنمية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٧٣٢ - ٧٣٤ / مرسى، ص ٧٢٣ - ٧٥٤).

وتشير سهام القحطاني إلى أن هناك فئة من المسلمات المعاصرات لدينا يفكرن بمنطق تثمين الشكل الخارجي بدءاً من لون الشعر ونهاية بحقيبة اليد ذات السعر العالي، وتصل المبالغة في التبعية العمياء للغرب لدى بعض النساء إلى درجة ارتداء قبعات للرأس تحولن "دون مسوغ إلى رسم كاريكاتيري لامرأة أوروبية"، في حين نجدهن مفتقدات لمقاييس التحضر السلوكي، وأسلوب التفكير، والرؤية العميقة لبواطن الأمور (القحطاني في عكاظ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٣٨٨).

(١) وجد من خلال استطلاعات الرأي العام، أن هناك إجماعاً على أن المنتجات الفاخرة تمثل الأسلوب الوحيد للتمييز عن الآخرين، وأن ذوي الدخول المتوسطة قد باتوا يشكلون قوة شرائية مهمة في هذا المجال لتعريف الآخرين بانضمامهم للنخبة (ملحق التسوق في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٩٩).

٢- العوامل التي تساعد على وقوع المرأة في أسر الاستهلاك:

يقرر توفلر أن المرأة تبدأ في تعلم الأنماط الاستهلاكية منذ الصغر، حيث تستبدل دميته العادية بأخرى محسنة تقنيا؛ الأمر الذي يجعلها تدرك أن علاقاتها بالأشياء لا تدوم. وعلى نفس الوتيرة تتلقن ثقافة التخلص من الأشياء وذلك من خلال التخلص من كثير من أمور المنزل؛ كالمحارم والمناشف والمناديل الورقية وزجاجات المشروبات، وصواني الكعك وأكياس البلاستيك (توفلر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٥١ - ٥٤).

وهناك كثير من العوامل التي تلعب دورا كبيرا في إغراقها في الاستهلاك والتي يمكن تقسيمها إلى:

- ١- عوامل اقتصادية.
- ٢- عوامل نفسية.
- ٣- عوامل ثقافية.

أ- العوامل الاقتصادية:

أبرز العوامل الاقتصادية التي تشجع المرأة على الاستغراق في الاستهلاك تتمثل في:

١- زيادة الدخل.

٢- التسهيلات المصرفية.

١- زيادة الدخل:

إن زيادة دخل الإنسان عن حاجته ومصرفاته الضرورية ترقى بالحاجات الثانوية لتصبح في مرتبة الضروريات. ونجد الدكتور محمد المطوع وكيل كلية الآداب في جامعة الإمارات يؤكد على أن حدة الاستهلاك في الدول الإسلامية الغنية؛ قد زادت نسبتها مع ارتفاع دخل أفرادها أيام الطفرة الاقتصادية (كل الأسرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٢٥).

٢- التسهيلات المصرفية:

وهذه تساعد المرأة على الاستغراق في الاستهلاك بما تتيحه لذوي الدخل المحدود من فرص ممارسة الاستهلاك بصورة تغطي وضعهن الاجتماعي الحقيقي، وذلك عن طريق الاقتراض الذي يجعلهن يجارين الغنيات والمترفات في المظهر (كل الأسرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٢٥).

ب- العوامل النفسية ومن أبرزها:

١- الفراغ الذي تعاني منه المرأة: وخاصة الغنية التي قد تلجأ إلى الأسواق لتعوض إحساسها بالفراغ حيث يمنعها قصور تفكيرها من توظيف وقتها فيما يفيد، سيما وأن جلسات النساء عادة ما تفيض بالحديث عن آخر خطوط الموضات، فتجدها تحاول تأكيد مكانتها من خلال المظهر.

٢- التعويض عما تعانيه من كبت: فحيث إن المرأة المسلمة المعاصرة في كثير من البيئات تحصر ضمن نطاق ضيق يمنعها من الاستفادة من قدراتها وطاقاتها ضمن الإطار المشروع، فإن ذلك يدفعها إلى البحث عن البديل الذي يهديها إليه قصور تفكيرها وهو الاستهلاك.

ويصف بو علي باسين، حالة المرأة المستهلكة فيقول: " فهي تعيش كابنة القرن التاسع عشر في نهاية القرن العشرين، حيث تصل إليها آخر خطوط الموضة فهي مستهلكة غير منتجة، منفعة غير فاعلة، تجدد في تقليدها الجنوني للمرأة الغربية تعويضا عما تعانيه من كبت " (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٦٣ - ١٦٤).

٣- الرغبة في إرضاء الآخرين: فمن بين النساء من تعتمد إلى الاستغراق في الاستهلاك بدافع إرضاء رغبات الآخرين فنجدها - رغم عدم قناعتها بما تفعل - تعتمد إلى مجاراتهن في أنماطهن الاستهلاكية، ومن ذلك شراء ما لا يعجبها من أزياء وغيره؛ فهي تجاري الأخريات خوفا من أن تتهم بالتخلف أو البخل.

ج- العوامل الثقافية:

وهذه تلعب وسائط الثقافة المختلفة دورا كبيرا فيها؛ حيث تعمل على تشجيع المرأة على الاستغراق في الاستهلاك بطرق كثيرة من أبرزها:

١- الدعايات التجارية:

أصبحت الدعايات اليوم تمثل جزءا لا يتجزأ من التجارة، وأصبح العمل الذي لا يقترن بها محكوما عليه بالفشل مهما كانت درجة إتقانه، في حين أن الدعاية الناجحة كفيلة بإنجاح أي مشروع، حتى وإن كان يعتوره قصور في بعض الجوانب.

ويكفي دليلا على ذلك ما ذكره عالم فرنسي شغل منصب مدير هيئة بحوث الأغذية والطعام الإفريقية في كتاب له بعنوان "العوامل المؤثرة في أنماط التغذية"، حيث ذكر أنه أجرى بحثا عن تغذية الأطفال في ساحل العاج، فوجد الأمهات يسقين القهوة لأطفالهن ممن تقل أعمارهم عن عشرين شهرا، فلما سأل عن ذلك أجابه أحد الطلبة في دهشة من جهل السائل:

"ألم تقرأ أو تسمع العبارة التي تتكرر كل يوم في الإذاعة بأن البن الذي تنتجه شركة معينة؛ يجعل الرجال أكثر قوة والنساء أكثر مرحا، والأطفال أكثر ذكاء".

وكان ذلك الإعلان قد صدر عن شركة أطعمة أمريكية أنفقت خلال عام ١٩٧٢ مبلغ ١٢٥ مليون دولار أمريكي على الإعلان وحده؛ أي بما يزيد بـ ٤٣ مليون دولار عن ميزانية منظمة الصحة العالمية (عبد العظيم، ١٤١٣هـ / ١٩٧٣م، ص ١٤٧).

وهكذا تلعب الدعاية دورا كبيرا في تغيير أنماط الحياة المعيشية بأساليبها الجذابة والمشوقة التي تدفع بالمستهلك إلى تجريب معروضاتها.

ويشير كجك إلى أن معظم السلع المعلن عنها لا حاجة حقيقية بالمستهلك إليها، لكن الإعلان يغرس في النفس شعورا بالحاجة إليها والحرص على تجربتها أو مشاهدتها في المتاجر الكبيرة، بحيث يجد المرء نفسه مدفوعا إلى تجربة الجديد من أجل المفاضلة^(١) (كجك، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦، ص ١٥٤).

ونجد القائمين على الإعلانات يستخدمون كثيرا من الأساليب التي تخدع بواسطتها المرأة فتعتمد إلى الإسراف في الشراء والاستغراق في الاستهلاك، ومن هذه الأساليب:

١- ارتفاع سعر السلعة:

إن جهل المرأة بأساليب الشراء يمكن أن يتسبب في انخداعها بالسعر العالي، حيث تعتمد إلى شراء الأشياء ذات السعر المعتدل بمبالغ باهظة من محلات تدعي بأنها لا تباع

(١) أنشئت في ألمانيا أول محطة تلفزيونية نسائية من قبل أحد أكبر دور النشر والإعلام والاتصالات. وقد أثبتت المحطة أنها مورد كبير لحصيلة الإعلان حيث زادت حصيلة الإعلانات خلال شهر واحد بنسبة ٩٠٪ بعد أن اكتشفت المؤسسات الألمانية مدى سهولة تصريف منتجاتها المختلفة عن طريق البيع عبر التلفزيون الذي تمارسه ربة المنزل وهي تستمتع بمشاهدة التلفزيون الذي يحول المرأة إلى مخلوق استهلاكي (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٤).

سوى الأشياء الفاخرة، حيث يعترف أصحاب المحلات بأنهم يرفعون سعر البضائع لأن النساء يقبلن على شراء الأشياء المرتفعة أكثر من الأشياء التي ينخفض ثمنها.

٢- شكل المادة المعروضة:

جاء على لسان محمود سعيد صاحب المصنع السعودي للعطور قوله: " إن شكل الزجاجاة وعلبة العطر، يعد من العوامل المهمة التي تدفع المرأة إلى اقتناء عطر ما دون الآخر، وهذا ما يدفع الشركات إلى تصميم أشكال مختلفة من الزجاجات للعطور " (ملحق التسوق في الشرق الأوسط ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٨٩٩).

٣- أسلوب التخفيضات:

وهذا أحد فنون تسويق السلع من أجل تصريف البضائع التي تمتلئ بها المخازن والمتاجر، وهو في بعض الأحيان وسيلة من أجل تعزيز القدرة التنافسية وتعزيز المبيعات في السوق.

ويشير مدير أحد المحلات التجارية إلى أن أحد أسباب اللجوء إلى التخفيضات هي التصفية الشاملة والمحدودة والجزئية من أجل تصريف سلع وموديلات ركد الطلب عليها، وتكون ظروف تسويقها صعبة (ملحق التسوق في الشرق الأوسط ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٨٩٩).

ونجد النساء بصفة عامة حريصات على متابعة فترات التخفيضات خاصة للمحلات الشهيرة، الأمر الذي يجعلهن يندفعن إلى شراء ما لا حاجة حقيقية لهن به.

وهنا يكمن دور التربية في تحذير المرأة المسلمة المعاصرة من الانخداع بالأساليب التي يستخدمها المروجون للسلع والتي تهدف إلى تحويلها إلى مخلوق استهلاكي لا هم له إلا إشباع شهواته في تبعية عمياء تعميها عن التنبه إلى حقيقة الهدف الذي خلقت من أجله والدور الذي يجب عليها أن تؤديه إسهاما منها في عمارة الكون، ناهيك عن الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي يخلفها التهالك على الاستهلاك على واقع حياة الأسرة. وفي ذلك يقول جارودي:

"... إن مجتمع النمو يراهن مراهنه منظمة على صورة معينة للمرأة هي في كثير من الأحيان ابتكار ذكوري محض؛ مستحضرات التجميل، مزيلات روائح الجسم، مواد لتخفيف الوزن، ونماذج حياة تقترحها السينما والتلفزيون بالاعتماد على النمط المعيشي

المعقد والمبلبل لبعض نجوم هوليد، اللواتي يوفرن دعاية حية " لأنماط من الحياة ومن البذخ والترف الموقوفة على أقليات متطفلة ". ونتائج هذه المحاصرة الإعلامية ليست اقتصادية فحسب بل تسحب على العلاقات الإنسانية بما فيها أكثر العلاقات حميمة على صعيد الأسرة (جارودي وآخرون، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٢٢).

ومن أجل تحذير المرأة من الانخداع بالأساليب الدعائية، ينبغي على التربية أن تنبهها إلى السلبيات وفي الوقت نفسه لا تغفل الإشادة بالإيجابيات، بحيث تعلم المرأة كيف تتأثر بالإعلانات تأثراً إيجابياً يفيدها في واقع حياتها المعاش.

وقد أشارت كوجك إلى بعض هذه السلبيات والإيجابيات والتي نوردتها فيما يلي:

أ- من سلبيات الدعايات:

- ١- أنها قد تخلق رغبات غير حقيقية لدى المستهلك.
- ٢- أنها تعتمد على خصائص مبالغ فيها للسلعة.
- ٣- أنها تركز على الدوافع والمؤثرات العاطفية ولا تخاطب العقل والمنطق.
- ٤- أنها قد تتضمن معلومات غير صحيحة.
- ٥- أنها لا تعطي معلومات كافية عن السلع، بل تركز على المعلومات التي تدفع بالمستهلك إلى الشراء.

ب- من إيجابيات الدعايات:

- ١- أنها تعطي معلومات عن سلع وخدمات جديدة.
- ٢- أنها تدل على مكان الحصول على السلع، فتسهم في توفير الوقت والجهد.
- ٣- أحيانا تعطي أفكارا جديدة لاستخدام سلع معروفة.
- ٤- تؤدي إلى تنافس المنتجين في تقديم أحسن الخدمات.
- ٥- تؤدي أحيانا إلى تخفيض الأسعار.

(كوجك، المرجع في التربية...، د.ت، ص ٤٥٨)

٣- الأوقات التي يكثر فيها الاستهلاك:

إلى جانب فترات التخفيضات، فإننا نجد أن شهر رمضان المبارك، يعد الشهر الذي يكثر فيه الاستهلاك في غالبية المجتمعات الإسلامية. فبدلاً من أن يكون هذا الشهر فرصة للأغنياء من أجل تذكر إخوانهم من الفقراء، والعمل على إمداد العون لهم؛ فقد أصبح رمضان يمثل الشهر الذي يكثر فيه التهالك على الاستهلاك حيث تتغير أنماطه كما ونوعاً عن الأنماط السائدة في بقية شهور السنة.

وتشير إحدى الدراسات التي أجريت في أحد المجتمعات الإسلامية الغنية إلى زيادة عامة في الإنفاق الشهري الأسري تتراوح ما بين ٥٠٪ إلى ١٠٠٪ عن الإنفاق في الشهور الأخرى. وهذه الزيادة لا تشمل المبالغ الأخرى التي تصرف في نهاية الشهر على قطع الأثاث، أو الأجهزة المنزلية، أو هدايا العيد (ملحق التسوق في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٩٩).

٤- دور التربية في ترشيد الاستهلاك:

يمكن من خلال التربية الإسهام في ترشيد الاستهلاك في المجتمع المسلم المعاصر بالتوجه إلى المرأة المسلمة المعاصرة باعتبارها اللبنة الأساسية وذلك من خلال توعيتها بأهمية الحد من الاستهلاك الذي يحولها إلى مخلوق لا هم له إلا شهواته، وبخطأ إتباعها للمرأة الغربية في أنماطها الحياتية.

ولابد أن تعي المرأة المسلمة المعاصرة أن المجتمعات الغربية لم تصل إلى مرحلة الاستهلاك إلا بعد أن قطعت مراحل عديدة في التصنيع والإنتاج؛ ومن ثم فإن تغيير تخلف المجتمعات المسلمة لا يكون بالتهالك على الشهوات؛ بل بامتلاك إنسانها للصفات المؤهلة للتقدم، وأهمها الاقتصاد والاعتدال والانضباط في استخدام الموارد (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٩١).

كذلك ينبغي الاهتمام بتنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى المشكلات المختلفة التي أفرزها الاستهلاك في واقع المجتمع المسلم في مختلف المجالات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

وقد أشار النجار إلى بعض هذه المشكلات نذكر منها:

١- التخلف العام للمجتمع.

٢- انهيار الاقتصاد.

٣- تراكم الديون.

٤- تضاؤل الاهتمام بقضايا العلوم والتقنية حتى فيما هي في أمس الحاجة إليه من أجل مقاومة الكوارث التي تحل بها، أو توفير المأوى، أو الغذاء (النجار، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٤).

ويؤكد توفلر هذه الحقيقة بإشارته إلى أن انغماس بعض المجتمعات الإسلامية في الاستهلاك يتصادم مع حقيقة الفقر الذي تعاني منه كثير من المجتمعات الإسلامية ^(١) (توفلر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٥٤).

فالتربية هي التي تنبه المرأة المسلمة المعاصرة إلى حقيقة التكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن يشيع في المجتمع المسلم من أجل القضاء على جوانب التخلف فيه، وكيف أن ذلك إنما يمثل عقوبة حلت بالمجتمع المسلم بعد أن تحلى أفراداه عن الالتزام بمبادئ إسلامهم.

يقول الأستاذ حوى: " ما من سنة ولا فريضة تترك إلا ويترتب على تركها عقوبة فطرية، وما من محرم يرتكب إلا وتترتب عليه عقوبة فطرية..." (حوى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣٣٨).

ونجد التوجيهات القرآنية والنبوية تحث على الاعتدال في كل شيء وتؤكد خاصة على الزينة والطعام والشراب.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْنِيْٓ ءَادَمَ حُذُوْا زَيْنَتَكُمْۢ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْاۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَۙ﴾ [الأعراف].

ويقول الرسول الكريم ﷺ: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة". (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٧، اللباس / ١، ص ٣٣).

(١) تذكر سهام القحطاني، وتبعاً لبعض الإحصائيات الاقتصادية؛ أن المرأة في بعض الدول الإسلامية الغنية؛ هي من أكثر زبائن بيوت الأزياء العالمية، وأنها تعلم عن الأزياء الشتوية والصيفية وغيرها من الفصول أكثر مما تعلم عن أخبار المجاعات والحروب، بل وحتى أكثر مما تعلمه عن مآسي مجتمعاتها المحلي (القحطاني في عكاظ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٣٨٨).

لكننا وجدنا المسلمين يغفلون عن هذه التوجيهات، ويدل على ذلك ما نلاحظه عليهم من انغماس في الاستهلاك، حيث سيطرت عليهم الشهوات إلى درجة الطغيان، حتى دخلوا في حالة الوهن الذي أخبر عنه الرسول ﷺ بقوله: " وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت " (أبو اود، د.ت، ج٤، الملاحم/ رقم ٤٢٩٧، ص ١١١).

فحب الدنيا قد تغلب على المسلمين رغم أن الرسول ﷺ قد حذرهم منه.
يقول ﷺ: " إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " (مسلم، د.ت، الزكاة/ ٤١، ج٢، ص ٧٢٩).

وهكذا انغمس الفرد المسلم - ذكرا وأنثى- في الاستهلاك الذي حال بينه وبين إدراك الهدف الأساسي من وجوده، وهو العبادة. وبذلك انحصر همه في إشباع الكيان المادي لجسمه دون أن يتجاوز به إلى الجانب الروحي، ومن ثم استحق المسلمون المنزلة التي هم عليها الآن، حيث التخلف والانحطاط بسبب التكالب على الدنيا بعد العز والرفعة التي كانوا عليها حين كانوا يبتغون الآخرة.

يقول الرسول ﷺ: " من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له " (الترمذي، د.ت، ج٤، القيامة/ ٣٠، ص ٥٥٤).

كذلك ينبغي - من خلال التربية - العمل على توجيه أفراد المجتمع المسلم - ذكورا وإناثا - إلى أن بقاءنا في حالة التبعية يزيد من استغراقنا في الاستهلاك ويدفع الآخرين إلى بذل كل ما في وسعهم والإلحاح علينا من أجل شراء ما لا نحتاجه حتى نغرق في الديون.

فالأمر يحتاج إلى تربية أفراد المجتمع - ذكورا وإناثا - على الاستغناء عن الكماليات والترفيهات التي لا حاجة حقيقية لها، وضبط النفس من خلال القناعة والزهد.

ونجد علم الاقتصاد المنزلي؛ يقرر أن هناك فرقا بين مستوى الاستهلاك ومستوى المعيشة. فمثلا من يقضي وقته في قراءة كتب تافهة، ليس كمن يقضيه في قراءة كتب قيمة، على الرغم من أن كليهما يستهلك وقته (درية أمين، د.ت، ص ٧٤).

ويتحدد مستوى المعيشة تبعا لعادات الأسرة وتقاليدها ومدى استفادتها من التقدم العلمي والصناعي في حدود إمكاناتها المادية (درية أمين، د.ت، ص ٧٤).

وهنا يكمن دور التربية في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة لكي تحدد لنفسها وأسرتها المستوى المعيشي المناسب، وتمدها بالتأهيل الفكري اللازم الذي يمنعها من التطلع إلى ما لدى الآخرين، ومحاولة مجاراتهم، وتحمل مسئولية ما ينتج عن ذلك من ديون ومشكلات. ويقرر علم الاقتصاد المنزلي أيضا بأن مقارنة المرأة نفسها مع غيرها ينبغي أن تكون عادلة بحيث تكون مع أسرة من نفس المستوى والظروف والإمكانات المادية والمعنوية. فالمرأة التي لا تعمل خارج المنزل ينبغي أن لا تقلد غيرها في الاعتماد على الأطعمة والألبسة الجاهزة أو الإصرار على الخروج اليومي في زيارات، أو الإصرار على إحضار خادمة لا حاجة لها... إلخ (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٧٤).

ونجد التربية الإسلامية توجه إلى ما هو أفضل؛ وذلك من خلال حثها للإنسان على النظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا، والتطلع إلى من هو أفضل منه في أمور الآخرة، وبذلك تحصل لديه القناعة والرضا بما هو فيه، والزهد عما في أيدي الآخرين مما لا يمكن الحصول عليه.

يقول الرسول ﷺ: "انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله..." (مسلم، د.ت، ج ٤، الزهد، ص ٢٢٧٥).

كذلك ينبغي على التربية أن تنبه المرأة المسلمة المعاصرة إلى المضار التي يسببها الاستغراق في الاستهلاك على صحتها الروحية والجسدية.

فمن الناحية الروحية - وكما أشرنا سابقا - فإن الاستهلاك هو دليل على إثارة الدنيا وشهواتها، وهذا من صفات الأمة الميتة التي يتوقف اهتمام إنسانها على الدنيا وشهواتها دون أمور النشأة والمصير (الكيلاي، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ١٩١).

والأمر المؤسف أن هذا الاستغراق في الاستهلاك نجده ظاهرا لدى المتعلمات وغير المتعلمات من النساء المسلمات على حد سواء، بل وأحيانا ما تفوق المرأة المتعلمة غيرها في هذا المجال، فنجدها تجري وراء آخر "الصيحات" في العطور والكماليات في مجال الزينة و"الإكسسوارات" ^(١)، ودهانات الشعر وأصباغه، وموضات الأزياء، بل وحتى السفر

(١) أصبحت الإكسسوارات تنافس أسعار المجوهرات الحقيقية، وأصبحت النساء يتبارين في اقتناء الجديد منها. تقول إحدى المعلّمات، وهي كاتبة قصص: "أنا أكتب قصصا للأطفال؛ وعندما أحضرت هذه القصص = إلى المدرسة التي أدرس فيها حتى تشتريها المدرسات لأولادهن؛ فاجأني بالقول: "لو كان عندك إكسسوارات أو عطر لكنا اشترينا منك" (كل الأسرة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ج ١٦، ص ٢٢).

أصبح من مظاهر الاستهلاك؛ حيث تعتمد بعض المترفات إلى السفر فقط من أجل التسوق في الدول المتقدمة. (كل الأسرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٢٣).

كذلك فإن التفاخر بين النساء لم يعد يقتصر على أدوات الزينة العادية فقط؛ بل أصبح بعض النساء يفاخرن بما يجدن في مجال التقنية مما يتيسرنهن الحصول عليه كـ "بيجر" و "الجوال" (كل الأسرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٢١).

أما من الناحية الجسدية، فإن الإسراف في الراحة مثلاً يولد الكسل ويعطل الجسد عن أداء دوره في الحياة، والإسراف في الطعام والشراب يضر به، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه" (الترمذي، د.ت، ج ٤، الزهد/ ٤٧، ص ٥١٠).

وقد أشرنا سابقاً إلى حرص التربية الإسلامية على تربية المؤمن القوي معنوياً ومادياً (روحياً وجسدياً).

والقوة المادية (الجسدية) تحتاج إلى جسد خال من الأمراض، مما يقتضي إمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالمعارف اللازمة في علم الأغذية، لتتعرف على المفيد من غيره من الأطعمة والأشربة، وكيفية تقديم وجبات متكاملة تفي بالاحتياجات الغذائية لجميع أفراد الأسرة، وكذلك تعريفها بالأثان وبأماكن بيع الأغذية من أجل مساعدتها على اختيار الجيد والتمن المعقول، وتنبهها إلى أهمية الحرص على القوة الجسدية لجميع أفراد الأسرة حتى يتمكنوا من أداء مهامهم التي يسرها الله لهم في هذه الحياة.

كذلك ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى وجوب شكر النعم، وعدم الكفر بها، والذي يمكن أن يحدث من خلال الإسراف في استخدامها أو استخدامها بطريقة غير مسئولة؛ بإلقاء بقايا الطعام مثلاً.

ونجد السيدة ميمونة رضي الله عنها قد كانت تعتبر ذلك من الفساد؛ حيث روى أنها قد أبصرت حبة رمان على الأرض، فأخذتها وقالت: "إن الله لا يحب الفساد" (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ١٣٩).

ويعتبر ترشيد الاستهلاك ضماناً لحياة الأجيال القادمة، وهو أمر حث عليه الإسلام ووجه إليه الرسول ﷺ بقوله: "إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل" (ابن حنبل، د.ت، ج ٣، ص ١٩١).

ويقاس على ذلك تأمين حياة الأجيال القادمة من خلال الحفاظ على النعم من الزوال بترشيد استخدامها وأداء حقها في الشكر.

وتشير التوجيهات النبوية الكريمة إلى أن ترشيد الإنفاق يمثل بابا من أبواب الخير التي يوفق الله إليها من شاء من عباده. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: "إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرا رزقهم الرفق في معاشهم..." (المتقي، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ١، ص ١٤٣).

ويشير د. عبد المحسن صالح إلى أن المرأة يمكن أن تسهم في الاقتصاد من خلال قيامها بأعمال المنزل العادية وكذلك من خلال ترشيد الإنفاق وحفظ التوازن المادي للأسرة، والإسهام في رفع معدل الادخار والاستثمار من خلال ترشيد الاستهلاك غير الضروري، وخفض النفقات غير الضرورية، والابتعاد عن الإسراف، مما يؤدي إلى خفض الطلب، ومن ثم خفض التضخم الناتج عن زيادة معدلات الطلب بدرجة أكبر من الإنتاج، الأمر الذي يؤدي إلى رفع الأسعار^(١). (صالح في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤١).

٥- الآثار السلبية المترتبة على الاستغراق في الاستهلاك:

هناك عدد من الآثار السلبية التي تنجم عن الاستغراق في الاستهلاك، والتي ينبغي أن توجه انتباه المرأة المسلمة المعاصرة إليها، ومن هذه الآثار:

أ- فقدان المرأة للقدرة على الإبداع والابتكار:

فالمصانع تغرق الأسواق بكل ما تحتاجه المرأة مهما عظم أو قل شأنه. وبذلك تيسر للمرأة الحصول على كل ما تريد. وبمرور الوقت أسهم ذلك في فقد المرأة لموهبة الابتكار، والقدرة على التفكير العميق في احتياجات المنزل، كما أسهم أيضا في فقدانها لكثير من المهارات التي كانت تتمتع بها جداتها. ويؤكد ذلك بو علي ياسين بإشارته إلى أن المرأة العربية في الريف و/ أو المدينة كانت من قبل تقوم بكثير من الأنشطة الاقتصادية مثل

(١) أشارت وثيقة مؤتمر بكين إلى أن السبب الرئيسي في استمرار تدهور البيئة في العالم يعود إلى أنماط الإنتاج والاستهلاك، وأنه لابد للتنمية الاجتماعية من تمكين النساء من استغلال الموارد البيئية بشكل مستدام من خلال تغيير أنماطهن الاستهلاكية (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٠، بند رقم ٣٧).

تربية النحل، وجني العسل، وتربية دودة القز، واستخراج الحرير، والغزل، والنسيج، والخياطة، وصنع البسط والسجاد، وحفظ المواد الغذائية من فواكه وخضراوات وحبوب، وصنع كثير من الغذائية مثل الحلويات والمعجنات والمربيات وغيرها (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٢٨).

كذلك فقد أدت المنتجات الجاهزة إلى أن تفقد الأسرة لشخصيتها، حيث أصبحت كثير من المنازل صورا متكررة من حيث الأثاث والزينة، وأصبحت قليلات جدا من النساء هن اللاتي يحرصن على أن تكون لمنازلهن لمسات خاصة تبرز شخصياتهن.

ب- الوقوع في أسر الديون:

فالمرأة الاستهلاكية في اندفاعها المحموم وراء الاستهلاك؛ تنطلق في تبعية عمياء للشرق أو للغرب دون أن تنتبه إلى ما قد يجره عليها الاستهلاك من مشكلات.

ومن الأمور الشائعة في الغرب الاقتراض من أجل تمويل الإنفاق الاستهلاكي. وهذا الأمر انتقل مؤخرا إلى الدول النامية ومن بينها الدول الإسلامية. والمقلق في الأمر هو أن أسباب هذا الاقتراض لا ترجع إلى انخفاض الدخل أو الارتفاع الحاد في مستوى المعيشة الذي قد يبرر مثل هذا الاتجاه، بل ترجع إلى "تمويل نفقات استهلاكية غير أساسية، أو غير مبررة؛ مثل السفر، أو استبدال الأثاث، أو السيارة بموديل جديد" (مقدادي في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠١٧).

ج- الإسهام في إعاقة التنمية:

فلأن معظم الدول الإسلامية فقيرة، فإن متوسط الدخل منخفض، وحجم الادخار منعدم أو قليل، فإذا ما ظهر أي تحسن في الدخل، ذهب في زيادة الاستهلاك وليس للادخار أو الاستثمار وذلك من أجل تعويض الحرمان السابق، وكل ذلك له آثاره السلبية على التنمية (عبد العظيم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٨٩).

ثالثا: دور التربية في تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على التخطيط والإدارة داخل المنزل:

أصبحت إدارة المنزل في العصر الحاضر، علما له قواعده وأصوله، ويكتسب من خلال التعلم والخبرة، ويشمل جميع المسؤوليات الأسرية بمختلف مظاهرها الاقتصادية

والجسمية والنفسية.

وقد كانت إدارة المنزل فيما مضى تقتصر على الطهي والتنظيف وغيره من أمور المنزل العادية. أما الآن فقد أصبحت تعني: "استخدام كل الموارد المتاحة بأحسن السبل الممكنة للحصول على أقصى ما يمكن تحقيقه من فائدة" (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٥، ص ١٠٣).

ويؤكد علم الاقتصاد المنزلي على أهمية التخطيط لإدارة المنزل، وذلك لدوره في القضاء على الارتجال والسطحية التي تأخذ بها ربات البيوت أمورهن الاقتصادية والاجتماعية في إدارة منازلهن، ويؤكد أيضا على أهمية الاستفادة مما توصل إليه العلم في مختلف المجالات من أجل النهوض بإدارة المنزل إلى أقصى حد ممكن، ومواجهة متطلبات الحياة المعاصرة ومشكلاتها وتحدياتها بكفاءة (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩، ص ٥- كوجك، د.ت، ص ٤٨).

وقد دلت البحوث على أن هناك علاقة وثيقة بين درجة تعليم وثقافة ربة البيت وطريقة إدارتها لشتون أسرتها؛ بمعنى أن القدرة على إدارة المنزل أمر مكتسب يأتي من خلال التعليم الذي تمثل الخبرة مصدرا كبيرا له (كوجك، د.ت، ص ٩). وتشير درية أمين إلى أن إدارة المنزل في الوقت الحاضر أصبح بالإمكان إجمالها في اتجاهين اثنين:

الاتجاه الأول: يميل إلى الارتفاع بالمستوى المادي للأسرة.

الاتجاه الثاني: يهتم بتوفير البيئة التي تساعد على تكوين الإنسان الصالح.

(درية أمين د.ت، ص ص ١٠٧-١٠٨)

وما من شك في أن الاتجاه الثاني يتوافق مع الهدف النهائي للتربية الإسلامية والمتمثل في إنشاء الإنسان الصالح.

وتحدد درية أمين الأمور التي تسهم في تحقيق هذا الهدف فتجملها فيما يلي:

١- احترام الوقت والجهد والبعد عن امتهان النفس بحيث لا تهمل ربة البيت نفسها في سبيل تنظيف بيتها.

٢- احترام العقل وعدم امتهانه من خلال قضاء الوقت في الطهي والتنظيف

والحياكة... إلخ، دون تخصيص وقت لزيادة المعلومات.

٣- احترام النفس وعدم امتهان راحة أفراد الأسرة من خلال الشجار الدائم والعبوس من قبل ربة البيت (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٠٩).

ونجد أن هذه الأمور تمثل تفصيلات فرعية تتعلق بتكوين شخصية المرأة وتحسين كفاءتها في أداء مسئوليتها الأولى، وهي أمور تؤكد عليها التربية الإسلامية حين تحرص على تربية المرأة المسلمة المعاصرة بما يكفل لها الإحسان في علاقاتها مع الخالق ثم مع الكون بكل ما فيه من مخلوقات.

١- أمور تساعد على التخطيط:

من أهم الأمور التي تساعد المرأة على الإحسان في التخطيط لإدارة منزلها ما يلي:

أ- جرد موارد الأسرة:

يتوقف نجاح المرأة المعاصرة في إدارة منزلها على الاستفادة من موارد الأسرة المادية والبشرية؛ لذا فإنه ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية جرد موارد الأسرة من آن لآخر، ومراجعة طرق استغلالها لضمان أحسن استغلال.

وتشير درية أمين إلى بعض الأمثلة للموارد التي يمكن استغلالها داخل المنزل ومن ذلك:

١- إذا كانت هناك حديقة داخل المنزل؛ فإنه يمكن بيع بعض الجهد وبتكاليف بسيطة زراعتها والاستفادة منها جمالياً وغذائياً.

٢- إذا كانت ربة البيت لديها إمام بالخياطة؛ يمكنها شراء ماكينة والتدرب عليها لكفاية كثير من احتياجات الأسرة.

٣- إذا كانت لدى ربة البيت بعض المواهب الفنية؛ فإنه يمكنها تزيين المنزل بأعمال من صنع يديها. (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٠٤ - ١٠٥).

وإن من سوء استغلال الموارد أن تكون ربة البيت ملزمة بالخياطة مثلاً ولديها وقت فراغ كاف لممارستها لكنها تقضيه فيما لا يفيد وتعتمد إلى شراء الملابس الجاهزة وتلجأ إلى محلات الخياطة وتصرف كثيراً من النقود التي يمكن أن توفرها لما هو أهم.

وتنقسم الموارد إلى قسمين:

١ - موارد بشرية.

٢ - موارد غير بشرية.

١ - الموارد البشرية: وهذه تتضمن:

أ- العلم: فهو أقوى سلاح بيد المرأة حيث يساعدها على التفكير واتخاذ القرارات، ويجعلها أكثر كفاءة في مواجهة ما قد يعترضها من مشكلات.

ب- القدرات والمهارات: الطبيعية والمكتسبة من ذكاء ومهارات يدوية والتي تكتسب من خلال التعلم والتدريب.

ج- العوامل النفسية والمسلك تجاه الحياة: وهذه تتكون من خلال التربية والتوجيه عبر مراحل النمو المختلفة.

(كوجك، د.ت، ص ٩٤ / أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٨٢-٨٤).

٢ - الموارد غير البشرية: وهذه تتضمن:

أ - الوقت.

ب - الممتلكات.

ج- تسهيلات المجتمع، من مدارس ومكتبات ومراكز رعاية صحية واجتماعية، وحدائق ونوادي (كوجك، د.ت، ٩٤).

وسوف نفصل فيما يلي الحديث عن الوقت وأهميته وكيفية الاستفادة منه.

- إحسان الاستفادة من الوقت:

يحرص الإسلام على صياغة الشخصية المسلمة وفقا لمعطيات الكتاب والسنة، بحيث تكون متميزة قادرة على العطاء، وذلك من خلال رؤيته للحياة والتي تنطلق من داخل الإنسان بحيث ينعكس أثرها على خارجه.

ونجد أن مواقيت العبادات، وغيرها من الضوابط، كلها تعمل على تنظيم الشخصية المسلمة بحيث تدرك أهمية عامل الوقت باعتباره جزءا مهما من العملية الحضارية.

لذا فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة توجيهها إلى أهمية الوقت وتعليمها كيفية تنظيمه والاستفادة منه في أداء مسؤولياتها بحيث يتوفر لها من الفراغ ما يمكنها من الإسهام في الارتقاء بنفسها، وتطوير المجتمع من حولها.

ومن بين الأمور التي تساعد على ذلك:

١ - التنظيم والترتيب:

فهذا يعين المرأة على اختصار الوقت والجهد في البحث عن الأشياء، وقبل ذلك هو من أدب المسلم داخل بيته بحيث لا تقع عين إنسان من داخل المنزل أو خارجه على قبيح. ونجد التربية الإسلامية تحرص على تكوين العقلية المنظمة لدى الفرد المسلم وذلك من خلال العبادات والمعاملات.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية التنظيم والترتيب، وتعليمها كيف تنظم وقتها فتجعل جزءا منه للعبادة، وآخر لواجبات المنزل، وثالث للمطالعة، ورابع للعمل - إن كانت تعمل - وخامس لصلة الأقارب والأرحام وسادس للترويح... وهكذا.

ونجد بوليت بيرينج تشير في دراسة قامت بها عن تدبير المنزل إلى أنه من الخطأ الاعتقاد بأن المرأة لا تحتاج في إتقانها لعملها داخل المنزل إلى أن تكون ذكية ولا مثقفة، بل على العكس من ذلك فإن التفكير هو الذي يسمح لها بأن تحسن أداء عملها، وهي تشبه إدارة المنزل بإدارة مؤسسة إنتاجية صغيرة، وترى بأن عمل المرأة يظل ناقصا إذا لم يرق إلى المستوى الجمالي الذي يساعد الأطفال على تعلم أول درس في الأخلاق من والديهم عن طريق الأشياء المرتبة بإتقان (أوبير، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٥٦١ - ٥٦٢).

٢ - الاستفادة من وقت الفراغ:

رافق التطور الذي لحق كافة جوانب الحياة، أن كثيرا من الأعمال المنزلية قد أصبحت اجتماعية بصورة كلية أو جزئية، وبذلك انزاح عن كاهل المرأة المعاصرة كثير من المتاعب التي كانت تعاني منها جدتها، ولم تعد بحاجة إلى قضاء وقتها كله في أعمال المنزل، مما أتاح لها الحصول على وقت فراغ كبير.

لكن مما يؤسف له أن كثيرا من النساء لا يدركن قيمة ساعات الفراغ، فنجد الواحدة

منهن تقضيها في التسلية غير الهادفة، أو في زيارات لا طائل من ورائها، أو في مكالمات هاتفية فارغة؛ في حين أن التوجيهات النبوية الكريمة تنبه إلى أهمية الإحسان في الاستفادة من الوقت، ومن ذلك قوله ﷺ: " اغتنم خمسا قبل خمس؛ حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك" (الحاكم، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ج ٢، ص ١٤٨).

والفراغ - كما يؤكد د. القرضاوي - لا يبقى فراغا بل لابد أن يملأ بخير أو بشر، ومن لم يشغل نفسه بالطاعة شغلته بالمعصية (القرضاوي، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ص ١٥).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى أهمية الاستفادة من وقت الفراغ، وكيفية شغله بأعمال نافعة تعود عليها وعلى أسرته بالفائدة، وتمكنها من الإسهام بفعالية في تطوير مجتمعها المحلي من حيث الإنتاج، وهو ما تتبعه دول شرق آسيا التي تعتمد في منتجاتها على الأسر المنتجة، وكذلك أيضا في مساعدة المرأة على تطوير حياة الأسرة من حيث نوعية المأكل والملبس والصحة، خاصة في الأسر الفقيرة التي لا يمكنها الخروج عن فقرها إلا إذا تعلمت كيفية الاعتماد على الذات وإيجاد حلول بديلة للعجز القائم.

ومن بين الأنشطة التي يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة القيام بها:

أ - الأشغال اليدوية.

ب - الصناعات الغذائية: كالحلوى والمربيات، وذلك بغرض كفاية حاجة المنزل، إضافة إلى أنه يمكن الإسهام بها في تزويد الأسواق الخيرية التي تقيمها الجمعيات الخيرية والاجتماعية.

ج - الإسهام في الأنشطة الاجتماعية.

وتشير سهام القحطاني إلى بعض الأمثلة للأنشطة التي يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة أن تسهم من خلالها في الارتقاء بوضع المجتمع منها:

١ - الإسهام في حل القضايا الاجتماعية، كالجهود الذاتية في محو الأمية.

٢ - عمل محاضرات للتوعية التثقيفية والتربوية ضمن إطار الحي الذي تسكنه.

٣ - الإسهام في تطوير مرافق المجتمع النسوية بجهود فكرية أو مادية.

٤ - الإسهام في حل مشكلات المرأة الريفية، وتوعيتها بالأمور الضرورية.

(القحطاني في عكاظ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ١٠٣٨٨).

ونجد مسلمة صدر الإسلام قد أدركت أهمية الاستفادة من وقت الفراغ وشغله فيما يعود عليها وعلى غيرها بالفائدة. ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري من أن امرأة كريمة موسرة، كانت تصنع وليمة بعد الجمعة يحضرها من يشاء. وقد كانت لها مزرعة سلق، فكانت إذا ما جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقه - مرقه -.

يقول سهيل راوي الحديث:

" كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعبه، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك " (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ١، الجمعة / ٣٩، ص ٢٢٥).

د- توفير الجهد:

عمل المنزل يستلزم بذل عدة أنواع من المجهود العقلي والبصري واليدوي والجذعي ومجهود الساقين.

ونجد هناك كثيرا من العادات التي تستنفذ جهد المرأة، والتي تعودت عليها في أداء مسؤولياتها منذ الصغر، وما من شك في أنه من الصعب على الإنسان تغيير أي عادة ينشأ عليها إلا إذا اقتنع بذلك. وهنا تكمن أهمية توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية استبدال تلك العادات بأساليب أخرى جديدة توفر الجهد وتكفل الإحسان في أداء المسؤوليات، وبذلك تبتعد المرأة عن الإرهاق الذي قد يؤثر سلبا على أعصابها وتفكيرها الأمر الذي ينعكس أثره على باقي أفراد الأسرة.

وتشير درية أمين إلى أن ذلك لا يتحقق باللجوء إلى الكسل، وإنما من خلال تعلم العادات السليمة والأساليب الصحيحة لأداء الأعمال (درية أمين، د.ت، ص ٢٦٦)، ومن هذه الأساليب:

١- التنسيق في أداء الأعمال المختلفة في وقت واحد: فمثلا: غسل ما يمكن من الأدوات أولا بأول عند إعداد الوجبات يقلل من تكديسها، إلى جانب سهولة غسلها قبل تجمد الأطعمة فيها.

٢- استخدام العضلات المناسبة في الأعمال المناسبة: فقليل من الثقافة الطبية يساعد المرأة على معرفة نوع العضلات المناسبة لكل عمل بحيث لا تلحقها المتاعب من جراء القيام به، فمثلاً: عند رفع شيء من الأرض تركز على عضلات ساقها دون ظهرها.

٣- تنسيق العمل بين اليدين: وذلك من خلال تدريب اليد اليسرى من أجل الإسهام في إنجاز الأعمال.

٤- ترتيب المنزل بطريقة تساعد على سهولة تنظيفه وسهولة التحرك فيه.

٥- تخصيص وقت للراحة من أجل استعادة الجهد المبذول.

٦- اكتساب المهارات التي تساعد على إنجاز الأعمال بأقل جهد مع الاستفادة من الآلات الحديثة بحسب الإمكانيات المادية.

ويلاحظ أن زيادة الجهد تؤدي إلى زيادة الطاقة المستخدمة، مما يعني المزيد من التعب؛ لذا فإنه ينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى كيفية تحديد كمية الطاقة المستخدمة في أداء الأعمال حتى تحرص على الحفاظ على صحتها من الإرهاق والتعب. (كوجك، د.ت، ص ١٥٣- ١٦٦ / أمين والبقلي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٥، ص ٨٥- ٨٦).

وتشير كوجك إلى بعض الأمور التي تساعد على تحديد كمية الطاقة المستخدمة في أداء الأعمال وهي:

١- موعد القيام بالعمل: فالبحوث والدراسات تشير إلى أن أداء العمل في الصباح يستهلك طاقة أقل من أدائه آخر النهار.. وهذا ينبهنا إلى توجيه الرسول الكريم ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى - بالتبكير، حيث يقول ﷺ: " اللهم بارك لأمتي في بكورها "(ابن ماجه، د.ت، ج ٢، التجارات / ٤١، ص ٧٥٢).

٢- سرعة أداء العمل: فقد وجد أن زيادة السرعة تؤدي إلى زيادة الطاقة المستهلكة.

٣- طبيعة الجسم أثناء أداء الأعمال: فقد أشارت التجارب إلى أن طبيعة الحركات المطلوبة ووضع العضلات المستخدمة يؤدي إلى الإحساس بالتعب حتى ولو كانت الطاقة المستهلكة ضئيلة. فمثلاً وجد أن العمل في وضع وقوف ثابت يزيد من الإجهاد لتأثيره على الدورة الدموية، ولضغط ثقل الجسم. ويمكن تجنب ذلك بعدم الوقوف في وضع واحد لفترة طويلة، والتحرك من مكان لآخر؛ حيث إن المشي أقل إجهاداً من الوقوف.

كما وجد أن الإجهاد يؤثر كثيرا على قدرة الإنسان على العمل، حيث يزداد تعب العضلات مع زيادة العمل، حتى تعجز الأعضاء عن القيام بالعمل، فتعجز الأصابع عن الكتابة، وتعجز الرجل عن الحركة (كوجك، د. ت، ص ١٧٣-١٧٥ - أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٩٥).

وقد أثبتت الدراسات ما يلي:

- ١- أن القدرة على الاستمرار في العمل المتواصل تختلف باختلاف الأفراد، فالبعض يتعب بسرعة والبعض الآخر لا يشعر بالتعب إلا بعد فترة طويلة من العمل المتواصل.
- ٢- أن قدرة الفرد على تحمل التعب لا تتغير إلا بتغير ظروفه الصحية والعملية.
- ٣- كلما زاد التعب صعب التخلص من تأثيره بسهولة.
- ٤- كلما زاد التعب، انخفضت القدرة على العمل.

(درية أمين، د. ت، ص ١٩٥-١٩٦).

وتؤكد درية أمين على أن ربة المنزل لا تتعرض غالبا للإرهاق الكامل مهما أجهدت نفسها وذلك لتنوع أعمالها، حيث إن كل عمل تقوم به يتطلب استخدام عضلات مختلفة؛ مما يتيح للعضلات المتعبة أن ترتاح، إلى جانب أنه يمكنها تجنب التعب وذلك بتغيير وضع جسمها أثناء تأدية الأعمال، وبالإستلقاء لفترات بغرض توفير الراحة الكاملة (درية أمين، د. ت، ص ١٩٩).

وقد وجد أن التعب النفسي أهم وأخطر من التعب الجسدي لتراكمه بشكل غير محسوس حيث لا يظهر إلا بعد أن يستفحل أمره، وعند ذاك يصعب التخلص منه وهو يعد من العوامل الرئيسية التي تهدد سلامة الأسرة، ومن أسبابه:

- ١- امتناع أفراد الأسرة عن مساعدة ربة المنزل.
- ٢- أن تقضي ربة المنزل حياتها في أعمال روتينية دون أن تتاح لها الفرصة للترويح الذي حث عليه الرسول ﷺ بقوله: (روحوا القلوب ساعة وساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت) (العجلوني، د. ت، ج ١، ص ٤٣٥).

٣- ربة البيت التي تنشأ في ظروف تربوية خاطئة بعيدا عن مفهوم الحياة الأسرية الصحيحة. (أمين والبقلي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٢٠٠).

وأرى أن السبب الأساسي في وجود مثل هذه الأمور الداعية إلى حدوث التعب النفسي هو غياب علاقة العدل والإحسان في تعامل أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، والتي يكفل وجودها تحقيق الأمن والطمأنينة والراحة للجميع.

رابعا: اتجاهات ومهارات اقتصادية ينبغي على التربية أن تعمل على تنميتها لدى المرأة المسلمة المعاصرة:

١- تدريبها على فن الشراء:

من تطورات العصر الحاضر؛ أن المرأة المعاصرة أصبحت أكثر تحكما في قرار الشراء من الرجل وذلك فيما يتعلق بمستلزماتها الشخصية إلى جانب مستلزمات البيت والأولاد والزوج؛ ولهذا وجدنا نسبة ضخمة من الإنتاج العالمي تخضع لذوق المرأة ورغباتها، إلى درجة أن بعض الشركات العالمية تعتمد سنويا إلى إجراء استفتاءات بغرض تحديد الأشكال التي تفضلها المرأة لمنتجاتها. (باجير في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٩٨٣).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتعليمها فن الشراء والبيع، وتعريفها بالخدمات والأدوات وأماكن البيع والشراء والأوقات المناسبة لذلك، وغير ذلك من المهارات اللازمة.

ونجد السنة النبوية تشير إلى أن مسلمة صدر الإسلام كانت تمارس البيع والشراء وكانت حريصة على الإحسان في عملها هذا.

ويشير ذلك إلى سؤال قيلة أم أغار - التي كانت تبيع وتشتري في أسواق مكة - للرسول ﷺ عن حدود المساومة بين البائع والمشتري. حيث قالت: يا رسول الله إني امرأة أبتاع وأشتري، فإذا أردت أن أبتاع الشيء سمت به أقل مما أريد، ثم زدت ثم زدت حتى أبلغ الذي أريد وإذا أردت أن أبيع الشيء سمت به أكثر من الذي أريد ثم نقصت حتى أبيعها بالذي أريد أن أبيعها به. فقال الرسول ﷺ: " لا تفعلين هكذا يا قيلة، ولكن إذا أردت أن تشتري شيئا، فأعطي به الذي تريدين أن تأخذه به، أعطيت أو منعت. فإذا

أردت أن تباعي شيئاً فاستامي الذي تريدين أن تبيعيه به أعطيت أو منعت. " (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٣١١-٣١٢).

وهكذا وجدنا الرسول ﷺ يعلم قلة فن البيع والشراء الذي يتوافق مع مبادئ الإسلام التي تحرص على تحقيق العدل والإحسان في كل شيء.

وتدريب المرأة المسلمة المعاصرة على فن الشراء، يقتضي من التربية توعيتها بأهمية الترشيد الاستهلاكي وإمدادها بالمعارف والخبرات التي تساعد على تحقيقه في واقع حياتها.

والترشيد الاستهلاكي يعني: " حسن استخدام الموارد المتاحة وعدم الإسراف في استخدامها ". (كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ٢٢).

ونجد أن هذا المعنى يتفق مع عدم الإسراف الذي يأمرنا به الإسلام، والذي يحضنا من خلاله على الزهد الذي يولد توازناً بين الغرائز وبين مطالب الجسد والروح، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة " (البخاري، ١٣٩١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٧، اللباس / ١، ص ٣٣).

وهناك كثير من الأهداف التي ينبغي على التربية أن تعمل على تحقيقها من خلال توعية المرأة بالترشيد الاستهلاكي. وتشير كوجك إلى بعض هذه الأهداف وهي:

١- تمكينها من اكتساب الأسلوب العلمي لاتخاذ القرار عند الشراء.

٢- تبصير المرأة بحقوقها وواجباتها باعتبارها مستهلكاً.

٣- تعريفها بقوانين الدولة ومواصفات السلع.

٤- تزويدها بالمعلومات الأساسية للسلع المتوفرة.

٥- تبصيرها بأساليب الغش لحمايتها منه.

٦- حمايتها من الإعلانات المضللة.

٧- تكوين الوعي الاستهلاكي لديها، وذلك من خلال تكوين عادات واتجاهات سليمة تمكنها من التصرف بحكمة في الموارد المتاحة، والتكيف مع مختلف الظروف.

(كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ٢٢-٢٣).

ونورد فيما يلي بعض الأمثلة التي تؤكد كيف أن توعية المرأة المسلمة المعاصرة بالترشيد الاستهلاكي تسهم في إشاعة علاقة العدل والإحسان داخل الأسرة وخارجها.

١- أن معرفة المرأة بقوانين الدولة المتعلقة بالأسعار يمكن أن تسهم في حماية المجتمع من ارتفاع الأسعار حيث إن امتناع المرأة عن شراء ما يزيد سعره عما قررتة الدولة يمكن أن يسهم في إلزام البائعين بالالتزام بالتسعيرة وتحقيق قول الرسول ﷺ: " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" (الترمذي، د.ت، ج ٣، البر / ١٨، ص ٢٨٧)، وذلك لأن كثيرا من أفراد المجتمع قد يعجزون عن الشراء بأسعار عالية.

٢- عمل ميزانية لمصروفات المنزل يساعد المرأة على الإحسان في صرف موارد الأسرة، ويبعدها عن الوقوع في أزمات مادية.

٣- يمكن للمرأة أن توفر كثيرا من المال من خلال شرائها بالجملة واستغلال فرص تواجد السلع بكثرة واستغلال فرص التنزيلات، مع أهمية الوعي بأساليب الإغراء والخدع التي يستخدمها البائعون^(١) أو المنتجون من أجل ترويج بضائعهم.

يقول ألكساس كاريل: " إن حياتنا تتأثر إلى حد كبير بالإعلانات التجارية التي تجعل كثيرا من المنتجات الضارة غير المفيدة للجسم ضرورية وعلامة على التحضر في حين أنها قد تكون ضارة، خاصة إذا ما اعتمدت على معلومات غير كاملة أو غير حقيقية عن السلع" (كاريل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٣٩).

وهنا لابد من التأكيد على ما تشير إليه الدراسات من أن الشراء دون تخطيط يزيد عندما تخرج الأسرة كلها للسوق، وأن وجود الأطفال يشجع رغبات الشراء السريعة لبعض السلع؛ كاللعب والحلوى؛ ولذلك فإنه ينبغي تحديد المطلوب في قائمة يلتزم بها من أجل مقاومة الشراء العاطفي، والانتباه كذلك إلى أن الشراء الأسبوعي أفضل من الشراء اليومي (كوجك وداود، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٤٣٣ - ٤٣٥).

(١) من الأساليب الزائفة التي يلجأ إليها بعض البائعين من أجل إثارة دافع الشراء لدى النساء ما يلاحظ في الأسواق من مخاطبتهم للنساء بعبارات " احترام وهمة " قد تنطبق على البعض لكن لا يمكن بحال أن تنطبق على جميع النساء، مثل: مناداة الشارية بلقب يا أستاذة أو يا دكتورة.. إلخ.

٢- الاقتصاد في المظاهر:

يلاحظ أن الاندفاع المحموم وراء الاستهلاك، والرغبة في "التحضر" و"العصرية" قد جعلت أفراد المجتمع يتنافسون في ما يملكونه من أثاث وفرش ورياش. ونجد الزواج هو المجال الأكثر إظهارا لهذا التنافس، حيث حولت العادات والتقاليد معناه من سكن ومودة ورحمة إلى لهو وزينة، وغلو في المهر والأثاث إلى جانب ما يصاحب ذلك كله من موائد متعاقبة لجموع الرجال والنساء، وحفلات تقام ليلا ونهارا، وكل ذلك بدافع حب الظهور أمام الآخرين.

والأدهى والأمر في الموضوع هو ما نلاحظه من اندفاع لدى الأسر المتوسطة في مجارة الأغنياء ومحاكاتهم. ونجد أن عبء ذلك يقع على المرأة من عدة نواح، أبرزها:

١- أن البنات أصبحن يمثلن عالة على ذويهن الذين يتحملون عبء المصاريف التي تقررها النساء، ويرضخ لها الرجال خوفا من المشكلات التي قد تنجم في حالة الرفض.

٢- أن هذا الأمر قد أثقل كاهل العائلات الفقيرة التي قد تستدين أو تبيع ممتلكاتها من أجل الظهور أمام الآخرين. وعلى الرغم من شعور كثير من الناس بفداحة هذه العادات إلا أنهم يتنادون فيها، بينما من لا يمكنهم مجارة غيرهم نجدهم يؤخرون زواج أبنائهم، ومن ثم فقد أسهم ذلك في:

أ - ارتفاع سن الزواج.

ب- انتشار العنوسة.

ج - وقوع المتزوجين حديثا أسرى لديون.

(الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ١٤٠ - ١٤٣).

والتربية هي التي تنبه المرأة المسلمة المعاصرة - باعتبارها أساس اللهاث خلف المظاهر - كيف أن ذلك يخالف مبادئ الإسلام، التي تحث على الاقتصاد وعدم الإسراف، وتنهى عن تظاهر المرء وتفاخره بما ليس له^(١).

(١) ثارت إحدى بلدان الأردن سلميا على العادات والتقاليد الاجتماعية المرهقة ماديا وبدنيا، والمهددة للوقت، وذلك من خلال إقرار وثيقة اجتماعية لتنظيم عادات الأفراح والأتراح، بلغاء كثير من المظاهر، والإبقاء فقط على الأصول العربية والإسلامية في العادات المستحبة بعيدا عن التنافس والمغالاة، سواء في المهور أو = في إقامة الولائم أو في الحفلات. وقد تضمنت الوثيقة تحديد عدد المدعوين، وركزت على ضرورة تقليل ما يقدم للعروس من ذهب، والاختصار في حفلات عقد القران على ذوي العروسين، وعدم تقديم الحلوى

من ذلك ما روته أسماء من أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت إن لي ضرة، فهل علي جناح أن أتشيع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال الرسول ﷺ: " المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور " (مسلم، د.ت، ج ٣، اللباس / ٣٥، ص ١٦٨١).

كذلك ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الاقتصاد في الأثاث، وذلك بعدم شراء ما لا حاجة إليه بحيث يكون لكل قطعة أثاث تشتريها هدفا تحققه من وجودها في المنزل.

ويتحقق الاقتصاد في الأثاث أيضا، من خلال أساليب العناية به ليدوم أطول وقت ممكن.

ونجد أن الغربيين يفخرون بعدد السنوات التي يحافظون فيها على أثاثهم، في حين أن كثيرا من المسلمات المعاصرات يملن إلى التغيير، بل إن بعض المترفات يعمدن إلى تجديد أثاث منازلهن كل عام، من أجل المفاخرة والظهور أمام من لا هم لهن إلا زخرف الحياة الدنيا وزينتها، متناسيات أن المال الموجود بين أيديهن أمانة سيسألن عنها يوم القيامة.

يقول الرسول ﷺ: " لا تزول قدم ابن آدم من عند ربه حتى يسأل عن خمس: " وذكر منها: " وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه " (٢).

٣- الاقتصاد في اللباس والزينة:

تشير الدراسات إلى أن النساء أكثر تعقلا من الرجال عند شراء الطعام وحاجات المنزل، لكنهن أكثر عاطفة عند شراء الملابس وأدوات الزينة (كوجك وداود، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ٤٣٣). وهذا يتفق مع ما تشير إليه التوجيهات القرآنية من وجود ميل طبيعي لدى المرأة إلى الزينة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف]

لكن هذا لا يمنع أن تقوم التربية بدورها في ترشيد هذا الميل الطبيعي لدى المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث يكون بقدر الحاجة التي تكفل لها تجنب الإسراف الذي نشاهده

المكلفة، وعدم تدخل الأقارب في الحفلات بين الأفراد. (" يرقا " الأردنية تنور.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥، ع ٦١٧٢).

(١) انظر نص الحديث ص ١٣١.

اليوم لدى الكثيرات.

فالله سبحانه وتعالى "يحب أن يرى أثر نعمته على عبده." (الترمذي، د.ت، ج ٥، الأدب/ ٥٤، ص ١١٤)، ولكن في حدود المعقول، بحيث تتذكر المرأة من هو مشرد وعار من إختوتها، فتبذل لهم ما تستطيع ليكون ذخرا لها يوم القيامة.

ونجد أن دور الأزياء ومحلات الزينة تطلع علينا كل يوم بجديد، وحرص المرأة على اقتنائها يجعلها تقع في أمر مكروه من قبل الله سبحانه وتعالى، أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال." (مسلم، د.ت، ج ٣، الأقضية / ٥، ص ١٣٤١)، إلى جانب أن في ذلك إفراطا في التمتع نهى عنه الرسول ﷺ فيما رواه فضالة بن عبيد رضي الله عنه حيث قال: "أن رسول ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإفراه" (أبو داود، د.ت، ج ١١، ص ١١٨).

والتربية في إمدادها للمرأة المسلمة المعاصرة بالمعارف والخبرات التي تعينها على الترشيح في استهلاك الملابس، ينبغي أن تراعي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما يلي:

١- الربط الموضوعي والوظيفي بين الملابس والزينة والعمل والسن وحجم الجسم ولون البشرة.

٢- تشجيع الإنتاج الوطني للدول الإسلامية، ونبذ التقليد والانبهار بالمستورد^(١).

٣- كيفية تعديل الملابس القديمة لإظهارها في شكل جديد، أو ملابس الكبار لتلائم الصغار.

وأهم ما ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إليه، هو أن اختيارها لملايسها ينبغي أن يتم بناء على شعور صادق ورغبة في إرضاء الله من خلال الستر والحشمة، وأن ذلك لا يمنع أن تكون الملابس جميلة بين النساء ومتميزة بالحشمة أمام الرجال.

(١) في استطلاع أجرى في إحدى الدول الإسلامية أشارت بعض الأمهات إلى أنهن أصبحن يجدن في بناتهن صورا باهتة للبنات اللاتي يظهرن مع المطربين في الفيديو كليب من حيث الملابس المهلهلة والشعر الثائر والسلوكيات الغربية والمكياج الصارخ. تقول إحدهن: "لقد سرت الموضة عقل بناتي حيث يشاهدنها عبر الفضائيات، وهي أزياء صارخة تكشف أكثر مما تستر"، وكل ذلك بحجة الشعر الذي يرفعن: "زمني غير زمانك" (بحجة زمني.. في عكاظ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٦٧١).

ونجد أن مما تخدع به المرأة نفسها؛ أن تعتقد بأن اللباس السابغ أمام الرجال يكفي، في حين نجدها تتفنن في الإغراء به من خلال تزيينه، بحيث يصبح ملفتا للنساء قبل الرجال.

٤- التعود على البساطة:

البساطة هي حالة ذهنية تجعل المرأة تفضل ما فيه الراحة الشخصية لها ولأفراد أسرتها، بعيدا عن تقاليد المجتمع، ومستويات المعيشة للآخرين (كوجك، د.ت، ص ١٠٥).

وفي عصرنا الحاضر الذي طغت فيه المادة على كل شيء، فإن تطبيق مبدأ البساطة في المعيشة قد أصبح من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى عزم وشجاعة من المرأة من أجل اتخاذ القرارات المتعلقة به.

وتؤكد كوجك على أن البساطة في المعيشة تكفل للمرأة حريتها الشخصية، وأسلوبها الخاص في المعيشة، حيث لا تعبأ بآراء الآخرين مادامت بعيدة عن ارتكاب أخطاء في حقهم، أو في حق المجتمع (كوجك، د.ت، ص ١٢٦).

والتربية هي التي توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الالتزام بهذا المسلك لتوافقه مع ما دعا إليه الإسلام من اعتدال في كل أمور الحياة، وما نهى عنه من إسراف وتبذير، وما يهدف إليه من قناعة وزهد.

ونجد السنة النبوية الشريفة تؤكد على أهمية البساطة، التي كانت تمثل سمة عامة لحياة مسلمة صدر الإسلام، و من ذلك ما كانت عليه من بساطة في المطعم والملبس والأثاث، حيث نجد أن الرسول ﷺ قد جهز ابنته فاطمة ؓ يوم زواجها " بخملة ووسادة آدم حشوها ليف، ورحائين وسقاء وجرتين " (ابن سعد، د. ت، ج ٨، ص ٢٥).

بل إن التوجيهات النبوية الكريمة تذهب إلى أبعد من ذلك حين تحبب المسلم في البساطة المعنوية، ونجد ذلك متمثلا في مسلك الرسول ﷺ الذي روت عنه السيدة عائشة ؓ أنه " ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما " (البخاري، ١٣٩١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٤، المناقب / ٢٣، ص ١٦٦).

المبحث الحادي عشر

التربية وتطور المجتمع والمرأة المسلمة المعاصرة

إن مما لاشك فيه أن كيفية معاملة المرأة تنعكس آثارها على مجتمعتها وحضارتها وثقافتها، باعتبارها محور المجتمع الذي تدور حوله جميع شئونه. وقد مرت المرأة المسلمة بظروف، انتهت بها إلى الحال الذي نراها عليه اليوم؛ حيث ابتعدت كثيرا عن صورة المرأة القوية الفاضلة التي مثلتها مسلمة صدر الإسلام.

وإعادة المرأة المسلمة المعاصرة إلى أصالتها يقتضي من التربية الاهتمام بتنمية قدراتها واتجاهاتها، بما يجعلها تتخذ من مبادئها وقيمتها موجهها لها في مسيرتها لتغيير ما بنفسها؛ حتى يتغير ما بالمجتمع الإسلامي من تخلف وتبعية.

وسوف نتناول فيما يلي دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة من القيود التي تكبلها عن ممارسة دورها المرسوم لها من قبل الخالق سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الحديث عن المحاور التالية:

- ١- حقيقة التغير الاجتماعي في واقع المرأة المسلمة المعاصرة.
- ٢- حركة تحرير المرأة الغربية.
- ٣- حركة تحرير المرأة المسلمة.
- ٤- دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة.
- ٥- قضايا ينبغي على التربية أن تعمل على تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بها.
- ٦- أثر التغير الاجتماعي على الأسرة المسلمة.
- ٧- دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة لمسئولياتها الاجتماعية.

أولا: حقيقة التغير الاجتماعي في واقع المرأة المسلمة المعاصرة:

التغير والتطور ظاهرة إنسانية وكونية عامة مشاهدة في الواقع، وهي من المسلمات التي لا تحتاج إلى برهان.

"والتغير الاجتماعي جزء من التغير الحضاري الشامل في المجتمعات البشرية، لأنه..

يقع في تركيب ووظائف المجتمع .. " (محسن عبد الحميد، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣).

ويبحث التغير الاجتماعي في المبادئ التي تحكم الذبذبات الاجتماعية، فهو يقوم على تحليل موضوعي لأسباب هذه الذبذبات واتجاهاتها . وبمعنى آخر فهو يهتم بالمجتمع في الواقع، (غيث، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ١٨١).

ويشير الرشدان إلى أن التغير الاجتماعي في أية أمة يحدث نتيجة لعاملين اثنين:

الأول: داخلي مثل التطورات التي تحدث في نظم الحكم أو القوانين أو قواعد الأخلاق.

والثاني: خارجي، نتيجة للتواصل مع الأمم الأخرى. (الرشدان، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٤٣).

ونجد القرآن الكريم يشير إلى حقيقة التغير باعتباره قانونا اجتماعيا في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ويظهر الواقع بصورة لا شك فيها أن تغيرات كثيرة قد طرأت على وضع المرأة المسلمة المعاصرة، باعتبارها جزءا من الكيان البشري العالمي الذي لحقه التغير والتطور في العالم كله.

وقد جاء في التقرير الخاص بوضع السكان لعام ١٩٨٩م ما نصه:

"تؤدي التغيرات التي تجري في كل البلدان النامية إلى تغير وضع المرأة بسرعة، وإن لم يكن إلى الأفضل دائما." (وضع السكان عام ١٩٨٩م، ص ٤).

وهذا ما أكدته شهيدة الباز في تقريرها؛ حيث أشارت إلى أن التغيرات التي طرأت على المرأة المسلمة المعاصرة، قد شملت البناء المادي وكذلك البناء غير المادي لحياتها، إلا أنها - التغيرات - لم تكن نحو الأفضل دائما. (الباز في المستقبل العربي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ع ١٢٠، ص ١٠٤).

وقد أشار المهتمون بالدراسات الاجتماعية إلى مجالات التغير المتعلقة بالمرأة المسلمة

المعاصرة فكان من أهمها^(١):

١- النزعة المادية، التي تغلبت على القيم الروحية والمثل الأخلاقية، وأدت إلى سيادة النمط الاستهلاكي.

٢- النزعة العلمية، حيث استطاعت المرأة المسلمة المعاصرة التفوق في المراكز العلمية، فدخلت الجامعات ووصلت إلى أعلى مراحل التعلم.

٣- النزعة الاستقلالية التي حولت الأسرة الممتدة إلى نووية، مما فرض كثيرا من المتغيرات على أساليب الحياة.

٤- خروج المرأة للعمل ومشاركتها في الإنفاق على الأسرة.

٥- التراجع الجزئي في سلطان العادات والتقاليد.

٦- تحمل المرأة لمسئولية الأسرة في غياب الزوج طلبا للرزق خارج الوطن، أو لغير ذلك من الأسباب.

ومن أجل فهم حقيقة هذه التغيرات التي طرأت على وضع المرأة المسلمة المعاصرة، ودور التربية في ترشيدها فإننا نحتاج إلى الاسترشاد بالمنهج الذي أشار إليه العلواني من أجل معالجة التغير الاجتماعي.

فهو يعتبر التغير الاجتماعي قضية مركبة وليست بسيطة، عالمية وليست إقليمية، ومن ثم فهي تتطلب وعيا مركبا بمستواها، " وهذا الوعي المركب لا يكون بحجمه المركب إلا منهجيا، بحيث يأخذ بأبعاد الظلمات كلها: الظلمات الحضارية والعلمية على مستوى التنظير والتطبيق بشكل ينفذ عميقا إلى فهم خصائص الواقع المتغير، والعوامل الفاعلة في تغييره، والمحدثات لانحرافاته، أو أزماته، وذلك بغية معالجتها بمنهج كلي بعيد عن الأحادية والجزئية والحدودية والقصور..." (العلواني في الشرق الأوسط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع ٦٥٥٢).

وهذا يجعلنا ندرك أن العوامل الفاعلة في التغير والتطور الاجتماعي في المجتمع المسلم، ليست مجرد عوامل محلية؛ بل هي جزء وانعكاس لما يحدث في العالم بحكم

(١) انظر في ذلك: (ندوة ارتفاع المهور في مجلة المرأة العربية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ص ٩٠-٩١، عرابي في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ع ١٣٦، ص ص ٥٠-٥١).

التداخل الشامل بين مختلف الأمم والشعوب، نتيجة لثورة المواصلات والاتصالات المعاصرة. واستيعاب هذه العوامل المؤثرة عالميا والواردة إلينا عبر تداخلنا مع أنساق الحضارات الأخرى، ومناهج العلوم المختلفة يعتبر من المداخل الضرورية في فهمنا لما يحدث في واقعنا نفسه. (العلواني في الشرق الأوسط، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٦٥٥٢).

وحيث إن التغيرات التي طرأت على وضع المرأة المسلمة المعاصرة، قد ارتبطت منذ بدايتها بالتغيرات التي طرأت على وضع المرأة الغربية؛ فإننا سوف نطلق في دراستنا من خلال الحديث عن حركة تحرير المرأة الغربية، لننتقل من ذلك إلى التعرف على الأسس التي وجهت حركة تحرير المرأة المسلمة المعاصرة، وما تبع ذلك من نتائج.

ثانياً: حركة تحرير المرأة الغربية:

لازم بداية العصور الحديثة في أوروبا، خوف شديد من الشيطان، وعدت المرأة من عملائه حتى من قبل الحكام العلمانيين، ورجال الكنيسة. وقد كانت المرأة في أوروبا، ومنذ أقدم العصور، موضع تبجيل واحترام الرجل، ولكن فيما بعد؛ وتحديدًا فيما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر برز الموقف العدائي من المرأة، وهو عكس ما دعت إليه المسيحية الصحيحة من مساواة بين النوعين، حيث أخذ المسيحيون ينظرون إلى المرأة نظرة دونية، ويعتبرونها أقل كمالًا من الرجل، مما يستدعي جعلها دوماً تحت وصايته. (ديلومو، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٥-١٨).

بل إن كلمة " Femina " أي المرأة، قد ركبت من " Fe " و " Minus "، أي ما معناه: إيمان أقل. (ديلومو، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٣٤).

وقد تراكمت مخلفات اضطهاد المرأة على مر السنين، مما أدى في النهاية إلى التدمير ثم التمرد فالثورة التي أسهمت الحروب المتلاحقة في حدوثها. وقد تزامن كل ذلك مع حدوث الثورة الصناعية في البلدان الغربية، فحدث هناك توافق بين رغبات المرأة المندفعة خارج المنزل، ومتطلبات رجال الأعمال، وأصحاب المصانع، من الأيدي العاملة الرخيصة. (حركة المرأة الغربية في صحيفة العالم الإسلامي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٣٩١).

ومع بداية حركة التحرير لم يكن الأمر يتعدى مبدأي الحرية والمساواة، حيث اعتبر الرواد في المطالبة بتحرير المرأة أن ذلك مكمل لحركة حقوق الإنسان التي تصدرت في

أوروبا منذ القرن السابع عشر، إلا أن حركة تحرير المرأة قد جاءت على عجل منع الرواد من التفكير في النظام الأسري ودور المرأة فيه؛ لذلك جاءت نتائجها تحمل من الإيجابيات ما رفع مجموعة من المظالم عن المرأة، إلى جانب السلبيات التي ألحقت المتاعب بالبشرية جمعاء. (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٠٠-٢٠١).

فهذه الحركة حين طالبت بالحرية والمساواة للمرأة، قد غفلت عن أمور أخرى مهمة بالنسبة لها وهذه الأمور تجعل من المهم النظر إلى الحقوق بعين التكافؤ لا بعين التشابه، وكان من أسباب هذا الإغفال الارتجال والعجلة اللذين أشرنا إليهما سابقا، إلى جانب إطلاع الرأسماليين في استغلال طاقة المرأة ماديا والترويج لبضائعهم من خلال جمال وجاذبية المرأة، مما جعلهم يسبغون على هذه المطالب طابعا قانونيا. (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٩-١٤).

وهكذا أخرجت المرأة إلى العمل بحجة الحرية والمساواة؛ وساعد على إخراجها أمور أخرى، أهمها الظلم الذي كان يحيق بعمال المصانع، والذي جعلهم يثورون على تشغيلهم لفترات طويلة بأجور قليلة، مما ألجأ أصحابها إلى مكيدة العمال من خلال تشغيل النساء لنفس الساعات، وبأجور أقل. (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٤).

وقد كانت حاجة النساء إلى العمل هي الدافع إلى رضاهن بتدني أجورهن، بسبب فقدان كثير من الرجال في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م / ١٣٣٧ هـ، ومن هنا بدأت المرأة تطالب بالمساواة في الأجور، وتطور الأمر إلى طلب المساواة الكاملة المطلقة في جميع الشئون بلا استثناء. وكان مبرر الرجل في تصرفه إزاء العاملات أن الدين والأخلاق والتقاليد قد جعلته في مرتبة أعلى، مما دفع المرأة إلى التحلل من الدين والأخلاق والتقاليد؛ فراحَت تطالب بالمساواة في نظم التعليم، ثم بالتعليم المشترك، ثم بكل الوظائف، ثم بالتححر من الأخلاق^(١). وثار الرجل في البداية ثم رضي حين وجد أن الأمر مربحا له، من حيث إن عمل المرأة يخفف عليه النفقات، وسمي ذلك بتحرر المرأة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية. (محمد قطب، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٤٣-٤٧).

(١) في مؤتمر بكين قامت الشاذات بتنظيم مظاهرات وجدت تأييدا شديدا، حيث طالبن بالنشاط العلني، والزواج في الكنائس، وأخذ حقهن في الدعاية والنشاط الكامل دون حرج، وقد تم كل ذلك تحت رعاية الأمم المتحدة، التي منعت الصين من التعرض لأية أنشطة متعلقة بهن. (لقاء مع مؤسسات .. في المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٩).

وقد صدر إعلان الأمم المتحدة الأول للمساواة بين الرجل والمرأة عام ١٩٤٥ م / ١٣٦٥ هـ، ولكن وبسبب استمرار المكانة غير المتساوية للمرأة،^(١) فقد أدى ذلك وبعد ثلاثين عاما إلى إعلان عام ١٩٧٥ م / ١٣٩٥ هـ ليكون عاما دوليا للمرأة. ولأول مرة في التاريخ^(٢) تركزت أنظار العالم على النصف الثاني من سكانه الذي يقوم بثلاثي أعماله ويتحصل على عشر دخله، ويملك أقل من ١٪ من ممتلكاته. وفي ذلك العام أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة السنوات من ١٩٧٦ م - ١٩٨٥ م / ١٣٩٦ - ١٤٠٥ هـ لتكون عقد الأمم المتحدة للمرأة. ومع نهاية العقد، عقد مؤتمر نيروبي للمرأة في يوليو ١٩٨٥ م / ١٤٠٥ هـ، واشتركت فيه ١٤٠ دولة، وصدرت عن المؤتمر استراتيجيات نيروبي المستقبلية لتقدم المرأة حتى عام ٢٠٠٠. وقد تأسست هذه الإستراتيجيات على أهداف عقد الأمم المتحدة للمرأة، وهي تقدم إطارا للعمل على المستوى القومي والإقليمي للدعوة من أجل مزيد من الفرص والمساواة للمرأة. (فيرتراجايت، ١٤١٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١، (The State Of the world's woman, 1985, p3).

ونجد أنه قد أقرت حتى الآن ١٧٢ اتفاقية و ١٧٩ توصية، كلها صدرت عن منظمة العمل الدولية منذ إنشائها عام ١٩١٩ م / ١٣٣٨ هـ حتى الآن، ويتضمن الكثير منها أحكاما تتعلق بلزوم مراعاة المساواة في المعاملة والاستخدام والتدريب بين الجنسين، مع مراعاة تخصيص ساعات عمل المرأة في ظروف معينة، وتأمين متطلبات الصحة والسلامة، وتوفير خدمات وتسهيلات لذوات المسؤوليات العائلية. (ندوة المرأة والاستخدام، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٧).

ورغم كل ذلك، نجد المرأة الغربية مازالت حتى اليوم تعاني من انعدام المساواة بينها وبين الرجل.

(١) أطلقت حركة تحرير النساء في أمريكا شعار (المرأة سوداء بالنسبة للرجل الأبيض) في نفس فترة كفاح الأمريكيين السود. (بيضون، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٧)، كما أعلن مبدأ (أجر واحد للعمل الواحد بين الجنسين) في فرنسا عام ١٩٤٦ م / ١٣٦٦ هـ لكنه لم يطبق أبدا. (جارودي وآخرون، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٥٣)، ونجد أن أجر المرأة في فرنسا مازال حتى اليوم أقل من الرجل بـ ١٤٪ في القطاع الخاص و ١٨٪ في القطاع العام. (صحيفة الاتحاد، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٧٣٠٨).

(٢) التاريخ الغربي وليس الإسلامي بالطبع.

ثالثاً: حركة تحرير المرأة المسلمة:

سارت حركة تحرير المرأة المسلمة في تبعية عمياء لحركة تحرير المرأة الغربية، وقد بدأت النواة الأولى لحركة التحرير في صالون الأميرة نازلي فاضل، التي ضمت إليها بعض من أسهموا فيما بعد بالدعوة إلى تحرير المرأة، وكانت القديفة الأولى عبارة عن كتاب ألفه المسيحي المتعصب، مرقص فهمي المحامي بعنوان (المرأة في الشرق)؛ دعا فيه إلى خمسة أهداف:

- ١- القضاء على الحجاب الإسلامي.
 - ٢- إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.
 - ٣- تقييد الطلاق، ووجوب وقوعه أمام القاضي.
 - ٤- منع الزواج بأكثر من واحدة.
 - ٥- إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.
- (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣-١٤).

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة عنيفة، ظهر خلالها كتاب آخر، ألفه الكونت داركور، والذي حمل في كتابه "على نساء مصر وعلى الإسلام، وهاجم الحجاب الإسلامي، وقرار المرأة المسلمة في البيت، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ورعاية الزوج، كما هاجم (المثقفين) من أبناء مصر على سكوتهم..." (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٤-١٥).

وهنا انبرى قاسم أمين - أحد رواد صالون نازلي - للرد عليه، مبيناً فضائل الإسلام، مستنكراً تشبه بعض المسلمات بالأوروبيات^(١)، مما أغضب الأميرة، فعاد ليصلح خطأه بكتاب آخر ألفه عن (تحرير المرأة)؛ الذي دعا فيه إلى ما دعا إليه مرقص فهمي، عدا زواج المسلمات بالأقباط. (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٥).

ومما يدل على أن للمستعمرين وأعداء الإسلام دور كبير في هذه الدعوة، أن قاسم أمين قد ألف كتابه الآخر بعد عودته من فرنسا (محمد قطب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م،

(١) ألف قاسم أمين كتابه الأول في وقت كان فيه على خلاف مع نازلي (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٥).

ص ١٧). وقد ذاع خبر هذا الكتاب في أرجاء الهند، واهتم الإنجليز بترجمته إلى الإنجليزية، ونشر أفكاره هناك. (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٧).

ثم تبنت القضية مجموعة من النسوة، على رأسهن هدى شعراوي؛ التي سافرت محجبة لتتعلم في فرنسا، ثم عادت سافرة، يعاونها بعض الرجال والنساء، المدافعين عن قضية المرأة عبر وسائط الثقافة المختلفة، وأصبح السفور هو أول القضايا التي نادى بها، وصارت القضية التي يدور حولها الجدل هي السفور والحجاب. (محمد قطب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٥، ص ٢١-٢٢).

وقد استفاد دعاة تحرير المرأة المسلمة كثيرا من الوضع الجاهلي الذي كان يسود المجتمع الإسلامي تجاه المرأة وتعليمها، واتخذوا منه منفذا لما يريدون، حيث كان المجتمع الإسلامي بعيدا عن هدي الإسلام في معاملة المرأة. إلا أنهم حين استغلوا هذا الوضع، لم يكن همهم الأول رفع الظلم عن المرأة، بل تحطيم الإسلام، وإخراج المرأة لإفساد المجتمع الإسلامي خلقيا، على غرار ما حدث في الغرب. (محمد قطب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٨-٢٩).

وتؤكد نوال السعداوي حقيقة انعدام الاهتمام لدى دعاة التحرير برفع الظلم عن المرأة المسلمة، بإشارتها إلى أن أول تنظيم نسائي قد تكون عام ١٩٢٣م / ١٣٤٢هـ من قبل نساء الطبقة الراقية اللاتي لم يكن "بحكم الثراء والانعزال عن الطبقات الفقيرة يدركن شيئا عن حال هؤلاء النساء العاملات، ولم يكن لديهن أدنى اهتمام بقضاياهن، بل كان كل اهتمامهن موجه إلى خلع الحجاب؛ لذا فإن الحركة النسائية لم تعبر عن مشاكل أغلبية النساء، وانتهى بها الأمر إلى التعاون مع الحكام، وخدمة الأحزاب الحاكمة. (السعداوي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٨١٠-٨١١).

ويشير محمد قطب إلى أن حركة تحرير المرأة الغربية قد كان لها أسبابها؛ حيث كان للمرأة الغربية فعلا قضية؛ تتمثل في المساواة في الأجر مع الرجل، ثم اتسعت وتعددت مجالاتها؛ لتصبح المساواة التامة في كل شيء، حتى في الفساد. أما المرأة المسلمة؛ فلم تكن لها قضية خاصة بها، بل إن القضية الحقيقية تتمثل في التخلف العقدي، الذي أصاب المجتمع الإسلامي، والذي انعكس أثره على جميع مجالات الحياة، ومن بينها المرأة. وقد كان من المفترض معالجة هذا التخلف بالعودة إلى الإسلام على حقيقته. لكن المنادين

بتحرير المرأة، لم يكونوا في كامل وعيهم ليناقدوا القضية مناقشة علمية موضوعية، حيث كانوا عبيدا لشهواتهم، أو عبيدا للغرب، يعملون في غفلة على تنفيذ مخططاته رجالا ونساء، ولأنه لابد للقضية من موضوع، فقد جعلت القضية فجأة وبلا مقدمات حقيقية؛ قضية الحجاب والسفور. (محمد قطب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ١٦-١٨).

وما من شك في انعدام المنطق في هذه القضية؛ لأن الحجاب قد فرض من قبل الخالق وليس من قبل البشر حتى تثور عليه حركة تحرير المرأة، إلى جانب أنه لا يشكل في ذاته أية قضية، حيث ارتدته المرأة عبر التاريخ الإسلامي ولم يدع أحد أنها كانت مظلومة بسببه، وإنما وقع الظلم عليها بسبب التخلف العام للمسلمين. لكن أحدا لم يلتفت إلى المنهج الصحيح في معالجة أوضاع المجتمع الخاطئة، وظل الخيار إما الإبقاء على ما هو سائد أو استبداله بالبديل الغربي. (محمد قطب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ١٩-٢٠، ص ٢٩).

وقد تركزت الجهود على إفساد المجتمع المصري أولا، ثم تصدير الفساد إلى باقي المجتمع الإسلامي، واستخدمت في سبيل ذلك جميع الوسائل الممكنة، وعملت وسائط الثقافة المختلفة على إمداد القضية بالوقود اللازم من أجل إبقائها حية في الأذهان حتى يتحقق المطلوب؛ ولذا فقد انصب الهجوم في البداية على التقاليد الجاهلية المخالفة للإسلام، ثم أدخلت التقاليد الإسلامية الحقيقية التي قررها الله ورسوله ﷺ؛ لتوصم بأنها "(بالية) ومن (تراث العصور الوسطى المظلمة) التي ينبغي أن تمحى من الوجود في العصر الحديث.. عصر النور.. والتحرر.. والانطلاق.." (محمد قطب، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ٣٢، ص ٦٥-٧٣).

وكانت أبرز التقاليد التي هاجمها:

١- حرمان المرأة من التعليم.

٢- تهوين شأنها واحتقارها وتعييرها بأنها تحمل وتلد ولا شأن لها بشيء آخر.

٣- تزويجها بدون إذنها.

٤- حجابها واستقرارها في البيت.

(محمد قطب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م، ص ٧٤).

وكما هو واضح؛ فإن الثلاثة الأولى هي فعلا من التقاليد الفاسدة التي ليست من

الإسلام في شيء ، في حين أن الرابع هو أمر صريح من قبل الخالق؛ لأمهات المؤمنين ولنسائهم كافة.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب-٣٣] ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٥١] [الأحزاب].

ولكن رواد حركة التحرير لم تكن لديهم القدرة على - أو لم يكن يراد منهم - إدراك حقيقة القضية، والسبيل الصحيح لعلاجها؛ ولهذا سارت الحركة منذ البداية مع حركة التغيير الاجتماعية في مختلف الميادين، في اتجاهها نحو الشرق أو الغرب، إلا أنها لم تستطع أن تحقق ما ترجوه من المرأة. (فرج، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ١٢١-١٢٢). ومع ذلك نجد المرأة المسلمة المعاصرة تتشدد بالحرية التي نالتها في جميع المجالات، رغم أن الواقع يكذب ذلك، حيث نراها - كما تقول نازك الملائكة - ما زالت تحيا بعواطفها وغرائزها، بعيدا عما وهبها الله من عقل وذكاء، ولا نجد فيها أكثر من " دمية مثلها الأعلى الأناقة المسرفة، التي جعلتها تمجد عطاء المجتمع وتمجد ذاتها" (الملائكة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٢٥).

لقد أساءت المرأة المسلمة المعاصرة - في انجرافها وراء فكرة التحرير - فهم المعنى الصحيح للحرية، والذي توضحه نازك الملائكة على أنه يعني " سقوط القيود والأغلال عن الذهن الإنساني، بحيث يقوى على فرض نظرة جديدة أصيلة إلى الأشياء كلها، ويستطيع أن يغيرها وفق حاجاته الروحية . فإذا وجد خطأ أو قبحا أو ضررا، استطاع أن يحتج عليه، ويرفضه ويغيره إلى ما ينفع الحياة الإنسانية ويخلصها ويحملها. " (الملائكة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٢٤).

والحركات النسائية الغربية في دعوتها إلى تحرير المرأة ، قد دعت دون أن تدري؛ إلى مزيد من افتراس الرجل للمرأة واستعباده لها، وتبعتها في ذلك الحركة النسائية في العالم الإسلامي؛ التي بلغت مداها في ظهور السفارات من زعيماتها في وسائل الإعلام وفي الشوارع ينادين بمزيد من (الحرية للمرأة) . بل وصل بها الحال إلى تشجيع كل ما يساعد على تحرر المرأة وفجورها؛ كالفنون الداعرة من باليه، ورقص، ومسابقات جمال؛ والتي تظهر فيها المسلمات شبه عاريات يفحصهن الرجال، بل وأكثر من ذلك؛ حيث استرجلت

المرأة وارتدت ملابس الجيش والمصنع. (جميلة، د.ت، ص ١٧).

فالمرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - قد اندفعت في تقليد المرأة الغربية ظاهرا وباطنا؛ في زينا وأفكارها، فراحت تطالب مثلها بالمساواة.

لقد وجدت دعوى الآخرين بظلم الإسلام للمرأة صداها في نفوس عدد غير قليل من مسلمات هذا العصر، ممن تعطلت لديهن القدرة على استيعاب عظمة المبادئ والآداب التي جاء بها الإسلام، فرحن يرددن كثيرا مما ترسب في أذهانهن من الدعايات التي يروجها الغرب، ويطالبن بما تطالب به النساء الغربيات.

ونجد الغرب - كما أشرنا سابقا - يغذي ذلك ويروج له ويهاجم الإسلام بكل السبل، وخاصة من خلال المؤتمرات والملتقيات التي تدور حول المرأة والتي يراد من خلالها فرض التوجهات الغربية للحركة النسائية الغربية على جميع نساء العالم، بما في ذلك العالم الإسلامي، ومن أبرز الأمثلة على ذلك؛ أنه في مؤتمر بكين عقدت العديد من الاجتماعات لرفض الإسلام الذي يقيد حرية المرأة، وكانت المسلمات العلمانيات؛ هن الأشد هجوما على الإسلام من غيرهن^(١) (لقاء مع مؤسسات.. في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٩)، وقد اندفعن في مجارة المعادين للإسلام، والمهاجمين لنظمه إلى درجة أن البعض منهن قد طالبن بتغيير قانون الإرث بحجة أنه يشكل أحد أكبر الحواجز الاقتصادية في طريق المرأة (وفود الدول الإسلامية الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٢٩)، بل قد وصل الاندفاع في المطالبة بالمساواة، إلى درجة أن إحدى المسلمات

(١) اتهمت العلمانيات المصريات، عضوات الوفود الإسلامية بالإساءة إلى صورة مصر في معارضتهن لما لا يتفق مع وجهة نظر الإسلام، وقد رفضن التنسيق مع لجنة المرأة المسلمة في المؤتمر الرابع للمرأة بكين. (قضايا دولية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٣٠٠، ص ٩) وتقول الباحثة منى يونس، وهي إحدى المسلمات المشاركات في مؤتمر بكين: "لقد اكتشفنا تيارات علمانية لم نعرفها من قبل؛ مثل منظمة المرأة في المنفى، وهن مجموعة نسوة من عدة دول إسلامية، وهن شديدات الكره للإسلام، ويملن لواء تشويهه، وقد كن أشرس تيار واجهنا، ولسن صاحبات فكر مستتير ولا يقبلن الرأي الآخر، ولا يسمحن بالرد على افتراءتهن، واستعملن الأيدي لمنعنا من الاشتراك في ندواتهن. وكن يعلن ارتدادهن عن الإسلام، ويحضرن ندواتنا للشوشرة علينا). ومن أساليبهن: "القذف والسب بألفاظ بذية جدا، واستعمال الأيدي، والسخرية من الحجاب، ومن الآيات القرآنية، والدعاية المشوهة للإسلام، وكن يقمن بالصاق صور القتل والموتى المشوهين من الحرق على ظهورهن ويكتبن تحتها هذا هو الإسلام، وقد ادعين أن الإسلام أباح زواج المتعة واغتصاب الفتيات. (لقاء مع مؤسسات.. في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٩).

المثقفات وهي الكاتبة البنغلاديشية نسرین ، قد طالبت بتعديل القرآن الكريم^(١) . وكل ذلك إنما يشير إلى غياب علاقة العدل والإحسان والذي أدى إلى ظلم المجتمع الإسلامي للمرأة، وظلم المرأة المسلمة المعاصرة لنفسها؛ حيث عجزت عن التفريق بين حقيقة تعاليم دينها التي كفلت لها المساواة التامة، وبين سوء التطبيق من قبل المجتمع الذي حرّمها حقوقها. وعلى الرغم من أن هؤلاء النساء لا يمثلن سوى أقلية صغيرة من النساء - كما أشارت إلى ذلك المغربية حليلة نزيه، عضو الاتحاد الوطني للمرأة- إلا أن الأمر يحتاج إلى تأكيد نظرة الإسلام، وتوعية المجتمع الإسلامي والدولي بها ليدرك العالم عظمة المكانة التي حظيت بها المرأة في ظل الإسلام.

لكننا نجد أن طابع التبعية الغالب على المسلمين أبى إلا أن يفرض نفسه على المرأة والمنادين بتحريرها، فوجدنا أنه وحتى هذا اليوم الذي أخذ عقلاء الغرب يحاولون فيه إسدال الستار على الأفكار الخاطئة التي روجوها بدعوى التحرير والمساواة؛ إلا أن مقلديهم لدينا ما زالوا ساعين في تقليدهم^(٢).

رابعا: دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة:

إن دور التربية يكمن في ترشيد حركة تحرير المرأة المسلمة المعاصرة وتوجيهها الاتجاه الصحيح الذي يعود بوضع المسلمة إلى الحرية الحقيقية التي تمتعت بها في ظل الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، والتي حرمت منها في ظل الأوضاع الاجتماعية الظالمة التي سادت في عصور الركود والتقليد التي شملت كافة جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي.

فمن خلال التربية؛ ينبغي الإسهام في تغيير الواقع الحالي المتخلف للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تحافظ في الوقت نفسه على خصائص ومقومات المجتمع الإسلامي، وبذلك تجمع في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة بين الأصالة والمعاصرة.

(١) انظر ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) نشرت مجلة (مختارات للقراء) العدد ٧٩ سنة ٣٤ يونيو ١٩٧٤ قصصا عن انطباعات العاملات في المجتمع الأمريكي. من ذلك ما قالته إحداهن من أن قانون العمل كان لا يبيح أن تحمل المرأة خلال عملها ثقلا يزيد عن ٢٥ رطلا، لكن في شركة جنرال موتورز أصبحت المرأة تحمل ما هو أكثر. وأخرى صرحت: إننا نريد العودة إلى السابق، وأن يعاملنا الرجال كنساء لا كعمال. أما أنصار تحرير المرأة، فإنهم لا يعرفون العمل في المعمل ويجهلون الشقاء الذي نعانيه. إنني لا أريد هذه المساواة. (حركة المرأة الغربية في صحيفة العالم الإسلامي، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ١٣٩١).

ويشير الجابري إلى التغيير باعتباره قضية مستقبل، فيقول في ذلك ما نصه:

"إن دراسة التغيير استشراف للمستقبل، والولوج في عملية التغيير بناء للمستقبل، إلا أن الغاية من التغيير هي عنصر الاختلاف بين المدارس الداعية إلى التغريب، والأخرى الداعية إلى الأصالة.

فالغاية من التغيير عند مدارس التغريب هي وصول الشعوب العربية إلى مستوى حضاري يوازي مستوى الغرب عن طريق تقليد خطواته والالتزام بتشريعه، والالتقاء معه على أهداف الحياة: الرفاهية والتعلم والأمن.

والغاية من التغيير عند المدارس الإسلامية؛ إحياء الوجود الإسلامي بالعودة إلى أصول الإسلام ثم الانطلاق ضمن ضوابطه في إعادة البناء تحت ظلال المعاني التالية:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال، ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفًى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل، ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام، ٢٢]، (الجابري، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ص ٣٤).

فينبغي على التربية أن تعمل على غرس الإيمان الصحيح في نفس المرأة المسلمة المعاصرة حتى تكسبها المقاومة التي تقيها من الذوبان والانزهاض أمام أفكار الآخرين؛ لتشعر بالغنى النفسي الذي يمنعها من الاقتراض من الآخرين في عالم القيم والمبادئ، وفي ذلك يقول محمد قطب:

"والغنى النفسي الذي يحدثه الإيمان الحق بالله، والغنى الواقعي الذي يحدثه التطبيق الصحيح للمنهج الرباني؛ يجعل المسلم فردا وجماعة، ومجتمعاً ودولة، في غنى عن الاقتراض في عالم القيم والمبادئ، - فضلا عن التسول! - وإذا احتاج لشيء من أمور الدنيا يفتقده عنده، فإنه يأخذه في استعلاء المؤمن، ويطويعه لمنهجه الرباني، ويصبح مالكا له لا مملوكا له" (محمد قطب، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٥٣).

ونجد آيات القرآن الكريم تؤكد على أن التغيير لا يعني الانقطاع عن الماضي، بل هو

"اتصال مستمر متفاعل معه لأن حاضِر الإنسان يشكّل أصوله دائماً، ماضيه في حلقاته المتصلة." (محسن عبد الحميد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٩)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالتربية الإسلامية تحدد المسارات العامة للتغيير؛ ثم تترك المجال لحركة الحياة وللإنسان ليسير ضمن قوانين حركة المجتمع التي أودعها الله في الوجود كله.

لذا فإن التطور الصحيح في المجتمع الإسلامي ينبغي أن يكون نمواً طبيعياً للظواهر الاجتماعية في إطار الفطرة السليمة، بحيث يكون التغيير دوماً نحو الأصلح والأرقى (عبد المجيد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٧٦).

ومن ثم فإن التطور المنحرف الذي يتجه نحو الأردأ ليس من الإسلام في شيء؛ لأن الإسلام يحرص على أن يسير الإنسان في شئونه كلها متجهاً نحو خالقه، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٣) لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) [الأنعام].

فلا بد أن تعمل المؤسسات التربوية ومن خلال جميع قنواتها على التنبيه إلى الانحراف الذي سار عليه تطور وضع المرأة المسلمة في الوقت الحاضر، والذي جرفها بعيداً عن أصالتها، وتوضيح السبب الأساسي الذي يقف وراء هذا الانحراف، والمتمثل في الجهل بالإسلام من قبل المرأة، ومن قبل المجتمع الجاهلي المعاصر، حتى أصبحت المرأة فريسة سهلة لتعليمات جهلة الشرق والغرب من مدعي العلم.

ونجد التوجيهات النبوية الكريمة قد حذرت من أمثال هؤلاء، حيث يقول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا." (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ١، العلم/ ٣٥، ص ٣٤).

وهذا ما حدث للمرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - التي أعرضت عن كتاب ربها وسنة نبيها، وحكمة علماء دينها، إلى أقوال دعاة الانحراف، والانجراف وراء

التقليد الأعمى للغرب. ومن ثم هبطت عن المستوى التكريمي اللائق بها إلى الحال الذي تنبأ به الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من أنه قال: (كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم. قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟.. قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (بي حلفت، لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا) ^(١).

يقول الإمام البنا في تعليقه على هذا الحديث:

"سلسلة متصلة من الحلقات، تغطي المرأة، فيتبعها فجور الشباب، ويغفل كل عن واجبه ويصير من الغريب أن تخرج المرأة محتشمة مستورة، ويترتب على ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يتدرج الأمر إلى أن يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا، ثم تكون الفتنة التي تجعل الحليم في الأمة حيرانا، لا يدري ماذا يصنع؟

وأول ما يفسد الأمة، المدنية المزيقة، المدنية الأوروبية التي تدور حول تمتع المرأة وإرضاء المرأة، وأصبحنا نقلدهم في كل ما هو ضار..". (البنا، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، ص ٧٢).

كذلك ينبغي توجيه انتباه المرأة المسلمة المعاصرة إلى النزعة المادية التي تقف وراء حركة تحرير المرأة الغربية، والتي أوصلت المجتمع الغربي إلى الطغيان في الانحراف، والذي تبدو مظاهره في كثير من الأمور، من بينها إباحة الإجهاض، والتجربة قبل الزواج، وتبادل الزوجات والصدقات، والإنجاب من غير أب عن طريق التلقيح

(١) هذا هو النص الذي أورده البنا. أما النص الذي وجدته الباحثة للحديث فهو "كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم، وفسق فتيانكم؟ قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: نعم، وأشد منه، كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: نعم، وأشد منه، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا؟" (أبو يعلى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٦ رقم ٦٣٨٩، ص ٥٠).

الصناعي، وممارسة البغاء في شتى صوره، وغير ذلك من المظاهر المنافية للقيم والأخلاق، والتي لم يكتف الغريون بأن تردوا إليها، بل زادوا على ذلك بالعمل الجاد من أجل تصدير أنماطهم الحياتية إلى المجتمعات الأخرى.

وقد أشار إلى ذلك البيان الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الرابع للمرأة ببيكين، الذي جاء فيه أن المؤتمر حلقة من سلسلة حلقات (ترمي) إلى "ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم الدينية، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة، دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هي التي حمت شعوبا ودولا كثيرة من التردى في هوة الفساد الجنسي والسقوط في حومة الاضطراب النفسي ومستنقع الانحلال الخلقي". (بيان مجمع البحوث.. في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ١٨).

وقد أصبح هناك الآن كثير من المفكرين الغربيين الذين يتقنون بشدة هذه التوجهات المنافية للقيم والتقاليد الراسخة، ومن بينهم مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق بريجنسكي الذي قال في كتابه (Out of control)، ما نصه: (... المجتمع الذي يسمح فيه بكل شيء، ويمكن الحصول فيه على كل شيء، هو مجتمع انحط مستواه الأخلاقي وانصب جهد الإنسان فيه على تلبية رغباته وإرضاء شهواته.

(التغريب القسري.. في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤).

ويتناول المؤرخ المشهور آرثر شيلزنجر في كتابه (الولايات الأمريكية غير المتحدة States of America Disunited) مظاهر فشل التجربة الأمريكية في صهر العناصر الثقافية المتعددة، فكان مما قاله فيه: "... وإن التطرف في فرض قيم الغرب بغتها وثنيتها لابد وأن يؤدي إلى تطرف في لفظها. إن الغرب لا يدرك أنه لا يستطيع إخضاع المجتمعات في المجال الثقافي والاجتماعي كما يفعل في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري؛ لأن ذلك يتعلق بالشعوب وليس بالحكومات الموالية." (التغريب القسري.. في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤).

فينبغي العمل من خلال التربية على إفساد المخططات الغربية للمجتمعات الإسلامية، بحيث ينبه أفرادها - ذكورا وإناثا - إلى الأسباب التي تقف وراء هذه التوجهات للمجتمعات الغربية، والتي تتمثل في اعتقاد الغربيين بأن القيم الإسلامية قيم

بالية لم تعد تتماشى مع العصر.

وإلى ذلك يشير هوفمان بقوله:

"ومن البديهي.. أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة، والذي يفرض نفسه بديلاً قادمًا من بيئة مخالفة، مواجهة حقيقية تصدم الفلسفة العصرية الغربية، وجعلها بالقيم، وإباحيتها المطلقة لكل شيء، حسب التعبير الأمريكي "لا شيء ممنوع". هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد، الذي يراه البعض عتيقًا باليًا لا شيء سوى لقيام صرحه واستمراره، غير مرتبط بعنصر الزمان؛ بمعنى صلاحيته لكل العصور." (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٠٦).

ولابد من الاهتمام في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بإكسابها المهارات التي تمكنها من أخذ زمام المبادرة في معالجة قضاياها بنفسها، وذلك لأن المنظمات الدولية قد ظلت ولفترة طويلة؛ هي المحددة لمشكلات النساء المسلمات وأولوياتها، دون أن تأخذ اعتراضات المسلمات على ذلك بعين الاعتبار، بل زادت فالتخذت من بين المسلمات من يتحدث باسم الإسلام في حين أنهن لا يعرفن منه إلا اسمه، ويعملن جاهدات من أجل تحقيق أهداف المنظمات التي يتبعنها والتي أعقدت عليهن الأموال والجوائز.

وكما أشرنا سابقاً، فإن التقصير في ذلك قد عاد على وضع المرأة المسلمة بأسوأ النتائج، وتصويب الوضع يحتاج إلى توجيه جميع طاقات المرأة بما يمكنها من الإسهام في إسماع صوتها للعالم كله، وتوضيح المكانة العالية التي تتمتع بها في ظل الإسلام، والعمل على تصحيح ما يمس وضعها من أخطاء؛ لتعود بأمتها إلى الوضع الذي يجب أن تكون عليه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

خامساً: أثر التغير الاجتماعي على الأسرة المسلمة المعاصرة:

يظهر واقع المجتمع الإسلامي بصورة لا شك فيها؛ أن تغيرات كثيرة قد طرأت على كيان الأسرة المسلمة، لكن مما يؤسف له أنه لا توجد هناك دراسات توفر معلومات دقيقة عن التغيرات الحقيقية التي حدثت للأسرة في إطار التحولات الاجتماعية المتعددة. وما يوجد منها في هذا الجانب يغلب عليه الطابع الأجنبي؛ حيث انطلق الباحثون فيه من إطار فكري غربي في فهمهم لمعنى العائلة ودلالات التطور. (سعاد إسماعيل في مجلة المرأة العربية، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ع ٨، ص ١١).

لقد أدى التطور الرأسمالي إلى تفكك العائلة التقليدية، ورافق ذلك تغير في هندسة البناء ونمط السكن، حيث حلت الشقق الطابقية محل البيوت الكبيرة، وفقدت الجيرة حرارة التواصل، وكان هذا التطور بتأثير الغرب على مبدأ الأخذ بالأسوأ وترك الأفضل إلى جانب الاستجابة للحاجات السكنية الملحة للأسر الصغيرة. (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١١٤).

وتشير إفلين ريد إلى الأسباب التي تدفع بالرأسماليين إلى امتداح هذا النوع من الأسر والذي يطلق عليه مصطلح (أسرة نووية)؛ وهو أنها - الأسرة النووية - تعتبر زبونا لتجار المفرق بدءا من تجار العقارات وانتهاء بتجار مساحيق التنظيف ومستحضرات التجميل؛ لذلك فإن المصانع أصبحت تنتج سيارات صغيرة للأفراد بدلا من السيارات الكبيرة المشتركة، وأصحاب البناء يشيدون البيوت الصغيرة والمجهزة بجميع الأدوات، والجميع يربح من وراء ذلك ما لم يكن ليتحقق مع المجتمعات السكانية الضخمة ذات الإيجارات المحدودة. (ريد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٠٤-٢٠٥).

وقد فرضت الأسرة النووية كثيرا من المتغيرات في أساليب الحياة، وفي نفس الوقت فقدت من الامتيازات التي كانت تتوفر للأسرة الممتدة. ومن بين تلك الامتيازات^(١):

١- أن الأسرة الممتدة كانت تشكل مصدرا للخبرات التي تمد الزوجة الجديدة بأصول التعامل مع الآخرين وأصول الطهي وإدارة المنزل، في حين كانت تمد الزوج بفن التعامل مع زوجته، أما في الأسرة النووية فقد أصبح الزوجان يواجهان الحياة مجردين من الأسلحة الضرورية لمواجهةها.

٢- كانت الأسرة الممتدة تمثل مؤسسة اقتصادية متكاملة حيث لا يحتاج الزوجان الناشئان إلى أكثر من جهاز العروس، في حين أصبحت الأسرة النووية تحتاج إلى تأثيث منزلها الصغير بكل الاحتياجات؛ الأمر الذي أدى إلى تقليل فترة بقاء الأسرة داخل المنزل، والبحث عن متنفس خارجه.

٣- كان أفراد الأسرة الممتدة يقضون وقت فراغهم في ممارسة بعض الألعاب الترفيهية، في حين أدت التطورات الحديثة في مجال الإعلام الى حرمان الأسر من النشاط

(١) (أسعد، د.ت، ص ٣٤-٤١)، (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١١٨)، (ريد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٠٢).

القديمة، فأصبح الأفراد في الوقت الحالي يتسمرون أمام التلفاز لمشاهدة الآخرين، الأمر الذي زاد من شعور أفراد الأسرة بالغبرة، فهم متقاربون جسديا، متباعدون روحيا.

٤- كانت الأسرة تمثل وحدة اقتصادية إنتاجية قائمة بذاتها، وتضطلع بالتربية المهنية لأفرادها ذكورا وإناثا، أما الآن فقد أصبحت مؤسسة استهلاكية، ولم تترك المدرسة فرصة للأبناء لممارسة أية أنشطة حرفية داخل المنزل.

٥- كان أفراد الأسرة في السابق جميعهم موضع اهتمام من الجميع، في حين أصبحوا يميلون إلى الاستقلال، ففقدت الأسرة وحدة العاطفة. وكلما شب الطفل شعر بتفاهة دور أمه، مما ولد العقوق، والانصراف عن توجيهات الوالدين، ويتقبل الوالدان هذا الانصراف عن توجيهاتها معللين ذلك بأنه يدل على شخصية الابن وعلى اختلاف الأجيال، فأصبحت الأسرة جنة مهجورة.

٦- كان الأبناء في الأسرة الممتدة ينعمون بجو تربوي سليم يكفل نموهم الجسدي والمعرفي والعاطفي، ويمنحهم القدرة على الاندماج السليم في المجتمع.

آثار التغير الاجتماعي على وظائف الأسرة:

صاحب عملية التحديث قيام مؤسسات اجتماعية متعددة، سحبت كل منها وظيفة من وظائف الأسرة التقليدية كما ونوعا، وذلك بحسب الثقافة المتحركة في المجتمع. والسبب هو تحول المجتمع من بسيط إلى مركب بحيث يستحيل فيه أن تختص الأسرة بكل الوظائف كما كانت في السابق. ومن بين الوظائف الأسرية التي تأثرت:

١- الوظيفة الاقتصادية: فانهيار المهن التقليدية، وقيام الاقتصاد الحديث قد حول الأسرة من وحدة إنتاج واستهلاك إلى وحدة استهلاك فقط.

٢- وظيفة الإنجاب: ظلت في كثير من الأحيان كما هي في العالم الإسلامي، فهذه هي أهم وظائف الأسرة، وإن كانت في بعض الدول قد أخذت تتأثر بالاتجاهات العالمية في المناداة بتحديد النسل.

٣- التنشئة الاجتماعية: هي الوظيفة الرئيسية للأسرة، لكن ظهرت قنوات أخرى تشارك الأسرة منها المؤسسات التعليمية بأنواعها ومستوياتها كافة؛ مما أدى إلى انحسار السلطة الأبوية.

٤- رعاية المسنين: مازالت الأسرة المسلمة تنفرد بهذا الأمر اعتماداً على تعاليم الدين الإسلامي وقيمه التي تعزز هذا السلوك، لكن هناك بدايات للتحوّل عن هذا الدور في بعض البيئات الإسلامية مع انشغال جميع أفراد الأسرة وعدم وجود من يرعى الكبار. ويشير بيجوفيتش إلى أن دور الرعاية، ودور الحضانة كلاهما ينتميان إلى نظام واحد، حيث تتوفر فيهما الراحة، في حين ينعدم الدفء والحب. وكلاهما مضادان للأسرة، وبينهما ملمح مشترك، وهو زوال العلاقة الأبوية، فهنا آباء بلا أطفال، وهناك أطفال بلا آباء. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٦٥).

ومن أجل كل هذه السلبيات؛ فقد كثرت الدراسات والندوات والمعاهد، والمؤتمرات التي تدرس حياة الأسرة الحديثة في العالم كله، ووصلت إلى أن الإعداد للحياة يجب ألا يترك كله للمنزل؛ لذلك فقد فتحت في الدول الغربية فصول للعلاقات الإنسانية، وللعناية بالطفل، والتدبير المنزلي الذي لم يعد تدريبا على الواجبات المنزلية العملية من طعام وملابس، بل صار يشمل أيضا تعليم فن الحياة العائلية. (تاريخ البشرية، ١٣٩٧هـ / ١٩٧١م، مج ٦، ج ٢، ص ١٤٧).

ونجد أنه على الرغم من تعدد أنماط الأسرة في العالم المعاصر إلا أن الأسرة المسلمة مازالت تقوم بدور أساسي في حياة أفرادها، ومازالت العلاقات بين أفرادها قوية في كثير من البيئات، على الرغم من تغيير شكلها وظهور ما أشرنا إليه من أوضاع جديدة مصاحبة للتغير الحتمي الذي تمر به المجتمعات المختلفة في العالم كله، وذلك بفضل القيم المستمدة من الإسلام، حيث نجد مثلا أن الاستقلال الكامل المبكر كما هو الحال في الغرب؛ أمر غريب على مجتمعاتنا، إذ مازال استقلال الأبناء يتم في مرحلة متأخرة، وبشكل جزئي. (تقرير العائلة العربية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٧-٨).

لكن هناك نذرا تشير إلى إمكانية تدهم الأسرة المسلمة التي عاشت أربعة عشر قرنا من الزمان محافظة على وحدتها وهي تتمثل في صور الحياة الغربية التي باتت تستهوي كثيرا من أفراد المجتمع الإسلامي. (العمرى، د.ت، ص ٤٥).

وهنا تكمن أهمية توعية أفراد المجتمع الإسلامي المعاصر ذكورا وإناثا؛ بأهمية الأسرة، وغرس القيم الإسلامية في نفوسهم منذ الصغر بما يكفل استيعابهم لها والتزامهم بها في سلوكهم في واقع الحياة. فالأسرة هي منبت الإيمان والمثل والفضائل، وهي المدرسة التي بإمكانها إخراج الفرد الإسلامي القادر على حمل لواء الخلافة.

سادسا : دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة لمسئولياتها الاجتماعية :

مسئولية المرأة هي ذات شقين؛ داخل المنزل وخارجه، وستتعرف فيما يلي على ذلك بشيء من التفصيل.

١- مسئوليتها داخل المنزل :

يلاحظ في المخلوقات المختلفة الموجودة في الكون أنه كلما قلت موهبة المخلوق كلما قلت مسئولياته. ونجد الحال مثله لدى بني الإنسان حيث إن مسئولياتهم تتفاوت بحسب مواهبهم وقدراتهم، فالبالغ يختلف عمن هو دون البلوغ، والمجنون غير العاقل، والعالم غير الجاهل، وهكذا، ونجد أن الإنسان هو الوحيد الذي رضي بحمل الأمانة التي عجزت عنها المخلوقات الأخرى. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب].

ولو لم يكن الإنسان قادرا على حمل الأمانة لما كلفه الله بها، سيما وأن الآيات الكريمة تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ونجد أن الله سبحانه وتعالى قد جعل البلوغ أحد شروط التكليف الذي يصبح به الإنسان مسئولا وقادرا على تحمل مسئولياته ومن بينها الزواج، وذلك من الناحية الجسمية؛ الأمر الذي يستتبع أن يكون مؤهلا لذلك من الناحية المعنوية أيضا. (حقي ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ص ٨٤).

وقد أشرنا من قبل إلى أن المرأة تتساوى وتختلف مع الرجل في التكاليف بقدر تساويها واختلافها معه في التكوين والاستعداد، فقد خلقت المرأة لغير ما خلق له الرجل؛ ومن ثم وجب على القائمين على تربيتها أن يعملوا على إعدادها لتحمل مسئولياتها منذ الصغر.

والتربية على تحمل المسؤولية تساعد الفتاة منذ الصغر على مواجهة ما قد يعترضها من مشكلات داخل الأسرة وخارجها، كما يكسبها المرونة في التفكير، ويساعدها على إحسان التصرف والتأقلم مع مختلف الأشخاص والبيئات، وذلك يكسبها قوة في الشخصية، وثقة بالنفس (درية أمين، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٥٥-١٥٦)، وينمي لديها حب العمل ونبذ الكسل والرغبة في الإبداع.

أما الدلال المفرط الذي قد تنشأ فيه الفتاة منذ الصغر، فإنه يجعلها تنشأ وهي غير مدركة للواجبات التي تنتظرها في المستقبل، ومن ثم فإنها إذا ما حان وقت تحملها للمسؤولية، أصبحت عاجزة عن ذلك أو مقصرة فيها بسبب إهمال إعدادها منذ الصغر.

يقول الكساس كاريل:

"إن الأطفال الذين ينشأون نشأة الأثرياء - أي مدللين - لأنهم لا يبذلون أي مجهود عقلي أو أدبي بل يتعلمون ما يسليهم فقط فإن النتيجة أنهم في مظهرهم يكونون أقوياء متأنقين، لكنهم سريعى التعب، فضلا عن أنانيتهم التي لا حد لها، وتجردهم من حدة الذكاء والحس الأدبي. وإن هذه النقائص كلها بسبب البيئة ولا دخل للوراثة فيها." (كاريل، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٦٤-٢٦٥).

وأحيانا قد يحدث نمو غير مرغوب فيه في استعدادات المرأة، مما يجعلها تنشأ وهي تابعة لغيرها غير قادرة على الاستقلال بشخصيتها، عديمة الثقة بالنفس، ومنبع ذلك أن الجاهلية المعاصرة قد حرصت على أن يماثل تعليمها تعليم الفتى، وأهملت إعدادها لمسئوليتها، ومن ثم فإنها إذا ما تزوجت، عجزت عن إدارة شئونها، وهنا نجد الجاهلية الحديثة تقدم لها الحل في صورة شغالات ومطاعم وحضانات، مما كان له أثر كبير في شيوع الأمراض النفسية والعصبية والخلقية وضياع وتفكك الأسر، وكل ذلك بسبب محاولة تغيير سنن الله. (محمد قطب، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ج ٢، ص ٣١٢-٣١٣).

وتتوزع مسؤولية المرأة المسلمة داخل المنزل إلى عدة فروع تشمل:

- أ - مسؤولياتها تجاه بيتها.
- ب - مسؤولياتها تجاه زوجها.
- ج - مسؤولياتها تجاه أولادها.

وسوف نناقش ذلك بالتفصيل فيما يلي:

أ - مسؤولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه بيتها:

يذكر الإمام النووي أن المرأة غير ملزمة شرعا بالخدمة في بيتها حيث يقع على عاتق الزوج تدبير من يقوم بذلك، وأنها لا تأثم إذا ما امتنعت لأن مسؤوليتها الأولى تتمثل في رعاية الأولاد. (النووي، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ج ١٤، ص ١٦٤).

وقد ناقش أبو شقة هذا الموضوع، وذكر كيف، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما كانتا تقومان على تدبير شئون منزلهما بنفسيهما؛ لذلك فقد رجح أن الأمر يعود إلى ما تعارف عليه الناس، وأن ظروف الأسرة هي التي ترسم الطريق الصحيح لذلك. (أبو شقة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٥، ص ١١٦، ١٣٢).

كذلك ناقشت نور قاروت هذا الموضوع وتوصلت إلى أن قيام المرأة بمسؤوليات المنزل من الأمور المندوبة شرعا، وأنها من كمال حسن العشرة. (قاروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٥م، ص ٩٨).

وقد أشار ابن تيمية إلى نفس الموضوع فقال: "فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية، ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة" (ابن تيمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٣٤، ص ٩١).

وفي رأيي أن قيام المرأة بالخدمة هو من كمال حسن العشرة ومن الأمور التي تزيد من المودة بين الزوجين، سيما وأن أعمال المنزل لم تعد تمثل تلك المشقة التي كانت تتحملها النساء في السابق، فقد أصبحت كثير من مسؤوليات المنزل من السهولة بحيث يمكن أدائها في يسر وفي زمن أقل بكثير مما كان عليه الحال في الماضي.

لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى أهمية قيام الرجل بإسداء يد العون إلى زوجته اقتداء بالرسول ﷺ الذي سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أمره في المنزل فقالت: "كان يكون في مهنة أهله - تعني في خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة." (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ١، الأذان / ٤٤، ١٦٤) وفي رواية أخرى أنها قالت: "كان بشرا من البشر.. يحلب شاته ويخدم نفسه." (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٢٥٦).

ونجد أن واقع حياتنا المعاصرة يشير إلى أن حال الغالبية العظمى من المسلمين هي على العكس مما كان عليه الرسول ﷺ، حيث يتجاوز كثير من الأزواج الحد ويصل بهم

الطغيان إلى درجة الاعتداء على نسائهم بالسب والشتم، والإهانة، بل والضرب أيضا.

وهنا يكمن دور التربية في تعريف كل من الرجل والمرأة بواجبات كل منهما تجاه الآخر وأهمية قيام العلاقة بينهما على العدل والإحسان لكي تثمر عن المودة والرحمة تشيعان في أرجاء البيت.

ويرى كثير من العلماء أن مسئولية المرأة تتمثل في الإشراف على إدارة شئون المنزل بحيث يوجد هناك من يقوم بالعمل نيابة عنها، والقول بهذا لا يمنع من الإشارة إلى حاجة المرأة إلى إدراك كثير من الأمور التي تحتاجها من أجل إدارة المنزل، والتدرب على المهارات اللازمة في المجالات المختلفة ومن بينها التغذية، والملابس والمسكن، وتربية الطفل، والعلاقات الأسرية وغيرها من الأمور التي تساعد على تحقيق النمو السليم لجميع أفراد الأسرة.

فإدراك أهمية العمل داخل المنزل أمر يجب تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إليه من خلال التربية؛ لتدرك كيف أن المرأة الغربية التي قادت نساء العالم في المطالبة بالتححرر والمساواة والخروج إلى العمل خارج المنزل، قد أدركت خطأها، وبدأت في العودة لمنزلها من جديد. وقد ذكرت مجلة التايمز الأمريكية والجارديان البريطانية أن معظم قادة حركة تحرير المرأة في الستينيات والسبعينيات قد قررن العودة إلى المنازل بعد اكتشافهن أن شعارات الحركة قد جرت على المرأة متاعب لم تكن في الحسبان، حيث أصبح عملها مضاعفا داخل المنزل وخارجه، إضافة إلى فقدانها لبعض الامتيازات التي كانت تحصل عليها في السابق. (القاسمي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٩).

كما أشارت الصحف إلى تزايد أعداد الروسيات ممن يفضلن البقاء في المنزل للاهتمام بالزوج والأولاد، (الروسيات يحققن الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٨٩). وجاء في بيان أصدره البابا في روما، أن الكنيسة تؤيد انخراط المرأة في العمل بشرط ألا تنسى واجباتها العائلية تجاه زوجها وأطفالها. (هويدي في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٠).

وفي دراسة قامت بها جامعة هارفارد الأمريكية، أوضحت النتائج أن من أسباب تفوق العامل الياباني على نظيره الأمريكي هو تفوقه في الاستقرار العائلي الناشئ عن تفضيل كثير من اليابانيات البقاء في البيت لرعاية الأسرة. (هويدي، الشرق الأوسط،

١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٧).

وقد أدرك ذلك (بول كيندي) الذي قال في معرض حديثه عن كيفية مواجهة التحدي الياباني لأمريكا: " بأن أحد الحلول لمواجهة التحدي الياباني للولايات المتحدة، هو أن تعود المرأة الأمريكية لبيتها. " (التويجري في مقدمة رسالة الخليج، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ع ٣٠، ص أ- ر).

هذا ما بدأت تفعله المرأة الأمريكية، حيث لاحظت هيلاري كلينتون قرينة الرئيس الأمريكي السابق أن عدد من يارسن الاقتراع في الانتخابات أقل بكثير من عددهن قبل ثلاثين عاما، إذ باتت الكثيرات من النساء يعتقدن بأن ذلك لا يعود بأية فائدة على مستقبل المرأة، ولا حتى على مستقبل البلاد عموما. وتعتقد هيلاري بأن جزءا من الأسباب يعود إلى طبيعة الالتزامات والمسؤوليات المنزلية إلى جانب العمل. (كلينتون في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٥).

وفي استطلاع قامت به شركة أبحاث في نيويورك، أشارت النتائج إلى أن ٥٠٪ من أفراد العينة يفضلن البقاء في المنزل، وهي نتيجة معاكسة لاستطلاع آخر أجري عام ١٩٨٥م / ١٤٠٥هـ.

(الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٨).

فهذا هو الذي يحدث في الغرب الآن، في حين مازال الشرق متخلفا حتى في تبعيته للغرب حيث يتبع ما بدأ الغرب يتخلى عنه من أمور.

ب - مسؤولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه زوجها:

هناك العديد من نصوص السنة النبوية التي أشارت إلى مسؤولية المرأة تجاه زوجها منها:

قوله ﷺ فيما رواه أبو أمامة رحمته الله: " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرتة، وإن أقسم عليها أبرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله " (ابن ماجه، د.ت، ج ١، النكاح / ٥، ص ٥٩٦).

وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رحمته الله: " لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه ". (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٦، النكاح / ٨٤، ص ١٥٠).

وقوله ﷺ فيما رواه قيس بن سعد رحمته الله: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله عليهن من الحق." (أبو داود، د.ت، ج ٢، رقم ٢١٤٠، ص ٢٤٤).

وقوله ﷺ فيما رواه عمرو بن الأحوص عن أبيه رحمته الله: "فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون." (الترمذي، د.ت، ج ٣، الرضاع / ١١، ص ٤٦٧).

كما روى جابر بن عبد الله رحمته الله أن الرسول ﷺ أقبل من غزوة، فلما قدم المدينة قال لأصحابه: "أمهلوا حتى ندخل ليلا (أي عشاء) كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة" (مسلم، د.ت، ج ٢، الرضاع / ١٦، ص ١٠٨٨).

فكل هذه النصوص تشير إلى عدد من المسؤوليات التي يجب على المرأة القيام بها تجاه زوجها أهمها:

١- الطاعة.

٢- حسن الخلق.

٣- كتمان الأسرار.

٤- التواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- التزين.

وفيما يلي تفصيل الحديث عن هذه الأمور:

١- طاعة المرأة زوجها:

إضافة إلى النصوص السابقة نجد هناك نصوصا أخرى في الكتاب والسنة تؤكد هذه المسؤولية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

ويذكر سيد قطب أن القنوت هو الطاعة عن رضى ورغبة في النفس، دون شعور بالضييق والخرج، وهذا النوع من الطاعة هو الذي يملأ جو الأسرة بالود والسكينة والسلام. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مج ٥، ص ٦٥٢).

ثم يأتي بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ شُرُوهٗٓ﴾ ^(١) *فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ* ﴿[النساء: ٣٤]، يشير إلى أن طاعة المرأة لزوجها هي الأصل، أما الشوز فهو الاستثناء. وهذا ما ينبغي تأكيده في نفس المرأة منذ الصغر، حتى لا تجرفها الأهواء، فتتبع من يرى في طاعة الزوج تخلفا عن العصر، ونوعا من العبودية التي مضى زمانها.

ويشير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إلى أهمية التقوى في الحياة الزوجية، والتي تعمل على وقاية كل من الزوجين من السقوط ووقاية المجتمع مما قد يشيع فيه من انحرافات؛ لذلك وجدنا نصوص السنة النبوية تشدد على وجوب طاعة الزوج خاصة فيما يتعلق برغباته الخاصة أيا كانت مشاغل المرأة، وتتوعدها في حالة الرفض وعيدا شديدا. يقول الرسول ﷺ: "والذي نفسي بيده! ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها، حتى يرضى عنها". (مسلم، د.ت، ج ٢، النكاح / ٢٠، ص ١٠٦).

وفي حديث آخر يقول عليه السلام: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح". (مسلم، د.ت، ج ٢، النكاح / ٢٠، ص ١٠٦).

فالإسلام يراعي فطرة الرجل التي تختلف كثيرا عن فطرة المرأة فيما يتعلق بالغريزة الجنسية، ولذلك فإنه يتيح له الفرصة لإشباعها بكيفية لا تلجئه إلى الوقوع في معصية الله. لذلك وجدنا الإسلام يسقط عن المرأة النوافل، ويأمرها بتلبية رغبة زوجها في أي وقت دون تحديد.

والطاعة التي يأمر الإسلام بها المرأة ليست قهرية عمياء، بل هي طاعة مستنيرة واعية في غير معصية الله بحيث تثمر عن مودة ورحمة تعين على تحمل تكاليف الحياة وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: "لا طاعة في معصية الله تبارك وتعالى" (ابن حنبل، د.ت، ج ٤، ص ٤٢٦).

(١) الشوز هو الارتفاع. والمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، المخالفة له، الخارجة على طاعته. (الزبيدي، د.ت، ج ٤، ص ٨٦).

ومن ثم فإن طاعة الزوج فيما يتعارض مع أوامر الله، يعد نوعاً من العبودية التي تؤدي فيها الزوجة طقوسها تجاه زوجها، رغبة في ثواب الدنيا، مما يجعلها تغفل عن أن الله سبحانه وتعالى هو مالك الدنيا والآخرة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤].

وهذا ما يحدث كثيراً في واقعنا المعاصر حيث تسلط الأهواء والشهوات إلى أن يعتمد كثير من المسلمين على إصدار ما يخالف أوامر الله ونواهيه من أوامر، تنساق النساء في طاعتها رغبة في نعيم الدنيا الهابط، كالأمر بالتبرج، أو الاستمتاع باللغو المحرم، أو عقوق الوالدين، أو قطع الرحم، أو الكذب، أو الخيانة وغيرها.

وعلى العكس من ذلك نجد من النساء من تعتمد على الاستعلاء على زوجها لجمالها أو حسبها أو نسبها أو مالها أو مكانتها الاجتماعية، إلى غير ذلك من الأسباب التي تدفعها إلى تجاوز الحد في الطغيان والإعراض عن طاعة زوجها. مما يؤكد عمق التوجيه النبوي في الحث على الزواج من ذات الدين. يقول ﷺ: "تنكح المرأة لأربع؛ لملها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك." (مسلم، د.ت ج ٣، الرضاع/ ١٥، ص ١٠٨٦).

٢- حسن الخلق:

وذلك من خلال بذل الوسع في الإتيان بكل ما يدخل السرور على الزوج. روى حصين بن محصن فقال: "حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة فقال: "أي هذه أذات بعل؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آله إلا ما عجزت عنه. قال: فأين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك." (الحاكم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٢٠٦).

وقد جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: "تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة." (ابن حنبل، د.ت، ج ٣، ص ١٥٨).

ومن التودد للزوج ضبط اللسان والإحسان في اختيار الألفاظ عند الحديث دوماً وعلى الأخص في الأوقات العصيبة التي قد تمر بالأسرة وعند الغضب الذي يثيره الشيطان في نفس الإنسان ليدفعه إلى فعل الخطأ. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

كذلك ينبغي على المرأة معاملة زوجها باحترام ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] والذلة هي أعلى مراتب الاحترام، الذي هو شيء زائد على المحبة، وتظهره الكلمة الطيبة، وحرارة اللقاء، وحسن الأسلوب. (حوى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠).

وقد أمر الرسول ﷺ بخفض جناحه للمؤمنين، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، فمن باب أولى أن يقتدي به المسلمون فيما بينهم. ومن مظاهر إحسان العشرة أيضا؛ إبداء الشكر للزوج . يقول ﷺ: " إن الله لا ينظر لامرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه " (الحاكم، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٢٠٧).

والشكر يكون بالقول وبالعمل. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

فعدم مقابلة الإحسان من الرجل بالشكر من المرأة يدل على الاستعلاء والغرور في حين أن الحياة الزوجية ينبغي أن تحفها المودة والرحمة.

والشكر من علامات الإحسان الذي يجعل المرأة تستشعر مراقبة الله سبحانه وتعالى ويجول بينها وبين كفران العشير، حتى إذا ما قصر في واجباته نحوها، وصدر منه خطأ بحقها فإنها تستعلي على كبريائها لتكون عوودا في انتظار الجزاء الكبير من الله سبحانه وتعالى. يقول ﷺ: " ألا أخبركم بنسائككم في الجنة: قلنا: بلى يارسول الله. قال: ولود ودود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك، لا أأكمل بغمض حتى ترضى. " (الطبراني، ١٣٨١هـ / ١٩٦٨م، ج ١، ص ٤٦).

وهنا قد يغلب الشيطان الزوج ويدفعه الهوى إلى الاستعلاء على زوجته والتماهي في الغضب وعدم الصفح؛ فعندئذ يأمرها الإسلام بالاستمرار في الإحسان في معاملته. يقول ﷺ: " لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدا، ولا تعزل فراشه، ولا تضر به. فإن كان هو (أظلم) فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلح حجتها، ولا إثم عليها. وإن

هو لم يرض، فقد أبلغت عند الله عذرها." (الحاكم، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ج ٢، ص ١٩٠).

ومن أوجه الإحسان في معاشرة الزوج أيضا؛ بذل الوسع في الحفاظ على التوازن داخل الأسرة، وذلك من خلال الإحسان إلى أهل الزوج، والتودد إليهم، وخاصة أمه التي قد تشعر بنوع من الغيرة الفطرية، باعتبارها كانت تمثل المحور الأساسي الذي تدور عليه حياة ابنها.

ويدخل ضمن حسن الخلق؛ مراعاة شعور الزوج بحيث تبتعد المرأة المسلمة عما قد يؤذي مشاعر زوجها من قول أو فعل، ويدخل ضمن ذلك:

١ - مراعاة مكانته الاجتماعية:

بحيث لا تتضايق من عمله خارج المنزل أيا كانت مهنته مادام عمله شريفا يكتسب منه. ونجد أن مما يحتقره الناس اليوم مهنة رعي الأغنام، في حين أنها من أشرف المهن؛ حيث ارتضاها الله سبحانه وتعالى لعدد من أصفياه وخيرة خلقه وهم الأنبياء عليهم السلام وآخرهم محمد ﷺ، وهي مهنة تقوم على ملاحظة لحياة الحيوان والعيش قريبا منه والعناية به حراسة وإطعاما، وفي ذلك إرهاب للحس، وتحمل للمسئولية، وتقديرها، فكأن الله أراد تعويد أنبيائه على حسن المعاملة واللفظ والشفقة والرأفة بالرعية، وهي تشير إلى أنه يجب على كل مسلم ألا يربأ بنفسه عن أية مهنة مادام يقوم بأدائها بأمانة، وفيها أيضا تنبيه إلى أهمية تربية الأفراد على أن الكرامة الإنسانية إنما تقاس بقيم الإنسان وسلوكه، لا بأعراف الناس.

٢ - مراعاة ظروفه المالية:

بحيث ترضى بما قسم الله وتذكر حديث رسول الله ﷺ: " أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة." (الهيثمي، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ٢، ص ١٥)، فإذا ما كان زوجها يعاني من ضيق ذات اليد، فإن الإحسان معه يدفعها إلى الاحتساب في سبيل الله، ومعاونته إذا ما كانت ذات مال تأسيا بخديجة ؓ التي واست الرسول ﷺ بنفسها ومالها فكان مآلها الجنة، وبشرت في الدنيا ببيت في الجنة من قصب (جوهري).

وقد روي أن امرأة عبد الله بن مسعود ؓ - وكانت ذات مال وزوجها فقير - سألت الرسول ﷺ إن كان يجوز لها أن تتصدق على زوجها فقال عليه السلام: " نعم ولها أجران

أجر القربة وأجر الصدقة" (البخاري، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج ٢، الزكاة / ٤٨، ص ١٢٨).

٣- كتمان الأسرار:

روى أبوهريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ أقبل على أصحابه يوما فقال: "هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابا وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟" قالوا: نعم، قال: "ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا فعلت كذا" قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء، فقال: "هل منكن من تحدث؟" فسكتن، فجثت فتاة (كعاب) على إحدى ركبتيها، وتناولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول الله، إنهم ليتحدثون، وإنهن ليتحدثن، فقال: "هل تدرون ما مثل ذلك؟" فقال: (إنما ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه،... ألا لا يفضين رجل إلى رجل، ولا امرأة إلى امرأة، إلا إلى ولد أو والد) (أبوداود، د.ت، ج ٢، الطلاق / رقم ٢١٧٤، ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

فهذا النص يشير إلى أهمية حفاظ المسلمة على إنسانيتها من الهبوط إلى مستوى الأحاديث التافهة التي سارت عليها الجاهلات من النساء بسبب الفراغ وعدم إدراك حقيقة التقوى، مما يجعلهن يجدن المتعة في الحديث عن أدق أسرار الحياة الزوجية.

وينسحب كتمان الأسرار على جميع الأمور التي تعرض بين الزوجين، خاصة الخلافات التي هي أمر طبيعي في الحياة الزوجية لأن من أعوان الشيطان من لا يجد متعته إلا في ترويع الإشاعات.

٤- التواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهب الله المرأة قدرات ومواهب تجعلها ذات أثر كبير في حياة الرجل. ويشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ: "وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب، وذوي الرأي منكن." (الترمذي، د.ت، ج ٥، الإيمان / ٦، ص ١١). وهذا تأكيد لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وهذه القدرات لابد وأن تعمل التربية على توجيهها نحو غاياتها السامية، فإن الشيطان يستغلها في توجيه المرأة لتحقيق غرضه من إغواء بني آدم؛ وإلى ذلك يشير قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص]

فبهذه القدرات والمواهب تملك المرأة أن تدفع بزوجها إلى المخاطرة في سبيل تحقيق ما تصبوا إليه من أهداف عظيمة أو هابطة بحسب التربية التي تتلقاها المرأة؛ لهذا وجدنا الرسول ﷺ يوجه المرأة إلى حث زوجها على فعل الخيرات في صورة قيام الليل حيث يقول فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء" ^(١). (ابن حنبل، د. ت، ج ٢، ص ٢٥٠)

وندرك من ذلك عظمة التوجيه الإسلامي في حث الرجل على الزواج من ذات الدين؛ لأن الواقع يؤكد أن المرأة الصالحة ذات أثر كبير على زوجها حيث تدفعه إلى الإحسان في تحقيق عبوديته لله من خلال الإحسان في أداء مسؤولياته تجاه نفسه وأهله والناس جميعا.

٥- التزين للزوج:

معنى الزينة:

الزينة هي اسم لكل ما يتزين ويتجمل به (الزيدي، د. ت، ج ٩، ص ٢٣٩)، وزينة المرأة هي كل ما يزينها ويجعلها مقبولة مستحسنة في العين والخاطر. (الفرماوي، د. ت، ص ١٥) والزينة تتعلق بالمرأة من جانبين: جانب معنوي، وهو الزينة الخلقية، وجانب حسي وهذا ينقسم إلى قسمين: خلقي ومكتسب.

فالزينة الخلقية مثل الوجه وقوام الجسم، ولون الشعر وطوله ولون البشرة وغير ذلك.

أما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها بالوضع مثل الملابس والخلي. (القرطبي، د. ت، ج ٦، ص ٤٦٢١).

وقد راعى الإسلام فطرة المرأة في حب الزينة ﴿أَوْ مِنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي

(١) أخرج الطبراني في الكبير عن عنبسة بن الأزهر قال: تزوج الحارث بن حسان رضي الله عنه - وكانت له صحبة - وكان الرجل إذا تزوج تخدر - أي لزم البيت فلا يخرج منه - أياما، فلا يخرج لصلاة الغداة، ف قيل له: أخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ قال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء. (الكاندهلوي، د. ت، ج ٣، ص ١٢٣-١٢٤).

الْخَصَامَ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ [الزخرف]، لكنه وضع لها من الضوابط ما يجعلها تلبي حاجة المرأة الفطرية، وتحفظ للمجتمع أمنه واستقراره، فحث على أن تتوجه بها المرأة نحو شريك حياتها ليساعد ذلك على زيادة المودة والرحمة بينهما، كما حث على مراعاة عدم الخروج عن الفطرة من قبل المرأة في أمور الزينة؛ ولذلك جاء توجيه الرسول فيما رواه ابن عمر رضي الله عنه بقوله ﷺ: "لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة." (مسلم، د.ت، ج ٣، اللباس / ٣٣، ص ١٦٧٧).

فالرغبة في التزين أمر فطر الله المرأة عليه، كما أشرنا، وهي حقيقة يؤكدتها علماء النفس، حيث تميل المرأة إلى إظهار تفوقها الجمالي منذ مرحلة مبكرة من حياتها، ولذلك تأثيره الكبير على سلوكياتها. (حافظ يوسف، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٠).

والإسلام حين يراعي الدوافع الإنسانية فإنه يضع لها الضوابط التي تكفل تحقيق التوازن في واقع الحياة، لذلك جاء التوجيه الإلهي بعدم الإسراف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] ومن ثم فإن التطرف وتجاوز الحد في أمور الزينة، أمر يرفضه الإسلام، وهو بالمقابل يرفض أيضا التبذل وراثثة الهيئة لمن أنعم الله عليه بما يمكنه من تحسين مظهره؛ لأن الله "جميل يحب الجمال" (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ٣٩، ص ٩٣)، و"يجب أن يرى أثر نعمته على عبده" (الترمذي، د.ت، ج ٥، الأدب / ٥٤، ص ١١٤) سيما وأن الوسطية هي الحالة التي ارتضاها الله لأمة الإسلام.

ومن ثم وجب على التربية توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الاهتمام بزینتها دون إفراط أو تفريط، بحيث توجهها الوجهة الصحيحة التي تحقق عبوديتها الكاملة لله، فتكون قدوة لغيرها في كل شيء.

وإن ما يحدث من بعض النساء الملتزمات من تبذل وعدم اهتمام بمظهرهن؛ أمر يتعارض مع ما يحرص عليه الإسلام من أن يكون المسلم حسن الخلق وحسن الهيئة كالشامة بين الناس.

روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رجالكم، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا

يجب الفحش ولا التفحش." (أبو داود، د.ت، ج ٤، اللباس/ رقم ٤٠٨، ص ٥٩).

وينبغي أن تدرك المرأة أنها تتقرب إلى الله حينما تتزين لزوجها باعتدال، دون إهدار للوقت أو المال. سيما وأن في ذلك استمالة لقلب الزوج، وإرضاء لغرائز المرأة.

وتنسحب الزينة الحسية على الشكل العام لقوام المرأة، الأمر الذي يستدعي من المرأة الاهتمام بتطبيق التوجيهات النبوية في مجال الصحة، ومن ذلك قوله ﷺ: " ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن.." وقد مر الحديث معنا فيما سبق^(١).

فالمرأة التي تهمل هذه التوجيهات؛ يمكن بإهمالها أن تحيل ما حباها الله به من جمال القوام إلى قبح قد ينفر الزوج ويدفعه إلى التوجه ببصره ونفسه بعيداً عنها خاصة في ظل المغريات الكثير في عالم اليوم، وتأثير المدنية الحديثة التي لا تؤمن إلا بالفاني، والتي تطلق العنان للجانب الحيواني في الإنسان ليحيل العالم إلى شهوات مستعرة لا تجد راحتها إلا في المتعة الحرام.

لقد كان الغرض الرئيسي من زينة المرأة منذ القدم، هو استيفاء وسائل الترفيه للزوج. لكن المدنية الغربية؛ انحدرت بأداب البيت إلى فوضى الشارع، محطمة المعاني الرفيعة للزينة، لتجعل منها سبيلاً لإثارة التفاعل الجنسي في كل مكان، " وبذلك أصبحت صناعة التبرج تشكل مورداً عالمياً سخرت له الفنون والعلوم.. فهي كل يوم، بل كل لحظة، في جديد من هذا الشأن. وهكذا دخل حساب التبرج في ميزانية الأسرة، كشيء أساسي لا يقل أهمية عن الخبز." (المجذوب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٤٢-١٤٣).

فالمرأة المسلمة ينبغي أن تعي أنها في تبعيتها للغرب، إنما تقلد القوم الذين أذلوا أمتها وسلبوا حريتها، وذلك لأن الواقع يشير إلى هذه التبعية العمياء، حتى بين المثقفات اللاتي بدلاً من أن يعملن على تصحيح الأوضاع، اندفعن منغمسات في الجو المريض أكثر من غيرهن، ولم يعد هناك فرق في مستوى الأحاديث التي تدور في مجالس النساء الأكثر علماً، والأوفر جهلاً، فلا حديث لهن إلا عن الأزياء والمأكّل، والغيبة والنميمة، وقلما يرتقي الحديث ليشمل الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، إن تناوله، فغالبا ما يكون تناوله بشكل استعراض مجرد عن التحليل أو محاولة التصويب.

وقد انعكست آثار كل ذلك على شخصية المرأة المسلمة المعاصرة التي أصبحت

(١) انظر نص الحديث ص ٣٥٢.

مسلوبة الإرادة أمام رغباتها وشهواتها، فنجدها لا تكاد تمر بشيء أعجبها إلا اشتريته، حيث إنعدمت لديها قوة المقاومة لرغبات الاقتناء لكل شيء، وأصبح ذلك مدعاة لإرهاق المعيل إن كانت غير عاملة، وسببا للإسراف في الإنفاق إن كانت عاملة^(١).

بل تعدى الأمر إلى التزين بما لا يجوز لها شرعا كالوشم والنمص والوصل وغيره. حيث نجد أن من أحدث ما ابتكر في مجال الزينة والجمال؛ استخدام الوشم الذي أصبح يطلق عليه اسم (الديموغراف) وهو "علم يحدد معالم الجمال عن طريق التلوين الطبيعي للجلد دون أن يظهر للعين المجردة، وتستعمل فيه مواد نباتية فقط." (الوشم يفجر.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٧٧).

فينبغي من خلال التربية تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بأصول الزينة، وما يحل منها وما يحرم، حتى لا تخرج عن دائرة الفطرة، وتحسن الاختيار من بين الكم الهائل الذي تعرضه الأسواق من أسباب الزينة، وتحسن اختيار ما تلبس بحيث لا تخرج عن حدود الحشمة أمام محارمها. فما يسمى "بالميني جيب"^(٢)، والميكروجيب^(٣)، والبنطلونات الإسترش^(٤) وغيرها من التصميمات التي تظهر عورة الجسد وتفصيلاته، لا يجوز أبدا أن تظهر بها أمام غير الزوج. فهذه التصميمات وأمثالها قد أوجدها أرباب الموضة من أجل إرواء رغبة الرجل في الاستمتاع بالحرام بجمال المرأة^(٥) في حين أن الإسلام لا يميز للمرأة أن تظهر بها حتى أمام النساء وذلك لأنها إلى جانب تعارضها مع مقتضيات الفطرة، تخرج بالملابس عن وظيفتها الأساسية في ستر العورة وإضفاء الجمال على لابسها. والإسلام يحرص على أن يدرك المسلم المعاني الجميلة للثوب الجديد. ويشير إلى ذلك قول

(١) تستنكف غالبية النساء العاملات عن الذهاب إلى العمل بالثوب نفسه ليومين متتاليين، فلا بد أن يكون للمرأة مجموعة من الثياب، وما يتبعها من مكملات الأناقة التي تنسجم مع ألوان الثياب من حقائب وأحذية وحلي وزينة للشعر.

(٢) ثوب قصير فوق الركبة.

(٣) ثوب أقصر من الميني جيب.

(٤) نوع من البنطلونات يلتصق بالجسد فيجسمه.

(٥) يقول عالم الاجتماع (برنارد بابر): "إن الميني جيب تعبير للفلسفة في عصر يريد أن يستمتع بالأكل والفرجة، وينهل من اللذات الجسدية." ويقول كريستيان ديور: "...إننا ونحن نصمم أزياء ترضي المرأة، فإننا نهتم أيضا بمزاج الرجل. فالرجل إذا في الواقع هو محور (الموضة) لأنه هو الذي سينظر ويستمتع." (باجير في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٧٥).

الرسول ﷺ الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: "... ومن لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر." (أبو داود، د.ت، ج ٣، اللباس / رقم ٤٠٢٣، ص ٤٢). كما أنه رضي الله عنه كان إذا ما استجد ثوبا: "سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" (الترمذي، د.ت، ج ٤، اللباس / ٢٩، ص ٢١٠).

ونجد من بين النساء في الغرب من أدركت بفطرتها وخبرتها في الحياة، الآثار السيئة لهذه التصميمات وللإعلانات عنها، حيث تعمل على تدمير براءة الأطفال وأخلاق الشباب، فراحت تنتقد القائمين عليها. ومن هؤلاء "هيلاري كليتون" زوجة الرئيس الأمريكي الحالي؛ التي انتقدت إعلانات شبة عارية لإحدى دور الأزياء مشيرة إلى أن الإعلانات التجارية قد أصبحت تشكل مصدر مضايقة للناس، لأن أصحابها ينفقون ملايين الدولارات بغرض تشكيل آراء الناس وتغيير أذواقهم، وبذلك أصبحت "مسألة تحقيق الأرباح لدى المعنيين أهم من الاستقامة، والمدنية، والذوق، والأخلاقيات" ^(١) (كليتون في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٤).

كذلك ينبغي على التربية أن تهتم بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى السبل الصحيحة للتجمل، بحيث تحذرهما من كل ما قد يضر بصحتها، حيث قد ثبت أن كثيرا من مستحضرات التجميل المنتشرة لها أضرارها على البشرة على المدى البعيد، وفي ذلك يقول عاشور:

"ولنهمس في أذن كل سيدة، أن مستحضرات التجميل التي لا يكاد يخلو منها بيت، تحتوي على أنواع مختلفة من السموم المعدنية، كالزنك، والزنبق، والرصاص، والزرنيخ،.. وكثير من المواد السامة هي أساس تكوين هذه المستحضرات، كمستحضرات تجفيف العرق، ومزيلات الروائح، وإزالة الشعر، وتلوين الجلد، وإزالة التجاعيد، وإطالة الشعر ودهانه، ومثبتاته ومنعماته وموجاته." (عاشور، د.ت، ص ٧٦).

(١) وقد اضطرت الدار إلى سحب إعلاناتها بعد أن ثار غضب العامة ودعوا إلى الامتناع عن شراء سلع لا تبث إعلاناتها على الارتياح. (كليتون في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٤).

ج - مسؤولية المرأة تجاه أولادها :

تشير النصوص من الكتاب والسنة إلى أن المرأة مسئولة عن حضانة الأطفال وتربيتهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾

[البقرة: ٢٣٣].

وقوله ﷺ فيها رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: " وإن لولدك عليك حقاً. " (مسلم، د.ت، ج ٢، الصيام / ٣٥، ص ٨١٤) وقوله ﷺ فيها رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش أحناه على يتيم في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد. " (مسلم، د.ت، ج ٤، فضائل / ٤٩، ص ١٩٥٨).

وتصل خطورة دور الأبوين - وخاصة الأم - في حياة الطفل إلى درجة إمكانية تحويله عن فطرته، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ فيها رواه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " (مسلم، د.ت، ج ٤، القدر / ٦، ص ٢٠٤٦).

فإذا كان تأثير الأبوين في ولدهما إلى الحد الذي جاء في الحديث الشريف، وهو تحويله عن فطرته، وما تستلزمه من معرفة الإسلام ومحبته، فمن البديهي أن يكون تأثير الأبوين في ولدهما في معاني الإسلام وترسيخها في نفسه وتبصيره بها أعظم بكثير لأن الإسلام وهو ما ترتاح إليه الفطرة. ومن هنا كانت مسؤولية الوالدين كبيرة في الحفاظ على فطرة أولادهم وتكوين العقيدة الصحيحة في نفوسهم (زيدان ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ج ٩، ص ١١٤).

وأحيانا يحدث أن يموت الزوج تاركا زوجته وأولاده، فترك الزوج وتربيتهم، ومثل هذه الأم بشرها ﷺ بالصحبة في الجنة؛ حيث روى عوف بن مالك الأشجعي أن الرسول ﷺ قال: "أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة"، (وأوما يريد بالوسطى والسبابة)، " امرأة آمت من زوجها، ذات منصب وجمال، حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا، أو ماتوا " (أبو داود، د.ت، ج ٤، الأدب / رقم ٥١٤٩، ص ٣٣٨).

ويشير واقع المجتمعات الإسلامية إلى أن المرأة المسلمة المعاصرة قد اندفعت وراء تلبية شهواتها ورغباتها من العمل وغيره تاركة أولادها للخدمات أو للإهمال، وقد أدى

ذلك إلى إنشاء أجيال مسلمة بالتبعية، متزعزعة العقيدة، ما أن تفرض عليها أفكار أخرى حتى تتقبلها بسهولة؛ لأنها لم تنشأ على العقيدة الصحيحة، بل نشئت على الخوف من الظلام ومن المجهول، ومن الموهومات (الأشباح والعمالقة) ثم جاءت المدنية الغربية بقصصها الخرافية لتزيد الأمر سوءاً.

وتشير الإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الخصوبة في البلاد الإسلامية في مقابل ارتفاع معدلات الوفيات بين الأطفال، لا اختلاف في ذلك بين الدول الغنية والفقيرة. (برنوطي في ندوة تنمية مساهمة المرأة...، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٣٣)، وهذا إنما يدل على الإهمال في تربية الأطفال والذي من أبرز أسبابه الجهل الذي يمنع المرأة من أن تدرك أن الإهمال في تربية الجسم يضعفه ويشوهه، والإهمال في تربية الحواس يضعفها ويفقدتها الإحساس بالحياة، وإهمال العقل يدفع إلى الأمية وسوء التصرف، وإهمال الروح يجعل الحي ميتاً مادي التكوين جاف الطبع أنانياً، كالحيوان في شهواته. (القصار، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٥-٢٦)

وقد برزت نتائج هذا الإهمال على واقع حياة الأمهات اللاتي أصبح منهن من لا يلقين من أبنائهن سوى الجحود والكران والتجريح على مسمع من الآخرين، وأصبحت كثيرات منهن يعانين من أمراض الشيخوخة وارتفاع ضغط الدم بسبب هذا القهر. (الجفري في عكاظ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٣٦٨).

بل قد وصل الحال ببعض الأبناء إلى قتل أمهاتهم مما يشير إلى فقدان الإحساس لدى هؤلاء الأبناء الذين لو شعروا بأهمية أمهاتهم في حياتهم ما قابلوهم بمثل هذه الجرائم.

ومن إهمال الأولاد تركهم للخادومات حيث تغفل الأم عن حقيقة أن: "الأم هي كل من يمارس دوراً رعاياً تربوياً، وليست كل من تتزوج وتنجب الأولاد" (فهؤلاء هن أشباه أمهات، فليس من فضل من تنجب ثم تسلم أولادها لغيرها^(١)). (صحمراني في آفاق الإسلام، ع ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١٣٦).

ويدخل ضمن الإهمال أيضاً إهمال الرضاعة الطبيعية، حيث شاع استخدام الحليب المجفف في معظم الدول المتقدمة عقب الحرب العالمية الثانية، وتصور البعض أنه قد

(١) تعترف إحدى الأمهات بأن فقدان الوعي الكافي لديها ولدى غيرها من النساء، يدفع بهن إلى اتباع أساليب عشوائية ومزاجية في تربية أبنائهن، كما تعترف بأنها وبعد إرهاق يوم كامل من العمل، تعود إلى المنزل وأعضائها غير قادرة على تقبل حركات أطفالها، مما يجعلها تعتمد إلى أسهل السبل لوقفها وهو الضرب. (المسلمون، ١٤١٥هـ / ١٩٥٥م، ع ٥٢٦).

يخفض معدلات وفيات الأطفال، واعتبرت الرضاعة الطبيعية من الممارسات البدائية التي سرعان ما أصبحت غير مقبولة اجتماعياً، وتبين خطأ الاتجاه عندما شجعت الدول الصناعية نساء الدول النامية على اللجوء إلى الحليب الصناعي الذي أدى إلى زيادة عدد وفيات الأطفال، خاصة في إفريقيا وبنغلادش وغيرها من الدول التي تفتقر إلى وسائل الرعاية الطبية والمرافق الصحية. (مجلة الشرق الأوسط، ع ٤٨٠، ١٩٩٥م، ص ٣٤).

وقد أثبتت الأبحاث أن حليب الأم به عناصر مناعية دفاعية منها ماله دور في محاربة السرطان، وهو ما لا يستطيعه الحليب الصناعي، إضافة إلى نظافته. كما أكد الأطباء النفسيين أن عملية الرضاع تمثل "مسألة فسيولوجية معقدة، وأنها إلى جانب الطعام تقدم نوعاً من الروابط النفسية بين الأم وطفلها لها دورها في نمو الجهاز العصبي والمناعي لدى الطفل، ولذلك أثره في مستقبل حياته." (مجلة الشرق الأوسط، ع ٤٨٣، ص ٢٣، ١٩٩٥م).

كما أثبتت الدراسات التي أجريت في الغرب أن اضطراب كثير من الجانحين يعود أساساً إلى انفصال الأبناء في سني حياتهم الأولى عن الأم، مما يدفع بالذكور منهم إلى الإجرام، وبالإناث إلى الوقوع ضحايا تجار الجنس وغيرهم. (العويد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج ٤، ص ١٧-١٩).

ويشير واقع المجتمعات لدينا إلى كثير من النتائج الخطيرة التي تترتب على إهمال الأم لمسئوليتها في تربية أبنائها من بينها:

- ١- وجود الطغاة من الولاة على أمور الناس ممن يتلذذون بتعذيبهم.
 - ٢- وقوع الأجيال ضحية المخدرات والمسكرات، والجرائم المختلفة.
 - ٣- وجود المنحرفين في المجالات المختلفة الثقافية، والفكرية، وغيرها ممن يتاجرون بجسد المرأة ذاتها.
- فكل هؤلاء قد خرجوا من حضن المرأة التي تناست واجباتها حين اندفعت تطالب بحقوقها بتبعية عمياء. (الركابي في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١١٥).
- ونجد أن عدم إدراك المرأة المسلمة المعاصرة لحقيقة علاقة العدل والإحسان وأهمية تطبيقها في تعاملها مع أبنائها، يجعلها تسلك في رعايتهم أحد سبيلين:

- إما أن تكتفي بالالتزام غير الواعي بأنماط التنشئة التي طورتها الأجيال السابقة،
فيدخل أبنائها الحياة العامة دون الاستفادة من تجارب الحاضر ومعطياته.

- وإما - إذا ما كان لديها بعض الوعي - أن تعتمد إلى تقليد الأنماط الغربية والتي
قد تعالج بعض المشكلات في الوقت الذي تخلق فيه أخرى. (البرنوطي في ندوة تنمية...،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٣٣-١٣٤).

إن مما لا شك فيه أن الحب والحنان الذي تفيضه الأم على أبنائها، والعقيدة والقيم
التي تغرسها فيهم لا يمكن لأي فرد آخر أن يعوضه. وقد أدرك ذلك الكاتب تولستوي
الذي يقول:

" أنا لا أناقش في أن المرأة تستطيع أن تقوم بكل عمل يمكن أن يقوم به الرجل، بل
إنها قد تتفوق عليه في إتقان بعض الأعمال.. ولكن الذي لا أشك فيه.. هو أن الرجل لا
يستطيع بحال من الأحوال أن يقدم للعالم ما يمكن أن تقدمه المرأة".

ويضيف قائلاً:

" وكم يصدق هذا القول، لا على الحمل والولادة وتربية الأطفال، وإنما على عملية
الحب في حد ذاتها، هذا الحب المخلص المتفاني الذي يكرس صاحبه كل حياته في سبيل أن
يسعد من يحب. هذا الذي مازالت المرأة الطيبة توليه زوجها وابنها وأباها.

ما أتعس العالم لو أن المرأة توقفت عن أن تحب. إن العالم يستطيع أن يستغني في
بساطة ويسر عن جهد الطبيبات والمعلمات والمحاميات وعاملات الهاتف والكاتبات،
ولكنه من دون الأمهات والمواسيات والحنانيات على الفقير والمريض، من غير هؤلاء
اللوّاتي يحبين في الإنسان خير ما فيه، من غير هؤلاء تكاد الحياة على هذه الأرض أن تكون
مستحيلة. " (العويد، ج ٤، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧٦).

وإدراك أستاذة جامعية أمريكية لأهمية دورها تجاه طفلها، هو الذي دفع بها إلى ترك
عملها في التدريس لتتفرغ للعناية بطفلها؛ لأنها وجدت أن كل ساعة ستمضيها في
الجامعة ستكون على حساب طفلها وهي تقول:

" بعض الناس يقولون: لا يهم مدى الوقت الذي أمضيه مع طفلي، المهم هو نوعية

هذا الوقت. أنا أعلم بالطبع أن الوقت النوعي مهم، لكن من الصعب برمجة لحظات هذا الوقت النوعي؛ لأنها تحدث من تلقاء نفسها.. وعلى أي حال، هذا الوقت النوعي لا يحدث إلا حين نكون مع أطفالنا، أي حين نمضي معهم الوقت الكمي حين يكونون برفقتنا في المحال التجارية، في المطبخ، في السيارة... إلخ إن هذه كلها لحظات مختلفة في كل يوم تعيشه فيها مع طفلك، وتشاطرينه قيمك ومفاهيمك. (العويد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، ج٤، ص ١٢-١٣).

ونجد لدينا أن الوعي بأهمية التعامل مع الطفولة مازال يقصر كثيرا عما هو مأمول. في حين نجد أن كثيرا من دول العالم تضعه في قمة الأولويات.

ويشير الدكتور مصطفى حجازي إلى أن أبرز نواحي قصورنا تبدو في الكتب والقصص والأفلام التي تقدم لأطفالنا، والتي هي في أصلها مستوردة أو مترجمة أو مقلدة لما هو في الغرب، دون إدراك لما تنقله إلى أطفالنا من قيم الحضارة الغربية من خلال ارتباطها برموز الحضارة الأوروبية الصناعية، إلى جانب آثارها في تعطيل العمليات العقلية العليا لدى الطفل. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٩).

وقد أجمع المختصون على أن المحتوى التربوي المقدم للأطفال في الوقت الحاضر لا بد وأن يبنى على قيم الأصالة والإعداد للمستقبل، وذلك بالانطلاق من العقيدة، والانضباط بالقيم الإسلامية، مع العناية بالمضمون والحرص على استخدام الأساليب الجيدة. وقد أجمعوا على أن في مقدمة الاحتياجات الضرورية لتحقيق تنشئة صحيحة للطفولة هو " الاهتمام بتنمية شخصية الطفل وتزويده بثقافة عامة واسعة وغرس الثقة في الذات وتنمية المنهج العلمي والقدرة على التوافق والتكيف ومساعدة الطفل على اكتساب المهارة الإبداعية في التفكير. " (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٩).

كذلك ينبغي تحذير المرأة من التفریط في مسؤولياتها تجاه أبنائها مما قد يؤدي إلى إفسادهم. فقد فهمت إحدى الصحابيات^(١) أن إفساد الأبناء هو الواد الخفي الذي عناه

(١) هي الصحابية عزة بنت مخابل.

الرسول ﷺ بقوله: " لا ترزين، ولا تسرقين، ولا تتدين، فتبين أو تخفين " قالت: أما الواد المبدي فقد عرفته، وأما الواد الخفي فلم أسأل رسول ﷺ ولم يخبرني، وقد وقع في نفسي أنه إفساد الولد، فوالله لا أفسد لي ولدا أبدا. " (ابن حجر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٣٦٣).

ولكن مع الأسف فإن كثيرا من الدراسات البحثية الحديثة، تشير إلى أن هناك مشكلات لدى الأبناء كالتخلف الدراسي والانحراف، وأنها مرتبطة إلى حد كبير بغياب الأم وانشغالها عن تربية أبنائها، وعدم وجود من يحل محلها في القيام بمسئولية الضبط الاجتماعي للنشء والذي يبدأ منذ الطفولة. (خلاف، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٦٥)، وبعض الدراسات ترجع ذلك إلى الحرمان العاطفي من مشاعر الأمومة لدى الأبناء، وتطور العلاقة الوجدانية بين الأم وأبنائها نتيجة لانشغالها بالكثير من المسؤوليات التي فرضتها عليها الحياة المعاصرة. (تقرير العائلة العربية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٩).

ويشير إلى ذلك محمد سلامة آدم حين يقرر بأن الأم العاملة لا تقوم إلا بجزء من رعاية الأبناء، خاصة في سن ما قبل المدرسة، وهي أهم فترة في حياة الطفل، كما أنها غير قادرة على توجيه الأطفال بصورة مناسبة نظرا لتشتت جهودها وعدم درايتها ووعيتها الكافي بهذا المجال، إلى جانب أنها تجد صعوبة في متابعة دراسة أبنائها ومساعدتهم في المذاكرة، وذلك بسبب ضيق الوقت والإجهاد في أعمال المنزل. أيضا هي لا تتمكن من إشباع حاجة أطفالها إلى الحب والحنان خاصة في سنواتهم الأولى بسبب غيابها ساعات طويلة أثناء النهار. (آدم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٧٠).

وفي دراسة مقارنة قامت بها بثينة قنديل بين أبناء الأمهات العاملات وغير العاملات؛ وجدت أن أبناء الأمهات اللاتي يتغيبن لمدة خمس ساعات أكثر توافقا من أبناء من يتغيبن لمدة ثماني ساعات، سواء من حيث التكيف الشخصي أو الاجتماعي أو العام، وكذلك أكثر توافقا من أبناء غير العاملات مما يدل على أن من بين غير العاملات من يملن في رعايتهن لأبنائهن. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٥١-٥٢).

وترى الباحثة بأنه ليس من عذر لغير العاملة سوى الجهل الذي يجعلها تضع أوقاتها سدى فتحرم نفسها وأبنائها من الإمكانيات العظيمة التي أودعها الخالق لديها والتي

يمكن أن تسهم بها في الارتقاء بالإنسانية.

كذلك ينبغي تنمية الحس الأمني لدى المرأة بحيث تتمكن من تجنب أبنائها كل ما من شأنه الإضرار بهم فكريا وجسديا وعقليا، ويدخل ضمن ذلك أشرطة الفيديو والكاسيت والكتب والمجلات والمحطات الفضائية التي يمكن أن تؤثر عليهم عقليا وخلقيا وفكريا.

أيضا ينبغي إعداد المرأة بما يمكنها من الإحسان في اختيار وسائل الترفيه المناسبة لأطفالها من كتب وقصص ورسوم وبرامج تلفزيونية وأشرطة فيديو وكاسيت وألعاب وغيرها.

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، هو الشدة التي يأخذ بها الإسلام من يسوق أولاده إلى الرذائل، فقد أخرج أبو دواد عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: "دعني أُمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطيك، فقال لها الرسول ﷺ: "وما أردت أن تعطيه قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة. " (أبو داود، د.ت، ج ٤، الأدب/ رقم ٤٩٩١، ص ٢٩٨).

وقد ذكر علماء النفس أن السنوات الست الأولى من حياة الطفل تمثل سنوات التكوين التي ترسخ فيها شخصيته وذكاءه لحياته المقبلة، والتي يتعلم فيها أكثر من أية فترة أخرى، حيث يصل نمو ذكائه، إلى ٥٠٪ قبل سن الرابعة ٨٠٪ في الثامنة. (ابن عمر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٢).

ومن خلال التربية يمكن أن نغرس في نفس المرأة المسلمة المعاصرة حقيقة أن الإسلام جهاد دائم لتكون كلمة الله هي العليا، وأن مسئوليتها في هذا الجهاد كبيرة لأنها هي التي تنشئ رجال الغد ونساءه الذين يقومون بدورهم بأداء نصيبهم من الجهاد.

وفي الوقت الحاضر، نجد أن المرأة قد تضطر لكثرة الأولاد أو لانشغالها بالعمل خارج المنزل، أو لغير ذلك من الأسباب إلى إحضار خادمة تساعد في إدارة شئون المنزل، أو إيداع أبنائها في دور الحضانة، أو لدى الجدات.

وهنا يفرض عليها الإحسان تجاه الأولاد أن تحسن اختيار الخادمة، بحيث تكون أمينة مرضية الخلق ملتزمة بالآداب الإسلامية، وأن تقصر عملها على شئون المنزل دون

تربية الأولاد التي تعتبر مسئوليتها بصفة خاصة. فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: " المرأة راعية على بيت بعلمها وولده وهي مسئولة عنهم.." (مسلم، د.ت ج ٣، الإمارة / ٥، ص ١٤٥٩).

ونجد المرأة المسلمة المعاصرة في بعض الدول الغنية، تعهد إلى الخادمة بالأعمال المنزلية، وبترية الأولاد، مما أدى إلى كثير من الآثار السلبية الناجمة عن الانتماءات الثقافية المختلفة للخدمات، ومن ثم أصبحت هذه الدول تتعرض لدرجة من النقل الحضاري؛ " أي إدخال أنماط سلوكية وعادات وتقاليده عن طريق الوافدين^(١) ". (الباز في المستقبل العربي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ع ١٢٠، ص ١١٠).

فهذه الأسر قد أصبحت استهلاكية مستوردة إلى الدرجة التي أصبحت توكل فيها أهم مهمة لها إلى مربية مستوردة من الخارج.

أما دور الحضانة؛ فلأن غالبيتها تفتقد إلى الجو التربوي السليم، فإن مضارها أكثر من منافعها.

فالأم تنزع طفلها عن كيانه كل صباح، وتغالب فطرتها وهي تقاوم أمومتها لتلحق بعملها تاركة إياه لحضنة، تتلقاه بمشاعر الأجير لا بمشاعر الأم الحنون، فتحاول تهدئته بأية وسيلة. وتسمي حنان لحام هؤلاء الأطفال بالأيتام وتعتبر فصلهم عن أمهاتهم القسري هذا بمثابة يتم صناعي، حيث تقول في ذلك ما نصه:

(١) في دراسة أعدتها وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكويتية عن أثر المربيات الأجنبية على الأسرة الكويتية، خلصت الدراسة إلى أن غير المسلمات من الخدمات يشكلن ٥٥٪ من جملة عينة البحث التي تتكون من ٢٨٩ مربية، وأن ٨٦٪ منهن يعانين من الجهل (أمي - يقرأ ويكتب)، وفي تحقيق نشر حول رأي عدد من القانونيين عن الحالات التي عايشوها أمام القضاء ذكروا من بين الحالات:

- خادمة قامت بإعطاء طفل مادة سامة لا يظهر أثرها سريعا بسبب إيذاء ربة البيت لها.
- خادمة تعرضت للتعذيب من ربة البيت فدافعت عن نفسها بما سبب عاهة للآخرى، وقد حوكت الخادمة لعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها.
- خادمة أحرقت نفسها للتخلص من عقاب مخدومها.
- خادمة وضعت رضيعا في فرن الغاز بعد أن لفته بورق الألومنيوم.
- خادمة اشتكتها ربة المنزل إلى زوجها الذي قام بحرقها بسكين حار من رأسها إلى رجليها، وقد نجحت في الفرار، وحوكم الرجل وحصل في النهاية على البراءة.
- (الخدم الوافدون.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٧٩).

" ولقد جاءت الوصية باليتيم دون تحديد لحالته المادية لأنه فقد أعز شيء في الدنيا: حنان الوالدين. ولئن وجد في الماضي يتم طبيعي.. فقد رأينا في عصرنا يتما صناعيا. ينتزع الطفل من والديه حرصا على المادة وزيادة الإنتاج، وتحت شعار التحرر الاقتصادي للمرأة...!! ويرمى بأجيال من الأطفال إلى محاضن جماعية.. إن توفرت فيها الرعاية المادية فإنها خاوية من حنان الأبوين ومن صدر الأم خاصة.. فمن لهذا اليتيم الجديد الضعيف؟! وكيف رضيت أمه أن تتخلى عنه وتسلمه إلى الأيدي الغريبة.. مقابل حفنة من مال؟! حقا لقد أصبح المال والإنتاج أغلى من الإنسان.. " (لحام، من هدى سورة البقرة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٤٤٧).

ويؤكد كاريل على الخطأ الكبير الذي ارتكبه المجتمع المعاصر حين استبدل التربية الأسرية بدور الحضانة، وذلك حتى تتمكن النساء من الانصراف إلى أعمالهن أو هواياتهن أو كسلهن؛ ولذا فهو يعتبر المرأة المعاصرة هي المسئول الأول عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الأطفال بالكبار، فيتعلمون منهم الكثير، حيث إن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقا للقوالب الموجودة في محيطه... إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الأطفال الذين في مثل سنه. (كاريل، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٣٥).

وأحيانا يمثل الأجداد الملجأ الوحيد للأم المعاصرة وذلك إما لندرة الخادمة، أو لقلة ذات اليد، أو غير ذلك من الأسباب، وهنا لا بد من ملاحظة أن هذا لا يعني العودة إلى الأسرة الممتدة؛ حيث إن النمط الأسري هنا يختلف، ويصاحب ذلك اختلاف في القيم والسلوكيات.

ففي العائلة الممتدة تتم التنشئة من خلال عمل جماعي يتم ضمن إطار قيمي يحكم جميع أفراد الأسرة، في حين أن مساعدة الأجداد في الوقت الحاضر تأتي للضرورة، ودون تمسك بالقيم؛ لأنها لا تمثل عملا جماعيا، بل حل مؤقت لفترة غياب الأم. وتنبع الخطورة هنا من افتقار عملية التنشئة إلى نسق متسق بسبب تعدد مصادر السلطة، واختلاف اتجاهات القائمين بها، واختلاف أساليبهم في التعامل مع الأطفال، مما يخالف أساسيات عملية التربية، حيث نجد الأجداد عادة ما يميلون إلى تدليل الأحفاد على اعتبار أنهم ضيوف، في حين أن الوضع يختلف تماما في الأسرة الممتدة. كذلك نجد الأم تبالغ في غمر أطفالها بالحنان بعد عودتها من أجل تعويض فترة غيابها التي تجعلها تشعر بالذنب

لتقصيرها تجاههم، إضافة إلى ما قد يصيب الأطفال من ضغوط جراء عصبيتها. أيضا فإن الجدة قد تسهم في اكتساب أحفادها كثيرا من الانفعالات السلبية بسبب خوفها الشديد عليهم والفرقة في المعاملة بينهم وبين الآخرين. فكل هذا التذبذب في معاملة الأبناء، يعود بأسوأ الآثار على بنائهم النفسي والعاطفي والسلوكي. (تقرير العائلة العربية: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨، ص ٣٧ - ابن عمر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٠-٣٧).

٢- مسؤولية المرأة المسلمة المعاصرة خارج المنزل:

كان للمرأة المسلمة دور عظيم منذ اليوم الأول لدخولها في الإسلام، لكنها بعد ذلك تخلفت، فتخلف المجتمع كله تبعاً لها، ثم أتيحت لها الفرصة للنهوض، فأنحرفت عن أصلاتها لتسير في تقليد أعمى محققة ما أخبر عنه الرسول ﷺ: " لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن! " (البخاري ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٨، الاعتصام / ١٤، ص ١٥١)، حتى أصبحت المرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - أحد فئتين: فئة أهمل تعليمها فجعلت، وعجزت عن أداء واجب الإحسان تجاه نفسها فضلا عن غيرها، فهي كائن مسلوب الإرادة، تتميز بالتردد وعدم الجرأة في الحق، تتقاعس عن أداء الواجبات، وتعتذر عنها بشتى الأعذار التي تزيد من وهن عزميتها، يعوقها الخوف من سخط الناس عن الإقدام، وتندفع في أعمالها بفوضى وارتجال بعيدا عن التخطيط، وتتفنن في بعثرة الوقت والجهد والمال.

أما الفئة الثانية، فقد أتيحت لها الفرصة للتعلم، لكنها انجرفت وراء تقاليد الشرق والغرب في التحرر والمطالبة بالمساواة مع الرجل دون وعي كاف بإسلامها. وقد أعمتها تلك التبعية عن إدراك عظمة دينها فراحت تهاجمه مع من يهاجم، وتتحدث عن ظلمه للمرأة في الميراث، والشهادة، وتهاجم الحجاب، في حين أنها لا تحرك ساكنا تجاه القوانين الوضعية المستوردة التي تسهم في إشاعة الفساد في المجتمع.

ونجد أن وقائع تاريخ الحضارات تعطي كثيرا من الأمثلة التي تؤيد القول بأن النظرة إلى المرأة تؤثر في ازدهار وانحطاط الحضارات، حتى أن بعض الدارسين لتطور هذه الحضارات يعتبرون أن العامل الأول في انحطاط وازدهار الحضارات هو درجة اعتزال المرأة للمجتمع والحياة العامة، ودرجة علو مركزها في العائلة والمجتمع أو تدنيه،

كما يعتبرون أن في بدء كل بعث حضاري؛ هناك وجود كامل للمرأة وفعالية كبيرة لإسهامها. (الإنماء التربوي، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٣٢-٣٣).

وهذا القول ينطبق على الحضارة الإسلامية التي أبدعها أفراد خير أمة أخرجت للناس، بعد أن نهضوا من جاهليتهم بفضل الإسلام الذي حرر الناس من عبودية البشر والأشياء وربطهم بخالقهم، فكان أن شعرت المرأة بحقيقة مكانتها في الكون: خليفة لها دور في عبادة الكون، فقامت مشمرة عن ساعديها لتسهم في جميع المجالات التي تتناسب مع مؤهلاتها وإمكاناتها، فكان لها أثرها في مجالات الدعوة والجهاد وكل ما يمكنها الإسهام به من أنشطة اجتماعية، وكانت في الوقت نفسه تباشر مسؤولياتها الأساسية في رعاية أسرهما وتدير شئون بيتها.

وفي ظل التخلف الذي يعيش بخيوطه في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، فإنه ينبغي على التربية أن تعد المرأة المسلمة المعاصرة بما يؤهلها لاستئناف دورها في بناء الحياة الإسلامية المرجوة، والارتقاء بوضع المجتمع الإسلامي الذي يعاني في كثير من أجزائه من الثلاث المدمر: الفقر والجهل والمرض، والعمل من أجل مستقبل أفضل ينتظم الإنسانية جمعاء.

ونجد القرآن الكريم يثبت الولاية المطلقة بين المؤمنين، ويدخل ضمن ذلك ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة].

وسوف نتحدث فيما يلي عن كيفية تحقيق ولاية المرأة للمجتمع من خلال إسهامها في أنشطته المختلفة، وفي تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي تركية البيئة الاجتماعية.

أ- الإسهام في الأنشطة الاجتماعية:

النشاط الاجتماعي ميدان يتسع لكثير من الأعمال الصالحة التي جعلها الإسلام قرينة للإيمان، ومن خلال التربية يمكن توجيه المرأة إلى ألوان الأنشطة التي يمكن أن تشارك بها في الارتقاء بوضع المجتمع، عبر مراحل حياتها المختلفة، وتربيتها بما يغرس في نفسها القيم الإسلامية المصاحبة لتلك الأنشطة، خاصة إذا ما اقتضى الأمر لقاء الرجال الأجانب.

وكذلك العمل على توعية أفراد المجتمع المسلم بأهمية تهيئة الأسباب التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على الإحسان في أدائها لمسئولياتها تجاه المجتمع، من حيث التخطيط والتنظيم والتنفيذ.

وينبها القرآن الكريم من خلال قصة مريم إلى الإمكانيات والمواهب التي تملكها المرأة، وإلى قدرتها على القيام بجلال الأعمال إذا ما أعدت لذلك. فامرأة عمران قد نذرت وليدها ليكون عاملا في الإصلاح الاجتماعي، لكن إرادة الله شاءت أن يهبها أنثى بدلا عن الذكر الذي تمتته؛ فكانت هذه الأنثى هي مربية عيسى عليه السلام الذي جاء معجزة في خلقه.

ومن بين المجالات التي يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة أن تطرقها: التعليم؛ تعلمها وتعلما وتوجيهها وإدارة، والجمعيات الخيرية؛ مشاركة وقيادة وتوجيهها ومحاضرة، والمناسبات العامة؛ نصحا وإرشادا وتوعية ودعوة باستخدام كافة الوسائل المتاحة، والمباح من الإعلام، والتأليف. فهذه المجالات هي مجالات حيادية تفسد أو تصلح تبعا لمن يديرها، ومن ثم فإنها يمكن أن تكون خطوات فاعلة ومؤثرة في الواقع.

وهناك أيضا المؤتمرات والملتقيات والندوات التي يمكن أن تسهم فيها المرأة المسلمة المعاصرة، لتؤكد تميز الطرح الإسلامي عن غيره. فالتمييز ضد المرأة، والجهل والفقر والمرض، وعدم المساواة في الأجر مثلا؛ كلها من الأمور التي تتعارض مع عدل الإسلام الذي جاء بالقوانين المنظمة لحياة الإنسان على وجه الأرض بما يزيل عن واقعه ما فيه من سلبيات بصورة تحفظ للإنسان كرامته وإنسانيته.

ب- الإسهام في إحياء التكافل الاجتماعي:

تعد إعانة المسلم لأخيه المسلم، من أفضل الأعمال التي ينال عليها الإنسان ثوابا جزيلا. ويشير إلى ذلك قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه." (مسلم، د.ت، ج ٤، الذكر / ١١، ص ٢٠٧٤).

فنبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الشعور بارتباطها بإخوتها المسلمين، وتنمية ما لديها من قدرات ومهارات واتجاهات تمكنها من مناصرتهم، ومن ذلك تربيتهما على الإيثار، والتعاون، والحب، والنظام، والعدل، والرضى، والقناعة، وغيرها من الصفات الإيجابية التي تساعد في القضاء على الولاءات الضيقة من حزبية، وإقليمية، وعصبية، والتي أوجدتها عصور الركود والجمود، لتزيد من غفلة المسلمين عن واجبهم تجاه بعضهم البعض.

إن واقع المسلمين يشير إلى هذا التفكك والانعزال بلا تعاون، فالمسلمون يعانون من كل نقص، وليس فيهم من قوة إلا في اللسان الذي يهب إما مستجديا أو مستصرخا، أو مادحا، وليس مدافعا أو عاملا من أجل خير نفسه وأمتة؛ ولذلك حلت بهم الأمراض الخطيرة التي أدت إلى انهيارهم، فأصبحوا يعانون من الانحراف العقدي، والمجتمع المتفسخ، وانعدام التفكير، والكثرة الغناء، والاقتصاد المتردي رغم كثرة أموالهم، والأمية، والعادات والتقاليد غير الإسلامية، وأهم من ذلك عدم إدراكهم لحقيقة كونهم مرضى "لأنهم يحسبون أنفسهم أصحاء ويظنون الأصحاء مرضى". (حقي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٣٩-٤٠).

ونجد القرآن الكريم من خلال حثه على معونة المسلمين بعضهم لبعض، يعتبر المقصر في ذلك "مكذبا بالدين"، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلِيَّتَهُ ۖ وَلَا يَخْصُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۖ﴾ [الماعون].

ويشير ابن كثير إلى أن المقصودين بالآية هم الذي لا يحسنون في عبادة ربهم، ولا في أداء حق خلقه لديهم، فهم يمنعون ما يستفاد به مما يعود إليهم، وقد ذكر ابن مسعود أن الماعون "هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك." (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج ٤، ص ٥٥٩).

ويرى د. الكيلاني بأن الماعون يتغير ويتطور، وتتطور رموزه، بتغير البيئات. وأنه في وقتنا الحاضر يمكن أن يكون توفيراً للزواج، أو للمسكن أو للوظيفة وغير ذلك مما يعين الإنسان في الحصول على حاجاته المادية والمعنوية. (الكيلاني، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ص ٢٨٦).

فينبغي على التربية أن تعمل على تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الابتلاءات التي يتعرض لها المسلمون في أنحاء العالم، وتوجهها إلى إمكانية إسهامها في التخفيف عنهم. وأهم ما ينبغي توجيهها إليه؛ الغزو الفكري الذي يفتك بالمسلمين عبر العالم كله، بحيث تعدها لمواجهة وتوفر لها الإمكانيات اللازمة.

فالغزو الفكري قد كرس له أمهر المختصين في ميادين النفس والاجتماع، وتبدو خطورته بالنسبة للمرأة باعتبارها المشرفة على الصياغة الفكرية والنفسية للأجيال الناشئة، مما يشعر بخطورة موقعها ومدى ما تمتلكه من قدرات على الإسهام في أحداث التاريخ. لكن الواقع يشير إلى أن المرأة المسلمة تعيش فتورا وتراجيا بحيث تمر السنوات، ووضع العالم الإسلامي لا يتغير لأن مربيته لم تتغير، حيث مازالت نظرتها إلى نفسها ونظرة غيرها إليها على أنها مجرد دمية أو جارية. فهي غافلة عما وهبها الله من إمكانيات التأثير: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للرجل الحازم منكن. " (الحام، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٢٧).

والصراع الفكري يحتاج إلى صفات نفسية معينة من الفطنة والحذر والشجاعة، والثبات أمام التهديدات. لكن مسلمة اليوم بعيدة عن كل هذا، تمر بها الآيات تحذرنا من الأعداء أو تدعوها إلى مواجهتهم، فلا تقف عندها وكأنها موجهة إلى الرجل فقط.

وهذا ما جعل المرأة المسلمة المعاصرة ألعوبة في يد الرجل يلهو بها كيف يشاء، في حين نجد كثيرا من نساء العالم يبذلن أرواحهن في سبيل المبادئ التي يؤمن بها. فهذه (جولدا مائير) التي كانت رئيسة لوزراء إسرائيل ما بين ١٣٨٩ - ١٣٩٩هـ / ١٩٦٩ - ١٩٧٩م تقول في مذكراتها:

" لقد شعرت أن الرد الوحيد على قتل اليهود في أوكرانيا هو أرض فلسطين، يجب أن يكون لليهود أرض خاصة بهم، وعلي أن أساعد في تحقيق هذا، لا بالخطب والتبرعات، بل الحياة والعمل هناك معهم في أرض فلسطين ... لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني، تجربني على الإخلاص لها ونسيان همومي كلها، وأعتقد أن هذا الوضع

لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة عقود التالية." (الصويان في البيان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٨، ص ١٠٧).

ج- الإسهام في تزكية البيئة الاجتماعية:

ويتحقق ذلك من خلال المرأة نفسها، بحيث تعمل التربية على تربيتها على القيم الخلقية المستمدة من القرآن الكريم والسنة، لنتمكن من تحقيق عبوديتها الكاملة لله، ومن ثم تنتفي من حياتها الازدواجية التي تجعلها تلتزم بالقيم وفقا لأهواء ذاتية ومصالح آنية. ثم تتجه بها التربية نحو البيئة من حولها لتوجهها إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبني لديها الاتجاه نحو محاسبة النفس على التقصير فيه، محاسبته على التقصير في الفرائض الثابتة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل نوعا من أنواع الجهاد المهمة في كل زمان ومكان. وتبرز أهميته على الأخص في عصرنا الحاضر الذي أصبحت فيه الأفكار والمذاهب تغزونا في عقر دورنا من خلال وسائل الإعلام الحديثة، في حين ما زلنا غير مؤهلين لمواجهتها. فهذه الأفكار تمثل تلوثا فكريا لا يقل خطورة عن التلوث المادي. وكلاهما يحتاج إلى مقاومة.

وقد أشار ابن تيمية إلى أن الأمر بالمعروف يحتاج إلى ثلاثة شروط: العلم قبله، والرفق معه، والصبر بعده. وحينما تحدث عن الهجرة والجهاد، ذكر أن المهاجر هو من هجر ما نهى الله عنه، وأن المجاهد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. (الحام، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٠١).

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث مراحل متدرجة، أشار إليها قوله ﷺ فيما رواه أبو سعيد رضي الله عنه: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان." (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ٢٠، ص ٦٩)، فالمرحلة الأولى هي الأعلى وتكون باليد، والمرحلة الأخيرة هي الأدنى، وتكون باللسان وليس بعد ذلك إيمان.

وهذه المراحل الثلاث مرتبة منطقيا، فكل واحدة تحتاج إلى ما قبلها، ونجد أن لكل فرد دائرة معينة يمكنه أن يمارس من خلالها التغيير الفعلي مستخدما المراحل الثلاث.

ويشير قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، إلى اتساع دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث تتجاوز العصبية والإقليمية لتعم البشرية جمعاء، الأمر الذي يسهم في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع كله؛ وذلك لأن كتمان العلم يعتبر جريمة كبيرة يتوعد عليها القرآن بأشد العذاب: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] ويحث على نشره ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْوَسْئِلَ إِلَى اللَّهِ وَلِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

لذا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن تتوفر فيه شروط معينة أشار إليها الشيخ محمد رشيد رضا وهي:

- ١- العلم: بما يدعو إليه (أي دراسة الإسلام وفهمه).
- ٢- العلم: بمفاهيم المدعويين وحالهم، أي القيام بعملية مسح لمفاهيم الناس والفرق الموجودة.
- ٣- علم التاريخ: فكرة عامة عن تاريخ الأمم ولا سيما التي سيارس فيها الدعوة.
- ٤- علم الجغرافيا: لمعرفة البلدان وما يجاورها ومصادر الثروة فيها.
- ٥- علم النفس: كي يستعين به في التوجيه والتأثير.
- ٦- علم الأخلاق.
- ٧- علم السياسة: ما هي سياسة البلد؟
- ٨- علم الاجتماع: قوانين النهضة والانحيار في الأمم.
- ٩- علم اللغات: فلا بد أن يبلغ الدعوة بلغة الأمة.
- ١٠- العلم بالفنون والعلوم المتداولة في الأمم المدعوة.
- ١١- معرفة ملل ونحل ومذاهب الأمم المدعوة.

(١) إن تقصيرنا في عرض ديننا قد جعل النابهن من الأمم الأخرى في غفلة عنه؛ لذلك وجدناهم حينما اهتموا بالمرأة ودرسوا ثقافات الأمم الأخرى عنها، قد صنفوا البوذية ضمن الأديان الرئيسية في العالم إلى جانب المسيحية واليهودية، في حين صنفوا الإسلام ضمن الأديان الشرفية إلى جانب الديانات الوضعية: الهندوسية والبوذية والمسيح. (University of Ottawa, 1992-1993-p11).

(رشيد رضا، د.ت، ج ٤، ص ٣٩ - ٤٤)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من العمل الصالح الذي هو قرين للإيمان. وهو تكليف غير يسير لاصطدامه بشهوات النفس ومصالحها وأمزجتها، وهو مطلوب من الأمة كلها رجالا ونساء: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] لذا فهو يحتاج إلى إعداد المرأة والرجل لتمكين كل منهما من أداء دوره، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فلا بد من الاهتمام بتأهيل المرأة المسلمة المعاصرة لأداء مسؤوليتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأهila يتناسب مع تطور العصر الحديث حيث تطور العلم، وتطورت أساليب التخطيط والتنظيم، والدعاية والإعلام، والاقتصاد، وأصبح كل منها فنا قائما بذاته. وقبل كل ذلك هي تحتاج إلى دراسة متعمقة في آيات الأنفس من أجل التمكن من مخاطبة الناس على قدر عقولهم. يقول الرسول ﷺ: "أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم." (السيوطي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٥٥).

فمن الناس من يفهم بالإشارة ومنهم من لا يفهم إلا بصريح العبارة. وقد ورد عن الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين فما قال لشيء فعله لم فعلته أو العكس. وهذا يشير إلى أن نفسية أنس رضي الله عنه من النوع الذي لا يحتاج إلى تنبيه مباشر. (مسلم، د.ت، ج ٤، الفضائل / ١٣، ص ١٨٠٥).

سابعاً: قضايا اجتماعية ينبغي على التربية أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها:

فيما يلي أهم الموضوعات التي يجب على التربية أن تنمي وعي المرأة المسلمة المعاصرة بها حتى لا تنخدع بأفكار الآخرين، ولتدرك حقيقة وضعها المتميز في ظل الإسلام، وتتعرف على واجباتها ومسئولياتها الاجتماعية لتقوم بها عن رضا وقناعة يمنعها من الانخداع بأفكار الآخرين والانجراف وراءهم.

١- التكامل بين النوعين:

تشير آيات الخلافة إلى المساواة الكاملة التي جعلها الله سبحانه وتعالى بين النوعين - الذكر والأنثى - حيث إن مهمة الخلافة قد أوكلت إلى الإنسان في عمومها دون تحديد بنوع

دون آخر. ثم تجيء نصوص القرآن الكريم والسنة بعد ذلك لتوضح أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان على نوعين كل منهما من أجل الآخر، فالرجل نعمة على المرأة، والمرأة نعمة على الرجل ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فهما متساويان مساواة تكامل، وليسا متشابهين، والأصل هو الإنسان الذي يتنوع إلى ذكر وأنثى؛ لذلك نجد نصوص القرآن الكريم والسنة تخاطب المرأة من خلال وصفين اثنين؛ عام وخاص.

فالوصف العام يتمثل في كونها إنسانا مثلها في ذلك مثل الرجل، فنجد الخطاب الواحد يشمل كلا من الذكر والأنثى، مثل يا أيها الناس، ...، يا أيها الذين آمنوا. أما الوصف الخاص فيتمثل في كونها أنثى تتميز عن الرجل بأنوثتها، فنجد الخطاب يتوجه إليها خاصة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِبُونَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَذْفَىٰ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ اللَّهُ عَفْوَاً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب].

وبالنظر إلى التاريخ، نجد أن المرأة قد نالت صنوفا من الهوان، لاعتقاد الناس بأنها أقل مرتبة من الرجل، مما دفع بهم إلى ازدراءها واحتقارها، لدرجة أن البعض قد اعتبرها شرا ورجسا، حتى وجدنا من الجاهليين من كان يعمد إلى دفنها وهي حية، تشاؤما منها أو تخففا من مؤنتها. وكان من بينهم من يحاول أن يوارى نفسه من الآخرين استحياء مما لحقه من عار بولادتها، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُهُ عَلَىٰ هُوبٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [النحل: ٥٩].

لكن رحمة الله سبحانه وتعالى، قد جاءت بتصحيح تلك التصورات، والارتقاء بنظرة المجتمع للمرأة، إلى المستوى اللائق بها باعتبارها أحد نوعي الإنسان الذي كرمه الله، فحرم وأدها، وأمر بتكريمها.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم). (النووي، د.ت، ج ١٠، ص ٨٥).

ونجد نصوص السنة النبوية تؤكد على هذه المساواة، وترغب الناس فيها حين تجعل ثواب الإحسان إلى الأنثى هو الجنة والقرب من الرسول ﷺ. ومن هذه النصوص

قوله ﷺ: " من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يئثر ولده - الذكور - عليها أدخله الله الجنة. " (أبوداود، د.ت، ج ٤، الأدب / رقم ٥١٤٦، ص ٣٣٧)، وقوله ﷺ: " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم. " (العجلوني، د.ت، ج ١، ص ٤٣)، وقوله ﷺ: (سوا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء. " (المتقي، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ٦، ص ٤٣٤)، وقوله ﷺ: " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضم أصابعه " (مسلم، د.ت، ج ٤، البر / ص ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨).

لذلك وجدنا بعض النساء في الغرب قد أعجبن بالإسلام حينما عرفن حقيقة نظرتها للمرأة، ومنهن من دفعها ذلك الإعجاب إلى اعتناق الإسلام، من هؤلاء النسوة؛ إيبياك مودواي سارواك التي خاطبت النساء قائلة:

" أما أنتن أيتها النساء فاقتربن من الإسلام، لأن محمدا ﷺ وحده حمى المرأة وعزز مكانتها، وحررها من رقابة الرجل، وبينما كان الغرب يستأسد على المرأة الضعيفة، ويجعلها كالسلعة تباع وتشترى؛ كان محمد ينادي بمساواة المرأة مع الرجل. " (معبر، د.ت، ص ٣٤).

وفي ندوة نظمها المجلس البابوي للحفاظ على العائلة في روما؛ نوقشت فيها موضوعات قدسية الأسرة والأخلاق الإنسانية وسبل المحافظة على حياة المرضى والأحبة، قالت (فيليس باومان) مديرة الجمعية البريطانية لحماية الأحبة ما نصه:

" ليس صحيحا أن المرأة المسلمة هي مواطنة من الدرجة الثانية في الإسلام، ولكن الحقيقة أن الرجال المسلمين هم أكثر حفاظا على نساءهم منا (المسلمون أكثر حفاظا.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٦٠).

وهؤلاء الذين أدركوا ما تنعم به المرأة المسلمة من مكانة سامية في ظل الإسلام، قد أدركوا أيضا تناقض الحركة النسائية الغربية مع نفسها، حيث إنها تطالب بمساواة المرأة مع الرجل في ذات الوقت الذي تفرق فيه بين النساء بعضهن البعض، ومن الأمثلة على ذلك أن المرأة السوداء الغربية تنال أجورا أقل، وتكلف بأعمال بسيطة لا تتطلب مهارة مقارنة بالمرأة البيضاء. (ليسلي وولف في المجلة العربية للتربية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ع ١، ص ٢٧٦).

ونجد نصوص القرآن والسنة تشير إلى المساواة بين الذكر والأنثى في التكاليف التي كلفا بها. فبعد أن أسكن الله آدم وزوجه الجنة، خاطبهما معا بالأمر والنهي: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وحينما أكلتا من الشجرة، قال لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] .

ثم تأتي النصوص بعد ذلك لتخاطبهما على درجة واحدة في معظم التكاليف، كالإيمان بالله، وتحقيق العبودية، وأداء التكاليف الشرعية، ورفع المرأة إلى مقام الولاية المتبادلة مع الرجل، وإشراكها معه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكليفها معه بحمل الأمانة فيما عهد به إلى الإنسان من عمارة الأرض وفق سنن الله وقوانينه. ومن بين النصوص التي جاءت في ذلك، قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] .

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] .

فهناك مسئوليات تحملها المرأة مثلها في ذلك مثل الرجل، ثم تجازى عليها في الدنيا والآخرة مثلها في ذلك مثل الرجل أيضا، فلا أحد يتحمل عنها القيام بمسئولياتها إذا ما تخلت عنها، ولا أحد يتحمل عنها الجزاء المترتب عليها؛ ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يأخذ على النساء بيعة مستقلة، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢] .

ومن مظاهر المساواة بين النوعين ما يلي:

أ - المساواة في الأهلية الاقتصادية:

خلافًا لما كانت عليه الأمم السابقة من حرمان للمرأة من حق التملك والتضييق عليها في التصرف بها؛ شرع الإسلام لها الإرث والوصية مثل الرجل، وزاد في تكريمها حين شرع لها المهر والنفقة حتى وإن كانت غنية. ولها أيضا جميع الحقوق المتعلقة بالتصرفات المالية من بيع وشراء وتأجير وهبة وصدقة وحق الدفاع عن مالها وغيره، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ نَأْثُرَ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فالأيات لم تفرق بين ذكر وأنثى في حرية التصرف المالي، كما أنها لم تفرق بينهما في حثهما على البذل والعطاء في سبيل الله، خاصة إذا ما كانت المرأة ذات كسب يعينها على الإسهام بها في رقي مجتمعها.

وقد ورد في السنة أن رسول الله ﷺ؛ "خرج يوم أضحى أو فطر، فصلى ركعتين... ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة. فجعلت المرأة تلقي خرصها وتلقي سخابها." (١) (مسلم، د.ت، العيدين / ٢، ص ٦٠٦).

فالحديث يدل على أن للمرأة أن تتصدق بها دون وصاية من أحد. وللمرأة كذلك أن تتصرف بالعطية من مالها في حدود الثلث، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

فجواز تصرف المرأة في مالها بعد وفاتها أدعى إلى جواز تصرفها فيه في حياتها.

وقد ناقشت نور قاروت هذا الموضوع من الناحية الفقهية، ووصلت إلى ترجيح تصرف المرأة في جميع مالها بالتبرع؛ وأن ما جاء من منع في بعض الأحاديث إنما يحمل على المرأة السفهية غير الرشيدة، وقد يكون من باب إحسان العشرة بين الزوجين، وعللت ذلك بأسباب منها القاعدة الفقهية القائلة: بأن "الأصل بقاء ما كان على ما كان"، والأصل هنا يتمثل في إطلاق تصرف المرأة في أموالها ويبقى الأمر على ذلك بعد زواجها فليس للزوج أمر في المنع.

لكن واقع المجتمعات الإسلامية اليوم، يشير إلى تغلب النزعة المادية و الأنانية على

(١) سخابها: قلادة من طيب معجون على هيئة الخرز، يكون من مسك أو قرنفل أو غيرها من الطيب، ليس فيه شيء من الجوهر. (النووي في مسلم، د.ت، العيدين / ٢، ص ٦٠٦).

القيم الأخلاقية لدى كثير من الرجال، الأمر الذي جعل لمال الزوجة أثرا سلبيا على الحياة الزوجية؛ منبعه تطلع الزوج إلى مال زوجته، أو تطلعه إلى مشاركتها له في الصرف على المنزل من أجل ضمان مستوى معيشي راق، أو غيره من الأسباب. وهكذا شاع في كثير من البيئات الإسلامية اليوم -وخاصة بعد دخول المرأة إلى ميدان العمل- إسهام الزوجة في الصرف على المنزل، وقيام الأزواج بأخذ مال زوجاتهم أحيانا كله، وفي الغالب معظمه دون رضاها.

وهنا يأتي دور التربية في إعدادها للرجل المسلم؛ بحيث توضح له موقف الإسلام من إيداء المسلم لأخيه في ماله أو دمه أو عرضه. فقد خطب رسول الله ﷺ في يوم عرفة فقال: "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا،..." (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، الحج / ١٣٢، ص ١٩١).

فالحديث يشير إلى أن هذا الفعل من أمر الجاهلية، وفيه وعيد يشمل أموال المسلمين عامه، والزوجات اللاتي أمر الأزواج بالإحسان إليهن أولى بذلك. لكن قيام الرجل بأخذ مال زوجته؛ يدل على ضعف إيمانه الذي جعله يتجرأ على المرأة وهي ضعيفة لاعتقاده بأنها لن تنال منه تحرجا، أو لغير ذلك من الأسباب. (قاروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٢٦٥).

ونذكر هنا الحكم الفقهي في هذا الموضوع الذي انتشر كثيرا بين الناس في وقتنا الحاضر؛ ليتنبه إليه كل واقع فيه من الأباء والأزواج. فقد أشار الصنعاني إلى أن الشرع قد أنصف المرأة وألزم الزوج برد ما يأخذها من مالها. فإن عاد عوقب من قبل ولي الأمر. كما أن للمرأة أن تقاضي زوجها في ذلك كغيره من الغرماء، ولها طلب حبسه في مالها إن ماطلها. روي عن الرسول ﷺ أنه قال: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه". (قاروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٢٦٥-٢٦٦).

ب- المساواة في الحقوق:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فهذه الآية؛ تنطق بالمساواة بين النوعين في جميع الحقوق، عدا الدرجة التي أشارت إليها الآية التي تمثل ميزانا يزن به الرجل معاملته لزوجته في جميع الشئون، بحيث إذا ما طلب منها أمرا؛ فإن عليه القيام بإزائها بمثله، والمثل هنا في الكفاءة، وليس في الأعيان؛ فالنوعان

مثالان في الحقوق والأعمال، مثل تماثلهما في الذات والشعور والإحساس والعقل، وليس من العدل أن يتحكم أحدهما في الآخر، فيتخذه عبدا يستذله لمصلحته. (رشيد رضا، د.ت، ج ٢، ص ٣٧٥).

لكن واقع حياة المرأة المسلمة؛ يشير إلى أنها سرعان ما حرمت كثيرا من حقوقها، فحرمت من مزاولة أساسيات الحياة، وأصبح الحديث عن بعض الحقوق يتم وكأنها لم تثبت؛ مثل حقها في الإجارة للمستجير، وحقها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره.

وقد انعكس أثر ذلك على المرأة؛ حيث أضعف من قدرتها على التفاعل مع المجتمع، أو الاعتماد على نفسها في مواجهة الشدائد، خاصة في مجتمعات المهجر التي تتعرض فيها المرأة لأبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي^(١).

لقد عجز المسلمون المعاصرون عن تقديم نموذج إسلامي جيد لمعاملة المرأة وكفالة حقوقها التي منحها إياها الإسلام حين حرموها كثيرا منها. ونجد المؤلفات تسهب في الحديث عن تلك الحقوق، وتكتفي بذلك في حثها المرأة على الاعتزاز بانتمائها إلى الإسلام؛ لكنها تغفل عن الظلم الكبير الذي وقع عليها عبر التاريخ، والذي ما زالت تعاني منه في كثير من المجتمعات، وهو يتفاوت في الشدة ويختلف في الشكل من مجتمع لآخر، وتغفل أيضا تحليل الأسباب، ومحاولة تصحيح الأوضاع. بل نجد أن البعض قد حاد عن الصراط، فبدلا من تصويب الأخطاء عمد إلى تقليد المستورد انبهارا بالغرب، فكان أن زاد وضع المرأة انتكاسا وهبوطا؛ لأنها تطرفت في مبدأ المساواة، فلم تعد قادرة على إدراك ما يفيدها مما يضرها، ومن ثم سعت إلى تقليد الرجل في كل شيء، ابتداء من الزي والملبس إلى طرق التفكير والتفاعل مع الأحداث. وكل ذلك بسبب قناعتها الذاتية

(١) تعرضت حوالي ٥٠ ألف سيدة في البوسنة للاعتداءات الجسدية. وقد ذكرت طبيبة نفسية أمريكية زارت مستشفيات سرايفو؛ أن الصورة أبشع من السماع، حيث ترفض غالبية النساء المساعدة القانونية والنفسية، وإذا ما قبلن؛ فإنهن لا يحصلن على فائدة، حيث كان المترجمون يلعبون دورا مشكوكا فيه لصالح الصرب. وكانت الطبيبة قد تعرضت للاغتصاب من قبل، فقاومت حتى أفلتت، لكنها عاشت في رعب حتى قبضت الشرطة على الجاني بعد ثلاث سنوات، وقد دفعته تجربتها للسفر إلى البوسنة للمشاركة في العلاج النفسي للنساء المسلمات المعتصبات، كما دفعته إلى الوقوف بشدة وراء مشروع قانون قدم إلى الكونجرس الأمريكي لاعتبار الاغتصاب جريمة حرب. (مؤتمر المرأة المهاجرة في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ع ٨١٧، ص ٣٢).

بأن هذه هي المساواة.

والمرأة المسلمة المعاصرة حين تطالب بالمساواة بالمفهوم الغربي لا تنتبه إلى أن هذه المساواة تمس الأمور المادية فقط دون المعنوية، وشتان بين الاثنين.

وتوضح باسمه كيال الفرق بين المساواة المادية والمعنوية حيث تقول ما نصه:

"إن أول ما تطالب به المرأة العصرية هو المساواة مع الرجل، ويبدو أن ذلك يعبر عن عدم ارتياحها العام، حيث لا تتضح في ذهنها صورة المساواة المطلوبة، ففتاة اليوم تجد أن مظاهر المساواة تتمثل في تحمل أعباء المنزل من قبل الرجل بالتساوي معها، وأخذ نصيبها من العمل خارج المنزل مثل الرجل. وهي تنسى أن المساواة المادية لا تؤدي بالضرورة إلى المساواة المعنوية، فقيامها بنفس أعمال الرجل لا يكسبها نفس الرضا الذي يشعر به الرجل من القيام بالعمل نفسه.

وأبرز مثال على ذلك؛ أن البرامج التي تعجب الرجل في التلفاز، أو استمتاعه بمشاهدة كرة القدم لا تعجب المرأة، فالمرأة العصرية ليست عادلة بحق نفسها إذا طلبت التساوي مع الرجل في الأعمال، والأفضل لها أن تطلب لنفسها فرصا متساوية مع الرجل، كي تعمل ما تشعر بأنه يرضي ذاتها ويحقق طبيعتها وخلقها.."

وتضيف كيال، بأن تبسيط المرأة لفكرة المساواة في أنها لا تختلف عن الرجل إلا في الإنجاب سيء إليها ولا يخدمها؛ لأنها في حقيقة الأمر تختلف عن الرجل من حيث تكوين دماغها، فلا بد أن تدرك أن المساواة الكاملة إنما تأتي: "عن طريق تطوير وتنمية قدراتها الكاملة كمخلوق بشري مثلها في هذا مثل الرجل تماما). (كيال، ١٤٠١هـ / ١٩٨١، ص ٢٠١-٢٠٢).

ويلفت خان الأذهان إلى أن طرق المرأة المعاصرة لجميع مجالات عمل الرجل لم يجعلها تحصل على وضع مماثل له في تلك المواقع فقط، بل إنه إلى جانب ذلك، قد تسبب في ظهور مشكلات أخلاقية، واجتماعية خطيرة. (خان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٦٣).

إنه ما من شك في ضرورة النهوض بوضع المرأة المسلمة لدينا، ولكن نهضة إسلامية مشرفة على غرار ما حدث في صدر الإسلام، حيث كانت الجاهلية العربية مشابهة للجاهلية المعاصرة، لا سوداء مظلمة على النمط الغربي.

ومن خلال التربية يمكن تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بالعدل الحقيقي الذي نعمت به في ظل الإسلام الذي لا يسوى بينها وبين الرجل بشكل عشوائي، بل يحدد لكل منهما دوره الذي يتناسب مع المهمة التي كلف بها. يقول أنيس أحمد:

"إن معيار التفضيل من وجهة النظر الإسلامية... لا يرتبط بالفرقة بين الجنسين، وإنما هي معايير قوامها دور الفرد في المجتمع الأخلاقي الإسلامي، فليس لجنس الفرد علاقة بتقييمه أو قياس درجة امتيازه وتفوقه في ظل هذا النظام الذي يقيم الإنسان فيه وفقا لمدى إيمانه بالحق ومدى تقواه." (أحمد، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٥٧).

ونجد آيات القرآن الكريم تشير إلى القيم التي يتحدد في ضوئها دور الفرد - ذكرا وأنثى - في النظام الاجتماعي.

أولها معيار التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣].

وثانيها معيار العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وثالثها معيار الاستقامة والصبر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

(أحمد، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٥٧).

فينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن التحرير الحقيقي للمرأة قد جاء به الإسلام، وأن حركة تحرير المرأة قد بدأت فعلا مع بزوغ فجر الإسلام الذي أزال الفوارق بين الرجال والنساء، وحدد معالم شخصية المرأة، وأوضح عناصر تكوينها، وثبت حقوقها، وبين واجباتها، وجعلها مساوية للرجل أمام الله، وأمام الناس، وأمام القوانين المنظمة لحياة البشر.

وهذه الحقيقة لا تجهلها بعض المسلمات المعاصرات، بل ويعبرن عن فخرهن واعتزازهن بانتمائهن للإسلام.

تقول إحدى المثقفات المسلمات، من اللاتي يعشن في ديار الغرب: "إن الإسلام قد أعطى المرأة كثيرا من الحقوق التي تحسدها عليها المرأة الغربية التي لم تنل حتى الآن إلا جزءا ضئيلا منها، وإن ما تحتاجه المسلمة فعلا هو معرفة تلك الحقوق وممارستها."

(الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٨٨٦).

كذلك ينبغي العمل على توعية أفراد المجتمع الإسلامي والدولي بنظرة الإسلام إلى المرأة، وتنمية الاعتزاز بالانتماء للإسلام لدى المرأة المسلمة المعاصرة، وإمدادها بالمؤهلات اللازمة التي تمكنها من استعادة حقوقها التي حرمت منها عبر عصور التخلف والجمود.

٢- الفرق بين النوعين:

توجه الخطاب الإسلامي إلى كل من الذكر والأنثى، باعتبارهما عضوين في جسد الإنسان المسلم، لكنه لم يغفل ما فطره الله عليهما من تميز بالذكورة والأنوثة، بهدف تكاملهما. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التميز في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [٣] ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَا﴾ [٤] ﴿[الليل].

وهكذا اقتضى تباين النوعين، تغاير وظائفهما، واختلاق نوع المسؤولية المناطة بكل منهما، وتوزيع المسؤوليات تبعاً لقدراتهما واستعدادهما.

وقد روي أن الصحابية أميمة بنت رقيقة جاءت تباع النبي ﷺ فقال لها، ولمن معها: " فيما استطعتن وأطقتن، فقالت الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا " (الترمذي، د. ت، ج، السير / ٣٦، ص ١٢٩).

ويلحق محمد عمارة على الحديث بقوله: " فنطاق التكليف والحقوق والواجبات هو ما تستطيعه المرأة، وتطبيقه باعتبارها أنثى، وفق أحكام الزمان، وأعراف المكان، وما تنميته أو تحجمه لديها التربية من قدرات وإمكانات. " (عمارة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ١٥٥) فالإسلام يترك للمرأة آفاقاً واسعة، تمكنها من تطوير قدراتها بما يحفظ تكاملها مع الرجل بعيداً عن الندية التي لا تتناسب مع خلق النوعين.

ومما يجدر بالذكر الإشارة إليه أن التفريق بين النوعين لا يتعارض مع المساواة بينهما في الإنسانية، والأهلية والكرامة، وإنما هو بسبب ضرورات اجتماعية واقتصادية، ونفسية اقتضتها حكمة الله عز وجل. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] ﴿[الملك].

ونجد أن الفروق بين النوعين لم تركز على مصلحة أحدهما دون الآخر؛ بل ارتكزت على المصلحة العامة التي تتحقق بتكامل النوعين لاختلافهما بيولوجياً، وفسولوجياً، ونفسياً. والمساواة التامة فيها ظلم للمرأة بتحميلها أكثر مما تطيقه، وهي تتعارض مع ما

جاء به الخالق في شأنهما. (عرفة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٨٩).

وقد جاء في حديث لرسول الله ﷺ رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قوله: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا." (الترمذي، د.ت، ج ٣، البر/ ١٨، ص ٢٨٧)، فالحديث لم يفرق بين ذكر وأنثى، فكل منهما ينبغي أن يكون لبنة قوية في جسد الأمة الإسلامية، ومن ثم يتأكد لنا أن الفروق بين النوعين مردها الاختيار الإلهي الذي لا دخل للبشر فيه، والذي يستلزم إعداد كل منهما لأداء دوره في الحياة على أكمل وجه، فالتفريق بينهما ضرورة من أجل تنظيم الحياة وإعطائهما التكامل المطلوب، من خلال قيام كل نوع بما يلائمه من مسؤوليات؛ لذا فإن الساعين إلى إيجاد المساواة الكاملة بينهما - وهي أمر مستحيل - يظلمون المرأة، حيث يحملونها ما لا تطيق، في حين أن الإسلام ينطلق في تعامله مع النوعين من الوسطية التي لا تحقر المرأة ولا تساويها مع الرجل في كل شيء.

فالمرأة والرجل نوعان لجنس واحد، ولهما مهمات مشتركة كجنس، ومهمات مختلفة كنوع، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل، ٤]، والفارق بينهما آية من آيات الله في الازدواج والتكامل، إضافة إلى أنه يحقق لكل منهما أداء الوظيفة التي تلائمه. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

والآية تتحدث عن التفاضل في الأنصبة بين النوعين، وأهميته في تنظيم العلاقة بينهما، وإقامتها على الرضا والتكامل.

وقد جاء في سبب نزول الآية أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله؛ يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث! "، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (الترمذي، د.ت، ج ٥، التفسير/ ٥، ص ٢٢١).

فالآية تشير إلى روح التنافس بين الرجال والنساء، والذي أثاره الحرية والحقوق التي نالتها المرأة في ظل الإسلام. لكن الإسلام يستهدف تحقيق التكامل بين النوعين بما يحقق العدل، ويتبع الفطرة في تقسيمه للوظائف بينهما. والفطرة قد مايزت بينهما في الخصائص، لأن كلا منهما قد خلق لأداء وظائف معينة، من أجل تحقيق الخلافة في الأرض. ومن ثم تنوعت التكاليف، والأنصبة، والمراكز، فلا مجال للجدال في التفضيل بعد هذا التقسيم

العادل. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مج ٢، ص ٦٤٣-٦٤٤).

وسوف نتحدث فيما يلي عن بعض مجالات الفروق بين النوعين:

أ- الفرق بين النوعين في التكليف:

أشرنا سابقا إلى أن الأصل هو المساواة بين النوعين في التكليف، وقد أشارت إلى ذلك الآ الكريمة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فهذه المساواة مكفولة مع توافر شرطين: البلوغ والعقل. لكن ينبغي ملاحظة " أن الشريعة الإسلامية تساوي بينهما في الحقوق إذا تساويا فيما تبنى عليه هذه الحقوق، وتختلف بينهما إذا اختلفا فيما تبنى عليه الحقوق. فمثلا هي تساوي بينهما في واجبات الإيمان والعبادات لاشتراكهما في مناط التكليف وهو البلوغ والعقل، وكذلك تساوي بينهما في حق التملك؛ لأن مناطه الذمة المالية والأهلية، في حين تختلف بينهما في التعدد؛ لأن لدى المرأة مانعا غير موجود لدى الرجل فهي تحمل الجنين في بطنها، وتعدد الأزواج بالنسبة لها فيه اختلاط للأنسب. (زيدان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٤ م، ص ١٧٤-١٨٤).

ب- للذكر مثل حظ الأنثيين:

إن النظرة الجزئية لتوزيع الإرث، تظهر إثثار الرجل، حيث إن النص القرآني يشير إلى أن للذكر مثل حظ الأنثيين، لكن النظرة الشاملة إلى الموضوع توضح أن هناك آيات أخرى دعت إلى مساواة الرجل بالمرأة في الميراث مثل وراثة الوالدين للابن، وهناك حالات يزيد فيها نصيب المرأة عن الرجل؛ كزيادة نصيب الأم على الأبناء في بعض الحالات، فالأمر ليس فيه محاباة لنوع على آخر، وإنما فيه مراعاة من قبل الإسلام لظروف كل من الرجل والمرأة، فليست الذكورة والأنوثة هي المقياس الوحيد؛ لأنه قد كلف الرجل بالإنفاق عليها، وزيادة على ذلك أعطاها جزءا من المال على سبيل التكریم. إضافة إلى أن في ذلك ابتلاء لها بالمال، أتمحسن إنفاقه لتتال على ذلك الأجر، أم تسيء فتخسر.

وهناك أمر آخر؛ وهو أن الآية قد جعلت المرأة هي المقياس، فالذكر له ضعف ما للمرأة، مما يدل على أن المرأة هي الأساس في تحديد نصيب كل منهما، إلى جانب أن المرأة ليست دوما على النصف من الرجل. فالأم تأخذ مثل الأب؛ ﴿وَلِلْأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا

السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴿١١﴾ [النساء: ١١]، وميراث الإخوة للذكر مثل حظ الأنثيين ﴿١٢﴾ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴿١٣﴾ [النساء: ١٣].

وقد قام الدكتور صلاح سلطان المدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة بدراسة عن (التوازن بين حقوق المرأة في الميراث والنفقة في الشريعة الإسلامية)، تبين له فيها بعد استقراءه للحالات التي ترث فيها المرأة، أن هناك أربع حالات محددة ترث فيها المرأة على النصف من الرجل، في مقابل ثلاثين حالة تأخذ فيها مثل نصيبه وأكثر، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال. بل إن أكبر الفروض في القرآن الكريم وهو الثلثان هو للنساء دون الرجال.

ويؤكد الدكتور صلاح على أن " هناك ميزانا ربانيا دقيقا بين حقي المرأة في الميراث، والنفقة. " فالمقارنة بين حقوقها المكتسبة، وحققها من الميراث، تظهر أنها أحظى بكثير من الرجل، وليس في ذلك أي ظلم للرجل، وإنما هو " مراعاة لضعفها عن الاحتراف والاكتساب فعوضها الله بهذه الحقوق الكثيرة التي تكفل لها حياة كريمة سواء كانت بنتا أم زوجة أم أما. (سعداوي في المسلمون، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٦٣٣).

وقد أدرك كثير من الغربيين التكريم الكبير الذي أحاط الإسلام به المرأة حين جعل لها نصيبا في الإرث، وهو أمر تغفله القوانين البشرية، من بينهم لوبون الذي يقول عن ميراث المرأة في الإسلام:

" ومبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن، على جانب عظيم من العدل والإنصاف.. ويظهر من مقابليتي بينها وبين الحقوق الفرنسية، والإنكليزية، أن الشريعة منحت الزوجات حقوقا في الميراث لا نجد لها مثيلا في قوانيننا. " (العويد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٦، ص ٧٤-٧٥).

ج- جهاد المرأة:

لم يفرض الله الجهاد على المرأة كما فرضه على الرجل، لكنه أيضا لم يحرمه، بل أوجبه حين تدعو الحاجة إليه، فعليها عندئذ أن تسهم بما تستطيعه حتى بالقتال إن استدعى الأمر. أما في الظروف العادية فقد أوكل إليها مهمة إنتاج الرجال المجاهدين؛ لأنها أقدر

وأُنفع في هذا المجال.

وقد كان موضوع الجهاد هو أهم ما يشغل المرأة في صدر الإسلام، إلى جانب الإرث، كما أشرنا سابقاً، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] ينهى المسلمات عن تمنّي ما فضل الله به الرجال عليهن، وفي ذلك تربية لمن على الاستسلام لأحكام الله، فهو سبحانه وتعالى قد يسر كل مخلوق لما خلق له، وقد خلق المرأة لمهمة أخرى غير ما خلق له الرجل، وهي تسهم بالجهاد من خلال إنجاب المجاهدين، ومن خلال أوجه الجهاد الأخرى التي تدعم الجهاد بالقتال. فالجهاد فرض على كل مسلم أشار إليه النبي ﷺ بقوله: " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق. " (المندري، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م، ج ٢، ص ٣٣٠).

وينبغي على التربية أن تعمل على تعريف المرأة المسلمة بأوجه الجهاد في العصر الحديث، وتعمل على تدريبها بما يمكنها من الإسهام بما تقدر عليه عند الضرورة، حتى القتال وذلك لأن معاناة المسلمين في دول العالم ممن يقعون تحت سيطرة الاحتلال أو ممن يعيشون في بلاد غير إسلامية تشير إلى أهمية إعداد المرأة المسلمة بما يمكنها من صد أي اعتداء قد يقع عليها.

وقد تطورت أساليب الجهاد في الوقت الحاضر، أصبح بإمكان المرأة بسهولة أن تستخدم بعض الآليات إذا ما دربت عليها. ونحن نسمع عن المجندات في كثير من دول العالم، فيمكن للمسلمين أيضاً إعداد نساءهم على سبيل الاحتياط، من خلال تدريبهن على بعض الأسلحة البسيطة التي يمكن لمن استخدامها عند الحاجة.

كذلك ينبغي أن تشتمل البرامج التربوية المقدمة للمرأة على أنواع من التدريبات الحركية، والتوجيهات النفسية والقانونية التي تعينها على الصمود في معركة الحياة بظروفها المختلفة. ومن أوجه الجهاد التي يمكن للمرأة أن تسهم فيها من غير القتال:

١- الجهاد باللسان: وهذا النوع من الجهاد يمكن القيام به في البلاد الإسلامية وفي غيرها من البلاد التي تسمح للمقيمين فيها بالأنشطة الدينية، ومن أمثلة ذلك: الاشتراك في جمعيات الدعوة والإرشاد، وطبع الكتب، والنشرات، والمجلات، والمحاضرات، والبرامج الإعلامية، والمؤتمرات وغيرها.

فإعداد المرأة للإسهام في الأنشطة الجهادية يحتاج إلى جانب تعريفها بأبواب الجهاد،

إلى إمدادها بالتدريب اللازم من حيث الاستخدام الجيد للأساليب البيانية وتعريفها أيضا بالمجاهدات عبر التاريخ لكي تستمد منهن القدوة، وليكون في ذلك حافز لها على السير في طريقهن ومد يد العون للمعاصرات ^(١) منهن أدبيا ومعنويا.

٢- جهاد النفس: جهاد النفس قيمة يمكن غرسها في نفس المرأة المسلمة المعاصرة منذ الطفولة من خلال تذكيرها ببطولات المسلمات في صدر الإسلام اللاتي تغلبن على عادات الجاهلية وتقاليدها وسمون بأنفسهن إلى أعلى المراتب الإيمانية في ظل الإسلام، وكذلك من خلال تربيتها على الجدية وتحمل المسؤولية، والثقة بالنفس، والسعي الجاد من أجل بلوغ الغايات، والإيجابية في مواجهة المنكر، ونبد الكسل، والتواكل، وعدم المبالاة، والتحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن الهوى والشهوات، وغير ذلك من الصفات التي تدعم صمودها أمام تكاليف الحياة باعتبارها دار كدح وعناء كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝﴾ [البلد] ، وقوله ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا ۝﴾ [الإنشاق].

ولا بد أن توجه التربية انتباه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن قيامها بأداء مسؤولياتها المختلفة داخل المنزل وخارجه يدخل ضمن هذا النوع من الجهاد، وأن الواجب يقتضي منها العدل والإحسان في ذلك حتى وإن قوبلت بغير ذلك.

د- المرأة لا تكلف برئاسة الدولة:

يقول الرسول ﷺ: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". (السيوطي،

(١) من المجاهدات المعاصرات الدكتورة فوزية العشراوي أستاذة اللغة والحضارة في جامعة جنيف والتي حشدت الصحافة السويسرية الرأي العام ضدها لدفاعها عن القرآن ضد الكاتبة البنغلاديشية تسليمة نسرين، التي طالبت بتعديل القرآن حتى تحصل المسلمة على حق المساواة مع الرجل. وقد نشرت صحيفة (لاتربيون دي جنيف) مقالا وإلى جانبه رسما كاريكاتوريا يصور القرآن وعلى غلافه اسم المؤلف محمد، فقامت الدكتورة بالرد على الصحيفة اعتراضا على نسبة تأليف القرآن إلى محمد وليس إلى الله سبحانه وتعالى تحت عنوان (لا تمسوا قرآني) فكان أن طالب البعض بمعاقبته، والبعض الآخر بإقصائها عن الجامعة، بدعوى التعصب، وكل ذلك لأنها طالبت باحترام عقيدتها في مجتمع يدعي احترام الآخرين. (سويسرا تعلن الحرب.. في زهرة الخليج، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨١٢، ص ٢٦-٢٧).

ومنهن أيضا الكاتبة التركية أمينة شانليك التي سجنّت لمدة ثلاث سنوات بتهمة تحقير كمال أتاتورك في كتابها نحن الضحية... كيف؟ (الشعب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨٨٦).

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١٧١)، وهذا التخصيص يشير إلى اهتمام الإسلام بإحسان المسلم في أدائه لمسئوليّاته خاصة إذا ما كانت تتعلق بالأمة كلها. وذلك لأن رئيس الدولة هو موظف غير عادي، فهو يجمع في شخصيته كل الصلاحيات باعتباره أعلى سلطة في الدولة؛ لذا فإن الإسلام يحرص على أن يكون كفئاً لمنصبه، بحيث يمتلك المواهب والقدرات كافة التي تمكنه من إدارة الدولة على أكمل وجه.

وقد ناقش مولوى هذا الموضوع حيث أشار إلى أن السبب في حصر هذه الوظيفة بالرجال يتمثل في أن الرئيس هو ".. الإمام في الصلاة، والخطيب في المسجد، والقائد العسكري في الحرب، وهو في الوقت نفسه الذي يدير كل أمور الرعية. إن المرأة لا تستطيع بفطرتها، وبما خلقت له أن تقوم بقيادة الجيوش، ولا تستطيع أن تقوم بإدارة الدولة في كل الظروف، وأن تكون هي الرأس الأعلى، كما أنها لا تستطيع أن تؤم الناس في الصلاة. والقيادة في الإسلام تشمل كل الأمور السياسية والعسكرية والدينية، والله تعالى أعلم بالرجل والمرأة على حد سواء.." فالله سبحانه وتعالى يعلم بأن القيادة أمر لا يصلح إلا للرجال، فحصر الوظيفة فيهم، وحصر الوظائف أمر معمول به في القوانين الوضعية، التي تمنع بعض فئات الموظفين مثلاً؛ من ترشيح أنفسهم للنيابة، ولم يحدث أن اعترض معترض على أن ذلك يخل بكرامة هؤلاء الموظفين (مولوي، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م، ص ٣٣).

وبالمثل فإن حصر القيادة العليا بالرجل لا يخل بكرامة المرأة بل هو من باب إسداء الأمر إلى أهله.

٣ - الحجاب:

معنى الحجاب:

لغة: من حجب أي ستر. وامرأة محجبة صيغة مبالغة (الزبيدي، د.ت، ج ١، ص ٢٠٣).

شرعاً: ستر مفاتن المرأة عن الأجانب الذين لا يحل نظرهم إليها إلا بموجب شرعي (داخل، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م، ص ٤٩).

وحجاب المرأة ليس من ابتداء الإسلام. بل هو أمر قد عرفته كثير من المجتمعات

غير الإسلامية، فقد عرفته الطبقات الراقية قبل الإسلام بقرون طويلة، كما في مصر الفرعونية، وفي بيزنطة وإيران (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٢٠).

ومن تكريم الله للمرأة وحفاظه على إنسانيتها، أنه سبحانه تعالى قد تولى بنفسه وضع التصميم الكامل لما ارتضاه حجابا وسترا لها ووقاية، وأغناها بذلك عن اللجوء إلى تصميمات البشر. ونجد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تحديدا لصفات حجاب المرأة المسلمة وهي:

١- ستر البدن وإخفاء الزينة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيزِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

٢- لا يشف عما تحته: "... ونساء كاسيات عاريات.. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها..". (المتقي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ج ٦، ص ٤٢٢).

٣- غير مطيب: "إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا." (مسلم، د.ت، ج ١، الصلاة / ٣٠، ص ٣٢٨). أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة". (أبو داود، د.ت، ج ٤، الترجل / رقم ٤١٧٥، ص ٧٩). "لا تقبل صلاة لامرأة تطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة." (أبو داود، ج ٤، الترجل / رقم ٤١٧٤، ص ٧٩).

"ألا وطيب الرجال ريح لا لون له، ألا وطيب النساء لون لا ريح له." (أبو داود، ج ٤، اللباس / رقم ٤٠٤٨، ص ٤٨).

٤- لا يشبه ثياب الرجال: "لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال." (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٧، اللباس / ٦١ ص ٥٥).

٥- لا يشبه لباس غير المسلمين: "من تشبه بقوم فهو منهم." (أبو داود، ج ٤، اللباس / رقم ٤٠٣٠، ص ٤٢).

٦- لا يكون ثوب شهرة: "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم ألهب فيه نارا." (أبو داود، د.ت، ج ٤، اللباس / رقم ٤٠٢٩، ص ٤٢-٤٣).

وقد جاء عن الشوكاني أن الشهرة تعني ظهور الشيء بحيث يشتهر الثوب بين الناس

بلون أو شكله، فيرفعون إليه أبصارهم، وأنه لا فرق بين وضع الثياب ورفيعها إذا كان القصد من ورائها الاشتهار، فالمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع. (الشوكاني، د. ت، ج ٢، ص ١٢٦).

فالحجاب يقتضي من المرأة المسلمة ستر شعرها، والابتعاد عن الزينة، وستر بدنها، والابتعاد عن الطيب، وكلها أمور تخالف هوى النفس؛ لكن الإسلام يأمر بها لأنه يحرص على تميز الشخصية المسلمة، ويحرص على الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره.

تقول المستشرقة لورا فيشيا فاغليري في كتاب لها بعنوان (دفاع عن الإسلام، ١٩٩٥م):

"اجتناباً للإغراء بسوء السلوك، ودفعاً لنتائجه؛ يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجاباً، وأن تستر جسدها كله، ما عدا تلك الأجزاء التي تعتبر حرمتها ضرورة مطلقة. وليس هذا ناشئاً عن قلة احترام للنساء، أو ابتغاء كبت إرادتهن؛ ولكن لحمايةهن من شهوات الرجال. وهذه القاعدة العريقة في القدم، القاضية بعزل النساء عن الرجال، والحياة الأخلاقية التي نشأت عنها، قد جعلتنا تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية في البلدان الشرقية، إلا حيث كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع أن ينكر قيمة هذه المكاسب، فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب كانت مصدر فائدة لا تثنى للمجتمع الإسلامي." (عماد الدين خليل، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٤٢١).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء)، والرسول ﷺ يقول: "إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه" (النسائي، د. ت، ج ٨، الجهاد، ص ١٢٢). فالتطرف في كلا الجانبين يتعارض مع وسطية الإسلام. والآية تشير إلى أن القصد من أوامر الله هو التخفيف على الإنسان - ذكراً وأنثى - وهو المتناسب مع سراحة الدين ويسره، لكن قصر نظر الإنسان يمنعه من إدراك إرادة الله في التخفيف عنه، فنجد أنه يصدر أحكامه تبعاً للنتائج الأولية، دون نظر في العواقب النهائية.

وتعلق على ذلك حنان لحام بقولها:

"فالمرأة قد تشعر بصعوبة الحجاب، وقد تتخذ مواقف سلبية إزاء قضية تعدد الزوجات، وقوامة الرجل، وإنفاقه على المرأة. وكل ذلك راجع إلى تسرع وسطحية في

النظر. ولو تأملنا النتائج البعيدة لاختلف الأمر. فالمرأة تتحمل أكبر قسط من الآلام حين يترك شرع الله. ألم تصبح سلعة رخيصة في العالم الغربي الذي نبذ الحشمة والحجاب من حياته...؟ وهل تحافظ الأسرة على كيانها وقداستها هناك؟" (لحام، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، ص ١٠٧-١٠٨).

لكن واقع المرأة المسلمة المعاصرة يشير إلى أنها قد غفلت عن الحكمة من الحجاب، واندفعت وراء فكرة المساواة بالرجل التي أطلقها الغرب، فتخلت عن حجابها فأصبحت تخرج بادية النحر والذراعين، بل وحتى الفخذين، ومنهن من تسامر ضيوفها وتكرمهم بما لديها من فنون الزينة والإغراء، فلم يعد يحدد حجابها سوى الموديلات التي ترعاها دور الأزياء الغربية^(١).

وقد ساعد على دفع المرأة في هذا الاتجاه، وجود الفئة التي جندها الشيطان لتنفيذ مآربه في كل زمان، والتي تسخر وتستعزى من الصالحين، وتتفنن في سبيل إغواء الناس بما يجعلها تبدي الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق. وهي تستخدم في سبيل ذلك كل ما لديها من إمكانيات، وهذه الإمكانيات تتمثل في وقتنا الحاضر في وسائل الإعلام بمختلف صورها، والتي تتفنن في جذب النساء وطبعهن بطابعها.

ويساعد وسائل الإعلام الفئة المتغربة من أفراد المجتمع الإسلامي والتي ترى في الحجاب دليل تأخر ورجعية لا يتناسب مع العصر الحاضر^(٢)، وهذه الفئة تمثل الغرب

(١) في مناظرة تلفزيونية، أعدها برنامج الاتجاه المعاكس بقناة الجزيرة الفضائية القطرية، شاركت بها النائبة الأردنية توجان فيصل، والكاتبة المصرية صافيناز كاظم حول تعدد الزوجات، تجاوزت النائبة توجان حداً وخرجت عن المنهج العلمي في فهم الأحكام الإسلامية، حيث عبرت عن رؤيتها فيما يتعلق بتعدد الزوجات، وأنه حكم بطل زمانه، وتهجمت على علماء الإسلام الذين عارضوها. النائبة ترى بأن اللباس الشرعي "رمز للشرشحة وللبهذلة" وأن لباسها المتبرج يمثل "الزني الإسلامي الراقى، الذي يمثل الحضارة بكافة المفاهيم الإسلامية." (صحيفة الحياة الأردنية، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ٣٥).

(٢) في بلد مسلم افتتح قسم للمحجبات يختص بأمراض النساء والولادة، في أحد المستشفيات، فانبرى عدد من الأطباء وغيرهم يعلنون أن هذا الأمر يمثل تطرفاً واتجاراً بالدين لا بد من محاربته ومقاومته، وكان من بين المعارضات إحدى رائدات تحرير المرأة التي تعدت الاعتراض إلى الحديث عن الحجاب فقالت: "وفي رأيي أن الحجاب يضعف أخلاق المرأة.. وهو إهانة لها، ونوع من الخوف، فالمرأة المحجبة تخاف مخالطة الرجال والنظر إليهم لأنها لا يشغلها إلا الجنس بنوعه غير الراقى." وفي بلد مسلم آخر؛ تطالب الأم ابنتها، = والأخ أخته بنزع الحجاب، وتبالغ الأم فتمنع ابنتها من مواصلة الدراسة إن لم ترسخ لطلبها، ويبالغ

الذي عمل جاهدا على إخراج المرأة المسلمة عن أصالتها ليحطم كيان المجتمع الإسلامي من خلالها. فهو يرفض الحجاب ويأباه؛ لأنه - كما يقول هوفمان " يخالف تصوره عن الشرق الغارق في الملذات. فهو دليل عفة المرأة في الشرق، والغرب لا يريد الاعتراف بأن الإسلام دين يدعو للفضيلة والأخلاق الحميدة ويتمسك بها. " (هوفمان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ص ٢١٤-٢١٥)، ولأنه - الغرب - يصر على اتخاذ جسد المرأة وسيلة للجذب في مجال التجارة، فقد دفع ذلك بكثيرات من الغربيات إلى اعتناق الإسلام بعد أن عرفن مدى حرصه على صيانتها وصيانة المجتمع من خلالها.

يقول هوفمان:

" ولا عجب أن المسلمات الأوروبيات.. متفقات جميعا، على أن المرأة في المجتمع الغربي، قد صارت رمزا معروضا لتجارة الجنس، وذلك بازدياد مصممي الثياب المستمر في تعرية جسد المرأة وإبراز مفاتها الجسدية، حتى صارت المرأة ضحية الضغط المتواصل عليها، لتظهر أناقتها بحيث تصبح أكثر إثارة وفتنة للرجل. " (هوفمان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٢٢١).

فالله سبحانه وتعالى الذي فطر الرجل على الافتتان بالمرأة، الذي يساعد على بقاء النوع الإنساني، هو الذي شرع حجاب المرأة ليكون أحد الضوابط التي تحافظ على استقرار المجتمع وتمنعه من الانحراف والتعبد للأهواء والشهوات؛ فهو حل إلهي لفطرة إلهية.

لكن من بين النساء المسلمات من نبذت الحجاب وكأنه تقليد اجتماعي، وتتعلى على تركها له بحجج شتى، فمنهن من تتعلل بأن الحجاب يقيد حرية المرأة في الحركة فيعيقها عن القيام ببعض الأعمال، ومنهن من تتعلل بأنه يمنعهن من التمتع بالهواء وغيرها من الحجج التي تنهاوى أمام التقاليع الغربية التي تتبعها المرأة دون تفكير في حر أو برد، فنجدها تستر كل جسمها إذا ما فرضت عليها (الموضة) ذلك، وتعريه أيضا بحسب مقاييس الموضة وأربابها وتبوء في الحالتين بالإثم؛ لأنها سلمت للموضة وأربابها، ولم تسلم لرب العالمين. ويعلق حيدر فقه على هذا الموضوع فيقول:

" إن الإنسان في سبيل تحقيق شيء ما يتحمل الصعاب راضيا مختارا، فنشاهد مثلا أن

الأخ، ويعبر عن شعوره بالخزي أمام أصدقائه بسب تحجب أخته أمامهم. (العويد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م،

ج ٣، ص ٢٦).

بعض هؤلاء النسوة قد تلبس الواحدة منهن المشد (الكورسيه) ليضغط على خصرها أو ردفها ليدو عودها جميلا، وقوامها متناسقا، وتكابد في سبيل ذلك، هذا الضغط وهذا الضيق، وتجلس بين أيدي مصفف الشعر (الكوافير) فيضع رأسها في جهاز يصلها بتيار هواء حار ليجفف شعرها في سبيل أن تحظى (بتسريحة) ما لشعرها. وتحمل آلاما جسدية مبرحة في سبيل تخليص جسدها من الشعر غير المرغوب فيه، لتبدو ناعمة الملمس طرية الجلد، وتعيش ساعات في (زنزانة) خائقة من بخار الماء الحار (حمامات السونا) فيطفح جلدها عرقا حتى يكاد يلجمها، وتزهق له روحها في سبيل تنقيص وزنها بضع (كيلو جرامات). وكلها أمور تتعلق بديهاها الزائلة الفانية، أفلا تتحمل الحجاب الإسلامي. في سبيل رضى الله عز وجل، ثم جنة عرضها السموات والأرض. وصدق رسول الله ﷺ: " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " (قفة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٦٧-٦٨).

لقد تيسر الحجاب في هذا الزمن فأصبحت هناك الأقمشة المختلفة التي تناسب حرارة الجو وبرودته، وغير ذلك مما لم يكن متيسرا للأجيال السابقة من وسائل التكيف، وغيرها، لكن رغم ذلك سلمت النساء لأوامر الله والتزمن بالحجاب عن طوعية، في حين تعرض حفيداتهن اليوم عن ذلك رغم كل التيسيرات، التي هي من النعيم الذي ستسأل عنه المرأة يوم القيامة، وعن أداء حق شكره: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣]، ولكنها التبعية والتقليد الأعمى الذي يدفع المرأة إلى التخلي عن الحجاب وهي قادرة على التمسك به، في حين أن هناك كثيرات من المسلمات في بلاد الإسلام وفي غير بلاد الإسلام يجاهدن من أجل الحفاظ على حجابهن.

وذلك لأن الحجاب قد تحول في كثير من الدول من مجرد آداب يتعين على كل مسلمة التحلي بها، إلى قضية سياسية أثارتها الحكومات في عدد من دول الشرق والغرب، فدخلت قاعات المحكمة في فرنسا وكينيا وغيرها، كما كرست بعض الأجهزة التشريعية في بعض الدول الإسلامية كثيرا من وقتها وجهدها من أجل سن القوانين المتسلطة لمحاربته كما في تركيا^(١) وماليزيا وغيرها.

(١) سمحت وسائل الإعلام التركية للمرأة المحجبة بالظهور من خلالها بعد أن كان ذلك محظورا عليها من قبل. ومن بين المحجبات اللاتي يظهرون فيه اليوم الكاتبة التركية أمينة شانليك التي تدير حوارات مع العلمانيين عبر التلفاز، وهي تقول بأن مقولة اللاتي يعتبرن الحجاب عائقا للمرأة عن القيام ببعض الأعمال قد=

وهكذا انتكس البشر في أذواقهم فأصبحوا يرون في التهتك تقدما، وفي الاحتشام تخلفا.

لقد كان قاسم أمين من أوائل الدعاة إلى حركة تحرير المرأة، حتى ارتبط اسمه بالحركة، لكنه عبر عن خطأ ما دعا إليه حينما لمس بنفسه الآثار السيئة للسفور في واقع المجتمع حيث كتب يقول:

"لقد كنت أدعو المصريين إلى تمزيق ذلك الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدهم وولائهم. ولكنني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس. فلقد تتبعته خطوات الناس في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية، لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات. فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي، واستنفر الناس إلى معارضتي. رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تناولوا عليها باللسنة البذاءة. ثم ما وجدت زحاما في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعا. إنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل"^(١). (معبر، د.ت، ص ٢٦ - ٢٧).

فينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية التمسك بالحجاب، باعتباره سلوكا إسلاميا أصيلا - وليس مبتدعا - له أسسه وأسانيده الشرعية، وفوائده الدينية والروحية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية، وأنه يمثل مظهرا من مظاهر التقدم والرقى، في حين أن العري هو إلى صفات الحيوانات أقرب. وقبل ذلك فإنه ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن الحجاب يمثل جزءا من عقيدتها التي يجب أن تدفعها إلى إدراك الوسائل التي تكفل صيانتها للأمانة التي تحملها. وكونها مربية المجتمع وقوده؛ فإن أداء الأمانة يقتضي منها التزام التستر والاحتشام والحفاظ على الفضيلة وسد مسالك الشيطان لإغواء بني الإنسان، سيما وأن ذلك لا يتعارض مع إحسان الهيئة المطلوب في الفرد المسلم، ولا يمنعها من الإسهام في الأنشطة الاجتماعية الملائمة، ولا يعني عزلها عن حركة المجتمع وتطوره.

= تبخرت اليوم. وتعتبر أمانة ما تقوم به "رسالة إلى النساء العلمانيات بأن المرأة المحجبة قادرة على القيام بوظائف عديدة وهي ترتدي حجابها." (الشعب، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ع ٨٨٦).

(١) نشر هذا الحديث لقاسم أمين في صحيفة الظاهر التي كان يصدرها المحامي محمد أبو شادي في أكتوبر سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م. (معبر، د.ت، ص ٢٦).

معنى الاختلاط: هو اجتماع الرجل والمرأة التي ليست بمحرم. أو اجتماع الرجل بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة، أو الكلام. (الجار الله، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٢).

وقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بالنهي عنه. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وجاء في الحديث قوله ﷺ فيما رواه عقبه بن عامر رحمته الله: "إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت. (مسلم، د.ت، ج ٤، السلام / ٨، ص ١٧١١) وقال رحمته الله أيضا فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رحمته الله: (لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة، إلا ومعه رجل أو اثنان) (مسلم، د.ت، ج ٤، السلام / ٨، ص ١٧١١).

فهذه النصوص تدل على أن الاختلاط أمر غير مرغوب فيه في الإسلام، لكنه مأذون به عند الضرورات الشرعية والعملية، ومن أمثلة الضرورات الشرعية: الطواف والحج، وأما الضرورات العملية، فقد أباح الإسلام للمرأة أن تشترك في الأنشطة الاجتماعية التي تسهم في الارتقاء بوضع المجتمع؛ بشرط الالتزام بالضوابط التي قد تسبب لها بعض الحرج، لكنها تتحمله من أجل تحقيق مصالح الحياة، طمعا في مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن ظروف الحياة الحديثة تهم على المرأة في بعض الأحيان الاختلاط بالرجال كما هو الحال في الطائرات والقطارات والسيارات العمومية، وفي الأسواق من أجل ممارسة البيع والشراء، وفي المؤسسات الحكومية من أجل إنهاء المعاملات وغيرها، فهنا يباح لها الاختلاط، بشرط مراعاة عدد من الأمور التي تشكل في مجموعها ضوابط تقي المجتمع وأفراده من الانحراف وهي:

١- الابتعاد عن التبرج: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَنَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٢- عدم الخضوع بالقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٣- تجنب الخلوة المحرمة: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٦، النكاح / ١٠٧، ص ١٥٧).

٤- الالتزام بالحجاب الشرعي.

٥- اجتناب الطيب: (والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية). (الترمذي، د.ت، ج ٤، الأدب / ٣٦، ص ٩٩).

٦- الوقار في الحركة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

٧- غض البصر: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠].

٨- اجتناب مواطن الريبة: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". (ابن حنبل، د.ت، ج ١، ص ٢٠٠).

٩- اجتناب المزاحمة: قال ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: (لو تركنا هذا الباب للنساء) (أبو داود، د.ت، ج ١، الصلاة/ رقم ٥٧١، ص ١٥٦).

١٠- اجتناب مصافحة الرجال: يقول ﷺ فيما رواه السيدة عائشة رضي الله عنها: (إني لا أصافح النساء) (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٤٥٧). والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويشير أبو شقة إلى أن لقاء النساء بالرجال بآدابه الشرعية؛ هو ما يمكن أن يطلق عليه أنه اختلاط مشروع، ويؤكد على أن الانعزال واللقاء كلاهما مشروع في الإسلام، وأن الحياة الجادة النشطة الخيرة هي التي تحدد للمرأة في كل وقت وفي كل مجال إذا كان الأولى الانعزال، أو لقاء الرجال. "أي أن المرأة المسلمة لا تقصد لقاء الرجال، استمتعا بصحبهم، فهذا محظور شرعا، إنما تقصد ممارسة الحياة النشطة الخيرة سواء أدى ذلك إلى لقاء الرجال أو الانعزال عنهم." (أبو شقة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠، ج ١، ص ١٦-١٧).

وقد أدركت بعض النساء الغربيات مساوئ الاختلاط بحكم التجربة، وأخذن بالدعوة إلى منعه. من بينهن الصحفية الأمريكية (هيلسيان ستانسبري)، التي أمضت عدة أسابيع في القاهرة ثم كتبت تقول:

"إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخلق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي

تقييد الفتاة والشباب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأميركي، فعندكم أخلاق موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك: عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأميركا. لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم. امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأميركا. امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه في أميركا الكثير. لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا معقدا، مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة. وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملئون السجون، والأرصفة والبارات، والبيوت السرية. " (العويد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ج٤، ص ٩ - ٩٩).

كما لمست بلدية لندن مساوئ الاختلاط والتي تمثلت في زيادة حالات الاغتصاب للمرأة، مما دفعها إلى تشغيل باصات خاصة للنساء ما بين الساعة السادسة مساء وحتى منتصف الليل من أجل الحد من حوادث الاعتداءات المتكررة عليهن. (العويد، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ج٤، ص ٤٠ - ٤١).

وفي دراسة بريطانية أجريت حديثا شملت أكثر من خمسة آلاف زيارة تفتيشية للمدارس البريطانية خلال الأعوام الثلاثة الماضية، أسفرت نتائجها عما يؤكد أن مدارس البنات تحقق نتائج أفضل من المدارس المختلطة بصورة (ثابتة ومستمرة). (موسى في المسلمون، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥٦٠).

كما أكدت الباحثة (جانيت ويلي) في دراسة أجرتها؛ على فشل المدارس المختلطة في بريطانيا لأنه يضعف تركيز الطلاب المراهقين، وبالتالي يضعف تلقينهم للعلم. (باحثة بريطانية في المجتمع، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ١١٤٩، ص ٤).

فهذه الدراسات الحديثة تؤكد على فشل التعليم المختلط الذي حرص أنصار تحرير المرأة على المناداة به بدءا من الحضانة وحتى الجامعة، مقلدين للغرب في ذلك باسم "سلامة التربية، وحسن تفاهم الشبان والشابات"^(١). (الخولي، د.ت، ص ٦ - ٧).

(١) تنتقد نوال السعداوي الذي يخفون رءوسهم في الرمال ويدعون أن مجتمعاتنا خالية من المشكلات حيث تراعى فيها كل القيم والقوانين، وذلك في معرض حديثها عن المشكلات الأخلاقية التي تسبب فيها المعلمون الذي يدرسون في مدارس البنات. (انظر السعداوي، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ٨٧٢).

معنى التبرج:

إظهار المرأة زينتها، ومحاسنها للرجال. (الرازي، د. ت، ص ٦٤).

وذلك يمكن أن يكون بأحد الأشكال الآتية:

١- إبداء جمال وجهها ومفاتيح جسدها.

٢- إبداء محاسن ملابسها وحليها.

٣- إبداء نفسها بمشيتها وتمايلها وتبخترها.

وهذا مأخوذ من الآيات والأحاديث التي جاءت في النهي عن التبرج، منها قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ نَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب-٣٣] وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

كما جاء في السنة النبوية عن النساء اللاتي لا يدخل الجنة قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها." (مسلم، د. ت، ج ٤، الجنة/ ١٣، ص ٢١٩٢-٢١٩٣).

فصوص الكتاب والسنة تتوجه بخطابها إلى النساء بما يحفظ المجتمع ويصونه من الانحراف، فتضع الضوابط التي تحول دون إثارة الغرائز بصورة لا تليق بكرامة الإنسان، وتحفظ للمجتمع الإسلامي نقاءه وطهارته. ومن ثم وجب على التربية أن تخاطب الجانب الوجداني للمرأة المسلمة المعاصرة؛ لتسهم في الحفاظ على البيئة الاجتماعية من الارتكاس إلى المستوى الحيواني وذلك من خلال محافظتها على الالتزام بالسلوك الإسلامي، والارتقاء عن الممارسات التي تصدر من بعض النساء اللاتي يعانين من ازدواجية في شخصياتهن تجعل هناك انفصاما بين إسلامهن وبين سلوكهن.

ومن هؤلاء المرأة التي تخرج إلى الأسواق وهي بكامل زينتها، فتبرز العنق والذراعين، أو الساقين، أو تتكسر في مشيتها، أو تسمع صوت خطواتها وهي تسير، أو توشي حجابها بألوان صارخة أو فصوص لامعة أو تضع الطيب.. إلى غير ذلك من

الأمر التي يزينها الشيطان للمرأة فيجعلها ترى المنكر معروفا والمعروف منكرا، بسبب غفلتها عن مراقبة الله لها، وعدم إدراكها لمسئوليتها تجاه شكر الله على نعمه، ونسيانها لليوم الآخر وما سيتم فيه من حساب وجزاء. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم].

ونجد هذا السلوك يتكرر في البيئات الإسلامية بسبب غفلة بعض أفراد المجتمع عن المبادئ التي يدعو إليها الإسلام. فهذا الإمام الذهبي ينتقد نساء عصره على تبرجهن فيقول:

"ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة، إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات، والأزر، والحرير، والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام، إلى غير ذلك إذا خرجت. وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة.. " (الذهبي، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٣٥).

كما أشار الإمام الألوسي في تفسيره إلى بعض مظاهر التبرج التي شاعت في عصره حيث يقول في ذلك ما نصه:

"ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عن إبدائها، ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن، ويتسترن به إذا خرجن من بيوتهن، وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان، وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية ما يبهر العيون، وأرى أن تمكن أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك ومشيهن به بين الأجناب من قلة الغيرة، وقد عمت البلوى بذلك " (الألوسي، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، ج ١٨، ص ١٤٦).

ومما يؤسف له أن من بين مسلمات اليوم من يصل عدم التزامها باللباس الشرعي إلى ما هو أكثر من التبرج بكثير، حيث يكاد يصل إلى العرى بين بعضهن. بل إننا نجد لدى بعض المتبرجات ممن لا زالت قلوبهن تحوي شيئا من خوف الله وخشيته، أمورا تدل على الازدواجية التي أشرنا إليها؛ فالواحدة منهن إذا ما سمعت الأذان عمدت إلى لبس حجاب ساتر لتصلي فيه، ثم تعود إلى سفورها وتبرجها وتنسى قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة]، ومثلهن المحجبات اللاتي لا يتورعن عن وضع الطيب أو وضع الأصباغ على وجوههن، وهو إنما يدل على حيرة وتردد بين الالتزام والانفلات. بل إن من بين النساء من تحافظ على حجابها لكنها لا تتورع عن إلباس صغيراتها ملابس متبرجة، بحجة أنهن صغيرات، ولا تدرك أنها بذلك تهون أمر التبرج على البنت وتعودها عليه، ومن شب على شيء شاب عليه.

وحينما تتبرج المرأة لا تدرك أن ذلك مؤثر على انحرافها الفكري الذي يدفعها إلى الخروج عن آداب الإسلام، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، من خلال التشبه بالكافرات، في حين أن الإسلام يحرص على التميز بحيث يكون المسلم كالشامة بين الناس. لكن المرأة تندفع وراء الآخرين تقليداً، وهي تعتقد بأن التبرج أمر ظاهري لا يمس عقلها، في حين أنه يكلفها من الوقت ما لا يبقي لها مجالا لبناء ذهنها وصقل شخصيتها وتنميتها.

فينبغي على القائمين على تربية المرأة المسلمة المعاصرة أن يغرسوا في نفسها خطورة التبرج على نفسها وعلى المجتمع من حولها. ويوضحوا لها كيف أنها تتعبد لربها حين تلتزم بأوامره في ما يتعلق بلباسها وزينتها ومشاركتها في الأنشطة الاجتماعية؛ حيث نجد الآيات الكريمة تقرر بين السلوكيات والممارسات العبادية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب-٣٣].

كذلك فإنه ينبغي الاهتمام بتنمية قدرة المرأة المسلمة المعاصرة على الصمود أمام الإغراءات، فلا يفجعها مثلاً البون الشاسع بين مظهرها الإسلامي ومظهر غيرها من المتبرجات، اللاتي جاءت النصوص النبوية تشير إلى الجزاء الأليم الذي ينتظرهن. ومن ذلك قوله: ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا." (مسلم، د.ت، ج ٣، اللباس / ٣٤، ص ١٦٨٠).

وفي تعليقه على هذا الحديث ذكر الإمام القرطبي أن هؤلاء النسوة يمكن أن يكن كاسيات عاريات بلبس ما رق من الثياب، أو كاسيات من الثياب عاريات من لباس

التقوى الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقد روى أن نسوة من بني تميم دخلن على عائشة رضي الله عنها وعليهن ثياب رقاق فقالت: "إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعينه." (القرطبي، د.ت، ج ١٤، ص ٢٤٤، ص ٣٠٠).

فلابد من اهتمام القائمين على تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتشكيل العقيدة الصحيحة لديها منذ الصغر؛ بحيث تمدّها بالمعلومات الصحيحة التي تنمي لديها القدرة على التمسك بالحق الذي تؤمن به في مواجهة الباطل الذي شاع في أرجاء العالم الإسلامي مستخدماً الأساليب والوسائل المغرية كافة على اتباعه، والأمر هنا يتعلق بالمواضع والمغريات التي تخاطب ميل المرأة الفطري نحو الزينة.

٦- تحديد النسل:

لقد تحبّط البشر في معالجة قضايا المرأة ولم يهتدوا فيها إلى الصواب؛ وذلك لأنهم عاجلوا بمعزل عن هدي الله وشرعه، ومن ثم كانت المرأة هي الضحية في تلك المعالجات. ومن ذلك قضية تحديد النسل التي بدأ الغربيون بالدعوة إليها مبررين ذلك بالنمو غير المتوازن بين عدد السكان والاقتصاد، ولم يجدوا حلاً لذلك سوى الدعوة إلى تحديد النسل. (مدني، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٠٨).

أما الحقيقة فتوضحها نوال السعداوي بقولها:

"إن المشكلة الأساسية في حياة المرأة أن جسدها هو الوسيلة الوحيدة لإنتاج البشر. ومن أجل أن تسيطر الدولة على وسائل إنتاج البشر وتخضعها لمصلحة النظام الاقتصادي السائد؛ فقد سيطرت على أجساد النساء وأصبحت المرأة لا تملك جسدها وإنما الذي يملكه هو الدولة التي ورثت في العصر الحديث كثيراً من سلطات الرجل في الأسرة البدائية..."، ولذلك وجدنا بعض الدول الغربية تكافئ المرأة إذا ما أنجبت سواء كانت متزوجة أم لا؛ وذلك بسبب قلة الأيدي العاملة، كما في السويد مثلاً، في حين هي تعاقب على ذلك في دول أخرى، كما في الهند مثلاً. (السعداوي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٩٠١ - ٩٠٢).

ومما يؤسف له أن هذه الدعوة قد وجدت قبولا لدى كثير من الأفراد في المجتمع الإسلامي، والذين نسوا وجهة نظر الإسلام في ذلك؛ فراحوا يقلدون الغرب في سياساته، ففرضوا على المسلمات سياسة تحديد النسل، وبالعكس فعمدوا إلى إباحة

الإجهاض رغم أنه محرم في الإسلام^(١).

ومن خلال التربية يمكن تصحيح مفهوم الناس عن تحديد النسل، وتوضيح وجهة نظر الإسلام في ذلك.

لقد بالغ الغربيون في تقدير قيمة الاقتصاد إلى درجة الطغيان، حيث ربطوا بين الإنسان وبين ما يملك.. بحيث أصبحت قيمة الإنسان تقدر بما يملك من الاقتصاد وليس بما يملك من طاقات بشرية، وكفاءات تعبر عن المستوى الإنساني الذي وصل إليه. (الخولي، د.ت، ص ٢٤-٢٥).

ونجد هذه الدعوة تتماشى مع النمط الاستهلاكي الذي يشيع في الغرب، والذي يراد فرضه على الشعوب الأخرى، من خلال المؤتمرات، والملتقيات وغير ذلك من الأساليب.

وقد لمس العقلاء من المتتمين إلى العالم الثالث ذلك، حتى وجدنا إحدى السيدات تصرخ في مؤتمر السكان بالقاهرة قائلة: " هذا مؤتمر عجيب. لا نسمع فيه إلا الحديث عن حرية الإجهاض وتنظيم النسل والصحة الجنسية، بينما أطفالنا جائعون... لا يشربون مياهها نظيفة ولا يذهبون إلى مدارس، ويفتقدون الرعاية الصحية.. ولا يتحدث أحد عن ذلك إنه مؤتمر تنظيم النسل فقط. " (عبد الرحمن في المجتمع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص ٣٤).

ومن قبلها؛ احتجت دومتيلا، وهي زوجة عامل منجم بوليفي، في الكلمة التي ألقتها في مؤتمر المرأة عام ١٩٧٦م / ١٣٩٦ هـ، على من رأين في تحديد النسل حلاً لمشكلة الجوع، وأشارت إلى أنها من خلال احتكاكها مع ما يقارب خمسة آلاف امرأة حضرن المؤتمر من سائر أنحاء الدنيا، فقد وجدت أن مصلح (البورجوازية) لا تمت بأية صلة إلى (مصلحنا نحن)؛ وتقصد الفقيرات أمثالها. (جارودي وآخرون، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ١٢٥).

ونجد أن وجهة نظر الإسلام تختلف تماماً عن وجهة النظر الغربية؛ حيث يرى في تحديد النسل ظلماً للنوع البشري، وحرماناً للإنسان من حقه في الوجود، إلى جانب أن

(١) في بعض الدول الإسلامية قد تعاقب المرأة إذا ما زاد عدد أطفالها عن حد معين. فمثلاً ارتفعت بعض الأصوات في مصر مطالبة "بحرمان المرأة العاملة من بعض الحقوق والعلاوات الدورية إذا ما أنجبت أكثر من طفلين.."، وقد أبيع الإجهاض في كل من تونس والصومال، باعتباره حلاً من أجل مكافحة الزيادة في عدد السكان. (السعداوي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٩٠٢).

الأرزاق بيد الله الذي يزود الإنسان بقدرات عقلية، وفعاليات؛ تمكنه من حسن استخدام ما أودعه الله في هذا الكون من خيرات. (مدني، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٠٨)، فالمشكلة في الإسلام تبدأ من الإنسان الذي يجب أن يتغير حتى يمكنه الإسهام في تغيير ما حوله.

ونجد من عقلاء الغربيين، من أدرك حقيقة المشكلة ومنهم بيتر باور وجوليان سايمون الذين سبحا عكس التيار السائد. فسايمون يرى بأن الجوع والفقر ليس مصدره كثرة السكان؛ لأن الملاحظ أن الدول التي تعاني منه هي أقل دول العالم كثافة في السكان، كما في إثيوبيا والصومال وزائير ومالي. في حين أن أكثر المناطق المكتظة بالسكان تتمتع بأوفر قدر من الرخاء كما في هونغ كونغ وماليزيا وسنغافورة إلى جانب سائر الدول الغربية، وقد توصل باور إلى نظرة الإسلام إلى المشكلة حيث أشار إلى أن الرخاء يتوقف على قدرة السكان العملية وسلوكهم وليس على عددهم أو ما لديهم من مصادر ثروة^(١). (القشطيني .. في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ع ٦١٩٤).

ويلق الكاتب خالد القشطيني على رأي هذين العالمين في معرض حديثه عن مؤتمر السكان فيقول: " .. فمن السخف عقد كل هذه المؤتمرات الدولية للسيطرة على كثافة السكان وتحديد النسل. " (القشطيني .. في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ع ٦١٩٤).

وتشير نوال السعداوي إلى قصر نظر من يرون في تحديد النسل حلاً لمشكلة السكان، حيث ترى بأن الحل الأمثل يتمثل في القضاء على الفقر الناتج عن تخلف المجتمعات الإسلامية، وكلاهما - الفقر والتخلف - يرجعان إلى سياسة الاستعمار الاقتصادي الذي لا يزال جاثماً على الدول التي خرج منها وذلك من خلال نهبه لثرواتها: فالمشكلة السكانية " لن تعالج إلا بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية السليمة " التي لا يمكن أن تتحقق بدون الاستقلال الاقتصادي. (السعداوي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٩٠١).

(١) أثبتت التجارب أن أكثر الدول سكاناً هي أعلاها في معدلات التنمية، ودليل ذلك؛ أن معدل التنمية في الصين يصل إلى ١٣٪ وهو أعلى من معدلات التنمية في كثير من الدول الغربية. (العبدية في البنيان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ع ٨٧، ص ٣٨).

ولا بد من تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى وجه الشبه بين ما تفعله المرأة المعاصرة من لجوء إلى الإجهاض من أجل حل مشكلة الفقر في بعض الأحيان؛ وبين ما كان الجاهليون يفعلونه من قتل أولادهم خشية الفقر، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٣١)

[الإساءة]

ويعلق د. إبراهيم المحمود ^(١) على من ينادي بإباحة الإجهاض من أجل تحديد النسل، فيشير إلى أن هؤلاء ينطلقون في دعوتهم من الحرص على ألا يكون الأولاد عالة على المجتمع، أو لأموال تحسينية ترجع إلى الأم؛ كجهاها وقوتها، أو لتتفرغ للعمل وتحصل على الراحة النفسية من عناء تربية الأولاد لما يسببونه من شغل الوقت، والتوتر العصبي. وهو يرى بأن كل ذلك من دعوى الجاهلية الحديثة تحت شعار المدنية والحضارة، في حين أنها تمثل حرمانا للمجتمع المسلم من نعمة الأولاد، وفيه أيضا تشجيع للعابثين من أجل التستر على جرائمهم الأخلاقية، كما أن فيه عودة إلى الجاهلية في الوأد، إلى جانب الأضرار الصحية التي تعود على الأم. (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٥٣).

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن عبء تحديد النسل يقع في الغالب عليها وحدها إن هي سلمت به، حيث تطالب بأخذ حبوب منع الحمل، أو استخدام أية وسيلة أخرى، وتحمل النتائج المترتبة على جسدها جراء ذلك. إضافة إلى أنه أحيانا ما تفشل الوسيلة في منع الحمل، مما قد يلجئها إلى الإجهاض الذي يتعارض مع الشرع ولا تقره القوانين، مما قد يعرضها لأخطار الإجهاض غير الطبي السليم، أو لجشع بعض الأطباء ممن يتاجرون بهذه العملية بسبب عدم قانونيتها.

وكما أشارت مجلة المجتمع فإن خطورة هذه الدعوات - تحديد النسل وإباحة الإجهاض، وأمثالها - تكمن في أنها تجعل الحكومات حارسة على تنفيذ هذه السياسات من قبل أفراد المجتمع، الأمر الذي يؤثر كثيرا على الناحية الأخلاقية للأفراد وعلى بنية المجتمع وتماسكه. (عبد الرحمن في المجتمع ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص ٣٤).

وتشير نوال السعداوي إلى أثر سياسة تحديد النسل على الأسرة حيث تجعل الطفل ينشأ في جو غير طبيعي، بسبب عدم وجود الإخوة والأخوات الذين يمثل تفاعلهم مع

(١) أستاذ قسم الفقه بكلية الشريعة بالرياض.

بعضهم البعض جانبا مهما من تكوين الخبرات في الحياة. (السعداوي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٠٠).

فينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أخطار هذه الدعوات والآثار السيئة التي يمكن أن تنجم عنها، وأن شعارات الحرية وحقوق المرأة وحققها في التمتع والترفيه " ما هي إلا قنطرة تعبر عليها المنظمات الدولية المشبوهة لنسف أسس المجتمعات وضرب بنيتها وتماسكها، والتي تعد المرأة عمودها. والهدف الأخير هو تذويب المجتمعات، واختصارها إلى أشتات من الأفراد حتى تسلس قيادتها " (عبد الرحمن .. في المجتمع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص ٣٥).

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه في هذا الموضوع هو أن الذي يتماشى مع مبادئ الإسلام وأهدافه هو تنظيم النسل وليس تحديده؛ حيث جاء في السنة النبوية ما يشير إلى ذلك. فقد روى جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمنا ... وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل فقال له النبي ﷺ: " اعزل عنها إن شئت فسيأتيها ما قدر لها " (مسلم، د.ت، النكاح / ٢٢، ج ٢، ص ١٠٦٤).

وقد أشارت الباحثة مها الأبرش في بحثها عن الأمومة ومكانتها في الكتاب والسنة إلى أن ما يستعمل اليوم من وسائل لمنع الحمل المؤقت والتي لا تلحق ضررا بالإنسان تقاس في الحكم بالجواز أو عدمه على منع الحمل بالعزل، بعد أن توصف من قبل طبيب مسلم ثقة. كذلك الإجهاض فقد تلجئ إليه الضرورة التي يحددها طبيب مسلم ثقة. (الأبرش، ١٤١٣هـ / ١٩٩٩م، ص ٦٧٩).

وقد جاء ضمن قرارات مجلس الفقه الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ما نصه:

" إن المجلس يقرر بالإجماع أنه لا يجوز تحديد النسل مطلقا، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات] ، ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعا.

أما تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيرها في حالات فردية لضرر محقق؛ كأن تكون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين فإنه لا مانع من ذلك شرعا.

أما الدعوة إلى تحديد النسل أو منع الحمل بصفة عامة، فلا تجوز شرعا للأسباب المتقدم ذكرها، وأشد من ذلك في الإثم والمنع إلزام الشعوب بذلك وفرضه عليها في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الضخمة على سباق التسلح العالمي للسيطرة والتدمير بدلا من إنفاقه في التنمية الاقتصادية والتعمير وحاجات الشعوب." (الأبرش، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٦٧٩-٦٨٠).

٧- قضايا معاصرة تتعلق بالزواج:

أ- تعدد الزوجات:

إن الظاهرة التي لا تنكر عبر العالم كله هو كثرة عدد النساء على الرجال، ومن ثم كان في التعدد تكريما للمرأة، لما فيه من إسهام في بقاء النوع الذي يمثل أحد أهداف التربية الإسلامية، إضافة إلى موافقته للفطرة من حيث تلبية حاجة المرأة إلى الزواج. وهو يعد أفضل حل في بعض الحالات مثل عقم المرأة أو كبر سنها أو غير ذلك من الظروف التي قد تمنعها من أداء حقوق زوجها كاملة.

وواقع المجتمعات الإسلامية يشير إلى أن التعدد أمر لا تقبل به كثير من النساء ويجدن فيه غبنا لهن، بل إن إحدى الدول الإسلامية قد تجاوزت الحد في الانحراف عن شرع الله، فمنعت التعدد أصلا وجعلته مستوجبا للعقوبة.

ومن تكريم الإسلام للمرأة في أمر التعدد أنه راعى ما بين البشر من فروق نفسية، لذلك نجده قد أباح لمن لا تجد في نفسها القدرة على الرضا بالتعدد؛ أن تشترط عدم زواج زوجها عليها، بحيث يطلقها إذا ما فعل. (زيدان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ج ٦، ص ٢٩٢).

وفي مقابل عدم رضا المرأة بالتعدد، نجد في المجتمع من النساء من تقبل به في حين يقف أولياؤها عقبة أمام تحقيق رغبتها في الاقتران بمتزوج، ورفضهم هنا ينم عن جهل وحمق يدفعهم إلى التعدي على حق المرأة في الاختيار. فالمرأة لا تميل في العادة إلى التعدد، لكن رضاها به يدل على أنها قد وصلت إلى درجة من النضج التي تجعلها ترضى لنفسها بما لا ترضاه غالبية النساء، وهي أكثر خبرة من أولياؤها بقدرتها النفسية التي تجعلها تتحمل غياب زوجها عنها يوما أو أكثر. والإسلام حينها شدد على أخذ رأي الولي فإن ذلك من أجل ترشيد اختيار المرأة، وهذا الحرص لا ينبغي أن يدفعه إلى التجاوز بمنعها من التسليم لأحكام الله دون سبب يدعو إلى ذلك.

فينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن من كمال الإيمان التسليم لأوامر الله ونواهيه في كل الأمور، دون بحث عن الحكمة من ورائها. وأن من الخطأ التسليم في أمورنا الدنيوية إلى المختصين من البشر، كالأطباء، والمهندسين، وغيرهم، في حين نرفض التسليم لرب البشر الذي خلق الإنسان ووضع له المنهج الملائم له وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١١) [الملك]

وهناك من نساء الغرب المثقفات ممن اعتنقن الإسلام من اخترن التعدد عن رضا وقناعة - وكما يقول هوفمان - فإن التعدد يمثل أفضل الحلول للنساء المصابات بأمراض مستعصية كالسرطان مثلاً، فيمكن للمرأة المصابة به أن ترضى بضرة، تساعد في مسؤولياتها وتؤازرها، وتتعود على أطفالها حتى لا يهتز نظام الأسرة بغيابها. (هوفمان، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص ٢٠١).

ومن المهم أن توجه التربية نظر المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما ينتشر في المجتمعات التي لا تسمح نظمها بالتعدد من فوضى جنسية وتفسخ خلقي وتحايل على النظم، ويشير إلى ذلك إتيان دينيه حيث يقول: "إن نظرية التوحيد في الزوجة، وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً، تنطوي عنها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر، جسيمة البلاء، تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين، وإن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرفها البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية." (دينيه عن الخولي في المؤتمر الثالث للسيرة والسنة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٢، ص ٤٣)، ويقول جوستاف لوبون: "وأرجو أن يثبت عند القاريء... بعد أن يطرح عنه أوهامه أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب. يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطاً، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا..^(١)" (لوبون، د. ت، ص ٣٩٧)

(١) في ظل البعد عن المنهج الإسلامي في الحياة، انتشر ما يسمى بـ (زواج المسيار) في بعض المجتمعات الإسلامية، والذي يسميه البعض (زوج الخفافيش) حيث يعتمد الرجل إلى الزواج من أخرى، أي أنه يعدد، ولكن على خفاء من زوجته الأولى درءاً لما قد ينتج عن ذلك من مشكلات. (عكاظ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م، ع ١٠٩٠٤).

ب- شيوع علاقات العصبية العائلية والقبلية:

يعاني المجتمع الإسلامي من سيادة أشكال مختلفة من العصبية التي تعوق تطوره وعودته إلى أصالته. ومن ذلك ما يحدث من حرمان المرأة في كثير من البيئات من الزواج بالكفاءة لأنه لا يناسبها في النسب أو المكانة الاجتماعية، إلى غير ذلك من الأسباب التي تمنع الفتاة من نيل حقها في الزواج، ومن ثم يحكم عليها بالعنوسة. ويغفل المجتمع أن تأخير الزواج ييسر السبيل للشيطان في إضلال البشر وجرفهم وراء الشهوات، في حين أن توجيهات الرسول ﷺ تحث على التبكير في زواج البنت، حيث روى عنه عليه السلام أنه قال لعلي عليه السلام: " ثلاث يا علي لا تؤخرهن: الصلاة إذا أتت، والجنابة إذا حضرت، والأيم^(١) إذا وجدت كفواً. " (الحاكم، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ج ٢، ص ١٧٦).

كذلك يغفل المجتمع عن المعيار الأساسي في الكفاءة وهو الدين الذي أشار إليه الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض. " (ابن ماجه، د.ت، ج ١، النكاح / ٤٦، ص ٦٣٢).

فينبغي الاهتمام بتحذير أفراد المجتمع الإسلامي من العصبية التي حذر منها الإسلام تحذيراً شديداً، وعدها من بقايا الجاهلية المقيتة. يقول الرسول ﷺ: " دعوها فإنها منتنة. " (مسلم، د.ت، البر / ١٦، ج ٤، ص ١٩٩٩)، ومن ثم وجدنا التوجيهات القرآنية حريصة على تعزيز قيم التوحيد بين أفراد الأمة الإسلامية، ونبذ ما عداها. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١٢)

وهذا يؤكد لنا أن عدم تسليم المرأة لشرع الله سبحانه وتعالى يجعلها الضحية الأولى لما قد يقع فيه المجتمع من أخطاء نتيجة لذلك. فمثل هذا الزواج يجعل من المرأة مجرد أداة لا شريكة في صنع الحياة، وهو ظرف اضطرت المرأة للقبول به من أجل إشباع حاجتها الفطرية، لكن لا يمكن الحكم على مثل هذه العلاقة بأنها طبيعية لأنها لدى البعض تعفي الرجل تماماً من القوامة المادية، حيث تتكفل المرأة العاملة أو الغنية بكافة المسؤوليات المالية.

وهنا يبرز سؤال يتعلق بالمسؤوليات المعنوية تجاه الزوجة، وتجاه ما قد يثمر عنه مثل هذا الزواج من أبناء. وهي أمور لا بد أن تجعل كلا الطرفين يفكران كثيراً قبل الإقدام عليه.

(١) التي لا زوج لها. (الرازي، د.ت، ص ٣٦).

ولابد من تنبيه أفراد المجتمع الإسلامي أيضا إلى أن في التعصب تشبها بإبليس اللعين الذي تعصب لجنسه، فرفض الانصياع لأوامر خالقه، في حين أن الله سبحانه وتعالى قد جعل التقوى هي المعيار الأساسي في التفضيل، حيث يقول سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويشير صبر إلى الأسباب التي تدفع بالأفراد إلى العصبية فيذكر من أهمها:

١- ضعف الوازع الديني وعدم الالتزام بالنصوص الشرعية التي تنهي عن هذا المرض.

٢- عدم قيام المؤسسات التربوية بدورها في قمع ومحاربة هذا المرض، حيث نجد أن إبادة هذا المرض في صدر الإسلام لم تتم إلا بعد تربية قرآنية ونبوية استمرت قرابة ثلاثة وعشرين عاما.

٣- تحكم الأهواء والمطامع الشخصية في نفوس البعض.

٤- ضعف الروابط بين أفراد المجتمع والتي تجعل كل فئة تتكفل حول نفسها في شئون الزواج والعمل وغيره، وعدم الثقة بغيرها.

٥- توفر الأموال والأفراد بكثرة عند بعض الجماعات والأسر دون غيرها مما يدفعهم إلى محاولة إخضاع الآخرين والسيطرة عليهم دون أن يفكروا في أن الله سبحانه وتعالى الذي وهبهم النعم قادر على حرمانهم منها إذا لم يؤدوا شكرها. (صبر في النور، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٥١، ص ٢٠-٢١).

ج- ارتفاع سن الزواج:

من الآثار التي ترتبت على تعليم البنات، ارتفاع سن الزواج، حيث أصبحت الفتاة في كثير من البيئات في المجتمع الإسلامي لا تتزوج إلا بعد إكمال دراستها والحصول على شهادة علمية تمكنها من الالتحاق بالعمل. إلى جانب أن الأوضاع الاقتصادية في بعض البلدان العربية تفرض على الفتاة العمل لفترة قبل الزواج؛ حتى تحقق مستوى ماديا

يسمح لها بالإسهام في تكاليف الزواج ومساعدة الزوج في النفقات الباهظة التي يحتاجها الوضع الجديد. (تقرير العائلة العربية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ج).

ونجد القرآن الكريم يشير إلى أن هذه الأعذار ينبغي ألا يكون لها مكان في عقل الفرد المسلم، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بإعانة الفقراء من الأزواج بنفسه، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَىٰ مِنَكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

والآية تشير إلى أهمية التوكل في حياة الإنسان، والتربية هي التي تغرس في نفس الفرد المسلم أن التوكل الحق لا يعدو استعمال القوانين الكونية على وجهها الصحيح، وأن معاكستها ليست من التوكل في شيء، وأن الأخذ بالأسباب جزء من التوكل.

وقد أوجد هذا المفهوم المنحرف للتوكل ثغرة ينفذ منها إلى الإسلام باعتباره معيقاً لنهضة المسلمين من خلال غرسه روح التواكل والعجز والكسل بينهم، وذلك بسبب ما عليه واقع المسلمين من تخلف تسبب فيه قعودهم عن تطبيق سنة الله سبحانه وتعالى في الأخذ بالأسباب مع التوكل. (العمري، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤، ج ١، ص ٦٢).

د- انحراف مفهوم الزواج:

بدلاً من أن يكون الزواج معيناً للمرأة على الاستقرار وإحسان الأداء في العمل أو الدراسة، أصبح الزواج معيقاً خاصة بالنسبة للدارسة؛ حيث نجد هذه النظرة القاصرة لدى كثير من الفتيات أو ذويهن الذين يؤجلون زواج الفتاة سنوات عديدة بحجة إكمال الدراسة. ولا أدل على هذه النظرة من تعليق ورد على لسان أستاذة في الطب النفسي بجامعة الأزهر عندما سئلت عن رأيها في زواج الفتاة أثناء الدراسة فأجابت بأنه يمثل عودة "إلى الوراء لسنوات طويلة." (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٤٨٣، ص ٤٥).

هـ- انتشار موضوعة الزواج التجاري:

لقد أخضعت المرأة لديناميات السوق؛ مما أدى إلى تصاعد قيمة المهور خاصة في

الأسر ذات المستوى الاقتصادي المرتفع، فكان ذلك أحد أسباب تأخير سن الزواج لدى الجنسين. إذ أصبح الزواج يمثل مشكلة تقصم الظهور بما يحتاجه من مستلزمات مادية دون أن يبالي الأولياء بما قد ينجم عن ذلك من شيوع للانحلال.

ونجد أن من أسباب ارتفاع المهور:

أ- جشع الآباء: الذي يدفعهم إلى طلب مهر عالية لبناتهم، خاصة إذا ما كانت البنت تعمل.^(١)

ب- شيوع النمط الاستهلاكي: والذي يدفع الفتاة و / أو أهلها إلى طلب أثاث من طراز معين وإقامة ولائم وحفلات ما أنزل الله بها من سلطان، مما يدفع بكثير من الأزواج والأولياء إلى الاستدانة من أجل الاستعانة على إتمام زواج البنت. وهذا ما زاد من تفضيل المجتمع للذكور على الإناث الذين لا يكلفون ذويهم ما تكلفهم إياه البنت.

ونجد في بعض البيئات أن من بين الأمهات من لا زالت حتى اليوم تفكر بمنطق متخلف يجعلها ترى في ابنتها عبئا تحمل همه منذ ولادتها، ولا تشعر بالراحة إلا بعد زواجها، حيث تظل طوال الوقت تحمل هم تجهيزها.

فينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إلى حقيقة الزواج في الإسلام الذي هو سبيل مودة ورحمة، وليس شقاء وحسرة بما يتكلفه الأولياء من ديون، سيما وأن التوجيهات النبوية الكريمة تؤكد على أهمية التيسير وعدم التعسير؛ حيث يقول ﷺ: " يسروا ولا تعسروا. " (أبو داود، د.ت، ج ٤، الأدب / رقم ٤٨٣٥، ص ٢٦٠).

كما نجده ﷺ قد أعطى القدوة من نفسه فلم " يفرق في كل المهور التي دفعها بشخصه لزوجاته؛ إذ كانت جميع المهور التي قدمها متماثلة، لم تتعد خمسمائة درهم. فقد

(١) أرسلت إحدى الفتيات إلى إحدى الصحف تعرض مشكلتها المتمثلة في أن والدها الذي حدد مبلغا كبيرا ثمنها لها - مهر - لم يرض بتزويجها من الكثيرين الذين تقدموا لخطبتها، مما جعلها تنجرف وراء الأهواء لتقضي وقتها مع الهاتف، في الوقت الذي تتألم فيه نفسيا لوضعها وتحترق شوقا إلى الزوج والولد. (قتلني أبي.. في عكاظ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ع ١٠٥٠٦).

روى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: " سألت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صداقة لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا. قالت أتدري ما النش؟ قال: قلت لا. قالت: نصف أوقية. فتلك خمسمائة درهم. فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه. " (مسلم، د.ت، ج ٢، النكاح / ١٣، ص ١٠٤٢).

لكن كثيرا من مسلمي اليوم "يعيشون حياة بعيدة عن الهدى النبوي إلا من عصم الله، حيث فقدوا في أفراحهم القدوة الحسنة، وساد التفاخر والتنافس في المهور، وسعرت الفتيات، ونال فريقا من النساء أكبر قدر من الظلم، وهن الثيبات، حيث استقر في الذهن الاجتماعي عدم مساواتهن بالأبكار في المهور وأفراح العرس، وذلك على خلاف هدي الرسول ﷺ الذي ساوى بين الجميع في المهور، بل ورخص في أن يكون المهر ولو خاتما من حديد.. " (خفاجي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٣٨)، كما أنه ﷺ قد زوج أحد الصحابة بها معه من القرآن، فقد روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه فقال: " جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني قد وهبت لك من نفسي، فقال رجل: زوجنيها قال قد زوجناكها بما معك من القرآن. " (مسلم، ج ٢، النكاح / ١٣، ص ١٠٤١).

ويتحدث بو علي ياسين عن انتشار القيم المادية الذي ألقى بظلاله على أمور الزواج في سوريا، وهي مظاهر تنطبق على غالبية المجتمعات الإسلامية؛ حيث ينظر الأهل إلى مدى الفائدة التي سوف يجنونها من وراء ابنتهم، فيعمدون في بعض البيئات إلى حرمان البنت من المهر حيث يأخذه الأب ليزوج به أحد أبنائه أو ليزوج به نفسه. فاعتصاب المهر، و المقايضة بالمرأة يمثلان معاملة المرأة كسلعة، وهما شكلان من أشكال الزواج " يتبعان نوعين من العلاقات الاجتماعية الاقتصادية: العلاقات المتخلفة، والعلاقات الرأسمالية. فالعلاقات المتخلفة، وهي علاقات قديمة تعيش في غير عصرها، تضم الروابط العشائرية والعائلية.. وتنتشر في البوادي وبعض الأرياف وبشكل محدود في المدن.. أما العلاقات الرأسمالية فتنتشر في المدن وتغزو ... جميع الأرياف.. " (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٣٢-٣٤).

في ظل التخلف الذي ألقى بظلاله على جميع جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي فقد أصبح تعليم الفتاة سببا من الأسباب التي قد تؤدي إلى حرمان الفتاة من حقها الطبيعي في الزواج، فرغبة الفتاة في طلب العلم، وعدم تقبل ثقافة المجتمع في غالب البيئات لفكرة إكمال الفتاة لدراساتها بعد الزواج، قد جعلت كثيرا من الفتيات يؤجلن إتمام الزواج حتى الانتهاء من الدراسة، مما يتسبب في ارتفاع أعمارهن، وإعراض الأزواج عنهن^(١).

ويتحدث محي الدين عبد الحميد عن العوامل التي تعيق زواج الفتاة فيقسمها إلى ثلاثة أقسام؛ منها ما يتعلق بالمرأة ومنها ما يتعلق بالمجتمع ومنها ما يتعلق بالرجل وذلك على النحو التالي:

١- عوامل تتعلق بالمرأة:

أ- أن تنشأ الفتاة مدللة فترفض الزواج بحجة صغر السن ويشجعها أولياؤها على ذلك.

ب- رغبة الفتاة في إكمال التعليم.

ج- تأثر الفتاة بقصص الزواج الفاشلة.

د- تأثر الفتاة بخيالات وأوهام تربطها بفتيان معينين (فتى الأحلام).

٢- عادات اجتماعية وأعراف سائدة:

مثل الشبكة، المهر، مؤخر الصداق، السكن، قصر الأفراح.. إلخ.

٣- عوامل متعلقة بالرجل:

مثل العوز المادي وعدم النضج الفكري والعاطفي لدى البعض. (عبد الحميد، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٦٤-٦٦).

فينبغي الاهتمام بتوجه انتباه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إلى الجوانب

(١) انظر: Beck and Keddic, 1978, P.89.

الإنسانية والاجتماعية لمشكلة العنوسة، بحيث تعمل التربية من خلال مؤسساتها كافة على تغيير نظرة المجتمع إلى الزواج، وحثه على الالتزام بالهدي النبوي فيه.

فمن غير الإنساني أن يحرم عدد لا بأس به من النساء من تلبية حاجة أساسية لديه، وهي حاجة الجنس، وبالتالي يحرم من إنجاب الأطفال والتنعم بعاطفة الأمومة، وأن تجد المرأة نفسها في أواخر العمر وحيدة دون معيل أو أنيس (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٩٠).

ويؤكد بو علي ياسين على أن العانس هي ضحية للمجتمع الذي يزيد من وطأة المشكلة عليها حين يحتقر فيها هذه الصفة - العنوسة - التي جعلتها غير جديرة بالاعطاء الإنساني - الإنجاب - وينسى المجتمع حين يتسبب في عنوسة المرأة أن الضحية قد تصاب بسبب ذلك بالحقد الذي يملأ نفسها ضد المجتمع فتنطوي على نفسها تجتر أحزانها ما لم تتسلح بسلاح الإيمان الذي يعزيها بأن كل شيء إنما هو بقدر. (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٩١).

يقول الشيخ الغزالي: " لقد أسهمت التقاليد الإسلامية البالية البعيدة عن أحكام الدين في استئراء الفساد والجنس الذي نلمسه في مجتمعاتنا ومن ذلك:

١ - جعل الزواج مشكلة اقتصادية رهيبة.

٢ - فساد الصورة الإنسانية لوظيفة المرأة قبل الزواج وبعده.

٣ - الجهل التام بدور الأسرة في التربية على امتداد مراحل العمر.

وهي تقاليد تنهض على الرياء والتظاهر والتكلف وقد كانت ولا زالت من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية ونشأة أجيال على درجة عالية من التفاهة^(١) (الغزالي، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ٢٤٠).

(١) وصل متوسط سن الزواج للفتاة المصرية ٣٢ عاما في أغلب المدن المصرية وإلى ٣٥ عاما للشباب، وأصبح ٦٥٪ من شباب مصر عوانس في حين لازال الزواج المبكر مسيطرا في الأرياف وقد أوضح تقرير للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أن أبرز نتائج تأخر الزواج تمثلت في عمليات الانتحار التي تلجأ إليها الفتيات للخلاص من مجتمع يعتبر الزواج هو كل شيء بالنسبة للبنات. يقول د. أحمد المجذوب الأستاذ بمركز البحوث الاجتماعية والجناائية معلقا على التقرير: " إن الإلحاح الدائم من الأسرة لكي تتزوج البنت يمثل لها عقدة ربما تدفعها للانتحار كما حدث في حالات كثيرة مؤخرا. " (صحيفة صوت العرب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ع ٣٢٩٦).

ثامنا : من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة :

من أبرز مظاهر تكريم الإسلام للمرأة ما يلي :

أ- حرية الاختيار :

جعل الإسلام للمرأة حرية الاختيار من بين من يتقدم إليها للزواج، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ " الثيب أحق بنفسها من وليها. والبكر تستأمر وإذنها سكوتها" (مسلم، د.ت، ج ٢، النكاح/ ٩، ص ١٠٣٧).

والإسلام قد حرص على رأي الولي، ليؤكد على أهمية الإحسان عند الاختيار، فهو ليس إلغاء لإرادة المرأة؛ بل ترشيدها، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: " .. كيلا تضع المرأة نفسها في غير كفاء " (ابن حجر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ج ١٠، ص ١٦٥).

يقول ﷺ " أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل.. فنكاحها باطل.. فنكاحها باطل." (الحاكم، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، ج ٢، ص ١٨٢).

لكن حين أعرضت المجتمعات الإسلامية عن عقيدتها؛ أصبح رأي الولي هو الأساس، مما أدى إلى إلحاق الظلم بالمرأة في كثير من الحالات، التي ينحصر فيها اهتمام الولي بالدرجة الأولى على الحفاظ على ثروة العائلة من أن تبدد، أو على الطبقة الاجتماعية من أن يدخلها من هو أقل منها، أو على الرغبة في الانتقال إلى طبقة أعلى. بل إنه ومن خلال التربية التي تتلقاها المرأة كثيرا ما يحدث نوع من التشوه في وعيها مما يدفعها إلى أن تضع لنفسها أهدافا قريبة، وتطلعات بعيدة عن الأهداف الحقيقية من الزواج؛ فتعتمد إلى اختيار زوجها وفقا لمواصفات لا تدخل الكفاءة في الدين التي حث عليها الرسول ﷺ من بينها.

فينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الأسس السليمة للاختيار حتى تضمن لنفسها سعادة الدنيا والآخرة، بدلا من الشقاء الذي تبدو آثاره في الواقع على حياة من أسأن إلى أنفسهن حينما أسأن الاختيار.

ب- المهر :

المهر في اللغة هو الصداق (الرازي، د.ت، ص ١٩٦)، وقد ورد في القرآن الكريم بعدة أسماء: نحلة، فريضة، أجر.

قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً^٤ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَسَا فُكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا^(٤)﴾ [النساء].

وقال: ﴿فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ^(٥) فَرِيضَةً^(٦)﴾ [النساء: ٢٤].

وفي الشرع هو " ما يعطى للزوجة في مقابل الاستمتاع بها " وهو عطية للمرأة مقابل انتقالها من بيت أبيها إلى بيت زوجها، تدل على رغبته فيها (قاروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٦٨-٢٦٩).

فالمهر (نحلة) أي عطاء لا يقابله عوض، فهو ليس ثمنًا لها، وإنما دلالة تكريم تبين عظم قدرها؛ لأن الزواج لا يتم إلا بكلمة الله. وفي الحديث: "... فأتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله " (مسلم، د.ت، ج ٢، الحج / ١٩، ص ص ٨٨٩-٨٩٠).

أما المهر فهو عطية خالصة للمرأة، تهيئها نفسيا لدخول الحياة الزوجية، حيث تؤدي واجبها في طاعة زوجها. والتكريم هنا معنوي وليس مادي؛ لذلك حرص عليه الرسول ﷺ حتى أنه زوج أحد أصحابه بما معه من القرآن (البخاري، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ٣، الوكالة / ٩، ص ٦٣).

لكن الذي يحدث في ظل العلاقات الاجتماعية التي يفرضها المد الرأسمالي، هو أنه يتضافر تأثير الأهل، مع تأثير المجتمع على وعي الفتاة، فتعمل على إيجاد أنماط استهلاك تتعلق بالزواج من أجل إرضاء الرغبة في (الوجاهة) الاجتماعية، ومن ثم ظهرت مشكلة غلاء المهور التي أصبحت تمثل عقبة أمام زواج عدد غير قليل من الشباب.

وقد بدأ ذلك في الأسر ذات المستويات المعيشية العالية، ثم تبعها الأخرى، فأصبحت النزعة الاستهلاكية للفتاة، تجد فرص الإرضاء في الزواج، الذي أصبح وسيلة للصعود الطبقي من خلال اشتراط ما يشبه المستحيل من كماليات، وتجهيزات لا يستطيع أن يقدمها إلا فئة قليلة من الشباب. (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٤٧-٤٨).

وقد استحدثت في مجتمعاتنا الإسلامية كثير من البدع التي لا أساس لها في الإسلام، أو هي مناقضة لما جاء به من تشريع، ومن ذلك إلقاء مسؤولية تأثيث المنزل على الفتاة، في حين أن الإسلام يفرض ذلك على الرجل، وكذلك إلزام الزوج في بعض البلاد الإسلامية

بتقديم مبالغ مالية كبيرة - إلى جانب المهر - لوالد العروس ووالدتها، أو غيرهم من أقربائها، أو للعروس شخصيا قبل الدخول بها، إلى جانب بدعة المؤجل التي أصبحت تمثل أحد المعوقات في سبيل إحسان العلاقات بين الأزواج، وهي مؤشر على الظلم الذي شاع في المجتمعات الإسلامية من قبل الأزواج تجاه زوجاتهم، ومحاولة الأولياء تفاديه بالعوض المالي.

فينبغي على التربية أن تعمل على تنشئة كل من الرجل والمرأة على المبادئ والقيم الإسلامية التي تمكنهم من الإحسان في تعاملهم مع الآخرين، كما ينبغي توجيه المرأة خاصة إلى أن الزواج أكبر وأسمى من الأهداف القريبة التي تربطها بمحيط الأرض الضيق. وأن السعادة في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلا باتباع توجيهات الإسلام ومن بينها الرضا، والقناعة بالقليل، الذي ستعم بركته حياته؛ فقد قال ﷺ: " أكثرهن بركة أيسرهن مؤنة" (الهيثمي، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ج ٢، ص ١٥).

* * *

المبحث الثاني عشر

تربية المرأة المسلمة المعاصرة والتقنية العلمية الحديثة

تعيش البشرية اليوم شاهدة على زمن التفجر المعرفي والتقني، حيث أضحى العالم أشبه ما يكون بقرية صغيرة، قصرت فيها المسافات بفضل منجزات التقنية الحديثة وعلى رأسها وسائل الاتصال، ومن ثم لم يعد بمقدور أي مجتمع معاصر أن يعيش في عزلة عما يجري في العالم من أحداث.

ولعل أخطر ملامح التقدم التقني المعاصر تتمثل في أن القدرة التقنية قد تخطت مجال الطبيعة إلى الإنسان، فأصبحت تؤثر في ذاته جسدا وعقلا ونفسا من خلال الوسائل الحيوية والكيميائية والنفسية والاجتماعية. (زريق، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٠).

وسوف نحاول فيما يلي أن نتعرف على ملامح الثورة التقنية المعاصرة، وكيف يمكن للتربية أن توظفها من أجل الارتقاء بالمرأة المسلمة المعاصرة حتى تتمكن من معايشة العصر الذي تعيش فيه وذلك من خلال الحديث عن:

- ١- مفهوم التقنية.
- ٢- الثورة العلمية والتقنية الحديثة.
- ٣- آثار الثورة العلمية والتقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان.
- ٤- أمثلة لبعض المنجزات التقنية الحديثة ذات الأثر على حياة المرأة.
- ٥- أسباب الأزمة الحضارية التي يعاني منها المجتمع المسلم.
- ٦- دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على مواكبة العصر.
- ٧- اتجاهات ومهارات ينبغي أخذها بعين الاعتبار في تربية المرأة المسلمة المعاصرة.

أولا: مفهوم التقنية:

جاء في تعريف التقنية بمفهومها الواسع في دائرة المعارف الأمريكية ما نصه:
" (مجموع العمليات المرتبطة بالتعامل مع المواد) وهي في العمل المؤسسي: "مجموع

العمليات المرتبطة بالتعامل مع المنتجات أو الخدمات (أو ما يسمى بالمرجات)" (الجابري، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٥٥).

أما فينان طاهر فتورد للتقنية (التكنولوجيا) تعريفا ينص على أن التقنية هي:

" المجموع الكلي للمعرفة المكتسبة والخبرة المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات في نطاق نظام اجتماعي واقتصادي معين، من أجل إشباع حاجة المجتمع التي تحدد بدورها كم ونوع السلعة/ الخدمة".

وهي تتحدث هنا عن المجموع الكلي للمعرفة والخبرة أكثر من التطبيق الذي يمثل منتجات التقنية (طاهر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٩).

وتقرر طاهر أن الاطار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المنتج للتقنية هو الذي يحدد الموارد المادية والبشرية المتاحة لتطبيق التقنية اللازمة للإنتاج بناء على الطلب الاجتماعي. (طاهر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٧).

فالطلب الاجتماعي هو الذي يحدد نوع السلعة النهائية والتي يمكن أن تكون أسلحة أو أدوات تجميل أو أدوات صحية.. إلخ.

وتنطلق طاهر من ذلك لتعرف النشاط التقني (التكنولوجي) على أنه: " عملية اجتماعية تحتوي داخلها عدة عوامل متشابكة فيما يمكن أن نطلق عليه.. (نظاما تكنولوجيا) يعمل داخل نظام اجتماعي أكبر يفرض عليه عدة ضغوط" (طاهر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٧).

أما زغلول النجار فيعرف التقنية وفقا للمنظور الإسلامي. فيشير إلى أن كلمة (تقنية) هي لفظة محدثة جاءت بصيغة المصدر الصناعي وهي تعني باختصار: حسن إتقان العمل الذي أوصانا به الرسول ﷺ حين قال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

والإنقان هو " حسن الأداء على أعلى قدر من الاستطاعة وبأقل تكلفة ممكنة". (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٤٤).

ويرى النجار بأن المعنى العام للكلمة والمناسب لكل عصر هو:

" مجموعة المعارف والأساليب المتاحة واللازمة للإنتاج والتنمية (أي لعمارة الأرض

في كل عصر من العصور". وهو يؤكد على أن التقدم التقني يعمل على ربط المعارف المكتسبة بالقضايا التنموية للمجتمعات البشرية، وقيم المؤسسات اللازمة لذلك. (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٤٦-٤٧).

أما بدايات التقنية فإنها ترجع إلى اللحظات الأولى لوجود الإنسان، حيث فكر في كفاء نفسه حاجاتها، ومن ثم عمل على اختراع الأدوات المعينة له على ذلك. وهذا يجعلنا ندرك أن مصطلح (تقنية) هو تعبير جديد لمفهوم قديم قدم الإنسانية نفسها (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٣).

ويؤكد النجار على اتساع مفهوم التقدم العلمي والتقني في الإسلام.. " ليشمل النمو الإنساني بجميع أبعاده حتى يصل بالإنسان إلى مقام التكريم الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. فهو يشتمل على النمو المتكامل للأفراد والجماعات في مختلف المواهب والملكات " ابتداء بالقدرة على توفير الاحتياجات المادية التي تمكنه من القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وعمارة الحياة على سطحها "،.. وانتهاء بتطلعاته الروحية والفكرية والأخلاقية والغيبية.. " التي تعينه على تحقيق ذاته عبداً لذلك الخالق العظيم " (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٧٢).

فالنشاط التقني في الإسلام يمثل سبيلاً إلى التعرف على الخالق من أجل تحقيق كمال العبودية له باعتبار ذلك يمثل الهدف الذي خلق الإنسان من أجله.

ثانياً: الثورة العلمية والتقنية الحديثة:

تعتبر الثورة العلمية والتقنية إحدى معالم العصر الحديث، وذلك باعتبارها السبب الأساسي فيما حدث من تحول جذري في كل مجالات الإنتاج الذي يمثل الأساس المادي للحياة فوق الأرض.

فتحت تأثير الإنجازات العلمية والتقنية الحديثة ظهرت هناك أساليب جديدة في الإنتاج وإدارته، مما ظهر أثره على العالم كله بدوله ومدنه وقراه.

وكان من أسباب ذلك ظهور فروع جديدة في العلوم، وانتشار الاكتشافات، في كل المجالات بسرعة إلى المجالات الأخرى (نصيف في المرأة العربية - العرب والعالم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٠٥).

ونجد العلماء يطلقون على الثورة العلمية والتقنية الحديثة أسماء مختلفة: منها: الثورة الصناعية الثانية...، والثورة التقنية، و(التكنولوجية)، وهناك من يطلق عليها أسماء تدل على الفروع التي تتقدم فيها العلوم بشكل أكثر، مثل: (عصر الذرة) أو (عصر الفضاء) أو (عصر الروبوت).. إلخ.

و هو يؤكد على أن هذه التعريفات لا تعكس الطبيعة الحقيقية لهذه الثورة، التي لم يتوقف تأثيرها على الإنتاج المادي فحسب، بل تجاوزه إلى كافة مجالات النشاط الإنساني سلبيًا وإيجابيًا. (نصيف في المرأة العربية - العرب والعالم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٠٦).

ثالثًا: آثار الثورة العلمية والتقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان :

يمكن ملاحظة الآثار التي تركتها الثورة التقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان في مجالين اثنين:

١- في المجال العلمي.

٢- في المجال الاجتماعي.

وسوف نتناول ذلك بالتفصيل فيما يلي:

١- في المجال العلمي:

يلاحظ على العلم المعاصر اليوم أن السمة المميزة له اليوم تتمثل في أنه أصبح (صناعة قائمة بحد ذاتها)،.. تعتمد على المعدات والأجهزة المعقدة والأدوات العملية والمواد والوسائل التي تقدمها التقنية الحديثة من أجل ضمان نجاح الأبحاث والتجارب العلمية. كما أن ذلك قد أثمر بدوره عن قيام صناعات خاصة بالبحث العلمي من أجل تزويد البحوث والمعامل بكل ما تحتاجه (نصيف في المرأة العربية - العرب والعالم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٣٠٧).

وقد أثمر كل ذلك عن تسارع كبير في المجال العلمي، حيث كثرت المكتشفات والمخترعات فأصبحنا نلاحظ وجود كثافة في التطبيقات العملية للعلوم واختزال للوقت فيما بين ظهور الاكتشاف العلمي وتطبيقه، وظهور مؤسسات ومعاهد علمية متخصصة من أجل التأكد من انتقال التجارب النظرية إلى حيز التنفيذ في الواقع.

ونجد أن (ثورة المعلومات) قد أصبحت تمثل أحدث قضية يتم تداول الحديث بشأنها في العالم كله. فهناك الآن من يتحدث عن.. (الفضاء المعلوماتي)، و(طريق المعلومات السريع). بل إن المعركة بشأن التحكم في الفضاء المعلوماتي قد بدأت، وأصبحت شبكة (الإنترنت) تمثل إحدى المعارك. (الطياش في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ع ٦٤٩٦).

والإنترنت عبارة عن شبكة متصلة من أجهزة الكمبيوتر الأساسية، يرتبط بكل واحد منها عدد من الأجهزة الفرعية الصغيرة. وتتمكن برامج الخدمة المثبتة على الأجهزة الكبيرة المختلفة من تأدية مهام مختلفة للأجهزة الصغيرة المتعلقة بالشبكة^(١). (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٩).

ويتناول محتوى (الإنترنت) جميع جوانب حياة الإنسان دون استثناء من خلال عالمها الخاص المسمى (الفضاء التخيلي)؛ فهناك المحتوى الأكاديمي (الجامعي) الذي تقدمه وتشرف عليه هيئات ومراكز جامعية أو بحثية، وهناك المحتوى الإعلامي الذي تقدمه وسائل الإعلام المختلفة عبر نسخها الإلكترونية، وهناك المحتوى المتعلق بالحضارة والفلسفة الذي يتناول جميع المذاهب والاتجاهات الدينية والفلسفية. وهناك أيضا مواد غنية لإشباع الهوايات الأدبية والفنية بمختلف أنواعها. وكذلك المحتوى العلمي الذي يتناول جميع المجالات العلمية غير الأكاديمية وتطبيقاتها. ولها فوائد في مجال البحث العلمي والتثقيف العام والرعاية الاجتماعية، والصحة حيث تقدم معلومات عن الأمراض وشروح لبعض العمليات ونصائح عامة للمرضى والأصحاء. بل إن هناك محتوى يتعلق بشبكة الإنترنت نفسها للتعريف بها وبأقسامها وبكيفية التجول فيها. وأكثر المحتويات كثافة في الشبكة هو المتعلق بالمجال التجاري والذي يستخدم لأغراض تسويقية من قبل الشركات والمؤسسات التجارية. (جهاد عبدالله في العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٤٥٧، ص ١٤٠ / مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٠، ص ٣٠-٣١).

(١) بدأت شبكة الكمبيوتر (إنترنت) في عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م بواسطة وزارة الدفاع الأمريكية، لتبادل المعلومات بينها وبين مراكز البحث العلمي في الجامعات الأمريكية وفي الدول الأخرى، ثم أخذت الجامعات ومراكز البحوث فيها بربط حاسباتها الآلية بغيرها من الجامعات، الأمر الذي مكن العلماء والباحثين من إجراء اتصالات سريعة ومعرفة التطورات العلمية في كل جهة (المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٥٨٢).

وتتعدى خدمات الإنترنت تقديم المعلومات إلى تقديم خدمات أخرى مثل (خدمة البريد الإلكتروني) الذي يمثل فرصة عظيمة للتواصل واختصار المسافات، وكذلك هي توفر الفرصة لتبادل الحوار في مختلف جوانب المعرفة. وإلى جانب كل هذه المميزات وغيرها فإن هذه الشبكة تتميز بالحرية في عرض الأفكار المختلفة مما يساعد على إزالة الحواجز التي تقف سدا بين الطبقات والثقافات والحضارات.

وقد أكدت هذه التقنية المعلوماتية على أنه لم يعد هناك استقلال ثقافي أو فكري في الواقع المعاش، حيث أصبح بالإمكان من خلالها استقبال أي شيء في أي وقت ومن أي مكان، فليس هناك أية رقابة على متلقي الثقافة عبر خطوطها؛ الأمر الذي تسبب حتى الآن - وهذه إحدى سلبيات هذه الشبكة - في إحداث صدام في المجتمع المسلم بين المتقبلين والرافضين لخدماتها الذين يشعرون بأنها تفقدهم الاستقلالية الثقافية.

٢- في المجال الاجتماعي:

أدت الثورة التقنية الحديثة إلى إحداث آثار خطيرة على ظروف الإنسان النفسية وعلاقاته الاجتماعية بما فاق التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان، حيث أصبح التغير في حياة الأفراد والجماعات فوق قدرات الإنسان الجسدية والحسية.

إن حواس الإنسان ذات حدود معينة، فإذا ما تعداها أرهقته إرهاقا شديدا، يدفعه إلى مساعدتها بمختلف الأجهزة التي تعينه، في حين أنها قد خلقت للعمل في ظروف معينة يشعر في ظلها بالراحة. فإذا ما تعدت ذلك وقع في أزمات نفسية وصحية (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٩).

وقد وجد أن " شدة الإضاءة وارتفاع معدلات الضجيج وازدحام السكان وتكدس المرور وتلوث البيئة وتفكك الأسرة وتحلل الروابط الاجتماعية والمبالغة في شعور الفرد بالوحدة "، هي من أكثر أسباب الأزمات النفسية والانهيارات العصبية التي يمكن أن يصاب بها الإنسان. ولهذا نجد إنسان اليوم، شديد التوتر والتنافر مع محيطه، لأنه عاجز عن اللحاق بسرعة التقدم المعاصر (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١١٠).

فالمدينة المعاصرة تفصل الإنسان عن الطبيعة وتحيطه بجو صناعي لا يتناسب مع فطرته؛ مما يجعله عاجزا عن التلاؤم مع الواقع الذي يعيشه، ومن ثم تحدث لديه الاضطرابات المشار إليها.

ويؤكد ذلك بيجوفيتش حينما يقرر أن العوامل الحضارية تساعد على عزل الإنسان؛ فكلما اتسعت المدينة قلت الطبيعة، حيث يكثر الدخان وجدران الإسمنت والتكنولوجيا، وتزداد الجريمة، بينما إنسان القرية لديه فرصة أكبر لمشاهدة السماء والحقول والخضراء والأنهار والأزهار.. إلخ، فهو يعيش متصلاً بالطبيعة وعناصرها المتنوعة.. بينما يعيش إنسان المدينة محاطاً بمعارف سلبية عبر وسائل الإعلام الجماهيرية وكذلك بأشياء قبيحة من المنتجات الصناعية، ويقل عنده الشعور بالجمال وتذوقه لقلته ارتباطه بالطبيعة، وهذا يفسر قلة تدين إنسان المدينة مقارنة بإنسان القرية (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٠).

أما السبب الحقيقي الذي أدى إلى هذه المآسي التي لحقت بالإنسان؛ فإنه يكمن في أن الحضارة المعاصرة قد وضعت الإنسان في قائمة الأشياء، وحاولت أن تحكم عليه بمقاييس العلم المادي من خلال التجارب المحسوسة دون أن تلقي بالاً للجانب المعنوي لديه، وقد أشار إلى ذلك كاريل بقوله:

"إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب؛ لأنها لا تلائمنا. فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم. وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا." (كاريل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٣٧).

ويضيف قائلاً:

".. يجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شيء ولكن الواقع هو عكس ذلك، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه، إنه لم يستطع أن ينظم دنياء بنفسه، لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجهاد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية" (كاريل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤١).

وعلى الرغم من أن التقنية الحديثة قد يسرت للإنسان الانطلاق بفكره إلى عوالم جديدة، إلا أنها في الوقت نفسه؛ قد عادت عليه بكثير من المتاعب الخطيرة التي بات عليه أن يواجهها، لأنه في الوقت الذي سخر فيه كثيراً مما في الكون لخدمته، استخدمه في إطار من العادات والتقاليد والنزعات الممتدة من الماضي، كالتنافس والفردية والاستغلال والعنصرية والطبقية والاحتكار؛ ولذلك وجدنا من بين الأمم المتقدمة من تتخذ من العلم

نعمة لها، وتجعله نقمة على غيرها، وذلك من خلال محاولاتها الرامية إلى التوسع والسيطرة ومحاولة فرض الهيمنة والتحكم في مصير الشعوب الأخرى.

فهي تنفق الأموال بلا حساب على إنتاج أدوات الحرب والدمار وأجهزة التجسس، ثم لا يتحرك ضميرها لمن تتهددهم المجاعات والأمراض، فتحول شيئاً من أموالها إليهم. وقمة الأنانية تتمثل في استئثار تلك الدول بأسباب التقدم العلمي دون أن تفكر في تسخيرها من أجل حل مشكلات العالم الثالث. بل تكتفي بتقديم المساعدات وقوافل الإغاثة ذات الأهداف المعلنة والخفية، إضافة إلى توجيهها إلى مشاريع غير إنتاجية لا تخدم الاقتصاد المحلي بصورة جدية، وليس لها علاقة بتطوير الإمكانيات الذاتية؛ مثل إنشاء الفنادق الضخمة، والملاعب الرياضية الباذخة، ودور الأوبرا الفارهة، وغيرها من صور الترف والإفساد التي لا تحتاجها الدول الفقيرة في مراحل نموها الأولى، أو قد لا تحتاجها أبداً. (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٨٠-٨١).

بل إن الحركة العلمية، والثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا في القرن الثامن عشر، والتي أفرزها العلم، قد اتخذت من العلم مموناً (منطقياً) لها، فراحت تنتج من خلال التقنية أدوات الدمار والخراب التي تمكنها من توفير مصدر نموذجي للمواد الخام، ومستهلك نموذجي للسلع والبضائع وبذلك تشكلت العلاقات بين دول العالم: عالم الشمال وعالم الجنوب. أو شعوب مالكة وأخرى محتاجة. (عبد العظيم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٦٠).

ونجد أن الدول المتقدمة التي زادها التقدم العلمي والتقني ثراء ورفاهية وقوة؛ قد زادها اضمحلال الوازع الديني وفقدان الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة تحللاً وتفسخاً وانحطاطاً جعل مجتمعاتها تتآكل من الداخل. وأبرز المؤشرات على ذلك استخدامها للتقنية دون أية ضوابط دينية أو أخلاقية؛ مما أدى إلى استنزاف كثير من الموارد الطبيعية، وإغفال عواقب التصنيع من تلوث واختلال في مناخ الأرض، والعبث بقضايا الهندسة الجينية، وإنتاج للسلاح بصورة هائلة كما ونوعاً.. إلخ السلبيات^(١). (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٨-٢٩).

(١) وجد أن أكثر من ٥٠٪ من الاستثمار العالمي في العلم والتقنية يتجه لإنتاج الأسلحة، و الثلث المتبقي يتوجه لإنتاج سلع غير ضرورية كما أن هناك اعتقاد ثابت بأن النمط الصناعي الغربي على صلة وثيقة بأول ١٠- ١٥٪ من الأمراض المؤدية للوفاة، وعلى صلة وثيقة بالاختلال البيئي والتلوث الحراري بكل تبعاته (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤٠).

لقد خطت الثورة التقنية المعاصرة خطواتها موجهة بمفاهيم تقديس النمو الاقتصادي وتجعله المقياس الأوحى للتقدم، مما أوصلها إلى تشييء الإنسان بسبب النظر إلى جانب واحد من جوانب اهتماماته مع إغفال الجوانب الأخرى، الأمر الذي أدى إلى كثير من المآسي والخلل في الحياة الاجتماعية.

وقد جاء في الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية ما يشير إلى " أن إهمال الجوانب الوجدانية والمؤشرات الإنسانية والاجتماعية للتنمية، مقابل التركيز على المادة والنمو الاقتصادي قد دفع البشر في هذه الحضارة دفعا متناميا إلى تصاعد حالات الانتحار وتمزق الأسرة. ورغم كل هذه الظواهر السلبية والممزقة فما زال الحديث في تلك العوالم عن (اقتصاديات العرض) أي عن مزيد من تطوير التكنولوجيا وتحديث الاقتصاد وفق نفس المشكلات، أي داوئي بالتى كانت هي الداء." (وثيقة الإستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٤١).

ونجد الآن كثيرا من الأصوات التى ارتفعت مؤخرا في الغرب؛ تحذر من المخاطر التى تحملها التقنية الحديثة على الأسرة والمجتمع، ومن ذلك دراسة للباحث الأمريكى (جون ينصبات) نشرها مركز دراسات العالم الإسلامى بعنوان (الاتجاهات الكبرى عام ٢٠٠٠).

وقد تناول الباحث فى دراسته هذه بعض القضايا المهمة التى يمكن أن تؤثر على مصائر الشعوب الإسلامية. وتطرق أيضا فى حديثه إلى بعض الإشكاليات والقضايا التى تطرحها الثورة التقنية وعالمية السوق على نفسها وعلى العالم كله، ومنها قضية العودة إلى الدين؛ التى أصبحت ظاهرة عالمية " تهدف إلى كشف الغموض عن المدنية الحديثة". ويرى ينصبات أن ذلك يمثل أيضا " علامة على نهاية ذلك النوع من الإيمان بأن العلم قادر على حل جميع مشاكلنا".

ويضيف ينصبات قائلا:

" لقد كان الدافع وراء تبجيل التقدم الصناعى والاقتصادى هو أن البشرية سوف تسخر الطاقات التكنولوجية لخدمة الإنسان والحياة وليس ضدها"، لكن " تبين أن التكنولوجيا قادرة وبنفس الدرجة على خلق الدمار، مما جعل الناس يتحولون بعيدا عن عبادة العلم والتكنولوجيا".

ويرى ينصبات بأنه " .. إذا بدا حماس المتدينين تطرفا في بعض الأحيان؛ نستطيع أن نتفهم ذلك باعتباره جزءا من عملية شاملة أكبر من ذلك بكثير، ألا وهي رفضنا لتقبل الحياة وتعريفها بأنها مجرد علم وتكنولوجيا " وأننا "من خلال العودة إلى الدين فإننا نعيد تأكيد الروحانية في صورة سعي حثيث متوازن للارتقاء بحياتنا وحياة جيراننا" (الاتجاهات الكبرى في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٣٨).

رابعا: أمثلة لبعض منجزات التقنية الحديثة ذات الأثر على حياة الإنسان:

١ - التقنية الحديثة في مجال الإنجاب.

تعتمد التقنية الحديثة في مجال الإنجاب على استخدام الوسائط المعملية من أجل الحصول على الأجنة. وقد بدأت هذه الثورة التقنية في مجال الإنجاب بعملية التلقيح الصناعية التي جربت أولا على الحيوان، ثم عمت على الإنسان كحال جميع التجارب العملية.

وتتمثل عملية التلقيح الصناعي " طفل الأنبوب " في أخذ بويضة المرأة بواسطة مسبار وجمعها مع حيوان منوي يؤخذ من الرجل في طبق بيتري Petri dish، ثم تترك البويضة المخصبة لتتقسم، ثم توضع في جدار الرحم لتنغرز فيه وتنمو نمو الحمل الطبيعي حتى الولادة (البار، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٣٣).

وقد ولدت أول طفلة أنابيب في إنجلترا عام ١٩٧٨م ومنذ ذلك الوقت والدراسات والأبحاث المتعلقة بالتقنية الإنجابية تتطور بمعدلات سريعة، حيث أعقب ذلك ولادة أول توأم للأنابيب عام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م، وأول ثلاثة توأم عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م. وفي نفس العام تمت ولادة أول طفل عن طريقة زراعة الأجنة. وفي عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ولد أول طفل عن طريق تقوية الحيوان المنوي للأب ذي الخصوبة الضعيفة، كما استطاعت سيدة الإنجاب على الرغم من عدم وجود مبايض لديها من خلال العلاج بالهرمونات. وفي عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م نجح أطباء أستراليا في استخدام بويضة مجمدة في عملية إنجاب توأم، وفي عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م نجح العلماء في حقن حيوان داخل البويضة بدلا من تركه يلقيح البويضة بشكل طبيعي مما سجل فتحا في علاج عقم الرجل، وكل ذلك قد انبثق عن تجربة طفل الأنابيب (مواليد بلا أمهات في اليامة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠).

وكما لاحظنا فقد ابتكرت تقنية الإنجاب، أساسا لمساعدة النساء اللاتي يعجزن عن الإنجاب، حيث إن تجربة (طفل الأنابيب) تهدف أساسا إلى تفادي انسداد قناة فالوب لدى بعض السيدات (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠)، لكنها فيما بعد قد تخطت ذلك إلى أمور كثيرة؛ منها تحديد نوع المولود، وعدده، ووقت ولادته، وتعدى الأمر ذلك حين بدأت هذه التقنية في اقتحام آفاق مفزعة لا تراعي أية قيم أو مبادئ في سبيل تحقيق أهواء الإنسان ورغباته.

وسوف نحاول فيما يلي توضيح ذلك من خلال الحديث عن تحديد نوع المولود، وتأجير الأرحام، والهندسة الوراثية.

أ - تحديد نوع المولود:

نجح فريق من الأطباء اليابانيين في التوصل إلى طريقة لفصل الحيوانات المنوية التي تنجب الذكور عن تلك المنجبة للإناث؛ حين تعرفوا على صفات كل منهما من حيث الوزن والشحنة الكهربائية المميزة. وهناك طريقة أخرى توصل إليها العلماء تتمثل في إعطاء الأم مناعة ضد البروتينات الموجودة فقط في خلايا الحيوانات المنوية (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٣).

وهناك طرق أخرى توصل إليها العلماء، من بينها ما اعترض عليه العلماء باعتباره لا أخلاقيا وهو ما تحدث عنه بيجوفيتش تحت عنوان (الإعقام اليوجيني)^(١)، حيث يتم فيه فحص الجنين بواسطة العوامل الوراثية، فإذا اكتشف أنه من النوع غير المرغوب فيه يعدل الطبيب عن زراعته في رحم الأم. (مواليد بلا أمهات في اليمامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠).

وقد أسفرت هذه التقنية عن آثار سلبية في بعض المجتمعات النامية، خاصة في الهند والصين، حيث تعتمد الأمهات إلى إجهاض أنفسهن في حالة الجنين الأنثى لأسباب اقتصادية واجتماعية قهريّة.

فالمجتمع الهندي يفضل الذكور على الإناث بسبب المهر الذي يتوجب على ولي الفتاة

(١) كلمة يوجيني نسبة إلى يوجينيا Eugénias وهي تعني دراسة الوراثة الإنسانية بهدف تحسين النسل البشري. من خلال التربية الاختيارية، أي اختيار أفضل العينات ومنع نمو أسوأها (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٨٩).

تقديمه عند زواجها. وعلى الرغم من أن الحكومة قد منعت عملية تحديد نوع الجنين في المستشفيات الحكومية، إلا أن العيادات الخاصة ما زالت تمارس ذلك سرا. ففي دراسة صدرت عن ولاية بومباي الهندية، وجد أنه من بين ٨٠٠٠ حالة إجهاض كانت ٧٩٩٧ منها لجنين أنثى. كما أشارت دراسة أخرى إلى أن عدد الإناث في انخفاض مطرد مقارنة بعدد الذكور في الهند، حيث تزايد العدد من ٩ ملايين عام ١٩٠١م إلى ٢٥ مليون عام ١٩٨١م، والسبب كما أشارت الدراسة هو انتشار ظاهرة إجهاض الأجنة الإناث.

كذلك في المجتمع الصيني الذي حدد فيه عدد المواليد لكل أسرة بسبب الزيادة الكبيرة في عدد السكان، فلأن غالبية الأسر تفضل الذكور على الإناث، فقد دفعها ذلك إلى استخدام تقنية تحديد نوع الجنين والتخلص منه إذا ما كان أنثى. وقد وصل الأمر إلى حد أنه في إحدى العيادات؛ بلغت نسبة حالات الإجهاض لأجنة إناث ٩٧.٥٪. وقد علقت إحدى الصحف الصينية على هذه الظاهرة بقولها :

" إن تفضيل الصينيين التقليديين للمواليد الذكور والتقدم التقني الذي يمكنهم من معرفة نوع الجنين يهدد البلاد بجيل من العزاب قد يصل إلى ٨٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠". (صحيفة الجمهورية اليمنية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ع ٩٩٦٦).

ولهذا وجدنا الملتقيات العالمية التي تهتم بالمرأة - في تأكيدها على نبذ العنف والتمييز ضد المرأة - تؤكد على لا أخلاقية هذه الممارسات، حيث جاء ضمن توصيات مؤتمر بكين ما نصه:

" القضاء على جميع أشكال التمييز ضد الابنة واستئصال أسباب تفضيل الابن مما يؤدي إلى ممارسات ضارة وغير أخلاقية، ومنها مثلاً وأد الأنثى واختيار نوع الجنين قبل مولده، ويتفاقم هذا الأمر في كثير من الأحيان بازدياد استخدام تكنولوجيات تحديد نوع الجنين مما ينجم عنه إجهاض أجنة إناث. " (وثائق بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٧١، فقرة ٢٧٧).

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتعريفها بالجوانب الإيجابية لهذه التقنية وتنبيهها إلى سلبياتها التي تحرم المولودة الأنثى حق الحياة بصورة همجية تتنافى مع الإنسانية.

ب - تأجير الأرحام:

وهذه التقنية يطلق عليها البعض " الأم المستعارة " ولها أشكال عدة ذكرها الدكتور

البار ومنها:

١- أن تؤخذ البويضة والحيوان المنوي لزوجين فتلقح في طبق ثم توضع في رحم امرأة أخرى تستأجر لذلك.

٢- أن تؤخذ البويضة والحيوان المنوي من رجل غير زوجها، ثم تزوج اللقيحة في رحم امرأة ثانية.

٣- أن يؤخذ الحيوان المنوي من الزوج فيلقح ببويضة مأخوذة من امرأة أخرى غير زوجته ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة (البار، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ص ٧٧-٧٨).

وهذه التقنية تطبق الآن في الغرب على نحو واسع لدرجة أنها أصبحت تنتج من المواليد من يشترك فيه خمسة من الآباء والأمهات: معطى الحيوان المنوي، ومعطية البويضة، وحاملة البويضة الملقحة، والوالدين الذين يقومون برعاية الوليد.

ولأن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان لا تستسيغ هذا الخلط العجيب، فقد وجدنا من بين الغربيين من يعارض هذه الممارسات غير الأخلاقية، سيما وأنه قد وجد أن كثيرا من الأمهات اللاتي يرغبن في الإنجاب بهذه الطريقة قد تجاوزن سن الإنجاب بكثير.

ففي مركز (سيفرنو اتينوي) بإيطاليا؛ أنجبت امرأة في التاسعة والخمسين من عمرها وأخرى في الثامنة والستين، الأمر الذي جعل المخاوف ترواد العقلاء من الساسة والعلماء، منهم وزير الصحة الفرنسي فيليب دوستي الذي علق قائلا:

"بالنسبة لي كانت صدمة كاملة، إن الأم ستكون في الثمانين من عمرها عندما يكون وليدها في الثانية عشرة." (غنام في العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ص ١٦٨-١٦٩).

وقد طالب البروفيسور (جان فرانسوا مايتبي) - وهو طبيب بارز وعضو في لجنة الأخلاقيات الفرنسية - المجتمع بوضع حد لما يجري، كما طالب بإيقاف التلقيح في أنابيب الاختبار رحمة بالأيتام الذين يمثلون سطح الكرة الأرضية، حيث استشهد بامرأة في الثانية والخمسين أصيبت أثناء حملها بشلل نصفي لم يمكنها من رعاية ابنها بعد ولادته (سوق دولية كل الأسرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٣٤).

وهناك أيضا علماء النفس الذين يقفون ضد هذه التجارب حيث يعتبرون الأم المنجبة أما غير حقيقية، بل إن البعض يذهب إلى تشبيه هذه العمليات بالعمليات الجراحية، حيث تعتمد المسنات إلى الحمل بهذه الطريقة رغبة في الخلود من خلال الأجنة دون أن

يفكرون في أنهم لم يعدن قدرات على مواجهة أمور تربية الأطفال الذين يحرمون من متعة وجود الجدة. (سوق دولية كل الأسرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ص ٣٤-٣٥).

ج - الهندسة الوراثية:

تعتبر الهندسة الوراثية من أهم التقنيات الحديثة التي تستند إلى أحد فروع علم الحياة وهو علم الحياة الجزيئي الذي يتعامل مع الحقائق والمعلومات الوراثية. وقد اكتشفت هذه التقنية في بداية السبعينيات من القرن الميلادي الحالي، وهي تقوم على "...إحداث تبادل (مسيطر عليه) في الصفات الوراثية بين الأحياء (عماش، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ص ص ١٥-٩).

وقد تمكن العلماء باستخدام هذه التقنية من " ربط صفات الكائنات الحية ودمج وظائفها بعضها ببعض من أجل إغناء قدراتها وتطويرها (عماش، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨، ص ١٥).

وحتى وقت قريب اقتصر استخدام هذه التقنية على المملكة النباتية؛ حيث ساعدت على تحقيق إنجازات هائلة فيما يتعلق بزيادة وتحسين الإنتاج الزراعي، إلى جانب إسهاماتها في تشخيص الأمراض الوراثية والأمراض الجينية، وكذلك في مجال صناعة الدواء؛ مثل صناعة هرمونات الأنسولين وهرمون النمو. (عفريت الوراثة.. في زهرة الخليج، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ع ٩٣٨، ص ٩٨).

لكن الحضارة الغربية المعاصرة التي تقيس كل شيء في الحياة بالمقياس المادي، وتنظر إلى الأمور من جانبها الاقتصادي فقط دون سواه، قد حاولت مؤخرا تطبيق هذه التقنية في مجال الحيوان وذلك من خلال ما يسمى بـ (الاستنساخ) الذي أثمر أخيرا عن توليد نعجة تمثل نسخة من النعجة الأم.

فقد قام فريق من العلماء بقيادة د. إيان ويلموت بمعهد روزلين في أدنبرة عاصمة اسكتلندا وبتنويل من شركة PPL للأدوية بإجراء تجربة ملخصها الآتي:

اختاروا نعجة من سلالة فين دورسيت Fin Dorset وأخذوا خلية من ضرعها ثم انتزعوا نواة الخلية التي تحتوي على جميع الصفات الوراثية للنعجة ووضعوها في بيئة غذائية بالمعمل.

أخذوا بويضة من نعجة أخرى من نفس السلالة وأزالوا نواتها ثم زرعوا بدلا عنها نواه خلية الضرع.

وضع الجنين الناشيء بهذه الطريقة في سائل حيوي مخصوص لوقف نشاط العوامل الوراثية الموجودة في النواة المزروعة لبعض الوقت.

عرضوا الجنين لتيار كهربائي محدد المقدار فحدث التحام واندماج بين النواة المزروعة وخلية البويضة منزوعة النواة، وأصبح لديهم جنين من خلية واحدة.

تمت زراعة الجنين في رحم نعجة ثالثة من نفس السلالة لتقوم بدور الوعاء الحامل للجنين، فأنجبت نعجة أخرى أسموها (دولي) تمثل نسخة طبق الأصل من النعجة الأولى. (زهرة الخليج، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٩٣٨، ص ص ٩٧-٩٨).

إن من واجب التربية أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بهذه الممارسات الناجمة عن التقنية الحديثة في مجال الإنجاب لتزيد من خبرتها بالواقع المعاصر الذي نعيش فيه. ولكن لا تكتفي بذلك بل تقيّم هذه الأمور من وجهة نظر الإسلام من أجل تحديد درجة الصواب والخطأ فيها.

وما من شك في أن ما أشرنا إليه من تطبيقات، يتنافى في كله أو بعضه مع السنن الفطرية والأخلاق البشرية، ولكن الجزم بذلك يحتاج إلى تضافر جهود علماء الدين وعلماء الحياة الذين ينبغي أن يتعاونوا من أجل تحديد موقف الإسلام من هذه الأمور، التي تجد رفضا من بعض المتخصصين الغربيين هناك، وعلماء الدين لدينا.

وقد عمل المحامي (جيرمي ريكفين) إلى إجراء دراسة عن الجوانب الأخلاقية والنفسية والاجتماعية لما يحدث في مجال تقنية الإنجاب. وطالب فيها " بوضع الحدود والموانع القانونية لهذا التسبب " إذ لابد من تجريم مصممي المواليد.

ويناقش الدكتور إبراهيم المحمود مسألة (تأجير الأرحام)، فيشير أولا إلى حفظ الأنساب الذي أكد عليه الإسلام لما يترتب عليه من أحكام شرعية. ثم ينتقد ما يحدث في الغرب من (تلاعب) بالأعراض والأنساب مما تنفر منه الطباع السليمة، إلى جانب ما فيه من إهدار للقيم والأخلاق. ويضيف بأن هذا الأمر ينذر بكارثة في المجتمعات الإنسانية لما يترتب عليه من تغيير في الأنساب، حيث تعم الفوضى ويكثر النزاع والهدم للأمم والشعوب. (في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٥٣).

ولأن الفطرة تأبى هذا الانتكاس. فقد وجدناها تستيقظ لدى إحدى (الأمهات بالتأجير) حيث دفعتها غريزة الأمومة إلى رفض تسليم الطفل لصاحبة البويضة بعد ولادته، رغم أنها وقعت عقدا على ذلك (البار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٦).

كذلك يؤكد د. محمد لطفي الصباغ، على أن تأجير الأرحام أمر شنيع وبعيد عن المنطق، وهو إنما يمثل عبثاً بالأجنة، لا يرضاه الإسلام الذي فتح الباب أمام من لا يستطيع الإنجاب بالزواج من أخرى. ويقرر الدكتور الصباغ أن هذه العملية تمثل تحويراً وتحويلاً للعلاقات الإنسانية إلى أمور مادية بحتة تقاس بالنقود. ويتساءل الدكتور بقوله: إن العلاقة بين الأم وجنينها تزداد يوماً بعد يوم وهو ينمو في رحمها، فكيف توجد هذه العلاقة وهو ينمو في رحم أخرى. (الصباغ في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٤٠).

وفيما يتعلق بالاستنساخ، نجد أنه على الرغم من أن التجربة المعلن عنها قد طبقت على الحيوان، إلا أنه ما أن أذيع خبرها حتى سرت موجة من الذعر بين الناس في مختلف أنحاء العالم، عبرت عنها ردود الفعل الكثيرة التي صدرت من قبل السياسيين والعلماء ورجال الدين.

أما مصدر الخوف فهو إمكانية التوصل من خلال هذه التقنية إلى إنسان مستنسخ يحمل الصفات الوراثية لشخص آخر من لون الشعر وشكل الجسم وحتى المزاج والأخلاق (هل هي تجربة.. في الإصلاح ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٣٦٥، ص ٣٢).

وقد جوبهت الهندسة الجينية بمعارضة قوية من قبل الأوساط الاجتماعية والدينية منذ السبعينيات؛ بسبب التخوف من استخدامها لإنتاج جيل جديد من البشر (إياد أحمد في العالم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٧م، ع ٥٦٠، ص ٥٢).

ولهذا وجدنا المخاوف قد زادت حين تمكن العلماء من تطبيق هذه التقنية في مجال الحيوان، متوقعين إمكانية تطبيقها على مجال الإنسان.

ومن ردود الفعل التي صدرت عقب الإعلان عن هذه التجربة أن رئيس السوق الأوروبية المشتركة طلب من الدول الأعضاء دراسة هذا الموضوع عن كثب لاتخاذ قرار أوروبي مشترك حول أخلاقية هذا الأمر، ومنعه إذا تطلب الأمر. وسارعت بريطانيا إلى تشكيل لجنة من المختصين بالتقنية الجينية من أجل وضع خطط لمنع استخدام هذه التقنية،

وقررت منظمة الصحة العالمية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عقد جلسة للخبراء لدراسة الموضوع بنهاية شهر مارس ١٩٩٧م. كما طالب الفاتيكان من حكومات الدول وضع قوانين تحرم استخدام هذه التقنية خاصة فيما يتعلق بالبشر، واعتبر ذلك تدخلا مباشرا في عملية الخلق (إياد أحمد في العالم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٦٠، ص ٥٠).

كذلك فقد قام رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (كلينتون)؛ بتشكيل لجنة خاصة من العلماء للبحث في تفاصيل هذه التجارب وتقديم تقرير مفصل عنها في غضون ثلاثة أشهر (العوضي في المجتمع، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٢٤٢٤، ص ٣٥).

ونجد الأنبا موسى أسقف الشباب بالكنيسة المصرية - وهو طبيب - يرفض عملية الاستنساخ لما تتضمنه من تغيير في الخلق، يخل بالعلاقة بين النوعين، الأمر الذي يهدد بإلغاء دور الأسرة (عبدالرحمن في الشعب، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١١٤٥).

بل إن مدير الأبحاث المسئول في شركة PPL التي مولت التجربة؛ قد اعترف بأنه قد وجد صعوبات بالغة في إقناع زوجته وابنه بالمبررات التي دفعته إلى تأييد هذه التجربة التي تنطوي - كما صرح هو - على "علم مرعب" (عفريت الوراثة.. في زهرة الخليج، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٩٣٧، ص ٩٩).

وفي استطلاع للرأي العام بأمريكا أجرته مجلة (تايم) أشارت النتائج إلى أن ٨٩٪ من الأمريكيين يعارضون الاستنساخ.

وتقديم هذه المعارف والخبرات للمرأة المسلمة المعاصرة يعينها على إدراك ما يستجد في عصرها؛ بحيث لا تتخلف عن معاشته. لكن يجب عدم الاكتفاء بذلك بل لابد من العمل على توعية المرأة بالجوانب الإيجابية والسلبية لهذه التقنية الحديثة، وكيف أن السلبيات إنما تنجم عن فقدان العالم الغربي للأمن النفسي الذي يدفعه إلى محاولة الاستمتاع بكل ما يمكنه التوصل إليه في هذه الدنيا.

ويعلق هشام العوضي على تقنية الاستنساخ، بأنه على الرغم من حداثة الموضوع وغموض الكثير من جوانبه إلا أن هذه القضية، إلى جانب قضايا أخرى مماثلة كالإجهاض، وقتل المريض بحجة اليأس من شفائه، وإخصاب بويضة الزوجة بماء رجل أجنبي؛ كلها تشترك في بعد واحد يتمثل في "انقطاع صلة هؤلاء الناس بالله، وغياب الأمل بحياة أخرى تتعوض فيها كل هذه الآلام من عقم، وأمراض.. إلخ. فالكثير من

هؤلاء الناس غير قانعين بالكيفية التي خلقه الله فيها، ويريد أن يفصل خلقه حسب مزاجه، وحسب هواه، ومن هنا كان رواج عمليات التجميل في الغرب، وهي عدوى انتقلت حديثا إلى الشرق أيضا."، وهناك أمر آخر يتعلق بإساءة الغرب لفهم معنى الحرية التي تدفعهم إلى فعل ما يرغبون فيه دون أن يفكروا في الأرواح البريئة التي يزهقونها باسم العلم. ونجدهم لا يتقبلون هذه الأفكار باعتبارها أخلاقيات ولا يدركون حتى الآن مدى حاجتهم إليها من أجل التخفيف من حدة إنجازاتهم التي لا ترضي سوى العلماء المدمنين للتجارب من أجل التجارب (العوضي في المجتمع، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٢٤٢، ص ٣٥).

كذلك ينبغي على التربية أن تنبه المرأة المسلمة المعاصر إلى انتكاس الفطرة لدى المرأة الغربية المعاصرة، التي أصبحت ترى في الأمومة موضة قديمة، لا تتناسب مع العصر الحاضر. فقد أشارت الدراسات الإحصائية لمراكز إحصاء السكان في بريطانيا لعام ١٩٩٥م أن ٢٠٪ من النساء المولودات في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات لن يصبحن أمهات إطلاقا؛ لأن الأمومة أصبحت في نظرهن تمثل موضة قديمة. (السالب والموجب في اليمامة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٧، ص ٨٢)، وينطبق الأمر نفسه على كثير من المجتمعات المتقدمة التي تشكل فيها النساء غير الراغبات في الحمل نسبة عالية، لكنهن في الوقت نفسه يرغبن في الحصول على طفل؛ مما يلجئ العلماء إلى التفكير في تحقيق رغباتهن، حتى وإن تعارضت مع القيم والأخلاق (السالب والموجب في اليمامة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٧، ص ٨٣).

٢- التقنية الحديثة والغذاء:

في ظل العادات الاستهلاكية التي تشيع في المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر بفضل التأثير بالقيم المستوردة، وفي ظل المناسبات الكثيرة التي يفيض عنها كثير من الأطعمة، إلى جانب أن كثيرا من الأسر تفضل شراء حاجياتها أسبوعيا أو شهريا لظروفها الاجتماعية التي لا تمكنها من استيفاء حاجاتها يوميا، إلى غير ذلك من الأسباب، فإن المرأة المسلمة المعاصرة تحتاج إلى أن تتعلم سبل الحفاظ على الأطعمة بحيث لا تفقد قيمتها الغذائية.

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة إمدادها بالخبرات اللازمة في مجال

التغذية ومن ذلك ما يتعلق بحفظ الأطعمة، واستخدام المعلبات. وتنبهها في الوقت نفسه إلى الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها أفراد الأسرة من وراء خطأ بعض الممارسات التي تشيع في مجتمعاتنا بسبب الجهل وقلة الوعي ومن ذلك:

١- استخدام أوراق الصحف في لف الأطعمة، حيث تكمن الخطورة هنا في حبر الطباعة.

٢- الأكياس البلاستيكية وخاصة السوداء، والتي وجد أن لها دورا في الإصابة ببعض الأمراض الخطيرة كالسرطان، وبعض أمراض الجهاز الهضمي، وأنها تزيد من نوبات الربو والحساسية للجهاز التنفسي خاصة عندما يتم حرقها. (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٥).

وحيث إن الطعام يمثل الطريق الأساسي لانتقال كثير من الكيماويات إلى أجسادنا، فإن برامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة لابد وأن تتضمن توعيتها بسبل الوقاية من ذلك.

فقد وجد أن للمخلفات الصناعية والمبيدات الحشرية أثر على النظام الهرموني للإنسان، يؤثر على المدى البعيد على خصوبته، وقدرته على الإنجاب. وهذه المواد تؤثر على الإنسان من خلال تناوله للأغذية المستمدة من مصادر حيوانية أو نباتية تكون قد تأثرت بهذه المواد، أو نتيجة لقذف نفايات المصانع إلى مختلف البيئات المائية، وانتقالها إلى الكائنات الحية بطرق مباشرة أو غير مباشرة. (النجار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٩١).

٣- التقنية الحديثة والجمال:

يعتبر التجميل صناعة العصر الحديث. حيث أصبح هناك فرق بين مفهومها في السابق ومفهومها الحالي.

ففي السابق كانت جراحة التجميل تعتبر من الأساليب العلاجية التي تجري من أجل إصلاح التشوهات الولادية والتشوهات الناجمة عن الحوادث المختلفة كالحروق وغيرها. لكنه تطور مع الزمن حتى أصبح بالإمكان - في ظل التقنية الحديثة - القيام بعمليات دقيقة هدفها التجميل باعتباره علما وفنا، حيث يمكن بواسطته تحسين الشكل وتغيير الملامح. فأصبح التجميل سلعة تجارية رابحة جدا في أيدي الجراحين، ومن ثم بدأ هناك سباق محموم في المجال بين شركات الليزر وشركات التجميل بغرض الاستثمار

المادي السريع (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

ونجد أن جراحة التجميل في الغرب قد خضعت في الوقت الحاضر لحملات دعائية كبيرة إلى درجة تحد من مصداقيتها كمنهج علمي يقوم على أساليب قانونية موثوقة، الأمر الذي دعا الكلية الملكية البريطانية للجراحين إلى تحذير المواطنين من الوقوع في مصائد الإعلام التجاري الذي تتبعه مؤسسات التجميل الحالية، حيث قد وجد من بين الأطباء من يحاول تعويض ثمن الأجهزة التي اشتراها بأي شكل. (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

وتشير الإحصائيات الواردة من هناك إلى أن ٩٥٪ من جراحات التجميل التي تجرى حالياً؛ هي من أجل تحسين أو تبديل الشكل دون ضرورة طبية، بل من أجل إرضاء رغبات نفسية من قبل نساء راغبات في الكمال الجسدي^(١). الأمر الذي علق عليه أحد الأطباء النفسيين بقوله: (إن من يجب ذاته وجسده بشكل كبير ويعطيها الاهتمام الأول، لا يمكن أن يكون معطاء بالقدر الذي يكون فيه شخص آخر. " (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

ومما يؤسف له أن من بين النساء المسلمات من اندفعن وراء هذه - الموضة - على غرار اندفاعهن وراء غيرها من الموضات - حيث تشير المصادر الى أن لبنان يعد في مقدمة الدول العربية التي استفادت من التقنية الغربية في مجال التجميل، حيث بلغت نسبة من أجريّن جراحات التجميل وفقاً للإحصائيات الرسمية ٤٧٪، وأن ٦٠٪ منها من أجل تجميل الأنف تليها عمليات تجميل الشفاه^(٢) (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م،

(١) من بين الغربيات من باعت منزلها لإجراء جراحة تجميل. ومنهن من خضعت لـ (١٥) عملية تجميل قبل أن تقتنع بشكلها. وتشير الإحصائيات إلى أن الغالبية العظمى من النساء يقبلن على إجراء عمليات معينة مثل تصغير الأنف، وشد الوجه، وتصغير أو تكبير الثدي، وإزالة التجاعيد (الخطيب .. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

(٢) تذكر المصادر أن غالبية القوائم بهذا النوع من الجراحة هن من الفنانات، ونساء الطبقة الراقية، لكن الممرضة آمال حداد من مستشفى أبو جودة بشرق بيروت، تشير إلى أن هذه الجراحة قد أصبحت الآن لا تقتصر عليهن، حيث تعتمد بعض النساء من العامة إلى توفير النفود من أجل إجراء مثل هذه الجراحة. (نصف نساء لبنان .. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٥٧).

فلا بد من توعية المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة هذا الفن ومدى توافقه مع القيم الإسلامية من عدمه، وذلك لأن تجميل الشفاه ^(١) إن هو إلا مصطلح حديث لفن قديم. فهو الوشم الذي نبه الرسول ﷺ إلى استحقاق من يفعلنه للعن والطرده من رحمة الله لما فيه من تغيير لخلق الخالق سبحانه وتعالى.

ونجد من بين عقلاء الغربيين من انتقد هذا النوع من الجراحة ومن بينهم الباحث جون ويلمز الذي يقول:

" من الأفضل تسخير التقنيات والأموال التي تصرف في المراكز التجميلية، في أغراض طبية مفيدة. فكثير من الأمراض القاتلة للجنس البشري تحتاج إلى مزيد من البحث، وكثير من الأمراض المشوهة تنتظر بحوث أطباء التجميل أنفسهم.

إن أقل شيء يستطيع أطباء التجميل فعله؛ هو البحث في الأمراض الجلدية المشوهة للإنسان مثل داء الفقاخ، والصدف والحزاز... إلخ. ولا يستطيع الأطباء تحقيق ذلك إلا إذا ساروا بمنهج علمي موثوق، وبرغبة ذاتية تعتمد على روح البحث العلمي وليس الهدف المادي (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

ومن الصرعات التي أبدعتها التقنية الحديثة في مجال الجمال أيضاً؛ تغيير لون البشرة، وذلك باستخدام المستحضرات التي انتشرت في الأسواق والتي يحذر كثير من الأطباء من استخدامها، الأمر الذي قاد رئيس جمهورية جامبيا (يحيى جامع) إلى إصدار قرار يحرم تغيير اللون البشري، وينذر من تقوم بذلك من النساء بالعقاب الذي يصل إلى حد الفصل من العمل إذا ما كانت عاملة. (منع البياض القسري.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٢).

وقد عمد الرئيس الجامبي إلى إصدار هذا القرار بعد أن انتشر بين نساء جامبيا مستحضر يسمى (خيصل)؛ وهو مزيج من مواد التجميل وقطع الزجاج، تستخدمه الأفريقيات ليصبحن أكثر بياضاً، دون الالتفات لمخاطره الكثيرة، والتي من بينها تسببه في إحداث فقاعات بياض في وجوه الأفريقيات. (منع البياض القسري.. في الشرق

(١) المقصود بتجميل الشفاه هنا؛ هو الوشم الحديث والذي يتحدد فيه شكل الشفتين والعينين، ثم ينقش عليهما بالإبر، ويحشى الموضع باللون الملائم (المطلوب)، فتصبح العينان كحيلتين على الدوام، وتصبح الشفتان دائمتي الحمرة. (مدني، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٧٦).

الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٢).

ونجد أن هذه النتائج السلبية قد حدثت أيضا مع المغني الأمريكي مايكل جاكسون، الذي عمد إلى تغيير لون بشرته مستخدما مادة كيميائية حارقة - الفينول - فأصبحت معاناته أسوأ حيث تعرض لشهوات أصبح من المستحيل علاجها. (الجميلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٥، ص ٦٩).

فينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة بخطأ مثل هذه الممارسات التي تدل على إصابة النفس بمرض عدم الرضا عن الذات، وكيف أن الجمال الجسدي لا يمثل سوى جانب واحد من جوانب الجمال، في حين أن هناك جوانب جمالية أهم منه وهي ما يتعلق بجمال الروح وجمال الخلق وجمال العقل والتي تدل على كمال شخصية صاحبها.

ولابد أن تؤكد التربية في نفس المرأة المسلمة المعاصرة أهمية الاعتزاز بانتمائها إلى الإسلام الذي يعمل على الحفاظ على توازنها النفسي، حين يجعل حياتها محكومة بآداب معينة، وهيئتها داخل المنزل وخارجه محددة بشكل معين، يبعدها عن الانزلاق وراء الأهواء والشهوات، ويجعلها دوما ساعية نحو ابتغاء مرضاة الله في سلوكياتها العامة والخاصة.

كذلك فقد أبدعت التقنية الحديثة ما يسمى بالعدسات اللاصقة وهي نوع خاص من اللدائن (البلاستيك) المصنع طبييا بإشراف ومواصفات خاصة. (المدني، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٤٥).

وقد عرفت العدسات اللاصقة كوسيلة للعلاج الطبي ومعالجة قصر النظر. كما عرف استخدامها على نطاق واسع في مجال الزينة وذلك باستخدام النوع الملون منها.

ويعتبر الأطباء أن ارتداء العدسات اللاصقة يمثل ضرورة في بعض الحالات مثل قصور النظر الشديد، خاصة لدى الشباب، وكذلك في حالة اختلاف قصر النظر بين العينين، وكذلك بعد إجراء عملية. (المدني، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٤٥).

هذا فيما يتعلق بالجانب الطبي من الموضوع.

أما فيما يتعلق بالجانب الجمالي فإنه ينحصر بصفة خاصة بالعدسات الملونة التي وجد أن استخدامها يكون غالبا ضمن نطاقين:

١- مجرد الرغبة في تغيير لون العين.

٢- في حالات نادرة جداً؛ يولد بعض الأشخاص بعينين مختلفتي اللون، مما يحتاج معه الشخص إلى وضع عدسة على إحدى العينين لتلوينها بلون العين الأخرى. (المدني، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٤٧).

ونجد من بين المسلمات من اندفعت _ بسبب غفلتها عن إدراك الغاية من وجودها _ إلى تقليد نساء الشرق والغرب فيما يتعلق بالعدسات اللاصقة، فراحت تستعملها من أجل تغيير لون العين بما يتناسب والموضات المتغيرة، أو لون الملابس.

ويشير د. سامي نعمة أخصائي جراحة العيون إلى أن العدسات اللاصقة - الملونة وغير الملونة - كلها غير مثالية مهما ارتفع ثمنها، وذلك لأنها تلتصق بقرنية العين وتمنع عنها الأكسجين، وأنه كلما مر الزمن عليها كلما ازداد خطرهما على العين، وازدادت إمكانية إصابة العين بالأمراض مثل الالتهاب والخراج والقرحة؛ ولذلك نجده يوجه بأهمية تنظيف العدسات وإجراء الفحص عليها دورياً، وهو يصف العدسات الملونة بـ (الجمال المضّر)، ويعتبر استعمالها دون مراعاة للمبادئ الصحية، أمر قد يعرض الإنسان لخسارة عينيه. (جراحة التجميل.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥).

فلا بد من تقديم المعرفة الصحية اللازمة التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على التمييز بين الصواب والخطأ فيما يتعلق بهذا الأمر. وكيف أن العدسات الملونة إلى جانب مخاطرها الصحية فإنها يمكن أن تنطوي على مخالفة شرعية واضحة تتمثل في تغيير الآخرين بلون العين خاصة إذا كانت من تضعها فتاة يتعرض لها الخاطبون، إلى جانب أن الإسراف في هذا الأمر يعد من التبذير الذي وصف القرآن الكريم أصحابه بأنهم ﴿الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وأهم ما يجب التأكيد عليه؛ هو تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة من الانخداع والوقوع في الفخاخ التي يحاول الشيطان أن يوقعها فيها، حيث إنه قد توعد بني آدم بالإغواء ومن ذلك تغيير خلق الله. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِينَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيَبْتَكُنَّ آذَانُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلَيَعْبَرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨].

فلا بد أن تتنبه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن هذا الهدف الشيطاني هو واقع ومحقق فعلا لدى من تعتمد إلى إجراء عمليات التجميل بغرض تغيير خلقة الله، أو من تعتمد إلى لبس العدسات اللاصقة أو الكعب العالي... إلخ بغرض الإغراء والتغيير. فمثل هؤلاء ينطبق عليهن وصف الغواية التي تتيح المجال للشيطان في التسلط عليهن، إلا من رحم الله، وفي ذلك يقول سبحانه و تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر].

٤ - الأشعة بمختلف أنواعها:

في ظل الاستخدام المتزايد للأشعة في كافة المجالات الحياتية؛ عمل الباحثون على البحث في الآثار التي تتركها الأشعة على صحة الإنسان على المدى البعيد، وكيفية تجنب ذلك أو محاولة التخفيف منه.

فمثلا أكدت نتائج أحد الأبحاث العلمية أن تعرض الأم الحامل للإشعاعات الموجودة حولنا في كل مكان يمكن أن يتسبب في تشوهات للأجنة قد تؤدي إلى موتها قبل أو بعد الولادة. ومن ثم جاء التحذير للأمهات من الجلوس طويلا أمام شاشة التلفاز، حتى لا تؤثر إشعاعاته على الجنين، ملفتين النظر إلى أن الجلوس أمام التلفاز يتسبب في ضعف الإبصار لدى الأطفال. كما أنه يؤثر سلبيا على صحة الإنسان على المدى البعيد بسبب جلوسه ضمن مجاله الكهربائي المغناطيسي. (كجك، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ١٢٤).

ومن الاستخدامات الحديثة للأشعة، استخدامها في فرن المايكرويف الذي يساعد على تحضير الطعام بسرعة. فقد وجد أن من سلبياته احتمال تسرب الأشعة من جوانب الباب، وكذلك استهلاكه لكمية كبيرة من الكهرباء. وهذا ما دعا العلماء إلى محاولة تطويره من أجل تفادي هذه السلبيات. وتعدى الأمر ذلك إلى محاولة إنتاج أفران تجمع بين سرعة المايكرويف والشكل التقليدي للطعام الخارج من الأفران العادية التي تعمل بالغاز أو الكهرباء، حيث توزع الموجات في عدة اتجاهات، بدلا من تركيزها على مكان معين بالفرن كما كان الحال في السابق. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٤٨٢، ص ٣٥). وعلى الرغم من هذه المحاولات التي يجريها العلماء في الحد من آثار المايكرويف السلبية على صحة الإنسان، إلا أن التجارب تؤكد على أن الإشعاعات يمكن

أن تتسرب محدثة أضراراً بالغة، وأنه لابد من استخدام هذا الجهاز على مسافة معينة باعتباره ناقلاً للموجات (عكاظ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٨١٣).

وهناك الحقول الكهرومغناطيسية، التي لا يقتصر وجودها حول خطوط النقل الكهربائي للتوتر العالي فقط، بل وحتى خطوط الوصل للمعدات والأدوات المنزلية العادية، التي يمكنها جذب الجزيئات الإشعاعية لغاز (الرادون) المسبب للسرطان. (عكاظ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٨١٣).

وقد قام الدكتور دي لوميس وبعض الباحثين في جامعة شمال كارولينا بأمريكا في عام ١٩٩٤م / ١٤١٤هـ بإجراء دراسة على النساء اللاتي توفين عن عمر يناهز العشرين فما فوق بسبب سرطان الثدي خلال الفترة من ١٤٠٥ - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٥ - ١٩٨٩م ، واللاتي تبين ملفاتهن طبيعة أعمالهن وتخصصاتهن. وأظهرت نتائج الدراسة أن نسبة سرطان الثدي تزيد بين العاملات في الكهرباء واللاتي يتعرضن لمجالات كهرومغناطيسية عالية بنسبة ٤٠٪ على اللاتي لا يتعرضن لهذه المجالات القوية. (الاقتصادية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢).

كما أظهرت نتائج الأبحاث التي أجريت على السكرتيرات في الولايات المتحدة الأمريكية، أنهن أكثر عرضة للإصابة بسرطان الثدي والمبايض، لكونهن يعملن في وسط تحيط به الأجهزة الكهربائية من كل ناحية، مثل الكمبيوتر، منظم الجهد، أجهزة الفاكس والتصوير، أجهزة الاتصالات، ومكائن الطبع الكهربائية، والتي تعد من أكثر الأجهزة الكهربائية مجالاً مغناطيسياً. (الاقتصادية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢).

وتشير بعض الدراسات إلى أن التعرض للمجالات الكهرومغناطيسية يشجع ويقوي نمو الخلايا السرطانية بما يتراوح بين ١٠-١٥٪، وذلك إنما يتوقف على عدة عوامل من أهمها: اختلاف الناس من حيث المناعة، وطبيعة التكوين، والعمر والنوع. حيث إن الأطفال ثم النساء أقل تحملاً للمجالات الكهرومغناطيسية؛ لأن خلايا الطفل أضعف، وجمجمته تظل مفتوحة إلى سن الثانية عشرة، ومقاومته للكهرباء أقل بكثير من الكبار (الاقتصادية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢).

ولذلك وجدنا من بين نتائج البحوث ما يحذر من نوم الأطفال في غرف مكتظة بمعدات كهربائية، لأن ذلك يجعلهم أكثر عرضة من غيرهم للإصابة بأمراض السرطان.

(عكاظ / ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ع ١٠٨١٣).

وأخيرا هناك الليزر^(١)، الذي - إلى جانب استخداماته في مجالات الطب وغيرها - قد أصبح اليوم يستخدم وعلى نطاق واسع في الاستعراضات وفي مجال الدعاية والإعلان.

وكلمة (ليزر) " مكونة من الحروف الأولى لعبارة باللغة الإنجليزية^(٢) تعني تضخم الضوء بواسطة الانبعاث المثار للإشعاع. وهذه العبارة تصف ما يحدث داخل جهاز الليزر " (وصفي، د. ت، ص ٣٠).

والليزر ذو طاقة هائلة مروعة؛ حيث يمكنه إطلاق طاقة تعادل طاقة الشمس، وتتميز بإمكانية التحكم فيها. ومن بين استخداماته المفيدة؛ الاستفادة منه في إجراء العمليات الجراحية الدقيقة، خاصة في العين البشرية، كما يمكنه إحداث ثقب في ألواح الصلب السميكة، وتدمير الأهداف المعادية في الحروب (وصفي، د. ت، ص ٢٩).

وقد وجد " أن الليزر المستخدم عادة في الاستعراضات والذي تبلغ طاقته أربعة واط^(٣)، يمكنه إنتاج أشعة بشدة مائة ألف واط بالمتر المربع عند مروره عبر بؤبؤ العين الذي يبلغ قطره سبعة مليمترات " إذا ما تجاوزت فترة النظر إليه زمنا محددًا (احذر الليزر.. في مجلة العالم، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع بصفة عامة، والمرأة المسلمة المعاصرة بصفة خاصة، بالأخطار التي يمكن أن تهدد صحتها وصحة أفراد أسرتها بسبب الأنواع المختلفة من الأشعة، بما يعينها على التزام سبل الوقاية والأمن لها ولأفراد أسرتها، سيما وأن استخدام أشعة الليزر بصفة خاصة قد انتشر انتشارا كبيرا بحيث أصبح

(١) الليزر عبارة عن ضوء أحادي الموجة يعكس الضوء العادي الذي يحتوي على موجات مختلفة بسبب ألوان الطيف الشمسي التي يحتويها. وخاصية الليزر هذه تزيد من خطورة أشعته بسبب تركز الطاقة ضمن طول موجي واحد. وهذا مما ينتج التأثير الملحوظ وهو انطلاق أشعة الليزر بخط مستقيم وبلون واحد وبدون أي تشتت يذكر؛ لهذا فإن سقوط أشعة الليزر على عين المشاهد يمكن أن يؤدي إلى تدمير شبكية العين ثم العمى المؤقت أو الدائم. (مجلة العالم، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

(٢) "LASER" light amplification by stimulated emission of radiation.

(٣) الواط: وحدة القوة الكهربائية اللازمة لإمرار تيار قدره أمبير واحد تحت ضغط فولت واحد، والفولت هو وحدة قياس القوة التي تدفع التيار الكهربائي خلال الموصل، والقوة الكهربائية (عدد وحدات الواط) في الدائرة = عدد وحدات الفولت × عدد وحدات الأمبير. (الموسوعة العربية الميسرة، د. ت، ص ١٣٦، ص ١٩٤٠).

يستخدم في المناسبات والاحتفالات العامة، مما يمكن معه لأي فرد أن يتعرض لتأثيراته. ونجد أن بعض المنظمات العالمية، ومنها وكالة الحماية الإشعاعية الوطنية البريطانية، قد بدأت مؤخرا في دراسية مخاطر هذه الأشعة وإعطاء توصيات حول مكامن الخطورة، للشركات التي تستخدمها في الاستعراضات، حيث لوحظ على هذه الشركات أنها تستخدم الليزر دون معرفة مسبقة بمواصفات السلامة والأمن التي تمنع أو تحد من آثاره السيئة على المشاهدين. (احذر أشعة الليزر.. في مجلة العالم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

كذلك بدأت بعض الدول ومنها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الاسكندنافية^(١) في وضع قوانين تمنع توجيه الليزر نحو المشاهدين حفاظا على سلامتهم. ونجد المختصين يوجهون النصح للمشاهدين بعدم النظر المباشر إلى مصادر هذه الأشعة. (احذر الليزر.. في مجلة العالم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٥٤، ص ٥١).

وإمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات اللازمة في مجال الأشعة من حيث مجالات استخدامها وآثارها الإيجابية والسلبية، يساعدها على إحسان الاستفادة منها بحيث لا تتجاوز في ذلك الحد الذي يمكن أن يشكل خطرا على صحتها أو صحة أفراد أسرتها.

٥- التقنية الحديثة ووقت الفراغ:

عملت التقنية الحديثة على منح المرأة المعاصرة الكثير من أوقات الفراغ التي كانت تقضيها في السابق في أعمال المنزل^(٢) - والتي لا تنتهي - فجاءت الأدوات المنزلية الحديثة، والإنتاج الآلي للأطعمة المخبوزة والمحفوظة والمجمدة؛ لتعفي النساء من القيام بكثير من المهام التي كن يقمن بها في السابق.

وقد عمدت التقنية الحديثة أيضا إلى إيجاد كثير من الوسائل لشغل هذا الفراغ منها ما

(١) SCANDINAVIA: هي عبارة عن البلاد الثلاثة التي تقع شمال غرب أوروبا، وتعرف بالسويد، والنرويج، والدانمارك، وترتبط بين سكانها صلات قوية، كما أن لغاتهم متشابهة. (دائرة معارف الناشئين، د. ت، ص ٢٩).

(٢) مازالت الكثير من النساء لدينا لا تحسن الاستفادة من وقتها، حيث نجدها بدلا من استغلال وقت الفراغ فيما يفيد، تقضي وقتها في أعمال المنزل - كما كانت في السابق - رغم توفر الأجهزة الحديثة. ولعل السبب في = ذلك يكمن في ارتفاع مقاييس النظافة كثيرا مما يجعل المرأة تقضي وقتا أطول في غسل الملابس وتنظيف المنزل.

هو مفيد فعلا، ومنها ما يهدف إلى تعزيز المصالح التجارية. وهنا تكمن أهمية تقديم الخبرات، وإكساب المهارات اللازمة للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تتمكن من استغلال أوقات فراغها فيما يعود بالخير عليها وعلى أسرتها ومجتمعها.

وفيما يلي نورد بعض الأمثلة لما تقدمه التقنية الحديثة من خدمات توفر كثيرا من الوقت والجهد وتساعد المرأة على إنجاز مسئولياتها بيسر وسهولة.

أ- التصميم المعمارية:

فقد دخل الكمبيوتر مجال التصميم المعمارية، حيث راجت في الوقت الحاضر فكرة تسخير خدماته من أجل تجسيم واقع المباني. فربة المنزل يمكنها الاستفادة من ذلك مثلا؛ في رؤية مطبخ المستقبل، حسب تصوراتها عنه، حيث يمكنها بواسطة الكمبيوتر رسم ملامح المكان ومواقع الأثاث والأجهزة المختلفة، والتعديل في التصميم بحسب الرغبة. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٤٨١، ص ٣٣).

وهذا الابتكار يوفر كثيرا من الوقت والجهد الذي قد تقضيه المرأة وهي تبحث عن تصميمات ملائمة.

ب - وصل الأجهزة المنزلية:

بفضل التقنية الحديثة؛ تمكن العلماء من إيجاد نظام اتصالات يمكن بواسطته وصل الأجهزة المنزلية مع بعضها عبر خطوط هاتفية أو كابلات كهربائية أو الأشعة فوق الحمراء. وهذه الاتصالات تعمل على تبسيط التحكم والمراقبة عن بعد، وتفيد كثيرا في مراقبة ما يحدث في أحد الأماكن أثناء التواجد في مكان آخر. وأهم المجالات الحيوية التي يمكن استخدام هذا النظام فيه، هو توفير حياة وسلامة المسنين والمعاقين من خلال التحكم عن بعد في درجات حرارة الجو، وضبط الأجهزة المنزلية الموجودة في غرفهم ضمانا لسلامتهم. (التحكم من بعد.. في الشرق الأوسط، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٧٠).

ج - التسوق عبر التلفاز:

التسوق عبر التلفاز عبارة عن خدمة جديدة مكنت التقنية الحديثة من تقديمها للمشاهدين في منازلهم. وما من شك في أن هذه الخدمة تعزز الأنماط الاستهلاكية الشائعة في الوقت الحاضر بفضل النمط الاقتصادي الغربي الذي انتشر في أرجاء العالم كافة. لكن التربية يمكن أن ترشد هذه الخدمة، وذلك من خلال توجيه المرأة المسلمة

المعاصرة إلى كيفية الاستفادة منها بما يوفر عليها الوقت والجهد في البحث عن احتياجاتها من السلع المختلفة. بحيث تعمل في الوقت نفسه على تنبيهها إلى ما لا يتلاءم معنا مما يسهم في تعزيز الأنماط الاستهلاكية.

ونجد أن خدمة التسوق عبر التلفاز قد تطورت عبر الأقمار الصناعية فيما أطلق عليه اسم Satellite shopping حيث يتم ارتداء جهاز منظار ينتقل بالشخص إلى داخل المحل، بحيث يطوف بين الممرات، ويتعرف على البضاعة، ويتحسسها بشكل مجسم تظهر فيه ثلاثية الأبعاد في الصورة الإلكترونية. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٠).

فمثل هذه الخدمة إذا ما توفرت في المجتمع المسلم فإنها يمكن أن توفر على المرأة المسلمة المعاصرة مشقة التوجه إلى المحلات التجارية، وعناء الازدحام إلى جانب إتاحة الفرصة لها للاختيار بين المعروضات بسرعة.

خامساً: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على مواكبة عصرها :

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه يوجه العقول إلى استخدام أنواع النظر العقلي المختلفة؛ مباشرة وغير مباشر، وذلك من أجل معرفة القوانين العامة التي تسيّر الوجود. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِضُوا يَنفُلِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

ونجد السنة النبوية أيضاً تحت الفرد المسلم على تحصيل الحكمة: حيث يقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها." (الترمذي، د.ت، ج ٤، العلم/ ١٨، ص ٤٩).

وتؤكد آيات القرآن الكريم على أهمية توجيه الإنسان في كل نشاطاته لينطلق من الأسس القيمية والضوابط الأخلاقية التي تحفظ له كرامته وإنسانيته وسموه، وتقيه من الانحطاط عن مرتبته. ومن ثم نجد أنها وهي تعرض لنا قصص الحضارات السابقة، تؤكد على أن السبب الأساسي في اندثارها هو الفساد العقدي والقيمي والانحراف عن الشرائع الإلهية. كما في قصص قوم لوط، وقوم هود، وقوم عاد.

وبذلك تحدد لنا آيات القرآن الكريم الميزان الذي ينبغي أن توزن به الحضارة لمعرفة مدى صوابها من انحرافها؛ وهو التوحيد والالتزام بقوانين الفطرة وقواعد الأخلاق.

فإذا كان إنسان الحضارة الغربية يستمد أفكاره ونظرياته ونظمه من واقعه فحسب،

فيستخلص منه الأفكار والقيم وأنماط السلوك التي تنظم حياته، فإن المجتمع المسلم على العكس من ذلك، يجب عليه أن يحاول دائما أقلمة الواقع وفقا لتصوره العقدي النابع من شريعته الموحاة من عند الله سبحانه وتعالى (عارف، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٥٤).

من ثم فإنه ينبغي توجيه أفراد المجتمع المسلم إلى الأسس الصحيحة للتقدم، الذي لا بد لهم من الأخذ بسبله بحيث ينطلقون من العقيدة، يصاحبها الفقه الشرعي الحضاري من أجل معالجة قضايا العصر بعقلية متفتحة قادرة على الاستفادة من منجزات الإنسانية النافعة، والارتقاء بالإنسانية إلى الآفاق السامية المطلوبة.

لقد أصبح العالم اليوم أقرب ما يكون إلى متندى حضاري تشترك في عضويته الأمم المختلفة، مما دعا إلى التقائها حضاريا لقاء يستدعي الحفاظ على الهويات الحضارية المتميزة لأسباب عقدية ووطنية لها دورها في إنهاض أمة كثيرة أو تراجعها؛ ولأن هذا الالتقاء أمر حتمي؛ فإنه ينبغي التعامل معه بحذر كما كان الحال في القرون الأولى حين التقى المسلمون بالحضارات الأخرى فأخذوا منها ما هو مشترك إنساني عام وتركوا الخصوصيات، وكما هو حال الحضارة الغربية المعاصرة التي أخذت عن الحضارة الإسلامية عمومياتها، في حين رفضت أبرز خصائصها وهو التوحيد، الأمر الذي أكسبها الطابع المادي الذي يسيطر عليها الآن (السايح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٢٢-١٢٧).

وأهم ما ينبغي الاستفادة منه من منجزات التقنية الحديثة، هو ما يتعلق بمجال التعليم، حيث نجدها قد أثمرت عن كثير من المنجزات التي عملت على تحديث أساليب التعليم القديمة وأثرت على أهداف التعليم، وزادت من حجم المعرفة العلمية التي يجب أن تنقلها الأنظمة التعليمية للمتعلمين.

لكننا ومع الأسف نجد أن المؤسسات التربوية في كثير من البيئات الإسلامية مازالت تستخدم طرقا بدائية بعيدة عن الاستفادة من التقنية الحديثة في مجال المعلومات؛ حيث يقضي الطالب شهورا عديدة في البحث والتنقيب عن معلومات معينة في كتب التراث؛ يتحصل عليها طالب الدول الغربية في دقائق معدودات بفضل التقنية الحديثة التي يسر سبل خزن المعلومات واسترجاعها.

ونجد بين المؤسسات التعليمية في الدول الغربية اليوم ما تملأ فصولها بالآلات التي توفر كثيراً من الخدمات في تيسير سبل إيصال المعلومات إلى المتعلمين وشحذ أذهانهم^(١). في حين لا يزال المجتمع الإسلامي يعاني من الأمية التي تشيع في أرجائه؛ خاصة بين النساء. (الصقير في العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٣٨، ص ١٦٢).

ومن ثم فإن على التربية الاستفادة من التقنية الحديثة في الارتقاء بمستوى المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تعمل على محو أميتها الأبجدية أولاً؛ ثم تنطلق إلى محو أميتها الحضارية، وذلك من خلال اعتماد التقنية الحديثة في تقديم المعرفة والمعلومات، وتدريبها على استخدامها للارتقاء بنفسها في كافة المجالات، وكذلك استثمار وسائل الاتصال التي وفرتها التقنية الحديثة، من أجل تقديم المعارف والخبرات اللازمة في إطارات جديدة جذابة ومشوقة تساعد على تكوين عقلية المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها متطلعة، مرنة، قادرة على الاستجابة لمتغيرات العصر.

إن الأنظمة التعليمية في جميع دول العالم " قد تعرضت لضغط رهيب من أجل القيام بتدريب واسع الاختلاف في نوعه لعدد من الناس يتزايد باستمرار. " (تاريخ البشرية، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، مج ٦، ج ٢، ص ٣٥٢)، والتربية في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة لمواجهة العصر، تحتاج إلى أن تلتزم بمتطلبات المجتمع الإسلامي ومقوماته، مستندة في ذلك إلى القيم الإسلامية الضابطة للمجتمع وأفراده، مع الحرص في الوقت

(١) بعض الدول المتقدمة، أنشأت ما يسمى بالجامعة المفتوحة التي تعتمد على التلفاز في بث المحاضرات، كما في بريطانيا والصين. (عكاظ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٩٩٢).

نفسه على المشاركة في صنع وتبادل المعلومات بما ينسجم مع عصر المعلومات الذي نعيش فيه، وذلك من أجل الانتقال من القشور التي يتيحها لنا الآخرون إلى اللب، حفاظا على كياننا الثقافي من التهديد.

لقد أدركت الدول المتقدمة أن التربية لديها ما تزال متخلفة عن التقنية، ومن ثم اجتهدت في توليد أنظمة جديدة من خلال إعادة النظر في بنيتها وأنظمتها التربوية. وما يصدق على تلك الدول يصدق علينا، مع فرق كبير يتمثل في أن الداء لدينا مزدوجا، حيث يشمل التخلف لدينا جميع المجالات الحياتية. (عبد الدائم، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٨)، ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تقديم الفتاة لنوع جيد من التعليم، بحيث يعدها لدخول أي ميدان يحتاجها فيه المجتمع، ويعرفها بالعلم والتقنية، ويحفز قدراتها على التطوير والتجديد الذي لا يخرج عن إطار ثقافتها ويواكب العصر في الوقت نفسه.

وهناك أمور مهمة ينبغي مراعاتها في التعليم الذي يقدم للمرأة المسلمة المعاصرة وهي:

- أ- أن يكون التعليم منظما على نحو يمنعها من التوقف عن الدراسة قبل الأوان.
- ب- بالنسبة للراشدا، فإنه ينبغي على التربية أن توفر لهن الفرص التعليمية والتدريبية التي تساعدن على التغلب على أميتهن الأبجدية والحضارية.
- ج- مراعاة (الاقتصاد الثقافي) والذي يعرفه عفيفي على أنه يمثل استخدام وسائل العلم الحديث في نقل أكبر قدر من المعلومات في أقل وقت ممكن دون الحاجة إلى سنوات أو واجبات إضافية، بحيث تختار الطرق الجيدة التي تتناسب مع مقتضيات العصر ومتطلباته. (عفيفي، د.ت، ص ٢٦٢).

ومن أجل تحقيق ذلك فإنه ينبغي على التربية أن تستفيد مما يلي:

أ- ما أبدعته التقنية الحديثة في مجال خزن المعلومات واسترجاعها مما يوفر كثيرا من الوقت والجهد.

ب- التجديد في طرق التدريس لجميع المواد، بما في ذلك مواد الثقافة الإسلامية، بما يساعد على التفكير والاستنتاج واعتماد التعلم الذاتي الذي يساعد على الإحاطة

بمشكلات الحياة المعاصرة والإسهام في حلها بدلا من الحفظ والاسترجاع الذي يسود الآن.

ج- أن تقوم التربية العلمية للمرأة المسلمة المعاصرة على أساس الإيمان بأهمية التقدم العلمي في نهضة الأمة والوصول بها إلى المستوى الحضاري المنشود.

د- تدريس مواد العلوم في مختلف المراحل التعليمية بما يساير التطورات العالمية من حيث المستوى والوسائل والكتب والطرائق والمختبرات وغيرها من وسائل الإيضاح.

هـ- الحرص على تقديم كل ما يجد في مجال التقنية في مختلف التخصصات، خاصة في ظل المتغيرات التي اضطرت كثيرا من النساء إلى الخروج للعمل دون رغبة منهن، فالتقنية الحديثة يمكن أن تقلل من خروج المرأة من المنزل، وذلك ما أشارت إليه التقارير المقدمة إلى مؤتمر (التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات)، حيث تحدث المحاضرون عن تدني أسعار التقنية في القرن المقبل، بحيث يصبح في متناول جميع الأفراد إمكانية اقتناء الأجهزة الضرورية التي تمكنهم من المشاركة في استقبال وإرسال المعلومات من وإلى المدارس والمستشفيات والمؤسسات الحكومية. (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠١٨).

وهناك عدد من الأهداف التي ينبغي توجه جميع مؤسسات التربية المباشرة وغير المباشرة من أجل وضعها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة وهي:

أ - إدراك عظمة الله وعظمة إبداعه، وذلك من خلال التفكير في منجزات التقنية الحديثة من وسائل الاتصال، والأجهزة الحاسبة، وأجهزة التحكم في حركات الأجسام السابحة في الفضاء وغيرها من المنجزات الدالة على عجائب ما أودعه الخالق في الإنسان من قدرات وطاقات مكنته من تحقيق هذه الإنجازات.

ب- تدريبها على الاستخدام الصحيح للسمع والبصر والفؤاد بما يمكنها من الربط بين آيات الله في الكتاب وآياته في الكون، مما يؤكد في نفسها عمق الإيمان بالله وعدم الانبهار بما يبعتها عنه.

ج- تنمية روح العمل والجد ونبذ الكسل والتواكل، وبذلك ينتفي من حياتها الزهد المقعد عن العمل رغبة في الآخرة، حيث تعلم يقينا أن العمل في الدنيا عبادة أي كان نوعه مادام يبتغى به وجه الله.

د- تربيتهما على رفض التبعية للغرب من خلال تنمية وعيها حتى لا تخدع بالعلوم المادية التي تصور لها الحضارة الغربية والمدنية الحديثة بصورة المنقذ للبشرية؛ لأنها إذا ما أدركت كبر الآثام التي يرتكبها الغرب في حق الشعوب الأخرى خاصة على مستوى البيئة - الكون - فإن ذلك يجعل ميزان الحسابات لديها مختلفا عن الشعور الحالي السائد لدى كثيرات من الغافلات ممن يعتبرن الغرب هو القائد ويقنعن بدور التابع.

هـ- الاهتمام بالتعليم المهني والفني لإبراز ميول الفتيات منذ الصغر، وتدريبهن على اكتساب وإتقان المهارات التي تمكنهن من أداء مسؤولياتهن المستقبلية، والإسهام بفعالية في تطوير المجتمع المحلي من حيث الإنتاج.

وقد تضمنت توصيات مؤتمر بكين توجيهها لدول العالم في الاهتمام بهذا الجانب لدى المرأة، ومن ذلك ما نصه:

" ينبغي وضع سياسات خاصة بالتعليم والتدريب وإعادة التدريب لضمان اكتساب المرأة مجموعة واسعة من المهارات بغية مواجهة المتطلبات الجديدة. وهناك حاجة إلى إيجاد سياسات تضمن توفير التعليم والتدريب المهني للفتاة والمرأة من جميع الأعمار، وزيادة الوصول إلى التعليم في مجالات العلم والتكنولوجيا والرياضيات والهندسة وتكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الرفيعة فضلا عن التدريب في مجال الإدارة." (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٢، الفقرة ٦٢: هـ).

و- تعريف المرأة بالعالمات من النساء اللاتي ضحين بالكثير في سبيل العالم في الماضي والحاضر، لتستمد منهن القدوة والحماس للسير في دربهن.

ز- الالتزام بالأصالة في السعي نحو تحقيق المعاصرة وذلك لأن لكل مجتمع متطلباته ومقوماته وتحدياته ومشكلاته النابعة من ظروف الزمان والمكان، وقيمه ومبادئه التي تأسس عليها منذ بداية قيامه.

ح- ملائمة المعرفة التقنية المقدمة للمرأة المسلمة مع احتياجاتها ومطالبها من حيث التدريب والإتقان لكل ما يساعدها على الإحسان في أداء مسؤولياتها.

ط- مقاومة الغزو الثقافي الذي يجعل الغرب الصورة الوحيدة للحضارة في عالم اليوم بحيث تتعرف المرأة على الصيغ الأخرى للحضارة الموجودة في عالم اليوم لدى دول شرق آسيا وأمريكا اللاتينية، والتي تشترك معنا في كثير من السمات، والتي اعتمدت على

خصوصياتهما في مقاومتها لهيمنة الغرب، وحاولت إنجاز مشاريع حضارية خارجة عن هيمنة الغرب (محمد في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٣٦).

ي- الاستفادة من منجزات التقنية الحديثة في الارتقاء بوضع المرأة المسلمة المعاصرة التي مازالت ترسف في قيود الأمية في كثير من البيئات.

فمثلا يمكن الاستفادة من وسائط الثقافة المختلفة خاصة الإعلامية منها في الارتقاء بوعي النساء ممن لم تتح لهن الفرصة لإكمال تعليمهن، بحيث تصل المعارف والخبرات إليهن في داخل منازلهن دون حاجة إلى مغادرتها.

كما يمكن من خلال نظم شبكات الاتصالات الحديثة توفير النصائح والمعلومات الصحية والدعم الاجتماعي خاصة لمن يعانون من مشكلات معينة.

ك- تنمية قدرة المرأة على التفكير العلمي وصقل فضولها الفكري بما يدفعها إلى معرفة المزيد عن العالم المحيط، ومن ثم استخدام معرفتها في حل ما يواجهها من مشكلات.

وسوف نورد فيما يلي أمثلة لما يمكن للتربية أن تقدمه للمرأة المسلمة المعاصرة في مجال التقنية من معرفة تساعد على الأخذ بما يتفق مع تعاليم ديننا وقيمه، والابتعاد عما يخالف ذلك.

سادسا: اتجاهات ومهارات ينبغي أخذها بعين الاعتبار في تربية المرأة المسلمة المعاصرة:

١- التدريب على الإحسان في استخدام الطاقة:

فالمرأة المسلم المعاصرة تحتاج إلى دراسات في هندسة الطاقة، وفروع التقنية المرتبطة بها، بأساليب مبسطة تزيد من معرفتها بمجالات استخدام الطاقة بفعالية، بعيدا عن الهدر الملاحظ لدى كثير من فئات المجتمع. ويتعلق بهذا المجال تعريف المرأة بالأجهزة والأدوات الكهربائية المختلفة، وتدريبها على كيفية الاستخدام الصحيح لها بما يطيل عمرها. ومن ذلك التعرف على الفولت والوات، ومقدار الاستهلاك الكهربائي لكل جهاز، سيما وأن المنزل الحديث قد أصبح مزودا بكثير من الوسائل التقنية المولدة للطاقة بأنواعها كالكهرباء والغاز والأشعة، والتي تساعد كثيرا في التخفيف من عناء ربة المنزل بما تقدمه من خدمات.

هذا عن المدينة أما في الريف حيث مازال استخدام الطاقة التقليدية من وقود وحطب وروث قائما، فإن الأمر يحتاج إلى تحديث الأساليب، ومن ذلك إدخال فكرة الطاقة الشمسية الموفرة اقتصاديا.

ويجدر بالذكر أن نشير هنا إلى أهمية قيام التربية بالتوعية بمضار الأساليب التقليدية في توليد الطاقة، والتي غالبا ما تتسبب بدخانها في إحداث أمراض بالجهاز التنفسي. (حمد وأخريات، د. ت، ص ٨).

٢- إمداد المرأة بالمهارات اللازمة التي تساعد على الإحسان في أداء مسؤولياتها:

فهناك كثير من المهارات التي ينبغي على التربية أن تهتم بتدريب المرأة المسلمة العاصرة عليها، ومنها:

أ- المهارات التي تمكنها من الحفاظ على الأمن المنزلي:

فالأسرة في المنزل معرضة لكثير من المخاطر داخل المنزل مثل الحرائق بسبب الغاز أو الكهرباء، والاختناق والغرق والتسمم وغيرها من الحوادث. ومن ثم فإنه ينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة بالسبل الكفيلة بتجنب الحرائق، وفي الوقت نفسه تمدها بالخبرات اللازمة التي تمكنها من إحسان التصرف إزاءها. وتدريبها على الأجهزة والأدوات التي ينبغي عليها استخدامها في مواقف عملية تضمن تمكنها من استخدامها بما يقضي على الأخطار حال وقوعها، بدلا من الخوف والهلع الذي يعتبر سمة النساء في مثل هذه المواقف مما يعوق المرأة و/ أو من حولها عن إحسان التصرف.

كذلك ينبغي الاهتمام بتوعية المرأة المسلمة المعاصرة بالمخاطر التي يمكن أن تتعرض لها الأسرة، من قبل عديمي الخلق والإيمان، ممن لا يتورعون عن الاعتداء على البيوت الآمنة، بحيث تدرب على المهارات التي تمكنها من صد أي عدون محتمل، وتعرف ببعض الأجهزة التي يمكن استخدامها في مثل هذه الظروف^(١).

(١) أدى الخروج غير المنضبط للمرأة الغربية إلى معاناتها من كثير من المشكلات؛ من أبرزها الاعتداءات الخلقية، وهذا ما دفع بالعقول هناك إلى ابتكار (الحارس الصامت للمرأة السائقة)، وهو عبارة عن تمثال على شكل رجل طويل وقوي البنية ويرتدي نظارة وقبعة كأنه حارس خاص، يجلس بجوار المرأة السائقة، فيعطي إيماء بوجود رفيق لها؛ الأمر الذي يمنع المغرضين من مضايقتها. والتمثال يشبه الرجل حقيقة، ويمكن بعد

ب- مهارات التمريض:

وهذه لا غنى عنها في كل أسرة. ومن ثم فإنه لا بد من أن تمد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات اللازمة عن أصول التمريض، والإسعافات الأولية، وتدريبها على المهارات المرتبطة بها مثل استخدام الحقن وقياس النبض وغير ذلك.

وبذلك تسهم المرأة المسلمة المعاصرة في مد يد العون لكثيرين ممن حولها خاصة في ظل انتشار كثير من الأمراض المزمنة في هذا العصر.

ج- مهارات منزلية مختلفة:

هناك كثير من أمور المنزل البسيطة يمكن للتربية أن تدرب المرأة المسلمة المعاصرة على القيام بها، لتكفي حاجة الأسرة فيها، وتسهم في الوقت نفسه في توفير النفقات فيما لو احتاج الأمر إلى إحضار من يقوم بها من خارج المنزل ومن هذه المهارات:

١- أمور السباكة البسيطة مثل إصلاح صنوبر، تسليك بالوعة، تغيير محبس.. إلخ.

٢- بعض أعطال الكهرباء البسيطة مثل خلل في تشغيل الأدوات الكهربائية المختلفة، عمل بعض التوصيلات اللازمة.

٣- بعض التطبيقات العملية في الفن والزخرفة والتي يمكن بواسطتها أن تقوم المرأة بتزيين منزلها وإضفاء لمساتها الخاصة عليه.

٤- بعض التطبيقات العملية في الصناعات الغذائية مثل المربيات والحلويات والأجبان.

٥- تطبيقات عملية في فن الحياكة والتطريز والتريكو الآلي واليدوي مما يساعدها على كفاية نفسها وأسرتها في ذلك.

٦- المرأة الريفية تحتاج إلى تدريب على المهارات التي تمكنها من الإحسان في أدائها لمسئولياتها المختلفة، خاصة الزراعية، حيث ينبغي إمدادها بالخبرات، وتدريبها على المهارات اللازمة التي تمكنها من الارتقاء بمستوى الإنتاج ومن ذلك تعريفها بالآلات الحديثة، وتعليمها كيفية استخدامها.

إفراغ الهواء منه حفظه في حقيبة بلاستيكية. (الحارس الصامت في مجلة حواء، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧، ع ٢١٠٦، ص ١١).

وإلى جانب ذلك ينبغي إمداد المرأة الريفية بالإرشادات اللازمة التي تساعد على الارتقاء بالوضع الصحي العام للمنازل والمطابخ والبيئة بصفة عامة، وكذلك تعريفها بالأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية، وآثار كل ذلك على البيئة وعلى الأغذية.

٣- إمداد المرأة بالخبرات والاتجاهات التي تعينها على الإحسان في اختيار ما يتعلق بأطفالها من أجهزة وألعاب:

إن من المسلم به أن اللعب حاجة من الحاجات المهمة لدى الأطفال، وأن إشباعها لا بد وأن يتم وفقا لأسس تربوية تراعي إلى جانب تحقيق الترفيه عن الطفل؛ أن تكون مناسبة لنموه الجسمي والعقلي والعمرى، وقبل ذلك أن تكون ملبية لحاجة الطفل المسلم بحيث تعزز لديه الانتماء إلى حضارته الإسلامية ولا تجرفه بعيدا عنها.

ونجد اليوم أن سوق الألعاب في غالبه يعكس ثقافة المجتمع الغربي بعيدا عن تراثنا الحضاري، لكن ذلك لا يمنع - كما يقول د. عبد الرزاق الحمد^(١) - أن يراعي المربون اختيار الألعاب التي يمكن صبغ مضمونها بالصبغة الإسلامية. (ألعاب موقوتة.. في اليامة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٣، ص ٢٣).

ومن ثم فإنه ينبغي إمداد المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات اللازمة في هذا المجال بحيث تتمكن من ممارسة دورها في توظيف الألعاب المعاصرة لخدمة أطفالها دون تبذير، ودون تهاون بالقيم، مع مراعاة الجانب الأمني في الموضوع.

وقد أشار د. محمد الوheid إلى أن من بين الألعاب ما هو مصنوع من مواد خطيرة كالألياف الكربونية والدهانات المشعة والروائح التي قد يكون لها تأثير المخدرات ونحوها، وكل ذلك يضع على عاتق الأسرة - وخاصة الأم - مسئولية الحرص على الوعي الكامل الذي يمكنها من تحديد الهدف التربوي والتعليمي للعبة وصلتها بعملية التطبيع الاجتماعي وسلامتها (من حيث المكونات)، ومن حيث خطورة الاستعمال (جارحة أو حارقة)، وكذلك من حيث الإسراف، والابتزاز بالثمن من قبل المصدر أو الموزع (ألعاب موقوتة.. في اليامة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٣، ص ٢٤).

(١) رئيس قسم الطب النفسي بكلية الطب / جامعة الملك سعود بالرياض.

٤- توجيهها إلى أهمية الالتزام بالأصالة في الاستفادة من منجزات التقنية الحديثة:

في غمرة الانبهار بالحضارة الحديثة، نسيت المرأة المسلمة المعاصرة -إلا من رحم الله- حقيقة انتمائها لخير أمة، ومن ثم عمدت إلى استبدال الخير بالأدنى، وانجرفت وراء تقليد الآخرين دون تمحيص. وما كان لذلك أن يحدث لولا أن شخصية المرأة المسلمة المعاصرة قد انهدمت عقديا وثقافيا وفكريا، مما ساعد على تقبلها للزيف، ودفع بها إلى التبعية والذوبان في الآخرين.

لقد أصبحت المرأة المسلمة المعاصرة زبونا مقلدا - دون أصالة - لحضارة غريبة، تفتح أبواب متاجرها أكثر من أبواب مدارسها مخافة أن يتعلم منها التلاميذ كيف يستخدمون مواهبهم في تحقيق أهدافهم. (ابن نبي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٦٥)، ومن ثم وجدناها مغرمة بكل ما هو غربي من حيث المظهر فقط، وذلك لأنها ورثت مناخ التخلف الذي يعيش فيه المسلمون، فلم تعد ترى من الحضارة المعاصرة سوى إنجازاتها المادية، في حين عميت عن رؤية الأسس التي توجه هذه الإنجازات من قيم وثقافة.

إن من الوهم الظن بأن الإنتاج المادي للتقنية الحديثة محايد ومجرد عن العبور بقيمه وثقافته التي نما في ظلها؛ لأنه فعلا ثمرة للمكون الثقافي والقيمي الذي أنبته وسبيل إليه، بمعنى أنه يمثل أحد المعابر الرئيسية لإشاعة القيم الثقافية لبيئته. (حسنة في مقدمة السايح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٣-١٤).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتبصيرها بحقيقة التقنية المعاصرة، وخلفياتها، بحيث تمكها بمساعدتها على اكتساب القدرة على التمييز بين ما يمكن أخذه منها وما يجب تركه، بناء على القيم والثقافة التي شكلت الأسس في بنائها، سيما وأن من بين المسلمات من هن في حاجة إلى تعريفهن بالتقنية الحديثة وكيفية استخدامها من أجل الارتقاء بوضعهن ووضع أسرهن في ظل التخلف الاقتصادي الذي يخيم على غالبية المجتمعات الإسلامية، والذي يضطر معه كثير من أرباب الأسر إلى هجرة أوطانهم في سبيل تحقيق سبل عيش كريم تاركين نساءهم مسؤولات عن إعالة أسرهم في غيابهم.

والاستفادة من نتائج العلم الحديث تقتضي الأخذ بالمنهج الذي طبقه المسلمون الأوائل، حين عملوا على تطويع ما أخذوه وفقا لتصورهم للحياة، والنشأة والمصير، وبذلك أصبحوا أصلاء وغير مقلدين، وذلك لأن الأصالة - كما يقول الأستاذ محمد

قطب - " لا تمنع الاستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية، التي هي في النهاية جهد بشري تتداوله الأمم، وتتداوله الأجيال - لكنها تمنع الدوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل "، ويضرب مثلاً لذلك بالبيت الذي هو من حيث المبدأ مأوى وسكن، لكن الفارق في المفاهيم وأثرها على السلوك يبرز من خلال المقارنة بين البيت في العمارة الإسلامية الأصيلة، وفي الجاهلية المعاصرة. فالأولى تعتبره صيانة للآداب والأخلاق والأعراض، بينما تتخذ منه الثانية استعراضاً لما أمر الله بستره عن أعين الفضوليين. (محمد قطب، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٠٥ - ١٠٧).

فالأشكال المادية التنظيمية هي وسائل تعبر عن مفاهيم الحضارة، ويأتي الإبداع في التنفيذ. لكن المسلم غالباً ما يفتن، فنجد في غمرة الاستفادة من نتائج العلم الحديث ينسى الاعتبار بها لكونها تأتي من غير بلاد المسلمين.

والأمر يحتاج إلى أن تقوم التربية بتوضيح الأسباب التي أدت بالغربيين إلى الانحراف بالعلوم المادية عن الأصل الذي كانت عليه عند المسلمين الذين أخذوها عنهم، وعظم الخسارة التي لحقت بالإنسانية من وراء الفصل بين العلم والدين، وإغلاق الفكر أمام عالم الروح لأسباب تاريخية.

ولابد من التأكيد على الفرق بين قيم ومفاهيم الحضارة الروحية التي تعتبر الدنيا مجرد جسر للآخرة حيث الجزاء والحساب، وحيث تظهر ثمرات العمل الصالح في الدنيا، وبين الحضارة المادية التي يحاول الإنسان أن يستغلها لمصلحته قبل أن يموت. فالحضارة الغربية حينما اقتبست أسسها من الحضارة الإسلامية التي سبقتها، رفضت أبرز خصائصها، وهو التوحيد، مما دفع بها إلى إخراج الدين من إطار العقل والدنيا.

بل إن الإسلام يمثل السبيل إلى التقدم الحقيقي لأنه يفرض قوانين التقدم، ويضع ضوابطه، لكن المسلمين متخلفون؛ لأنهم لم يأخذوا بالأسباب التي أوجبها الله على من أراد التقدم فتأخروا في حين أخذ بها الآخرون فتقدموا تقدماً سدده العقل لا الوحي، وشتان بين الاثنين.

ويؤكد ذلك ما نشاهده لدى بعض دول شرق آسيا الإسلامية، التي أخذت تخطو في طريق التقدم الحضاري منذ فترة، مما جعل الغربيين يتنبهون إليها، وبدأ علماءهم الاجتماعيون يبحثون عن سر نجاحها، من بينهم العالم (آرنست جلنر) الذي توصل إلى أن

السر يكمن في " الإسلام الرفيع "، أي الإسلام المعتمد على العقل والعلم والثقافة والمدنية الحديثة، بعيدا عن الخرافات، وأنه أساس بناء أمة إسلامية حديثة ناجحة (حوار مع أنور إبراهيم .. في المستقلة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٨٠).

وتنمية روح الأصالة والمعاصرة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة تتم من خلال توجيه المحتوى التربوي المقدم إليها من خلال جميع المؤسسات التربوية، الوجهة الإسلامية الصحيحة، بحيث لا يكون هدفا في حد ذاته، بل سبيلا إلى إدراك عظمة الله وترسيخ الإيمان به، وتحقيق السيطرة على الكون، واستخدام مسخراته في عمارة الأرض وفق شريعة الله، بحيث ينعكس أثر ذلك على استفادتها من المنجزات التي توصلت إليها الحضارة الغربية، فلا تندفع وراءها بدون وعي، بل تنظر إلى مدى ملائمة ذلك لتصورها الإسلامي عن الوجود كله.

* * *

المبحث الثالث عشر

التربية وطبيعة المرأة بين الإسلام وعلم النفس

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد أنهما يقدمان عالم النفس بأجلى صوره وأدق معالمه وعموم حكمته بما يشير إلى منهج التربية الإسلامية التي تحرص على بناء النفس البشرية على كيفية تجعلها ترقى بالعلم والفهم والتسليم بحكمة الله سبحانه وتعالى في كل الأمور، بحيث ينعكس أثر ذلك على سلوك الفرد المسلم في واقع حياته ويجعله يعيش في أمن وطمأنينة وراحة بال.

وسوف نحاول في هذا المبحث التعرف على بعض الجوانب النفسية للمرأة التي ينبغي على التربية أخذها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة وذلك من خلال الحديث عن:

- ١ - حقيقة الاختلاف بين النوعين (الذكر والأنثى).
- ٢ - دور التربية في توجيه المرأة عبر مراحل نموها المختلفة.
- ٣ - صفات نفسية اختصت بها المرأة.
- ٤ - دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على التمتع بالصحة النفسية.
- ٥ - بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة.

أولاً: حقيقة الاختلاف بين النوعين: الذكر والأنثى:

خلق الله الناس من بنى الإنسان متفاوتي القدرات والمواهب، وهذا الاختلاف والتنوع هو الذي يكفل تحقيق مطالب المجتمع ومسيرة الحياة. ونجد أن هذا الاختلاف فيما يتعلق بالرجل والمرأة هو أكثر عمقا ووضوحا.

وفيما يلي سوف نتناول أهم جوانب الاختلاف والفروق التي أشارت إليها الدراسات الطبية والنفسية والاجتماعية وذلك من خلال تقسيمها إلى ثلاثة أقسام^(١):

- ١ - فروق جسمية.
- ٢ - فروق عقلية.
- ٣ - فروق وجدانية.

(١) هذا التقسيم واستنتاج الفروق هو خلاصة النظر في المراجع التالية: اهيلة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٤ - ٥ / ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٥٩، ٢٤٩ - ٢٥٠ بتي فريدان، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ١٨٤ - زكريا إبراهيم، د.ت، ص ٢٥ - ٢٠٤، p. 189-191, 1986, Rahman.

١ - الفروق الجسمية بين النوعين:

يؤكد العلماء أن جميع الفروق بين النوعين من الناحية الجسمية تنتج عن الاختلاف في الوحدة الأساسية لتكوين الجسم وهي الخلية وفي ذلك يقول الكساس كاريل:

" إن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الأشكال الخاصة بأعضائهما الجنسية والرحم والحمل، وهي لا تتحدد أيضا في اختلاف طرق تعليمهما، بل إن هذه الفوارق هي ذات طبيعة أساسية، من اختلاف نوع الأنسجة في جسم كليهما، كما أن (المرأة) تختلف عن (المرء) كليا، في المادة الكيميائية التي تفرز من مبيض الرحم داخل جسمها، والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الأساسية، فيدعون أنه لابد أن يكون لهما نوع واحد من التعليم والمسئوليات والوظائف. ولكن المرأة في الواقع تختلف عن الرجل كل الاختلاف؛ فكل خلية من جسمها تحمل طابعا أنثويا، وهكذا تكون أعضاؤها المختلفة، بل وأكثر من ذلك هذه هي حال نظامها العصبي " (كاريل، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٩٣).

وقد توصل العلماء إلى كثير من الفروق بين النوعين نشير إلى أهمها فيما يلي:

من حيث الشكل: بنية المرأة أدق من بنية الرجل، وجسمها مزود بأجزاء تساعد على الحمل والرضاعة، وهناك فروق ظاهرة تبرز في شكل الأعضاء التناسلية، ومن حيث الوزن: يزيد الذكور على الإناث عند الولادة بنحو ٥٠٪، ويظل هذا الفارق واضحا حتى سن الحادية عشرة، حيث ينقص ليصبح الذكور في حوالي الرابعة عشرة أقل وزنا من الإناث بنحو ١٥٪، ثم يستعيد الذكور وزنهم عند الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. وفي العشرين يتفوق وزن الذكور على الإناث بنحو ٢٠٪، ومن حيث الطول: الذكور أطول من الإناث منذ الولادة وحتى سن الحادية عشرة بنحو ٢٪، وفيما بين الحادية عشرة والرابعة عشرة؛ ينعكس الأمر لتصبح البنات أطول حتى حوالي السابعة عشرة حيث يأخذ طول الذكور في الازدياد، ويستمر حتى حوالي العشرين، حيث يزداد نمو الذكور بنحو ١٠٪، ومن حيث حجم المخ: متوسط حجم مخ الرجال أكبر قليلا من متوسط حجم مخ الإناث، كذلك فإن الجزء المتعلق بالعاطفة لدى الإناث أكبر، في حين أن الجزء المتعلق بالتفكير أكبر لدى الذكور، ومن حيث الطاقة الحيوية: فهي لدى الذكور أشد وأقوى وذلك على النحو التالي:

- في السادسة بنحو ٧٪. - في العاشرة من ١٠-١٢٪.

- في العشرين بنحو ٣٥٪.

ومن حيث قوة العضلات: يتفوق الذكور على الإناث في مختلف مراحل العمر، فمثلاً قوة ضغط اليد اليمني عند الولد أقوى من البنت بنسبة ١٠٪ في سن السابعة، وتنمو عندهما تدريجياً إلى أن تتوقف عند البنت في السادسة عشرة، بينما تستمر عند الولد حتى التاسعة عشرة، ويبلغ معدل التفوق ما بين ٥٠-٦٠٪. ومثل ذلك يلاحظ في عضلات الظهر والأرجل. ومن حيث البلوغ: ترجع كثير من الفوارق الجسمية مباشرة إلى عامل النضج والبلوغ. وغالبا ما تبلغ الإناث قبل الذكور بحوالي سنة مما ينتج عنه تطورات سريعة لديهن. وتتعرض الفتيات في فترة البلوغ إلى مجهودات عصبية قد تجعلهن أقل قابلية للعمل، ويمكن أن تحد بعض الشيء من انتباههن العقلي، وهناك فروق أخرى من أبرزها:

* صوت المرأة أكثر لطفاً ونعومة من الرجل.

* مقاومة المرأة لغالبية الأمراض أكثر من مقاومة الرجل.

* المرأة أسرع من الرجل في العجز عن الإنجاب.

* أعصاب المرأة أقل قوة من الرجل.

* قدرة المرأة على تحمل الألم أكبر من الرجل.

* عمر المرأة أكبر من عمر الرجل بحسب الإحصاءات الحديثة.

* عدد الكريات الحمراء لديها أقل.

* قدرتها على التنفس أضعف.

٢- الفروق العقلية بين النوعين:

تشير الدراسات إلى أن المرأة ليست أقل ذكاء من الرجل، لكن ذلك لا ينفي وجود فروق عقلية أخرى لا تظهر في العمليات العقلية المعقدة، وإنما تظهر في العمليات العقلية البسيطة؛ من بينها أن البنين يدركون الأفكار والآراء قبل إدراك الأشخاص الذين تصدر عنهم تلك الأفكار، في حين تنصرف عناية البنات إلى الأشخاص بالدرجة الأولى.

ولذلك نجد اهتمام الإناث ينصب على الأشكال الظاهرة بصورة مباشرة، في حين ينصرف اهتمام الذكور إلى ما هو أبعد وأكثر عمقا.

ويؤكد كثير من العلماء وجود فروق كبيرة في النمو اللغوي بين الذكور والإناث، فالإناث يتفوقن في الثالثة ثم يلحق بهن الصبيان فيما بين الثالثة والحادية عشرة، حيث تستعيد الإناث تفوقهن. وقد أكدت نتائج إحدى الدراسات تفوق الإناث من أفرد العينة على الذكور مدى الحياة.

كما أوضحت دراسة أجريت حديثا؛ أن الفروق اللغوية بين الذكور والإناث ترجع إلى أن هناك فوارق متميزة في التعامل مع الأمور اللغوية من قبل دماغ كل منهما؛ فالرجل يستخدم الجانب الأيسر فقط من الدماغ للتعامل مع المسائل اللغوية، في حين تستخدم النساء الجانبين، لذلك فهن أكثر إتقانا في الأداء. (مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٧٦، ص ٣٣).

كما أظهرت الملاحظات على جميع الأطفال العاديين والموهوبين وضعاف العقول؛ أن الإناث يبدأن في الكلام قبل الذكور، وأنه في جميع المراحل العمرية، تكون نسبة الإصابة باضطرابات الكلام أو التأخر في القراءة أقل عند البنات.

وقد وجد أنه في مرحلة المراهقة؛ تظهر الإناث تفوقا على الذكور في اختبارات المهارة اليدوية والرشاقة، في حين يتفوق الذكور في القدرة الميكانيكية.

٣ - الفروق الوجدانية بين النوعين:

يعد ضبط هذه الفروق أكثر صعوبة من تحديد الفروق الجسمية والعقلية. وما توصل إليه الدارسون هنا، يتعلق بما أمكن ملاحظته من ظواهر قد تبطلها المقارنات ونتائج الاستقصاء.

ومن أهم الفوارق الوجدانية التي لاحظها العلماء^(١):

- المرأة أكثر انفعالا وأكثر هيجانا من الرجل.

- المرأة أقل ثباتا من الناحية العاطفية.

(١) انظر في ذلك: عاقل، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٢٥ - مطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦، ص ١٩٠ - ١٩١، ص ٢٠٤.

- المرأة أكثر خوفا من الرجل.
- المرأة أكثر رقة وسريعة التوسل بالبكاء والحيلة أحيانا.
- تميل المرأة بشدة إلى التزين بعكس الرجل.
- المرأة ألسن من الرجل.
- المرأة أكثر قدرة على الصمود أمام متاعب الحياة اليومية من الرجل.
- تحجم المرأة عن استخدام العنف ضد الآخرين وضد نفسها؛ ولذلك تنخفض نسبة الانتحار بين النساء.
- إحساسات الرجل مطبوعة بالحاجة، بينما إحساسات المرأة مطبوعة بالإثارة.
- الرجل يجد في أعماقه رغبة في اقتحام الأخطار، في حين تحرص المرأة على الابتعاد عنها.
- المرأة لا تجد حرجا في طلب المساعدة من الآخرين، في حين يجب الرجل الاعتماد على نفسه ولا يلجأ إلى طلب المساعدة إلا عند الضرورة التي يعجز فيها عن تحمل المسؤولية.
- عادة ما يتميز الذكور منذ الصغر بالقلق والعناد والإصرار، في حين تستسلم الإناث لتيار الحياة السهلة حتى وهن رضع.
- الذكور أكثر ميلا للعدوان، ويظهر ذلك مبكرا جدا. وتشير الدراسات إلى أن الذكور يصرفون من وقتهم في العدوان ضعف الوقت الذي تصرفه البنات فيه.
- فينبغي على التربية في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة أن تتخذ من هذه الفروق بين النوعين - والتي أثبتها علماء النفس وعلماء التشريح في العصر الحديث - منطلقا لتأكيد حكمة الخالق سبحانه وتعالى التي اقتضت خلق كل من الذكر والأنثى لمهمة محددة، وكيف أن المنادين بالمساواة بينهما؛ يعمدون إلى مخالفة الفطرة والسنن التي أودعها الخالق في الكون والتي تعود بأسوأ الآثار على الإنسانية كلها بصفة عامة وعلى المرأة بصفة خاصة.
- ونجد هناك من يذهب إلى اعتبار أن الاختلافات الفطرية بين النوعين إنما هي دلالة نقص في المرأة وكمال في الرجل، ومن ثم فإنها تستدعي جملة من المكاسب يتمتع بها الرجل

وسلسلة من الحرمان تلحق بالمرأة.

وهؤلاء يغفلون عن أن هذه الاختلافات لم تقم على أساس النقص والكمال؛ فحاشا للقدرة الإلهية المبدعة أن توجد خلقا ناقصا محروما وآخر كاملا يحظى بامتيازات، وإنما هو من باب التنوع الذي يكفل تحقيق مطالب المجتمع ومسيرة الحياة، وهو أشبه ما يكون بالتفاوت بين أعضاء الجسم الواحد، حيث تعمل جميعها من أجل تحقيق أهداف مشتركة. (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٥، ص ١٨٤).

ويؤكد ذلك البروفيسور (ريك)؛ الذي قضى عددا من السنوات وهو يدرس أوضاع كل من الرجل والمرأة، واستنتج من خلال دراسته استحالة أن تعمل المرأة، أو أن تفكر مثل الرجل. وهو يقول بأنه رغم ما جاء في التوراة مما ينص على أن الرجل والمرأة قد خلقا من "لحمة واحدة"، لكن مع ذلك فهما يختلفان اختلافا أساسيا من حيث التركيب، ولذلك لا نجد لهما رد فعل متشابه إزاء الأحداث؛ إذ يعملان وفقا لمتطلباتهما النوعية بشكل متفاوت. فهما مكملان لبعضهما، ومن هنا استطاعا العيش معا (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٩٣).

ومن ثم فإنه ينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية إدراك حقيقة الفروق التي أوجدها الخالق بينها وبين الرجل، وكيف أنها تعد من أبرز عجائب إبداعه سبحانه وتعالى، وتمثل درسا في التوحيد يدل على النظام المحكم الذي يسير عليه الكون.

فهو سبحانه وتعالى قد أوجد جهاز التناسل من أجل بقاء النوع وحفظه؛ وليتحقق ذلك كفل للحياة التعاونية بين الزوجين ما يدعمها من عوامل الجذب التي تدفع كلا منهما إلى استمالة الآخر إليه، لما يجعله مريدا لسعادة الآخر واستقراره ملتذا بالتضحية والإيثار كل في سبيل الآخر (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٩٥ - ١٩٦).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم].

ولو نظرنا إلى الحضارة الحديثة التي بهر بها المسلمون، وقارنا بين نظرتها للمرأة ونظرة الإسلام إليها لوجدنا البون شاسعا جدا. فالإسلام ينظر إلى كل من الرجل والمرأة باعتبارهما متكاملين، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

أُنْتِ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴿آل عمران: ١٩٥﴾، في حين تنظر الحضارة الحديثة إليهما على أن كلا منهما صورة طبق الأصل للآخر. والإسلام يقضي باختلاف دوائر عمل كل من النوعين، في حين ترى الحضارة الحديثة أن مجال عملهما واحد. (خان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٢٨).

ونجد أن المجتمعات الغربية قد مارست المساواة بينهما منذ حوالي قرن من الزمان، لكن مع ذلك لم تتمكن المرأة الغربية من أن تحل محل الرجل في كل أعماله^(١). ونجد الدراسات العلمية تثبت أن الفروق بين النوعين ليست نفسية فقط بل وحيوية على نحو حاسم يميز بينهما بما يؤكد أنها طبقا "لتصميمهما لا يصلحان لعمل واحد". ونجد أنه إلى جانب عدم صلاحية المرأة للقيام بعمل الرجل؛ فقد أدى خروجها للعمل وإهمالها لوظيفتها الأساسية، إلى كثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية الخطيرة التي أشرنا إليها سابقا.

ولابد أن تعمل التربية على تثبيت الخصائص الفطرية لدى المرأة وصقلها، وذلك من خلال إتاحة الفرصة لها لتمارس مهامها ومسؤولياتها في توازن تام، بعيدا عن الغلو والانحراف سواء من جانب المرأة أو من جانب المجتمع.

ويبلغ التطرف مداه من جانب المرأة؛ حين تعمد إلى التشبه بالرجال، فتطالب بالمساواة معه في كل شيء، وهو ما عليه حال المرأة الغربية اليوم، وحال الغافلات من المسلمات اللاتي أشرنا إليهن سابقا، في حين أن التطرف من قبل المجتمع يحدث من خلال المبالغة في تمييز المرأة عن الرجل، بحيث ينظر إليها على أنها أقل منه إنسانية، ومن ثم تمنع عن ممارسة حقوقها التي كفلها لها الإسلام، مثل حرية الاختيار، وحرية الإرادة وحق المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تتفق مع الضوابط الشرعية. (أبو شقة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ج ١، ص ٣٠١)، فالمرأة حينما تتجه إلى التشبه بالرجال؛ إنما تنطلق من دوافع الشعور بالنقص والجهل بأسباب التفوق الحقيقية التي تشير إليها الآية الكريمة في قوله

(١) في عام ١٩٧٠م؛ أعلن الدكتور "ادجار برمان" أن المرأة لا تصلح لتولي المناصب القيادية، سواء الإدارية أو السياسية، وذلك بسبب التأثير الهرموني عليها قبل فترة العادة الشهرية. وقد قام الاتحاد الأمريكي للعلاج النفسي بإصدار بيان اعترف فيه بأن المرأة تصاب اضطراب نفسي في تلك الفترة. (باجير.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٧٨).

تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ونجد الكساس كاريل، العالم الأمريكي، يدرك هذه الحقيقة حين يشير إلى أن قوانين وظائف الأعضاء محدودة ومنضبطة كقوانين الفلك، حيث لا يملك الإنسان إحداث أدنى تغيير فيهما بمجرد الأمنيات البشرية، ومن ثم وجب التسليم بحقيقة الفروق بين النوعين بحيث تعمل النساء على تنمية قدراتهن ومواهبهن بما يوافق الفطرة التي فطرهن الله عليها بعيدا عن تقليد الرجال. "(كاريل، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١٠٩).

ثانيا: دور التربية في توجيه المرأة عبر مراحل نموها المختلفة:

من الحقائق الواضحة أن المرأة تتعرض لتغيرات كثيرة تطرأ على نموها الجسمي، وتؤثر على نموها النفسي، وذلك عبر مراحل نموها المختلفة. وهذه التغيرات تحتاج من التربية إلى أن تأخذها بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تمدّها بالخبرات والمعارف اللازمة التي تساعدّها على المحافظة على أمنها النفسي.

وسوف نتناول فيما يلي أهم المراحل التي تمر بها المرأة ونوضح دور التربية المنشود حيالها، وهذه المراحل هي:

١- مرحلة ما قبل البلوغ. ٢- مرحلة البلوغ. ٣- مرحلة الأمومة.

١ - مرحلة ما قبل البلوغ:

مرحلة ما قبل البلوغ ذات أهمية كبرى في حياة المرأة، حيث يشير علماء النفس إلى أنها قد تمر خلالها بأحداث وتجارب تترك أثرها على نفسياتها طوال حياتها. (إبراهيم، د.ت، ص ٦٥).

وفي كثير من البيئات نجد الأهالي يبدؤون في إعداد بناتهم للزواج منذ سن مبكرة جدا وذلك من خلال تزويدهن بالخبرات والمهارات اللازمة بحسب البيئة التي يعيشون فيها.

وقد يلجئون في ذلك إلى ممارسات لا إنسانية، مثل "ظاهرة التعليف" التي أشارت إليها إحدى مندوبات موريتانيا في المؤتمر الرابع للمرأة في بكنين ضمن ورشة العمل الخاصة بالعنف الممارس ضد المرأة، حيث ذكرت بأنه يتم في موريتانيا إرسال الفتاة التي لم تتجاوز العاشرة من العمر إلى القرية، وهناك يفرض عليها شرب كمية من اللبن مقدارها ٣٠ لترا لتسمن، وذلك بغرض إعدادها للزواج المبكر. ومن تمتنع تضاعف لها الكمية،

وإذا تقيأت كذلك، ففى رأيهم أنها كلما وزنت أكثر؛ كلما كانت (أجمل) " (الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٥٧).

ويشير علماء النفس إلى أن الفتاة في مرحلة ما قبل البلوغ تتميز بصفات عدة من بينها:

أ- الرغبة في العمل:

من أبرز مميزات الفتاة في مرحلة ما قبل البلوغ؛ الميل إلى النشاط، والرغبة في العمل (إبراهيم، د.ت، ص ٧٢)، الأمر الذي ينبغي أن تأخذه التربية بعين الاعتبار في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تبني برامجها بما يضمن تزويدها منذ الصغر بالمهارات اللازمة التي تمكنها من أداء مسؤولياتها، والإسهام بقدراتها في تنمية المجتمع وتطويره، في الحاضر والمستقبل^(١).

ب- حب الاستطلاع:

في هذه المرحلة من العمر، غالبا ما تبدأ بعض التغيرات في الظهور سواء في الجانب الشكلي أو الوظيفي، الأمر الذي يزيد من رغبة الفتاة في التعرف على وظائف الأعضاء التناسلية وكيفية تكوين الجنين، وأمور الحمل والولادة وغيرها (إبراهيم، د.ت، ص ٦٩)؛ ولذلك نجدها تتابع في لفظة ما يدور وسط الفتيات والنساء (زهران، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م، ص ٢٢٦).

ومن ثم فإنه لابد في تربية الفتاة من مراعاة أهمية إشباع حاجتها إلى المعرفة ورغبتها في الاستطلاع؛ وذلك من خلال تقديم المعلومات التي تحتاجها بصورة مبسطة، حتى لا تلجأ في الحصول عليها إلى مصادر أخرى.

وحيث إننا نعيش في عالم مفتوح، تضطر فيه الفتاة إلى الاختلاط بالذكور بطريق

(١) في الجمهورية اليمنية؛ تعتبر القوة الجسدية للعروس بالريف أمرا في غاية الأهمية، تماما مثل صفاتها الأخلاقية؛ لذلك فإن الأهالي يعمدون إلى تدريب الفتيات الصغيرات على حمل الأوزان الثقيلة فوق الرأس منذ سن مبكرة، فنجد المرأة فيما بعد قادرة على أن تحمل فوق رأسها مثلاً: برميل نفط، أو تلفاز، أو ثلاجة؛ لتنقلها إلى أعالي الجبال حيث لا توجد الطرق الممهدة لنقلها بواسطة السيارات (تقرير عن التنمية في اليمن، د. ت، ص ١٠). ومن بين المهارات التي تدرب عليها الفتيات منذ الصغر أيضاً؛ البدء في تعليمهن حمل أوعية الماء على رؤوسهن منذ السادسة، حيث يحتجن إلى السير بها مسافات طويلة وأحيانا الصعود إلى الجبال حيث المنازل. (المرأة وتوفير المياه.. في صحيفة الجمهورية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٥٤٨).

مباشر، أو غير مباشر، فإن ذلك يفرض على التربية أن تهتم بتقديم المعرفة الجنسية المناسبة التي تمكن الفتاة من التمييز بين الخطأ والصواب، وتجنب المزالق التي قد يجربها إليها شياطين الإنس والجن.

ويمكن التدرج في ذلك منذ الصغر من خلال تقديم بعض المعلومات المتعلقة بالواقع الوظيفي (الفسولوجي) للكائنات الحية الدنيا، وكيف أن الأجهزة التناسلية تزداد تعقيدا حتى تصل إلى اكتمالها في الفقاريات، ثم تبدأ الدراسة النفسية العامة، ثم الدراسة الاجتماعية. ولا بد أن تأخذ التربية بعين الاعتبار؛ الخصائص الوجدانية والعقلية والمعرفية للتلميذات، من أجل تحديد ما يقدم إليهن من معلومات. (عيسوى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٨٩-٩٠) (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٤٩-١٥١).

وما من شك في أن التوعية الموجهة التي تقدمها التربية عبر وسائلها المختلفة، خير من ترك الفتيات للمصادفة، أو لوسائل الإعلام التي تحمل الغث والسمين، أو للرفيقات اللواتي قد تكون خبراتهن ناقصة أو مشوهة، أو للجهل الأعمى الذي قد يؤدي إلى إحداث اضطرابات نفسية لدى الفتاة، مما يضر بصحتها النفسية حاضرا ومستقبلا.

ويكفي للدلالة على ذلك الخوف والفرع الذي تصاب به البنات حال البلوغ جراء حدوث العادة الشهرية لديهن قبل أن يتلقين معلومات عنها، سيما وأن كثيرات من الأمهات - حتى من بين المتعلّيات - يحجمن عن إمداد بناتهن بالمعلومات اللازمة، ويتركنهن للمدرسة أو للرفيقات، وكل ذلك بسبب الخجل أو الحياء المذموم.

كما يكفي لإدراك أهمية هذا الموضوع؛ ما نشاهده عبر الأفلام والمسلسلات التي تقدمها وسائط الثقافة - باعتبارها أحد المصادر التي تتلقى منها الفتاة معلوماتها - والتي لا تقدم معرفة، وإنما تعمل على إثارة عواطف الشباب - ذكورا وإناثا - لأنها تعد لأغراض تجارية وليست علمية.

ج - المساررة:

تبرز الرغبة في المساررة لدى الفتيات بسبب عدم الحصول على الإشباع المرضي لرغبتهم في حب الاستطلاع، خاصة إذا ما قوبلت هذه الرغبة بالغموض والتكتم فيما يتعلق بأمور الجنس من قبل الأمهات، الأمر الذي يلجئ الفتيات، وتحت إلحاح الرغبة لديهن في معرفة ما يخفي عليهن، إلى المساررة فيما بينهن. (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ /

١٩٨٦م، ص ٦٨، ص ٧٢).

ومن ثم فإنه ينبغي في تربية الفتاة؛ الاهتمام بإمدادها بالمعلومات اللازمة، وفي الوقت نفسه عدم إغفال سلوك المساررة إذا ما ظهر لديها، فتمدها بالتوجيهات الأخلاقية اللازمة، ومن بينها ما جاء عن رسول الله ﷺ في المناجاة حيث قال: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه." (مسلم، ج ٤، السلام / ١٥، ص ١٧١٨).

د - تقليد الكبار:

يلاحظ على الفتاة في هذه المرحلة العمرية ميلا إلى مجازاة البالغات، سواء كان ذلك في الملابس أو في الزينة أو في السلوك. (إبراهيم، د.ت، ص ٧٢)، وهنا يبرز دور التربية في عدم ترك الفتاة لرغباتها الشخصية غير الواعية قبل اكتمال نضجها الجسمي والنفسي.

هـ - التوحد مع الجنس:

ففي هذه المرحلة من العمر؛ تتضح عملية التنميط الجنسي، بمعنى تبني الدور الجنسي، حيث تعتمد الفتاة إلى التوحد مع جنسها، وتكتسب صفات الأنوثة. ويبدأ ذلك من خلال التوحد مع شخصية الأم، وهي تتضمن اكتساب المعايير السلوكية، والميول والاهتمامات، ونوع الألعاب والنشاط العام. (زهران، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٢٢٦).

٢ - مرحلة البلوغ:

يمثل الحيض - وهو علامة البلوغ - نتيجة نهائية لنمو عميق في الغدد الصماء يبدأ قبل خمس سنوات من بدء البلوغ (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٤٤)، وهو تجربة نفسية حاسمة ذات أثر كبير في حياة المرأة، حيث قد ترتبط بها جميع العوامل النفسية الكامنة في شخصية الفتاة؛ من غضب وخجل وشعور بالنقص وغيره (إبراهيم، د.ت، ص ٩٤).

وقد لوحظ أن موقف الفتاة خلال مرحلة التوقع، سواء بالقبول أو الرفض؛ ذو تأثير كبير على تاريخ حدوث البلوغ. فرفض الفتاة لذلك قد يتسبب في تأخر نزول الحيض، على الرغم من توافر أعراض البلوغ الجسمية والنفسية، أو قد يحدث أن يبدأ ثم يتوقف لعدة سنوات، مما تحتاج معه الفتاة إلى علاج نفسي أو عضوي من أجل إزالة أسباب الاضطراب (إبراهيم، د.ت، ص ٩٢ - ٩٣). ومن الأمور التي يتوقف عليها تقبل الفتاة للحيض:

- اتجاه البنت نحو ذاتها كأنثى.

- نظرة البنت إلى الحياة بصفة عامة.

- مدى توفر الحرية للفتاة في مناقشة ما يعترض جسمها من تطورات مع ذوبها.

(ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٤٧).

وتتوقف الآثار النفسية المرتبطة بالحيض على الآلام العضوية التي يسببها، وعلى المزاج الذي يصحبها. ولقبول الفتاة أو رفضها دور كبير هنا؛ " فالفتاة التي ترفض حيضها وترد عليه بمزاج متقلب، ... ، كئيب، إنما تحدد دورها الأنثوي مسبقاً، وتجعل بينها وبين ذاك الدور هوة، قد تؤدي إلى فشلها كأم أو كزوجة في مستقبل حياتها"، ذلك الدور الذي يمكن أن يتأثر أيضاً بالأفكار السائدة في المجتمع بصدد الحيض، مثل الاعتقاد بأنه لعنة، أو إثماً.. إلخ (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٤٧).

وللتربية دورها في تنقية البيئة الاجتماعية من أمثال هذه الأفكار التي تتعارض مع أبسط الحقائق العلمية، وتتعارض قبل ذلك مع الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى المرأة عليها؛ حيث أوجد فيها من الأمور الحيوية ما يعينها على تحقيق رسالتها في هذه الحياة.

ومن الأمور التي تحدد زمن حدوث البلوغ أيضاً: الطبيعة الجغرافية للمكان الذي تعيش فيه الفتاة، حيث لوحظ أن الفتاة من سكان المناطق الحارة تبلغ في سن أصغر من الفتاة من سكان المناطق الباردة. ولعل السبب في هذا الاختلاف يفهم مما قاله الكساس كاريل عن تأثير نشاط الإنسان الوظيفي والعقلي بجغرافية المكان الذي يقيم فيه، حيث يقول في ذلك ما نصه:

" لقد خلق الإنسان من تراب الأرض؛ ولهذا السبب تتأثر وجوه نشاطه الفسيولوجية والعقلية، تأثراً كبيراً بالتكوين الجغرافي للبلد الذي يعيش فيه، وطبيعة الحيوانات والنباتات التي يطعمها عادة. كذلك يتوقف بناؤه ووظائفه على اختياره لعناصر معينة من بين الأطعمة النباتية والحيوانية الموضوعة تحت تصرفه... " (كاريل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٥).

وهنا يأتي دور التربية في إعداد الفتاة المسلمة المعاصرة لهذا الأمر قبل حدوثه، وأنه يمثل ظاهرة طبيعية، ودليلاً على اكتمال نمو المرأة.

وقد لوحظ أن البلوغ يشكل - بصفة عامة - مشكلة لدى الفتاة منذ بدايته، ولفترة بعد الزواج، وذلك بسبب نقص المعلومات وعدم وجود مصدر سليم لها، الأمر الذي

يجعل كثيرا من الفتيات يستقبلن الحيض لأول مرة بشيء من الرفض والإنكار، وهذا قد يحدث لديهن صراعا نفسيا بين عاملين اثنين:

الأول: التقدم باعتبار الحيض دليل نضوج.

والثاني: النكوص باعتبار الحيض يمثل انتزاعا لهن من مرحلة الطفولة، وهكذا يصاحب الحيض لديهن بقلق مقترن بتوتر نفسي عام (إبراهيم، د.ت، ص ٩٠-٩١).

ونجد الدراسات الميدانية تؤكد على أن النضج المبكر للفتاة يجعلها في موقف صعب، حيث تتباين في شكلها الخارجى مقارنة بأقرانها، مما يجعلها تبدو شاذة في مجتمع جاهل بما يحدث لها، فتصبح مثار سخرية لهن، الأمر الذي يجعلها عاجزة عن معاشة زميلاتها. وقد تقع في صراع مع والديها اللذين يحاولان تنميطها وفقا للدور المرسوم لها في المجتمع، فيقسوان عليها في النقد خلافا لمن لم يبلغن ممن هن في مثل مرحلتها العمرية، مما يشعرها بالغربة، وقد يصل بها الأمر إلى الرفض لذاتها ولنوعها الأنثوي. ولا تقل آثار التأخر في البلوغ عند الفتاة عن ذلك؛ حيث قد تعاني الفتاة من إهمال قريناتها اللاتي ينظرن إليها على أنها مازالت طفلة، مما قد يشعرها بالرفض والقصور عن بلوغ مستواهن من النضج. (ميخائيل أسعد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٤٨).

ونجد الأطباء يقابلون كثيرا من المشكلات الناجمة عن نقص المعلومات لدى الفتيات، والتي من بينها ما ينذر بتهديد مستقبل الفتاة الشخصى، أو الزواجى (حافظ يوسف، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٧)، الأمر الذي يستوجب من التربية، بكافة وسائلها؛ الاهتمام بتوعية أفراد المجتمع - ذكورا وإناثا - بأهمية حصول الفتاة على المعلومات الضرورية اللازمة لتحقيق أمنها الصحى والنفسى^(١).

وتوجهنا السنة النبوية إلى أهمية مراعاة رهاقة الحس والخجل الذي يعتور الفتاة حال حدوث الحيض بأسلوب عملي سلكه الرسول ﷺ مع أمية بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية رضي الله عنها. وتروي أمية القصة فتقول:

"جئت رسول الله ﷺ، في نسوة من بني غفار، فقلنا إنا نريد يا رسول الله أن نخرج معك إلى وجهك هذا، تعني خبير، فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال

(١) في دراسة أجريت على مجموعة من الفتيات بمصر، أشارت النتائج إلى أن غالبية أفراد العينة لديهن علم غامض بموضوع البلوغ، وأنهن يستقين معلوماتهم من زميلاتهن البالغات. والقلة فقط هي التي أشارت إلى أنها تستقي معلوماتها من الكتب الطبية (إبراهيم، د.ت، ص ٩٠).

رسول الله ﷺ: على بركة الله. قالت فخرجنا معه. وكنت جارية حديثا سني، فأردفني رسول الله ﷺ حقيبة من رحله، فنزل إلى الصبح فأناخ، وإذا أنا بالحقيبة عليها أثر دم مني، وكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ما بي ورأى الدم قال: لعلك نفست؟ قلت: نعم. قال: فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء ثم اطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي. ففعلت " (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٢٩٣).

صفات المرأة بعد البلوغ:

من أبرز الصفات التي تلاحظ على الفتاة بعد البلوغ أمران اثنان: الاهتمام بالزينة، والتفكير بالزواج. وسوف نتناول كلا من هذين الأمرين بشيء من التفصيل فيما يلي:

أ- الميل إلى التزين:

يلاحظ أن القلة من الفتيات هن اللاتي ينصرفن إلى العناية بشكلهن الخارجي بصورة ملحوظة قبل البلوغ، في حين تتجاهل ذلك غالبية الفتيات. أما في مرحلة البلوغ وبعده؛ فإن غالبية الفتيات تنصرف إلى العناية بجسمها، فتكرس كثيرا من وقتها للعناية به، وقد تعتمد إلى تقليد البالغات في ذلك. (إبراهيم، د.ت، ص ٧٤).

ويؤكد علماء النفس على أن المرأة تميل إلى إظهار تفوقها الجمالي منذ مرحلة مبكرة من حياتها، وأن لذلك أثره الكبير على سلوكها في الواقع. (حافظ يوسف، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٠).

وهذا يطابق ما أشار إليه القرآن الكريم من أن حب التزين أمر فطري لدى المرأة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف].

ونجد التوجيهات النبوية الكريمة تراعي هذه الفطرة لدى المرأة ونلمس ذلك من سلوك الرسول ﷺ مع حفيدته أمانة عليه السلام فقد روي أن رسول الله ﷺ دخل على أهله ومعه قلادة جزع فقال " لأعطينها أحبكن إلي. فقلن يدفعها إلى ابنة أبي بكر. فدعا بابنة أبي العاص من زينب. فعقد لها بيده... " (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٤٠).

كما روت السيدة عائشة عليها السلام أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذ.. فأرسل به إلى ابنة ابنته زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية. " (ابن سعد،

د.ت، ج ٨، ص ٤٠).

ونجده ﷺ يتوجه إلى أم سنان الأسلمية رضي الله عنها وقد جاءت تباعه، فينظر إلى يدها ويقول: "ما على إحداكن أن تغير أظفارها وتعضد يدها ولو بسير." (ابن سعد، د.ت، ج ٨، ص ٢٩٢).

ويدخل ضمن أمور الزينة ما يتعلق بالملابس، التي نجد موضوعاتها تتغير من فصل لآخر من أجل التغلب على الألفة التي تحدث للنفس جراء استمرار المشاهدة؛ ولذلك نجد أرباب الموضوعات يعمدون إلى التجديد فيها رغبة في دفع النساء إلى المزيد من الاستهلاك.

ونجد أن مجتمعاتنا قد سارت في تبعية عمياء للغرب؛ فراحت وسائل الإعلام لدينا تستخدم مفاتيح المرأة الجسدية على نفس المنوال في خطاباتها الإعلانية التي توجه عادة إلى الأسرة الغنية التي تتبع النمط الغربي في معيشتها. فتأتي هذه الخطابات لتصور المرأة على درجة عالية من الغباء التي تجعلها تندفع وراء الاستهلاك، ولا تمتلك أية قدرة على مقاومة إغراء الشراء.

والأصل في الملابس أنها تحقق وظيفتين اثنتين:

الأولى: حماية الجسم من تقلبات الجو.

والثانية: إبراز جمال الجسم وإخفاء قبحه. (يوسف أسعد، د.ت، ص ١٧).

لكن الذي يحدث لدينا الآن هو تغلب الوظيفة الثانية على الأولى بصورة مبالغ فيها كثيرا، وذلك بسبب التقليد الأعمى للغرب، والذي أدى إلى سوء اختيار المرأة المسلمة المعاصرة لملابسها من حيث الشكل والتصميم. فلم يعد لديها اهتمام بمناسبة نوع وشكل الملابس لحرارة الجو أو برودته، بل وقبل ذلك لم يعد لديها وعي بالحدود الشرعية لما يجب إبداءه وإخفاؤه من الجسم؛ بل أصبحت الرغبة في الغريب وغير المألوف، وما يظهر مفاتيح الجسد هي الأساس في الاختيار الأمر الذي أدى إلى إفساد الأذواق وضياع معالم الجمال الحقيقية.

ويلاحظ على صناع الموضوعات في الغرب؛ أنهم قد أصبحوا في الوقت الحاضر - وبعد أن نضبت أفكارهم - يغرقون في الغريب والخيالي منها.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك؛ مصمم الأزياء الفرنسي كريستيان لاكروا؛ الذي يعتبر البعض أن نجاحه يعود إلى " شخصيته المتمردة. ومزاجيته، وعدم اعترافه بالاعتدال. فتصميماته تضج بالأفكار، والألوان الصاخبة. وفي مزاجيته وتطرفه يكمن إبداعه وتميزه كمصمم ذي رؤيا شابة ومنعشة ^(١) ". (جميلة حلفيشي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢).

وتشير كاتبة المقال إلى أن هذا المصمم قد أصبح الآن أكثر توازنا وانسجاما في تصميماته عن ذي قبل، لكنه ما زال " مخلصا لماركته المسجلة؛ وهي جنونه وهوسه بالتجديد على حساب كل المتعارف عليه، واستنادا إلى مقولة الشاعر الفرنسي بودلير ^(٢): أن الغرابة هي أساس كل جمال.. فهو مصمم فرض أسلوبه الجامح وكسر المعتاد.... " (حلفيشي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢).

ومصمم آخر؛ عبر عن إعجابه بأفلام المغامرات والخيال العلمي من خلال تصميماته لخریف وشتاء عام ١٩٩٥م / ١٤١٥ هـ، وهي تدل على تحبط المصمم بين عدة أفكار جعلت تصميماته خليطا غريبا وكأن المرأة ستودع الأنوثة وتدخل في حروب لا تعرف أسبابها. وآخر جعل تصميماته مناسبة للحفلات التنكرية التي كانت تقام في القرن الثامن عشر، واعترف بأنه لم يقصد أن تكون عملية أو واقعية؛ بل أراد أن يعبر عن الإشارة، وأنه وجهها للمرأة المترفة التي يمكنها اقتناء مثل هذه التصميمات للمناسبات الخاصة. (حلفيشي في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٦٣).

وقد أدركت بعض الغربيات الانحراف الذي تسير فيه المرأة الغربية، يساعدها في ذلك المروجون لوضعها كي يعم دول العالم أجمع، فكان أن قامت مجموعات من النساء بعدة مظاهرات في عدة دول احتجاجا على امتحان المرأة، ومن ذلك احتجاج بعض من النساء في النرويج على وضع ملصقات في الشوارع لإحدى الممثلات، تظهرها بملابس غير محتشمة، حيث رأين في تلك الملصقات إثارة لحقن من لا يملكن مثل قوام صاحبته،

(١) ماذا ستفهم قصيرة النظر لدينا من هذا الكلام سوى أن تصميماته جميلة فابحثي عنها. ونجد أن هذا يمثل الواقع حيث تشير الإحصائيات إلى أن ٧٠٪ من " زبونات " من العرب (حلفيشي.. في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢).

(٢) شارل بودلير BOUDELAIER، (١٢٣٧ - ١٢٨٤ هـ / ١٨٢١ - ١٨٦٧ م): كاتب وشاعر فرنسي، ولد وعاش في باريس. كان شاعرا وناظما موسيقيا (المنجد، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، ص ١٤٨).

وأنها قد تدفع بالبعض من النساء إلى تقليدها تقليدا أعمى، يضر بصحتهن. وهذه هي المرة الثانية للنرويجيات في اتخاذ هذا الموقف خلال أربع سنوات. وقد أيد مسئولا الشرطة في النرويج هذا الاحتجاج؛ لأنهم لاحظوا أن مثل هذه الملصقات تصرف انتباه السائقين، وتتسبب في وقوع الحوادث (الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦٠٠٢).

وهذا الموقف يؤيد ما جاء في ندوة نيروبي الخاصة بالعلاقة بين المرأة والاتصال عام ١٩٨٥ م حيث جاء فيها ما نصه:

"... من الممكن أن يكون لتصوير المرأة في وسائل الإعلام وفي صناعة الإعلان تصويرا نمطيا جامدا، أثر بالغ على المواقف تجاه النساء وفيما بينهن." (مدانات في ندوة الصحفيات..، ١٤١١ هـ / ١٩٩٩ م، ص ٧).

فينبغي الاهتمام بتنمية الاتجاهات السليمة لدى المرأة المسلمة المعاصرة والتي تجعلها تتخذ من زينتها عبودية تقترب بها إلى الله؛ بحيث يكون إشباعها لغرائزها ضمن الإطار المحدد الذي لا يخرجها عن الشعور بعظمة العبود، والحرص على مرضاته والذي ينعكس أثره على جوارحها.

ونجد التوجيهات النبوية الكريمة تحرص على تركية النفس من مشاعر الكبر والاختيال على الآخرين التي يمكن أن تظهر على الفرد من خلال ما يرتديه من ملابس.

فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن أأحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا. فقال ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس." (مسلم، د.ت، ج ١، الإيمان / ٣٩، ص ٩٣).

وواقع المرأة المسلمة المعاصرة يشير إلى البون الشاسع بين توجيهات القرآن الكريم، وبين الممارسات في واقع الحياة. فهي تتباهى بشراء الملابس التي صنعتها الأيدي الغربية؛ لأن ذلك يمثل في نظرها تطورا، إلى جانب دلالة على مستواها الطبقي، ومكانتها الاجتماعية، وذوقها الراقي، ويغيب عن ذهنها - ومن قبل ذلك عن أذهان المستوردين - إدراك العلاقة التي تربط بين المنتجات والبيئات التي أنتجتها. حيث تأتي محملة بفلسفات منتجيتها وتصورهم للحياة. وهكذا أصبح التقليد الأعمى للغرب سببا في أن

تصبح حياتنا مليئة بالأذواق المستعارة.

ويتحدث سيد قطب عن هذه العبودية لأرباب الموضات فيقول:

" إن بيوت الأزياء ومصمميها، وأساتذة التجميل ودكاكينها، هي الأرباب التي تكمن وراء هذا الخبل الذي لا تفيق منه نساء الجاهلية الحاضرة، ولا رجالها كذلك! إن هذه الأرباب تصدر أوامرها، فتطيعها القطعان والبهائم العارية في أرجاء الأرض طاعة مزرية! وسواء كان الزي الجديد لهذا العام يناسب قوام أية امرأة أو لا يناسبه، وسواء كانت مراسم التجميل تصلح لها أو لا تصلح، فهي تطيع صاغرة. تطيع تلك الأرباب. وإلا (عيرت) من بقية البهائم المغلوبة على أمرها. " (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ج ٣، ص ١٢٨٤).

ثم ينبه الأذهان إلى حقيقة تغيب عن - أو لا يدركها - الكثيرون، وهي تتعلق باليهود الذين يعدون أول المستفيدين من هذا اللهاث المحموم خلف الموضات من قبل نساء الأرض كافة حيث:

" يقومون بخصائص الربوبية على البهائم المغلوبة على أمرها! ويبلغون أهدافهم كلها من إطلاق هذه الموجات المسعورة في كل مكان. أهدافهم من تلهية العالم كله بهذا السعار، وإشاعة الانحلال النفسى والخلقى من ورائه، وإفساد الفطرة البشرية، وجعلها العوبة في أيدي مصممي الأزياء والتجميل! ثم تحقيق الأهداف الاقتصادية من وراء الإسراف في استهلاك الأقمشة وأدوات الزينة والتجميل وسائر الصناعات الكثيرة التي تقوم على هذا السعار وتغذيته. " (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ج ٣، ص ١٢٨٤).

ويلاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية يشتملان على كثير من النصوص التي تحث الفرد المسلم على الأخذ بنصييه من الزينة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ حُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقوله ﷺ: "من كان له شعر فليكرمه". (أبو داود، د.ت، ج ٣، الترجل / رقم ٤١٦٣، ص ٧٦) وقوله ﷺ: "... فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس." (أبو داود، ج ٤، اللباس رقم ٤٠٨٩، ص ٥٨).

فكل هذه النصوص تحث على الأخذ من الزينة، لكنها لا تعني بذلك الإسراف الذي يخرج الإنسان عن الاعتدال، ويجعل همه محصورا في الاهتمام بجمال الجسد الفاني في غفلة

عن أهمية جمال الروح، الذي تنبه إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَآدَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْزِرُ سَوَءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وينبه إليه الرسول ﷺ في قوله فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم." وفي رواية: وأعمالكم. (مسلم، د.ت، البر/ ١٠، ج ٤، ص ١٩٨٧).

ومن خلال التربية يمكن توجيه اهتمامات المرأة المسلمة المعاصرة لتكون منصبة على إصلاح القلب، حيث قد جاء في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه قوله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب." (مسلم، د.ت، ج ٣، المساقاة/ ٢٠، ص ١٢٢٠)، فسلامة القلب هي التي تضمن للمرأة الجزاء الحسن في الآخرة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]. وما الجسد إلا وسيلة تعين على إصلاح القلب.

كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٦] عند سيد قطب ما نصه:

"قال عبداً لرحمن بن أسلم: "يتقي الله فيواري عورته، فذاك لباس التقوى" فهناك تلازم بين شرع الله في اللباس لستر العورات والزينة، وبين التقوى. كلاهما لباس. هذا يستر عورات القلب ويزينه. وذاك يستر عورات الجسم ويزينه. وهما متلازمان. فعن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه. ومن لا يستحي من الله ولا يتقيه لا يهيمه أن يتعري وأن يدعو إلى العري، والعري من الحياء والتقوى، والعري من اللباس وكشف السواة." (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٣، ص ١٢٧٨).

ولابد من التأكيد على حقيقة مهمة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْٓءَآدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) [الأعراف].

فالآية الكريمة فيها تحذير عام من الاستسلام لكيد الشيطان فيما يتخذه بنو آدم من

مناهج وشرائع وتقاليد يجارونه فيها فيسلمهم إلى الفتنة، كما فعل مع أبويهم بوسائله الخفية التي تحتاج إلى شدة الحذر حتى لا يؤخذوا على حين غرة. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ج ٣، ص ١٢٧٩ - ١٢٨٠)، ومن ثم فإنه ينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ الحرص على توجيهها إلى قضية اللباس والأزياء باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من شرع الله ومنهجه في الحياة، ويشير إلى ذلك الربط بينها وبين قضية الإيمان والشرك في الآيات الكريمة التالية:

﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّورِيْ سَوَءَ تِكْمٍ وَّرِيْشًا وَّلِبَاسَ النُّفُوْى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِّنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْٓ اٰدَمَ لَا يَفْنٰنَكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبٰىكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا ۗ اِنَّهٗ يَرٰ تَكُمْ هُوَ وَفِيْهِ لَمِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَآءَ لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٧﴾ وَاِذَا فَعَلُوْا فَحِشَةً قَالُوْا وَجَدْنَا عَلٰٓيْهَا اٰبَاءَنَا وَاَللّٰهُ اَمْرًا بِهَا قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَآءِ اَنْقُولُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٨﴾ قُلْ اَمَرَ رَبِّيْ بِالْقِسْطِ وَاَقِيْمُوْا وُجُوْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَّادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ كَمَا بَدَاكُمْ تَعُوْدُوْنَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدٰى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلٰلَةُ اِنَّهُمْ اُتُوْا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَيَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٣٠﴾ يَبْنِيْٓ اٰدَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾﴾

[الأعراف]

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات:

" إن قضية اللباس والأزياء ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه للحياة.. ومن ثم ذلك الربط بينها وبين قضية الإيمان والشرك في السياق. " إنها ترتبط بالعقيدة والشرعية بأسباب شتى: إنها تتعلق بالربوبية قبل كل شيء. من حيث الربوبية وتحديد الجهة المشرعة، ومن حيث إبراز خصائص الإنسان باعتباره يختلف عن الحيوان في ذلك. لكن الجاهلية دوماً تعمل على نسخ "التصورات والأذواق والقيم والأخلاق. وتجعل العري - الحيواني - تقدماً ورقياً. والستر - الإنساني - تأخراً ورجعية! وليس بعد ذلك مسخ لفطرة الإنسان وخصائصه. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ج ٣، ص ١٢٨٤).

كذلك فإنه ينبغي في البرامج التي تقدمها التربية للمرأة المسلمة المعاصرة مراعاة أن تشتمل على دراسات عن أمور الزينة بصفة عامة وعن الملابس بصفة خاصة؛ مما ينمي حسها الذوقي فيما يتعلق بالألوان والتصميمات مع الحرص في الوقت نفسه على الجمع بين

البساطة والجمال والاحتشام الذي يكفل الالتزام بشروط اللباس الشرعي للمرأة المسلمة. ويمكن من خلال وسائط الثقافة المختلفة تقديم عروض للأزياء تجمع بين كل ذلك، وتوضح للمرأة المسلمة المعاصرة التي قلدت المستورد، كيف أن ما تعرض عنه يجد رواجاً وإعجاباً لدى كثيرات من نساء الدول الأخرى خاصة المتقدمة، إلى الدرجة التي جعلت إحدى عارضات الأزياء تهتدي إلى الإسلام؛ بعد أن تعرفت على الإسلام ومزاياه من خلال الحديث عن الأزياء الإسلامية^(١).

ب - التفكير في الزواج:

لاحظ المحللون النفسيون أن مخاوف الفتاة من الزواج تزداد في مرحلة المراهقة، لكنها سرعان ما تتقبل وضعها باعتبارها أنثى مهياً فطرياً لذلك. ونجد كثيراً من الفتيات يقبلن على الزواج وهن يرهبنه، لما يخالط نفوسهن من هواجس ومخاوف تتعلق بنوع الحياة المتوقعة، وطبيعة التبعات التي يجب عليها أن تتحملها بعد الزواج. (إبراهيم، د.ت، ص ١٠٥-١١٦).

وهنا تبرز عظمة التوجيهات النبوية التي تحث على تزويج صاحب الدين الذي إن أحبها أكرمها وإلا لم يهنها.

ويشير علماء النفس إلى أن المشكلات التي تواجه الفتاة بعد الزواج؛ عادة ما تنطوي لديها على معانٍ أعمق منها لدى الرجل، وذلك لأن المرأة ترى في الزواج منتهى رغبتها. وهذا ما يجعل عدد الساخطات على الحياة الزوجية أكثر من عدد الساخطين ويؤخر التوافق الزوجي بين الزوجين لفترة تكون خلالها الحياة الزوجية محاطة بعوامل نفسية عديدة. (إبراهيم، د.ت، ص ١١٥).

ويأتي دور التربية هنا في المساعدة على تحقيق هذا التوافق؛ وذلك من خلال إعداد

(١) عارضة الأزياء اليونانية "ماكلين سيكاروس" كانت من أشهر العارضات، ولم تكن تعرف أي شيء عن الإسلام، حتى قامت إحدى الصحف الجزائرية بإجراء حوار معها عن عروض الأزياء. وقد تضمن الحوار سؤالاً مثل لحظة التنوير التي جعلتها تتعرف على الإسلام، حيث سألتها الصحفية: لم لا تفكرين في عروض للأزياء الإسلامية؟ عندها طلبت سيكاروس من الصحفية تعريفها بالإسلام فحدثتها الصحفية عنه، وعن المرأة في الإسلام، وعن مواصفات الزي الإسلامي الذي يحرص على حماية المرأة من أعين الفضوليين. عندها اكتشفت سيكاروس "الكنز" الذي كان غائباً عن وعيها، فأسلمت وتسمت بخديجة وتزوجت مسلماً من تونس. (المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٢٦).

الفتاة منذ الصغر بما يعينها على تحمل المسؤوليات المترتبة على الزواج، والتأكيد في إعداد الفتاة المسلمة المعاصرة على خطأ النظرة التي ترى في الزواج تحرراً من سلطة الوالدين، وزينة ومباهج دنيوية؛ حيث إن الزواج ينطوي على مسؤوليات عظيمة تحتاج من المرأة المسلمة المعاصرة إلى كثير من الخبرات والمهارات والصفات الشخصية، التي تساعد على الإحسان في أدائها، ومن ذلك تحليلها بالموضوعية، وتفهم أنماط الشخصية، ومعرفة الأساليب التي تعزز العلاقة بينها وبين زوجها لتظل دوماً "علاقة مودة ورحمة" كما أراد لها الخالق سبحانه وتعالى.

ويجدر بالذكر أن ننبه هنا إلى خطأ التقليد الذي مازال متبعاً لدى عدد من الناس في كثير من البيئات الإسلامية، والمتمثل في المبالغة في الكتمان بالنسبة للأمور المتعلقة بالزواج، حيث يفرض على الفتاة حال زواجها أن تلم بجميع شئونه. الأمر الذي يترتب عليه كثير من المشكلات التي يتسبب فيها عدم التوازن في المعرفة بين الزوجين حيث تتيح الفرص للرجل ما هو ممنوع على الفتاة مسموح له بلا حدود.

ولنا أسوة في رسول الله ﷺ الذي سار في تحقيق التربية الجنسية من خلال منهج رصين ترتب عليه صحة نفسية عمت الرجال والنساء، مما يستدعي إزالة الهالة الضخمة من الإخفاء والتعتيم التي تحاط بكل ما يتصل بأمر الجنس من قريب أو بعيد (أبو شقة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ١، ص ٤٨).

٣ - مرحلة الأمومة:

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ [طه].

فالآية الكريمة تشير في مجال المرأة إلى كيف أنه سبحانه وتعالى قد قضى على المرأة بأداء وظيفة خاصة بها ومن ثم وهبها كل ما يلائمها من قدرات واستعدادات، فجاء تكوينها ملائماً للرسالة التي اختصت بها والتي تختلف تماماً عما خلق له الرجل.

والأمومة وليدة مجموعة من الشروط الهرمونية والوظيفية والغريزية، وهي ضرورة حياة الطفل، وتظهر آثارها على الفتاة منذ الصغر؛ حيث نجد أن ألعابها تتميز بطابع خاص يؤهلها لأداء هذه الوظيفة، مثل الاهتمام بترتيب الأشياء وصيانتها والمحافظة عليها. (إبراهيم، د. ت، ص ٥٣، ص ١٣٧).

ووظيفة الأمومة في حد ذاتها لتعد أكبر دليل على خطأ المنادين بالمساواة في التعليم بين الذكور والإناث، حيث إن هذه العاطفة لا توجد لدى الرجل، إلى جانب أن المرأة تحتاج إلى تدريب وإعداد يؤهلها للإحسان في أداء المسؤوليات المتعلقة بها وإلا ذبلت لديها المشاعر الغريزية، وأصبحت غير قادرة على تلبية احتياجات أطفالها من الرعاية والاهتمام، وهو ما نلاحظه لدى بعض النساء ممن يتقززن ويتأففن عند تنظيفهن لأطفالهن (يوسف أسعد، د.ت، ص ٤٧).

وتشير التجارب والملاحظات إلى أن الرباط الأمومي بين الأم وطفلها يبدأ قبل حدوث الحمل، ومنذ أن تتجه مشاعر الأم إلى الرغبة في الحمل. ثم تنمو هذه المشاعر، وتزداد الرابطة بعد حصول الحمل، وطوال فترة الترقب انتظارا للمولود، ويصف ذلك عدنان السبيعي فيقول:

".... ولعل أشد ما يتجلى هذا الرباط، حين يتحرك الجنين ويرفس برجليه بطن أمه من الداخل، وحين تقلق وتخشى لسكونه إذا سكن ولم يعد يتحرك... ومن ثم حين تصبر الليالي الطويلة والأيام المتعاقبة تتحمل أثقاله التي تزايد.. وتتعاظم وسبحان الخالق البارئ العظيم... فإن هذه الأم الحامل تنسى في لحظة أو لحظات، وتتوارى من ذاكرتها ومشاعرها تلك الآلام والمنغصات، وذلك في لحظة الوضع حيث ترى المولود يسجى إلى جانبها - وهي على حافة الحياة - منهكة وفاقدة قواها، وتحس بفراغ كبير ومخيف في أعماقها، وسرعان ما يتحول إلى امتلاء عظيم يأتيها من وليدها. " (السبيعي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص م).

كذلك يشير الدكتور السبيعي إلى أن هناك عدة تطورات تطرأ على الأم الحامل ويمكن إجمالها في شيئين:

الأول: تغيرات وظيفية وتشريحية وعاطفية تعاني منها الأم في ذاتها بفعل الحمل.

والثاني: تطورات وظيفية وتشريحية وعاطفية ناجمة عن نمو وتحرك كائن جديد في أعماقها.

ويلاحظ تنوع استجابات الأمهات لهذين النوعين من التغيرات؛ وذلك منبعا اتجاه الأم الحامل نحو حملها، والذي تلعب فيه أمور كثيرة؛ منها مدى مشروعية الحمل،

والأسرة، وتأثير الحمل على أنشطة المرأة الاجتماعية إن كانت عاملة وغيرها (السيبي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص م-ن).

وهنا تكمن أهمية توعية المرأة المسلمة المعاصرة؛ والتي يجب ألا تقتصر على مجرد تعريفها بالعادات الغذائية السليمة، والرعاية الصحية اللازمة لها طوال فترة الحمل؛ بل تتجاوز ذلك إلى إمدادها بالخبرات النفسية اللازمة التي تحقق للجنين النمو الجسدي والنفسي السليم. فقد وجد العلماء مثلاً؛ أن سعادة الأم بحملها ورغبتها بالجنين تساعد على تكوين " غشاء نفسي وقائي يحول دون وصول التأثيرات النفسية السيئة من الأم إلى الجنين "(السيبي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥، ج ١، ص ١٠).

ونجد علم النفس يضع مواصفات كثيرة للأم المثالية من بينها؛ اتزان الشخصية والنضج الانفعالي والبعد عن الأنانية وحب الذات والقدرة على توفير الهدوء والاستقرار في الأسرة، والأمن النفسي والعاطفي للأطفال، وغير ذلك من الصفات (عيسوي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٧٧-٧٨).

وكل ذلك يحتاج من التربية إلى جهد متواصل عبر مراحل النمو المختلفة للمرأة المسلمة المعاصرة، ومن خلال جميع مؤسساتها الرسمية وغير الرسمية، حتى تخلق منها إنساناً متكامل الشخصية، قادراً على أداء مسؤولياته بكفاءة عالية.

ثالثاً: صفات نفسية اختصت بها المرأة:

أشرنا فيما سبق إلى أن هناك الكثير من الصفات النفسية التي تميز المرأة عن الرجل. وسوف نتناول فيما يلي أهم هذه الصفات لنوضح دور التربية في تهذيبها لدى المرأة بما يحفظ لها توازنها النفسي.

وهذه الصفات هي:

١- قوة العاطفة. ٢- الحياء. ٣- الغيرة.

٤- القدرة على احتمال الألم. ٥- الاستعداد للتضحية.

١ - قوة العاطفة:

يقرر علماء النفس أن المرأة أكثر عاطفة من الرجل (يوسف أسعد، د.ت، ص ٤٧)، حيث وجد علماء التشريح أن الجزء من المخ المتعلق بالعاطفة أكبر لدى المرأة منه لدى الرجل.

وإذا ما نظرنا إلى حقيقة المسؤولية التي أنيطت بالمرأة، لوجدنا أن هذه الصفة تتلاءم تماما مع وظيفتها؛ حيث إن الطفل يحتاج إلى مشاعر الحب والحنان التي يجدها تفيض عليه من أمه لأدنى ألم يتعرض له. يقول سيد قطب:

"..... ومن ثم زودت المرأة - فيما زودت به من الخصائص - بالركة والعطف، وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة - بغير وعي ولا سابق تفكير - لأن الضرورات الإنسانية العميقة كلها - حتى في الفرد الواحد - لم تترك لأرجحة الوعي والتفكير وبطئه، بل جعلت الاستجابة لها غير إرادية! لتسهل تلبيتها فورا وفيما يشبه أن يكون قسرا. ولكنه قسر داخلي مفروض من الخارج، ولذيذ ومستحب في معظم الأحيان كذلك؛ لتكون الاستجابة سريعة من جهة، ومريحة من جهة أخرى - مهما يكن فيها من المشقة والتضحية! صنع الله الذي أتقن كل شيء." (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٦٥٠).

وكذلك نجد الرجل، يأتي متعبا مرهقا من عمله، مما يثير مشاعر زوجته فتندفع من أجل توفير أقصى قدر من الراحة الجسدية والنفسية ما ينسيه متاعبه خارج المنزل.

وعلى الرغم من أن هذا الجهد منبعه الفطرة التي فطر الله المرأة عليها؛ إلا أننا نجد التربية الإسلامية تعزز من قيمة المرأة واحترامها لنفسها من خلال اعتبارها إحسان المرأة في رعاية رعيتهما - زوجها وبيتها وأولادها - يعدل عمل الرجال خارج المنزل.

ونجد آيات القرآن الكريم تشير إلى أن قوة العاطفة لدى المرأة تجعلها تستجيب لأدنى إثارة، فنجدها إذا ما خولفت أو نوقشت أو نيل منها؛ سرعان ما تغضب وتثور ويغلبها البكاء. وصدق الله العظيم: ﴿وَهُوَ فِي الْفُتُورِ عَزِيزٌ﴾ [الزخرف].

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بغرس حقيقة الرضا بما جبلت عليه من طبيعة تلائم ما خلقت له من مهمة في نفسها، والانطلاق من ذلك لغرس حقيقة

الرضا بجعل القوامة وحق الطلاق بيد الرجل، لأنها - المرأة - تحتاج إلى العاطفة في تعاملها مع أولادها وزوجها، ووجود هذه العاطفة قد يجعلها تسيء فيما لو وضع حق القوامة أو الطلاق بيدها.

وما يحدث في الغرب الآن؛ ليعد أكبر دليل على ذلك، حيث وجد أن نسبة الطلاق إلى الزواج تبلغ ١: ٥، وأن ٨٠٪ من طلبات الطلاق قدمتها النساء.

(Rahman , 1986, p. 38)

وقد أشارت نتائج دراسة قامت بها عالمة النفسية (كليود السون) عن العوامل النفسية للرجل والمرأة إلى ما يلي:

١ - تميل سائر النساء للعمل تحت إشراف شخص آخر.

٢ - ترغب سائر النساء لأن يتوفرن على الإحساس بأن وجودهن مؤثر، وهو مورد حاجة للآخرين.

وتعلق الباحثة على هذه النتائج فتقول:

" أعتقد أن ميل النساء في النقطتين أعلاه ينشأ جراء كون النساء يتأثرن سلوكيا بالعنصر العاطفي بينما يحكم العقل سلوك الرجال. فقد شوهد الكثير من النساء لا يتساوين مع الرجال في الاستعداد الذهني فحسب؛ بل يتفوقن عليهم أحيانا في هذا المجال. غير أن نقطة ضعف النساء تنحصر في عواطفهن الشديدة. فالرجال يفكرون - على الدوام - بطريقة أكثر عملية، تقيمهم أفضل وقدرتهم على القيادة أكبر. إذن التفوق الروحي للرجال على النساء أمر صنعته طبيعة الخلق، ومهما حاولت النساء أن تناضل ضد هذا الأمر الواقع فلا محصلة لهذا النضال. يتحتم على النساء الرضوخ لهذا الواقع؛ أي حاجتهن لإشراف الرجال في حياتهن بحكم كون النساء أشد عاطفة وأرهف حساسية." (المطهري، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٩٩-٢٠٠).

فلا بد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من تعريفها بحقيقة القوامة التي لها أسبابها من التكوين والاستعداد وتوزيع الوظائف والاختصاصات، وأن المرأة بحكم فطرتها غير مؤهلة للقيام بها، وإلا لفسد استعدادها لوظيفتها الأساسية. إلى جانب ما يلاحظ في المجتمع من انحراف عن السواء لدى أفراد الأسر التي تنعدم فيها قوامة الرجل في الغالب (سيد قطب، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٦٥١).

وأهم ما ينبغي التركيز عليه هنا؛ هو أن قوامه الرجل لا تعني إلغاء شخصية المرأة، حيث نجد التربية الإسلامية حريصة على تحديد صفة القوامه وما يصاحبها من تكاليف في النفس والمال، وآداب في التعامل بما يحفظ للأسرة المودة والرحمة التي نشأت في ظلها.

٢- الحياء:

أمر فطري وهو يمثل الصفة التي أشار الرسول ﷺ إلى أنها تمثل جزءاً من الإيمان وذلك في قوله ﷺ: " فالحياء من الإيمان " ^(١) (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ١، الإيمان / ١٦، ص ١١).

ويعرف الشيخ المودودي الحياء على أنه: " ذلك الشعور من الخجل الذي يشعر به الإنسان في نفسه أمام فطرته وأمام الله تعالى حينما يميل إلى منكر "، ... وهو القوة التي تكف الإنسان عن الإقدام على الفحشاء والمنكر، والتي تحرص التربية الإسلامية على تدعيم هذه الصفة الفطرية في نفس الفرد المسلم، وذلك من خلال تغذيتها وتنميتها بالعلم والفهم والشعور. (المودودي، د. ت، ص ٢٥٦ - ٢٥٧).

ويعرف الماوردي الحياء على أنه سمة من سمات الخير التي تصد صاحبها عن فعل القبيح وله ثلاثة أقسام: حياء من الله، وحياء من الناس وحياء من النفس:

١- الحياء من الله: ويكون بأداء أوامر الله ونواهيه، وهو من قوة الدين وصحة اليقين.

٢- الحياء من الناس: ويكون بكف الأذى عنهم، وترك المجاهرة بالقبيح، وهو من كمال المروءة.

٣- الحياء من النفس: وذلك بأن يكون المسلم عفيفاً فيما بينه وبين نفسه مثلما هو عفيف فيما بينه وبين الناس.

ويشير الإمام الماوردي إلى أن الإخلال بأحد هذه الثلاثة يلحق النقص بصاحبه. (الماوردي، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، ص ٢٢١ - ٢٢٤).

والحياء نزعة فطرية لدى المرأة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ

(١) عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال: " دعه فالحياء من الإيمان. " (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ١، الإيمان / ١٦، ص ١١).

إَحَدُهُمَا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَاءَ ﴿[القصص: ٢٥]﴾ وأشارت إليه السنة النبوية فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ من أنه كان " أشد حياء من العذراء في خدرها ". (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل / ١٦، ص ١٨٠٩).

ومن ثم فإنه ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الالتزام بهذا الخلق الكريم الذي هو جزء من الإيمان، وكيف أن انعدام هذا الخلق عند الفرد المسلم يجعله ينجرف وراء الأهواء والشهوات فلا يضع ضابطا لسلوكه. وإلى ذلك يشير قوله ﷺ فيما رواه أبو مسعود رضي الله عنه : " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستح فاصنع ما شئت " (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج٧، الأدب / ٧٨، ص ١٠٠).

لكن ينبغي على التربية وهي تحرص على غرس هذا الخلق في نفس المرأة المسلمة المعاصرة؛ أن تحذر من الممارسات الخاطئة التي تلمس في بعض البيئات الإسلامية، حيث يعتمد الأهل إلى الإغراق في بث خلق الحياء لدى الفتاة منذ الصغر، حتى يصل إلى حد الخجل المذموم، الذي يمنعها من ملاقة محارمها من الأعمام والأخوال وغيرهم؛ مما يتلف ثقة المرأة بنفسها في كل عمل جاد يتطلب منها المواجهة أو إبداء رأيها بصراحة (الحداد، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م، ص ١٢٨).

كذلك ينبغي على التربية أن تحرص على سلامة النمو الجسدي للفتاة، وذلك من خلال توجيهها منذ الصغر إلى أهمية انتصاب القامة لديها؛ حيث يلاحظ أن كثيرا من الفتيات يعمدن إلى حني الظهر بغية إخفاء الصدر لديهن مع بداية نموه عند البلوغ.

٣- الغيرة:

إن الناظر في السنة النبوية؛ يجد فيها ما يشير إلى وجود دافع الغيرة لدى المرأة.

من ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها حيث قالت:

" كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا جميعا. وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل، سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركين الليلة بعيري، وأركب بعيرك، تنظرين وأنظري؟ قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة. وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله ﷺ إلى جهل عائشة، وعليه حفصة، فسلم ثم سار معها، حتى نزلوا. فافتقدته عائشة فغارت. فلما

نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر^(١) وتقول: يا رب! سلط علي عقربا أو حية تلدغني. رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئا " (مسلم، د.ت، ج ٤، فضائل / ١٣، ص ١٨٩٥). ونجد السيدة عائشة رضي الله عنها تقر بوجود هذا الدافع لديها فتقول: " ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها ولقد أمره ربه - عز وجل - أن يشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها. " (مسلم، د.ت، ج ٢، فضائل / ١٢، ص ١٨٨).

وتحكي الصحابية رزينة مولاة رسول الله ﷺ عن موقف دفعت إليه الغيرة، حدث بين زوجات الرسول ﷺ فتقول:

".... إن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها وعندها حفصة بنت عمر رضي الله عنها فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة عليها برد من دروع اليمن وخمار كذلك وعليها نقطتان مثل الفرستين من صبر وزعفران فقالت حفصة لعائشة يا أم المؤمنين: يحيى رسول الله ﷺ وهذه بيننا تبرق، فقالت أم المؤمنين: اتقى الله يا حفصة! فقالت: لأفسدن عليها زينتها. قالت: ما تقلن؟ وكان في أذنها ثقل، قالت لها حفصة: يا سودة خرج الأعور، قالت: نعم، ففزعت فزعا شديدا فجعلت تتنفض، قالت: أين أختبئ؟ قالت عليك بالخيمة! خيمة لهم من سعف يخبئون فيها، فذهبت فاختبأت فيها وفيها القدر ونسيج العنكبوت، فجاء رسول الله ﷺ وهما تضحكان لا تستطيعان أن تتكلمتا من الضحك فقال: ماذا الضحك؟ ثلاث مرات، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب فإذا سودة ترعد! فقال لها يا سودة مالك؟ قالت: يا رسول الله! خرج الأعور! قال ما خرج وليخرجن، ما خرج وليخرجن، فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت. " (الكاندهلوي، د.ت، ج ٢، ص ٥٥٤).

ولأن التربية الإسلامية تحرص على ضبط الانفعالات حتى لا تتحكم في سلوك الفرد المسلم فتخرجه عن حالة التوازن التي ينبغي أن يكون عليها؛ فقد وجدنا الرسول ﷺ يوجه المرأة المسلمة إلى أهمية الصبر والاحتساب إذا ما كتب الله لها أن تكون ذات ضرائر. فقد روى عنه ﷺ أنه قال: " إن الله تعالى كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال، فمن صبر منهن إيمانا واحتسابا كان لها مثل أجر الشهيد. " (المتقي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م،

(١) الإذخر: الحشيش الأخضر. (المنجد، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ٢٣٣).

ج ٦، ص ٤٢٧).

بل نجدہ ﷺ يحذر المرأة المسلمة من التفاخر الذي قد تدفع إليه الغيرة، فقد روت أسماء ؓ أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: "إن لي ضرة، فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني، فقال رسول الله ﷺ: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور". (مسلم د.ت، ج ٣، اللباس / ٣٥، ص ١٦٨١).

فينبغي الحرص في تربية المرأة المسلمة المعاصرة على توجيه انفعالاتها بما يجعلها خاضعة للقيم الإيمانية العليا، ويحفظ لها صحتها النفسية والعقلية، وكرامتها من الهبوط عن المستوى اللائق بها كإنسان.

٤ - القدرة على احتمال الألم:

على الرغم من مظاهر الضعف التي تبدو لدى المرأة، إلا أنها تقترب بمظاهر قوة تعوضها إلى حد كبير، ومن ذلك القدرة على احتمال الألم، حيث أثبتت الفحوص الفسيولوجية، أنها أكبر لدى المرأة منها لدى الرجل.

من ذلك ما أثبتته التجارب من أن قدرة المرأة على مقاومة الحر والبرد وعوامل التعب أكبر من قدرة الرجل (السيبي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٧٣)، وبصفة عامة فإن احتمال إصابة المرأة بالمرض أقل من احتمال إصابة الرجل في نفس الظروف، ولهذا كانت نسبة الوفيات بين النساء أقل منها بين الرجال، على الرغم من الأخطار التي تتعرض لها المرأة خاصة أثناء الحمل والولادة. (إبراهيم، د.ت، ص ٢٨).

فهذه القدرة التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على المرأة تنبها إلى طبيعة جسم المرأة المتغيرة والتي يوضحها السيبي بإشارته إلى أن استقرار المرأة هو من النوع الديناميكي الذي يتعرض دوما للمعوقات والصعوبات، فهي لا تكاد تحقق شيئا من التوازن؛ حتى تتعرض لتغيرات جديدة تستوجب منها إعادة بنائها العضوي والنفسي والاجتماعي، والسعي من أجل تحقيق التكيف من جديد. (السيبي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٧٣).

إن هذه المرونة والقدرة على التكيف التي تتمتع بها المرأة لتفسر لنا السبب فيما أشارت إليه الإحصاءات، وكذلك تفسر لنا السبب في ارتفاع نسبة وفيات الأطفال من الذكور عنها لدى الإناث. (إبراهيم، د.ت، ص ٢٨).

ونلاحظ في واقعنا المعاش، أن هناك من القيم الاجتماعية السائدة ما يعزز هذه القدرة لدى المرأة، بما يعود بالنتائج السلبية على حياتها؛ حيث تشجع تلك القيم المرأة على جعل مسألة صحتها في ذيل قائمة اهتماماتها، مفضلة في ذلك تلبية مطالب أفراد أسرتها. ومن الأمثلة على ذلك أن المرأة في بعض البيئات الإسلامية تؤثر أفراد أسرتها الذكور بالجيد من الغذاء، حيث تتحمل هي الجوع، وتتناول ما يفيض عن حاجتهم، رغم أنها قد تكون أشد حاجة إلى الغذاء منهم، باعتبار ما تقوم به من مسئوليات الحمل والولادة والرعاية.

ويشير الدكتور كاريل إلى أهمية الغذاء في البناء السليم للجسم بقوله:

" إن استعدادنا ومصيرنا ينجي إلى حد ما من طبيعة المواد الكيميائية التي تبني أنسجتنا ويبدو أن البشر، مثل الحيوانات؛ يمكن أن يمنحوا صناعيا صفات مميزة معينة من الناحيتين البدنية والعقلية إذا قدمت لهم أطعمة مناسبة منذ الطفولة " (كاريل، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ص ١٠٥).

كذلك نجد من بين الدراسات ما يشير إلى أن الآلام التي تعانيها النساء قبل الدورة الشهرية، من وهن وأحيانا اكتئاب نفسي، مما قد يصل إلى لزوم الفراش ويسمى بـ "التناذر" أو مرض ما قبل العادة، يصيب ٢٠٪ من النساء تقريبا، وأن من بين أسبابه قلة تناول النساء للفيتامينات (آلام ما قبل الطمث .. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٩٤).

أيضا نجد أن قلة أو انعدام الوعي الصحي في كثير من البيئات؛ يشكل عائقا أمام المرأة في وقاية نفسها من الأمراض، أو علاجها حال وقوعها، خاصة الأمراض التناسلية التي يلعب الغموض فيها، وندرة المعلومات عنها من حيث الأعراض والنتائج، دورا كبيرا في ذلك.

من ذلك مثلا ما أشارت إليه نتائج إحدى الدراسات المتعلقة بأمراض الخصوبة في الريف المصري، من انتشار لأمراض الجهاز التناسلي والعلل الأخرى المرتبطة بالإنجاب بين الريفات بشكل كبير، سيما الفقيرات منهن، اللاتي لا يحظين بأي قسط من التعليم، ويتزوجن في سن مبكرة، وينجبن عددا كبيرا من الأبناء، مما يزيد من عبء المرض عليهن. وقد أشارت الدراسة إلى أنه على الرغم من ارتفاع نسبة هذه الأمراض بين أفراد العينة؛ إلا أنهم كن يعتبرونها ليست بذات أهمية، حيث إن البعض منهن يعرفن بأنهن مصابات لكن لا

يفعلن شيئاً إزاء ذلك، في حين أن البعض الآخر يجهلن إصابتهن (فرج .. في مؤتمر صحة المرأة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٣٠٢).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتكوين الوعي الصحي لديها، بما يجعلها تدرك أن جسدها أمانة لديها سوف تسأل عنها يوم القيامة. فقد جاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ولجسدك عليك حقا" (مسلم، د.ت، ج ٢، الصيام / ٣٥، ص ٨١٣).

فإدراك المرأة المسلمة المعاصرة لهذه الحقيقة لابد وأن يدفعها للحرص على صحتها، ويبعد عنها الخجل المذموم الذي قد يمنعها من طلب المشورة الطبية في حال الحاجة إليها. كذلك ينبغي على التربية أن توجه وسائط الثقافة المختلفة من أجل الإسهام في التوعية الصحية بالأمراض التي يمكن أن تصيب النساء، جراء إهمالهن شئون التغذية والوقاية من الأمراض، والآثار السلبية التي تعود من وراء ذلك عليهن وعلى أفراد أسرهن.

٥ - الاستعداد للتضحية:

يبرز هذا الاستعداد لدى المرأة نابعا من قدرتها على تحمل الآلام والتي تتجاوز المجال المادي إلى المجال المعنوي؛ حيث نجدها لا تكتفي بمجرد التعاطف مع آلام الآخرين، بل تعيش من خلال تلك الآلام، وتحاول التخفيف منها بقدر الاستطاعة (السييحي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ١، ص ٧٧).

فالله سبحانه وتعالى قد أعطى المرأة القوة التي تمكنها من أداء وظيفتها المهمة، وفي الوقت نفسه تستمتع بها. ونلاحظ على الرجل أنه عادة ما يفرح بإنجاب الأولاد، لكنه ليس على استعداد لتحمل المتاعب التي تتحملها الأم لأجلهم من رعاية وتضحية، بل وتجد المتعة في ذلك العمل الذي يستنفذ كل جهدها ووقتها. فإذا ما وجد من بين الرجال من هو كذلك فإنما هو استثناء وليس قاعدة (Rahman, 1986, pp. 24-25).

ونجد أن تضحية المرأة لا تقتصر على وقت السلم فقط؛ بل وتنسحب على وقت الحرب أيضا، حيث نجد لديها استعدادا هائلا لقبول كثير من التضحيات الإرادية التي تدفعها إلى الإسهام في القتال بقدر استطاعتها عن طيب خاطر منها. وتذكر هنا أم

إسماعيل وأم موسى اللاتي ضحين في سبيل العقيدة، الأولى بمفارقة وطنها والرضا بالعيش في أرض قفر، والثانية بابنها حيث ألقت به في اليم تحرسه يد العناية الإلهية.

وتتذكر أيضا مسلمات صدر الإسلام اللاتي كن يطلبن من الرسول الخروج مع الجيش ومنهن أم حرام التي طلبت منه ﷺ أن يدعو الله لها لتكون ممن يغزو في البحر.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن أم حرام رضي الله عنها قالت: "أتانا النبي ﷺ يوما فقال عندنا. فأستيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يضحك؟ يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! قال: "أريت قوما من أمتي يركبون ظهر البحر كالمملوك على الأسرة"، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "فإنك منهم". قالت: ثم نام فاستيقظ أيضا وهو يضحك، فسألته فقال: مثل مقالته فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت من الأولين" (مسلم، د.ت، ج ٣، الإمارة / ٤٩، ص ١٥١٩).

فينبغي على التربية أن تهتم بتعريف المرأة المسلمة المعاصرة بهؤلاء النسوة؛ لتنمي لديها الاستعداد للتضحية، وأن تدرجها على مواقف البذل والعطاء غير المحدود في انتظار الأجر من الله.

رابعا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على التمتع بالصحة النفسية:

مفهوم الصحة النفسية: توصل الدكتور محمد عبد الجابر من خلال عرضه لمفهوم الصحة النفسية في رأي علماء النفس إلى أنها تعني الامتداد بالحالة الصحية للفرد من حيز الذات للوصول إلى حالة من التوافق النفسي والاجتماعي وذلك من خلال نقل الفرد إلى حالتين إيجابيتين هما:

أ- تأثير الفرد في بيئته بإيجابية.

ب- كيف الفرد وامثاله لمؤثرات بيئته.

ومن ثم فإن لكل مجتمع تعريفه الخاص به.

(عبد الجابر، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٢٧٧).

أما في الإسلام فإن مفهوم الصحة النفسية يعتمد على "مقومات أساسية تهيئ الإنسان لممارسة دوره في الحياة الدنيا، وتربطه في سلوك متعلق باليوم الآخر". وذلك لأن

الله سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان؛ زوده بكل المقومات التي تمكنه من أن يكون "محسناً، مؤمناً، مفلحاً، متمتعاً بصحة نفسية وعقلية وروحية وجسمية واجتماعية ... في إطار منهج هذا الدين العظيم، الذي ينتقل بهذا الإنسان برفق منذ خلقه، وحتى تعلق نفسه وروحه بالآخرة. (عبد الجابر، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٢٨٠-٢٨١).

وسوف نوضح فيما يلي الدور الذي يمكن أن تقوم به التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يحقق لها صحتها النفسية من خلال إمدادها بالمعارف والخبرات والاتجاهات اللازمة للسير في هذه الحياة الدنيا وصولاً إلى الدار الآخرة، وذلك من خلال مناقشة الموضوعات التالية:

١- تدعيم اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة بكونها أنثى والارتقاء بمفهومها عن الذات.

٢- تحقيق البناء السليم لشخصية المرأة المسلمة المعاصرة.

٣- حمايتها من التقليد والتبعية للآخرين.

٤- القضاء على جميع ممارسات العنف ضدها.

٥- تدعيم صمود المرأة المسلمة المعاصرة أمام الابتلاءات.

وسوف تتم مناقشة ذلك بالتفصيل في الآتي:

١- تدعيم اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة بكونها أنثى والارتقاء بمفهومها عن الذات:

نتيجة لتراكم الاضطهاد والظلم على المرأة المسلمة المعاصرة عبر عصور الركود والتقليد، فقد تدنت نظرة المرأة إلى نفسها فأصبحت تنظر إلى نوعها باعتباره ضعيفاً مظلوماً مهوراً، ومن ثم تمكن الشيطان من جرفها وراء الأهواء والشهوات من أفكار وأشكال في تبعية عمياء للشرق والغرب.

لذا فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تصحيح نظرة المرأة لنفسها، بحيث تعرفها بحقوقها وواجباتها لتمارسها في إطار من المبادئ والقيم التي يرتضيها لها الإسلام.

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تعمل على تلافي الأسباب التي تؤدي إلى قصور

وعنها بحقوقها. ونجد من بين الدراسات التي أجريت في بيئات إسلامية ما تشير إلى بعض هذه الأسباب، ومنها^(١):

أ - ضعف مستوى الوعي داخل الأسرة والذي يدفعها إلى التمييز بينها وبين الذكور في التعليم وفي المعاملة: حيث تشير نتائج الدراسات؛ إلى أن كثيرا من الأسر التي تؤمن بأهمية تعليم البنات، ترى أن فرص التعليم العالي تحديدا، أمر جدير بالذكر باعتباره يمثل استشارا مستقبليا تعود فائدته على الأسرة، على العكس من تعليم الفتيات الذي تعود فائدته المستقبلية لأسرة أخرى بعد زواج الفتاة. كما أن التمييز يبدو أكثر وضوحا في الأسرة الفقيرة التي تفضل إنفاق الميزانية القليلة على تعليم الذكور، وتفضل تزويج البنت في سن مبكرة بدلا من تعليمها.

ب - ضعف مستوى الوعي لدى المجتمع ككل: إذ لاشك في أن وعي المرأة بذاتها ليس منفصلا عن وعي المجتمع بذكوره وإنائه، بل هو مرافق له. وتشير نتائج الدراسات إلى أنه على الرغم من التغيرات التي شهدتها المجتمعات المعنية؛ إلا أنه مازالت هناك مجموعة من القيم والمفاهيم الخاطئة تسود المجتمع فيما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة.

فمثلا مازال الاحتقار لعمل المرأة في المنزل ساريا، ومازال الاعتقاد بأن إسهام الرجل فيه؛ يقلل من مكانته ويسيء إلى أهميته في نظر الآخرين. ومن ثم وجدنا المرأة إذا ما وجدت من زوجها أية مساعدة؛ نظرت إليها على أنها مساعدة غير متوقعة، وربما حسن أخلاق من الرجل ليس إلا، ويستطيع الرجل أن يتوقف عنها متى شاء دون أن يبدو مقصرا.

وللتربية دورها في تصويب هذا المفهوم لدى أفراد المجتمع الإسلامي، وذلك من خلال عرض حياة الرسول ﷺ القدوة، الذي روت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها أنه كان "يكون في مهنة أهله..... يحلب شاته ويخدم نفسه." (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٢٥٦).

ونجد أن ترفع الرجال عن مد يد العون لأسرهم هو الذي أوقع كثيرا من الأسر في مصيدة "الخادومات"، خاصة في المجتمعات الغنية التي راحت تجلب لنفسها المشكلات

(١) أجريت هذه الدراسات في ست دول إسلامية هي: الأردن، مصر، سوريا، لبنان، اليمن، فلسطين، وقد تمت مناقشتها في المؤتمر التحضيري للمؤتمر الرابع للمرأة بعان في آيار ١٩٩٥ م / ١٤١٥ هـ. انظر: (المرأة العربية - واقع وتطلعات، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٢٨، ص ٢٨٢-٢٩٦).

ج - اقتناع المرأة بدونيتها، وعدم ثقتها بنفسها وجهلها بالحقوق التي كفله لها الإسلام: ومن الأدلة على ذلك ما أشارت إليه نتائج عدد من الدراسات من أن كثيرات من النساء يعتبرن أن التعليم أمر ليس على تلك الدرجة من الأهمية بالنسبة لهن، الأمر الذي يؤكد جهل المرأة بالسبل الحقيقية لتحريرها من الظلم الذي تعيش فيه.

ويمكن دور التربية هنا في غرس الوعي في نفس المرأة المسلمة المعاصرة بأهمية العلم باعتباره فريضة تمكنها من الإحسان في تحقيق معاني العبودية في واقع حياتها، وأنه السبيل الوحيد لتحريرها الحقيقي في ظل الإسلام.

د - الدور السلبي لوسائل الإعلام الجماهيرية من إذاعة وتلفاز وصحافة ومجلات وكتب دراسية: فقد أشارت نتائج الدراسات إلى أن أجهزة الإعلام تعتمد إلى إبعاد المرأة عن نطاق الاهتمامات الفكرية، حيث تقتصر على إبقائها ضمن المجال الأنثوي، فتقدم لها ثقافة الأزياء وفنون التجميل والطبخ، إلى جانب أن الإعلان التلفازي يعتمد بالدرجة الأولى على جمال وجه المرأة البالغة الجمال.

كذلك وجد أن البرامج الموجهة للمرأة لا تخدم المرأة المثقفة أو العاملة أو الريفية، وأن الأفلام والمسلسلات تعرض صورة للمرأة تتناقض مع مبادئ الإسلام؛ فالمرأة الفاضلة الطاهرة النقية مدعاة للملل والرتابة، ويضيق بها البطل، في حين أن المرأة اللعوب ذات الماضي "العريق" هي الجذابة الساحرة، والمعنى أنه لا بد أن تعدل المرأة من أساليبها وفقا لما تراه في اللبس والكلام والحديث والزينة حتى تكون ناجحة.

ويمكن دور التربية في توجيه وسائط الثقافة المختلفة وعلى رأسها أجهزة الإعلام من أجل تصحيح الصورة المشوهة التي تقدمها للمرأة، ومن أجل دفعها إلى الإسهام في تصحيح صورة المرأة المسلمة المعاصرة عن نفسها، والارتقاء بفكرها إلى المستوى المطلوب.

٢- تحقيق البناء السليم لشخصية المرأة المسلمة المعاصرة:

إن التنشئة التقليدية للمرأة المسلمة المعاصرة من الأمور التي تزيد من الفجوة بينها وبين العودة لممارسة وضعها في ظل المكانة التي منحها إياها الإسلام، خاصة في ظل

النظرة إلى المرأة باعتبارها قاصرا مهما بلغت من العمر، وتربيتها على الخضوع التام للأعراف والتقاليد بعيدا عن مبادئ الإسلام، مما ينعكس أثره على شخصيتها حيث يعمل على إعاقة حب الاستطلاع والمبادرة والرغبة في العمل والإبداع.

ونجد المجتمع يزيد من ضغطه على المرأة حينما يعزز فيها الضعف في الشخصية؛ حيث توسم بأنها " مسترجلة " إذا ما كانت قوية الشخصية لا تأبى الضيم، وهناك دراسات تشير إلى أن المرأة تخشى التوقعات الاجتماعية المستديمة التي قد تتهمها بالذكورة (حسن في مجلة العلوم الاجتماعية، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٢٠)، مع أن الرسول ﷺ يقول: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " (مسلم، د.ت، ج ٢، القدر / ٨، ص ٢٠٥٢)، وهو الذي قال بأن " النساء شقائق الرجال " (الترمذي، د.ت، ج ١، الطهارة / ٨٢، ص ١٩٠).

فمن أجل إعادة شخصية المرأة المسلمة المعاصرة إلى وضعها الصحيح في ظل الإسلام؛ فإنه لابد من إعادة صياغة البناء النفسي لها؛ حيث إنها قد فقدت نفسية الخلافة التي يجب أن تتمتع بها خلال عصور الركود والتقليد؛ فلم تعد تدرك حقوقا ولا واجبات، إلى جانب أنها أصبحت غير قادرة على إمداد أبنائها بالحب والعطف والحنان الذي يجب أن تعطيه لهم لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

وبالديانة تكون بالاهتمام بمرحلة الطفولة حيث تهيا المرأة لمسئولية الخلافة من خلال إمدادها بالخبرات والمهارات والاتجاهات اللازمة، بما يوجد لديها مناعة تصدها عن التأثر بالخبرات والاتجاهات المخربة.

ويشير الأستاذ محمد قطب إلى أن التربية إذا ما وجهت طاقات المرأة نحو غاياتها؛ فإنها تثمر عن إيجابية بناءة، عاملة في نفس المرأة، تدفع بها إلى العمل الجاد المثمر البناء. في حين أن اختزال النمو في الاستعدادات، الناجم عن سوء التربية والتوجيه؛ يؤدي إلى أحداث إيجابية مختلة أو إلى سلبيات كثيرة لدى المرأة.

والإيجابية المختلة تتمثل في الطغيان وهو نوعان:

أ - طغيان على النفس: يدفع المرأة إلى كبت بعض الطاقات وإبراز بعضها الآخر.

ب - طغيان على الآخرين: بحيث تندفع في تقرير حقوقها وواجباتها بعيدا عن المجتمع،

فلا تهتم بترابطه، ولا بما يطرأ عليه من خلل.

وفي مقابل هذه الإيجابية المختلة هناك سلبية مريضة وهي أيضا على ضربين:

أ- سلبية مع النفس: حيث تطلق المرأة لنفسها العنان لتسبح وراء الشهوات دون ضوابط.

ب- سلبية مع الآخرين: حيث يضع كيانها وسط سطوة القوى الاجتماعية المختلفة، سواء كانت مادية أو اقتصادية أو أعراف أو عادات أو تقاليد.

وكلاهما اختلال لا يليق بخليفة الله في الأرض، وينشآن من سوء التربية التي قد تتناول جوانب من المرأة دون غيرها، أو تتناولها على غير الوجه المطلوب. (محمد قطب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ١، ص ٣٠-٣١).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ الحرص على تكوين شخصيتها وفقا لمعطيات الكتاب والسنة، لتجيء متميزة قادرة على العطاء في جميع المجالات، مؤهلة للقيام بدور الرعاية المطلوب.

وهناك عدد من الصفات والمهارات القيادية التي ينبغي على التربية أن تهتم بتكوينها لدى المرأة المسلمة المعاصرة^(١) وهي:

أ - المقدرة على التحفيز:

أي امتلاك الصفات والمهارات التي تمكنها من توجيه أفراد أسرتها، بما يشيع روح التعاون داخل الأسرة. وتكوين هذه المقدرة لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج من التربية إلى تعريف المرأة باحتياجات النفس البشرية ومتطلباتها.

وأفضل الوسائل في تحفيز الآخرين:

١ - التشجيع عند الاجتهاد. ٢ - الاعتراف عند الإنجاز.

٣ - المشاركة عند القرار.

(١) هذه الصفات أوردها د. بشير الجابري على أنها صفات ومهارات للقائد الإداري رأت الباحثة أنها تصلح لأن تكون صفات للمرأة الراعية في بيتها باعتبارها تمارس فيه نوعا من القيادة. انظر: (الجابري، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١١-١٤٨).

(الجابري، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١٤٧)

ب - الثقة بالنفس:

وإيجاد هذه الصفة لدى المرأة المسلمة المعاصرة يحتاج من التربية إلى تعزيز صلتها بالخالق لتكون واثقة بوعده، مدركة لحقيقة وجودها في هذا الكون، وكذلك لمسئوليتها التي إن أحسنت في أدائها نالت رضا الله سبحانه وتعالى ثم رضا الآخرين عنها.

ج - مستوى الطاقة:

مستوى الطاقة يعني " القوة الداخلية التي تحرك صاحبها وتجعله قادرا على التحمل والصبر، وإتيان الأمور المهمة على طول الزمن، وتغير الأحداث، وهي استعداد خاص، بمواهب جسدية ونفسية وعصبية ثم دربة وتجلد، حتى يصل الإنسان إلى أقصى ما يستطيع... " (الجابري، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٣).

فلا بد أن تعمل التربية على تنمية قدرة المرأة على الوقوف مع الحق في وجه الباطل، والقدرة على العمل الدؤوب المستمر، والقدرة على التعامل مع مختلف المواقف التي تمر بها داخل الأسرة والتي تحتاج منها إلى اتخاذ قرارات تلو أخرى، ومواقف حاسمة... إلخ " ومن جرب اتخاذ القرارات في الأمور البسيطة وما يحتاجه ذلك من استعداد ودأب ونصب حينما تشتهي النفس هذا الأمر، وحين تبغضه تبعاً لأحوال السرور والكدر، والقرب والبعد، والاطمئنان والخوف؛ يعلم عظم هذا الأمر " (الجابري، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ١١٣).

د - النضج العاطفي:

وهو يتكون من القدرة على التوازن التي تتحقق من خلال ضبط العواطف ساعة الفرح المطغي، أو الحزن المبكي، بحيث لا تمتنع المرأة من استخدام العقل والحكمة بقدر المستطاع.

وسرعة نضج العواطف تأتي من خلال التجارب التي ينبغي على التربية أن تهتم بتعريض المرأة المسلمة المعاصرة لها لتخوضها وتتعلم منها، فتتصر في حالة الثبات، وتنهزم في حالة التراجع أو الضعف، لكنها في كلتا الحالتين تتعلم ما ينفعها في مستقبل حياتها.

هـ - المهارات اللازمة:

فلكل باب من أبواب القيادة مهارات خاصة، لا يمكن أن ينجح بدونها القائد.
(الجابري، ١٤١هـ/ ١٩٩٤م، ص ١١٥). وبالنسبة للمرأة فهناك كثير من المهارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي ينبغي على التربية أن تهتم بتكوينها لدى المرأة المسلمة المعاصرة.

فمثلا من بين المهارات الاجتماعية: إحسان الاستماع والإقناع والتفاعل والتعاطف والاتصال بالآخرين.

ومن بين المهارات الفكرية: القدرة على الفهم، النظر المستقبلي والقدرة على الموازنة بين الأمور.

و - القدوة:

وهذه أهم صفات القائد، فلا بد أن تكون للمرأة المسلمة المعاصرة أسوة بالرسول ﷺ الذي لم يكن يسير أموره من خلال الأمر، رغم أنه الرئيس والقائد والنبي والمرشد للصحابة رضوان الله عليهم، ولكنه كان يسيرها من خلال القدوة وطلب المشورة، حيث يبدأ بنفسه في تطبيق أي أمر يأمرهم به، كما أنه كان يكل الناس إلى ضمايرهم، حيث يقول ﷺ فيما روته أم سلمة رضي الله عنها: "إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها" (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٣، الشهادات/ ٢٧، ص ١٦٢).

ز - التأثير على التابعين:

بحيث تمتلك المرأة القدرة على تنمية مهارات أفراد أسرتها وطاقاتهم؛ وذلك من خلال قراءة الكتب والاستماع إلى سير وتجارب الآخرين. ونجد التربية النبوية تعتمد على القيمة الذاتية للفرد فتعامله على أساسها؛ فقد ولى الرسول ﷺ أسامة رضي الله عنه قيادة الجيش وهو في الثامنة عشرة.

فلا بد أن تعمل التربية على تنمية قدرات المرأة المسلمة المعاصرة بما يمكنها من معاملة كل فرد من أفراد أسرتها بحسب قدراته وطاقاته.

فهذه هي أهم الصفات التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على استعادة شخصيتها

الإسلامية المفقودة والتي لو استعادتها لاستعاد الرجل شخصيته، باعتبارها المربية الأولى، وبذلك تسهم المرأة في إخراج الأمة المسلمة من التخلف الذي ترسف فيه.

٣- حمايتها من التقليد والتبعية للآخرين:

تنبه آيات القرآن الكريم إلى حقيقة المكانة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي تفسيره لمعنى هذه الآية يشير الأستاذ سيد قطب إلى أن الأمة الإسلامية هي وسط بكل ما في الوسطية من معاني الفضل والقصد والاعتدال والتوسط ماديا ومعنويا. فهي وسط في التصور والاعتقاد، فلا تطرف روحاني ولا مادي. وهي وسط في التفكير والشعور، فلا تجمد على ما عملت ولا تقلد كل جديد. وهي وسط في العلاقات فلا تبالغ في الفردية ولا في الاجتماعية، بل توازن بين كل ذلك (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، مج ١، ص ١٩١).

فهذا التوازن هو الذي يحقق للأمة الإسلامية تميزها بين غيرها من الأمم.

وإذا ما نظرنا إلى مجال التقليد الذي يشيع في حياة المرأة المسلمة المعاصرة؛ لوجدنا أن التربية الإسلامية تعطي الأولوية للمبدأ الأخلاقي ثم يأتي الجمال بعد ذلك، ومن هنا تبدو خطورة التقليد والتبعية من قبل المرأة المسلمة للآخرين، إذ فيه إشارة إلى أنها تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ونجد التوجيهات النبوية تحذر من ذلك حيث يقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنه: "من تشبه بقوم فهو منهم". (أبو داود، د.ت، ج ٣، رقم / ٤٠٢٣، ص ٤٢).

فالتشبه مدعاة لأن تخرج المرأة المسلمة من دائرة الإسلام إلى دائرة الآخر الذي تشبه به، في حين أن الإسلام يحرص على تميز الشخصية المسلمة في كل شيء، حتى في التحية. فقد روى عمران بن حصين رضي الله عنه " قال: كنا نقول في الجاهلية: أنعم بك عينا وأنعم صباحا، فلما كان الإسلام نهينا عن ذلك... " (أبو داود، د.ت، ج ٤، الأدب / رقم ٥٢٢٧، ص ٣٥٧).

كذلك فإن الإسلام حريص على حماية ثقافة الأمة، وعلى تحرير المسلم من عقدة

النقص أمام الآخرين، حيث نجد التوجيهات القرآنية تنبه المسلم إلى مكانته بين الآخرين، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وأن مهمته تتمثل في إنقاذ العالم من ضلاله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿لَنْكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن ثم فإنه لا ينبغي لمن كانت هذه مكانته أن يقلد غيره.

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بتوجيهها إلى تلمس مظاهر التقليد التي تبدو في حياتها والتي تعبر عن الانهزام وفقدان التوازن في الشخصية الذي يجعلها لا تميز بين ما يجب أن تترك وما يجب أن تأخذ، وأن تعمل على إعادة بناء شخصيتها على أسس صحيحة، لتجيء متميزة في الشكل والمضمون. وأهم السبل التي تساعد التربية على حماية المرأة المسلمة المعاصرة من الانجراف وراء تقليد الآخرين، هو الحفاظ على فطرتها سليمة من التشوه كما أودعها الله سبحانه وتعالى فيها.

وللتعرف على كيفية تحقيق ذلك نحتاج إلى التعرف على معنى الفطرة أولاً.

معنى الفطرة:

لغة: الخلقة (الرازي، د. ت، ص ١٨٦)، ويذهب الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] إلى أن المقصود بالفطرة هو ما خلق الله عليه البشر من قدرات تؤهلهم للاستدلال عليه من خلال آياته المشهودة في الكون، ومن ثم الإيمان به والسعي لمعرفة شرعه واتباعه. وأن هذا هو المتفق مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]. فالآية الكريمة تدل على إقرار الخلق بالربوبية لله سبحانه وتعالى، (القرطبي، د. ت، ج ٤، ص ٢٩) كما أنها تشير إلى أهلية فطرتهم لإدراك ألوهيته سبحانه وتعالى وحاكميته للكون (المودودي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٩ - ٢٠).

إلا أن الفطرة المودعة في نفس الإنسان يمكن أن يلحقها التشوة والانحراف وذلك إذا ما اكتفى الإنسان باستدلالاته العقلية القاصرة، والتي تعجز عن تجاوز دلائل الوجود إلى الخالق، الأمر الذي يجعل الإنسان ينتكس عن إنسانيته، ويتوجه بالعبودية لغير الله من

أشياء وأشخاص تزيده ضلالا وغواية (المودودي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٦).

وانحراف الإنسان عن سلوك الفطرة ومتطلباتها من إخلاص العبودية لله؛ يؤدي حتما إلى إحداث تمزق في نفس الإنسان، مما يشتت اتجاهاته نحو أرباب عدة. ولأن قدرة الإنسان غير مؤهلة لتحمل هذا التمزق؛ لذلك نجده في النهاية يصاب بالشعور بالإحباط، ومن ثم التخبط في مهاوي الفساد التي ترديه إلى أسفل سافلين.

وانحراف الفطرة وتشوهها يكون بقدر الانحراف عن غايتها، فقد يكون بسيطا إذا تسبب فيه قصور الإدراك البشري أو الضعف البشري تجاه الأهواء و الرغبات العابرة. لكنه قد يحرف الفطرة كليا فتصبح مسخا آخر عندما يصل بها الانحراف إلى رفض الغاية الأساسية من وجودها. وإلى حقيقة هؤلاء أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فقد وصف الله سبحانه وتعالى منحرفي الفطرة بالغفلة؛ لأنهم عطلوا ما زودهم الله به من مؤهلات حسية من سمع وبصر وفؤاد وعقل، والتي تؤهلهم لمعرفة وإدراك ألوهيته، ومن ثم خضعوا لغيره، وانحدروا بذلك إلى منزلة الأنعام إن لم يكن أدنى.

فلا بد من تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بحقيقة الفطرة التي أودعها الله في نفسها، وكيف أن خروجها عنها من خلال تبعيتها العمياء وتقليدها للآخرين عن غير وعي؛ يجعلها في مرتبة الحيوان حيث تسلم قيادها للأهواء والشهوات، في حين أن التوجه الخالص لله سبحانه وتعالى يعمل على الحفاظ على الفطرة، ومن ثم يتحقق لها التوازن النفسي الذي يوفر لها الأمن والاطمئنان.

ولأن فطرة المرأة قابلة للتشوه والانتكاس؛ فإنه لا بد من الحرص على تزكية نفسها باستمرار من أجل إزالة ما يعلق بها من شوائب. والتزكية تعني تغيير ما بالنفس وهو الأمر الذي ربط الله بينه وبين تغيير أحوال الأمم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ونجد في السنة النبوية أن الرسول ﷺ قد عمل على تزكية نفوس أصحابه مهتديا بما آتاه الله سبحانه وتعالى من الكتاب والحكمة، ولنا فيه ﷺ أسوة حسنة، بحيث نستلهم من

سلوكه عليه السلام ما يعيننا على فهم النفوس وسبل تغييرها؛ بحيث نتأمل في المواقع التي أمر فيها بالابتسام، والتي أمر فيها بالتواضع والتي أمر فيها بالإعراض؛ وكيف كان يربي بالمقاطعة، وبالنظرة، وبالحب. كيف ربي أنسا عليه السلام لمدة عشر سنوات دون أن يوجه إليه لوما (لحام، من هدي سورة عمران، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٠٧-٢٠٨).

ويفيد في تزكية النفس توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية مراقبة سلوكها بما يجعلها دوما تسير في طريق الاستقامة، سيما وأن الإسلام يعود أتباعه على الأمانة في كل حال؛ في العبادات والمعاملات، وذلك من خلال محاسبة النفس عن طريق العبادة، حيث نجد القرآن الكريم يتضمن كثيرا من الأساليب التي يوجه بها خطابه إلى الفرد المسلم، ومن بينها الترغيب والترهيب؛ ليجعل الإنسان يتحرى الحق في كل ما يفعل، ويستحي من نفسه إذا ما قصر أو أخطأ، بل وقد يعرض نفسه للعقاب كما حدث مع الغامدية التي ارتكبت فاحشة الزنا.

ومن وسائل التزكية التي يمكن أن تستخدمها التربية؛ تذكير المرأة دوما بالموت، الذي هو أثر القهر الإلهي، مما يجعل المرأة تندفع إلى القيام بحقوق الله والإخلاص في أداء ما عليها من مسئوليات.

وهنا لابد من التنبيه إلى أن قصر الأمل في الدنيا لا يحول دون تحقيق الخلافة في عمارة الكون بل إن " عمارة الدنيا مع قصر الأمل تكون أقرب إلى العبادة، إن لم تكن عبادة خالصة، ففارق بين من يعمل بالسياسية قياما بحق الله، وبين من يعمل فيها من أجل شهوة النفس " (حوي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣١).

وبصفة عامة فإنه يمكن القول إن وسائل تزكية النفس هي " الأعمال التي تؤثر تأثيرا مباشرا في النفس؛ بأن تشفيها من مرض أو تخرجها من أسر، أو تحققها بخلق. وقد يجتمع هذا كله في عمل؛ فأداء الصلاة مثلا يخرج الإنسان من التكبر على الله رب العالمين، وفي الوقت نفسه تنور الصلاة القلب، فينعكس ذلك على النفس أن تترك الفحشاء والمنكر ". وأعمال الإسلام كلها يمكن أن تدخل في مثل هذا، بحيث تترك أثرها في النفس وتخلصها من مرض أو تتحقق بمقام إيماني أو خلق إسلامي (حوي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣٣-٣٤).

٤- القضاء على جميع ممارسات العنف ضدها:

جاء الإسلام لكي ينتصر للإنسان؛ ويخرجه من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وتمثل المرأة أهم العناصر البشرية التي وقع عليها الظلم والاضطهاد عبر التاريخ؛ لذلك وجدنا الإسلام ينتصر لها وينصفها ويحررها ويعيدها إلى المرتبة اللائقة بها باعتبارها خليفة في الكون.

إلا أن المسلمين لم يتبعوا توجيهات الإسلام في معاملة المرأة المسلمة، والنظر إليها من منطلق الإنسانية التي تجمع بينها وبين الرجل؛ حيث نجدهم سرعان ما انحرفوا في معاملتهم لها عن هدي الإسلام، فحرموها أبسط الحقوق التي كفلهما لها الإسلام، ومارسوا عليها أشكالاً من العنف المادي والأدبي.

وسوف نحاول فيما يلي أن نوضح دور التربية في القضاء على بعض ممارسات العنف ضد المرأة والتي تشيع في المجتمعات الإسلامية وهي:

- التمييز بين الذكر والأنثى.

- النظر إلى المرأة كجسد.

أ- التمييز بين الذكر والأنثى:

على الرغم من أن الوأد الجسدي قد انتهى مع مجيء الإسلام، إلا أنه لم ينته فعلياً؛ بل اتخذ أشكالاً أخرى، ظل من خلالها حقيقة واقعة في صورة وأد نفسي، ووأد تربوي.

والوَأد النفسي يتمثل في تفضيل الذكر عليها في كل شيء، منذ الولادة، حيث نجد الفرحة بولادة الذكر تفوق كثيراً الفرحة بولادة الأنثى لدى الكثيرين.

وتؤكد نتائج الدراسات التي أجريت في بعض البيئات الإسلامية؛ أن التمييز بين الذكور والإناث يبدأ منذ الولادة، حيث تواجه ولادة الأنثى بعدم التقبل من الأسرة؛ لأن إنجاب الذكر يعزز من مكانة المرأة عند زوجها، ويعزز مكانة الرجل في المجتمع. وقد يعرض إنجاب الأنثى المرأة للطلاق أو لأن تهجر هي بناتها. ويستمر التمييز بينهما عبر

مراحل النمو المختلفة؛ حيث تمتع البنت من ممارسة حريتها في اللعب واللهو، من أجل القيام بأعمال المنزل وهي في سن صغيرة، في حين يسمح لأخيها بممارسة هواياته المختلفة، ويحظى بإعجاب أفراد الأسرة وتشجيعهم. هذا إلى جانب أن المولودة الأنثى لا تتلقى العناية الصحية والغذائية اللازمة؛ مما يجعل نسبة وفيات البنات أعلى من الذكور في السنة الأولى من الولادة في بعض البيئات (المرأة العربية - واقع وتطلعات، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١٨١ - ١٨٢).

ويلاحظ أن الناس في غمرة فرحتهم بالذكر وحزنهم بالأنثى ينسون قول الرسول ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، علم يتفقه به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له" (الدارمي، د.ت، ج ١، ص ١٣٩). والولد الصالح هنا يشمل الذكر والأنثى. لكن الآباء يفرحون بولادة الذكور ليس لرغبتهم في صلاحهم، أو قيامهم بأعمال لا تستطيعها النساء مما يحفظ لهم ذكرا في الدنيا والآخرة، وإنما لرغبتهم في الحفاظ على اسم العائلة، ومواصلة ما بدأه الآباء من أعمال أو صناعات.

وهكذا تتبدى العصبية القبلية التي نهى عنها الإسلام في أشنع صورها، لتدفع بالآفراد إلى مخالفة توجيهات الإسلام في معاملتهم للأنثى.

وهناك ما يشير إلى أن المرأة أكثر تطرفا في تفضيلها لإنجاب الابن الذكر، والسبب في ذلك يعود إلى أنه في كثير من البيئات؛ مازالت قوة الأسرة تقاس بعدد أبنائها من الذكور؛ ولذلك فإن المرأة لا تستطيع أن تأخذ وضعها الاجتماعي والنفسي إلا بعد إنجاب الابن الوارث (الباز في المستقبل العربي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ع ١٢٠، ص ١١).

وقد يكون الدافع إلى تفضيل المرأة للابن الذكر؛ هو موقف الرجل الذي يتعسف مع زوجته إذا ما أنجبت له أنثى، فيأتي موقف الأم كنوع من الإسقاط بسبب عدم قدرتها على مواجهة الرجل.

ومن الأسباب التي تدفع بكثير من الناس إلى تفضيل الذكور، ما كبدهوا لأنفسهم من مشاق تقليد الآخرين في تجهيز البنات عند زواجهن، إلى جانب رغبتهم في الحفاظ على

إرث العائلة - إذا ما كانت غنية - من أن يتبدد إلى عائلة أخرى بعد زواج البنت.

ويؤكد بو علي ياسين أن تفضيل الذكور خاصة من قبل الأم، إن كان له ما يبرره في السابق أملا في أن يحميها عندما تكبر من تعسف الزوج أو العدوان الخارجي المحتمل أو إعالتها عند الزوم؛ فإنه لم يعد مبررا الآن بعد أن أصبحت الفتاة تمتلك نفس القدرة على إعالة الأم^(١)، وربما أفضل بحكم العاطفة (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣٧).

وتشير الدراسات إلى أن التمييز بين الذكور والإناث، يعود بكثير من الآثار الضارة على نفسية البنت. ومن بين تلك الآثار^(٢):

١- أن إثارة الولد على البنت قد يجعلها تشعر بحقارتها وقلة شأنها، مما يجعلها غير قادرة على إحسان تربية أولادها، فكيف تربيتهم على العزة والعدل، وهي لا تعرف هذه الحقوق في نفسها.

٢- أن اهتمام الوالدين وتفضيلهم لأحد الأبناء قد ينتقل إلى الأقرباء مما يعود بالضرر الكبير على البنت.

٣- أن التفرقة في المعاملة قد تؤدي إلى نتائج خطيرة نفسيا وسلوكيا وأخلاقيا، من بينها عقوق الوالدين. وقد نبه الرسول ﷺ إلى ذلك بطريق غير مباشر في قوله: "رحم الله والدا أعان ولده على بره" (العجلوني، د.ت، ج ١، ص ٤٢٧).

(١) والأب في بعض الأحيان.

(٢) انظر في ذلك: (الإستانبولي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م - ابن عمر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٦) - (حماد، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١١٥) - (مصطفى السباعي، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ١٣٤) - (راجح، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٢١) - (إسماعيل، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٢٨٤) - (زكريا إبراهيم، د.ت، ص ٤١، ص ٤٨) - (ورقة عمل عن ندوة توفير التعليم الأساسي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٩).

٤- أن إثارة بعض الأبناء دون غيرهم قد يولد بينهم العداوة والحقد والحسد^(٣)، إلى جانب العقد النفسية وغيرها من الأمراض التي قد تصل بالأبناء إلى حد الانحراف.

٥- الشعور بالظلم مع الضعف والمهانة قد يولد لدى البنات الحقد والرغبة في الانتقام، ولن تجد أمامها سوى زوجها وأولادها.

٦- إثارة الابن قد يولد لدى البنات اتجاهات نحو كره الذات، مما ينعكس أثره على سلوكها تجاه الآخرين؛ لأن من كره ذاته كره غيره.

٧- قد تبذل البنات جهودا كبيرة من أجل تصحيح نظرة العائلة إليها، فإذا لم تفعل؛ فإنها لا تلبث أن تتحقق بأن الذنب في ذلك يعود إلى "جنسها الضعيف" الذي تنتمي إليه، ومن ثم تعود باللائمة على القدر الذي جعلها أنثى، وذلك بسبب ما تعانيه من دونية تجاه الذكر.

٨- تفضيل الذكر على الأنثى يعيق حاجتها إلى الأمن وإلى الانتماء، وإثبات الذات، وهي حاجات أساسية يؤدي فقدانها إلى القلق النفسي وإلى كثير من العادات السيئة وأساليب السلوك غير السوي.

ونجد الملتقيات العالمية التي تهتم بالمرأة تؤكد على أهمية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، لما يترتب على ذلك من آثار خطيرة في المجتمع، فقد أشارت وثيقة مؤتمر بكين في الفقرة ٢٥٩ إلى "أن من يعيش من البنات حتى سن البلوغ أقل من عدد البنين، ومن أسباب ذلك ممارسات التفرقة بين الذكور والإناث والتي تشمل أموراً كثيرة، منها التمييز ضد البنات في توزيع الطعام وغير ذلك من الممارسات المتصلة بالصحة والرفاه" (وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٦١٤٧).

وهكذا يترك أفراد من المسلمين قيادهم للأهواء والشهوات تستعبدهم وتجعلهم

(٣) فتاة في الرابعة من عمرها عمدت إلى قتل شقيقها الأصغر منها والذين كانا يستأثران بحب وحنان والديها، فقررت معاقبتها على طريقتهما بسبب الغيرة، حيث ألقت بهما أرضاً وضربتها ضرباً شديداً على الرأس حتى فارقا الحياة (مجلة الإصلاح، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ع ١١٥، ص ٣٧).

غافلين عن واجبهم في تحقيق العدل والإحسان في معاملة أبنائهم، ويغفلون عن المعيار الحقيقي للتفاضل وهو التقوى، ويرفضون التسليم لأمر الله وقضائه في تقسيمه للأولاد، فهو الواهب للذكور والإناث، ولو شاء منعهم جميعاً: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا ۖ وَيَجْعَلُ لِمَن يَشَاءُ عَاقِبًا ۖ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ونجد الرسول ﷺ يرغب في الأنثى بقوله: " من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار " (ابن حنبل، د.ت، ج ٦، ص ٣٣).

كذلك فإنه ينبغي على التربية أن تهتم بالقضاء على جميع أشكال الوأد التربوي الذي يمارس ضد المرأة والمتمثل في قلة فرص التعليم المتاحة أمامها في كثير من البيئات، وانعدامه في بعضها، وكذلك عدم الاهتمام بتقديم نوعية من التعليم تأخذ بعين الاعتبار إمكانات المرأة وقدراتها واستعداداتها.

فعلى الرغم من الحقيقة التي يؤكددها علم وظائف الأعضاء من أن البنات أسرع نضجا من البنين؛ إلا أن المؤسسات التربوية تأبى الاعتراف بهذه الحقيقة حتى الآن، حيث نجدها تقدم للنوعين ذات المناهج في سائر المراحل التعليمية، ونجد آثار هذا الغبن واضحة جلية في حياة المرأة، حيث أسهمت نظم التعليم في تأخير سن الزواج عن وقته الملائم، كما أسهم تجهيلها بشئون المنزل - لانشغالها بالدراسة - في عجزها عن أداء مسؤولياتها بإحسان وإتقان (محمد قطب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٤٨-٣١٩).

ب - النظر إلى المرأة كجسد:

ما من شك في أن الفطرة السليمة ترفض انكشاف العورة؛ ولذلك وجدنا آدم وحواء يسارعان إلى سترها حالما انكشفت، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

[الأعراف: ٢٢].

ونجد أن انكشاف سوأتي آدم وحواء، قد حدث بسبب الشيطان الذي استطاع إيقاعهما في الغواية، فوقعا فيما نهيا عنه من أمر الله؛ ولذلك وجدنا آيات القرآن الكريم تحذر بني آدم من فتنة الشيطان وإغوائه كما فعل بأبويهما. ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۖ إِنَّهُ يَرَئَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

والعالم الغربي نتيجة لغفلته عن حقيقة علاقته بالله سبحانه وتعالى لا يدرك هذه الحقيقة؛ ولذلك نجده قد عمل ويعمل جاهدا على سلب المرأة خصائصها الفطرية والإنسانية، حتى أنه قد جارى الشيطان في أهدافه حين اتخذ من المرأة سلعة تباع وتشتري، واتخذ من جسدها معرضا من أجل إثارة الغرائز البهيمية لدى الذكور.

فالعري- كما يقول سيد قطب- " فطرة حيوانية تشير إلى انتكاس الإنسان في ذوقه، وهذا ما تردت إليه الحضارة المعاصرة " (سيد قطب، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مج ٣، ص ١٢٧٥)، التي نجدها قد ساقطت المرأة - بدعوى الحرية - إلى البروز في كل مجال، خاصة في مجال الفن الحسي، وذلك من خلال استغلال مفاتها لإثارة الجنس البشري.

ونجد القائمين على شئون الفن يحرصون على انتقاء أجمل النساء من أجل الإغراء والإثارة لجلب الجمهور الذي لا يهيمه سوى إثارة مشاعره والتمتع بأنوثة المرأة. (النقار، د.ت، ص ١٠٤-١٠٨)

وقد بدت حرية المرأة المعاصرة - المزعوم أنها قد نالتها في ظل الحضارة المعاصرة - أكثر تفسخا وتهورا؛ وذلك في شكل الرقص من قبل المرأة وهي شبه عارية في الملاهي والأندية والحفلات من أجل إثارة الناظرين.

وهناك أيضا الغناء ومسابقات ملكات الجمال اللاتي يفتخرن برشاقة أجسادهن، حتى وصل الأمر بالمرأة إلى الرضا بأن تكون ملكة جمال الخضراوات والمأكولات^(١)

(١) قدمت مندوبة يابانية في منتدى عالمي للمرأة احتجاجا ضد مسابقات الجمال... قائلة إنه ليس للرجال أي حق في تحديد معايير جمال المرأة. وقالت اياكو ياماجوتشي في كلمة في قاعة بإحدى ضواحي بكين: أي حق للرجال في تحديد الأفضل من جمال المرأة وأي حق للرجال في تقييم المرأة في بضع دقائق. وأضافت: " كل النساء جميلات... مفهوم الجمال يختلف من شخص لآخر. ودعت ياماجوتشي ومجموعتها من ساكاي في

(النقار، د.ت، ص ١١٠).

ونجد أن الشيطان قد تمكن من إغواء المرأة المسلمة لتنجرف في طريقه وتهبط باسم الفن - في تبعية عمياء للغرب - لتقع في أيدي تجار الرقيق المعاصرين الذي يجلبون الفتيات بشتى المغريات المادية، ويوظفونهن من أجل إرضاء اللذة الحرام والكسب الحرام من وراء عرض أجسادهن^(٢).

فينبغي في تربية المرأة المسلمة المعاصرة الاهتمام بغرس أهمية الالتزام بالقيم الأخلاقية المستمدة من مبادئ الإسلام في نفسها، وتنمية الاعتزاز بانتمائها إليه لديها، لما يحققه التزامها به من تسامح عن الإسفاف في استعمال الغرائز.

كما ينبغي الاهتمام بتثقيف وسائط الثقافة في المجتمع المسلم مما يشوبها من شوائب بحيث تصفى لتكون معينة لبرامج التربية الرسمية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

ولابد من تنبيه أفراد المجتمع المسلم بصفة عامة والمرأة المسلمة المعاصرة بصفة خاصة؛ إلى عظم جرم من يمتهن إنسانية المرأة فيتخذ من جسدها ألعوبة يتلهى بها، وتوجيه انتباههم إلى حكمة الإسلام في سد مسالك الفتنة من أجل الحفاظ على أمن المجتمع وطهارته، حيث نجد الخطاب يتوجه لنساء النبي رضي الله عنهن بصفة خاصة، ولنساء المؤمنين عامة، بالنهاي عن الخضوع في القول، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ الْنِسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب].

إن نعومة صوت المرأة عن صوت الرجل حقيقة ملموسة، ولأن الانجذاب بين الذكر والأنثى حقيقة أيضاً؛ لذلك فقد وجدنا التربية الإسلامية تحرص على وضع

غرب اليابان الحاضرين إلى التوقيع على التماس ضد مسابقات الجمال.. ووقع نحو ١٠٠ شخص خلال الساعة الأولى. " (اجتماع ضد مسابقات الجمال.. الثورة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٢٥١).

(٢) تقول إحدى الرافصات ممن من الله عليهن بالهداية: " أعيش مع ابني وزوجي ترافقني دموع الندم على أيام قضيتها من عمري بعيدا عن خالقي الذي أعطاني كل شيء. ولم أعطه أي شيء. إنني الآن مولودة جديدة... أشعر بالراحة والأمان بعد أن كان القلق والحزن صديقي رغم الثراء والسهر واللهو!.. وتضيف: = " ... قضيت كل السنين الماضية صديقة للشيطان، لا أعرف سوى اللهو والرقص، أمتع الناس... كنت أعيش حياة كريمة حقيرة... كنت دائما عصبية.. الآن أشعر أنني مولودة جديدة.. أشعر أنني في يد أمينة تحنو علي وتباركني، يد الله سبحانه وتعالى " (المجلة العربية، ع ١٤٠، ص ٨ عن معبر، د. ت، ص ٤٦).

الضوابط التي تحفظ للمجتمع توازنه ونقاءه.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:

"..... أمرهن الله أن يكون قولهن جزلاً، وكلامهن فصلاً، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بها يظهر عليه من اللين، لما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكاملة الرجال بترخيم الصوت ولينه، مثل كلام المريبات والمومسات. فنهاهن عن مثل هذا وذلك لئلا يطمع من في قلبه تشوق للفجور والفسق والغزل" (القرطبي، د.ت، ج ١٤، ص ١٧٧).

فهو سبحانه وتعالى يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول فترقق كلامها ما يثير الفتنة في قلوب ذوي النفوس المريضة؛ ولذلك أمرهن بالحديث بأسلوب بعيد عن أن يكون مدخلا لما يخشى منه (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٢٨٥٩). فلا بد في تربية المرأة المسلمة المعاصرة من الحرص على غرس قيمة التقوى في نفسها والتي تجعلها ترتقي إلى مرتبة الإحسان فلا تظلم نفسها بالوقوع فيما حذرها الشارع منه.

٥- تدعيم صمود المرأة أمام الابتلاءات:

وأهم ابتلاء تتعرض له المرأة في هذا العصر يتمثل في العنوسة التي تحرمها من إشباع حاجة مهمة من حاجاتها النفسية.

لقد حرص الإسلام على تشييد البناء الأسري على أسس متينة من الدين والخلق القويم، ومن ثم وجدناه يحث الرجل حين إقدامه على الزواج على اختيار ذات الدين، الأمر الذي يجعل النساء جميعاً على قدم المساواة من حيث فرص الزواج وتكوين الأسرة بصرف النظر عن الشكل أو اللون أو الحسب... إلخ..... حيث إن الدين وحسن الخلق أمر يمكن لأية امرأة أن تتحلى به إذا ما أرادت.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: " لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرددين، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل" (ابن ماجه، د.ت، ج ١، النكاح / ٦، ص ٥٩٧).

ومما يؤسف له أن كثيرا من الأولياء يعمدون مع بناتهم إلى ما هو أقسى من الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية؛ وذلك بعضلهم لهن، والامتناع عن تزويجهن، مما يحرمهن حقهن في قضاء حاجتهن الفطرية إلى الزواج والأموعة؛ الأمر الذي يعود عليهن بالألم النفسي إن لم يحرفهن الشيطان في طريقه.

وقد أدى ذلك إلى ارتفاع نسبة العنوسة بين الفتيات وأصبحت العنوسة - كما يقول بوعلي ياسين - تمثل "مسألة منغصة تدعو إلى الاتهام من قبل الآخرين، وإلى الإحساس بالنقص من قبل الفتاة" (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٨١).

أسباب العنوسة:

ترجع العنوسة أساسا إلى الابتعاد عن هدي الإسلام في الزواج، والذي يبدو مظاهره في كثير من الأمور من بينها:

أ- المحافظة على الثروة:

فأهل الفتاة قد يعمدون إلى منع تزويجها بالكفء حتى لا تنتقل ثروة العائلة إلى عائلة أخرى؛ لذلك نجدهم يفضلون تزويجها من الأقارب خاصة ابن العم، (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٤١) وهذا الحل أيضا يمكن أن يكون سببا من أسباب العنوسة في حالة قلة عدد أبناء العم بالنسبة لبنات العم، أو انعدام الأهلية العلمية، أو الاقتصادية لدى ابن العم للزواج بابنة العم، ومن ثم تترك الفتاة لتواجه مصيرها في العنوسة.

ب - الفهم الخاطئ للحياة:

فقد تعتمد الفتاة إلى تأجيل مسألة الزواج لحين الانتهاء من تحصيلها العلمي، فترفض من يتقدم لخطبتها، في حين أن الرجل لدينا - بصفة عامة - مهما بلغت درجة ثقافته وتحصيله العلمي؛ نجده لا يرغب بالزواج من امرأة تشكل ندا له إلا في حالات استثنائية. ونجد كثيرا من الشباب - بل وحتى الكهول - عند زواجهم؛ أول ما يسألون عنه هو عمر الفتاة لا عن ثقافتها أو السنوات الطوال التي قضتها في التحصيل العلمي (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٨١، ص ٨٩).

وأحيانا ما يكون الانتهاء من التحصيل العلمي شرطا يفرضه أهل الفتاة، فنجدهم يرفضون من يتقدم لخطبتها حتى تكمل تحصيلها العلمي وتنال شهادة تنفعها؛ " لها

وللزمان."، ولعدم قدرة الفتاة على مواجهة الأهل؛ فإن أثر ذلك قد ينعكس على نفسياتها، مما يجعلها - على حد تعبير أسعد - "تظل في حرب مع نفسها، ومع غيرها"، وقد تصبح فريسة سهلة للصراع النفسي. (يوسف أسعد، د.ت، ص ١٦٠).

ج - الرغبة في الصعود الطبقي من خلال الزواج:

وذلك بأن تضع الفتاة لنفسها - أو تضع لها أسرتها - مستويات من الطموح تتخلل عنها إن لم تجدها؛ لكن بعد أن يفوتها القطار.

د - الالتزامات الأسرية:

فقد تغض الفتاة النظر عن الزواج لضرورات أسرية، ويفوتها القطار قبل أن تتحرر من التزاماتها، كأن تعيل أهلها الذين لا مورد لهم، أو إخوتها الصغار بعد وفاة المعيل.

هـ - محدودية الاختيار:

وهذه يتسبب فيها المجتمع؛ بحيث إنه إذا ما كانت الفتاة تنتمي إلى أسرة غنية أو عريقة النسب؛ فإنها لا تجد الخطيب، المناسب في حين يسمح لأخيها بالزواج من أسر أقل غنى، أو أقل عراقية.

ز - أسباب نفسية:

وهذه تعود إلى نفور الفتاة من الزواج لأسباب تعود إلى تنشئتها منذ الصغر، أو إلى تجارب الآخرين من حوها.

فمثلاً إذا كانت الفتاة تعيش في أسرة يعتدي فيها الأب على الأم، أو لا يكف عن انتقاداتها، فإن ذلك يجعل مركز المرأة يسوء في نظر الصغيرة. وأحياناً تكون الأم ساخطة على مصيرها زوجة وأماً، مما يجعلها تحذر ابنتها من الزواج والأطفال. ورغم أن تعرض الفتاة لمثل هذه الخبرات قد يتم في مرحلة الطفولة؛ إلا أنه يظل عالقا في لاشعورها، إلى أن تجتاز بنفسها مرحلة الزواج والإنجاب (إبراهيم، د.ت، ص ٥٩).

ح - أسباب جسمية:

كالإعاقة، والتشوه، وقلة الجمال، ولون البشرة إلخ.

ط - أسباب أخرى:

قد يسعى الأهل إلى عدم تزويج ابنتهم متعللين بشتى المبررات، لحاجتهم - الحقيقية أو المفتعلة - لدخلها إذا ما كانت تعمل، أو خوفاً من الوحدة بعد زواج البنت في حالة وجود الأم أو الأب وتكون الفتاة وحيدة، أو آخر من بقي من الأبناء بلا زواج. بل إن

الفتاة قد ترفض الزواج إذا ما اعتدي على حريتها في اختيار شريك حياتها، كما أن المحافظة على الدين والأخلاق قد أصبحت في المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه اليوم؛ تمثل أحد أسباب العنوسة، حيث ينصرف الشباب إلى الزواج من سافرة يعجبون بشكلها، حتى المتمسك بدينه منهم والذي يمكن أن يشترط عليها قبول الحجاب، ويزعم أنه يكسب بذلك ثواب هدايتها إلى الحق.

وهكذا يحرم عدد لا بأس به من النساء من تلبية حاجاتهن الفطرية التي فطرهن الخالق عليها، بسبب المجتمع الذي يزيد من وطأة الأمر على الفتاة؛ حين يحتقر فيها هذه الصفة التي جعلتها غير جذيرة بالعطاء الإنساني.

إن الغريزة الجنسية أمر فطري، تحدث بسببه مجموعة من الانفعالات التي يثيرها النظر والسمع واللمس، إلى جانب ما بداخل الفرد من إفرازات للغدد التناسلية، ينتج عنها آثار وظيفية (فسيولوجية) تترتب عليها الإثارة الجنسية. وهذه الإثارة لا تحدث إذا ما صرف الإنسان فكره عن الجنس إلى أمور أخرى. ولعل هذا هو السبب في أن الفتيات في البيئات التي تشدد كثيرا في محافظتها على البنات دون البنين، يتفوقن في التحصيل الدراسي على البنين، حيث تستهوي الشباب أمور أخرى تصرفهم عن الدراسة (محيي الدين، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص ٥٨).

وحتى يعود المجتمع إلى هدي الإسلام في موضوع الزواج؛ فإن الواقع يفرض على التربية أن تسهم في توعية جميع أفراد المجتمع بالأخطار الكامنة وراء الابتعاد عن ذلك في أمر الزواج، وأن تعمل في الوقت نفسه على الارتقاء بنفسية الفتاة المسلمة المعاصرة عن أن تهبط إلى مستوى لا يليق بها في الفكر أو السلوك. ويتحقق ذلك من خلال حرص التربية على غرس العقيدة الصحيحة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة منذ الصغر بما يمكنها من الصمود أمام الابتلاءات المختلفة التي يمكن أن تتعرض لها عبر حياتها في هذه الدنيا، ومن بينها العنوسة التي تمثل - كما يقول الأستاذ محمد قطب - لونا من ألوان الحرمان التي يتعرض لها المسلم من أجل العقيدة، التي تدفعه إلى تحمل المشقة والجهد الناتج عن ذلك الحرمان، يبذلها المسلم في سبيل الله، و ينتظر عليهما الجزاء من الله، وهو على علم بأن الجاهلية هي التي تجدها وتشقيه ببعدها عن منهج الله، لكنه يرضى بدوره في معركة العقيدة؛ حتى يتغير الواقع السيئ الذي يعيش فيه المسلمون (محمد قطب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٣٩).

وما من شك في صعوبة ما يطلب من الفتاة في ظل الضغط على الأعصاب بسبب دفعة الجنس الفوارة وبعد الأمل في الزواج وشتى أنواع المثيرات التي تحفل بها البيئة، مما يؤكد أهمية دور التربية في تقوية البناء النفسي للفتاة المسلمة المعاصرة من أجل مقاومة كل ذلك من خلال تعميق إحساسها بالله ليكون حب الله وحب رسوله أثقل في قلبها من ضغط المجتمع، ومن خلال توجيهها إلى شغل وقتها بالطاعات والعبادات والأعمال النافعة التي تستنفذ طاقاتها فيما يعينها على احتمال الجهد، ويسمو بروحها عن الأهواء (محمد قطب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٤٠).

خامساً: بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة:

من أهم القضايا التي ينبغي معالجتها تربوياً فيما يتعلق بالمرأة المسلمة المعاصرة ما يلي:

١- الزواج المبكر:

يقول الرسول الكريم ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فروجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" (ابن ماجه، دت، ج ١، النكاح/ ٤٦، ص ٦٣٢).

ونجد في الواقع المعاش أن من بين الآباء من يسيء تطبيق هذا التوجيه النبوي حيث يعتمد إلى تزويج ابنته قبل أو حال البلوغ؛ عن سذاجة وغفلة عن الصواب، أو رغبة في جعل الفتاة قرباناً للوجاهة، أو الوظيفة، أو استدرار المال، أو اتباعاً للعادات، إلى غير ذلك من الأمور التي تعود بأسوأ النتائج؛ ومن بينها عدم التوافق الزوجي، أو الفرار أو الانتحار من قبل الفتاة إذا ما تم تزويجها بمن لا ترضاه (الحداد، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ص ٤٦).

فهذه الممارسات الخاطئة التي يسلكها بعض أولياء أمور الفتيات، قد دفعت بالحكومات في كثير من المجتمعات الإسلامية إلى سن القوانين التي تضمن وصول البنات إلى سن مناسبة. ففي المؤتمر الذي أقيم في الكويت عن المرأة العربية في ديسمبر ١٩٧٢م / ١٣٩٢هـ، تم تحديد أدنى سن لزواج البنت بـ ١٦ سنة، وفي تركيا حدد بـ ١٧ سنة وفقاً لقانون صدر عام ١٩٢٦م / ١٣٤٥ هـ، لكن عدم تقييد أفراد المجتمع بذلك؛ جعل الحكومة تخفضه إلى ١٥ سنة.

(Beak and keddie 1978 , pp.54-55) .

وبسبب عدم وجود نظام تسجيل تاريخ الميلاد، فإن التأكد من أمر سن الفتاة يعد أمراً صعباً؛ ولذلك نجد الأفراد في أنحاء من البيئات الإسلامية يتجاوزونه، كما في الباكستان مثلاً التي حددت السن بـ ١٦ سنة. وتعد الولايات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) هي الوحيدة في العالم الإسلامي التي تطبق عقوبات تصل إلى حد السجن، بسبب تزويج الفتاة قبل سن الثامنة عشرة.

(Beak and keddie 1978, pp.54-55).

وقد وجد العلماء أن الفتاة أسرع نضجاً من الفتى بعد سن العاشرة. ونلمس ذلك في الفرق الواضح الذي نجده بين الفتاة والفتى في سن الخامسة عشرة، من حيث راحة التفكير، والقدرة على تحمل المسؤولية، ويؤكد ذلك الواقع المشاهد في المجتمعات التي يتم فيها تزويج الفتاة في هذه السن؛ حيث نجدها تقوم بأعباء الحياة الزوجية بكفاءة لا يستطيعها شاب في نفس السن (حافظ يوسف، ١٤٠١هـ / ١٩٩٠م، ص ٩).

ويؤكد العلم الحديث أن الزواج المبكر هو الملائم للفطرة ويشير إلى ذلك الكساس كاريل، في حديثه عن أهمية الزواج المبكر في التقريب بين الأجيال حيث يقول ما نصه: " كلما قصرت المسافة الزمنية التي تفصل بين جيلين؛ كلما كان تأثير الكبار الأدبي على الصغار أكثر قوة ... ومن ثم يجب أن تكون النساء أمهات في سن صغيرة حتى لا تفصلهن عن أطفالهن ثغرة كبيرة لا يمكن سدها حتى بالحب " (كاريل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢١٥).

إن الزواج المبكر هو المطلوب للبتن باعتبار توجيه الإسلام إليه، إلى جانب موافقته للفطرة، لكن الأمر الذي ينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إليه، هو أهمية اكتمال نضج الفتاة الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي، بحيث لا تدفع إلى الزواج قبل أن تكون مستعدة له.

٢- أثر العمل على الصحة النفسية للمرأة المسلمة المعاصرة:

ما من شك في أن المنادين بخروج المرأة للعمل خارج المنزل لتطرق كافة المجالات التي يطرّقها الرجل؛ قد قصرُوا نظرهم في ذلك على الجوانب الاقتصادية فقط من حيث العائد من وراء العمل سواء على المرأة نفسها، أو على أصحاب العمل؛ في حين أنهم قد غفلوا عن المقومات النفسية التي لا يمكن للمرأة أن تحيا بدونها.

ولذلك وجدنا أن خروج المرأة المسلمة المعاصرة للعمل يعود عليها بجملة من الآثار النفسية ومن بينها:

أ - الضغوط النفسية:

إن محاولة المرأة التوفيق بين أدوارها المختلفة داخل المنزل وخارجه عادة ما تبوء بالفشل في تحقيق التوازن؛ الأمر الذي يزيد من انفعالات المرأة وعصبيتها، وأحيانا قد تتمكن من تحقيق قدر من التوافق، لكن أثر ذلك ينعكس على سلوكها مع الآخرين. وذلك لأن المرأة حينما تعود من عملها خارج المنزل لا تعود لترتاح، وإنما لتستأنف العمل داخل المنزل.

وتورد زهور الأزرق وصفا لحالة المرأة إثر عودتها إلى المنزل لاستئناف العمل فيه ، في جو يزيد من قلقها؛ لأن المطلوب منها العمل بسرعة حيث الكل جائع، والمفروض أن يجدوا كل شيء معدا على المائدة، وفي نفس الوقت تحتاج ملابس الزوج أو الأطفال إلى غسل أو كي لأنهم في حاجة ملحة إليها، وفي بعض الأحيان يلقي الزوج عليها بلائحة ملاحظاته عن إهمالها، وعدم قدرتها على أن تكون " زوجة مثل الأخريات. "، إضافة إلى احتمال قدوم ضيوف دون موعد، أو مرض أحد أفراد الأسرة. وتحمل المرأة، وتحمل.. لكنها في النهاية تصاب بأمراض لا أساس لها سوى الإرهاق والقلق الناتج عنه، وينعكس أثر حالتها الصحية على باقي أفراد الأسرة قلقا وعدم اطمئنان، ويصبح جو الأسرة مسهيا في تغذية داء " العصب "؛ أحد أهم مميزات عصرنا الحالي.(الأزرق في مؤتمر المرأة والتنمية..، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٧٦١).

وقد أشرنا سابقا إلى أن نتائج الدراسات تشير إلى ارتفاع حالات القلق والاكتئاب لدى النساء العاملات وأبنائهن، الأمر الذي يلجئن إلى طرق أبواب العيادات النفسية. ومن الآثار السلبية التي تنتج عن عمل المرأة خارج المنزل أيضا؛ أن تصبو المرأة العاملة إلى كثير من التطلعات التي تتعلمها من الأخريات، ما لانجده لدى مثيلاتها من ربات البيوت في نفس المستوى الاقتصادي والاجتماعي، ومن ذلك:

ب - الحاجة إلى خادمة:

فهي تحضر خادمة لمساعدتها وتنظر إلى راتبها فقط؛ في حين تغفل عما يصرف على الخادمة من مصاريف الأكل والشرب، والكساء، إلى جانب مصاريف الماء والكهرباء والهدايا في المناسبات، وكلها مصروفات إضافية إلى جانب المرتب الأساسي^(١).

(١) وهناك ما يتعلق بالزيادة في الاستهلاك في استخدام المنظفات المنزلية وغيرها مما يلاحظ في البيوت التي تحوي خادومات، وهي ملاحظات تحتاج إلى دراسات للتأكد من صحتها.

ج - حب الظهور:

والذي يدفعها إلى الإنفاق على ملابسها والمواصلات والمجاملات، إلى جانب النمط الاستهلاكي الذي يدفعها إلى مجارة كل جديد. وبذلك يذهب الجزء الأكبر من راتبها في الصرف على أمور ليست بذات أهمية إذا ما قورنت بالعائد الذي سوف تجنيه من وراء حرصها على مباشرة تربية أولادها ورعايتهم خاصة في سنوات نموهم الأولى. كما أن ربة المنزل تجد كثيرا من الراحة النفسية في استعراض جمالها وملابسها أمام زوجها، في حين أن المرأة العاملة تفقد هذا الشعور لأنها تود التخلص داخل المنزل من الأعباء التي تتكلفها بالزينة خارجه.

د - فتور المشاعر بين الزوجين:

فالمرأة قد تشعر بالندية والمساواة لإسهامها مع زوجها في الصرف على المنزل. والرجل قد يشعر بعدم قيامه بواجبه في الصرف على أكمل وجه، حيث يحدث لديه شعور "بفقدان القوامة المالية"، هذا إن لم يتسبب الراتب في حدوث نزاع بين الزوجين^(١).

هـ - الشعور بالذنب:

وذلك لأن الأم عادة ما تحمل مسئولية أي خلل يحدث في تربية الأبناء، أو أي ضعف في صحتهم، أو أي نقص في رعايتهم؛ الأمر الذي يدفعها إلى إجهاد نفسها في سبيل تعويضهم عن فترة غيابها. وقد يدفع بها الإحساس بالتقصير إلى الشعور بالذنب، الذي قد يؤدي إلى حالة من عدم الرضا والفشل^(٢) (آدم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٦٦).

و - سيادة جو من عدم الاحترام بين المرأة وزوجها أو بينها وبين أهله:

وذلك بسبب لهجة المرأة العاملة المرهقة حين عودتها من العمل، أو شعورها بالتضحية من جانب واحد، وهذا قد يؤدي إلى حدوث تفكك داخل الأسرة.

(١) هناك كثير من المؤشرات الدالة على أن راتب الزوجة العاملة قد أصبح سببا من أسباب النزاع بين الزوجين، والتي تحتاج إلى دراسات للتأكد منها.

(٢) في تحقيق صحفي أجرته إحدى الصحف مع مجموعة من النساء العاملات عما حققته من خلال العمل؛ ثارت إحداهن - كالبركان على حد تعبير الصحيفة - وهي تؤكد بعصبية أنها لم تجن سوى التعب وزيادة المصاريف، لأن العمل يتطلب منها جهدا في الصباح مع الأبناء في إعداد الإفطار والملابس، وما ستحتاجه بعد العودة من العمل، ثم إيصال الأولاد إلى المدرسة، مما يجعلها تتأخر عن عملها، وقد تعتبر غائبة. وهي في العمل تظل مشوشة الفكر قلقلة على أولادها الذين يعودون إلى المنزل قبلها بساعة. وحالما تعود تبدأ في إعداد وجبة الغداء. (ماذا حققت المرأة من العمل.. في صحيفة الثورة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٢٣).

ز - اكتساب المرأة لبعض الاتجاهات السلبية:

كأن يتضخم لديها الشعور بالأهمية نتيجة لما تؤديه من خدمات للمجتمع، ومن ثم يبدو أثر ذلك في قلة اهتمامها بالآخرين وفي مقدمتهم الزوج والأولاد. (آدم، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٢٦١).

ح - امتحان المرأة في أخلاقها:

ففي كثير من بيئات العمل المختلط، تتعرض المرأة لاستغلال أرباب العمل وغيرهم من ذوي النفوس الضعيفة، فمنهن من تنجرف في التيار فتجني على نفسها، ومنهن من تتمكن من فرض احترامها على من حولها، أو تتركه إلى عمل آخر (الأزرق في مؤتمر المرأة والتنمية...، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ٢، ص ٧٦١).

وللتربية دورها في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى تحديد موقفها من العمل، وإمدادها بالخبرات والمهارات التي تساعد على التكيف مع ظروف العمل فيها إذا اضطرت إليه.

٣- بعض الشبهات التي يثيرها المغرضون للقول بدونية وضع المرأة في الإسلام:

يثير المغرضون عددا من الشبهات المتعلقة بالمرأة، ويستشهدون بذلك على دونية وضع المرأة في ظل الإسلام. وسوف نتناول هنا اثنين من هذه الشبهات:

أ- ناقصات عقل ودين.

ب- شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل.

أ - ناقصات عقل ودين:

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: "يا معشر النساء... ما رأيتم من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن" قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: "أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟" قلن: بلى! قال: "فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى! قال: "فذلك من نقصان دينها" (البخاري، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ج ١، الحيض / ٦، ص ٧٨، ص ٤٢١).

فهذا الحديث يتخذ الكثيرون خاصة من العامة؛ دليلا لانتهاك المرأة بنقصان العقل، ومن ثم فلا رأي لها ومشورة. وقد ناقش أبو شقة هذا الموضوع من ثلاث زوايا نورد منها اثنتين:

الأولى: أن الحديث قد قيل في يوم عيد، فلا يعقل أن يحط الرسول ﷺ من شأن المرأة وكرامتها في هذه المناسبة البهيجة. إضافة إلى أنه كان في المدينة، ومعظم نساؤها من الأنصار الذين روى عنهن عمر أنهم كن يغلبن رجالهن. (البخاري، ١٤٠١ هـ

١٩٨١م، ج٣، ص١٠٤)، وهذا يوضح لماذا قال ﷺ: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم منكن. "، فهي صيغة أقرب إلى التعبير عن تعجب الرسول ﷺ من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء وفيهن ضعف، على الرجال ذوي الحزم. أي تعجب من حكمة الله! كيف وضع القوة حيث مظنة الضعف، وأخرج الضعف من مظنة القوة! " لذلك فهذه الفقرة تمهيد لطيف للعظة التي تلتها.... "، وكأنها تقول: أيتها النساء إذا كان الله قد منحكن القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم برغم ضعفكن، فاتقين الله ولا تستعملنها إلا في الخير والمعروف".

فكلمة ناقصات عقل ودين "إنما جاءت مرة واحدة في مجال إثارة الانتباه، والتمهيد اللطيف لعظة خاصة بالنساء، ولم تجئ قط مستقلة في صيغة تقريرية سواء أمام النساء أو الرجال".
الثانية: هي الدلالة الخاصة لقول رسول الله ﷺ: " ناقصات عقل " فهناك عدة احتمالات للنقص العقلي:

- ١- نقص (فطري عام) أي في متوسط الذكاء.
 - ٢- نقص (فطري نوعي) أي في بعض القدرات العقلية الخاصة مثل الاستدلال الحسابي، والتخيل والإدراك.
 - ٣- نقص عرضي نوعي قصير الأجل يطرأ على الفطرة مؤقتا نتيجة ظروف طارئة كالحمل والولادة والحيض.
 - ٤- نقص عرضي نوعي طويل الأجل نتيجة ظروف معيشية خاصة.
- والذي يترجح بالنسبة لنقصان العقل هنا؛ هو نقصان نوعي نتيجة ظروف معيشية طارئة وخاصة بسبب مسئوليات المرأة المتميزة إضافة إلى انحصارها داخل المنزل وانقطاعها عن الأحداث خارجه، مما قد يتسبب في ضمور وعيها بمجالات الحياة، وضعف إدراكها لقضايا المجتمع. وهنا لابد من الانتباه إلى ثلاثة أمور:
- أ. أن النقص النوعي في إحدى القدرات الخاصة، يقابله زيادة في قدرات أخرى.
 - ب. أن النقص هنا يتعلق بالنساء على العموم، وهو لا يمنع وجود بعض نساء ذوات قدرات عالية في نفس المجالات التي ينقص فيها مستوى عامة النساء، كما لا يمنع وجود نساء أفضل من كثير من الرجال.
 - ج. إذا كان النقص النوعي الفطري أو العرضي نتيجة بعض وظائف الأعضاء مما يعين المرأة على تحقيق مهمتها في الحياة، فإن انعزال المرأة عن المجتمع يمثل خطرا عليها وعلى المجتمع كله، حيث يضعف قدراتها ويمنعها من الإسهام في الارتقاء بالمجتمع (أبو شقة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٧٥-٢٧٨).

والذي يغلب على الظن أن الحديث لا يقرر حتمية النقصان، وإنما يذكر أسبابه التي يمكن تعويضها لدى البعض منهم، من خلال العلم والتجربة، واكتساب الخبرات والمهارات. ونجد القرآن الكريم يضرب بآسية امرأة فرعون ومريم عليها السلام مثلاً على التفوق في الدين. كما نجد الرسول ﷺ يأخذ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية. ونجد الصحابة أيضاً رضوان الله عليهم يأخذون عن زوجات الرسول ﷺ في أمور الدين. فكان الرسول ﷺ أراد توجيه المرأة إلى ما تملكه من قدرات ومواهب تجعلها ذات تأثير كبير على الرجل.

فينبغي الاهتمام في تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتنبيهها إلى هذه القدرات وتنميتها لديها، لتوجهها نحو أهدافها بما يعينها على تحقيق العدل والإحسان في أداء مسؤولياتها. كذلك لابد من غرس حقيقة وجوب التسليم لإرادة الله سبحانه وتعالى في نفس المرأة، فهو الذي شاء لها أن تكون على هذه الشاكلة، وهو الذي كلفها بمسؤوليات بعضها يشابه وبعضها يختلف عن مسؤوليات الرجل، ومن ثم فلا مجال للحديث عن نقصان العقل بالمعنى الذي يفهمه عامة الناس، وكما يقول أبو شقة:

" وأياً كان مجال النقص، فهو لا يחדش قواها العقلية، وقدرتها على تحمل جميع المسؤوليات الأساسية. ومن هذه المسؤوليات ما تختص به، وهو حضانة الأطفال، وهذه ما كان الله ليسندها إلا لإنسان سوي. وما كان لنا نحن الرجال أن نأمن على أبنائنا وبناتنا في كنف إنسان عاجز مختل العقل " (أبو شقة، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٧٦).

ب- شهادة المرأة نصف شهادة الرجل:

معنى الشهادة:

لغة: خبر قاطع (الرازي، د.ت، ص ١١٠).

اصطلاحاً: إخبار بحق للغير على الغير بلفظ أشهد.

(أبو يحيى في مجلة كلية الشريعة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ع ١٢، ص ٢٦٥).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن شهادة المرأة هي على النصف من شهادة الرجل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَسْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾

[البقرة: ٢٨٢].

فالآية تدل على وجود نقص فطري أو شبه فطري لدى المرأة في بعض القدرات العقلية الخاصة، مثل استيعاب قضايا المال والأرقام. وهذا يحدث للمرأة في مرحلة ما بعد البلوغ بتأثير التطورات المتعلقة بالناحية الجنسية في مرحلة الزواج والأمومة من

جانب، ولظروف الحياة الاجتماعية من جانب آخر (أبو شقة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ج١، ص ٢٧٧).

ويؤكد ذلك عصام عميرة بقوله، إن المقصود بنقصان عقل المرأة؛ هو نقصان اعتبار شهادتها؛ وذلك بجعل شهادة امرأتين بشهادة رجل فيما هو من الحياة العامة، حيث يتواجد فيها الرجال عادة أكثر من النساء، في حين أن شهادة المرأة وحدها كافية في بعض قضايا الحياة الخاصة مثل الرضاعة، فليس هناك من نقص في العقل لأن العقل واحد باعتبار الفطرة، وليس هناك من نقص في الدين لأن الدين واحد باعتبار الإيمان (عميرة في الوعي، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ١١٤، ص ٣١).

ويؤكد ذلك محمد رشيد رضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ حيث يرى فيه إشارة إلى أنه " ليس من شأن المرأة الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاولات؛ ولذلك تكون ذاكرتها ضعيفة فيما يتعلق بهذه الأمور، لكنها لا تكون كذلك في الأمور المنزلية التي هي شغلها، حيث نجدها أقوى ذاكرة من الرجل؛ لأن من طبع البشر ذكورا وإناثا أن يقوي تذكرهم لما يهتمهم من أمور وهذا حكم عام، ولكل قاعدة شواذ" (رشيد رضا، د.ت، ج٢، ص ٢٤١).

وقد تحدث ابن القيم عن هذا الموضوع فقال في ما يتعلق بالجزء الخاص بشهادة المرأة وأنها على النصف من شهادة الرجل، بأن ذلك يكون فيما فيه الضلال في العادة وهو النسيان وعدم الضبط كما ورد في الآية، أما ما كان من الشهادات لا يخاف فيه الضلال في العادة، لم تكن فيه على نصف الرجل؛ فتقبل شهادتهن متفردات فيما تراه بعينها أو تسمعه بأذنها من غير توقف على عقل كالولادة والإرضاع والحيض والعيوب التي تحت الثياب. فمثل هذا لا ينسب في العادة ولا تحتاج معرفته إلى كمال عقل. (ابن القيم، د.ت، ص ٢٠٣).

ومن ذلك ندرك أن اشتراط المرأتين بدل الواحد من الرجال هو بقصد الاطمئنان إلى الحق تماما، فلأن المرأة بفطرتها لا تهتم ببعض الأمور، كانت شهادتها فيها على النصف، أما الأمور التي لا يطلع عليها غيرها؛ فإنه يكتفي فيها بشهادتها. ولو كان في الأمر أي احتقار للمرأة لما قبلت شهادتها على الإطلاق، أو لكانت شهادتها دوما على النصف من الرجل. فالسبب هو من أجل التثبت قبل إصدار الأحكام.

* * *

خاتمة
ملاحظات وتوصيات ومقترحات

إن هذا البحث إن هو إلا محاولة من أجل الإسهام في تغيير ما بالأنفس من مفاهيم وثقافات طرأت على وعي الفرد المسلم عبر عصور الركود والتقليد والجاهلية الحديثة، والتي ألفت بعبئها في أشد صوره على المرأة المسلمة المعاصرة، التي أصبحت تابعة ومقلدة لصنميات كثيرة يعج بها الواقع المعاش، وذلك من خلال تأصيل الأسس التي تبنى عليها برامج تربيتها.

وفي ضوء ما مر من فصول؛ فإنه يمكن الخروج بالملاحظات والتوصيات والمقترحات التالية:

أولاً: الملاحظات:

١. أن تدعيم التوحيد في نفس المرأة المسلمة، يحررها من التبعية للصنميات بمختلف أشكالها وألوانها، ويساعدها على الصبر تجاه ما يصيبها من ابتلاءات والاستمرار في الارتقاء صعوداً نحو رضا الله.

٢. أن تشويه معنى الولاية في فكر المرأة المسلمة المعاصرة قد ساعد على تدعيم انسحابها من الحياة الاجتماعية، وخضوعها للقهر والاستغلال والجهل والخرافة، مما ساعد على مزيد من الهيمنة والاستغلال للمرأة من قبل المتسلطين وأصحاب الأهواء والرغبات، حيث مارس كل منهم عليها سلطانه، ومنع قدراتها من النمو، أو جعلها تنمو بصورة مشوهة.

٣. أن إخراج عنصر الإيمان من مركز الاجتماع البشري إلى ميدان المقولات الغيبية التي لا صلة لها بوقائع النشأة والحياة والمصير؛ قد تسبب في غفلة كثير من المسلمات المعاصرات عن آيات الله في الكون التي تبرهن على صدق آيات الوحي، كما أحدث تشوهاً في تفكيرهن فأصبحن يؤمن بالدجل والخرافات والشعوذة، ويخفن من مظاهر الطبيعة بدلاً من اعتبارها سبيلاً إلى زيادة الإيمان وتدعيمه باعتبارها من مظاهر قدرة الله وعظمته.

٤. أن من بين مسلمات اليوم من أصبحن يستهلكن جهدهن في مطالب الحيوان من مأكّل ومشرب وملبس وأثاث ورياش، غافلات عن تحقيق كيانهن الإنساني، وعن أهمية الإحسان في أداء مهمتهن الأساسية. وقد استعبدتهن الشهوات التي أصبحت تقيد

عقولهن فلا ينظرن إلا بمنظارها، ونسين أنهن لم يخلقن عبثاً؛ بل ليعملن ثم يجازين على ما عملن، ومن ثم استحققن أن تنسحب عليهن بعض الأمراض التي تعاني منها المجتمعات الأخرى البعيدة عن مفهوم العبودية لله؛ كالقلق والضياح والانتحار وغير ذلك من أشكال فقدان الأمن النفسي.

٥. جهاد النفس قيمة يمكن غرسها في نفس المرأة المسلمة المعاصرة منذ الطفولة، وذلك من خلال تذكيرها بطولات مسلمات صدر الإسلام، ثم تربيته على الجدية، وتحمل المسؤولية، والثقة بالنفس، والسعي الجاد من أجل بلوغ الغايات، والإيجابية في مواجهة المنكر، وبند الكسل، والتواكل، وعدم المبالاة، والتحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن الهوى والشهوات وغير ذلك من الصفات التي تدعم صمودها أمام تكاليف الحياة باعتبارها دار كدح وعناء ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد] ، ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق]. فقيام المرأة المسلمة بأداء مسؤولياتها داخل المنزل يدخل ضمن هذا النوع من الجهاد؛ حيث تؤدي المرأة ما عليها بعدل وإحسان حتى وإن قبلت بعكس ذلك. وكذلك الحال بالنسبة لمسئوليتها خارج المنزل.

٦. أن التربية النبوية قد عملت على تشكيل نفسية المرأة المسلمة من حيث الأفكار والقيم والعادات والتقاليد على صورة جديدة مكنت من تعميق المفاهيم التي جاء بها الإسلام في نفس مسلمة صدر الإسلام. وكان رسوخ هذه المفاهيم في ذهنها سبباً في إخراج النموذج المثالي للمرأة المسلمة: المرأة القوية الفاضلة.

٧. أنه في صدر الإسلام وفي عصور الازدهار وجه التكامل بين الوحي والعقل والحس تربية أفراد المسلمين ذكورا وإناثا، وقد أسفر ذلك عن إخراج المرأة المسلمة التي أسهمت في إنجاز الحضارة الإسلامية من خلال تربية إنسانها وإخراجه. ولا أدل على ذلك من أم سفيان الثوري التي حرصت على إعداد ابنها وتربيته من خلال إدراكها لأهمية العلم وأثره على صاحبه. " قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي. وقالت له: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك. فإن لم يزدك، فاعلم أنه لا يضررك ولا ينفعك " (ابن الجوزي، د.ت، ج ٣، ص ١٨٩).

٨. أنه سرعان ما حدث الانشقاق بين هذه الأدوات المعرفية وبين نظم التربية للمرأة المسلمة، مما أفرز أنماطاً نسائية هبطت عن المستوى التكريمي الذي أرادها لها الخالق،

كما في عينات الجوارى في عصور الازدهار، ونساء عصور الركود والتقليد اللاتي جسدن أسوأ نموذج للمرأة المسلمة.

٩. " أن بعض الأفكار القائمة عن المرأة قد تسربت إلى عقول طائفة من المسلمين، فساء تصورهم لشخصية المرأة ولدورها، وساء - تبعاً لذلك - سلوكهم في معاملتها، وتعدوا حدود الله في ذلك فظلموا أنفسهم وظلموها، وخصوصاً في عصور التخلف التي بعدت الأمة فيها - إلا من رحم ربك - عن هدى النبوة ووسطية الإسلام ومنهج السلف الذي يتميز باليسر والاعتدال " (تقديم القرضاوى لأبي شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠، ج ١، ص ٩).

١٠. أن مما ساعد على نشر هذه الأفكار؛ نشر نوعية من الأحاديث عن المرأة، حيث تم التركيز عليها، إلى جانب النصوص الموضوعية التي تعتبر المرأة ميالة إلى الخداع، وتنادي بإهمال تعليمها، وتحريم خروجها، حتى رسخ في أذهان كثير من العوام ما أريد من أفكار، ومن ثم عملوا على تجهيل المرأة، إلى جانب أن هذه النصوص قد ساعدت على تقبل المرأة للمواقع المقررة لها من قبل المجتمع.

١١. أن المعاملة الجاهلية التي تلقتها مسلمة عصور الركود والتقليد هي التي مكنت المغرضين من النفاذ إلى قلب العالم الإسلامي مطالبين بضرورة تحرير المرأة المسلمة وتعليمها، فكان أن تعلمت وتحررت لا على النحو الذي يريده لها الإسلام بل على النحو الذي يريده لها أعداء الإسلام.

١٢. أن التعليم الحديث بما يقدمه من معارف كثيرة مبعثرة وغير منظمة وغير مستمدة من التجارب الواقعية للمتعلمين قد تسبب في إنتاج أنصاف متعلمين بدلاً من صفوة متعلمة مؤهلة بالخبرات والمهارات الجيدة.

١٣. أن مؤسسات التربية الأجنبية وربيباتها المقلدة لها قد أفرزت أنماطاً نسائية ممزقة فكرياً بين ولاءات مختلفة بعيداً عن الولاء للأفكار الإسلامية، ومن ثم وجدنا القيادات النسائية التي تتحدث باسم المرأة المسلمة المعاصرة في كثير من البيئات الإسلامية، ليس لديها مؤهلات القيادة، بل تتحدث باسم الإسلام وهي ترفع شعارات وهمية لا أثر لها في واقع حياتها.

١٤. أن قصور إعداد المرأة المسلمة المعاصرة المتمسكة بدينها قد أسفر عن عجزها عن فهم التحديات، وتشخيص الحاجات إلا ما كان من مواقف الشجب والإدانة

والاعتراض؛ ولذلك نجدها حتى وإن تحصلت على أعلى الشهادات فإنها تفتقد إلى الخبرة في مواجهة الفكر الآخر. ولا أدل على ذلك من أن كثيرا من المسلمات قد شاركن في المؤتمر الرابع للمرأة الذي أقيم في بكين من أجل أخذ الخبرة عما يدار في هذه الملتقيات حتى يمكنهن الإسهام فيها مستقبلا عن وعي وإدراك لما يدور فيها حقيقة، وهذا يشير إلى تخلف المرأة المسلمة المعاصرة المتمسكة بدينها عن أختها التي جرفها التيار الغربي؛ فقطعت شوطا كبيرا في هذا الجانب، وأصبحت الآن هي المتحدث غالبا باسم المرأة المسلمة والمدافعة عنها والمطالبة بحقوقها.

١٥. أن من أسباب تخلف المرأة المسلمة المعاصرة المتمسكة بدينها في هذا الجانب، إلى جانب إهمال تأهيلها؛ عدم إتاحة الفرصة لها من قبل الرجل المسلم المعاصر، ولا أدل على ذلك مما حدث في مؤتمر بكين حيث كان الرجل هو الذي يلقي الكلمة في الوفود العربية، أو على الأقل يقف خلف المرأة ويلقنها إياها، كما كان من بين الوفود العربية شخصيات لا تجيد اللغة الإنجليزية، وهو أمر أمكن تلافيه من خلال الترجمة، لكن ما لم يكن ممكنا تلافيه أن تلك الشخصيات لم تكن تجيد تمثيل بلادها أو منظماتها لافتقادهن للخبرة، وعدم القدرة على العطاء أو الاستيعاب. (عائدة من بكين في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٧)، ص ٢٠-٢٢).

١٦. أنه على الرغم من وجود كثير من الغيورين الذين أخذوا ينتقدون المناهج التي تقوم عليها تربية المرأة المسلمة المعاصرة، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحصينها ضد السيل الغربي الجارف. ومحاولات هؤلاء الغيورين قد انصبت على توضيح خطأ ما عليه الغربيون وعظمة ما جاء به الإسلام؛ لكنهم لو عملوا على النقد الذاتي والمعالجة الموضوعية لواقع المرأة المسلمة المعاصرة؛ بحيث يدرسوا الأسباب التي جعلتها تعتزل الحياة العامة منذ قرون وتسقط في بؤرة الجهل لكان ذلك أفضل.

١٧. أن وسائل الثقافة وأبرزها الإعلامية في كثير من البيئات الإسلامية تعمل على تعزيز ولاء الفرد المسلم بنوعيه للأفكار والثقافات التي تتناقض مع الأفكار والثقافة الإسلامية، مما أدى إلى أمرين خطيرين:

أ - إفراز نوع جديد من الشرك ورموز جديدة للصنمية تمحورت حول تعزيز الولاء للأشخاص والأشياء.

ب- تشويه معاني الإيمان بتحويله من ميدان الأعمال إلى ميدان الأشكال، وتشويه معنى التدين والتعبد والاعتدال والتطرف، حيث جرى الخلط بين هذه المفاهيم بصورة شيطانية مربكة؛ فصار التدين هو مجرد الانتماء الديني النظري أو الاقتصار على المظهر الديني للعبادة، وصار التعصب يعني الولاء الذي يجمع بين المظهر الديني والاجتماعي للعبادة، والاعتدال يرادف الاهتمام بالمصالح الشخصية المتعلقة بالحاجات المادية بعيدا عن الصالح العام، والتطرف يعني الاهتمام بتناول القضايا العامة. (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٢٢-٢٢٣).

وهكذا انتهى الأمر بالمرأة المسلمة المعاصرة إلى ما يسميه الدكتور الكيلاني بـ "طور الولاء الفردي"، الأمر الذي سهل اختراقها من قبل الآخرين والعمل على جذبها إليهم^(١).

١٨. النفسية المتضخمة لدى إنسان الدول الغربية والتي جعلته يتسم بالعصبية لجنسه، والنظرة الاستعلائية تجاه غيره، والتي دفعته فيما سبق إلى استعمار الشعوب جغرافيا، وتدفعه الآن إلى استعمارها فكريا، وهو الملحوظ من خلال الجهود التي تبذل من أجل سيطرة الثقافة الغربية لتعم دول العالم كله، والخوف من أية ثقافة يبدو فيها ما يحاول الوقوف في وجه الثقافة الغربية.

١٩. أن غرور الغرب جعله يعتقد بقدرته على السيطرة على ما في الكون غافلا عن السلبيات الكثيرة لجهوده الحضارية النفعية التي أنجزها في غفلة عن إدراك شئون المصير، مما جعل الثمرات السلبية لتقدمه التقني غير المنضبط بالقيم تحيق به قبل غيره، وهو ما يتبدى في المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية والأزمات الروحية التي يعاني منها اليوم.

٢٠. أن الحالة المتردية التي يعيشها عالم اليوم على المستوى القيمي والأخلاقي؛ ليؤكد حاجة الإنسانية إلى الإسلام في صفائه ونقاؤه باعتباره العقيدة التي تتفرد بالتوجه إلى البشرية كلها على حد سواء بعيدا عن العصبية بمختلف أنواعها.

(١) انظر: الكيلاني، ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٢١.

٢١. أن البيت المسلم في بعض البيئات قد بدأت جدرانها تهتز تأثراً بالموجات الإباحية الآتية من الغرب، والتي ساعد على ترويجها غفلة المسلمين وضعف الوعي الإسلامي عندهم، وحب التقليد للمستورد. ولا أدل على ذلك من تنظيمات "عبدة الشيطان" التي ظهرت مؤخراً في عدد من المجتمعات الإسلامية.

٢٢. أن التربية السليمة للمرأة لا تتم بعزلها عن الثقافات الأخرى؛ لأن ذلك أصبح غير ممكن بعد أن أصبحت ثقافات الأمم الأخرى تأتي إلينا في عقر دورنا بفضل ثورة الاتصالات التقنية المعاصرة، ومن ثم فإن الأمر يحتاج إلى تعميق قيم الأصالة في نفس المرأة المسلمة المعاصرة؛ ثم إفساح المجال أمامها للتفاعل مع الثقافات الأخرى على بصيرة؛ بحيث تتمكن من استئثار الجيد من ثقافات الآخرين، وترك الغث منه، وتمتلك القدرة على مواجهة التحديات، وتجاوز الواقع، والإسهام في تغييره.

٢٣. أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تتضمن ما يحقق الأهداف العامة للتربية الإسلامية هي السبيل الأمثل للنهوض بالأمة الإسلامية والقضاء على أمراضها وعلى تخلفها، وذلك لا يتم إلا بإحياء الروح الإسلامية واليقظة الدينية لدى المرأة المسلمة، بما يستثير طاقاتها ويدفعها للعمل بحماس من أجل إحداث التغيير المطلوب، بعد أن تدرك أن إيثار الدنيا هو من صفات الأمة الميتة التي يتوقف اهتمام إنسانها على الدنيا وشهواتها دون تفكير في أمور الحياة والنشأة والمصير.

٢٤. أهمية ترشيد الاستهلاك في المجتمع المسلم المعاصر وتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة - باعتبارها المسؤولة الأولى عن أفراد أسرتها - إلى أهمية الحد من الاستهلاك الذي يحولها إلى مخلوق لا هم له إلا إشباع شهواته، وبخطأ الانكباب على الآخرين واتباع أنماطهم الحياتية، سيما وأن المجتمعات الغربية لم تصل إلى مرحلة الاستهلاك إلا بعد أن قطعت أشواطاً عديدة في التصنيع والإنتاج، كما أن تغيير التخلف لا يكون بالتهالك على الشهوات بل بامتلاك الصفات المؤهلة للتقدم وأهمها الاقتصاد والاعتدال والانضباط في استخدام الموارد.

٢٥. أن الانغماس في الاستهلاك يتصادم مع حقيقة الفقر الذي تعاني منه كثير من المجتمعات الإسلامية، مما يؤكد أهمية تربية المرأة المسلمة المعاصرة على إدراك حقيقة التكافل الاجتماعي الذي يسهم في القضاء على جوانب التخلف في المجتمع المسلم، والتي

تمثل عقوبة حلت عليه بعد أن تخلّى أفردّه عن الالتزام بمبادئ إسلامهم.

٢٦. أن التبعية والاسترقاق لا يحدثان إلا في ظل غياب الوعي بالأهداف والغايات التي خلق من أجلها الإنسان، مما يحدث لديه قابلية للغزو والاستعمار الثقافي والاعتقاد بكمال الآخر.

٢٧. أن التبعية العمياء وتقليد الآخرين في مظاهر حياتهم إنما هي من تلبس الشيطان الذي وجه اهتمام مسلمات اليوم للأدنى فاستبدلنه بالذي هو خير، وينسحب ذلك على الأفكار والعادات والتقاليد.

٢٨. أن بقاءنا في حالة التبعية يزيد من استغراقنا في الاستهلاك، ويدفع بالآخرين إلى بذل الوسع، والإلحاح علينا من أجل إبقائنا في حالة التبعية، وشراء ما لا نحتاج، مما يحتاج الأمر معه إلى تنبيه أفراد المجتمع المسلم - بنوعيه - إلى أهمية الاستغناء عن الكماليات والترفيهات التي لا حاجة حقيقة لها، وتربيتهم على ضبط النفس من خلال القناعة والزهد.

٢٩. أن تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على إدارة وتخطيط وتنفيذ مسؤولياتها، وإمدادها بالخبرات اللازمة لذلك، يساعدها على الإحسان في أدائها.

٣٠. أن خروج المرأة الغربية للعمل، ثم مطالبتها بالمساواة مع الرجل لها ما يبررها حيث مازالت تعاني من التفرقة بينهما وبينه حتى الآن، في حين لا نجد مبرراً للتبعية العمياء للغرب التي سارت عليها بعض مسلمات اليوم دون فهم واع لحقيقة مكانتهن التي كرمن بها في ظل الإسلام.

٣١. أن الحرية لا تعني التحلل من المبادئ والانجراف وراء أفكار الآخرين وتقاليدهم، بل هي تعني "سقوط القيود والأغلال عن الذهن الإنساني بحيث يقوى على فرض نظرة جديدة أصيلة إلى الأشياء كلها، ويستطيع أن يغيرها وفق حاجاته الروحية. فإذا وجد خطأ أو قبحاً أو ضرراً استطاع أن يحتج عليه، ويرفضه ويغيره إلى ما ينفع الحياة الإنسانية ويخصبها ويحملها" (الملائكة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٢٤).

٣٢. أن المنظمات الدولية قد ظلت ولفترة طويلة هي المحددة لمشكلات المرأة المسلمة وأولوياتها، دون اعتبار لاعتراضات المسلمات على ذلك، بل زادت فاتخذت من بين المسلمات من يتحدثن باسم الإسلام، وهن لا يعرفن منه إلا اسمه، ومن يعملن جاهدات

من أجل تحقيق أهداف المنظمات التي يتبعنها، والتي أغدقت عليهن الأموال والجوائز، مما يؤكد أهمية تأهيل المرأة المسلمة المعاصرة المتمسكة بدينها، الواعية بحقيقة مكانتها في ظله، بما يمكنها من ارتياد الملتقيات العالمية لمناقشة قضاياها والتعبير عنها بنفسها.

٣٣. أن من بين مسلمات اليوم من هن متخلفات حتى في تبعيتهن للغرب، حيث نجدهن يتبعن ما بدأ الغرب يتخلى عنه من أفكار وعادات وتقاليده ومن ذلك مسألة الخروج للعمل؛ حيث نجد كثيرات من الغربيات أخذن يفضلن البقاء داخل المنزل.

٣٤. أن ما ورد من سير عن مشاركة المرأة المسلمة في صدر الإسلام في مختلف المجالات والميادين الحياتية ليتناقض تماما مع ما يسود بعض مسلمي اليوم من مفاهيم تدعو إلى عزل المرأة عن الحياة الاجتماعية، في حين أن الصواب يقتضي التسليم بالإقرار النبوي لذلك مع الحرص على توفير الضوابط الشرعية اللازمة لمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية وأنشطتها المختلفة.

٣٥. أن التطور التقني المتسارع يطرح أهمية تقديم الفتاة المسلمة المعاصرة لنوع جيد من التعليم يعدها لدخول أي ميدان يحتاجها فيه المجتمع ويحفز قدراتها على التطوير والتجديد الذي لا يخرج عن إطار قيمها، ويواكب العصر في الوقت نفسه.

٣٦. أن التطور التقني الحديث قد وفر كثيرا من الوسائل التي يمكن الاستفادة منها في إيجاد نوع من التعليم يجمع بين الجودة والمراعاة لظروف المرأة المسلمة ومسئولياتها.

٣٧. أن الانطلاقة الحضارية للمجتمع المسلم تعترضها عقبة واحدة تتمثل في الفرد المسلم، الذي لو تحرر "من ضياعه وغفلته، وإحساسه بالعجز، والحقارة والدونية، ومن كسله، واغتراره بأجماد الماضي وتقديس الواقع، ومن السطحية، ومن ولعه بالجدليات، وبعثه عن السهل والمريح دون الالتفات إلى النتائج والعواقب، وافتتانه (بتقديس الأشياء) ومناداته بالحقوق دون القيام بالواجبات، ومن حكم المعتاد والمألوف والمعهود..."، فلو حدث كل ذلك لانطلقت مسيرتنا الحضارية في طريقها الصحيح (عبدالعظيم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١١٢).

ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ الذي استطاع تعبئة الإنسان ذاته وتغيير ما بنفسه، حتى أخرج من الجاهليين أفرادا مثلوا خير أمة أخرجت للناس، تحملوا مسئوليتهم بكفاءة عالية عبرت عنها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

٣٨. أن المرأة المسلمة المعاصرة تفتقد إلى نفسية الخلافة التي يجب أن يتمتع بها الفرد المسلم، مما يؤكد على دور التربية في إعادة صياغة شخصيتها بما يعيد إليها ما فقدته، والبدء يكون من مرحلة الطفولة من خلال إمدادها بالخبرات والمهارات والاتجاهات اللازمة بما يوجد لديها مناعة تصدها عن التأثير بالخبرات والاتجاهات المخربة.

٣٩. أن وظيفة الأمومة في حد ذاتها لتعد أكبر دليل على خطأ المنادين بالمساواة في التعليم بين الذكور والإناث، حيث إن هذه العاطفة لا توجد لدى الرجل، إلى جانب أن المرأة تحتاج إلى تدريب وإعداد يؤهلها للإحسان في أداء المسؤوليات المتعلقة بها وإلا ذبلت لديها المشاعر الغريزية، وأصبحت غير قادرة على تلبية احتياجات أطفالها من الرعاية والاهتمام.

٤٠. أن نقصان العقل لدى المرأة ليس هو المعنى المعتاد في الذهن لدى الناس، وأنه لا يחדش قواها العقلية، بل هو لازم لأدائها لمسئوليتها الأساسية في رعاية النشء والتي ما كان الله سبحانه وتعالى ليسندها إلا للإنسان سوي.

٤١. أن التعليم الحديث الذي يقدم للمرأة في كثير من البيئات الإسلامية؛ لا يلبي حاجات المرأة حيث يغفل إعدادها لمسئوليتها الأساسية، كما أنه ينحاز للرجل على حساب المرأة، مما يؤكد أهمية تقديم المرأة المسلمة المعاصرة لنوع جيد من التعليم ينمي لديها صفات الإنسان الصالح المنتج، الذي يعطي ويأخذ؛ بحيث تدرك مسؤولياتها وتقوم بواجباتها قبل أن تطالب بحقوقها، والذي يربي جميع جوانبها ويصقل جميع مهاراتها، مستفيدا في كل ذلك من مستحدثات العصر في إطار من القيم والمبادئ الإسلامية.

٤٢. بما أن الرسالة الإسلامية هي في حقيقتها رسالة معيارية جاءت لتصويب التحريف في رسالات الأنبياء السابقين، ورسولها هو معيار شاهد، والأمة الإسلامية هي المعيار الذي أوكل إليه أمر الشهادة على الناس. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] فإن ذلك يؤكد أهمية إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يجعلها تمثل المعيار حقيقة لا وهما؛ لأن الشهادة أمانة لا يمكن لمن لا يتصف بالوعي الكافي أن يؤديها حق أدائها.

٤٣. لم تلتزم التطبيقات التاريخية في مؤسسات التربية الإسلامية القواعد والمبادئ المتعلقة بتربية المرأة المسلمة، وإنما حدثت تطبيقات خاطئة مازالت كامنة في عقول كثير من الأفراد ومازالت توجه تربية المرأة المسلمة المعاصرة في كثير من البيئات في الوقت الحاضر، وتشمل هذه الأخطاء فيما يلي:

أ - انحسار أهداف تعليم المرأة المسلمة والذي انعكس أثره على وسائل تربيتها من أدوات ومناهج، حيث اهتمت التربية بتنمية جانب واحد من العقل وأهملت الروح؛ مما أدى إلى انغماس المرأة المسلمة في الاستهلاك، فلم تعد للقيم أثرها على حياتها.

ب - عدم وضوح الأهداف والغايات: فعلى الرغم من أن التربية المعاصرة مازالت تتحدث عن تكريم الإسلام للمرأة؛ إلا أنها لم تهتد بعد إلى فهم الكيفية التي مكنت مسلمة صدر الإسلام من معاشة عصرها. فهي لم تهتد بعد لاستخراج تفاصيل علاقات المرأة المسلمة المعاصرة بالخالق وبالإنسان وبالحياة ولا إلى المنهج الذي يساعد على تحويل هذه العلاقات إلى تطبيقات في واقع الحياة (الكيلاني، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٣٧٧).

ج - أن مناهج إعداد المرأة المسلمة المعاصرة في كثير من البيئات الإسلامية تفتقر إلى منهج المعرفة الذي يتكامل فيه الوحي والعقل والحس، فهي تهمل تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على قراءة سفر الكون، وتكتفي بتلاوة سفر الكتاب. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإنها لا توفر للقدرات العقلية لدى المرأة المسلمة المعاصرة البيئة السليمة لنموها، حيث تحيطها بالكبت والحرمان والعدوان منذ الصغر، وتهمل تدريبها على حرية التفكير والتعبير والحوار والجرأة في الحق، والعقلانية والموضوعية، وبذلك تلزمها بالتقليد بعيداً عن التفكير والإبداع.

وهذا الخلل في منهج المعرفة وأدواته في مؤسسات التربية الإسلامية؛ قد عمل على إخراج صورة مشوهة للمرأة المسلمة، مما جعلها غافلة عن إدراك رفعة مكانتها، ومن ثم وجدناها تقلد المرأة الغربية حذو القذة بالقذة في استهلاكها، وتعيش عالة على منتجات الغرب، وتدفع ثمن استهلاكها فادحاً من إنسانيتها، بل وتستجدي من الآخرين العون من أجل إصلاح وضعها.

٤٤. أنه بعد صدر الإسلام وعصور الازدهار؛ انحرفت تربية المرأة المسلمة عن

مسارها الصحيح، وحدث الانشقاق بين أدواتها وبين أدوات المعرفة. وهذه هي السنة التي سار عليها الناس عبر التاريخ. والتي أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة]. والآيات تشير إلى حقيقة مهمة تتمثل في تحديد الجهة التي يجب أن يتلقى الناس عنها تصوراتهم وشرائعهم؛ بحيث ينتهون إليها إذا ما شجر بينهم أي خلاف. وهي جهة وحيدة تتمثل في الكتاب المنزل بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فهو الميزان الثابت الذي ينبغي أن يفيء إليه البشر ليدركوا بواسطته الخطأ من الصواب، وبه وحده تستقيم الحياة؛ لأن الذي يقرر الحق هو الله وليس الناس. فإذا ما حدث أي انحراف في الحياة وقامت عليه حياة الناس في فترة من فترات التاريخ؛ فإنه لا يجوز أن يقال بأنه يمثل الصورة الواقعية للإسلام. فالإسلام بريء من اجتهادات الناس المخالفة له (سيد قطب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ١، ص ٢١٦-٢١٧).

وتنطلق الباحثة من ذلك لتقرر حقيقة المشكلة التي عانت وتعاين منها تربية المرأة المسلمة في كثير من البيئات الإسلامية، والمتمثلة في تعطيل فاعلية تربية الكتاب، الأمر الذي مهد لضعف المرأة المسلمة وهبوطها عن مستوى "أحسن تقويم".

ومن هنا يتبين لنا أهمية إعادة بناء تربية المرأة المسلمة المعاصرة لتقوم على أصول صحيحة مستمدة من المصادر الأساسية؛ وإذا كانت التحديات التي تمثلها النظم التربوية القائمة هي تحديات ضخمة، فليس معنى ذلك الاستسلام لها باعتبارها حتميات وقوانين لا سبيل للخروج عليها، بل لابد من بذل الوسع في تغيير ما بالأنفس حتى يتحقق وعد الله سبحانه وتعالى بتغيير ما بالمجتمع وأحوال الناس. (الكيلاي، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٩٠-٣٩١).

٤٥. تكامل محتوى الأصول التي يجب أن تبني عليها برامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة.

٤٦. تأكيد أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة على أهمية الحفاظ على المرأة المسلمة المعاصرة من الهبوط والارتقاء بها إلى المستوى اللائق بها من خلال تحديد الغايات التي تتماشى مع فطرتها واتخاذ الوسائل المناسبة التي تسهم في تحقيق تلك الغايات.

٤٧. التأكيد على المساواة في الإنسانية بين الرجل والمرأة التي تشتمل على اختلاف يتلاءم مع فطرة كل منهما ووظيفته التي كلف بها من قبل الخالق.

٤٨. أن التربية الإسلامية تعالج شخصية المرأة المسلمة باعتبارها وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة. وهذا يتلاءم مع طبيعة الإنسان الذي تتحرك دوافعه كوحدة واحدة؛ مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

٤٩. أن تربية المرأة المسلمة المعاصرة لا يمكن أن تتم على أكمل صورة بدون تركية البيئة المحيطة بها؛ لأن الإنسان جزء من المجتمع يتأثر به ويؤثر فيه. ومن ثم فإن التربية التي تتناول المرأة باعتبارها فرداً منفصلاً عن المجتمع من حولها، تنتهي إلى تعطيل قدراتها وعدم الاستفادة منها في بناء المجتمع.

٥٠. أن الأمر يحتاج من " فقهاء التربية الإسلامية " ^(١) إلى أن يتعاونوا من أجل تحديد نظم تربوية جديدة تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على معايشة عصرها في ظل من الأصالة التي تحفظ لها كرامتها وإنسانيتها.

٥١. أن هذه الأصول التي يتناولها البحث بالدراسة؛ لا تكون أصيلة فاعلة إلا إذا أحسنت مؤسسات التربية الإسلامية فقه طبيعة المرأة النفسية، والعوامل المؤثرة في رقيها وهبوطها. وإتقان التربية لهذا الفقه يقتضي الوعي بأهمية تربية المرأة المسلمة المعاصرة بحيث يكون ولاؤها للأفكار لا للأشخاص والأشياء، بحيث لا تتطلع إلى الأشخاص والأشياء إلا بمقدار دورانها في فلك الأفكار الإسلامية وتطبيقاتها، وأن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن نتائج التزامها بضوابط الشرع تعود عليها بالخير من ناحيتين:

أ - وفرة النعيم في الدنيا والإحساس بالأمن والاستقرار والسعادة ورضا الله الذي تبدو آثاره في تسديد أعمالها وتبصيرها بنتائجها ومنحها القدرة على تمييز الصواب من

(١) هذا المصطلح مأخوذ عن الدكتور ماجد الكيلاني، والمقصود بالفقه هنا - هو كما أشار الدكتور القرضاوي - ليس المعنى الاصطلاحي الذي يدرس في كليات الحقوق والشرعية؛ والذي يقصد به " معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، من مثل أحكام العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والرضاع وغيرها "، وإنما هو الفقه بمعناه القرآني " الذي يشتمل على ألوان من الفقه؛ وأولها فقه آيات الله وسننه في الكون والمجتمع والأسرة، حيث إن العالم لا يسير بذاته وإنما بحسب قوانين ثابتة لا تتبدل، ومن ثم فإن فقهاء التربية الإسلامية هم العلماء الذين يمثلون سلامة الإدراك والوعي وحسن الفهم. " (حوار مع يوسف القرضاوي في صحيفة الحياة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ع ١٢٢٨٨).

الخطأ بحيث يكون عينها التي تبصر بها ويدها التي تبطش بها.

ب- الخلود في جنة النعيم في الآخرة مع ستر أخطائها ومغفرة زلاتها ومضاعفة حسناتها.

ثانياً: التوصيات:

انطلاقاً مما مر من ملاحظات نخلص إلى التوصيات التالية:

١. أهمية الانطلاق من الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تكون هي الوجه والضابط الذي يحقق التكامل بين مختلف أنواع المعارف النظرية والتطبيقية التي تقدم إليها.

٢. الاهتمام بتزكية نفسية المرأة المسلمة المعاصرة باستمرار لإزالة ما قد يعلق بها من شوائب، وكذلك للحفاظ على فطرتها من التشوه ومن التمزق الذي يشنت ولاؤها لأرباب عدة، ويصيبها بالإحباط والتخبط في مهاوي الفساد.

٣. الاهتمام بتقديم الخبرات والمعارف التي تنمي لدى المرأة المسلمة المعاصرة الاتجاه نحو إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى الذي مكن الإنسان من تسخير الكون هذا التسخير المتسارع، وكذلك الاهتمام بتدريبها على الاستخدام الصحيح لأدوات المعرفة بما يمكنها من الربط بين آيات الله في الكتاب وآياته في الكون بما يؤكد في نفسها عمق الإيمان.

٤. الاهتمام بتنمية قدرة المرأة المسلمة المعاصرة على التفكير العلمي، وصقل فضولها الفكري بما يدفعها إلى معرفة المزيد عن العالم المحيط، واستخدام معرفتها في حل ما يواجهها من مشكلات.

٥. الاهتمام في إعداد البرامج التربوية بإبراز فكرة تسخير الكون، والتعرف على قوانينه وسننه، والاستفادة من ذلك في تعمير الكون، بدلا من فكرة السيطرة على الطبيعة التي روجها الغرب، والذي جعله غروره يعتقد بقدرته على السيطرة على ما في الكون، غافلا عن السلبيات الكثيرة لجهوده الحضارية النفعية التي أنجزها في غفلة عن إدراك شئون المصير، مما جعل ثمرات ذلك تحيق به قبل غيره، وهو ما يتبدى في المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية والأزمات الروحية التي يعاني منها اليوم.

٦. نشر فكرة الوسطية الإسلامية التي تيسر للإنسان الانسجام مع سنن الحياة

وقوانين الاجتماع والتي تتجسد من خلال:

أ- شيوع العدل والإحسان في حياة الإنسان بصفة عامة وذلك من خلال إشاعة النموذج الإسلامي في شبكة العلاقات الاجتماعية، فالعدل هو أدنى العلاقات، وممارسته مطلوبة مع الجميع، والأمر يحتاج من المؤسسات التربوية أن تبرز تفاصيل التطبيقات العملية التي تصحح خطأ الممارسات العملية الشائعة في المجتمع، خاصة فيما يتعلق بالمرأة.

ب- الاعتدال في إشباع الإنسان لحاجاته، وهو يتحقق من خلال الالتزام بالتوجيهات الإسلامية في الإنتاج والاستهلاك.

٧. العمل على بذل جهود متكاثفة من قبل المهتمين بأمر تربية المرأة المسلمة المعاصرة من أجل تزكية التراث من التناقضات التي تتعارض مع ما أراده الله سبحانه وتعالى للمرأة المسلمة من تكريم، وما جبلها عليه من مساواة مع الرجل تتناسب مع فطرتها، والذي انحدر إلينا عبر الثقافات العصبية والقبلية لجاهليات ما قبل الإسلام والجاهلية الحديثة مروراً بجاهلية عصور الركود والتقليد.

ويلاحظ أن تراث عصبية ما قبل الإسلام مازال يؤثر كثيراً على واقع حياة المرأة المسلمة المعاصرة على الرغم من الحرب الشديدة التي شنّها عليه الرسول ﷺ، والذي انحدر في صدر الإسلام من خلال الطلقاء، ومن خلال أفراد البلاد المفتوحة مما جعل المجتمعات الإسلامية تعيش تحت تأثير ثقافات متنافرة لم تهتم نظم التربية بتزكيتها منذ البداية. (الكيلاني، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٣٩٢ - ٣٩٤).

٨. العمل على توعية كل من الرجال والنساء بأهمية استيعاب كلمة " شقائق " التي تجعل من مبادئ الإسلام منطلقاً للتعامل بينها؛ بحيث ينظر الرجل إلى المرأة باعتبارها كائناً مساوياً له في الإنسانية؛ ذا عقل وروح وقلب، وقدرة على الارتقاء بالجنس البشري، وليس استمرار نوعه فقط.

٩. توجيه المرأة المسلمة المعاصرة؛ بحيث تجعل من نفسها بوصلة محددة ومرشحة لتوجهاتها في مختلف ميادين الحياة، فتكون كالأسيرة التي توجه في طريق محدد عند مفترق الطرق وتعدد الخيارات؛ حتى تشعر بالاعتزاز بانتمائها للإسلام، وبتميزها عن الآخرين الذين عدلت عن الاقتداء بهم. وتحقيق ذلك يتطلب من وسائط الثقافة أن تلتزم في كل ما

تقدمه بالمعايير الإسلامية.

١٠. إبراز المكانة المتميزة للمرأة في ظل الإسلام، وكيف أن اختلاف العقائد سبب في اختلاف أساليب الحياة، حيث مازال الاعتقاد سائدا لدى كثير من الأمم الأخرى، بأن المرأة المسلمة مازالت سجيناً عبودية الرجل ضمن أربعة جدران.

١١. الاهتمام بإبراز الحركات النسائية عبر العالم من أجل توضيح أهدافها ومقاصدها، ونقد ذلك من منظور إسلامي، لبيان مدى التكريم الذي حظيت به المرأة في ظل الإسلام، والذي يحتاج منها إلى المطالبة بما منحها إياه الإسلام عن وعي وإدراك لا عن تقليد غير واع للآخرين.

١٢. إخراج الخطاب الإسلامي من دائرة الحديث عن حقوق المرأة المسلمة في ظل الإسلام إلى الحديث عن إجراءات كفالة تطبيقها في الواقع.

١٣. مقاومة الغزو الثقافي الذي يجعل من الغرب الصورة الوحيدة للحضارة في عالم اليوم وذلك من خلال تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بالصيغ الحضارية الأخرى التي اعتمدت على خصوصياتها في مقاومتها لهيمنة الغرب.

١٤. توعية أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - بالفرق بين قيم ومفاهيم الحضارة الإسلامية التي تجعل الدنيا مجرد جسر للآخرة حيث المسؤولية والجزاء، وحيث تظهر ثمرات العمل الصالح في الدنيا، وبين الحضارة المادية التي يحاول الإنسان أن يستغلها لمصلحته قبل أن يموت.

١٥. التفكير بجدية من قبل القائمين على القنوات الفضائية من أجل وضع الخطط اللازمة لمواجهة البث الفضائي " الآخر"، بأسلوب حضاري يتمتع بدرجة عالية من الوعي، بعيداً عن الضحالة والتسطيح الذي تتميز به البرامج المقدمة حالياً.

١٦. العمل على وصل ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى، حتى لا يحيا البيت في جو منافعه الخاصة جاهلاً لما وراءها.

١٧. العمل على تعزيز العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم من خلال إحياء العادات والتقاليد والأعراف الإسلامية ونبذ ما عداها.

١٨. الامتناع عن تصوير المرأة على أنها مخلوق أدنى منزلة، واستغلالها على أنها مادة

وسلعة في سوق الجنس، بدلا من إظهارها باعتبارها إنسانا مسئولا له دور رئيسي في تحقيق الخلافة.

١٩. تنقية وسائط الثقافة في المجتمع الإسلامي من الشوائب المخالفة للمبادئ والقيم الإسلامية لتكون معينة لبرامج التربية الرسمية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

٢٠. زيادة نسبة المساحة الزمنية الموجهة للمرأة خاصة المرأة الريفية؛ مع وضع أولويات للتناول الإعلامي متناسب وحجم المشكلات التي تعوق سير المرأة نحو التقدم، والإسهام بفاعلية في إزالة التخلف.

٢١. اهتمام وسائط الثقافة بمخاطبة المرأة المسلمة المعاصرة بجميع فئاتها؛ فهناك ربة المنزل، والمرأة العاملة، والمثقفة، والأمية، وكبيرة السن التي أصبحت اليوم محرومة من دورها السابق؛ حيث سرق منها التلفاز أحفادها. فكل هؤلاء يحتاجون إلى برامج تتوجه إليهم وتفي باحتياجاتهم.

٢٢. إبراز الرائدات من النساء في مجتمعاتهن، مثل المبدعات في مجالات الأدب والفن، أو العاملات في المجالات الاجتماعية المختلفة، وذلك حتى تكون المرأة المسلمة المعاصرة على صلة بمثيلائها خارج وطنها ممن لا تتعارض إبداعاتهن مع توجهات التربية الإسلامية.

٢٣. اهتمام وسائط الثقافة بمواكبة الأحداث العالمية الخاصة بالمرأة وإعطائها حيزا أكبر يمكن المرأة المسلمة المعاصرة من معرفة ما يجري على الساحة العالمية لتقارنه بالكنوز الفكرية الإسلامية حتى لا يفسح المجال لضعاف النفوس الذين يعملون جاهدين من أجل تحويل المجتمع الإسلامي إلى مرآة للمجتمع الغربي.

٢٤. الاهتمام بتكوين شخصية المرأة المسلمة المعاصرة لتكون متميزة بالقصد والاعتدال في كل شيء بعيدا عن الإسراف والتبذير، لتحقيق الوسطية التي ميز الله بها الأمة الإسلامية الشاهدة على الناس بحيث لا تغلق بل تحرص على الانفتاح على الآخرين فتأخذ منهم ما ينفعها مما لا يتعارض مع مبادئها وقيمتها.

٢٥. اهتمام القائمين على تخطيط النظم التعليمية والمناهج الدراسية والبرامج التربوية بتأهيل المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات والمهارات والاتجاهات التي تمكنها من التخطيط والتنفيذ لأداء مسؤولياتها خارج المنزل إذا ما أتيحت لها الفرصة لذلك.

٢٦. اهتمام القائمين على تخطيط النظم التعليمية والمناهج الدراسية والبرامج التربوية بالحد من النزعات الاستهلاكية لدى المرأة المسلمة المعاصرة، وأخذ قدراتها بعين الاعتبار عند تخطيط النظم التعليمية والمناهج الدراسية والبرامج التربوية من أجل تنميتها، وتنمية مهاراتها بما يمكنها من الإسهام في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ضمن الإطار العام لمبادئ التربية الإسلامية، مع تفادي الإفراط في توجيهها للعمل خارج المنزل، وتفادي التفريط في ذلك بما يحول بينها وبين المبادرة دون داع. فلا بد من التوازن الذي يكفل إحسانها في أداء ما عليها من مسؤوليات.

٢٧. اهتمام القائمين على تخطيط النظم التعليمية والمناهج الدراسية والبرامج التربوية بتأهيل المرأة المسلمة المعاصرة بالخبرات والمهارات والاتجاهات التي تمكنها من الخروج بالمجتمع عن إطار الفقر الذي يجثم على كثير من البيئات الإسلامية.

٢٨. اهتمام القائمين على إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يؤهلها للاندماج في عملية الأخذ والعطاء، بحيث لا تكون مشاركتها مجرد مظهر لتحديث المجتمع، أو محاكاة أنماط التطور في المجتمعات الصناعية؛ بل يستفاد من طاقاتها الكامنة من أجل إثراء حياتها وحياة من حولها، بحيث لا يقتصر الأمر على مجرد المطالبة بحقوقها المشروعة التي حرمت منها؛ بل يمتد ليشمل التزامها بأداء مسؤولياتها نحو مجتمعها في مختلف أدوارها على أحسن وجه وأتمه.

٢٩. اهتمام القائمين على تربية المرأة المسلمة المعاصرة بغرس قيمة التعليم باعتباره سبيلا أساسيا للرقى؛ بدلا من أن يكون حلا مؤقتا لحين الزواج الأمر الذي ينجم عنه عدم مبالاة الكثيرات بالإجادة فيه.

٣٠. اهتمام القائمين على تربية المرأة المسلمة المعاصرة بالانطلاق من مبدأ التربية لزم من متغير؛ بحيث يوفرون لها تربية قادرة على احتواء الجديد، تمنحها القدرة على التكيف مع العصر ومستجداته.

٣١. العمل على تثبيت الخصائص الفطرية لدى المرأة المسلمة المعاصرة وصقلها وذلك من خلال إتاحة الفرصة لها لتمارس مهامها ومسؤولياتها في توازن تام بعيدا عن الغلو والانحراف سواء من جانب المرأة أو من جانب المجتمع؛ فلا تتشبه بالرجال وتطالب بالمساواة في كل شيء، حيث إن ذلك إنما يدل على شعور بالنقص وجهل بأسباب

التفوق الحقيقية التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ ولا يبالغ المجتمع في تمييزها عن الرجل بحيث ينظر إليها على أنها أقل منه إنسانية فيمنعها ممارسة ما كفله لها الإسلام من حقوق مثل حرية الاختيار، وحرية الإرادة، وحرية المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تتوافق مع الضوابط الشرعية.

٣٢. اهتمام القائمين على إعداد البرامج التربوية المقدمة للمرأة المسلمة المعاصرة بتقديم المعارف التقنية المستجدة بوعي يجعلها قادرة على التفريق بين الجيد والرديء بحيث تدرك ما يجب أن تأخذ وما يجب أن تدعه منها.

٣٣. العمل على تقديم الفتاة المسلمة المعاصرة لنوع جيد من التعليم يعدها لدخول أي ميدان يحتاجها فيه المجتمع، ويحفز قدراتها على التطوير والتجديد الذي لا يخرج عن إطار القيم الإسلامية، ويواكب العصر في الوقت نفسه.

٣٤. مراعاة تنظيم تعليم المرأة المسلمة المعاصرة بما يمنعها من التوقف عن الدراسة قبل الأوان، بحيث يتلاءم مع ظروفها المختلفة، وكذلك يراعي الراشديات فيوفر لهن الفرص التعليمية والتدريبية التي تساعدن على التغلب على أميتهن الأبجدية الحضارية.

٣٥. مراعاة القائمين على إعداد البرامج التربوية المقدمة للمرأة المسلمة المعاصرة لأهمية الاقتصاد الثقافي؛ والذي يتحقق من خلال استخدام وسائل العلم الحديث في نقل أكبر قدر من المعلومات في أقل وقت ممكن من خلال استخدام أفضل الوسائل التي تتناسب مع العصر. كذلك لا بد من الاستفادة مما أبدعته التقنية الحديثة في مجال خزن المعلومات، والتجديد في طرق التدريس بحيث تقوم التربية على أساس الإيمان بأهمية التقدم العلمي في النهوض بالأمة.

٣٦. تربية المرأة المسلمة المعاصرة تربية متحررة من التبعية للغرب، والذي يمكن أن يتحقق من خلال تنمية وعيها حتى لا تنخدع بالعلوم المادية التي تصور لها الحضارة الغربية والمدنية الحديثة بصورة المنفذ للبشرية، بحيث تدرك الآثام التي يرتكبها الغرب في حق الشعوب الأخرى.

٣٧. الاهتمام بالتعليم المهني والفني وذلك من أجل إبراز ميول الفتيات منذ الصغر، وتدريبهن على اكتساب وإتقان المهارات التي تمكنهن من أداء مسؤولياتهن المستقبلية، والإسهام بفعالية في تطوير المجتمع المحلي من حيث الإنتاج. ولا بد هنا من التنبيه إلى أهمية

ملائمة المعرفة التقنية المقدمة للمرأة المسلمة المعاصرة مع احتياجاتها ومطالبها من حيث التدريب والإتقان لكل ما يساعدها على الإحسان في أداء ما عليها من مسؤوليات.

٣٨. الاهتمام بتنمية اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة وثقتها بنفسها وبكونها أنثى خلقها الله لمهمة عظيمة، بحيث ترضى بها رضى لها الخالق، وتمارس حياتها فتؤدي واجباتها وتحرص على حقوقها في إطار من المبادئ والقيم التي يرتضيها لها الإسلام بعيدا عن التبعية والتقليد الأعمى للآخرين.

٣٩. الاهتمام بتنمية الصفات اللازمة للعقلية المستقبلية لدى المرأة، بحيث تكون قادرة على إدراك قضايا الحاضر ومشكلاته وتحدياته، وتعمل في الوقت نفسه على الإعداد لمستقبل أفضل.

٤٠. الاهتمام بالقضاء على جميع أشكال الوأد النفسي والتربوي التي مازالت تمارس على المرأة المسلمة في كثير من البيئات.

٤١. الاهتمام بتنقية البيئة وتزكيته من الأفكار المشوهة التي تتعارض مع الحقائق العلمية، وقبل ذلك مع الفطرة التي فطر الله عليها المرأة، مثل الاعتقاد بأن الحيض لعنة، أو إثم وغير ذلك.

٤٢. النظر في كيفية تحويل هذه الأصول التربوية النظرية التي تم استعراضها في هذا البحث إلى مناهج دراسية تطبيقية تشمل جميع مراحل السلم التعليمي.

٤٣. الانطلاق من النظرة التكاملية في تربية المرأة المسلمة المعاصرة؛ لأن هذا هو ما يتناسب مع العصر الذي نعيش فيه، والذي ألغيت فيه المسافات ليس بين الشعوب فقط، بل وحتى بين العلوم؛ فأصبحت نتائج كل علم تؤثر في غيره.

٤٤. تنسيق العمل فيما بين أجهزة التربية الرسمية وغير الرسمية بحيث تنطلق جميعها من أسس واحدة، نحو غاية واحدة تكفل إلغاء الازدواجية المتنافرة الملحوظة في بعض البيئات الإسلامية، والتي تشد المرأة بين نقيضين، بحيث تعمل جميعها بتكامل من أجل تحقيق أهداف للتربية الإسلامية.

٤٥. مراعاة إمكانية التطبيق العملي للمعرفة المتحصلة منذ بداية السلم التعليمي وحتى نهايته وذلك من أجل الإسهام في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة إعدادا شاملا نظريا

وعملها.

٤٦. إنشاء مؤسسات تربوية تهتم بتتبع النشاط العلمي والثقافي والمعرفي الذي يجري في قرية الكرة الأرضية بحيث تكون مؤهلة لاستيعابه وهضمه، ثم إعادة بلورته في صور تتناسب مع توجهات التربية الإسلامية.

٤٧. توفير الدعم اللازم للمؤسسات التربوية حتى تتمكن من أداء مسؤولياتها بكفاءة.

٤٨. مراعاة تحديد غايات وأهداف ومحتويات وأساليب جميع العلوم التي تقدم للمرأة المسلمة المعاصرة؛ بما يحقق التفاعل بين المرأة وبين آيات الكتاب، ويتلاءم مع تغير الحياة زمانا ومكانا بحيث ينمي لديها القدرة على التفكير والتحليل والتسليم للحق والتواضع له تنفيذا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

* * *

ثالثاً: مقترحات:

في ضوء ما مر من ملاحظات وتوصيات نقترح ما يلي:

١. استحداث كراسي داخل الجامعات في الدول الإسلامية تهتم بدراسة قضايا المرأة المسلمة المعاصرة ومعالجتها.
٢. استحداث بنك معلومات يهتم بجمع الإحصاءات عن وضع المرأة المسلمة المعاصرة والمشكلات التي تواجهها وتزويد الجهات المختصة بها من أجل العمل على معالجتها.
٣. أن تقوم المؤسسات التربوية بدعوة المفكرين والمفكرات المهتمين بقضايا المرأة، بإلقاء محاضرات وإقامة ندوات تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة ومعالجة قضاياها.
٤. الاهتمام في جميع التخصصات بإمداد المعلمين بالمنظور الإسلامي، حتى تصبح لديهم قدرة على إيصال الرؤية الصحيحة للمتعلمين، فيسهموا بذلك في الحفاظ على الهوية الإسلامية.
٥. القيام بدراسات تطبيقية نقدية تتناول البرامج التربوية الحالية التي تسهم في إعداد المرأة المسلمة نقداً بناءً، بهدف معرفة مدى تحقيقها لأهداف التربية الإسلامية وغاياتها.
٦. القيام بدراسات تطبيقية توضح كيف يمكن تحويل الأصول النظرية التي تناوّلها هذا البحث بالدراسة إلى برامج تطبيقية تستفيد منها المؤسسات التربوية في تخطيطها لبرامج تربية المرأة المسلمة المعاصرة.
- ومن ذلك مثلاً: القيام بدراسات علمية تتناول الجوانب التاريخية في تربية المرأة المسلمة منذ عصر صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، وتتبعها تتبعاً تحليلياً دقيقاً يمكننا من معرفة مسار هذا الفكر ومكوناته، والعوامل المؤثرة فيه، ورصد الإيجابيات والسلبيات، وذلك من أجل الاستفادة منه وإغناء الرؤية المعاصرة به، والبناء عليه وتجاوز سلبياته.

* * *

المراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : كتب الحديث والتفسير :

- ٢- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، بيروت: دارالفكر، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٠٨ م.
- ٣- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.
- ٤- ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد بن حنبل، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت).
- ٥- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د.ت).
- ٦- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي: مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق وتعليق إرشاد الحق الأثرى، جدة: دار القبله للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.
- ٧- الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الكويت: الدار السلفية، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.
- ٨- الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.
- ٩- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري، تركيا: المكتبة الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م.
- ١٠- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).
- ١١- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، دار الفكر، (د.ت).
- ١٢- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٣- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: تفسير الخازن، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ م.
- ١٤- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن مهران: سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية، د.ت.
- ١٥- الدار قطني، علي بن عمر: سنن الدار قطني، بيروت: عالم الكتب، د.ت.
- ١٦- الرازي، الفخر: التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م.
- ١٧- رضا، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم، بيروت: دار المعرفة، ط٢، (د.ت).

- ١٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، الرياض: جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٩- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: نيل الأوطار، مصر، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت.
- ٢٠- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب- المعجم الصغير، صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- ٢١- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط٢، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- ٢٢- العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دن، د.ت.
- ٢٣- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: تفسير القرطبي، القاهرة: دار الشعب، د.ت.
- ٢٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٥- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ن)، (د.ت).
- ٢٦- المتقي: علي بن حسام الدين: منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دن، ط٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٧- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مطبعة دار إحياء الكتب، (د.ت).
- ٢٨- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، من الحديث الشريف، مصر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط٣، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- ٢٩- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر: سنن النسائي، بيروت، دار القلم، د.ت.
- ٣٠- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- ٣١- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ثالثاً: القواميس والمعاجم:**
- ٣١- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

- ٣٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٣٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دارصادر، (د.ت).
- ٣٤- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب- المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- ٣٥- الجرجاني، الشريف علي بن محمد: التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٣٦- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
- ٣٧- الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
- ٣٨- زغلول، أبو هاجر محمد السعد بن بسيوني، فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٣٩- الزين: محمد بسام رشدي: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ٤٠-: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إسطنبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- ٤١- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تركيا: دار الدعوة، (د.ت).
- ٤٢- ونسك و. منسج، أ.ي. وي. ب- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن: مطبعة برييل، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م.
- ٤٣- معلوف، لويس: المنجد في اللغة العربية، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- ٤٤-: المنجد في اللغة والأعلام، بيروت: دار المشرق، ط ١، ١٩٩٣هـ / ١٩٧٣م.

رابعاً: المصادر:

- ٤٥- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم: الفتاوى الكبرى، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٤٦- ابن جماعة، بدر الدين: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، الناشر: محمد

سليمان الندوي (دار الكتب العلمية)، د.ت.

٤٧- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج: صفة الصفوة، (د.ن)، (د.ت).

٤٨- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٤٩- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٥٠- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت: دار الثقافة، (د.ت).

٥١- ابن سحنون، أبو عبد الله محمد: آداب المتعلمين في التربية في الإسلام للأهواني، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٥٢- ابن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، (د.ت).

٥٣- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي المالكي: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٥٤- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد الحويان، دار الفكر، (د.ت).

٥٥- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، جدة: مكتبة المدني ومطبعتها، د.ت.

٥٦- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار التراث، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.

٥٧- الأصبهاني، أبو نعيم: حلية الأولياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٥٨- الجاحظ، عمر بن بحر: الرسائل الكلامية، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٥٩- الذهبي، شمس الدين: كتاب الكبائر، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٦٠- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٦١- الزرنوجي، برهان الإسلام: تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان قباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٦٢- الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

٦٣- القباسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين في التربية في الإسلام لأحمد فؤاد الأهواني، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

٦٤- الماوردي، علي بن حمزة بن حبيب البصري: أدب الدنيا والدين، بيروت: دار إحياء

التراث العربي، ط١٦، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

خامساً: الكتب المنشورة:

- ٦٥- الأبراشي، محمد عطية: التربية الإسلامية وفلاسفتها، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.
- ٦٦- إبراهيم، زكريا: سيكلوجية المرأة، مكتبة مصر، (د. ت).
- ٦٧- أبو العينين، علي خليل مصطفى: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حليبي، ط٣، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ٦٨- أحمد، أنيس: النساء المسلمات والتعليم العالي، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٦٩- آدم، محمد سلامة: المرأة بين البيت والعمل، دار المعارف، ط١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٧٠- الإستانبولي، محمود مهدي: كيف نربي أطفالنا، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٧١- أسعد، ميخائيل إبراهيم: مشكلات الطفولة والمراهقة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٧٢- أسعد، يوسف ميخائيل: المرأة والحرية، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.
- ٧٣- إسماعيل، محمد عماد الدين ومحمد أحمد غالي: الإطار النظري لدراسة النمو، الكويت: دار القلم، ط١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ٧٤- الأشقر، عمر سليمان: نحو ثقافة إسلامية أصيلة الكويت: مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٧٥- —: العقيدة في الله، الكويت: مكتبة الفلاح، ط٥، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٧٦- الأصفي، محمد مهدي: دور الدين في حياة الإنسان: بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط٣، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٧٧- آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله بن حسن: لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية، د. ن، د. ت.
- ٧٨- أمين أحمد: ظهر الإسلام، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت.
- ٧٩- أمين و البقلي، درية وإحسان: التخطيط والإدارة في الاقتصاد المنزلي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٨٠- الأميني، محمد تقي: الأسس الفكرية للدستور القرآني، القاهرة: دار الصحوة للنشر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٨١- : الإنماء التربوي، بيروت: قسم الدراسات التربوية بمعهد الإنماء العربي، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

- ٨٢- الأهواني، أحمد فؤاد: التربية في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- ٨٣- أوير، رينيه: التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٨٤- أوغلي، عائشة عثمان: والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة صالح سعداوي صالح، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٨٥- البار، محمد: طفل الأنبوب، جدة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٨٦- بدري، حاجة كاشف: الحركة النسائية في السودان، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٨٧- البستاني، بطرس: دائرة المعارف، طهران: مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، د.ت.
- ٨٨- بشور، منير: التربية العربية: التعليم في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، السويد: دار نلسن، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٨٩- بغدادي، عبد الله عبد المجيد: الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٩٠- بغدادي، مصطفى إسماعيل: حقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، الرباط: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، ط١-١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٩١- البناء، حسن: نظرات في القرآن، مكتبة الاعتصام، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٩٢- ابن دهيث، عبد اللطيف بن عبد الله: الكتاتيب، مكة المكرمة: مكتبة الطالب، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ٩٣- بيجوفيتش، على عزت: الإسلام بين الشرق والغرب، ألمانيا: مؤسسة بافاريا، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٩٤- بيضون، تغايرد: المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٩٥- بيلو، صالح آدم: الثقافات الأجنبية في العصر العباسي (١٣٢-٣٣٤هـ) وصداها في الأدب، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٩٦-.....: تاريخ البشرية: إعداد اللجنة الدولية بإشراف منظمة اليونسكو، ترجمة عثمان نوية وآخرون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مج ٦، ج ٢، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ٩٧- توفلر، ألفين: صدمة المستقبل، ترجمة محمد علي ناصف، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٩٨- التوم، بشير حاج: تأصيل تربية المعلم، مكة المكرمة: كلية التربية، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- ٩٩- الجابري، بشير شكيب- القيادة والتغيير، جدة: دار حافظ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ١٠٠ - الجار الله، عبد الله جار الله: مسئولية المرأة المسلمة، المملكة العربية السعودية الرئاسة العامة لتعليم البنات، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٠١- جارودي وآخرون: نقد مجتمع الذكور، ترجمة هنرييت عبودي، بيروت: دار الطليعة، ط١، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ١٠٢- الجديع، عبدالله يوسف: صفة الزوجة الصالحة في الكتاب والسنة، الإحساء: مكتبة ابن تيمية، ط٥، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ١٠٣- الجزائري، أبو بكر: هل المسلمون اليوم مسلمون حقاً، مطبعة الفاروق الحديثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ١٠٤- جميلة، مريم: تحذير إلى المرأة المسلمة اليوم وغدا، ترجمة طارق السيد خاطر، القاهرة: المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت).
- ١٠٥- الجهيني، أسماء أبو بكر: من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان، مصر الجديدة: مكتبة ابن سينا، د.ت.
- ١٠٦- الحائري، محمد حسن الأعلى: تراجم أعلام النساء، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٠٧- الحداد، الطاهر: امرأتنا في الشريعة الإسلامية، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م.
- ١٠٨- حسنة، عمر عبيد: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ١٠٩ - _____: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، قطر: إدارة الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف، ط٥، (د.ت).
- ١١٠- حسين، محمد محمد: أزمة العصر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١١١- الحفار، سعيد محمد: بيئة من أجل البقاء، قطر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١١٢- حقي، إحسان: مسلم الغد، دار العربية، ط١، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- ١١٣- حماد، سهيلة زين العابدين: دور المرأة المسلمة في وضعنا الراهن، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١١٤- حوى، سعيد: كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر، بيروت: دار عمار، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- ١١٥- _____: المستخلص في تركية الأنفس.
- ١١٦- خان، وحيد الدين: واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- ١١٧- _____: الإسلام والعصر الحديث، ترجمة ظفر الإسلام خان، بيروت: دار النفائس، ط٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١١٨- _____: المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية، ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي، القاهرة: دار الصحوة للنشر، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١١٩- خفاجي، حياة محمد: زينة المرأة بين الإباحة والتحریم، سلسلة دعوة الحق، مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامي، ع١١١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٢٠- خليل، خليل أحمد: المرأة العربية وقضايا التغيير، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ١٢١- خليل، عماد الدين: قالوا عن الإسلام، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ١٢٢- الخولي، البهي: الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة، دار القلم، ط٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ د.ت.
- ١٢٣-: دائرة معارف الناشئين، تعريب فاطمة محبوب، مراجعة محمد خليفة بركات، دار الهلال، د.ت.
- ١٢٤- دسوقي، فاروق أحمد: استخلاف الإنسان في الأرض، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت.).
- ١٢٥- ديلومو، جان: الغرب والخوف من المرأة في نقد مجتمع الذكور لجارودي وآخرون، ترجمة هنراييت عبودي، بيروت: دار الطليعة، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٢٦- راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس، مصر: دار المعارف ط١٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٢٧- الرجال، عبد الغني بن محمد بن إبراهيم: الإسلاميون وسراب الديمقراطية، الرياض: مؤسسة المؤمن للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٢٨- الرشدان، عبد الله: علم الاجتماع التربوي، دار عمان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٢٩- ابن رمضان، فرج: تربية المرأة في فكر عصر النهضة، تونس، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٣٠- ريد، إفلين: النساء: طائفة، طبقة أو جنس مضطهد في نقد مجتمع الذكور، ترجمة هنراييت عبودي، بيروت: دار الطليعة، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- ١٣١- الزركلي، خير الدين: الأعلام، (د.ن)، (د.ت).
- ١٣٢- زريق، قسطنطين: نحن والمستقبل، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ١٣٣- الزبيدي، عبد الرحمن بن زيد: حقيقة الفكر الإسلامي، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ١٣٤- زهران، حامد عبد السلام: علم النفس الاجتماعي، القاهرة: عالم الكتب، ط٢، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ١٣٥- زيادة، مي: عائشة التيمورية، بيروت: مؤسسة نوفل، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ١٣٦- الزيد، عبد الله محمد: التعليم في المملكة العربية السعودية أنموذج مختلف، د.ن، ط٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٣٧- زيدان، عبد الكريم: المفصل في أحكام المرأة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٣٨- السايح، أحمد عبد الرحيم: في الغزو الفكري، قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١٣٩- السباعي، مصطفى: أخلاقنا الاجتماعية، دمشق: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ١٤٠- السبيعي، عدنان: سيكلوجية الأمومة، دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ١٤١- ستودارد، لوثر: حاضِر العالم الإسلامي، نقله إلى العربية عجاج نويض، تعليق شكيب أرسلان، دار الفكر، ط٣، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ١٤٢- السعداوي، نوال: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ١٤٣- سعيد، محمد رأفت: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، (د.ن)، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٤٤- ابن سلطان، سألمة بنت سعيد: مذكرات أميرة عربية، عمان: وزارة التراث والثقافة، (د.ت).
- ١٤٥- سمار، نهى: المرأة العربية (نظرة متفائلة)، بيروت: دار المرأة العربية، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١٤٦- الشامخ، محمد عبد الرحمن: التعليم في مكة والمدينة المنورة آخر العهد العثماني، الرياض: دار العلوم، ط٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- ١٤٧- شرايبي؛ هشام: الجمر والرماد، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٤٨- شلبي، أحمد: التربية الإسلامية (نظمها، فلسفتها، وتاريخها)، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ١٤٩- الشتوت، خالد أحمد: تربية البنات في الأسرة المسلمة، جدة: دار المجتمع، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٥٠- الصواف، محمد محمود: من سجل ذكرياتي، القاهرة: دار الاعتصام، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٥١- طاهر، فينان محمد: مشكلة نقل التكنولوجيا دراسة لبعض الأبعاد السياسية والاجتماعية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٥٢- طایل، فوزي محمد: ثقافتنا في إطار النظام العالمي الجديد، القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١٥٣- الطيب، الطيب محمد: المسيد، مطبعة جامعة الخرطوم، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٥٤- عارف، نصر محمد: الحضارة - الثقافة - المدنية. (دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم)، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ١٥٥- عاشور، عبد اللطيف: التداوي بالأعشاب والنباتات، القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.
- ١٥٦- عاقل، فاخر: اعرف نفسك (دراسات سيكولوجية)، بيروت: دارالعلم للملایین، ط٣، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ١٥٧- عبد الباقي، زيدان: المرأة بين الدين والمجتمع، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ١٥٨- عبد الجابر، محمد محمود: الإسلام وعلم النفس، الرياض: مكتبة الصفحات الذهبية، ١٤١٠هـ / ١٩٠٩م.
- ١٥٩- عبد الحميد، محسن: التغير الاجتماعي في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٦٠- عبد الحميد، محيي الدين: همسات في أذن المحجبات، مكتبة الخدمات الحديثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ١٦١- عبد الدائم، عبد الله: الثورة التكنولوجية في التربية العربية، بيروت: دار العلم للملایین، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٦٢- عبد العظيم، حيدر موسى: الإنسان وفلسفة التنمية، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

- ١٦٣- عبد الله، عبد الرحمن صالح: المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٦٤- عبد الواسع، عبد الوهاب: التعليم في المملكة العربية السعودية واقع حاضره واستشراف مستقبله، جدة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٦٥- عبد الوهاب، محمد فهمي: الحركات النسائية في الشرق، جامعة اليرموك: المجلس العام للجمعيات الطلابية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٦٦- عرفة، محمد بن عبد الله: حقوق المرأة في الإسلام الرياض، ط٤، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٦٧- العساف، صالح بن حمد: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٦٨- عسة، أحمد: معجزة فوق المال، المطابع الأهلية اللبنانية، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- ١٦٩- عفيفي، عبد الله: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، بيروت: دار الرائد العربي، ط٢، ج١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م - ج٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م - ج٣، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٧٠- عفيفي، محمد الهادي: في أصول التربية: الأصول الثقافية للتربية، مكتب الأنجلو المصرية، (د.ت).
- ١٧١- العلواني، طه جابر: إصلاح الفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ١٧٢- عمارة، محمد: رفاة الطهطاوي، القاهرة: دار المستقبل العربي، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٧٣- —: الإمام محمد عبده، بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ١٧٤- —: قاسم أمين (الأعمال الكاملة)، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٧٥- —: معالم المنهج الإسلامي، القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ١٧٦- عمّاش، هدى صالح مهدي: الهندسة الوراثية (تقنية جديدة أم خطر كوني)، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- ١٧٧- ابن عمر، المختار: أطفال اليوم وكيف نربّهم، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ١٧٨- العمروسي، فايد: الجوّاري والمغنيات، دار المعارف، ط٣، (د.ت).

- ١٧٩- العمري، أكرم ضياء: قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الجزء الأول، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١٨٠- —: التراث والمعاصرة، قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، (د.ت).
- ١٨١- عودة وملكاوي، أحمد سليمان وفتحي حسن: أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- ١٨٢- العويد، محمد رشيد: رسالة إلى حواء، الكويت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م - ج ٤، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م - ج ٦، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ١٨٣- العوين، محمد بن عبد الله: المقالة في الأدب السعودي الحديث، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ١٨٤- عيسوي، عبد الرحمن محمد: علم النفس والإنسان، دار المعارف، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ١٨٥- الغزالي، محمد: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ١٨٦- غيث، محمد عاطف: التنمية الشاملة والتغير الاجتماعي، بيروت: مطبعة كريدية، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ١٨٧- فرج؛ السيد أحمد: المؤامرة على المرأة المسلمة (تاريخ ووثائق)، المنصورة: الوفاء للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ١٨٨- الفرماوي، عبد الحى: تربية المرأة بين التشريع الإسلامي والواقع الإنساني، القاهرة: مكتبة الأزهر (د.ت).
- ١٨٩- فريد، أحمد: البحر الرائق في الزهد والرقائق، الإسكندرية: مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ط ٢، د.ت.
- ١٩٠- فريد، زينب: تعليم المرأة العربية في التراث وفي المجتمعات العربية المعاصرة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٩٠هـ / ١٩٨٠م.
- ١٩١- فريدان، بتى: الفرويدية وأسطورة دونية المرأة في نقد مجتمع الذكور لجارودي وآخرون، ترجمة هنرايت عبودي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ١٩٢-: فصول في تاريخ المملكة العربية السعودية: عرض إحصائي ووثائق، الرياض: وزارة المعارف، مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ١٩٢- الفنيش، أحمد علي: أصول التربية، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٢هـ / ١٩٨٢م.

- ١٩٣- القاسمي، خالد بن محمد: التلوث الصناعي، وأثره على بيئة دول مجلس التعاون الخليجي، الإمارات العربية المتحدة؛ دار الثقافة العربية، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- ١٩٤- القرشي، باقر شريف: النظام التربوي في الإسلام، دار التربية، ط٢، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ١٩٥- القرضاوي، يوسف: فتاوى معاصرة، الكويت: دار القلم، ط٥، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ١٩٦- _____: الوقت في حياة المسلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ١٩٧- _____: الصحة الإسلامية وهموم الوطن العربي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١٩٨- القصار، محمد عمر: المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٩٩- قطب سيد : الإسلام ومشكلات الحضارة، القاهرة: دار الشروق، ط٥، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٢٠٠- _____: في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط٢٣، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٠١- محمد قطب: معركة التقاليد، بيروت: دار الشروق، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٠٢- _____: في النفس والمجتمع، بيروت: دار الشروق، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٠٣- _____: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٠٤- _____: واقعنا المعاصر، جدة: مؤسسة المدينة للصحافة، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٠٥- _____: قضية تحرير المرأة، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٠٦- قفة، حيدر: رسائي إليها، الأردن: دار الضياء، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٠٧- القيسي، مروان إبراهيم: المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط: المغرب، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٢٠٨- كاريل، الكساس: الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد، بيروت: مكتبة المعارف، ط٤، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٠٩- الكاندهلوي، محمد يوسف: حياة الصحابة، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).
- ٢١٠- كجك، مروان: الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، القاهرة: دار الكلمة الطبية، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ٢١١- كحالة، عمر رضا: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ٢١٢- كوجك، كوثر: الإدارة المنزلية، عالم الكتب، ط٩، (د.ت).
- ٢١٣- كوجك وداود، كوثر حسين ولولو جيد: المرجع في التربية الأسرية، القاهرة: عالم

- الكتب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- ٢١٤- كيال، باسمه : تطور المرأة عبر التاريخ، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م.
- ٢١٥- الكيلاني، ماجد عرسان: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.
- ٢١٦- _____: أهداف التربية الإسلامية، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.
- ٢١٧- _____: فلسفة التربية الإسلامية، مكة المكرمة: مكتبة هادي، ط٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م.
- ٢١٨- _____: الأمة المسلمة، مكة المكرمة: دار الاستقامة، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.
- ٢١٩- _____: مناهج التربية الإسلامية، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.
- ٢٢٠- _____: مؤسسات التربية الإسلامية، مسودة، د.ت.
- ٢٢١- لحام، حنان: من هدي سورة النساء، الرياض: دار الهدى، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.
- ٢٢٢- _____: من هدي سورة البقرة، الرياض: دار الهدى، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م.
- ٢٢٣- _____: من هدي سورة آل عمران، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م.
- ٢٢٤- لوبون، جوستاف: حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعير، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
- ٢٢٥- المجذوب، محمد: تأملات في المرأة والمجتمع، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.
- ٢٢٦- _____: مشكلات الجيل في ضوء الإسلام، القاهرة: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، ط٢، (د.ت).
- ٢٢٧- المحاميد، أحمد نصيب: الحب بين العبد والرب، بيروت: دار الفكر، ط٣، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.
- ٢٢٨- محفوظ، محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م.
- ٢٢٩- محمد، محمد علي: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

- ٢٣٠- محي الدين، حسين ناجي محمد: نساؤنا العزيزات، الكويت: مكتبة السندس، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٣١- مدني، عباس: مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٣٢-.....: المرأة العربية: واقع وتطلعات، دراسة عن وضع النساء في ست دول عربية (الأردن، سوريا، فلسطين، لبنان، مصر، اليمن)، المكتب التنسيقي الأردني لشئون مؤتمر بكين، آيار ١٩٩٥م.
- ٢٣٣- مرسى، محمد منير: أصول التربية الثقافية والفلسفية، القاهرة: عالم الكتب، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٢٣٤- —: التربية الإسلامية، وأصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٣٥- مصلح، أحمد منير: نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي: دراسة نظرية وتحليل مقارنة لنظم التعليم العربي ومشكلاته، الرياض: جامعة الملك سعود، عمادة شئون المكتبات، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٢٣٦- المطهري، آية الله مرتضى: حقوق المرأة في النظام الإسلامي، ترجمة حيدر آل عبده، الكويت: منشورات مكتبة الفقيه، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٣٧- معبر، محمد أحمد: المرأة في شارع الحرية الخلفي، خميس مشيط: دار جرش للنشر والتوزيع، (د.ت).
- ٢٣٨- الملائكة، نازك: مأخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية، تحقيق محمد عيد العباسي، الدمام: دار ابن القيم، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٣٩-.....: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، تحرير الطيب زين العابدين، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج١، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٢٤٠- المدودي، أبو الأعلى: الحجاب، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٤١- —: مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، الكويت: دار القلم، ط٤، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢٤٢-.....: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ت.
- ٢٤٣- مولوي، فيصل: المرأة في الإسلام، بيروت: دار الرشاد الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

- ٢٤٤- مونسم، جون ونخبة من العلماء الأمريكيين: الله يتجلى في عصر العلم، القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- ٢٤٥- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٤٦- ابن نبي، مالك: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٢٤٧- النجار، زغلول راغب: قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، كتاب الأمة، رقم ٢٠، قطر: رئاسة المحاكم والشئون الدينية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ٢٤٨- النحلاوي، عبد الرحمن: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٤٩- الندوي، أبو الحسن: الحافظ أحمد بن تيمية، الكويت: دار القلم، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ٢٥٠- نصر الله، أملي: نساء رائدات من الشرق والغرب، بيروت: مؤسسة نوفل، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٥١- نصيف، مجدي: الوطن العربي ونقل التكنولوجيا في: (المرأة العربية-العرب والعالم)، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ٢٥٢- النقار، عبد الرسول: المرأة المعاصرة، دن، د.ت.
- ٢٥٣- الهاشمي، عابد توفيق: التصور الإسلامي للإنسان والحياة، دار الآفاق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٢٥٤- الهاشمي، عبد الحميد: الرسول العربي المربي، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٢٥٥- الهاشمي، محمد علي: شخصية المرأة المسلمة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٥٦- هوفمان، مراد: الإسلام كبديل، ألمانيا: مؤسسة بافاريا، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ٢٥٧- الهيلة، عصمة الدين كركر: المرأة من خلال الآيات القرآنية، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٢٥٨- وادي، طه: صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف، ط٣، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٥٩- وصفي، رؤوف: اليزر: ضوء المستقبل، الجزء الأول، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، د.ت.

٢٦٠- ياسين، بوعلي: أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٢م.

٢٦١- ياغي وشاكر، أحمد ومحمود: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٦٢- يحيى، محمد: الآيات الشيطانية.. الظاهرة والتفسير، القاهرة: المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، د.ت.

٢٦٣- يوسف، حافظ: كيف تفكر المرأة؟ دن، ط٣، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٢٦٤- يوسف، محمد خير رمضان: المرأة الكردية في التاريخ الإسلامي، بيروت: دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٦٥- يونج، جون إ.: الاستفادة من النفايات، ترجمة شويكار زكي، مصر: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

سادس: الرسائل الجامعية:

٢٦٦- الأبرش، مها: الأمومة ومكائنها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الدعوة، قسم الكتاب والسنة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٢٦٧- أبو حسين، آمال حمزة المرزوقي: تطور تعليم البنات في التعليم قبل الجامعي بالمملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة: جامعة عين شمس، كلية التربية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٢٦٨- أبو سنة، عصمة أحمد فهمي: دور الصحابييات في المجتمع الإسلامي من خلال كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، رسالة دكتوراه غير منشورة في الحضارة الإسلامية، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: قسم الدراسات العليا، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٢٦٩- أبو عمشة، عادل محمد محمود: قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية. ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٧٠- الجهيمان، عبدالله بن إبراهيم: اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول، القاهرة: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية: قسم الدراسات العليا، شعبة الأدب والنقد، ١٣٩٣-١٣٩٤هـ / ١٩٧٣-١٩٧٤م.

٢٧١- الحارثي، دوخي بن زايد بن علي: الظلم وأثره على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة: فرع الكتاب والسنة،

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢٧٢- داخل، سعاد محمد صبحي: مظاهر تكريم المرأة في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: قسم الفقه، ١٤٠٧ - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ - ١٩٨٨م.

٢٧٣- الرحالي، محمد عبد العزيز الحمايدي: الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين: قسم الكتاب والسنة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢٧٤- شكاره، عادل عبدالحسين: نظرية هو بهاوس في التنمية الاجتماعية وتطبيقاتها على سياسة تنمية المجتمع العشائري في العراق، رسالة دكتوراه منشورة جامعة القاهرة، بغداد: مطبعة دار السلام، ١٣٩٤ - ١٣٩٥هـ / ١٩٧٤ - ١٩٧٤م.

٢٧٥- الصائغ، وفاء بنت حسن: مدى إمكانية تعليم الفتاة السعودية فنيا وتدريبها مهنيا للعمل في المؤسسات النسائية، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية التربية - قسم الإدارة، ١٤٠٨ - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م - ١٩٨٩م.

٢٧٦- صابر، خيرية حسن طه: دور الأم في تربية الطفل المسلم، رسالة ماجستير منشورة، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٢٧٧- القاسم، منيرة عبد الله: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢٧٨- القاسمي، هند عبدالعزيز: المرأة في الإمارات (تحديات التعليم والعمل واتخاذ القرار)، دراسة ميدانية منشورة، الإمارات العربية المتحدة: جمعية الاجتماعيين، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٧٩- عائدة، دعد قناب: الرفض المبدع في أدب أحمد فارس الشدياق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي، الجامعة اللبنانية، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٢٨٠- عابد، عبد الصمد بن بكر بن إبراهيم: المسئولية وصلتها بالتكاليف الشرعية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة: فرع الكتاب والسنة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢٨١- عسيري، مريزن سعيد مريزن: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم الدراسات العليا الحضارية، ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ - ١٩٨٥م.

- ٢٨٢- فيصل، عاطفة: صورة المرأة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث في سوريا، دراسة منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٢٨٣- قاروت، نور علي حسن: موقف الإسلام من نشوز الزوجين أو أحدهما، دراسة منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٨٤- محمد، خديجة أبو القاسم حاج: التزام المرأة بالإسلام وآثاره التربوية على عملها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى: كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٨٥- المدني، ازدهار بنت محمود بن محمد صابر: أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: كلية التربية للبنات، قسم الدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

سابعاً: الدوريات:

- ٢٨٦- إسماعيل، سعاد خليل: مقدمة الندوة العلمية العربية والتقرير الأولي، في مجلة المرأة العربية، بغداد: الأمانة العامة للاتحاد النسائي العربي العام ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ع ٨٤، ص ١١.
- ٢٨٧- أبو شعيرة، شوقي: التعسف الثقافي وسلطة العنف المعنوي، في قضايا دولية، باكستان: معهد الدراسات السياسية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م، ع ٢٨٦، ص ٢٤-٢٨.
- ٢٨٨- أبو يحيى، محمد حسن: حكم شهادة النساء فيما يطلعن عليه غالباً، في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ع ١٢، ص ٢٦١-٣٠٧م.
- ٢٨٩-.....: احذر أشعة الليزر في الاستعراضات، في مجلة العالم، لندن، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ع ٥٥٤، ص ٥٠-٥١.
- ٢٩٠- أحمد، إياد: هل يستطيع الإنسان استنساخ نفسه، في مجلة العالم، لندن ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٦٠، ص ٥٠-٥٢.
- ٢٩١- إدريس، جعفر شيخ: التصور الإنساني للإسلام أساس لفلسفة الإسلام التربوية، في مجلة المسلم المعاصر، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ع ٢٢، ص ٦١-٨٠.
- ٢٩٢-.....: مجلة الإصلاح، دبي: جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ع ١١٥، ص ٣٧.
- ٢٩٣-.....: ألعاب موقوتة، في اليامة، الرياض: مؤسسة اليامة الصحفية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٣، ص ٢٢-٢٥.

- ٢٩٤-.....: أمراضكم معظمها نفسية وانفعالاتكم خطر يؤدي إلى الموت، في مجلة الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٠، ص ٣٢-٣٣.
- ٢٩٥-.....: الأمم المتحدة تعد لأخطر مؤتمر عالمي عن المرأة، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص ٢٨-٣١.
- ٢٩٦-.....: باحثة بريطانية ترفض الاختلاط، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٢٩٧- الباز، شهيدة: المرأة العربية ونظام القيم، في المستقبل العربي، ع ١٢٠، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٤-١١٣.
- ٢٩٨-.....: التنجيم من أقدم المهن وتزدهر أسواقه في الغرب، في العالم، لندن، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٥٥٣، ص ٥٥-٥٦.
- ٢٩٩- التويجري، علي بن محمد: استرداد الدور الأم في أمتنا، في رسالة الخليج، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ع ٣٠ ص أ-ر.
- ٣٠٠-.....: الجمهورية، الجمهورية اليمنية: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ع ٩٩٦٦.
- ٣٠١-.....: الجميلة، تصدر عن سيدتي، المملكة المتحدة: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٥.
- ٣٠٢-.....: الحارس الصامت للمرأة السائقة، في حواء، القاهرة: مؤسسة دار الهلال، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٢١٠٦.
- ٣٠٣- حسن، حسن علي: المرأة ودافعية الإنجاز، (دراسة نفسية مقارنة لدافعية الإنجاز وبعض الخصائص المعرفية والمزاجية المتعلقة بها لدى الذكور والإناث في المجتمع المصري)، في مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت مج ١٧، ع ٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ١٩-٣٢.
- ٣٠٤- حلفيشي، جميلة: عروض باريس بين فنونها وجنونها ضاعت المرأة، في مجلة الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٦٣، ص ٤٠.
- ٣٠٥- _____: كريستيان لأكروا والخيط الرفيع بين المزاجية والإبداع، في مجلة الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٤٢.
- ٣٠٦-.....: حوار مع أم أنفال (نمساوية في إحدى ثانويات فيينا)، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٠٨٤، ص ٥٦-٥٧.
- ٣٠٧- خلاف، خلاف خلف: المرأة وتبعات التنمية في المجتمع الإسلامي (نموذج تطبيقي)، في

- مجلة التعاون، الشؤون الإعلامية بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، سنة ٦، ع ٢٣، ص ٦٤-٨٧.
- ٣٠٨-.....: الدعوة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٣٠.
- ٣٠٩-.....: الدعوة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ص ٤٤.
- ٣١٠-.....: اتفاق أواهيو: رضينا بالهم، الدعوة، لندن، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، ع ٤٧، ص ٩.
- ٣١١-.....: دور صندوق النقد والبنك الدولي في تغيير الاقتصاد المصري، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ع ١٢١٦، ص ٢٢-٢٦.
- ٣١٢-.....: رسالة الفاتيكان إلى أمين عام مؤتمر بكين، في قضايا دولية، باكستان: معهد الدراسات السياسية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠.
- ٣١٣- الريمحي، محمد: لم يعد في المعمورة مكان يغمره الظلام، في العربي، الكويت: وزارة الإعلام، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع ٤٦٠، ص ٢٠-٢٩.
- ٣١٤-.....: السالب والموجب في الهندسة الوراثية، في اليامة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ١٤٤٧٤، ص ٨٢-٨٤.
- ٣١٥- الزواوي، فوزية: في مجلة الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٤٨٢، ص ٤٨.
- ٣١٦- السباعي، نوال: المرأة المسلمة بين تعاليم الإسلام وظلم الواقع، في قضايا دولية، باكستان: معهد الدراسات السياسية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٣٠-٣٣.
- ٣١٧- سلطان، عبد الله عمر: بدعة جديدة: تفسير التاريخ أصولياً، في البيان، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٨٨، ص ٧٢-٧٧.
- ٣١٨- السالموطي، نبيل: التنمية بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي، في البيان، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٨٧، ص ٣٣-٤٠.
- ٣١٩-.....: سوق دولية لتصنيع البشر في كل الأسرة الشارقة: دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ع ١٦، ص ٣٢-٣٥.
- ٣٢٠-.....: سويسرا تعلن الحرب ضد سيدة عربية تدافع عن القرآن في زهرة الخليج، الإمارات العربية المتحدة: مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٨١٢، ص ٢٦-٢٧.
- ٣٢١- شبيب، نبيل: المؤتمرات الدولية العملاقة: ظاهرة جديدة لفرض القيم والنظم الغربية في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤٦.

- ٣٢٢- صبر، صالح علي: العصبية... أسبابها وعلاجها في النور، الجمهورية اليمنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥١، ص ٢٠-٢١.
- ٣٢٣- صحمراني، أسعد: المرأة في التاريخ في آفاق الإسلام، عمان: الدار المتحدة للنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١، ص ١٣٤-١٤٠.
- ٣٢٤- الصقير، ماضي محمد: أطفالنا ومحو أمية الكمبيوتر، في العربي، الكويت: وزارة الإعلام، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٣٨، ص ١٦٢-١٦٧.
- ٣٢٥- الصويان، أحمد عبد الرحمن: نكون أو لا نكون: نظرات في مذكرات المرأة الصهيونية الرجل، في البيان، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤٢٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٨، ص ١٠٧-١١٠.
- ٣٢٦- الطايغ عبد المجيد: المثقفون ومصدرية المعرفة، في قضايا دولية، باكستان: معهد الدراسات السياسية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ٢١٤، ص ٣٠.
- ٣٢٧-.....: عائدة من بكين، في مجلة الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٧، ص ٢٠-٢٢.
- ٣٢٨- عبد الرحمن، شعبان: مؤتمر بكين حرب خبيثة تستهدف المرأة المسلمة، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص ٣٢-٣٥.
- ٣٢٩- عبد الله، جهاد: الدور الحضاري للإنترنت، في العربي، الكويت: وزارة الإعلام، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٤٥٧، ص ١٤٠-١٤٣.
- ٣٣٠- عبد المجيد، إبراهيم: أدباء مصريون في فرنسا، في العربي، الكويت: وزارة الإعلام، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٤٣، ص ٨٩-٩٨.
- ٣٣١- العبد، محمد: أنماط التفكير، في البيان، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٧.
- ٣٣٢- عبيد، عاطف علي العبد: وضع المرأة التقليدي وعوامل تدعيمه، في المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ع ٥٢، ص ٥٤-٦٨.
- ٣٣٣- عرابي، عبد القادر: المرأة العربية بين التقليد والتجديد، في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ع ١٣٦، ص ٥٠-٦٥.
- ٣٣٤-.....: عفريت الوراثة يخرج من القمقم، في زهرة الخليج، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٩٣٨، ص ٩٦-١٠١.
- ٣٣٥-.....: العلم والمنطق طريق الدعوة الإسلامية في النور، لندن: ع ٧٠، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٦-٤٩.
- ٣٣٦-.....: لقاء مع حامد عمار، في العربي، الكويت: وزارة الإعلام، ١٤١٦هـ

- / ١٩٩٦م، ع ٤٤٩، ص ٦٦-٧٣.
- ٣٣٧- عمارة، محمد : حضارة أم حضارات، في المسلم المعاصر، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر، السنة ١٩، العددان ٧٣-٧٤، محرم - جمادي الآخر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٨-٥.
- ٣٣٨- عميرة، عصام : المرأة والرجل في المجتمع الإسلامي، في مجلة الوعي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١١٤، ص ٢٧-٣١.
- ٣٣٩- العوضي، هشام: الاستنساخ بين الواقع والأخلاق والدين، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٢٤٢، ص ٣٤-٣٥.
- ٣٤٠- غنام، محمد أحمد: التعليم من أجل العمالة المنتجة في الدول العربية، في التربية الجديدة، ع ٢٥، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م، ص ١٥-٤٥.
- ٣٤١- غنام، علاء : أمهات في سن الشيخوخة وأبناء بلا آباء، في العربي، الكويت: وزارة الإعلام، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٣٨، ص ١٦٨-١٦٩.
- ٣٤٢- كريم، كريمة: المرأة العربية والنظام الاقتصادي العالمي الجديد في المستقبل العربي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ع ٣٥، ص ٥١-٧٠.
- ٣٤٣-.....: كل الأسرة، الشارقة: دار الخليج للصحافة والنشر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ع ١٦، ص ٢٥.
- ٣٤٤-.....: لقاء مع مايكل وارن، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ع ١٠٧٨، ص ١٦-١٨.
- ٣٤٥-.....: لويس فراخان يفتح الملف الأمريكي، في مجلة الشاهد، وكالة إغاثة العالم الإسلامي لشرق أوروبا، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠، ص ٢٠-٢٣.
- ٣٤٦-.....: مأساة الأطفال في البوسنة والهرسك، في المجتمع، الكويت: جمعية الإصلاح، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ع ١١٢٢، ص ٣٠-٣٢.
- ٣٤٧-.....: ما الذي يدور في كواليس المساعدات، في مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٤، ص ٢٠-٢٣.
- ٣٤٨-.....: في المجتمع، الكويت، جمعية الإصلاح، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٩.
- ٣٤٩-.....: في المسلم المعاصر، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر، ١٤١٦هـ السنة ١٩، العددان ٧٣-٧٤، محرم-جمادي الآخر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٣٥٠-.....: مواليد بلا أمهات، في اليامة، الرياض: مؤسسة اليامة الصحفية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٤٨، ص ٣٠-٣٣).

- ٣٥١-.....: مؤتمر المرأة المهاجرة، في زهرة الخليج، الشارقة: دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ع ٨١٧، السنة ١٦، ص ٣٠-٣٣.
- ٣٥٢- النجار، عبد المجيد: عقيدة تكريم الإنسان أثرها التربوي، في المسلم المعاصر، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، العددان ٧٣-٧٤، ص ١١١ - ١٣٩.
- ٣٥٣-.....: "هل هي تجربة في إطار تكنولوجيا الغذاء أم باتجاه إنتاج السوبرمان، في الإصلاح، دبي: جمعية الإصلاح والتوحيد الاجتماعي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٣٦٥، ص ٣٠-٣٣.
- ٣٥٤- همام، محمد: إعلان خليجي لحماية الطفولة من مخاطر السماء المفتوحة، في زهرة الخليج، الإمارات العربية المتحدة: مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٨-١١.
- ٣٥٥-.....: نقد نظرية " صدام الحضارات " إعداد مختار محمد، في قضايا دولية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، السنة الخامسة، العدد ٢١٤، ص ٢٥-٢٧.
- ٣٥٦- نور الدين، إيمان: عرض لكتاب صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، في مجلة الديبلوماسي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٤، ص ٤٤-٤٥.
- ٣٥٧- وولف، ليسلي: في المجلة العربية للتربية، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ع ١.
- ٣٥٨- يحيى، محمد: تدشين الأئمة النسوية العلمانية، في البيان، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٣، ص ٩٢-١٠٣.
- ثامنا: الندوات:**
- ٣٥٩- البرنوطي، سعاد: دور المرأة العربية في النشاطات المجتمعية وواقع الدراسات حولها، في ندوة تنمية مساهمة المرأة في النشاط المجتمعي، بغداد: اتحاد المجالس البحث العلمي العربية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٣٥-١٣٩.
- ٣٦٠- الرميحي، محمد: أثر النفط على وضع المرأة العربية في الخليج، في ندوة المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٣١-٢٦٤.
- ٣٦١- نشابة هشام: نظرة مستقبلية للتربية والتعليم وعلاقتها بمشكلات المرأة العربية وإسهامها بعملية الانصهار القومي، في ندوة المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢، ص ٤٣٧-٤٧٠.
- ٣٦٢-.....: ندوة مجلة الديبلوماسي عن حوار الثقافات والحضارات، لندن: مؤسسة المستقلة للنشر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٤.

٣٦٣-مدانات، نسيم: ندوة الصحفيات العربيات حول قضايا المرأة والسكان والتنمية "المرأة والقرار". تونس ٥-٨ ديسمبر ١٩٩١م، برنامج اليونسكو الإقليمي للاتصال الثاني في الدول العربية: قضايا المرأة.

٣٦٤-.....: ندوة المرأة والاستخدام والتنمية في الوطن العربي "التقرير النهائي"، عمان منظمة العمل الدولية، الهيئة العربية للمرأة والتنمية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

تاسعا: نشرات:

٣٦٥-.....: اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، الأمم المتحدة، (د.ت).

٣٦٦-.....: تعليم البنات في سبعة عشر عاما: ١٣٨٠-١٣٩٧هـ / ١٩٦٠م-١٩٧٧م، المملكة العربية السعودية: الرئاسة العامة لتعليم البنات.

عاشرا: تقارير:

٣٦٧-.....: الأعمال التحضيرية للمؤتمر العالمي للمرأة: العمل من أجل المساواة والتنمية والسلام، الأمم المتحدة: المجلس الاقتصادي والاجتماعي، لجنة مركز المرأة، الدورة الثامنة والثلاثون، ٧-١٨ مارس ١٩٩٤م.

٣٦٨-.....: التربية البيئية: دورة تدريبية لتوعية الكوادر النسائية حول البيئة ومشكلاتها، الجمهورية العربية اليمنية: وزارة البلديات والإسكان، الإدارة العامة لصحة البيئة: إدارة الإرشاد والإحصاء الصحي، د.ت.

٣٦٩-.....: التنمية البشرية، التقرير السنوي للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، بيروت: مركز دراسات الوحدة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٧٠-.....: تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦م، نيويورك: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٣٧١-.....: تقرير عن المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، الأمم المتحدة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٣٧٢-.....: التقرير النهائي لندوة المرأة والاستخدام والتنمية في الوطن العربي، عمان: الهيئة العربية للمرأة والتنمية ومنظمة العمل الدولية، ١٦-١٧ ديسمبر ١٩٩١م.

٣٧٣-.....: تقرير عن النساء والتنمية في اليمن، صنعاء: المجموعة الاستشارية للجهاز المركزي للتخطيط، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٧٤-جاكسون، جودي ل.: تحسين صحة النساء التوالدية في تقييم عن وضع العالم: تقرير أعده معهد مراقبة البيئة العالمية نحو تحقيق التقدم المتواصل للمجتمع من تأليف المستر براون وترجمة سيد رمضان هدارة، ص ١٣٥-١٥٨.

٣٧٥-.....: العائلة العربية وآثار التحولات الاجتماعية والحضارية في تقويم دور المرأة في العائلة في ضوء تلك التحولات، تقرير مقدم إلى الندوة العلمية العربية، ١٤ ديسمبر، ١٩٨٨ م. إعداد سعاد خليل وآخرون، د.ن.

٣٧٦-.....: مشروع خطة العمل للنهوض بالمرأة العربية حتى عام ٢٠٠٥ م، عمان: الاجتماع العربي الإقليمي التحضيري للمؤتمر الرابع للمرأة، نوفمبر ١٩٩٤ م.

٣٧٧-.....: وضع السكان عام ١٩٨٩ م، الأمم المتحدة .

حادي عشر: مؤتمرات:

٣٧٨-.....: توصيات المؤتمرات التعليمية الأربع، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي: جامعة أم القرى: المركز العالمي للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٣٧٩- الخولي، جمعة علي: ردود على الشبهات الواردة في تعدد الزوجات في المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، قطر: الشؤون الدينية، ١٤٠١ هـ / ١٩٩١ م، ج ٢، ص ٢٥-٧٧.

٣٨٠- فرج، عبد المنعم: دراسة عن قيمة المرأة والاتفاقية الدولية لإلغاء صور التمييز ضدها، قدمت مؤتمر صحة المرأة والاتفاقية الدولية لإلغاء صور التمييز ضدها، القاهرة: ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٣٨١- فيراجترات : مؤتمر المرأة العالمي الرابع: العمل من أجل المساواة والتنمية والسلام، مذكرة أعدها مجلس الولايات المتحدة: معهد البحوث والتدريب الدولي لتقدم المرأة، مجلد ١، ع ٢، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٣٨٢-.....: المرأة والتنمية في الثمانينيات: بحوث ودراسات قدمت للمؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، الكويت: الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية، ٢٨-٣١ مارس ١٩٨١ م، ج ٢.

٣٨٣- الأزرق، زهور: الآثار السلبية التي قد تنجم عن خروج المرأة للعمل والسبل الكفيلة بمواجهة هذه الآثار، ص ٧٥٧-٨١٢.

٣٨٤- الدهان، أميمة: المرأة العربية في الفكر الإسلامي المعاصر ج ٢، ص ٤٨٩-٥٠٣.

٣٨٥- عبد الرحمن، عواطف: صورة المرأة الخليجية في الصحافة الخليجية.

٣٨٦- عبد المعطي، عبد الباسط: الوعي الزائف بالمرأة الخليجية، ص ٧٢٣-٧٥٤.

ثاني عشر: أوراق عمل:

٣٨٧-.....: توفير التعليم الأساسي للبنات والنساء في الدول العربية مع التركيز

على المناطق الريفية والنائية: ورقة مرجعية من إعداد مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية (يوندباس) للاجتماع العربي الإقليمي التحضيري للمؤتمر العالمي الرابع للمرأة، عمان، ٦-١٠ نوفمبر ١٩٩٤م / ١٤١٥هـ.

٣٨٨- حمد وأخريات، نورية: المرأة في حماية البيئة: (دورة مشروع التربية السكانية)، الجمهورية اليمنية، د.ت.

ثالث عشر: وثائق:

٣٨٩-.....: الإستراتيجية العربية للتنمية الشاملة: (الدراسة الأساسية، الإطار العام، تقييم الواقع التنموي، التوجهات المستقبلية) الأمانة العامة لجامعة الدول العربية: الإدارة العامة للشئون الاجتماعية والثقافية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

رابع عشر: صحف يومية:

٣٩٠-.....:الاتجاهات الكبرى عام ٢٠٠٠، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٣٨.

٣٩١-.....: احتجاج ضد مسابقات الجمال، في الثورة، الجمهورية اليمنية: مؤسسة الثورة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٢٥١.

٣٩٢-.....: الإسلام وتشكيل المجتمع المدني: مناظرة بين أنور وإبراهيم وعبد العزيز التويجري، في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٠.

٣٩٣-.....: صحيفة الاتحاد، الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٧٣٠٨.

٣٩٤-.....:اعترافات فتيات الشيطان في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٦٢٧.

٣٩٥-.....:الاقتصادية، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٠٢.

٣٩٦-.....: انتحار كريمة يفتح الملف الأسود في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٢٥.

٣٩٧-.....:أهداف الصرب وأفعالهم في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٠٠.

٣٩٨- باجير، عبد الله: مع قهوة الصباح، الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٩٩٥م، ع ٥٩٨٣، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٧٨، ع ٦١٧٥.

٣٩٩-.....: بحجة زمني غير زمانكم بنات اليوم على طريق الفيديو كليب، في

عكاظ، المملكة العربية السعودية: مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٦٧١.

٤٠٠-.....: البريطانيون يفضلون الطلاق. والفرنسيون لا يريدون الزواج، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٣.

٤٠١-.....: التحكم عن بعد سمة القرن الواحد والعشرين، في الشرق الأوسط، المحدودة الشرق الأوسط، لندن: لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٩٨، ع ٦٠٧٠.

٤٠٢-.....: تظاهرة نسائية في أنقرة في الحياة، لندن: شركة الحياة الدولية للنشر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٢٤٠٧.

٤٠٣- جدعان، فهمي: اقتراح لأسلوب تعامل المسلمين مع الآخر، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٨.

٤٠٤- الجدي، عواد جاسم: درع حيوي ضد التلوث في ١٤ أكتوبر، الجمهورية اليمنية، مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٥٢٧.

٤٠٥-.....: جراحة التجميل تفقد معناها الطبيعي، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٥.

٤٠٦-.....: جردوني من منصبي لأنني اعتنقت الإسلام، في الشعب، مصر: حزب العمل، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠١٦.

٤٠٧- الجسر باسم: تيارات سياسية - عقائدية تهدد السلام العالمي، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٣٧.

٤٠٨- الجفري، عبدالله: ظلال في عكاظ، ع ١٠٣٦٨، ١٤١٦هـ / ٢٧ / ١٢ / ١٩٩٥م.

٤٠٩- جلاء، إبراهيم: السقوط... في بئر الوحل، في المسلمون، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٦٥.

٤١٠-.....: الجمهورية، الجمهورية اليمنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٩٥٢٧، ع ٩٥٤٨، ع ٩٩٦٦.

٤١١-.....: حركة المرأة الغربية، إعداد مكتب رابطة العالم الإسلامي بالأردن في صحيفة العالم الإسلامي مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١٣١٩.

- ٤١٢- حسين، مجدي: ابحثوا عن عبدة الشيطان الحقيقيين، الشعب- مصر: حزب العمل، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١١٣٦.
- ٤١٣-.....: حملة غربية ضد بروفيسورة ألمانية، في المسلمون، لندن: الشرق السعودية للتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٩.
- ٤١٤-.....: حوار مع أنور إبراهيم نائب رئيس الوزراء ووزير مالية ماليزيا، في المستقلة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٧٦.
- ٤١٥-.....: حوار مع خديجة سيف الدين الترابي، في عكاظ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٩٨٥.
- ٤١٦-.....: حوار مع المنصف اللواتي، في الحياة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٢٢٥٠.
- ٤١٧-.....: ربات البيوت يعقدن أول مؤتمر عالمي في الأرجنتين، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٤.
- ٤١٨-.....: الرباط تعلن الحرب على الأكياس البلاستيكية، الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ع ٥٩٩٥.
- ٤١٩- الركابي، زين العابدين: الحجج الأربع للحوار في مؤتمر بكين، في الشرق الأوسط: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٥.
- ٤٢٠-.....: ليس لأحمد حقوق فما مسئولية (أحمد)؟، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٩٩٦.
- ٤٢١-.....: ركود استخدام الخدمات في فرنسا، في الثورة، الجمهورية اليمنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٣٥٨.
- ٤٢٢-.....: الروسيات يحققن حلم العودة إلى المطبخ، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٨٩.
- ٤٢٣- سعداوي، وفاء: ٣٠ حالة تراث فيها المرأة مثل الرجل أو تنفرد بالميراث، في المسلمون، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٦٣٣.
- ٤٢٤- ابن سعيد، الصافي: مؤتمر بكين جنازة امرأة طائشة.... ورجل أخرج، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ /

١٩٩٥م، ع ٦١٢٩.

٤٢٥-.....: سوق للعبيد في إيطاليا، في الشرق الأوسط، لندن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٢٩.

٤٢٦-.....: الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٧٨، ع ٥٨٨٦، ع ٥٨٩١، ع ٥٩٩٥، ع ٦٠١٣، ع ٦٠١٨، ع ٦٠٤٣، ع ٦٠٧٠، ع ٦٠٧١، ع ٦٠٨٦، ع ٦٠٩٣، ع ٦١١٣، ع ٦١١٨، ع ٦١٤٨، ع ٦١٥٣، ع ٦٦٦٤، ع ٦١٧٩، ع ٦١٩٤.

٤٢٧-.....: الشعب، مصر: حزب العمل ١٩٩٤م، ع ٨٨٦.

٤٢٨- الشمعة، خلدون: لعب إعلامي ولاعبون، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٩٣.

٤٢٩- صالح، عبد المحسن مصطفى: نظرة الإسلام إلى المرأة، في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ، ع ٦١٤١.

٤٣٠- صالحة، رائد: لأسباب عنصرية... شركة عالمية تطرد ٢١ عاملاً عربياً، في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٦٠.

٤٣١- صلاح الدين، محمد: الراجعون القهقري، في المدينة، المملكة العربية السعودية: مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٧٠٦.

٤٣٢- الصباغ، محمد لطفي: تحديد النسل مخالف لمقاصد الشريعة في حفظ النسل، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ع ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٠.

٤٣٣-.....: صوت العرب، مصر ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٣٢٩.

٤٣٤- طاهري، أمير: أقصوصة حزينة من ألمانيا، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٣.

٤٣٥-.....: المهاجرون العرب في فرنسا... حملات التوقيف تلاحقهم أينما ذهبوا، في الشرق الأوسط، لندن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٩.

٤٣٦- الطياش، فهد: خطة لخلق قناة التواصل المعرفي من أجل التغيير، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة. ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٦٤٩٦.

٤٣٧-.....: العائدات من بكين يتحدثون في المسلمون، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٩.

- ٤٣٨- عبد الرحمن، أحمد: لقاء مع كريستيان سوسكا، في المستقلة، لندن: دار المستقلة للنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٣.
- ٤٣٩- _____: قضية استنساخ البشر، في الشعب، مصر: حزب العمل، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١١٤٥.
- ٤٤٠-: عكاظ، جدة: المملكة العربية السعودية، مؤسسة عكاظ للنشر، أ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٦٦٣.
- ب - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٨١٣، ع ١٠٩٠٤.
- ج - ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٠٩٩٢.
- ٤٤١- العلوان، طه جابر: أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ٦٥٥٢.
- ٤٤٢- العلوي، سعيد بن سعيد: حديث الأمن الثقافي والغزو الثقافي بين المقبول والمرفوض في مجتمعنا اليوم، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٩١.
- ٤٤٣- عمارة محمد: مكانة الإسلام في صياغة نموذجنا الثقافي، في الحياة، لندن: شركة الحياة الدولية للنشر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٥م، ع ١٢٢٢٤.
- ٤٤٤-: قتلني أبي من حيث لا يحتسب، في عكاظ، المملكة العربية السعودية، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١٠٥٠٦.
- ٤٤٥- القحطان، سهام: في عكاظ، المملكة العربية السعودية، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع: ١٠٣٨٨.
- ٤٤٦- القشيطني، خالد: صباح الخير: سر النمو، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للصحافة والنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٩٤، ع ٦٢٢٩.
- ٤٤٧-: كلمة عربي أو مسلم ترتبط في أذهان الغربيين بالأصولية والتطرف والرفض، في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٨.
- ٤٤٨- كلينتون، هيلاري: المرأة الأمريكية كسولة في ممارسة الاقتراع، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٥.
- ٤٤٩- _____: في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٤٤.
- ٤٥٠- اللاذقاني محيي الدين: طواحين الكلام، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية

- للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٢٠٠.
- ٤٥١- لاري، رضا: مسلمو البوسنة، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٨٤.
- ٤٥٢-.....: لقاء مع أمة العليم السوسوة، في المرأة، الجمهورية اليمنية، مؤسسة الثورة للصحافة والنشر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ٦٤.
- ٤٥٣-.....: لقاء مع خوان غويتسولوا، في المستقلة، لندن: مؤسسة المستقلة للنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٤.
- ٤٥٤-.....: لقاء مع مؤسسات لجنة الأم والطفل بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٩.
- ٤٥٥-.....: ماذا حققت المرأة من العمل في الثورة، الجمهورية اليمنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٢٢٣.
- ٤٥٦-.....: مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٧٦، ص ٣٣.
- ٤٥٧-.....: مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٠، ص ٢٩-٣١، ص ٣٤.
- ٤٥٨-.....: مجلة الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٢، ص ٣٥.
- ٤٥٩-.....: مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٤٨٣، ص ٢٣، ص ٤٠، ص ٤٥.
- ٤٦٠- محمد رمضان بسطاويسي: صور الغرب في الفكر العربي المعاصر، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٣٦.
- ٤٦١-.....: المرأة اليمنية وتوفير المياه في الجمهورية، الجمهورية اليمنية، ع ٩٥٤٨.
- ٤٦٢- مرسى، محمد عبد العليم: ناشئة الغرب والنظرة الإعلامية للإسلام والمسلمين، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٤٦.
- ٤٦٣- —: النظرة الإعلامية للإسلام والمسلمين عبر التاريخ" تفنيد مزاعم الغرب حول القرصنة في شمال أفريقيا"، في الشرق الأوسط: ع ٦٠٤٩.
- ٤٦٤-.....: المستقلة، لندن: دار المستقلة للنشر.
- أ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٦٩، ع ٨٠.
- ب - ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ع ١٣٦.

- ج - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ١٤٣.
- ٤٦٥-.....: المسلمون أكثر حفاظا على نسائهم، في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٦٠.
- ٤٦٦-.....: المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتسويق.
- أ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٢٦، ع ٥٥٨، ع ٥٥٩.
- ب - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ع ٥٨٢.
- ٤٦٧- المصباحي، حسونة: فضيحة تسليمه نسرين، في الشرق الأوسط، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٦.
- ٤٦٨- مقدادي، رياض: الخليجيون يغرقون بالديون، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠١٧.
- ٤٦٩-.....: ملحق التسوق، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٨٩٩.
- ٤٧٠-.....: منشورات عنصرية تثير خوف المسلمين البريطانيين، في المسلمون، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٥٩.
- ٤٧١-.....: منع البياض القسري عن نساء أفريقيا، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٦٢.
- ٤٧٢-.....: مؤتمر المسكن حلقة جديدة في مسلسل ضد الأسرة، في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٦٧.
- ٤٧٣- موسى، ناصر: استمرار تفوق مدارس البنات غير المختلطة، في المسلمون، لندن: الشركة السعودية للتسويق، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٥٦٠.
- ٤٧٤- النجار، عبد المجيد: عقيدة تكريم الإنسان أثرها التربوي، في المسلم المعاصر، القاهرة: مؤسسة المسلم المعاصر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، العددان ٧٣-٧٤، ص ١١١ - ١٣٩.
- ٤٧٥-.....: النرويجيات يمزقن صور بامبلا أندرسون، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦٠٠٢.
- ٤٧٦-.....: النص الكامل للمناظرة التي حرمت فيها توجان تعدد الزوجات، في الحياة، عمان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ع ٣٥.
- ٤٧٧-.....: نصف نساء لبنان يترددن إلى عيادات التجميل، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٥٧.
- ٤٧٨- هويدي، فهمي: لماذا لم نحدد موقفا من وثيقة مؤتمر بكين، في الشرق الأوسط، لندن:

الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٠.

٤٧٩- —: وثيقة مؤتمر بكين تمهد لإعلان الحرب على الأسرة، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١١٧.

٤٨٠-.....: وثائق مؤتمر بكين في الشرق الأوسط لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع: ٦١٤٠، ع ٦١٤٧، ع ٦١٧١.

٤٨١-.....: الوشم يفجر معركة بين الأطباء واختصاصي التجميل في لبنان، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٧٧.

٤٨٢-.....: وفود الدول الإسلامية تؤكد التزامها بقوانين الإرث المستقاة من الشريعة، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٢٩.

٤٨٣- ولد أباه، السيد: عندما تصدر الأمم المتحدة النموذج الغربي، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٣٠.

٤٨٤-.....: "يرقا" الأردنية تثور سلميا على غلو العادات المكلفة ماديا، في الشرق الأوسط، لندن: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق البريطانية المحدودة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ع ٦١٧٢.

خامس عشر: مراجع أجنبية:

- 485 - Beck, Lois and Nikki Keddie: **Women in the Muslim, world**, Harvard, 1978.
- 486 -Decoker,Gary: “ **Japanese Preschools: academic or non academic**” In Japanese schooling Patterns of socialization, equality and political control.
- 487 -Griswold, Wendy: **Culture and Society in A changing world**, thousand aks: Pine Forge press, 1994.
- 488 -.....: **The International Encyclopedia of Education**, Oxford, Pergamon press, first edition, 1985.
- 489 -.....: The new Encyclopedia Britannica , 15th edition , USA , 1981
- 490 - Keton, kathy: **Woman Of Tomorrow**, first St. Martin's press, mass market edition, October 1986.
- 491 -.....: **The New Encyclopedia Britannica**, London: Helen Hemingway benton publisher, 15th, ed. 1973-1974.
- 492 - Rahman, Afzular: **Role of Muslim Woman in Society**, London, Search Foundation, 1986.
- 493 - Robertson, Ronald: **Globalization Social theory and Global Culture**, New York: Sage publication, 1992.
- 494 - Scotter, Richard D. Van, **Foundations of Education**, Social Perspective, prentic, Hall Inc. Engle-wood Cliffs 07632, 1979.
- 495 - Spring, Joel: **The American Education**, 1642-1985, New York: long man, Inc., 1986.

- 496 -.....: **The state of The world's Women 1985**, World conference to review and appraise the achievements of the United Nations decade for women equality, development and peace, Nairobi, July, 15-26,1985.
- 497 -: **University of Ottawa, Programme**, en Etudes des Femmes, 1992- 1993.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء.....	٤
شكر وتقدير.....	٥
تقديم للدكتور ماجد عرسان الكيلاني.....	٧
مقدمة.....	١٧
الفصل الأول: الأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة.....	٢٣
المبحث الأول: المظهر الديني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة " علاقة العبودية".....	٢٧
أولاً: المفهوم الحقيقي لعلاقة العبودية.....	٢٧
ثانياً: أثر الإيمان على سلوك المرأة.....	٣٠
ثالثاً: الصنميات الحديثة وأثرها على سلوك المرأة المسلمة.....	٤٧
المبحث الثاني: المظهر الكوني للأصول العقدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة "علاقة التسخير".....	٥٥
أولاً: التفكير في الكون.....	٥٧
ثانياً: مؤهلات اكتشاف السنن الكونية.....	٦٥
١- الحواس.....	٦٥
٢- العقل.....	٦٧
٣- الوحي.....	٦٩
ثالثاً: أمثلة لإبداع الخالق في خلقه.....	٧٠
رابعاً: الاستمتاع بمسخرات الكون.....	٧٢
خامساً: الالتزام بالقيم الإسلامية في أثناء التعامل مع الكون.....	٧٤
سادساً: بعض سلبيات الحضارة المعاصرة على مستوى الكون.....	٧٧
١- التلوث البيئي.....	٧٨

٢- استنزاف الثروات.....	٨٣
المبحث الثالث: المظهر الاجتماعي للأصول العقيدية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة	
"علاقة العدل والإحسان - علاقة الابتلاء - علاقة المسؤولية والجزاء"	٨٨
أولاً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالإنسان: علاقة عدل وإحسان.....	٨٨
١- العدل.....	٨٨
٢- الإحسان.....	٩٢
٣- كيف تحقق المرأة المسلمة علاقة العدل والإحسان في واقع حياتها.....	٩٥
ثانياً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالحياة: علاقة ابتلاء.....	٩٧
١- معنى الابتلاء.....	٩٨
٢- الحكمة من الابتلاء.....	٩٩
٣- أشكال الابتلاء.....	١٠١
أ- الابتلاء بالخير.....	١٠٣
ب- الابتلاء بالشر.....	١١١
٤- وسائل النجاح في الابتلاء.....	١٢٣
ثالثاً: علاقة إنسان التربية الإسلامية بالآخرة: علاقة مسئولية وجزاء.....	١٣٠
١- معنى المسئولية.....	١٣٠
٢- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة.....	١٣٢
٣- الجزاء الإلهي على تحمل المسئولية.....	١٣٣
الفصل الثاني: الأصول التاريخية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة.....	
١٤١	١٤١
المبحث الرابع: تربية المرأة المسلمة في صدر الإسلام.....	
١٤٤	١٤٤
المبادئ التي وجهت تربية مسلمة صدر الإسلام.....	
١٤٨	١٤٨
١- التعلم فريضة.....	١٤٨
٢- التعليم فريضة على كل قادر عليه.....	١٥١
٣- تكريم المرأة واحترامها.....	١٥٤

٤-مراعاة الخصائص المشتركة والفروق بين الذكور والإناث.....	١٥٧
٥-التربية الذاتية.....	١٥٨
٦-الاستمرار في طلب العلم.....	١٦٠
٧-الرفق بالمتعلمين.....	١٦٠
٨-الصحة في طلب العلم.....	١٦١
٩-التربية بالممارسة والعمل.....	١٦٢
١٠-التربية المتكاملة.....	١٦٢
المبحث الخامس: تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار.....	١٦٤
أولاً: تطور الحركة العلمية في عصور الازدهار.....	١٦٥
ثانياً: تربية المرأة المسلمة في عصور الازدهار.....	١٦٦
ثالثاً: المبادئ التي وجهت تربية مسلمة عصور الازدهار.....	١٧٠
١-عدم تحديد سن لبدء التعليم.....	١٧٠
٢-إلزامية التعليم.....	١٧٠
٣-تركيز الاهتمام على الجانب الأخلاقي.....	١٧٥
٤-الفصل بين الذكور والإناث.....	١٧٥
٥-التدرج في التعليم.....	١٧٥
٦-التعلم الذاتي.....	١٧٥
٧-شمول المنهاج لجميع الحقول المعرفية المتاحة.....	١٧٦
المبحث السادس: تربية المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد.....	١٧٨
أولاً: الحالة الفكرية للمجتمع الإسلامي في عصور الركود والتقليد.....	١٧٨
١-شيوع ظاهرة التقليد.....	١٧٨
٢-انتشار الحزبية المذهبية.....	١٧٩
٣-تسرب الأفكار والمعتقدات الضالة.....	١٨٠
٤-ضييق مفهوم المنهاج.....	١٨٠

ثانيا: تعليم المرأة المسلمة في عصور الركود والتقليد.....	١٨٠
ثالثا: مبادئ وجهت تربية مسلمة عصور الركود والتقليد.....	١٨٨
١-التعلم الذاتي.....	١٨٨
٢-الجمع بين الذكور والإناث في مراحل التعليم الأولى.....	١٨٩
٣-إعداد الفتاة لتكون ربة بيت.....	١٨٩
٤-الإيمان بالخرافات والدجل والشعوذة.....	١٩٠
٥-تعدد المؤسسات التربوية التي يمكن أن تلتحق بها مسلمة عصور الركود والتقليد.....	١٩١
٦-ضيق المنهاج ومحدوديته.....	١٩٥
٧-الاعتماد على التلقين.....	٢٠١
٨-الدراسة شبه المنظمة.....	٢٠٢
٩-إسهام المؤدين في تعليم النساء التعليم المتخصص.....	٢٠٦
١٠-إسهام المرأة المسلمة في إنشاء وإدارة المؤسسات التعليمية والإنفاق عليها.....	٢٠٧
المبحث السابع: محاولات صياغة أصول تربية المرأة المسلمة في العصر الحديث.....	٢١١
أولا: الرواد من الرجال.....	٢١٣
رفاعة الطهطاوي.....	٢١٣
أحمد فارس الشدياق.....	٢١٥
علي مبارك.....	٢١٦
محمد عبده.....	٢١٧
قاسم أمين.....	٢١٨
الطاهر الحداد.....	٢٢١
ثانيا: الرائدات من النساء.....	٢٢٤
عائشة تيمور.....	٢٢٤
زينب فواز.....	٢٢٦
أنيسة بنت سعيد شرتوني.....	٢٢٧

٢٢٨	ملك حفني ناصف
٢٣٢	ثالثا: مابعد الرواد
٢٣٢	بداية تعليم المرأة في مصر
٢٣٢	بداية تعليم المرأة في لبنان
٢٣٣	بداية تعليم المرأة في السودان
٢٣٣	بداية تعليم المرأة في إيران
٢٣٤	بداية تعليم المرأة في تونس
٢٣٤	بداية تعليم المرأة في الجزائر
٢٣٤	بداية تعليم المرأة في فلسطين
٢٣٥	تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية
٢٤٢	المبحث الثامن: واقع تعليم المرأة المسلمة في الوقت الحاضر
٢٤٣	أولا: انعدام الأصالة في تعليم المرأة المسلمة في العصر الحديث
٢٤٦	ثانيا: اقصراره على إعداد المرأة للعمل وإهمال وظيفتها الإنسانية
٢٥٢	ثالثا: آثار التعليم الحديث على سلوك المرأة المسلمة المعاصرة
٢٥٢	١- التبعية والتقليد
٢٥٣	٢- الازدواجية المتنافرة بين الاعتقاد والسلوك
٢٥٥	٣- فقدان التوازن في نمو القدرات والاستعدادات
٢٥٥	٤- السطحية في التفكير
٢٥٧	الفصل الثالث: الأصول الاجتماعية لتربية المرأة المسلمة المعاصرة
٢٥٩	المبحث التاسع: التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة
٢٥٩	أولا: مفهوم الثقافة
٢٦١	ثانيا: العلاقة بين التربية وثقافة المرأة المسلمة المعاصرة
٢٦٣	ثالثا: وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة
٢٦٥	الكتب العامة

٢٦٦	الكتب الدراسية.....
٢٦٦	الأسرة.....
٢٦٧	السينما والمسرح.....
٢٦٧	الصحافة.....
٢٦٩	الأقمار الصناعية.....
٢٧٣	رابعاً: موضوعات واتجاهات تركز على تناولها وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة
٢٧٣	تعميم الثقافة الرأسالية.....
٢٧٧	الفن والفنانون.....
٢٧٩	المرأة جسداً.....
	خامساً: موضوعات واتجاهات ينبغي أن تسلط وسائط تثقيف المرأة المسلمة المعاصرة
٢٨٠	الضوء عليها.....
٢٨١	١- تصحيح الأفكار والعادات والتقاليد الخاطئة المتعلقة بالمرأة.....
٢٨١	أ- النظر إلى المرأة من خلال الجنس وإنجاب الأطفال.....
٢٨٢	ب- الزواج المبكر.....
٢٨٢	ج- تأكيد تفوق الرجل.....
٢٨٣	د- تحديد دور المرأة باعتبارها ربة بيت وزوجة فقط.....
٢٨٤	هـ- عدم الاعتراف بدور المرأة الإنتاجي.....
٢٨٤	٢- التعريف بحقيقة الدعايات بمختلف أنواعها.....
٢٨٤	أ- الترويج للبضائع.....
٢٨٥	ب- ترويج أفكار مضللة عن الشعوب الأخرى.....
٢٨٦	ج- الترويج للأشخاص.....
٢٩١	د- الترويج المغرض لبعض المصطلحات.....
٢٩١	الأصولية.....
٢٩٣	الإرهاب.....

الغزو الثقافي.....	٢٩٦
٤- النظام العالمي الجديد.....	٣٠٦
٥- تفاعل الحضارات.....	٣٠٧
٦- الأمن الثقافي.....	٣١٠
٧- أزمة إنسان الحضارة الغربية.....	٣١٣
٨- الاتجاه نحو المستقبل.....	٣١٧
٩- المساعدات الدولية.....	٣٢١
١٠- صورة الإسلام ووضع المسلمين في الغرب..	٣٢٦
المبحث العاشر: التربية الاقتصادية للمرأة المسلمة المعاصرة	٣٣٤
أولاً: دور التربية في إعداد المرأة للإسهام في التنمية.....	٣٣٤
ثانياً: المرأة والاستهلاك.....	٣٤٠
ثالثاً: دور التربية في تدريب المرأة المسلمة المعاصرة على التخطيط والإدارة داخل المنزل.....	٣٥٤
رابعاً: اتجاهات ومهارات اقتصادية ينبغي على التربية أن تعمل على تنميتها لدى المرأة المسلمة المعاصرة	٣٦٣
١- تدريبها على فن الشراء	٣٦٣
٢- الاقتصاد في المظاهر.....	٣٦٦
٣- الاقتصاد في اللباس والزينة.....	٣٦٧
٤- التعود على البساطة.....	٣٦٩
المبحث الحادي عشر: التربية وتطور المجتمع والمرأة المسلمة المعاصرة	٣٧٠
أولاً: حقيقة التغير الاجتماعي في واقع المرأة المسلمة المعاصرة.....	٣٧٠
ثانياً: حركة تحرير المرأة الغربية.....	٣٧٣
ثالثاً: حركة تحرير المرأة المسلمة.....	٣٧٦
رابعاً: دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة.....	٣٨١

خامسا: أثر التغير الاجتماعي على الأسرة المسلمة المعاصرة.....	٣٨٦
سادسا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة لمسئولياتها الاجتماعية.....	٣٩٠
١- مسئوليتها داخل المنزل.....	٣٩٠
أ- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه بيتها.....	٣٩٢
ب- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه زوجها.....	٣٩٤
ج- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه أولادها.....	٤٠٦
٢- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة خارج المنزل.....	٤١٥
أ- الإسهام في الأنشطة الاجتماعية.....	٤١٦
ب- الإسهام في إحياء التكافل الاجتماعي.....	٤١٧
ج- الإسهام في تزكية البيئة الاجتماعية.....	٤٢٠
سابعا: قضايا اجتماعية ينبغي على التربية أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها.....	٤٢٢
١- التكامل بين النوعين.....	٤٢٢
٢- الفرق بين النوعين.....	٤٣١
٣- الحجاب.....	٤٣٧
٤- الاختلاط.....	٤٤٤
٥- التبرج.....	٤٤٧
٦- تحديد النسل.....	٤٥٠
٧- قضايا معاصرة تتعلق بالزواج.....	٤٥٥
ثامنا: من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة.....	٤٦٤
أ- حرية الاختيار.....	٤٦٤
ب- المهر.....	٤٦٤
المبحث الثاني عشر: تربية المرأة المسلمة المعاصرة والتقنية العلمية الحديثة.....	٤٦٧
أولا: مفهوم التقنية.....	٤٦٧

ثانيا: الثورة العلمية والتقنية الحديثة	٤٦٩
ثالثا: آثار الثورة العلمية والتقنية الحديثة على واقع حياة الإنسان	٤٧٠
١- في المجال العلمي.....	٤٧٠
٢- في المجال الاجتماعي.....	٤٧٢
رابعا: أمثلة لبعض منجزات التقنية الحديثة ذات الأثر على حياة الإنسان	٤٧٦
١- التقنية الحديثة في مجال الإنجاب.....	٤٧٦
٢- التقنية الحديثة والغذاء.....	٤٨٤
٣- التقنية الحديثة والجمال.....	٤٨٥
٤- الأشعة بمختلف أنواعها.....	٤٩٠
٥- التقنية الحديثة ووقت الفراغ.....	٤٩٣
خامسا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بما يساعدها على مواكبة عصرها	٤٩٥
سادسا: اتجاهات ومهارات ينبغي أخذها بعين الاعتبار في تربية المرأة المسلمة المعاصرة	٥٠١
١- التدريب على الإحسان في استخدام الطاقة.....	٥٠١
٢- إمداد المرأة المسلمة بالمهارات اللازمة التي تساعدها على الإحسان في أداء مسؤولياتها	٥٠٢
٣- إمداد المرأة بالخبرات والاتجاهات التي تعينها على الإحسان في اختيار مايتعلق بأطفالها من أجهزة وألعاب.....	٥٠٤
٤- توجيهها إلى أهمية الالتزام بالأصالة في الاستفادة من منجزات التقنية الحديثة ...	٥٠٥
المبحث الثالث عشر: التربية وطبيعة المرأة بين الإسلام وعلم النفس الحديث	٥٠٨
أولا: حقيقة الاختلاف بين النوعين (الذكر والأنثى).....	٥٠٨
١- الفروق الجسمية بين النوعين.....	٥٠٩
٢- الفروق العقلية بين النوعين.....	٥١٠

٣- الفروق الوجدانية بين النوعين.....	٥١١
ثانيا: دور التربية في توجيه المرأة المسلمة المعاصرة عبر مراحل نموها المختلفة.....	٥١٥
١- مرحلة ما قبل البلوغ.....	٥١٥
٢- مرحلة البلوغ.....	٥١٨
٣- مرحلة الأمومة.....	٥٢٩
ثالثا: صفات نفسية اختصت بها المرأة.....	٥٣١
١- قوة العاطفة.....	٥٣٢
٢- الحياء.....	٥٣٤
٣- الغيرة.....	٥٣٥
٤- القدرة على احتمال الألم.....	٥٣٧
٥- الاستعداد للتضحية.....	٥٣٩
رابعا: دور التربية في إعداد المرأة بما يساعدها على التمتع بالصحة النفسية.....	٥٤٠
١- تدعيم اعتزاز المرأة المسلمة المعاصرة بكونها أنثى والارتقاء بمفهومها عن الذات	٥٤١
٢- تحقيق البناء السليم لشخصية المرأة المسلمة المعاصرة	٥٤٤
٣- حمايتها من التقليد والتبعية للآخرين.....	٥٤٨
٤- القضاء على جميع ممارسات العنف ضدها.....	٥٥٢
٥- تدعيم صمود المرأة أمام الابتلاءات.....	٥٥٩
خامسا: بعض القضايا التي تهم المرأة المسلمة المعاصرة.	٥٦٣
١- الزواج المبكر.....	٥٦٣
٢- أثر العمل على الصحة النفسية للمرأة المسلمة المعاصرة	٥٦٤
٣- بعض الشبهات التي يثيرها المغرضون للقول بدونية وضع المرأة في الإسلام	٥٦٧
خاتمة (ملاحظات وتوصيات ومقترحات).....	٥٧١
المراجع.....	٥٩٥
فهرس الموضوعات	٦٣١